



0632869

Bibliothèque Alexandrine

رقم ٧٢٨
الكان ديسانان

إحياء علوم الدين

للإمام الفخر الرازي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الفخر الرازي
وفلسفته في الإحياء

بمتر

الدكتور بدوي طهانة

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

الجزء الرابع

دار الإحياء العلمية العربية

مبنى البابي الحلبي وشركاه

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ »
(فراكان كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب التوبة)

(وهو الأول من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي يتحمده يستفتح كل كتاب . وبذكره يصدر كل خطاب . وبمحمده يقتسم أهل النعم في دار الثواب . وباسمه يتسلى الأشقياء وإن أُرْخِيَ دونهم الحجاب . وضرب بينهم وبين السمداء بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . وتوب إلى توبة من يوقن أنه ربّ الأرباب ومسبب الأسباب . وترجوه رجاء من يعلم أنه الملك الرحيم الغفور التواب . وتخرج الخوف برجائنا مزج من لا يرتاب . إنه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب . ونصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه صلاة تتقدنا من هول الطلع يوم العرض والحساب . ونحمد لنا عند الله زلفى وحسن مكاب .

أما بعد : فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى ستار العيوب وعلام التوب ، مبدأ طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين ، وأول إقدام المرئيين ، ومفتاح استقامة السائرين ، ومطلع الاصطفاء والاجتهاد للقرينين ، ولأئينا آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين ، وما أجدد بالأولاد ، الانتداء بالآباء والأجداد ، فلا غرو إن أذنب آدمى واجترم ، فهو شفيقة يعرفها من أخزم ، ومن أشبه أباه فما ظلم . ولكن الأب إذا جبر بعد ما كسر وعمر بعد أن هدم ، فليكن التزوع إليه في كلا طرفي النفي والاثبات والوجود والعدم ، ولقد قرع آدم سنّ الندم ، وتقدم على ماسبق منه وتقدم . فمن أخذته قنوة في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم ، بل التجرد لحسن الخير دأب للامسكة القرين ، والتجرد للشر دون التلاقي سجية الشياطين ، والرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة آدميين . فالتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان . والتجرد للشر شيطان ، وللتلاقي للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة إنسان ، وقد ازدوج في طينة الإنسان شائبتان ، واصطحب في سجيّتان ، وكل عبد مصحح نسيه إما إلى الملك أو إلى آدم أو إلى الشيطان ، فالتائب قد أقام البرهان ، على صحة نسيه إلى آدم ، بلازمة حد الإنسان ، والصر على الطغيان مسجل على تهمه بنسب الشيطان ، فأما تصحيح النسب إلى اللامسكة بالتجرد لحسن الخير فمخرج عن حيز الامكان ، فإن الشر معجون مع الخير في طينة آدم عجبنا حكما لا يخلصه إلا إحدى النارين

(كتاب التوبة)

[الباب التاسع
والأربعون في استقبال
النهار والأدب فيه
والعمل]

قال الله تعالى - وأتم
الصلاة طرفي النهار -
أجمع للمفسرون على
أن أحد الطرفين
أراد به الفجر وأمر
بصلاة الفجر واختلفوا
في الطرف الآخر قال
قوم أراد به المغرب وقال
آخرون صلاة العشاء
وقال قوم صلاة الفجر
والظهر طرف وصلاة
المغرب للطرف
وزلفا من الليل صلاة
العشاء ثم إن الله تعالى
أخبر عن عظيم بركة
الصلاة وشرف فائدتها
وعمرتها وقال - إن
الحسنات يذهب

نار الندم أو نار جهنم ، فالاحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان من خباثت الشيطان وإليك الآن اختيار أهون النارين ، وللبادرة إلى أخف الشرين ، قبل أن يطوى بساط الاختيار ، ويساق إلى دار الاضطراب . إما إلى الجنة وإما إلى النار . وإذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الواقع وجب تقديمها في صدر ربيع المنجيات بشرح حقيقتها وشرطها وعلامتها وثمراتها والآفات للناثم منها والأدوية اليسرة لها ويوضح ذلك بذكر أربعة أركان : الركن الأول في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وأنها واجبة على الفور وعلى جميع الأشخاص وفي جميع الأحوال وأنها إذا صحت كانت مقبولة . الركن الثاني : فيها عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها إلى صفائر وكبار وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى وبيان كيفية توزيع الدرجات والدرجات على الحسنات والسيئات وبيان الأسباب التي بها تعظم الصفائر . الركن الثالث : في بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك ماضى من الظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان أقسام التائبين في دوام التوبة . الركن الرابع : في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الاصرار من للذنبين ويتم المقصود بهذه الأركان الأربعة إن شاء الله عز وجل . الركن الأول : في نفس التوبة .

(بيان حقيقة التوبة وحدها)

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتزم من ثلاثة أمور مرتبة : علم وحال وفعل ، فالعلم الأول والحال الثاني والفعل الثالث والأول موجب للثاني والثاني موجب للثالث إيجاباً اقتضاه اطراد سنة الله في الملك وللسمكوت . أما العلم : فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجاباً بين العبد وبين كل محبوب فإذا عرف ذلك معرفة حقيقة يقين طالب على قلبه نار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب فإن القلب مهما شعر بفوات محبوه تألم فإن كان فواته بفعله تأسف على الفعل للوقت فيسمى تألمه بسبب فقله الفوت لمحبوه ندماً فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى انبعث من هذا الألم في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصداً إلى فعله لتعلق بالحال وبالماضى وبالاستقبال أما تعلقه بالحال فبالتذكّر للذنوب التي كان ولاسيما وأما بالاستقبال فباعتزاز على ترك الذنب الفوت للمحسوب إلى آخر العمر وأما بالماضى فبتلاقي ما فات بالجبر والقضاء إن كان قليلاً للجبر فالعلم الأول وهو مطلع هذه الحيرات وأعنى بهذا العلم الايمان واليقين فإن الايمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب مومومة مهلكة واليقين عبارة عن تأكيد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيشعر نور هذا الايمان مهما أشرق على القلب نار الندم فيتألم بها القلب حيث يصير باشراق نور الايمان أنه صار عجبواً عن محبوه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيسطع النور عليه بانقشاع سحب أو انحسار حجاب فرأى محبوه وقد أشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه وتنبعث تلك النيران ببارادته للاشتياق للتدارك فالعلم والندم والقصد التعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلاقي للماضى ثلاثة معان مرتبة في الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيراً ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق وللقدمة والترك كالثمرة والتابع للتأخر وبهذا الاعتبار قال عليه الصلاة والسلام « الندم توبة ^(١) » إذ لا يخلو الندم عن علم أو وجه وأمره وعن عزم يقيمه ويتلوه فيكون الندم محضاً بغيره بطريقه أعنى ثمرته وثمرته وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة إنه ذو بان الحشا لما سبق من الخطأ فإن هذا يعرض لمجرد الألم ولذلك قيل هو نار في القلب تلهب وصدع

(١) حديث الندم توبة ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه إسناده من حديث ابن مسعود ورواه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

السيئات أي الصلوات
الحسن يذهب
الخطيئات ، وروى
أن أبا اليسر كتب
ابن عمرو الأنصاري
كان يبيع التفرقات
امرأة تدعى نرا قال
لها إن هذا الفحل ليس
بعيد وفي البيت أجود
منه فهل لك فيه رغبة
قالت نعم فذهب بها
إلى بيته فضمها إلى
نفسه وقبلها فقالت له
اتق الله فتركها وندم
ثم أتى النبي عليه
السلام وقال يا رسول
الله ما تقول في رجل
راود امرأة عن نفسها
ولم يبق شيء مما يفعل
الرجال بالنساء إلا
ركبه غير أنه لم يجمعهما
قال عمر بن الخطاب

في السكبد لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة إنه خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء وقال سهل بن عبد الله التستري التوبة تبديل الحركات للضمومة بالحركات الممودة ولا يتم ذلك إلا بالخلوة والصمت وأكل الحلال وكأنه أشار إلى اللحن الثالث من التوبة والأقاويل في حدود التوبة لا تنحصر وإذا فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت أن جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الاحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقائق الأمور أم من طلب الألفاظ المجردة .

(بيان وجوب التوبة وفضلها)

اعلم أن وجوب التوبة ظاهر بالأخبار ^(١) والآيات وهو واضح بنور البصيرة عند من اشتجحت بصيرته وشرح الله بنور الايمان صدره حتى اقتدر على أن يسمى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجمل مستغنيا عن قائد يوقده في كل خطوة . فالسالك إما أعمى لا يستغنى عن القائد في خطوه ، وإما بصير يهتدي إلى أول الطريق ثم يهتدى بنفسه ، وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون بهذا الانقسام . فمن قاصر لا يقتدر على مجاوزة التقليد في خطوه فيفتقر إلى أن يسمع في كل قدم نصا من كتاب الله أو سنة رسوله وربما يوزع ذلك فيتخير . فسير هذا وإن طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة ومن سعيد شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فيقتبه بأدنى إشارة لسلك طريق معصية وقطع عقبات متعبة ويشرق في قلبه نور القرآن ونور الايمان وهو لشدة نور باطنه يجزئ بأدنى بيان فسكانه بكاد يزته بضيء ولو لم تمسه نار فإذا مسته نار فهو نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء وهذا لا يحتاج إلى نص منقول في كل واقعة . فمن هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة فينظر أولا بنور البصيرة إلى التوبة ما هي ثم إلى الوجوب مامعناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها وذلك بأن يعلم بأن معنى الواجب ما هو واجب في الوصول إلى سعادة الأبد والنجاة من هلاك الأبد فانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لو صفة بكونه واجبا معنى . وقول القائل صار واجبا بالاجاب حديث محض فان ما لا غرض لنا أجلا وعاجلا في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به أو جبه علينا غيرنا أو لم يوجه فاذا عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد وعلم أن لاسعادة في دار البقاء إلا لقاء الله تعالى وأن كل محجوب عنه يشقى لامحالة يحول بينه وبين ما يشتهي محترق بنار الفراق ونار الجحيم وعلم أنه لا يبعد عن لقاء الله إلا اتباع الشهوات والأنس بهذا العالم الفاني والاكباب على حب ما لا يد من فراقه قطعا وعلم أنه لا يقرب من لقاء الله إلا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالسكينة على الله طلبا للأنس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم أن الذنوب التي هي إعراض عن الله واتباع لهاب الشياطين أعداء الله البعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله تعالى فلا يشك في أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلى القرب وإنما يتم الانصراف بالمع والندم والعزم فانه مالم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه في طريق البعد وما لم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم فلا يشك في أن المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول إلى المحبوب وهكذا يكون الايمان الحاصل عن نور البصيرة وأما من لم يترشح مثل هذا اللقام للترفع ذروته عن حدود أكثر الخلق في التقليد والاتباع له

(١) الأخبار الدالة على وجوب التوبة مسلم من حديث الأغر المزني بأنها الناس توبوا إلى الله الحديث ولا بن ماجه من حديث جابر بأنها الناس توبوا إلى ربك قبل أن تموتوا الحديث وسنده ضعيف .

لقد ستر الله عليك لو سترت على نفسك ولم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه شيئا وقال أنظر أمر ربى وحضرت صلاة العصر وصلى النبي عليه الصلاة والسلام العصر . فلما فرغ أنه جبريل بهذه الآية فقال النبي عليه الصلاة والسلام : أين أبو اليسر فقال هاأنذا يارسول الله قال شهدت معنا هذه الصلاة قال نعم قال اذهب فانها كفارة لما عملت فقال عمر يارسول الله هذا له خاصة أولنا عامة ، فقال بل للناس عامة فيستعد العبد لصلاة الفجر باستكمال الطهارة قبل طلوع

بحال رجب يتوصل به إلى النجاة من الهلاك فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين
 فقد قال الله تعالى - وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون - وهذا أمر على العموم
 وقال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً - الآية ومعنى النصوح الخالص لله
 تعالى خالياً عن الشوائب مأخوذاً من النصوح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى - إن الله يحب
 التوابين ويحب المتطهرين - وقال عليه السلام « التائب جيب الله والتائب من الذنب كمن
 لا ذنب له » (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل
 في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام فاستيقظ وقد ذهبت
 راحلته فطأها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أومأ شاء الله قال أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه
 فأتاهم حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليعوث فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالتفت
 تعالى أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا راحلته » (٢) وفي بعض الألفاظ قال من شد ففرحه
 إذا أراد شكر الله : أنا ربك وأنت عبيد . وروى عن الحسن قال لما تاب الله عز وجل على آدم
 عليه السلام هنأته لللائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا آدم قرت عينك
 بتوبة الله عليك فقال آدم عليه السلام يا جبريل فإن كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامى فأوحى
 الله إليه يا آدم ورثت ذنوبك التعب والنصب وورثهم التوبة فمن دعائهم ليبتك كما ليبتك ومن
 سألني المغفرة لم أبخل عليه لأني قريب مجيب يا آدم وأحضر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين
 ودعائهم مستجاب والأخبار والآثار في ذلك لا تحصى والاجماع منعقد من الأمة على وجوبها إذ معناه
 العلم بأن الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله تعالى وهذا داخل في وجوب الإيمان ولكن
 قد تدهش الغفلة عنه فعلى هذا العلم إزالة هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي
 في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الأحوال وذلك لا يشك
 في وجوبه وأما التندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلاقي
 فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع ألم يحصل للحال عقيب حقيقة المعرفة بمغاتات من العمر وضاع
 في سخط الله . فان قلت تألم القلب أمر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب .
 فاعلم أن سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله منبيل إلى تحصيل سببه ويمثل هذا المعنى دخل العلم
 تحت الوجوب لا معنى أن العلم بخلقه العبد ومحدثه في نفسه فان ذلك محال بل العلم والتندم والفعل
 والإرادة والقدرة والقادر الكل من خلق الله وفضله - والله خالقكم وما تعملون - وهذا هو الحق
 عند ذوى الأبصار وما سوى هذا ضلال . فان قلت أفليس للعبد اختيار في الفعل والترك قلنا نعم
 وذلك لا يقتضي قولنا إن الكل من خلق الله تعالى بل الاختيار أيضاً من خلق الله والعبد مضطر

(١) حديث التائب جيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ابن ماجه من حديث ابن مسعود
 بالشرط الثاني دون الأول وأما الشرط الأول فروى ابن أبي الدنيا في التوبة وأبو الشيخ في كتاب
 الثواب من حديث أنس بسند ضعيف إن الله يحب الشاب التائب ولعبد الله بن أحمد في زوائد
 للسند وأبو يعلى بسند ضعيف من حديث علي بن الله يحب العبد المؤمن للمعان الثواب (٢) حديث
 الله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض فلاة دوية مهلكة الحديث متفق عليه من
 حديث ابن مسعود وأنس زاده مسلم في حديث أنس ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبيد
 وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح ورواه مسلم بهذه الزيادة من حديث النعمان بن بشير ومن حديث
 أبي هريرة مختصراً .

الفجر ويستقبل الفجر
 بتجديد الشهادة كما
 ذكرنا في أول الليل ثم
 يؤذن إن لم يكن أجاب
 المؤذن ثم يعلى ركعتي
 الفجر يقرأ في الأولى
 بعد الفأخة قل يا أيها
 الكافرون وفي الثانية
 قل هو الله أحد وإن
 أراد قرأ في الأولى
 - قسولوا آمنا بالله
 وما أنزل - الآية في
 سورة البقرة وفي
 الأخرى - ربنا آمنا
 بما أنزلت واتبعنا
 الرسول - ثم يستغفر
 الله ويسبح الله تعالى
 بما يتيسر له من العدد
 وإن اقتصر على كلمة
 أستغفر الله لذنبي
 سبحانه الله بحمد ربى
 آتى بالمقصود من

في الاختيار الذي له فإن الله إذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في
 للعدة وخلق العلم في القلب بأن هذا الطعام يسكن الشهوة وخلق الحواطر المتعارضة في أن هذا
 الطعام هل فيه مضرة مع أنه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله أم لا ثم خلق
 العلم بأنه لا مانع ثم عند اجتماع هذه الأسباب تنجزم الإرادة الباعثة على التناول فانجزم الإرادة بعد
 تردد الحواطر المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختياراً ولا بد من حصوله عند تمام أسبابه
 فإذا حصل انجزم الإرادة بخالق الله تعالى بإيها تحركت اليد الصحيحة إلى جهة الطعام لا محالة إذ بعد
 تمام الإرادة والقدرة يكون حصول الفعل ضرورياً فتحصل الحركة فتكون الحركة بخالق الله بعد
 حصول القدرة وانجزم الإرادة وهما أيضاً من خلق الله وانجزم الإرادة يحصل بعد صدق الشهوة
 والعلم بعدم الموانع وهما أيضاً من خلق الله تعالى ولكن بعض هذه الحوادث يرتب على البعض ترتيباً
 جرت به سنة الله تعالى في خلقه - ولن تجد لسنة الله تبديلاً - فلا يخلق الله حركة اليد بكتابة
 منظومة مالم يخلق فيها صفة تسمى قدرة ومالم يخلق فيها حياة ومالم يخلق إرادة مجزومة ولا يخلق
 الإرادة المجزومة مالم يخلق شهوة وميلاً في النفس ولا ينبعث هذا الليل انبعثاً تاماً مالم يخلق علماً بأنه
 موافق للنفس إما في الحال أو في التأكد ولا يخلق العلم أيضاً إلا بأسباب آخر ترجع إلى حركة الإرادة
 وعلم فالعلم والليل الطبيعي أبداً يستتبع الإرادة الجازمة والقدرة والإرادة بدأت تستردف الحركة وهكذا
 الترتيب في كل فعل والسلك من اختراع الله تعالى ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض فلا بد من
 تقدم البعض وتأخر البعض كما لا يخفى. الإرادة لا يبدد العلم ولا يخلق العلم إلا بعد الحياة ولا يخلق
 الحياة إلا بعد الجسم فيكون خلق الجسم شرطاً لحدوث الحياة لأن الحياة تنول من الجسم ويكون
 خلق الحياة شرطاً لخلق العلم لأن العلم يتولّد من الحياة ولكن لا يستعدّ المحل لقبول العلم إلا إذا كان
 حياً ويكون خلق العلم شرطاً لنجزم الإرادة لأن العلم يولد الإرادة ولكن لا يقبل الإرادة إلا لجسم حي
 عالم ولا يدخل في الوجود إلا يمكن والامكان ترتيب لا يقبل التغير لأن تغييره محال فهما وجد شرط
 الوصف استعد المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الإلهي والقدرة الأزلية عند
 حصول الاستعداد والمكان للاستعداد بسبب الشروط ترتب كان لحصول الحوادث بفعل الله تعالى
 ترتيب والعبد يجري هذه الحوادث للربة وهي مرتبة في قضاء الله تعالى الذي هو واحد كلي البصر
 ترتيباً كلياً لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر لا يتعداها وعنه العبارة بقوله تعالى - إنا كل شيء
 خلقناه بقدر - وعن القضاء الكلي الأزلي العبارة بقوله تعالى - وما أمرنا إلا واحدة فكل بالبحر -
 وأما العباد فاهم مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر ومن جملة القدر خلق جرك في بدالكاتب
 بعد خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوي جازم في نفسه يسمى القصد
 وبعد علم بما إليه يميل يسمى الإدراك والعرفة فإذا ظهرت من باطن المسكوت هذه الأمور الأربعة
 على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق أهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب
 والمسكوت وقالوا يأبها الرجل قد تحركت ورميت وكنت ونودي من وراء حجاب الغيب وسراقات
 للمسكوت ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى وما قتلت إذ قتلت ولكن قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم
 وعند هذا تتجرد عقول القاعدين في مجبوحة عالم الشهادة فمن قائل إنه جبر محض ومن قائل إنه
 اختراع صرف ومن متوسط مائل إلى أنه كذب ولو فصح لهم أبواب السماء فنظروا إلى عالم الغيب
 والمسكوت لظهر لهم أن كل واحد صادق من وجهه وأن القصور شامل للجوهم فلم يدركوا أحدهم
 كنه هذا الأمر ولم يحيط علمه بجوانبه ونعم الله ينال بأشراق النور من كوة نافذة إلى عالم الغيب

التسبيح والاستغفار.
 ثم يقول اللهم صل على
 محمد وعلى آل محمد اللهم
 إني أسألك رحمة من
 عندك تهدي بها قلبي
 وتجمع بها شملتي وتلم
 بها شمتي وترد بها
 الدن عن وتصلح بها
 ديني وتحفظ بها ظلي
 وترفع بها شاهدي
 وتزكي بها عملي وتبييض
 بها وجهي وتلق بها
 رشدي وتعصمني بها
 من كل سوء اللهم
 أعطني إيماناً صادقاً
 وبقيناً ليس بعده
 كفر ورحمة أئال بها
 شرف كرامتك في
 الدنيا والآخرة اللهم إني
 أسألك الفوز عند
 القضاء ومنازل الشهداء
 وعيش السعداء

وأنة تعالى - عالم الغيب والشهادة لا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول - وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضاء ومن حرك سلسلة الأسباب وللبيات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناسط سلسلتها بسبب الأسباب انكشف له سر القدر وعلم علانية إنان لاخلاق الإله ولا مبدع سواء . فان قلت قد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب أنه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن إصال ذلك إلى الأفهام بمثال ، فاعلم أن جماعة من الميمان قد سمعوا أنه حمل إلى البلدة حيوان عجيب يسمى القيل وما كانوا قط شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس التي قد رغبوا عليه فطلبوه فلما وصلوا إليه لمسه فوق يد بعض الميمان على رجله ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على أذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سالمهم بقية الميمان فاختلقت أجوبتهم فقال الذي لمس الرجل إن القيل ماهو إلا مثل اسطوانة خشنة الظاهر إلا أنه ألين منها وقال الذي لمس الناب ليس كما يقول بل هو صلب لا لين فيه وأمس لا خشونة فيه وليس في غلط الاسطوانة أصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لمس الأذن لعمري هو لين وفيه خشونة فصدق أحدهما فيه ولكن قال ماهو مثل عمود ولا هو مثل اسطوانة وإنما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه إذا أخبر كل واحد عما أسأله من معرفة القيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف القيل ولكنهم يحملهم قصورا عن الاحاطة بكنه صورة القيل فاستبصر بهذا المثال واعتبر به فإنه مثال أكثر ما اختلف الناس فيه وإن كان هذا كلاما يناطح علوم للكاشفة وبحرك أمواجها وليس ذلك من غرضنا فلنرجع إلى ما كنا بسدده وهو بيان أن التوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة العلم والندم والترك وأن الندم داخل في الوجوب لكونه واقعا في جملة أعمال الله المحصورة بين علم المبدوء وإرادته وقدرته للتخلل بينها وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمل .

(بيان أن وجوب التوبة على القور)

أما وجوبها على القور فلا يستبرأ فيه إذ معرفة كون الداعي مهلكا من نفس الإيمان وهو واجب على القور والنفسى عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن القمل للكره فإن هذه المعرفة ليست من علوم للكاشفات التي لاتعلق بمصل بل هي من علوم للعامة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التفصى عن عهده مالم يصير باعثا عليه فالعلم بضرب الذنوب إنما أريد ليكون باعثا على تركها فن لم يتركها فهو فاقده لهذا الجزء من الإيمان وهو المراد بقوله عليه السلام لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن (١) » وما أريد به نفي الإيمان الذي يرجع إلى علوم للكاشفة كالعلم بآفة ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا يفييه الزنا والمأصى وإنما أراد به نفي الإيمان لكون الزنا مبعدا عن الله تعالى موجبا لعقبة كما قال الطبيب هذامم ولا تتناولوه فإذا تناولوه قال تناولوه غير مؤمن لا بمعنى أنه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به بل المراد أنه غير مصدق بقوله إنه سم مهلك فان العالم بالسلم لا يتناولوه أصلا فالعاصى بالضرورة ناقص الإيمان وليس الإيمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا أعلاها القلب والروح وأدناها إمطة الأذى عن البشرية بأن يكون مقصوص الشارب مقاوم الأظفار نقي البشرة عن الحث حتى يميز عن البهائم للرسلة للوثة بأروائها المتكرهة الصور بطول غالبها وأظفارها وهذا مثال مطابق فلايمان كالانسان

(١) حديث لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبي هريرة .

والنصر على الأعداء
ومرافقة الأبناء اللهم
إني أزل بك حاجي
وان قصر رأى وضعف
عملى واقفرت إلى
رحمتك وأسألك
يا قاضى الأمور ويا شفى
الصدور كما تغير بين
البحور أن تحيرنى من
عذاب السعير ومن
دعوة الثبور ومن فتنة
القبور اللهم ما قصر
عنه رأى وضعف فيه
عملى ولم تبلغه نيق
وأمنيق من خير
وعدته أحسدا من
عبادك أو خير أنت
معطية أحدا من خلقك
فأنا راغب إليك فيه
وأسألك إياه يارب
العالين . اللهم اجعلنا
هادين مهدين غير

وقد شهادة التوحيد يوجد البطلان بالكلية كفقده الروح والذي ليس له إلا الشهادة التوحيد والرسالة هو كائن منقطع الأطراف مفقود العينين فاقد لجميع أعضائه الباطنة والظاهرة لا أصل للروح وكما أن من هذا حاله قريب من أن يموت قزايه الروح الضعيفة للنفردة التي تخلف عنها الأعضاء التي فيها وتقوئها فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان وهو مقصر في الأعمال قريب من أن تقتلع شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للإيمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده فكل إنسان لم يثبت في اليقين أصله ولم تنتشر في الأعمال فروعه لم يثبت على عواصف الأحوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة لما يبقى بالطاعات على توالي الأيام والساعات حتى رسخ وثبت وقول العاصي للمطيع إني مؤمن كما أنك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر أنا شجرة وأنت شجرة وما أحسن جواب شجرة الصنوبر إذ قالت ستعرفين اغترارك بشمول الاسم إذا عصفت رياح الحريف فعند ذلك تنقطع أصولك وتتناثر أوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجرة مع الغفلة عن أسباب ثبوت الأشجار : وسوف ترى إذا انجلى التبار أقرس تحتك أم حمار . وهذا أمر يظهر عند الخاتمة وإنما اقطع نياط المارفين خوفا من دواعي اللوث ومقدمته الحائلة التي لا يثبت عليها إلا الأقنوع فإلهامى إذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب مصيئته كالصحيح للتمك في الشهوات الضريرة إذا كان لا يخاف للوث بسبب صنته وأن اللوث غالبا لا يقع بقاة يقال له الصحيح يخاف المرض ثم إذا مرض خاف اللوث وكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة ثم إذا ختم له بالسوء والبياد بالله وجب الخلود في النار فالعاصي للإيمان كالموت كولات للضريرة للأبدان فلا تزال تجتمع في الباطن حتى تغير مزاج الأخلاط وهو لا يشعر بها إلى أن يفسد الزواج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك العاصي فإذا كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا للنفعية يجب عليه ترك السموم وما يضره من المأكولات في كل حال وعلى القور فالخائف من هلاك الأبد أولى بأن يجب عليه ذلك وإذا كان متناول السم إذا ندم يجب عليه أن يتقيأ ويرجع عن تناوله بإبطاله وإخراجه عن المعدة على سبيل القور والمبادرة لتلافيها بدنه المشرف على هلاكه فلا يفوت عليه إلا هذه الدنيا الفانية فتناول موموم الدين وهي الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن مادام بقي للتدارك مهلة وهو العمر فإن الخوف من هذا السم فوات الآخرة الباقية التي فيها النعم القيم والمالك العظيم وفي فواتها نار الجحيم والعذاب المقيم الذي تنصرم أضعاف أعمار الدنيا دون عشر عشر مدته إذ ليس لمدته آخر ألبنة فالبدار البدار إلى التوبة قيل أن تعمل موموم الذنوب بروح الإيمان عملا يجاوز الأمر فيه الأطباء واختيارهم ولا ينفع بعده الإحتيا فلا ينجع بعد ذلك لصح الناصحين وعوظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بأنه من المالكين ويدخل تحت عموم قوله تعالى - إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون . وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون - ولا يفرك لفظ الإيمان فنقول المراد بالآية الكافر إذ ين لك أن الإيمان بضع وسبعون باء وإن الزاني لا يزني حين يزني وهو مؤمن فالعجوب عن الإيمان الذي هو شعب وفروع يجب في الخاتمة عن الإيمان الذي هو أصل كما أن الفحص الفاقد لجميع الأطراف التي هي حروف وفروع يساق إلى الموت المعدم للروح التي هي أصل فبقائه للأصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون الأصل ولا فرق بين الأصل والفرع إلا في شيء واحد وهو أن وجود الفرع وبقائه جميعا يستدعي وجود الأصل وأما وجود الأصل فلا يستدعي وجود الفرع فبقاء الأصل بالفرع ووجود الفرع بالأصل فلولم المكافحة وعلوم العامة متلازمة كتلازم الفرع والأصل فلا يستثنى أحدهما عن الآخر وإن كان أحدهما في رتبة الأصل والآخر في رتبة

صالحين ولا مضلين حربا
لعدائكم وسلمنا
ولا يلائك نهب بحبك
الناس ونعادي
بداوتك من خاتمتك
من خلقك اللهم هذا
الدعاء مني ومنك
الاجابة وهذا الجهد
وعليك التكلان إن الله
وإن إليه راجعون ولا
حول ولا قوة إلا بالله
الصلى العظيم ذى
الجلل الشدبد والأمر
الرشيد أسألك الأمن
يوم الوعيد والجنة
يوم الخلود مع المقربين
الشهود والركع السجود
والموفين بالمهود إنك
رحيم ودود وأنت فضل
ماتريد سبحانه من
تططف بالمر وقال به
سبحان من ليس المجد

التابع وعلوم العامة إذا لم تكن باعثة على العمل ضدّها خير من وجودها فإن هي لم تعمل عملها الذي تراد له قامت مؤينة للحجة على صاحبها ولذلك يزداد في عذاب العالم القاجار على عذاب الجاهل الفاجر كما أوردنا من الأخبار في كتاب العلم .

(بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنه أحد ألبتة)

اعلم أن ظاهر الكتاب قد دل على هذا إذ قال تعالى - وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون - فعمم الخطاب . ونور البصيرة أيضاً يرشد إليه إذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق البعد عن الله القرب إلى الشيطان ولا يتصور ذلك إلا من مائل ولا تسكل غريزة العقل إلا بعد كمال غريزة الشهوة والصب وسائر الصفات للنمومة التي هي وسائل الشيطان إلى إغواء الإنسان إذ كمال العقل إنما يكون عند مقارنة الأربعين وأصله إنما يتبع عند مراعاة البلوغ ومبادئه تظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والعقول جنود للإلحاح فإذا اجتمع قام القتال بينهما بالضرورة إذ لا يثبت أحدهما إلا بآخر منهما عند أن فالطارد بينهما كالطارد بين الليل والنور والظلمة ومهما غلب أحدهما أزعج الآخر بالضرورة وإذا كانت الشهوات تسكن في الصبا والشباب قبل كمال العقل قد سبق جند الشيطان واستولى على السكان ووقع قلبه به أنس وإلف لا محالة مقتضيات الشهوات بالمادة وغلب ذلك عليه ويسر عليه الزرع عنه ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده ومقتدواً له من أيدي أعدائه شيئاً فشيئاً على التدريج فإن لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وأجز الأعين، وعده حيث قال - لأحتسكن ذريته الإقلا - وإن كل العقل وقوى كان أول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر إلى العبادات والامتنع التوبة إلا هذا وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخيفه الشيطان إلى طريق الله تعالى وليس في الوجود آدمي إلا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عدة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة للإلحاح فكان الرجوع عما سبق إليه على مساعدة الشهوات ضرورياً في حق كل إنسان نبياً كان أو غيباً فلا تظن أن هذه الضرورة اختصت بآدم عليه السلام وقد قيل :

فلا تحسبن هذا لها القدر وحدها سجيّة نفس كل غايّة هند

بل هو حكم أنلى مكتوب على جنس الإنس لا يمكن فرض خلافه ما لم يتبدل السنة الإلهية التي لا طمع في تبدلها فاذن كل من بلغ كافراً جاهلاً فليته التوبة من جهله وكفره فإذا بلغ مسدداً لأبويه فأفلا عن حقيقة إسلامه فليته التوبة من غفلته بفهم معنى الإسلام فإنه لا يثبت عنه إسلام أبويه شيئاً ما لم يسلم بنفسه فإن فهم ذلك فليته الرجوع عن عادته وإلقه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع إلى قالب حدود الله في التبع والأخلاق والاضحك والاسترسال وهو من أخف أبواب التوبة وفيه هلك الأكرهون إذ هجروا عنه وكل هذا رجوع وتوبة فدل على أن التوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصور أن يستغنى عنها أحد من البشر كالم يستغنى آدم غفلة الولد لا تتسع للملتمتع له خلقه الوالد أصلاً، وأما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو أن كل بشر فلا يخلو عن مصيبة يجوارحه إذ يخلو عن الأنبياء كما ورد في القرآن والأخبار من خطايا الأنبياء وتوبتهم وبكاهم في خطاياهم فإن خلا في بعض الأحوال عن مصيبة الجوارح فلا يخلو عن المم بالذنوب بالقلب فإن خلا في بعض الأحوال عن المم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بأبراد الحواطر للفرقة للذهلة عن ذكر الله فإن خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وتصور في العلم بالله وصفاته وأفعاله بكل ذلك نفس وله أسباب وترك أسيا به بالتشاغل بأضدادها رجوع عن طريق إلى ضده ولراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في حق الآدمي عن هذا النص وإنما يتفاوتون

وتكرم بمسبحان الذي
لا ينفى التسبيح إلا له
مسبحان ذي الفضل
والتمسبحان ذي الجود
والكرم مسبحان الذي
أحصى كل شيء بعلمه
اللهم اجعل لي نوراً في
قلبي ونوراً في قبري
ونوراً في صمعي ونوراً
في بصري ونوراً في
شمعي ونوراً في بشري
ونوراً في لحي ونوراً
في دمي ونوراً في عظامي
ونوراً من بين يدي
ونوراً من خلفي ونوراً
عن يميني ونوراً عن
شمالتي ونوراً من فوق
ونوراً من تحتي اللهم
زدني نوراً وأعطني
نوراً واجعل لي نوراً.
ولهذا الدعاء أثر
كثير ومأرب

ينتفع بإنسانيته ويتوصل بها إلى درجات العلا في الدنيا فأما من قنع بأصل الحياة ورضى أن يكون
كلهم على وضوء وتفرقة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحياة عين ويد ورجل فأصل الواجبات
الداخلية في قوى العامة لا يوصل إلا إلى أصل النجاة وأصل النجاة كأصل الحياة وما وراء أصل النجاة
من السعادات التي بها تنتهي الحياة يجري مجرى الأعضاء والآلات التي بها تنبأ الحياة وفيه سعى الأنبياء
والأولياء والعلماء والأمثل فالأمثل وعليه كان حرصهم وحواليه كان تطوافهم ولأجله كان رفضهم للملاذ
الدنيا بالسكينة حتى انتهى عيسى عليه السلام إلى أن توسد حجرا في منامه فجاء إليه الشيطان وقال
أما كنت تركت الدنيا للآخرة فقال نعم وما الذي حدث فقال توسدك لهذا الحجر تتم في الدنيا فلم
لأضع رأسك على الأرض فرمى عيسى عليه السلام بالحجر ووضع رأسه على الأرض وكان ريمه للحجر
توبة عن ذلك التتم ، أقرى أن عيسى عليه السلام لم يعلم أن وضع الرأس على الأرض لا يسمى
واجبا في ضاوي العامة . أقرى أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم لما شغل الثوب الذي كان عليه علم
في صلاته حتى نزع (١) وشغلته شرارة نعله الذي جده حتى أجاد الشراك الحلق (٢) لم يعلم أن ذلك
ليس واجبا في شرعه الذي شرعه لكافة عباده فإذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك إلا لأنه
راه مؤثرا في قلبه أرا يتمنه عن بلوغ اللقاه المحمود الذي قد وعد به ، أقرى أن الصديق رضى الله
عنه بعد أن شرب اللبن وعلم أنه على غير وجهه أدخل أصبعه في حلقه ليخرجه حتى كاد يخرج مبروحيه
ما علم من الفقه هذا القدر وهو أن ما كله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب في قوى الفقه إخراجه
فلم تاب عن شره بالتدارك على حسب إمكانه بتخليه للمعدة عنه وهل كان ذلك إلا لسر وقرق صدره
عرفه ذلك السر أن قوى العامة حديث آخر وأن خطر طريق الآخرة لا يعرفه إلا الصديقون فتأمل
أحوال هؤلاء الذين هم أعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبمكر الله وبمكمن الغرور بالله وإياكم مرة
واحدة أن تترك الحياة الدنيا وإياكم ثم إياك ألف مرة أن يترك الله الغرور ، فهذه أسرار من
استنشق مبادئ روايتها علم أن لزوم التوبة النصوح ملازم للبعد السالك في طريق الله تعالى في كل
نفس من أنفسها ولو عمر عمر نوح وأن ذلك واجب على الفور من غير مهلة ، وقد صدق أبو سليمان
الداراني حيث قال لو لم يترك العاقل فيها بقاء من عمره إلا على تفويت ماضى منه في غير الطاعة لكان
خليقا أن يحزنه ذلك إلى المات ، فكيف من يستقبل ما يلقى من عمره بمثل ماضى من جهله وإعسا
قال هذا لأن العاقل إذا ملك جوهره نفيسة وضاعت منه بغير فائدة بكى عليها لاهالة وإن ضاعت
منه وصار ضايعا سبب هلاكه كان بكائه منها أشد وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهره نفيسة
لا خلف لها ولا بدل منها فاتها سالحة لأن توصلك إلى سعادة الأبد وتقتل من شقاوة الأبدوى جوهر
أشس من هذا فإذا ضيعتها في التفلة قد خربت خسرانا مبينا وإن صرفتها إلى مصيبة فقد هلك
هلاكا قاحشا ، فإن كنت لا تبكي على هذه المصيبة فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك أعظم من كل
مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف للصاب بها أنه صاحب مصيبة فإن نوم التفلة يحول بينه وبين
معرفة الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فصدق ذلك ينكشف لكل مفلس إفلاسه ولكل مصاب مصيبته
وقد رفع الناس عن التدارك ، قال بعض العارفين : إن ملك الموت غلبه السلام إذا ظهر للعباد علمه
أنه قد بقى من عمره ساعة وإنك لاتستأخر عنها طرفة عين فيبدو للبعد من الأسف والحسرة
ما لو كانت له الدنيا مجدافها لخرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعقب فيها

ولا سمعة خرجت انحاء
سخطك وإيتناء
مرضاك أسألك أن
تتقضى من النار
وأن تقفلى في ذنوبي
إنه لا يغفر الذنوب إلا
أنت . وروى أبو سعيد
الخدري أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
« من قال ذلك إذا
خرج إلى الصلاة وكل
الله به سبعين ألف
ملك يستغفرون له
وأقبل الله تعالى عليه
بوجه الكريم حتى
يقضى صلاته » وإذا
دخل المسجد أودخل
سجاده للصلاة بقول:
بسم الله والحمد لله
والصلاة والسلام على
رسول الله اللهم اغفر
لي ذنوبي واتقنى لي

(١) حديث نزع صلى الله عليه وسلم الثوب الذي كان عليه في الصلاة تقدم في الصلاة أيضا (٢) حديث
نزع الشراك الجديد وإعادة الشراك الحلق خدم في الصلاة أيضا .

وتبدرك فخرطه فلا يجد إليه سبيلا وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى - وحيل بينهم وبين ما يشتهون - وإليه الإشارة بقوله تعالى - من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأفلق وأكن من الصالحين . ولئن يؤخر الله فسا إذا جاء أجلها - فليل الأجل القريب الذي يطلبه معناه أنه يقول عند كشف الغطاء للعبد يملك الموت أخرني يوما أعتذر فيه إلى ربى وأتوب وأزود صالحا لنفسى فيقول فليت الأيام فلا يوم فيقول فأخرنى ساعة فيقول فليت الساعات فلا ساعة فيقلق عليه باب التوبة فيترغر بروحه وتردد أفاقه في شرايفه ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضيق العمر فيضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأحوال فإذا ذهقت نفسه فإن كان سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة وإن سبق له القضاء بالقوة واليأس بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة ومثل هذا يقال - وليست التوبة للذين يملكون الميتات حتى إذا حضر أحدكم الموت قال إني تبت الآن وقوله - إنما التوبة على الله للذين يملكون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب - ومثناه عن قرب عهد بالخطيئة بأن يتقدم عليها ويعجز أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يترامق الرين على القلب فلا يقبل الهوى ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أتبع السيئة الحسنة تمحها » ولذلك قال لقمان لابنه يابني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بئسة ، ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسوية كان بين خطيرين عظيمين : أحدهما أن تترامق الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطعما فلا يقبل الهوى . والثاني أن يحاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالهوى ، ولذلك ورد في الخبر « إن أكثر صياح أهل النار من التسوية (١) » فما هلك من هلك إلا بالتسوية فيكون تسويد القلب تهدوا جلاؤه بالطاعة نسيته إلى أن ينخطفه الموت فيأتى الله بقلب غير سليم ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم ، فالقلب أمانة الله تعالى عند عبده والعمر أمانة الله عنده وكذا سائر أسباب الطاعة فمن خان في الأمانة ولم يتدارك حياته فأمره محظر . قال بعض العارفين : إن لله تعالى إلى عبده سرين يسرها إليه على سبيل الإلهام : أحدهما إذا خرج من بطن أمه يقول له عبيد قد أخرجتك إلى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك واتمنتك عليه ، فانظر كيف تحفظ الأمانة والنظر إلى كيف تلقاني . والثاني عند خروج روحه يقول عبيد ماذا صنعت في أمانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فأثابك على الوفاء أو أضعتني فأثابك بالمطالبة والعقاب وإليه الإشارة بقوله تعالى - أو نؤاخذكم به بما كنتم تكتمون - والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون .

(بيان أن التوبة إذا استجبت شر الطها فهي مقبولة لاملاح)

اعلم أنك إذا فهمت معنى القبول لم تشك في أن كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالتأخر عن نور البصائر للتمدن من أنوار القرآن علموا أن كل قلب سليم مقبول عند الله ومتسع في الآخرة في جوار الله تعالى ومستعد لأن ينظر بعينه الباقية إلى وجه الله تعالى ، وعلموا أن القلب خلق سليما في الأصل وكل مولود يولد على الفطرة وإعما فتوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غيرة الذنوب وظلمتها ، وعلموا أن نار الندم تحرق تلك التبره وأن نور الحسنة يعجز عن وجه القلب ظلمة السيئة وأنه لا طاقة لنظام المعاصي مع نور الحسنات كالأطعمة لظلام الليل مع نور النهار بل كالأطعمة لظلمة الليل مع نور الشمس مع يياض الصابون ، وكأن الثوب الوسخ لا يقبله للظلمة لأن يكون لباسه فالقلب للظلمة لا يقبله الله تعالى لأن يكون في جواره ، وكأن استعمال الثوب في الأعمال الحسنة يوسخ الثوب وغسله

أبواب رحمتك ويقدم رجله اليمنى في الدخول واليسرى في الخروج من المسجد أو السجدة فسجدة الصوفي بمنزلة البيت والمسجد ثم يصلي صلاة الصبح في جماعة فإذا سلم يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت يسد الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نبيد إلا بإذ خصميين له الدين ولو كره الكافرون ويقرأ هو الله الذي

(١) حديث إن أكثر صياح أهل النار من التسوية لم أجده أصلا .

بالصابون والماء الحار ينظفه لامحالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويظهره ويركيه ، وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول فاعلم عليك الزكية والتطهير . وأما القبول فيبدول قد سبق به القضاء الأزل الذي لا مرد له وهو المسمى فلاحا في قوله - قد أفلح من زكاه - ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة أقوى وأجلى من للشاهدة بالبصر أن القلب يتأثر بالمعاصي والطاعات تأثرا متضادا يستمر لأحدهما لفظ الظلمة كما يستمر للجهد ويستمر للأثر لفظ النور كما يستمر للعلم وأن بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكأنه لم يبق من الدين إلا قصوره ولم يبق به إلا مساؤه وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ومن جعل نفسه فهو بغيره ما جعل وأعنى بقلبه إذا بقلبه يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه ، فمن يتوهم أن التوبة تصح ولا تهبط كمن يتوهم أن الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب ينسل بالصابون والوسخ لا يزول إلا أن يفوس الوسخ لطول تراكمه في تجاوبف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه فمثل ذلك أن تراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورييا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب ، نعم قد يقول باللسان ثبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب أصلا ما يضر صفة الثوب باستعمال ما يضر الوصف المتمكن به فهذا حال امتناع أصل التوبة ، وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة إخلق القبلين على الدنيا المرصين عن الله بالكلية فهذا البيان كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة ولكننا نضد جناحه بنقل الآيات والأخبار والآثار فكل استحصار لا يسهله الكتاب والسنة لا يوثق به وقد قال تعالى - وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات - وقال تعالى - غافر الذنب وقابل التوب - إلى غير ذلك من الآيات . وقال صلى الله عليه وسلم « لله أفرح بتوبة أحدكم » الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزياحة . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يبسط يده بالثوبة لمسيء الليل إلى النهار لمسيء النهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها (١) » . وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب إلا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم « لو علمتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم (٢) » وقال أيضا « إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة فقبل كيف ذلك يارسول الله قال يكون نصب عنه تابا منه فارا حتى يدخل الجنة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « كثرة الذنب الندامة (٤) » . وقال صلى الله عليه وسلم « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

(١) حديث إن الله يبسط يده بالثوبة لمسيء الليل إلى النهار الحديث مسلم من حديث أبي موسى بنظ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار الحديث ، وفي رواية للطبراني لمسيء الليل أن يتوب بالنهار الحديث (٢) حديث لو علمتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم ابن ماجه من حديث أبي هريرة وإسناده حسن بلفظ لو أخطأتم وقد ثم تبتم (٣) حديث إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة الحديث ابن المبارك في الزهد عن البارك بن فضالة عن الحسن مرسل وأبى نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة إن العبد ليذنب الذنب فإذا ذكره أحزنه فإذا نظر الله إليه أنه أحزن يغفر له الحديث وفيه صالح المرى ، وهو رجل صالح لكنه مضعف في الحديث ولا ين في الدنيا في التوبة عن ابن عمر إن الله لينفع العبد بالذنب يذنبه والحديث غير محفوظ قاله العقيلي (٤) حديث كثرة الذنب الدامة أحمد والطبراني وهق في الشعب من حديث ابن عباس وفيه يحيى بن عمرو بن مالك الشكري ضعيف .

لا إله إلا هو الرحمن
الرحيم التسعة
والثمانين اسما إلى
آخرها فإذا فرغ منها
يقول : اللهم سبل
على محمد عبدك
ونبيك ورسولك النبي
آل أبي محمد
صلاة تكون لرضاء
ولحقه أداء وأعطه
الوسيلة والمقام المحمود
الذي وعدته واجزه
عنا مأهوا أهله واجزه
عنا أفضل ماجازيت
نيا عن أمته وصل
على جميع إخوانه من
النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين ،
اللهم صل على محمد
في الأولين وصل على
محمد في الآخرين وصل
على محمد إلى يوم الدين
اللهم صل على روح

وبروى « أن حبشيا قال يارسول الله إني كنت أعلم القواحيش فهل لي من توبة؟ قال نعم فولى ثم رجع فقال يارسول الله أكان يراني وأنا أعلمها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها روحه (١) » وروى أن الله عز وجل لما لعن إبليس سأله النظره فأ نظره إلى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم مادام فيه الروح فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أحببت عنه التوبة بمدامد الروح فيه (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ (٣) » والأخبار في هذا لا تحصى . وأما الآثار : فقد قال مسعود بن السيب أنزل قوله تعالى - إنه كان للأوابين غفورا -

في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب . وقال الفضيل قاله الله تعالى : بشر الذين ينتمون إليهم إن تابوا قبأت منهم وحذر الصديقين أني إن وضعت عليهم عدلي عذبتهم وقال طلق بن حبيب : إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها البعد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين . وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من ذكر خطيئة ألم بها فوجل منها قلبه بحيث عنه في أم الكتاب . وروى أن نيامن أنبياء بني إسرائيل أذنب فأوحى الله تعالى إليه وعزتي لئن عدت لأعذبنك فقال يارب أنت أنت وأنا أنا وعزتك إن لم تصمعي لأعودن فقصه الله تعالى وقال بعضهم إن البعد يذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول إبليس ليتني لم أوقسه في الذنب وقال حبيب بن ثابت تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول أما إني قد كنت شقفا منه قال فيغفر له . وروى أن رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عينه تذر فان قال له إن للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتوافق إلا باب التوبة فإن عليه مسلكا موكلا به لا يطاق فاعمل ولا تيأس . وقال عبد الرحمن بن أبي قاسم تذاكرنا مع عبد الرحمن توبة السكار وقول الله تعالى - إن ينهوا ينفروا فمهم ما قد سلف - فقال إني لأرجو أن يكون السلم عند الله أحسن حالا ولقد بلغني أن توبة السلم كالسلام بعد إسلام . وقال عبد الله بن سلام لأحدثكم إلا عن نبي مرسل أو كتاب منزل إن البعد إذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين - سقط عنه أسرع من طرفه عين . وقال عمر رضى الله عنه اجلسوا إلى التوابين فأنهم أرق أثمة وقال بعضهم أنا أعلم متى يغفر الله لي قيل ومتى قال إذا تاب على وقال آخر أنا من أن أحرم التوبة أخوف من أن أحرم للفقرة أى للفقرة من لوازم التوبة وتوابها لا محالة وروى أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحية فساء ذلك فقال إلهي أطلت عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فإن رجعت إليك أتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا أجبتنا فأجبتناك وتركنا فتركناك وعصيتنا فأمره فملكناك وإن رجعت إلينا قبلناك . وقال ذو النون للصري رحمه الله تعالى إن الله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب رواق القلوب وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندما وحزنا فحنوا . ونحوه

(١) حديث أن حبشيا قال يارسول الله إني كنت أعلم القواحيش فهل لي من توبة قال نعم الحديث لم أجده له أصلا (٢) حديث إن الله لما لعن إبليس سأله النظره فأ نظره إلى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم مادام فيه الروح الحديث أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد أن الشيطان قال وعزتك يارب لا أزال أغوي عبادك مادامت أرواؤهم في أجسادهم فقال وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني وأورده للسلف بصحة وروى كذا ولم يمهز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقد كرهه احتياطا (٣) حديث إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ لم أجده بهذا اللفظ وهو صحيح المعنى وهو بمعنى أتبع السيئة الحسنة تمحها رواه الترمذي وتقدم قريبا .

محمد في الأرواح وصل
عسى حمد محمد
في الأجساد واجمل
شراف صلواتك
ونواى برحمتك
ورأفك ورحمتك
وتحيتك ورضوانك
على محمد عبدك
ونبيك ورسولك اللهم
أنت السلام ومنك
السلام وإليك يعود
السلام غفينا ربنا
بالسلام وأدخلنا دار
السلام تباركت إذا
الجلال والاکرام
اللهم إني أصبحت
لا أستطيع دفع ما أكره
ولا أملك فتح ما أرجو
وأصبح الأمر يسير
غيري وأصبحت مرتبها
يسير فلا تقير أقر
منى اللهم لا تشمت بي

جنون وتبدلوا من غير عى ولا يكمل وإنهم هم البقاء القمصاء المارقون بالله ورسوله ثم شربوا بكأس الصفاء فورتوا الصبر على طول البلاء ثم تولت قلوبهم في اللسكوت وجالت أفسارهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرعوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجرع حتى وصلوا إلى علو الزهد بسلح الورع فاستعدبوا مرارة الترك للدنيا واستلناو أخشونة الضجع حتى ظفروا بمجل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم في العلا حتى أناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة ورموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستنقوا من غير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا برقع النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة فهذا القدر كاف في بيان أن كل توبة صحيحة مقبولة لأحالة . فان قلت أفتقول ما قلته للعترة من أن قبول التوبة واجب على الله . فأقول لأعنى بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله إلا ما يريد القائل بقوله إن التوب إذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وإن العطشان إذا شرب الماء وجب زوال العطش وإنه إذا منع الماء مدة وجب العطش وإنه إذا دام العطش وجب الموت وليس في شيء من ذلك ما يريد العترة بالاجباب على الله تعالى . بل أقول خلق الله تعالى الطاعة كمفرة للصبيوة والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلًا للعطش والقدررة متمعة بخلافه لوسقت به الشيئة فلا واجب على الله تعالى ولكن ما سقت به إرادته الأزلية فواجب كونه لأحالة . فان قلت لما من تأتب الإلهو شاك في قبول توبته والشارب للماء لا يشك في زوال عطشه فلم يشك فيه . فأقول شك في القبول كشكه في وجود شرائط الصحة فان للتوبة أركانًا وشروطًا دقيقة كما سيأتى وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالنبي يشك في دواء شربه للإسهال في أنه هل يسهل وذلك لشكه في حصول شروط الإسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخته وجودة عقاقيره ودويته فهذا وأمثلة موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لأحالة على ما سيأتى في شروطها إن شاء الله تعالى .

(الركن الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغارها وكبارها .)

اعلم أن التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشيء إلا بعد معرفته وإذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل إليها إلا به واجبة لمعرفة الذنوب إذن واجبة والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى في ترك أو فعل وتفصيل ذلك يستدعى شرح التكاليفات من أولها إلى آخرها وليس ذلك من غرضنا ولكننا نغير إلى مجامعها وروابط أقسامها والله للوفق للصواب رحمته

(بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات البعد)

اعلم أن للإنسان أوصافًا وأخلاقًا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب حجاب القلب وغواثه ولكن تنحصر مئارات الذنوب في أربع صفات صفات ربوية وصفات شيطانية وصفات بيهية وصفات بيهية وذلك لأن طيبة الإنسان مخبت من أخلاط مختلفة فانتضى كل واحد من الأخلاط في المعجون منه أثرًا من الآثار كما يقتضى السكر والحل والزعفران في السكجيين آثارًا مختلفة فأمّا ما يقتضى الزروع إلى الصفات الربوية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب اللع والثناء والعز والنفى وحب دول البقاء وطلب الاستلاء على الكافة حتى كأنه يريد أن يقول أنا ربكم الأعلى وهذا يشعب منه جملة من كبار الذنوب غفل عنها الحاقق ولم يدونها ذنوبًا وهي للهلكات العظيمة التي هي كالأمهات لأكثر المعاصي كما استقصينا في ربيع للهلكات . الثانية هي الصفة الشيطانية التي منها يشعب الحسد والبغى والحيلة والحداع والأمر بالفساد والنكر وفيه يدخل النفي والنفاق والدعوة إلى

عدوى ولائى .
صديق ولا تحصل
مصيب في ديني ولا
تجمل الدنيا أكبر همي
ولا تسلط على من
لا يرسمي اللهم هذا
خلق جديد فافتحه
على بطاعتك واختمه
لي مغفرتك ورضوانك
وارزقني فيه حسنة
تقبلها مني وزكها
وضعفها وما عملت فيه
من سيئة فاغفر لي إنك
غفور رحيم ودود
رضيت بالله ربا
وبالاسلام دينًا وبمحمد
صلى الله عليه وسلم نبيا
اللهم إني أسألك خير
هذا اليوم وخير
ما فيه وأعوذ بك من
شره وشر ما فيه
وأعوذ بك من شر

البعد والاضلال . الثالثة الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والسكب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا واللاواط والسرقة وأكل مال الأيتام وجمع الحطام لأجل الشهوات . الرابعة الصفة السبعية ومنها يتشعب القنص والحقد والتهم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الأموال ويترفع عنها جل من الذنوب وهذه الصفات لها تدرج في القطرة فالصفة البهيمية هي التي تغلب أولاً ثم تلاوها الصفة السبعية ثانياً ثم إذا اجتماعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالآخرة تغلب الصفات الربوبية وهي القنص والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه أمهات الذنوب ومنها بهائم تتفجر الذنوب من هذه النابع على الجوارح فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق وإضمار سوء الناس وبعضها على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة إلى بيان تفصيل ذلك فانه واضح . قسمة ثانية : اعلم أن الذنوب تنقسم إلى ما بين العبد وبين الله تعالى وإلى ما يتعلق بحقوق العباد لها يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد كترك الزكاة وقته النفس وغصبه الأموال وشتمه الأعراض وكل متناول من حق الغير فاما نفس أو طرف أو مال أو عرض أو دين أو جوارح وتناول الدين بالاغواء والدعاء إلى البدعة والترغيب في المعاصي ونهيج أسباب الجرامه على الله تعالى كإيقاعه بعض الوطأ يتغلب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالأمر في أغلظ وما بين العبد وبين الله تعالى إذا لم يكن شركاً فالغزو فيه أرجى وأقرب وقد جاء في الخبر «الدواوين ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد يقيم وبين الله تعالى وأما الديوان الذي لا يغفر الشرك بالله تعالى وأما الديوان الذي لا يترك فظالم العباد (١) » أي لا بد وأن يطالبها حتى يفي عنها : قسمة ثالثة : اعلم أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر وقد كثرت اختلاف الناس فيها فقال قائلون لا صغيرة ولا كبيرة بل كل مخالفة لله فهي كبيرة وهذا ضيف إذ قال تعالى «إن تجتنبوا كبائر ما نهى عنكم نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً» وقال تعالى «الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم» وقال **عليه السلام** «الصلوات الحسن والجمعة إلى الجمعة تكفرون ما بينهن إن اجتنبت الكبائر (٢) » وفي لفظ آخر «كفارات لما بينهن» إلا الكبائر» وقد قال صلى الله عليه وسلم في رآه عبد الله بن عمرو بن العاص «الكبائر الإشراك باقية وعقوق الوالدين وقتل النفس والجبن العموس (٣) » واختلاف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من أربع إلى سبع إلى تسع إلى إحدى عشرة لها فوق ذلك فقال ابن مسعود «أربع وقال ابن عمر «سبع وقال عبد الله بن عمرو «هن تسع وكان ابن عباس إذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول «هن» إلى سبعين أقرب منها إلى سبع وقال مرة كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما أوعده الله عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض السلف كل ما أوجب عليه الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل إنها مهيمة لا يعرف غندها كلية القدر وساعة يوم الجمعة . وقال ابن مسعود «لا تسئل عنها ثمان من أول سورة النساء إلى رأس ثلاثين آية منها عند قوله «إن تجتنبوا كبائر ما نهى عنكم فسلك ما نهى الله عنه في هذه السورة إلى هنا فهو كبيرة» . وقال أبو طالب السكي

طوارق الليل والنهار
ومن بشتات الأمور
ولفافة الأنداد ومن
شر كل طارق يطرق
إلا طارفاً يطرق منك
غير يارحم الدنيا
والآخرة ورحيمهما
وأعوذ بك أن أزل
أو أزل أو أضل أو أضل
أو أعظم أو أعظم أو أجمل
أو أجمل على مزجارك
وجل تناؤك وتقدست
أسمائك وعظمت
نعمائك أعوذ بك من
شر ما ينج في الأرض
وما يخرج منها وما ينزل
من السماء وما يخرج فيها
أعوذ بك من حسنة
الحرص وشدة الطمع
وسورة القنص وسنة
الفقة وتماثل الكفة
الهم في أعوذ من

(١) حديث الدواوين ثلاثة ديوان يغفر الحديث أحمد والحاكم ومعه من حديث عائشة وفيه صدقة بن موسى السفيق ضعه ابن معين وغيره وله شاهد من حديث سلمان ورواه الطبراني (٢) حديث الصلوات الحسن والجمعة إلى الجمعة تكفرون ما بينهن إن اجتنبت الكبائر مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث عبد الله بن عمرو الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس والجبن العموس ورواه البخاري.

الكبائر سبع عشرة جمعها من جملة الأخبار (١) وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم أربعة في القلب وهي الشرك بالله والإصرار على معصيته والقنوط من رحمته والأمن من مكروه

(١) الأخبار الواردة في الكبائر حكى الصنف عن أبي طالب المكي أنه قال الكبائر سبع عشرة جمعها من جملة الأخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم الشرك بالله والإصرار على معصيته والقنوط من رحمته والأمن من مكروه وشهادة الزور وقذف المحصن واليمين القموس والسحر وشرب الخمر والسكر وأكل مال اليتيم ظلماً وأكل الربا وأكل مال الحلق وأكل مال اليتيم ظلماً والسرقة والفرار من الزحف وعقوق الوالدين انتهى . وسأذكر ما ورد فيها مرفوعاً وقد تقدم أربعة منها في حديث عبد الله بن عمرو وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة اجتنبوا السبع للوقاة قالوا يا رسول الله وما هي؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات وهما من حديث أبي بكره ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور أو قال قول الزور وهما من حديث أنس سئل عن الكبائر قال الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قال قول الزور أو قال شهادة الزور وهما من حديث ابن مسعود سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنوب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك مخافة أن يعطى ماله قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك وللطبراني من حديث سلمة بن قيس إنما هي أربع لا تسركوا بآفة شيء ولا تشتموا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزونا ولا تسرقوا وفي الصحيحين من حديث عباد بن الصامت بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزونا ولا تسرقوا وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس انخرأتم الفواش وأكبر الكبائر وفيه موقوف على عبد الله بن عمرو أعظم الكبائر شرب الخمر وكلامها ضعيف وللبراز من حديث ابن عباس بإسناد حسن أن رجلاً قال يا رسول الله ما الكبائر؟ قال الشرك بالله والإيمان من روح الله والقنوط من رحمة الله وله من حديث بريدة أكبر الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين ومنع فضل الماء ومنع الفعل وفيه صالح بن حيان ضعفه ابن معين والنسائي وغيرهما وله من حديث أبي هريرة الكبائر أو همن الإشراف بالله وفيه والانتقال إلى الأعراب بعد هجرته وفيه خالد بن يوسف السمين ضعيف للطبراني في الكبير من حديث سهل بن أبي حنيفة في الكبائر والتعرب بعد الهجرة وفيه ابن لهيعة وله في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري الكبائر سبع وفيه والرجوع إلى الأنزارية بعد الهجرة وفيه أبو بلال الأحمري ضعفه الدارقطني وللحاكم من حديث عبيد بن عمير عن أبيه الكبائر تسع فذكر منها واستحل البيت الحرام والطبراني من حديث حملة إن من أكبر الكبائر أن يقول الرجل على ما لم يقل وله أيضاً من حديثه إن من أكبر الكبائر أن ينتفي الرجل من ولده ولمسلم من حديث جابر بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو من الكبائر شتم الرجل ولديه ولأبي داود من حديث - يد زيد من أدنى الربا الاستطالة في عرض السلم بنجر حق وفي الصحيحين من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وإنه لكبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله الحديث ولأحمد في هذه التسمية حديث أبي بكره أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس الحديث ولأبي داود والترمذي من حديث أنس عرضت على ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أو تبها رجل ثم نسبها سكت عليه أبو داود واستقره البخاري والترمذي وروى ابن أبي شيبة في التوبة من حديث ابن عباس لاصفيرة مع إصرار وفيه أبو شيبة الخراساني

مباهاة الصكرين
والإصرار على التلين وأن
أنصرط لما أوأخذ
مظالمنا وأن أقول في
العلم بغير علم أو أعمل في
الدين بغير يقين أعوذ
بك أن أشرك بك وأنا
أعسلم وأستغفر لك لما
لا أعلم أعوذ بعفوك
من عقابك وأعوذ
برضاك من سخطك
وأعوذ بك منسبك
لأحصى ثناء عليك
أنت كما أنتيت على
شك اللهم أنت رب
لا إله إلا أنت خلقتني
وأنا عبدك وابن
عبدك وعلى عهدك
ووعدك ما استطعت
أعوذ بك من شر
ما صنعت أبوء بعميتك
على أبوء بذنبي فأغفر لي

وأربع في اللسان ، وهي شهادة الزور وقذف المحصن والمين النمس ، وهي التي يحق بها بطلان أو يطل بها حقا ، وقيل هي التي يقطع بها مال امرئ مسلم بطلا ولوسوا كامن أراك . وميت غموسا لأنها تفسد صاحبها في النار . والسحر وهو كل كلام يغير الانسان وسائر الأجسام عن موضوعات الحلقة . وثلاث في البطن وهي شرب الخمر والسكر من كل شراب وأكل مال اليتيم ظلما وأكل الربا وهو سلم . واثنان في الفرج وهما الزنا والواط . واثنان في اليدين وهما القتل والسرقة . وواحدة في الرجلين وهو الفرار من الزحف الواحد من اثنين والسرقة من العشرين وواحدة في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين . قال وجمة عقوقهما أن يبقا عليه في حق فلا ير قسمهما وإن سألما حاجة فلا يعطيهما وإن يسألهما فيضربهما . ويجوعان فلا يطعمهما هذا ما قاله وهو قريب ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء إذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فانه جبل أكل الربا ومال اليتيم من الكبائر وهي جناية على الأموال ، ولم يذكر في كباير النفوس إلا القتل فأما فقه العين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وأتولع العذاب فلم يتعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع أطرافه لا شك في أنه أكبر من أكل ماله ، كيف وفي الخبر من الكبائر « السبтан بالبسة ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم ^(١) وهذا زائد على قذف المحصن . وقال أبو سعيد الخدري وغيره من الصحابة : إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشر كننا نعدّها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر ^(٢) . وقالت طائفة : كل عمد كبيرة وكل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وكشف النطاء عن هذا أن نظر الناظر في السرقة أي كبيرة أم لا لا يصح ما لم يفهم معنى

إنه لا يفسد الذنوب إلا أنت . اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وآخره نجاحا وأوسطه فلاحا . اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكريمة أصحنا وأصبح الملك لله والعظمة والكبرياء لله والجبروت والسلطان لله والليل والنهار وما سكن فيها لله الواحد القهار . أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة آيينا إبراهيم حينما مسلما وما كان من الشركين اللهم إنا نسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الخالق

والحدث منك يعرف به . وأما للوقوفات فروى الطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله . وروى البيهقي فيه عن ابن عباس قال الكبائر الاشراك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله وعقوق الوالدين وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف وأكل الربا والسحر والزنا والمين النمس الفاجرة والغلول ومنع الزكاة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وشرب الخمر وترك الصلاة متمتدا وأشياء مما فرضها الله وقضى العهد وقطيعة الرحم . وروى ابن أبي الدنيا في التوبة عن ابن عباس كل ذنب أصر عليه العبد كبير وفيه الربيع بن صبيح يختلف فيه . وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس عن أنس قوله لاصغرة مع الإصرار وإسناده جيد فقد اجتمع من الرفوعات والوقوفات ثلاثة وثلاثون أو اثنان وثلاثون إلا أن بعضها لا يصح إسناده كما تقدم وإنما ذكرت الوقوفات حتى سلم ما ورد في الرفوع وما ورد في الوقوفات . وفي في الشعب عن ابن عباس أنه قيل له الكبائر سبع فقال هي إلى السبعين أقرب وروى البيهقي أيضا فيه عن ابن عباس قال كل ما نهى الله عنه كبيرة ، والله أعلم ^(١) حديث من الكبائر السبتان بالبسة ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم عزاه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس لأحمد وأبي داود . من حديث سعيد بن زيد والذي عندهما من حديثه من أن أربى الربا استطالة في عرض المسلم بغير حق كما تقدم ^(٢) حديث أبي سعيد الخدري وغيره من الصحابة إنكم تعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشر كننا نعدّها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر أحمد والبراز بسند صحيح وقال من الوقفات بدل الكبائر ورواه البخاري من حديث أنس وأحمد والحاكم من حديث عباد بن قرص وقال صحيح الاسناد .

الكبيرة وللإراد بها كقول القائل السرقة حرام أم لا ، لامتطع في تعرضه للإبعاد تقرير معنى الحرام أولاً ثم البحث عن وجوده في السرقة ، فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع وذلك لأن الكبير والصغير من الإضافات وعامن ذنب الإلهو كبير بالإضافة إلى مادونه وصغير بالإضافة إلى مافوقه فالمضاجعة مع الأجنبية كبيرة بالإضافة إلى النظرة صغيرة بالإضافة إلى الزنا وقطع يد السلم كبيرة بالإضافة إلى ضربه صغيرة بالإضافة إلى قتله ، نعم للإنسان أن يطلق على ما يتوعد بالنار على فعله خاصة اسم الكبيرة ، ونفى بوصفه بالكبيرة أن العقوبة بالنار عظيمة وله أن يطلق على ما أوجب الحد عليه مصيراً إلى أن ما جعل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظم وله أن يطلق على ما ورد في نص الكتاب انتهى عنه فيقول تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمته ثم يكون عظماً وكبيرة لأحالة بالإضافة ، إذ منصوصات القرآن أيضاً تتفاوت درجاتها فهذه الاطلاقات لا حرج فيها وما نهل من ألفاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات ولا يسهل تنزيلها على شيء من هذه الاحتمالات ، نعم من الجهات أن تعلم معنى قول الله تعالى - إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم - وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «الصلوات كفارات لما بينهن» إلا الكبائر» فإن هذا إثبات حكم الكبائر والحق في ذلك أن الذنوب منقسمة في نظر الشرع إلى ما يملأ استعظامه بإهاويل ما يعلم أنها معدودة في الصفات وإلى ما يشك فيه فلا يدرى حكمه فالطمع في معرفة حد حاصر أو عدد جامع مانع طلب لما لا يمكن فإن ذلك لا يمكن إلا بالسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول إن أردت بالكبائر عشرة أو خمسا ففصلها ، فإن لم يرد هذا بل ورد في بعض الألفاظ «ثلاث من الكبائر»^(١) وفي بعضها «سبع من الكبائر»^(٢) . ثم ورد «أن السنين بالسبعة الواحدة من الكبائر» وهو خارج عن السبع والثلاث علم أنه لم يقصد به العدد بما يحصر فكيف يطعم في عدد ما لم يعدد الشرع وربما قصد الشرع إيهامه ليكون العباد منه على وجل كما أنهم ليله القدر ليعظم جد الناس في طلبها ، نعم لنا سبيل كل يمكن أن نعرف به أجناس الكبائر وأنواعها بالتعقيق . وأما أعيانها فنعرفها بالظن والتقريب ونعرف أيضاً أكبر الكبائر ، فأما أصغر الصفات فلا يسيل إلى معرفته . ويانه أنا نعلم بشواهد الشرع وأنوار البصائر جميعاً أن مقصود الشرائع كلها سياق الحاق إلى جوار الله تعالى وسعادة لقاءه وأنه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وكتبه ورسله وإليه الإشارة بقوله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - أي ليعبدوا عبداً لي ولا يكون العبد عبداً ما لم يعرف ربه بالرؤية ونفسه بالعبودية ولا يد أن يعرف نفسه وربه فهذا هو المقصود الأنصبي بمئة الأنبياء ولكن لا يهمل هذا إلا في الحياة الدنيا ، وهو الحق بقوله عليه الصلاة والسلام «الدنيا مزرعة الآخرة»^(٣) فصار حفظ الدنيا أيضاً مقصوداً بالدين لأنه وسيلة إليه

(١) حديث ثلاث من الكبائر الشيخان من حديث أبي بكره ألا تنسك بأكثر الكبائر ثلاثاً الحديث وقد تقدم (٢) حديث سبع من الكبائر طب في الأوسط من حديث أبي سعيد الكبائر سبع وقد تقدم وله في الكبير من حديث عبادة بن عمر من صلى الصلوات الخمس واجتنب الكبائر الحديث ثم عددهن سبعة وتقدم عن الصحيحين حديث أبي هريرة اجتنبوا السبع اللواتي (٣) حديث الدنيا مزرعة الآخرة لم أجده بهذه اللفظ رفوعاً وروى القليل في الضعفاء أبو بكر بن لاد في مكارم الأخلاق من حديث طارق بن أشيم نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته الحديث وإسناده ضعيف .

النان يبيع السموات
والأرض ذو الجلال
والاكرام أنت الأحد
الصمد الذي لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفواً
أحد يحيى يا قيوم يحيى
حين لحي في ديمومة
ملكه وبقائه يحيى
عبي للوق يحيى عمت
الأحياء ووارث
الأرض والسماء ، اللهم
إني أسألك باسمك
بسم الله الرحمن الرحيم
وباسمك الله لا إله إلا
هو الحي القيوم
لأنأخذه سنة ولأنوم
الهم إني أسألك باسمك
الأعظم الأجل الأعز
الأكرم الذي إذا
دعيت به أجبت وإذا
سئلت به أعطيت يا نور
التور يا مديبر الأمور

واللعلى من الدنيا بالآخرة شيان النفوس والأموال فكل ما يسهل باب معرفة الله تعالى فهو أكبر الكبائر
 وبليه ما يسهل باب حياة النفوس وبليه ما يسهل باب العايش التي بها حياة النفوس فهذه ثلاث مراتب ،
 حفظ لمعرفة على القلوب والحياة على الأبدان والأموال على الأشخاص ضرورى في مقصود الشرائع
 كلها وهذه ثلاثة أمور لا يتصور أن يختلف فيها الملل فلا يجوز أن الله تعالى يبعث نبيا يريد يبعثه
 إصلاح الخلق في دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما عندهم من معرفة ومعرفة رسوله أو يأمرهم بهلاك
 النفوس وإهلاك الأموال فحصل من هذا أن الكبائر على ثلاث مراتب : الأولى ما يمنع من معرفة
 الله تعالى ومعرفة رسوله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر في الحجاب بين الله وبين العبد هو الجهل
 والوسيلة للقرابة له إليه هو العلم والمعرفة وقربه بقدر معرفته وبعدة بقدر جهله ويتلو الجهل الذى
 يسمى كفرا الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة فان هذا أيضا عين الجهل فمن عرف الله لم يتصور
 أن يكون آمنا ولا أن يكون آسوا ويتلو هذه الرتبة البعد كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله
 وبعضها أشد من بعض وضاعتها على حسب تفاوت الجهل . وعلى حسب تعلقها بذات الله سبحانه وبأفعاله
 وشرائعه وبأوامره ونواهي ومراتب ذلك لا تنحصر وهى تنقسم إلى ما يلي منها داخلة تحت ذكر
 الكبائر المذكورة في القرآن وإلى ما يلي أنه لا يدخل وإلى ما يشك فيه وطلب دفع الشك في القسم
 المتوسط طمع في غير مطمع . للرتبة الثانية : النفوس إذ يبقاها وحفظها تدوم الحياة وتحصل للمعرفة
 بالله قتل النفس لأحالة من الكبائر وإن كان دون الكفر لأن ذلك يصد عن المقصود وهذا
 يصد وسيلة المقصود إذ حياة الدنيا لا تتراد إلا للآخرة والتوصل إليها بمعرفة الله تعالى ويتلو هذه
 الكبيرة قطع الأطراف وكل ما يفضى إلى الهلاك حتى الضرب وبعضها أكبر من بعض ويقع في
 هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط لأنه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالله كور في قضاء الشهوة
 انقطع النسل ودفع للوجود قرب من قطع الوجود ، وأما الزنا فانه لا يوت أصل الوجود ولكن
 يشوش الأنساب ويطل التوارث والتناصر وجملة من الأمور التي لا ينظم العيش إلا بها بل كيف
 يتم النظام مع إباحة الزنا ولا ينظم أمور البهائم مالم يتميز الفحل منها بإثا يختص بها عن سائر
 الفحول ولذلك لا يتصور أن يكون الزنا مباحا في أصل شرع قصد به الإصلاح وينبى أن يكون الزنا
 في الرتبة دون القتل لأنه ليس بفوت دوام الوجود ولا يمنع أصله وله صفة فوت تمييز الأنساب
 ويحرك من الأسباب ما يكاد يفضى إلى التفاضل وينبى أن يكون أشد من اللواط لأن الشهوة
 داعية إليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويحتمل أثر الضرر بكثرته . للرتبة الثالثة : الأموال فالتأمل ما يسهل
 الخلق فلا يجوز تسلط الناس على تناولها كيف شاءوا حتى بالاستيلاء والسرقة وغير ما بل ينبى أن تحفظ
 شئبق يبقاها النفوس إلا أن الأموال إذا أخذت أمكن استردادها وإن أكلت أمكن ترميها
 فليس يحتمل الأمر فيها ، ثم إذا جرى تناولها بطريق يسر التدارك له فينبى أن يكون ذلك من
 الكبائر وذلك بأربع طرق : أحدها الخفية ، وهى السرقة فانه إذا لم يطلع عليه قالوا كيف
 يتدارك . الثانى : أكل مال اليتيم ، وهذا أيضا من الخفية وأعنى به في حق الولي والقيم فانه مؤتمن
 فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه فتعظم الأمر فيه واجب بخلاف الصبي فانه ظاهر
 يعرف وبخلاف الحيانة في الوديعة فان للودع خصم فيه يتصف لنفسه . الثالث : تفويتها بشهادة
 الزور . الرابع : أخذ الوديعة وغيرها باليمين الشمس فان هذه طريق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز
 أن تختلف الشرائع في تحريمها أصلا وبعضها أشد من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس

يعالم ما في الصدور
 يصحح ما يقرب ما يحجب
 الدماء بالطين ما يشاء
 ياروف يارحم يا كبير
 يا عظيم يا الله يا رحمن
 يا ذا الجلال والاكرام
 الم الله لا إله الا هو الحى
 القيوم وعت الوجوه
 الحى القيوم يا لى
 وإله كل شىء إلهنا
 واحدا لا إله إلا أنت
 اللهم إني أسألك باسمك
 يا الله الله الله الذى
 لا إله الا هو رب العرش
 العظيم فتعالى الله الملك
 الحق لا إله الا هو رب
 العرش الكريم أنت
 الأول والآخر والظاهر
 والباطن وسعت كل
 شىء رحمة وعفا
 كهيى حم عسق
 الرحمن يا واحدا يقهر

وهذه الأربعة جدية بأن تكون مرادة بالكبائر وإن لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن أكثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها . وأما كل الرافقيس فيه إلا كل مال الغير بالتراضي مع الاخلال بشرط وضمنه الشرع ولا يمد أن تختلف الشرائع في مثله وإذا لم يجعل النصب الذي هو أكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضا الشرع من الكبائر فأكل الربا أكل رضا للمالك ولكن دون رضا الشرع وإن عظم الشرع الربا بالترج عنه فقد عظم أيضا الظلم بالنصب وغيره وعظم الخيانة والسير إلى أن أكل دافق بالخيانة أو النصب من الكبائر فيه نظر وذلك واقع في مظنة الشك أو كتميل الظن إلى أنه غير داخل تحت الكبائر بل ينبغي أن يخص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرع فيه ليكون ضروريا في الدين فينبغي كما ذكره أبو طالب للكنز القنفذ والشرب والسحر والقرار من الزحف وعقوى الوالدين . أما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بأن يكون من الكبائر وقد دل عليه تقدم بدأت الشرع وطريق النظر أيضا لأن العقل معطوطة كما أن النفس معطوطة بل لاخير في النفس دون العقل فازالة العقل من الكبير . ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر فلا شك في أنه لو شرب ماء في قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وإنما هو شرب ماء نجس والقطرة وحدها في محل الشك وإن عجب الشرع الحد به يدل على تعظيم أمره فيمد ذلك من الكبائر بالشرع وليس في قوة البشرية الوقوف على جميع أسرار الشرع فإن ثبت إجماع في أنه كبيرة وجب الاتباع وإلا فالتوقف فيه مجال . وأما القنفذ فليس فيه إلا تناول الأعراس والأعراض دون الأموال في الرية ولتأويلها مراتب وأعظمها تناول القنفذ بالاضافة إلى فاحشة الزنا وقد عظم الشرع أمره وأظن ظنا غالبا أن الصحابة كانوا يعدون كل ما يجب به الحد كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا تكفروه الصلوات الخمس وهو الذي يزيد بالكبيرة الآن ولكن من حيث إنه يجوز أن تختلف فيه الشرائع فالقياس بمجرد لا يدل على كبره وعظمته بل كان يجوز أن يرد الشرع بأن العدل الواحد إذا رأى إنسانا يزني فله أن يشهد ويجعل للشهود عليه بمجرد شهادته فإن لم تقبل شهادته فغده ليس ضروريا في مصالح الدنيا وإن كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات فاذن هذا أيضا يلحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع فأما من ظن أنه لا يشهد وحده أو ظن أنه يساعده على شهادة غيره فلا ينبغي أن يجعل في حقه من الكبائر . وأما السحرفان كان فيه كفر فكبيرة وإلا فعظمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس أو مرض أو غيره . وأما الفرار من الزحف وعقوى الوالدين فهذا أيضا ينبغي أن يكون من حيث القياس في محل التوقف وإذا قطع بأن سب الناس بكل شيء سوى الزنا وضرهم والظلم لهم بنصب أموالهم وإخراجهم من مساكنهم وبلادهم وإجلالهم من أوطانهم ليس من الكبائر إذ لم يتقل ذلك في السبع عشرة كبيرة وهو أكبر ما قيل فيه فالتوقف في هذا أيضا غير بعيد ولكن الحديث يدل على تعميته كبيرة فليحلق بالكبائر . فإذا رجع حاصل الأمر إلى أننا نعتي بالكبيرة ما لا تكفروه الصلوات بحكم الشرع وذلك مما انقسم إلى ما علم أنه لا تكفروه قطعا وإلى ما ينبغي أن تكفروه وإلى ما يتوقف فيه أو للتوقف فيه بوضه مضمون للنفي والاثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله إلا نص كتاب أو سنة وإن لم يطمع فيه فطلب رفع الشك فيه محال . فإن قلت فهذا إقامة برهان على استحالة معرفة حدها فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده . فأقول أن كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز أن يتطرق إليه الإبهام لأن دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدين بما حيث إنها كبيرة بل كل موجبات الحدود معلومة بأسمائها كالسرقة والزنا وغيرهما وإنما حكم الكبيرة أن الصلوات الخمس لا تكفروا . وهذا أمر يتعلق بالآخرة والإبهام أليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر

يعزز بإجبار يأحد
يأصد بأودو ياغفور
وهو الله الذي لا إله إلا
هو عالم الغيب والشهادة
هو الرحمن الرحيم لا إله
إلا أنت سبحانك إني
كنت من الظالمين
الهم إني أعوذ بك
الكنون الخزون
المنزل السلام الطهر
الطاهر القدوس القدس
يأدهر يديه يور يديه يار
يأبد يا أول يا من لم يزل
ولا يزال ولا يزول هو
يا هو لا إله إلا هو يا من
لا هو إلا هو يا من
لا يعلم ما هو إلا هو
يا كان يا كين
يا روح يا كائن قبل
كل كون يا كائن بعد
كل كون يا مكنون

فلا يتجرون على الصغار اعتمادا على الصلوات الخس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغار بموجب قوله تعالى - إن تعذبوا كبار ماتهم عن نكفر عنكم سيئاتكم - ولكن اجتناب الكبيرة إنما يكفر الصغيرة إذا اجتنبها مع القدرة والارادة فمن تمكن من امر أو من واقع فإنك نفسه عن الواقع فيقتصر على نظر أو لمس فإن مجاهدة نفسه بالكف عن الواقع أشد تأثيرا في تنوير قلبه من إقدامه على النظر في إغلامه فهذا معنى تكفيره فإن كان عيننا أو لم يكن امتناعه إلا بالضرورة عاجز أو كان قادرا ولكن امتنع خوفا أمر آخر فهذا لا يصلح للتكفير أصلا وكل من يشتهي الحرج بطبعه ولو أسح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغار التي هي من قدماته كسجدة للاله والأوتار، ثم من يشتهي الحرج وسيلع الأوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الحرج وظلقتها في السجدة لمجاهدة النفس بالكف ربما تنجح عن قلبه الظلمة التي ارتضت إليه من معصية السجدة فكل هذه أحكام أخروية ويجوز أن يبقى بعضها في محل الشك وتكون من للتشابهات فلا يعرف تفصيلها إلا بالنص ولم يرد النص بمد ولا حد جامع بل ورد بألفاظ مختلفات : فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة إلى الصلوة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشتراك بالله وترك السنة ونكث الصفة (١) » قيل مارك السنة قبل الخروج عن الجماعة ونكث الصفة أن يبيع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف فيقاتله ثم يأثم أمثاله من الألفاظ لا يحيط بالعدد ولا يبدل على حد جامع فينبغي لاحتالة مبهما . فإن قلت الشهادة لا تقبل إلا من يجتنب الكبائر والورع عن الصغار ليس شرط في قبول الشهادة وهذا من أحكام الدنيا . فاعلم أنا لا نخص رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف في أن من يسمع اللهي ويلبس الديباج ويتختم بختام الذهب ويشرب في أواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته ولم يذهب أحد إلى أن هذه الأمور من الكبائر وقال الشافعي رضى الله عنه إذا شرب الخنفي النبيذ حددته ولم أرد شهادته قد جعله كبيرة بإيجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل على أن الشهادة نية وإثباتا لا تدور على الصغار والكبائر بل كل الذنوب تندرج في العدالة إلا ما لا يخفى الإنسان عنه غالبا بضرورة مجاري العادات كالنية والتجسس وسوء الظن والسكذب في بعض الأقوال وسيلع النية وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأكل الشهوات وسب الولد والعلام وضربها بحكم الغضب زاندا على الصلحة وإكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم أهل والولد جميع ما يحتاجون إليه من أمر الدين فهذه ذنوب لا يتصور أن ينفك الشاهد عن قلبها أو كثيرها إلا بأن يمتثل الناس ويتجرد لأموال الآخرة ومجاهدة نفسه مدة بحيث يبقى على سمعة مع الحاطلة بعد ذلك ولو لم يقبل إلا قول مثله لمز وجوده وبطلت الأحكام والشهادات وليس ليس الحرير وسيلع اللهي واللب بالزود ومجالسة أهل الشر في وقت الشر والخلوة بالأجنبيات وأمثال هذه الصغار من هذا القبيل قال في مثل هذا النهج ينبغي أن ينظر في قبول الشهادة ورددها إلى الكبيرة والصغيرة ثم أحاد هذه الصغار التي لا ترد الشهادة بها ولو اظبط على الأثر في رد الشهادة كن اتخاذ القنية وتلب الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم والصغيرة تكبر بالمواظبة كما أن اللباس يصير صغيرة بالمواظبة كاللب بالشرنخ والترنم بالفناء على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغار والكبائر .

(بيان كيفية توزيع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا)

اعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم النيب واللكوت وأعلى بالدينا حالك قبل (١) حديث الصلاة إلى الصلاة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشتراك بالله وترك السنة ونكث الصفة الحديث الحاكم من حديث أبي هريرة نحوه وقال صحيح الاسناد .

لكل يكون أهيا
شرا هيا أدواني
أسبوت بأعجل عظام
الأسور - فان تولوا
قل حسبي الله لا إله
إلا هو عليه توكلت
وهو رب العرش
المعظم - ليس كذلك
وهو المسيح البصير -
الهم صل على محمد وعلى
آل محمد كما صليت
على إبراهيم وآل
إبراهيم وبارك على
محمد وعلى آل محمد كما
باركت على إبراهيم
وآل إبراهيم إنك
حميد مجيد اللهم إني
أعوذ بك من علم
لا ينفع وقلب لا يخشع
ودعاء لا يسمع اللهم إني
أعوذ بك من فتنة
الدجال وعذاب القبر

لنوت وبالأخرة حالتك بعد الموت فذلك وأخترتك صفاتك وأحوالك يسمى القريب الذي منها دنيا والمتأخر آخرة ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فانا الآن نتكلم في الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم للملكوت ولا يتصور شرح عالم للملكوت في عالم الملك إلا ضرب الأمثال ولذلك قال تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وهذا لأن عالم الملك نوم بالإضافة إلى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» (١) وما سيكون في القیطة لا يتبين لك في النوم إلا ضرب الأمثال الموجهة إلى التعبير فكذلك ما سيكون في القیطة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا إلا في كثرة الأمثال وأعني بكثرة الأمثال ما تعرفه من علم التعبير ويكتفيك منه إن كنت فطنا ثلاثة أمثلة قد جاء رجل إلى ابن سيرين فقال رأيت كأن في يدي خاتما أحتم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال إنك مؤذن تؤذن في رمضان قبل طلوع الفجر قال صدقت وجاء رجل آخر فقال رأيت كأنني أصبت الزيت في الزيتون فقال إن كان تحتك جارية اشتريتها فتنش عن حالها فإن أمك سيئت في صرفك لأن الزيتون أصل الزيت فهو يرد إلى الأصل فنظر فإذا جاريته كانت أمه وقد سيئت في صفه وقال له آخر رأيت كأنني ألقه الدر في أعناق الخنازير فقال إنك تعلم الحكمة غير أهلها فكان كما قال والتعبير من أوله إلى آخره أمثال تعرفك طريق ضرب الأمثال وإنما نفي بالكل أداء المعنى في صورة إن نظر إلى معناه وجده صادقا وإن نظر إلى صورته وجده كاذبا فالمؤذن إن نظر إلى صورة الحاتم والختم به على الفروج رآه كاذبا فإنه لم يختم به قط وإن نظر إلى معناه وجده صادقا إذ صدر منه روح الختم ومعناه وهو النع الذي يرد الختم له وليس للأنبياء أن يتكلموا مع الخلق إلا يضرب الأمثال لأنهم كلفوا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم أنهم في النوم والتأني لا يكشف له عن شيء إلا بمثل فإذا ماتوا انتبهوا وعرفوا أن اللئى صادق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (٢) وهو من اللئى لا يعقله إلا العالمون فأما الجاهل فلا يجاوز قدره فظاهر اللئى الجاهل بالتفسير الذي يسمى تأويلا كما يسمى تفسير ما يرى من الأمثلة في النوم تعبيرا فيثبت لله تعالى يدا وأصعا، تعالى الله عن قوله علوا كبيرا . وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق آدم على صورته» (٣) فإنه لا يفهم من الصورة إلا اللون والشكل والمهيئة فيثبت لله تعالى مثل ذلك، تعالى الله عن قوله علوا كبيرا . ومن هنا زلت من زلت في صفات إلهية حتى في الكلام وجملوه صوتا وحرقا إلى غير ذلك من الصفات والقول فيه يطول وكذلك قد ورد في أمر الآخرة ضرب أمثلة يكذب بها المحدث بجمود نظره على ظاهر المثال وتافهه عنده كقولهم صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح فيثور للحد الأحمر ويكذب» (٤) ويستدل به على كذب الأنبياء ويقول يا مدحان الله الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسما وهل هذا إلا عمل ولكن الله تعالى عزل هؤلاء الحق عن معرفة أسرارهم فقال وما يعقلها إلا العالمون - ولا يدري للسكان أن من قال رأيت في منامي أنه جئ بكبش وقيل هذا هو الوباء الذي في البدن وذبح فقال المبر صدقت والأمر كما رأيت وهذا يدل على أن هذا الوباء ينقطع ولا يولد قط لأن

ومن فتنة الحياة والمات
اللهم إني أعوذ بك من
شر ما علمت وشر ما لم
أعلم وأعوذ بك من
شر محسى وبصرى
ولسانى وقلبي اللهم إني
أعوذ بك من القسوة
والغلظة والذل والسكنة
وأعوذ بك من الفقر
والسكفر والفسوق
والشقاق والنفاق وسوء
الأخلاق وضيق
الأرزاق والسمنة
والرياء وأعوذ بك من
الصمم والبكم والجنون
والجذام والبرص وسائر
الأسقام، اللهم إني أعوذ
بك من زوال نعمتك
ومن تحويل عافيتك
ومن تجاؤف همتك ومن
جميع سخطك، اللهم
إني أسألك الصلاة على

(١) حديث الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا لم أجده مرفوعا وإنما يجرى إلى طي بن أبي طالب
(٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن تقدم (٣) حديث إن الله خلق آدم على
صورته تقدم (٤) حديث يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح متفق عليه من
حديث أبي سعيد .

للدبوح وقع اليأس منه فإن للبر صادق في تصديقه وهو صادق في رؤيته وترجع حقيقة ذلك إلى أن الركل بالرويا وهو الذي يطلع الأرواح عند النوم على مافي اللوح المحفوظ عرفة بما في اللوح المحفوظ بمثل ضربه له لأن النائم إنما يحتمل للثال فكان مثاله صادقا وكان معناه صحيحا فالرسل أيضا إنما يكلمون الناس في الدنيا وهي بالإضافة إلى الآخرة نوم فيوصلون للعاني إلى أنهمامهم بالأمثلة حكمة من الله ولطفا بعباده ويمسرا لادراك ما يسجرون عن إدراكه دون ضرب المثل لقوله يؤتى بالموت في صورة كبشي أملع مثال ضربه ليوصل إلى الأنهم حصول اليأس من الموت وقد جبلت القلوب على التأثر بالأمثلة وثبوت للعاني فيها بواسطتها ولذلك عبر القرآن بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وعبر صلى الله عليه وسلم بقوله «قلب للؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» عن سرعة التقلب . وقد أشرنا إلى حكمة ذلك في كتاب قواعد العقائد من ربيع العبادات فلترجع الآن إلى الترض فالمقصود أن تعريف توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات لا يمكن إلا بضرب المثل فلتفهم من المثل الذي نضربه معناه لاصوره . فنقول : الناس في الآخرة ينقسمون أصنافا وتفاوت درجاتهم ودركاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتا لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا في سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تفارق الآخرة في هذا المعنى أصلا ألتيه فان مديرك والملكوت واحد لا شريك له وسنته الصادرة عن إرادته الأزلية مطردة لا تبدل لها إلا أنان هجرتا عن إحصاء أحد الدرجات فلا تخرج عن إحصاء الأجناس . فنقول الناس ينقسمون في الآخرة بالضرورة إلى أربعة أقسام هالكين ومهذبين وتاجين وفازين . ومثاله في الدنيا أن يستولى ملك من الملوك على إقليم فيقتل بعضهم فهم المالكون وينهب بعضهم مدة ولايتهم فهم الملبذون ويغني بعضهم فهم التاجون ويخلع على بعضهم فهم الفائزون فان كان للملك عدلا لم يقسمهم كذلك إلا باستحقاق فلا يقتل إلا جاحدا لاستحقاق الملك معاندا له في أصل الدولة ولا يجذب إلا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يغني إلا من عفا له بربة الملك لكنه لم يقصر لمعذب ولم يخدم لخلع عليه ولا خلع إلا على من أبى عمره في الخدمة والنصرة ثم ينبغي أن تكون خلق الفازين متفاوتا الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة وإهلاك المالكين إما تخفيفا بحز الرقة أو تسكيلا بالثقل بحسب درجاتهم في العاندة وتقذيب للمعذبين في الخفة والشددة وطول المدة وقصرها واتحاد أنواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم فتنقسم كل رتبة من هذه الرتب إلى درجات لا تحصى ولا تنحصر فكذلك قافهم أن الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون فمن هالك ومن معذب مدة ومن تاج يحمل في دار السلامة ومن قاتل والفائزون ينقسمون إلى من يحملون في جنات عدن أو جنات المأوى أو جنات الفردوس والمعذبون ينقسمون إلى من يعذب قليلا وإلى من يعذب ألف سنة إلى سبعة آلاف سنة وذلك آخر من يخرج من النار (١) كما ورد في الخبر وكذلك المالكون الأيسون من رحمة الله تفاوت درجاتهم وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والمعصيات فلنذكر كيفية توزعها عليها : الرتبة الأولى وهي رتبة المالكين ونفى بالمالكين الأيسين من رحمة الله تعالى إذ الذي قتله الملك في اللال الذي ضربناه آيس من رضا الملك وإكرامه فلا تنقل عن معاني اللال وهذه الدرجة لا تكون إلا للجاحدين والمعرضين التجردين لادنيا المكذبين بالله ورسوله وكتبه فان السعادة الأخروية في اقرب من اقده النظر إلى وجهه وذلك لا ينال أصلا إلا بالمرقة التي يعبر عنها

(١) حديث إن آخر من يخرج من النار يعذب سبعة آلاف سنة الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة بسند ضعيف في حديث قال فيه وأطولهم مكثا فيه مثل الدنيا من يوم خلقت إلى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة .

محمد وعلى آله وأسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وأسألك ما سألك عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأسئلك مما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدا نرحمك يا أرحم الراحمين يا حي يا قيوم نرحمك أستغث

بالإيمان والتصديق والجاهدون هم للسكران وللسكران هم الآيسون من رحمة الله تعالى أبدأ الآباد
 وهم الذين يكذبون رب العالمين وبأنبيائه المرسلين إتهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة وكل
 محجوب عن محبوه فمحجوب بينه وبين ما يشتهي لا محالة فهو لا محالة يكون محترقا نار جهنم بنار الفراق
 ولذلك قال المارقون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا للحرور الدين وإنما مطالبنا للقاء ومهر بنا
 من الحجاب قطع ، وقالوا من يبعد الله بمرض فهو لئيم كأن يبعده لطلب جنته أو لحرق ناره بل
 المعارف يبعده لذاته فلا يطلب إلا ذاته قطع ، فأما الحرور العين والقوا كما قد لا يشتهي وأما النار
 فقد لا يشتهي إذ نار القراق إذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للأجسام ، فإن نار الفراق نار الله
 للوقدة التي تطلع على الأفقدة ونار جهنم لا تشتعل لها إلا مع الأجسام وألم الأجسام تستعمر مع ألم القواد
 ولذلك قيل :

وفي فؤاد المحب نار جوى أحر نار الجحيم أبردها

ولا ينبغي أن تنكر هذا في عالم الآخرة إذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا قد يرى من غلب عليه الوجد
 فندا على النار وعلى أصول القصب الجارحة للقدم وهو لا يحس به لمرط غلبة ما في قلبه ويرى الضبان
 يستولى عليه الغضب في القتال فتصديه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال لأن الغضب نار في القلب
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الغضب قطعة من النار » واحتراق القواد أشد من احتراق
 الأجساد والأشد يطل الإحساس بالأضعف كما تراء فليس الهلاك من النار والسيوف إلا من حيث إنه
 يفرق بين جزمين يرتبط أحدهما بالآخر برابطة التأليف الممكن في الأجسام فأنه يفرق بين القلب
 وبين محبوه الذي يرتبط به برابطة تأليف أشد إحكاما من تأليف الأجسام فهو أشد إبلا ما إن
 كنت من أرباب البصائر وأرباب القلوب ولا يعد أن لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الألم ويستحقه
 بالإضافة إلى ألم الجحيم فالصبي لو خير بين ألم الحرمان على الكرة والصولجان وبين ألم الحرمان عن
 رتبة السلطان لم يحس بألم الحرمان عن رتبة السلطان أصلا ولم يعد ذلك ألما وقال العدو في اللذان
 مع الصولجان أحب إلى من ألف سرير للسلطان مع الجالوس عليه ، بل من قلبه شهوة البطن
 لو خير بين المحرسة والحلواء وبين فصل جميل يقهر به الأعداء ويفرح به الأصدقاء لأمر المحرسة
 والحلواء ، وهذا كله لفقد الشيء الذي بوجوده يصير الجاه محبوبا ووجود الشيء الذي بوجوده يصير
 الطعام لذينا وذلك لمن استرته صفات البهائم والسباع ولم تظهر فيه صفات اللائكة التي لا يناسبها ولا
 يلبها إلا القرب من رب العالمين ولا يؤلفها إلا البعد والمحجوب وكألا يكون الذوق إلا في اللسان والسمع
 إلا في الأذان فلا تكون هذه الصفة إلا في القلب ، فمن لا قلب له ليس له هذا الحس كن لا يسمع له ولا
 يصر ليس له لذة الأغنان وحسن الصور والألوان وليس لكل إنسان قلب ولو كان له أصبح قوله تعالى
 - إن في ذلك لذكر لمن كان له قلب - فجعل من لم يتذكر بالقرآن - فليس من القلب ، ولست أعني
 بالقلب هذا الذي تكتنفه عظام الصدر ، بل أعني به السر الذي هو من عالم الأمر وهو اللحم الذي
 هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسىه وسائر الأعضاء عائله ومملكته وفيه الخلق والأمر جميعا ،
 ولكن ذلك السر الذي قاله الله تعالى فيه - قل الروح من أمر ربي - هو الأمير ولذلك لأن بين
 عالم الأمر وعالم الخلق ترتيبا وعالم الأمر أمير على عالم الخلق وهو اللطيفة التي إذا صلحت صلح لها
 سائر الجسد من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه وعند ذلك يتم البعد
 مبادئ روائع الشيء للطوى تحت قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم على صورته » ونظر بعين

(١) حديث الغضب قطعة من النار الترمذي من حديث أبي سعيد نحوه وقد تقدم .

لا تنكفى إلى نفسى
 طرفة عين وأسلح لى
 شأنى كله بأنور
 السموات والأرض
 يا جمال السموات
 والأرض يا عماد
 السموات والأرض
 يا بديع السموات
 والأرض إذا الجلال
 والاكرام يا صريح
 الصبرين يا غوث
 الصغين يا منتهى
 رغبة الراغبين
 وللفرج عن المكروبين
 وللروح عن الغمومين
 ومجيب دعوات
 المضطربين وكاشف
 السوء وأرحم الراحمين
 وإله العالمين مزول
 بك كل حاجة يا أرحم
 الراحمين اللهم استر
 عوراني وآمن روعاني

الرحمة إلى الحاميين له على ظاهر لفظه وإلى المتعسفين في طريق تأويله ، وإن كانت رحمته للحاميين على اللفظ أكثر من رحمته للمتعسفين في التأويل لأن الرحمة على قدر الصيبة ومصيبة أولئك أكثر وإن اشتركوا في مصيبة الحرمان من حقيقة الأمر فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهي حكمته يختص بها من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، ولعمد إلى الفرض فقد أرحنا الطول وطولنا النفس في أمر هو أهي من علوم للمعاملات التي تقصدها في هذا الكتاب فقد ظهر أن رتبة الهلاك ليس إلا للجهال للكذابين ، وشهادة ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا تدخل تحت المحصر فذلك لم نوردها . الرتبة الثانية : رتبة المعذنين وهذه رتبة من تعلى بأصل الإيمان ولكن قصر في الوفاء بمتقضاته فإن رأس الإيمان هو التوحيد وهو أن لا يعبد إلا الله ومن اتبع هواه فقد أخذ إليه هواه فهو موحدين بلسانه لا بالحقيقة بل معنى قولك لا إله إلا الله معنى قوله تعالى - قل الله ثم ذرم في خوضهم يلعبون - وهو أن تذر بالكلية غير الله ، ومعنى قوله تعالى - الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكل التوحيد إلا بالاستقامة عليه أدق من الشرع وأحد من الصراط المستقيم الذي لا يكل فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في أمر يسير إذ لا يخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قاذح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك يقتضى لعامة نقصانا في درجات القرب ومع كل نقصان تارة نار الفراق لذلك الكمال القاتل بالنقصان ونار جهنم كما وصفها القرآن فيكون كل ماثل عن الصراط المستقيم معذبا مرتين من وجهين ، ولكن شدة ذلك العذاب وخته وتفواته بحسب طول اللدة إنما يكون بسبب أمرين : أحدهما قوة الإيمان وضمفه ، والثاني كثرة اتباع الهوى وقتله إذ لا يخلو بشر في غالب الأمر عن واحد من الأمرين قل الله تعالى - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم تنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جيا - ولذلك ذل الخائفون من السلف : إنما خوفنا لأننا يتقنا أنا على النار وادرون وشككنا في النجاة ، ولما روى الحسن الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادى يا حنان يا منان^(١) قال الحسن يابقي كنت ذلك الرجل . واعلم أن في الأخبار ما يدل على أن آخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة وأن الاختلاف في اللدة بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة قدرجات متفاوتة من اليوم والأسبوع خاطف ولا يكون له فيها ليل وبين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة قدرجات متفاوتة من اليوم والأسبوع والشهر وسائر الدد وأن الاختلاف بالشدة لانهاء لأعلاء وأدناه التعذيب بالمناقشة في الحساب لأن ذلك قد يذهب بعض القصرين في الأعمال بالمناقشة في الحساب ثم يعفو وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بوع آخر من العذاب ويتطرق إلى العذاب اختلاف ثالث في غير اللدة والشدة وهو اختلاف الأنواع إذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كن يعذب بأخذ المال وقتل الولد واستباحة الحرم وتعذيب الأقارب والضرب وقطع اللسان واليد والأذن وغيره ، فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب الآخرة دل عليها فواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الإيمان وضمفه وكثرة الطاعات وقتلها وكثرة السيئات وقتلها . أما شدة العذاب بشدة قبس السيئات وكثرتها وأما كثرة قبس السيئات وأما اختلاف أنواعه باختلاف أنواع السيئات وقد انكشف هذا لأرباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الإيمان وهو المعنى بوله تعالى - وما ربك بظلام للعبيد - وبقوله تعالى - اليوم تجزي كل نفس

وأفاني عتراتي ، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أشتال من تحتي ، اللهم في رضاءك ضعيف فقو في رضاءك ضعفي وخذني إلى الخير بما صيقت واجعل الإسلام منتهى رضاءي ، اللهم إني ضعيف قصوني اللهم إني ذليل فأعزني ، اللهم إني فقير فأغنني برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم إني أطلب سرى وعلائق فأقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما لي نفسي فأغفر لي ذنوبي ، اللهم إني أسألك إيمانا ييسر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم

(١) حديث من يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادى يا حنان يا منان أحمد وأبو يعلى من رواية أبي ظلال التميمي عن أنس وأبو ظلال ضعيف واسمه هلال بن ميمون .

بما كسبت - وبقوله تعالى - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - وبقوله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون العقاب والواب جزاء على الأعمال وكل ذلك بديل لا ظلم فيه وجانب الغنى والرحمة أرجح ، إذ قال تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم « سبقت رحمتي غضبي » (١) وقال تعالى - وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما - فإذا هذه الأمور الكافية من ارتباط الدرجات والدرجات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة ، فأما التفصيل فلا يعرف إلا ظنا ومستندة ظواهر الأخبار ونوع حدس يستمد من أنوار الاستبصار بين الاعتبار. فنقول: كل من أحكم أصل الايمان واجتنب جميع الكبائر وأحسن جميع القرائض : أعنى الأركان الخمسة ولم يكن منه إلا صفائر متفرقة لم يهر عليها فيشبه أن يكون عذابه المناقشة في الحساب قط فانه إذا حوسب رجعت حسناته على سيئاته إذ ورد في الأخبار أن الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارات لما بينهن ، وكذلك اجتتاب الكبائر يحكم نص القرآن مكفر للصفائر وأقل درجات التكفير أن يدفع المذاب إن لم يدفع الحساب وكل من هذا حاله فقد تقلت موازينه ، فينبغي أن يكون به مظهر الرجحان في الليزان وبمد الفراغ من الحساب في عيشة راضية ، نعم التحاقه بأصحاب الجهن أو بالمقرين وزوله في جنات عدن أوفى الفردوس الأعلى فكذلك يتبع أصناف الإيمان ، لأن الإيمان إيمان تقليدي كما يمان العوام يصدقون بما يستمعون ويستمررون عليه ، وإيمان كسفي يحصل بانشراس الصدر بنور الله حتى يشكف فيه الوجود كله على ما هو عليه فيفتح أن الكل إلى الله مرجعه ومصره إذ ليس في الوجود إلا الله تعالى وصفاته وأفعاله ، فهذا الصنف هم القريبون التازلون في الفردوس الأعلى وهم على غاية القرب من اللأ الأعلى وهم أيضا على أصناف فمنهم الساجدون ومنهم من دونهم وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى ودرجات المعارف في المعرفة بالله تعالى لا تنحصر إذ الإحاطة بكنهه جلالة لا غير ممكنة وغير المعرفة ليس له ساحل وعمق وإنما يخص فيه القواصون بقدر قواهم وقدر ما سبق لهم من الله تعالى في الأزل ، فالطريق إلى الله تعالى لانهاية لمازله فالسالكون سبيل الله لانهاية لدرجاتهم . وأما المؤمنون إيمانا تقليديا فهو من أصحاب الجهن ودرجته دون درجة القربين وهم أيضا على درجات فالأعلى من درجات أصحاب الجهن تقارب رتبته رتبة الأدنى من درجات القربين ، وهذا حال من اجتنب كل الكبائر وأدى القرائض كلها : أعنى الأركان الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة للسان والبالاة والزكاة والصوم والحج ، فأما من ارتكب كبيرة أو كبائر أو أهمل بعض أركان الاسلام فان تاب توبة نصوحا قبل قرب الأجل التحق بمن لم يرتكب لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له والذنب المتسول كالذي لم يتوسخ أصلا وإن مات قبل التوبة فهذا أمر عظيم عند الموت إذ ربما يكون موته على الإصرار سببا لترزله إيمانه فيفتح له بسوء الحاجة لاسيا إذا كان إيمانه تقليديا ، فان التقليد وإن كان جزاء فهو قابل للأعمال بأدنى شك وخيال والمعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء الحاجة ، وكلاهما إن ماتا على الإيمان جذبان إلا أن يغفو الله عذابا يزيد على عذاب المناقشة في الحساب وتكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الإصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف أصناف السيئات وعند انقضاء مدة العذاب ينزل إليه المفلدون في درجات أصحاب الجهن والمعارفون المستبصرون في أعلى عيليين ،

أنه لن يصيفي إلا ما كتب لي والرضا بما قسمت لي يا ذا الجلال والاكرام اللهم يهادي المضلين ويارحم المذنبين ومقيل عثره السائرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأعباء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين اللهم عالم الحفريات رفيع الدرجات تلقى الروح بأمرك على من تشاء من عبادك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذا الطول لا اله إلا هو أنت الوكيل

ففي الخبر « آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف ^(١) » فلا تظن أن الزاد به تقديره بالمساحة لأطراف الأجسام كأن يقابل فرسخ بفرسخين أو عشرة بعشرين فإن هذا جهل بطريق ضرب الأمثال بل هذا كقول القائل أخذ منه جملا وأعطاه عشرة أمثاله وكان الجمل يساوي عشرة دينارين فأعطاه مائة دينار فإن لم يفهم من الثلث إلا الثلث في الوزن والثقل فلا تكون مائة دينار لو وضعت في كفة للزان والجمل في الكفة الأخرى عشرة عشر بل هو موازنة معاني الأجسام وأرواحها دون أشخاصها وهياكلها فإن الجمل لا يقصد ثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لما يتفرع روحه السالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة أمثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسدية وهذا صادق عند من يعرف روح السالية من الذهب والفضة بل لو أعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال أعطيتك عشرة أمثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه إلا الجوهريون فإن روح الجوهرة لا تدرك بمجرد البصر بل بطلعة أخرى وراء البصر فلذلك يكذب به الصبي بل القروي والبدوي ويقول ماهذه الجوهرة إلا حجر وزنه مثقال ووزن الجمل ألف ألف مثقال فقد كذب في قوله إني أعطيتك عشرة أمثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لاسميل إلى تحقيق ذلك عنده إلا بأن ينتظر بالابوغ والكمال وأن يحصل في قلبه النور الذي يدرك به أرواح الجواهر وسائر الأموال فعند ذلك ينكشف له الصدق والعارف عاجز عن فهم الثقل القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة إذ يقول صلى الله عليه وسلم « الجنة في السموات ^(٢) » كما ورد في الأخبار والسموات من الدنيا كيف يكون عشرة أمثال الدنيا في الدنيا وهذا كما سيجزى البالغ عن فهم الصبي تلك الموازنة وكذلك فهم البدوي وكما أن الجوهري مرحوم إذا بلى بالبدوي والقروي في فهم تلك الموازنة فالعارف مرحوم إذا بلى بالبايد الأبله في فهم هذه الموازنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « ارحموا ثلاثة عالمين الجبال بلى بالبايد الأبله في فهم هذه الموازنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « ارحموا ثلاثة عالمين الجبال وغنى قوم افتخر وعزير قوم ذل ^(٣) » والأنبياء مرحومون بين الأمة بهذا السبب ومقاساتهم قصور عقول الأمة فتنة لهم وامتحان وابتلاء من الله وبلاء موكل بهم سبق بتوكيله القضاء الأزلي وهو المعنى بقوله عليه الصلاة والسلام « البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأئمة فالأئمة ^(٤) » فلا تظن أن البلاء بلاء أيوب عليه السلام وهو الذي يزل بالبدن فإن بلاء نوح عليه السلام أيضا من البلاء العظيم إذ بلى بمجاعة كان لا يزيدهم دعاؤه إلى الله إلا فرارا ولذلك لما تأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض الناس قال « رحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصبر ^(٥) » فاذن لا تخلو الأنبياء عن الابتلاء بالجاحدين ولا تخلو الأولياء والمطاء عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قلنا يفتك الأولياء عن ضروب

وإليك الصبر يا من لا يشغله شأن عن شأن ولا يشغله جمع عن جمع ولا تشبهه عليه الأصوات ويا من لا تناطه للسائل ولا تختلف عليه اللغات ويا من لا يثيرم بإلحاح الملحين أدقنى برد غفوك وحلاوة رحمتك اللهم إني أسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وعخلا متقبلا أسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأسئلك لمساتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب . اللهم إني أسألك إيماننا لا يرتد ونفعا لا ينفد وقرعة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد وأسألك حبك

(١) حديث إن آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف متفق عليه من حديث ابن مسعود (٢) حديث كون الجنة في السموات خ من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه فاذا سألت الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن (٣) حديث ارحموا ثلاثة عالمين الجبال الحديث ابن حبان في الضعفاء من رواية عيسى بن طهمان عن أنس وعيسى ضعيف ورواه فيه من حديث ابن عباس إلا أنه قال عالم تلاعب به الصبيان وفيه أبو البحرى وإمامه وهب بن وهب أحد الكذابين (٤) حديث البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأئمة فالأئمة الترمذى ومصححه والنسائى في الكبرى وابن ماجه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال قلت يا رسول الله أى الناس أشد بلاء فذكره دون ذكر الأولياء والطبرانى من حديث فاطمة أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون الحديث (٥) حديث رحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصبر البخارى من حديث ابن مسعود .

من الأبداء وأنواع البلاء الاخراج من البلاد والسماية بهم إلى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج
عن الدين وواجب أن يكون أهل المعرفة عند أهل الجبل من الكافرين كما يجب أن يكون النضاض
عن الجبل الكبير جوهرة صغيرة عند الجاهلين من اللبدين للضعيف فاذا عرفت هذا فالتقيا فأتى
بقوله عليه الصلاة والسلام «إنه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الذي ناعصر مرهات» وإذ أن يقتصر
بتصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حمارا رجلين لأن الحمار يشاركك في الحواس
الجسدية وإنما أنت مفارق للحمار بسى إلى عرض على السموات والأرض والجبال فأين أن يحمله
وأشقق منه فإدراك ما يخرج عن عالم الحواس الجسدية لا يصادف إلا في عالم ذلك السر الذى فارت به
الحمار وسائر البهائم فمن فهدل عن ذلك وعطله وأهمله وقنع بدرجة البهائم ولم يجاوز المحسوسات فهو
الذى أهلك نفسه بتعطيلها ونسبها بالإعراض عنها فلا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم فكل
من لم يعرف إلا المدرك بالحواس فقد نسي الله إذ ليس ذات الله مدركا في هذا العالم بالحواس الجسدية وكل
من نسي الله أنساه الله لعمالة نفسه ونزل إلى رتبة البهائم وترك الترقى إلى الأفعى الأعلى وخان في الأمانة التي
أودعه الله تعالى وأنعم عليه كافرا لأنعمه ومتعرضا لثقلته لإلانة أسوأ حالا من البهيمة فإن البهيمة تتخلص
بالموت . وأما هذا فعنده أمانة مترجع لعمالة نفسه إلى مودعها فإليه مرجع الأمانة ومصيرها تلك الأمانة
كالشمس الزاهرة وإنما هبطت إلى هذا القالب القاني وغربت في مستطاع هذه الشمس عند خراب
هذا القالب من مغربها وتعود إلى بارئها وخالقها إمامظمة منكسفة وإما زهرة مشرقة . والزهرة
المشرقة غير محبوبة عن حضرة الربوبية والمظلمة أيضا راجعة إلى الحضرة في الرجوع والمصير لكل
إليه إلا أنها ناكسة رأسها عن جهة أعلى علين إلى جهة أسفل سافلين وقذلك قال تعالى - ولوترى
إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم - فين أنهم عند ربهم إلا أنهم منكسوسون قد أهبط
وجوههم إلى أفتيهم وانتكست رؤسهم عن جهة فوق إلى جهة أسفل وذلك حكم الله فيمن حرمه
توفيقة ولم يمهده طريقه ، فعوذ بالله من الضلال والزلزل إلى منازل الجبال فهذا حكم انقسام من
يخرج من النار ويعطى مثل عشرة أمثال الدنيا أو أكثر ولا يخرج من النار إلا موحد . ولست
أعنى بالتوحيد أن يقول بلسانه لا إله إلا الله فان اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينتمى إلا في عالم الملك
في دفع السيف عن رقبته وأبدي التامين عن ماله ومدة الرقبة والمال مدة الحياة حيث لا تبقى رقبة
ولامال لا ينفق القول باللسان وإنما ينفع الصدق في التوحيد وكال التوحيد أن لا يرى الأمور كلها
إلا من الله . وعلمته أن لا يضبط على أحد من الخلق بما يجري عليه إذ لا يرى الوسائط وإنما
يرى مسبب الأسباب كما سيأتى تحقيقه في التوكل وهذا التوحيد متفاوت في الناس فمن لمن التوحيد
مثل الجبال . ومنهم من له بمقدار خردلة وذرة ، ومن في قلبه بمقدار دينار من إيمان فهو
أول من يخرج من النار . وفي الخبر يقال «أخرجوا من النار من في قلبه بمقدار دينار من إيمان» (١)
وآخر من يخرج من في قلبه بمقدار ذرة من إيمان وما بين المثقال والذرة على قدر تفاوت درجاتهم يخرجون
بين طبة المثقال وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرنا في الموازنة بين
أيمان الآء وال وبين التدود وأكثر ما يدخل الموحد في النار مظالم الباطن فيوان الباطن الذي
لا يترك فاما بنية الشياطين فيفسار العفو والتكفير إلى الأثر إن البعد ليقف بين يدي الله تعالى
وله من الحسنات أمثال الجبال لو سلت له لكان من أهل الجنة فيقوم أصحاب المظالم فيكون قد
سب عرض هذا وأخذ مال هذا وضرب هذا فيبقى من حسناته حتى لا تبقى له حسنة ، فتقول

وحب من أحبك
وحب عمل يقرب إلى
حبك . اللهم بمدك
الطيب وقدرتك على
خلقك أحسن ما كانت
الحياة خيرا لي وتوفى
ما كانت الوفاة خيرا لي
أسألك خشيتك في
الطيب والشهادة وكلة
العدل في الرضا والغضب
والتقصد في الثنى والافتقار
ولدة النظر إلى
وجهك والشوق إلى
لقاءك وأعوذ بك من
ضراء مضرة وفنة
مضلة . اللهم اقم لي
من خشيتك ما تحول
به بيني وبين مصيبتك
ومن طاعتك ما يدخلني
جنتك ومن اليقين
ما تهون به علينا
مصائب الدنيا . اللهم
ارزقنا حزن خوف

الملك لا ياربنا هذا قد فتحت حسنة وبقي طالبون كثير فيقول الله تعالى : ألقوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكاً إلى الدار وكما يهلكه وبسيئة غيره بطريق القصص فكذلك ينجلو للظالم حسنة الظالم إذ ينزل إليه عوضاً عما ظلم به وقد حكى عن ابن الجلاء أن بعض إخوانه اغتابه ثم أرسل إليه يستدله فقال لا أقبل ليس في صحيفتي حسنة أفضل منها فكيف أمحوها وقال هو وغيره مذنب إخواني من حسنتي أريد أن أزين بها صحيفتي فهذا ما أردنا أن نذكره من اختلاف العباد في العباد في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظواهر أسباب ينضاهي حكم الطبيب على مريض بأنه يموت لا محالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض آخر بأن عارضته خفيف وعلاجه حين فأن ذلك ظن يوجب في أكثر الأحوال ولكن قد توق إلى الشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد يساق إلى ذي العارض الخفيف أجله من حيث لا يطلع عليه وذلك من أسرار الله تعالى الخفية في أرواح الأحياء وغموض الأسباب التي رتبها مسبب الأسباب بغير ما هو معلوم إذ ليس في قوة البشر الوقوف على كنهها فكذلك النجاة والفوز في الآخرة لهما أسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها بغير عن ذلك السبب الخفي للفضي إلى النجاة بالعفو والرضا وعما يقتضي إلى الهلاك بالنقض والانتقام وروا ذلك سر الشيعة الإلهية الأزلية التي لا يطلع الخلق عليها فلذلك يجب علينا أن نجوز العفو عن المعاصي وإن كثرت سيئاته الظاهرة والنقض على الطبع وإن كثرت طاعاته الظاهرة فإن الاعتدال على التقوى والتقوى في القلب وهو أغمن من أن يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ولكن قد انكشف لأرباب القلوب أنه لا عفو عن عبد إلا بسبب خفي فيه يقتضي العفو ولا غضب إلا بسبب باطن يقتضي البعد عن الله تعالى ولولا ذلك لم يكن العفو والنقض جزءاً على الأعمال والأوصاف ولولا ذلك لم يكن جزءاً لم يكن عدلاً ولولا ذلك لم يمسح قوله تعالى - وما ربك بظلال للبعد - ولا قوله تعالى - إن الله لا يظلم مثقال ذرة وكل ذلك صحيح فليس للانسان إلا ما سمى وسماه هو الذي يرى وكل نفس بما كسبت رهينة فلما زاغوا زائغاً لله قلوبهم ولما غروا ما بأنفسهم غير الله ما بهم تحقيقاً لقوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وهذا كله قد انكشف لأرباب القلوب انكشافاً واضحاً من للشاهدة بالبصيرة البصر يمكن التلطف فيه إذ قد يرى البعيد قريباً والكبير صغيراً ومشاهدة القلب لا يمكن التلطف فيها وإنما الشأن في افتتاح بصيرة القلب وإلا فما يرى بها بعد الافتتاح فلا يتصور فيه الكذب وإليه الإشارة بقوله تعالى - ما كذب القواد ما رأى - . الرتبة الثالثة : رتبة التاجين وأعلى بالدرجة السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا في قطع عليهم ولم يتصرفوا في بدوا ويشبه أن يكون هكذا حال الجانين والسيان من الكفار والمنهين والذين لم تبلغهم الدعوة في أطراف البلاد وعاشوا على الله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جود ولا طاعة ولا مصيبة فلا وسيلة تقرهم ولا جانية تبدمهم فقام من أهل الجنة ولأهل النار بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه بالأعراف وحلول طائفة من الخلق (١) فيه معلوم شيئا من الآيات والأخبار

(١) حديث حلول طائفة من الخلق الأعراف البرار من حديث أبي سعيد الخدري سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال هم رجال قتلوا في سبيل الله وهم عصاة لأبائهم فمنهم الشهادة أن يدخلوا النار ومنهم العصاة أن يدخلوا الجنة وهم على سور بين الجنة والنار الحديث وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف ورواه الطبراني من رواية أبي معشر عن يحيى بن زبيل عن عمر بن عبد الرحمن الدقني عن أبيه مختصراً وأبو معشر ينجح السندى ضعيف ويحيى ابن زبيل لا يعرف وللحاكم عن حذيفة قال أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار

الوعيد وسرور رجاء للعود حتى نجد لذة ما نطلب وخريف ما منه نهرب اللهم ألبس وجوهنا منك الحياء وأملأ قلوبنا بك فرحاً وأسكن في قلوبنا من عظمك مهابة وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك أحب إلينا مما سواك واجعلنا أخشى للشهيم سواك نسألك تمام النعمة بتمام التوبة ودوام العافية بدوام العصمة وأداء الشكر بحسن العبادة اللهم إني أسألك بركة الحياة وخير الحياة وأعوذ بك من شر الحياة وشر الوفاة وأسألك خير ما بينهما أحق حياة

ومن أنوار الاعتبار فأما الحكم على الدين كالحكم مشلا بأن الصبيان منهم فهذا مظنون وليس بعقبتين والاطلاع عليه تحقيقاً في عالم النبوة ويعد أن ترتقي إليه رتبة الأولياء والعلماء والأخبار في حق الصبيان أيضاً متعارضة حتى قالت عائشة رضي الله بها لمعات بعض الصبيان عصفور من عصافير الجنة فأشكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما يدريك (١) فاذن الاشكال والاشتباه غلب في هذا المقام . الرتبة الرابعة : رتبة الفائزين وهم المارقون دون القديين وهم القربون السابقون فإن التمدد وإن كان له فوز على الجملة ينقض في الجنة فهو من أصحاب الجحيم وهؤلاء هم القربون وما يليق هؤلاء بجوارح حد البيان والتقدير للممكن ذكره ماضيه القرآن فليس بعد بيان الله بيان والذي لا يمكن التمييز عنه في هذا العالم فهو الذي أجمعه قوله تعالى - فلانتم شئس ما أخفى لهم من قرة أعين - وقوله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والمارقون مطّلعهم تلك الحالة التي لا يتصور أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم . وأما الخور والقصور والناكبة واللبن والصل والحل والاساور فانهم لا يحرمون عليها ولو أعطوها لاحتقروا بها ولا يلبثون إلا لذة النظر إلى وجهه الله تعالى الكريم فهي غاية السعادة ونهاية اللذات

وقصرت سببهم عن الجنة الحديث وقال صحيح على شرط الشيخين وروى التلطي عن ابن عباس قال الأعراف موضع عال في الصراط عليه العباس وحمة وعلى وجهر الحديث هذا كذب موضوع وفيه جماعة من السكاكين (١) حديث عائشة أنها قالت لمعات بعض الصبيان عصفور من عصافير الجنة فأشكر ذلك وقال ما يدريك رواه مسلم قال للصف والأخبار في حق الصبيان متعارضة . قلت روى البخاري من حديث سمرة بن جندب في رؤيا التي صلى الله عليه وسلم وفيه وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فأبراهيم عليه السلام وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة قليل يارسل الله وأولاد المشركين قال وأولاد للمشركين وللطبراني من حديثه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد للمشركين فقال هم خدمة أهل الجنة وفيه عباد بن منصور الناجي قاضي البصرة وهو ضعيف يرويه عن عيسى بن شعيب وقد ضعفه ابن حبان والنسائي من حديث الأسود ابن سريع كذا في غزاة لنا الحديث في قتل الذرية ، وفيه إلا إن خياركم أبناء المشركين ثم قال لا تقتلوا ذرية وكل نسمة تولد على الفطرة الحديث وإسناده صحيح ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة كل مولود يولد على الفطرة الحديث وفي رواية لأحمد ليس مولود يولد إلا على هذه الملة ولأبي داود في آخر الحديث فقالوا يارسل الله أفرأيت من يموت وهو صغير فقال الله أعلم بما كانوا عاملين وفي الصحيحين من حديث ابن عباس سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أولاد للمشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين وللطبراني من حديث ثابت بن الحرث الأنصاري كانت يهود إذا هلك لهم صبي صغير قالوا هو صديق فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذبت يهود مامن نسمة يخلفها الله في بطن أمه إلا أنه شئ أو سعيد الحديث وفيه عبد الله بن أبي داود من حديث ابن مسعود الوائدة والمودة في النار وله من حديث عائشة قلت يارسل الله ذراري المؤمنين قال بعم آباؤهم قلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين قلت فذراري المشركين قال بعم آباؤهم قلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين وللطبراني من حديث خديجة قلت يارسل الله أين أطفالك منك قال في الجنة قلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين قلت فأين أطفالك قلت قال في النار قلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين وإسناده منقطع بين عبد الله بن الحرث وخديجة وفي الصحيحين من حديث الصب بن بشامة في أولاد المشركين هم من آباؤهم وفي رواية هم منهم .

الصداء حياة من
تعب بقاءه وتوفى وفاة
الشهداء وفاة من تعب
لقائه ياخير الرازيين
وأحسن التواصين
وأحسهم الحاكين
وأرحم الراحمين ورب
العالمين ، اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد
وارحم ما خلقت واغفر
ما قدرت وطيب
ما رزقت وتبهم ما أنعمت
وتقبل ما استعملت
واحفظ ما استحفظت
ولا تهتك ما سترت فانه
لا إله إلا أنت أستغفرك
من كل لغة بغير ذكرك
ومن كل راحة بغير
خدمتك ومن كل
سرور بغير قربك
ومن كل فح بغير
بحالتك ومن كل

وذلك قيل لرابية المدوية رحمة الله عليها كيف رغبتك في الجنة فقاتل الجار ثم الدار فهو لا يؤم
شغلهم حب رب الدار عن الدار وزيتها بل عن كل شيء سواه حتى عن أنفسهم ومثلهم مثال العاشق
السهتر بمشوقه المستوفى همه بالنظر إلى وجهه والفكر فيه فانه في حال الاسترقاق غافل عن نفسه
لا يحس بما يصيبه في بدنه ويبر عن هذه الحالة بأنه فني عن نفسه ومعناه أنه صار مستغرقا بغيره
وصارت همومه ما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع لقبير محبوبه حتى يلتفت إليه لاضمه ولا غير
نفسه وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة إلى قررة عين لا يتصور أن تخطر في هذا العالم على قلب بشر
كما لا يتصور أن تخطر صورة الألوان والألحان على قلب الأصم والأكمه إلا أن يرفع الحجاب عن سمعه
وبصره فند ذلك يدرك حاله ويعلم قطعا أنه لم يتصور أن تخطر بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب
على التحقيق وبرضه ينكشف الغطاء فند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة وإن الدار الآخرة هي
الحيوان لو كانوا يعلمون فهذا القدر كاف في بيان توزيع الدرجات على الحسنات والاث للوفى بلفظه.

(بيان ما تعظم به الصفات من الذنوب)

اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب . منها الاصرار والواظبة ولذلك قيل لاصغيرة مع إصرار ولا كبير قمع
استغفار فكبيرة واحدة تصرم ولا يتبعها مثلاً لو تصور ذلك كان الفوع عنها أرجى من صغيرة وواظب
العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لوصب
عليه دفعة واحدة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله ﷺ « خير الأعمال أدومها وإن قل »^(١) والأشياء
تستبان بأمدادها وإن كان النافع من العمل هو الدائم وإن قل فالكثير للنصرم قليل النفع في تنوير
القلب وتطهيره فكذلك القليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره في إظلام القلب إلا أن الكبيرة قلما
يتصور المهجوم عليها بفتنة من غير سوابق ولواقح من جملة الصفات قلما يزل الزاني بفتنة من غير
مراودة ومقدمات وقلما يقتل بفتنة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة فكل كبيرة تكتنفها صفات
سابقة ولا حقة ولو تصورت كبيرة وحدها بفتنة ولم يتفق إليها عود بما كان الصفوفها أرجى من صغيرة
واظب الإنسان عليها عمره . ومنها أن يستصغر الذنب فإن الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه
صغر عند الله تعالى وكلما استصغره كبر عند الله تعالى لأن استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه
وكرهيته له وذلك النفور يمنع من شدة تأثيره به واستصغاره يصدر عن الألف به وذلك يوجب شدة
الأثر في القلب والقلب هو الطلوع تنويره بالطاعات والمخذور تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤخذ بما
يجرى عليه في النخلة فإن القلب لا يتأثر بما يجري في النخلة وقد جاء في الخبر « المؤمن يرى ذنبه كالجبل
فوقه يخاف أن يقع عليه والنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فاطاره »^(٢) وقال بعضهم الذنب
الذي لا يغفر قول العبد ليت كل ذنب عملته مثل هذا وإنما يعظم الذنب في قلب المؤمن لاهله بحلال
الله فإذا نظر إلى عظم من عصى به رأى الصغيرة كبيرة وقد أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه لا تنتظر
إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها ولا تنتظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها
وهذا الاعتبار قال بعض العارفين لاصغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة وكذلك قال بعض الصحابة

هقل ينسب معاملتك
اللهم إني أستغفرك من
كل ذنب تبت إليك
منه ثم عدت فيه اللهم
إني أستغفرك من كل
عقد عقدته ثم لم أوف
به اللهم إني أستغفرك
من كل نعمة أنعمت
بها على قنوت بها على
معصيتك اللهم إني
أستغفرك من كل عمل
عملته لك فاعلمه ليس
لك اللهم إني أسألك أن
تصلي على محمد وعلى
آل محمد وأسألك
جوامع الخير وفوائده
وخواتمه وأعوذ بك من
جوامع الشر وفوائده
وخواتمه اللهم احفظنا
فيما أمرتنا واحفظنا
عما نهيتنا واحفظ لنا
ما أعطينا . يا حافظ

(١) حديث خير الأعمال أدومها وإن قل متفق عليه من حديث عائشة بلفظ أحب وقد تقدم

(٢) حديث المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه الحديث البخاري من رواية الحرث بن سويد قال حدثنا
عبد الله بن مسعود حينئذ أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم والآخر عن نفسه فذكر هذا
وحديثه أنه أفرح بتوبة العبد ولم يبين المرفوع من الموقوف وقد رواه البيهقي في الشعب من هذا
الوجه موقوفاً ومرفوعاً .

رضى الله عنهم للتابعين إنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر كنا نعتها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اللوقات إذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله أتم فكانت الصائت عندهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى من الكبائر وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العاصي في أمور لا يتجاوز في أمثاله عن العارف لأن الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف . ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد المتكبر من ذلك نعمة والنفعة عن كونه سبب الشقاوة فكلمها غلبت حلاوة الصغيرة عند البعد كبرت الصغيرة وعظم أثرها في تسويد قلبه حتى إن من اللذنين من يمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بمعارفته إياه كما يقول أمارأيتي كيف مزقت عرشه ويقول الناظر في مناظرته أمارأيتي كيف فضحت وكيف ذكرت مساويه حتى أخطئته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه ويقول للعامل في التجارة أما رأيت كيف روجت عليه الزائف وكيف خدعته وكيف غبت في ماله وكيف استحقته فهذا وتكرره الصائت فان الذنوب مهلكات وإذا دفع البعد إليها ونظر الشيطان به في الحيل عليها فينبغي أن يكون في مصيبة وتأسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله تعالى فالمرضى الذي يفرح بأن ينكسر إناءه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من ألم شربه لا يرجي شفاؤه . ومنها أن يهاون بسترائه عليه وحله عنه وإمهاله إياه ولا يدري أنه إنما يعمل مقنا ليزداد بالامهال إنما يظن أن تمسكه من المعاصي عناية من الله تعالى به فيكون ذلك لأنه من مكر الله وحيله بكمائن القورر بالله كما قال تعالى - ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المرير - ومنها أن يأتي الذنب ويظهره بأن يذكره بعد إتيانه أو يأتيه في مشهد غيره فان ذلك جانيته على سترائه الذي سده عليه وتحريك لرغبة الشريفين اسمه ذنبه أو أشهد فله فيما جنايتان انضمتا إلى جنايته فغلقت به فان انضاف إلى ذلك الرغبة للفر فيه والحيل عليه وتهمة الأسباب له صارت جناية رابعة وتضاعفت الأمر وفي الخبر « كل الناس معافي إلا المجاهرين بسبب أحدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه (١) » وهذا لأن من صفات الله ونعمه أنه يظهر الجليل ويستر التقيح ولا يهتك السر فالأظهار كفران لهذه النعمة . وقال بعضهم لا تذب فان كان ولا بد فلا رغب غيرك فيه فذب ذنبي ولذلك قال تعالى - للناقون والناقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف - وقال بعض السلف ماتتكم للراء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على مصيئته يهونها عليه . ومنها أن يكون للذنوب عالما يتدبى به فاذا ضل به بحث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الأبريسم وركوبه مراكب الذهب وأخذه مال الشبهة من أموال السلاطين ودخوله على السلاطين وزدده عليهم ومساعدته أيام يترك الانكار عليهم وإطلاق اللسان في الأعراض وتعديه بالناس في النظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من الملوم بما لا يقصده إلا الجاه كمل الجدول والمناظرة فيهم ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطير في العالم أما ما تناطولة فطوبى لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه وفي الخبر « من سنة سيئة فليعلم وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء (٢) » قال تعالى - ونكتب ما قدموا وآثارهم - والآثار ما يلحق من الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس ويل للعالم من الأتباع زل زلة فيرجع عنها ويعملها الناس فيذهبون بها في الآفاق وقال بعضهم

(١) حديث كل الناس معافي إلا المجاهرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بأقل كل أمي وقد تقدم (٢) حديث من سنة سيئة فليعلم وزرها ووزر من عمل بها الحديث مسلم من حديث جرير بن عبيدة وقد تقدم في آداب الكسب .

الحافظين وإذا كر
الذاكرين وإذا كر
الشاكرين بذكر
ذكروا وبفضل
شكروا وبإغاث
بإغاث
للسفيين لا تكلني إلى
نفسى طرفه عس
فأهلك ولا إلى أحد من
خلقك فأضيق أكلائي
كلادة الوليد ولا تل
عن وتولى عاتولى به
عبادك الصالحين أنا
عبدك وابن عبدك
ناصي يدك جار في
حكمتك عدل في
فضلك نافذ في مشيئت
إن تعذب فأهل ذلك
أنا ، وإن رحم فأهل
ذلك أنت فأقل اللهم
يا مولاي يا الله يارب
مآنت له أهل ولا فعل

مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تفرق أهلها . وفي الاسرائيليات : إن عالما كان يضل الناس بالدعة ثم أدركته توبة فعمل في الإصلاح دهرا فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قله إن ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرت لك ولكن كيف بمن أضللت من عبادي فأدخلتهم النار . فهذا يوضح أن أمر العلماء عظيم . فليعلم وظيقتان : إحداهما ترك الذنب والأخرى إخفاؤه كما تتضاعف أوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات إذا اتبعوا فإذا ترك التجمل وليل إلى الدنيا وقع منها باليسر ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالحلق فيقع عليه ويتقدي بالعلماء والعوام فيكون له مثل ثوابهم وإن مال إلى التجمل مالت طباع من دونه إلى التشبه به ولا يتقديرون على التجمل إلا بخدمة السلاطين وجمع الخطام من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك فخر كات العلماء في طوري الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها إما بالرجع وإما بالخسران وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي التوبة توبة عنها .

(الركن الثالث في تمام التوبة وشروطها ودوامها إلى آخر العمر)

قد ذكرنا أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك الندم أو توبته العلم يكون للعاصي حالاً بينه وبين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتعمم ولقيامها علامة ولدوامها شرط وطلاقة بد من يأتيا . أما العلم فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وسببها . وأما الندم فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلاته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء والنكر فمن استشعر عقوبة نازلة بولده أو بغيره أعزته طال عليه مصيبته وبكاؤه وأى عزيز أعز عليه من نفسه وأى عقوبة أشد من النار وأى شيء أدل على نزول العقوبة من العاصي وأى غير أصدق من الله ورسوله ولوحده إنسان واحد يسمى طبيباً أن مرض ولده المريض لا يبرأ وأنه سموت منه لطل في الحال حزنه فليس ولده بأعز من نفسه ولا الطبيب بأعلم ولا أصدق من الله ورسوله ولا الولد بأشد من النار ولا الأرض بأدلى على الموت من العاصي على سخط الله تعالى والتعرض بها للعارف ألم الندم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى فضالة محبة الندم رقا القلب وغزارة الدمع وفي الخبر « جالسوا التوابين فاتهم أرق أفئدة ^(١) » ومن علامته أن تتمسك برارة تلك الذنوب في قلبه بدلا عن حلاوتها فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة . وفي الاسرائيليات : إن الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه وقد سأله يقول توبة عبد بعد أن اجتهد سنين في العبادة ولم يرقبول توبته فقال وعزني وجلالي لوضع فيه أهل السموات والأرض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه . فان كانت الذنوب هي أعمال مشبهة بالطبع فكيف يجد مرارتها ؟ فأقول : تناول عسلا كان فيسم ولم يدر بمرارة البوق واستلهم ثم مرض وطال مرضه وألمه وتناثر شعره وفلجت أعضاؤه فإذا قدم إليه عسل قيمثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل أم لا ؟ فان قلت لا فهو جدد للشهادة والضرورة بل ربما تنفر عن العسل الذي ليس فيه سم أيضا تشبهه به فوجدان التائب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعله بأن كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا تصدق إلا بمثل هذا الإيمان ولما عز مثل هذا الإيمان عزت التوبة والتائبون فلا تزي إلا معرضا عن الله تعالى مناهونا بالذنوب مصرا عليها فهذا شرط تمام الندم وينبغي أن يدوم إلى الموت

اللهسم يارب يا الله
مأنا له أهل إنك أهل
التقوى وأهل للنفرة
يا من لا تنصره الذنوب
ولا تنقسه للنفرة هب
لى ما لا يضرك وأعطيني
مالا يشكك ياربنا
أفرغ علينا صبرا
وتوفنا مسلين توفى
مسلسا وألحقني
بالصالحين أنت ولينا
فاغفر لنا وارحمنا وأنت
خير التافرين ربنا
عليك توكلنا وإليك
أنبنا وإليك المصير
ربنا اغفر لنا ذنوبنا
وإسرافنا في أمرنا
وثبت أقدامنا وانصرنا
على القوم السافرين
ربنا آتنا من لدنك
رحمة وهي لنا من
أمرنا رشدا ربنا

(١) حديث جالسوا التوابين فاتهم أرق أفئدة لم أجده مرفوعا وهو من قول عون بن عبد الله رواه ابن أبي الدنيا في التوبة قال جالسوا التوابين فان رحمة الله إلى النادم أقرب وقال أيضا فالملو عظة إلى تلوهم أسرع وهم إلى الرقة أقرب وقال أيضا التائب أسرع دعة وأرق قلبا .

وينبغي أن يجد هذه الرارة في جميع الذنوب وإن لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجده تناول السم في العسل النفرة من الماء البارد مهما علم أن فيه مثل ذلك السم إذ لم يكن ضرره من العسل بل عافيه ولم يكن ضرر التائب من سرقة وزناه من حيث إنه سرقة وزنا بل من حيث إنه من مخالفة أمر الله تعالى وذلك جار في كل ذنب . وأما القصد الذي ينبعث منه وهو إرادة التدارك فله تعلق بالحال وهو يوجب ترك كل معذور هو ملابس له وأداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال وله تعلق بالماضي وهو تدارك ما فرط وبالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية إلى اللوث . وشروط صحتها تعلق بالماضي أن يرد فكره إلى أول يوم بلغ فيه بالنسب أو الاحتمال ويفتقش عما مضى من عمره سنة تسع وعشر اشهرها ويوما ويوما ونفسا ونفسا وينظر إلى الطاعات المألى قصر فيه منها وإلى اللعاصي المألى عاقبة منها فإن كان قد ترك صلاة أو صلاها في ثوب نجس أو صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية فيصحبها عن آخرها فإن شك في عدد ما فاتته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن أنه أداه وقضى الباقي وله أن يأخذ فيه بنائب الظن ويسأل إليه على سبيل التحري والاجتهاد . وأما الصوم فإن كان قد تركه في سفر ولم يقضه أو أفطر عمدا أو نسي النية بالليل ولم يقض فيتعرف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويستعمل بقضائه ، وأما الزكاة فيحبس جميع ماله وعدد السنين من أول ملكه لا من زمان البلوغ فإن الزكاة واجبة في مال الصبي فيؤدى ما علم بنائب الظن أنه في ذمته فإن أداه لاطل وجهه بوافق مذهب بأن لم يصرف إلى الأصناف الثمانية أو أخرج البدل وهو على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى فيقضى جميع ذلك فإن ذلك لا يجزيه أصلا وحساب الزكاة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه إلى تأمل شاف وبازمه أن يسأل عن كيفية الخروج عنه من العلماء . وأما الحج فإن كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له الخروج والآن قد أفلس فليدع الخروج فإن لم يقدر مع الإفلاس فليدع أن يكتب من الحلال قدر الزاد فإن لم يكن له كسب ولا مال فليدع أن يسأل الناس ليصرف إليه من الزكاة أو الصدقات ما يجيب به فاته إن مات قبل الحج مات طاميا قال عليه السلام « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرايا (١) » والعجز الطارئ به القدرة لا يسقط عنه الحج فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها . وأما اللعاصي فيجب أن يفقش من أول بلوغه عن ممعه وبصره ولسانه ويطنعه ويدمورجه وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع أيامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صفاتها وكبارها ثم ينظر فيها لما كان من ذلك بينه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظلة العباد كنظر إلى غير محرم وقعود في مسجد مع الجناة ومس مصحف بشيرو ضوء واعتقاد بعبدة وشرب خمر وجماع ملاء وغير ذلك مما لا يتصلق بمظالم العباد فالتوبة عنها بالندم والتجسس عليها وبأن يحس مقدارها من حيث الكبر ومن حيث اللذة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فيأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات أخذا من قوله ﷺ « اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها (٢) » بل من قوله تعالى - إن الحسنات يذهبن السيئات - فيكفر جماع اللهاى بجماع القرآن وبجماع الذكر ويكفر القعود في المسجد جنباً بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ويكفر مس المصحف عند ثاب كرام للمصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تحميلة بأن يكتب مصحفا ويحمله وقفا ويكفر شرب الخمر بالتصدق بجراب حلال هو أطيب منه وأحب إليه وعد جميع المعاصي غير ممكن وأعمال القصور دسلك

أتقاً في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا العون على الطاعة والعصمة من المعصية وإفراغ الصبر في الخدمة وإيداع الشكر في النعمة وأسألك حسن الخاتمة وأسألك اليقين وحسن العرفة بك وأسألك المحبة وحسن التوكل عليك وأسألك الرضا وحسن القصة بك وأسألك حسن القلب إليك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأسألك أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد فرجا عاجلا ربنا اغفر

(١) حديث من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا الحديث تقدم في الحج (٢) حديث اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها الترمذي من حديث أبي ذر وصححه وهدم أوله في آداب الكسب وبضه في أوائل التوبة وتهدم في رياضة النفس .

الطريق المضادة فان للرض جالج بضده فكل ظلة ارتفعت إلى القلب بمعية فلا يحسها إلا نور يرتفع إليها بحسنة تضادها وللتضادات هي للتساويات فذلك ينبغي أن تمحى كل سيئة بحسنة من جنسها السكن تضادها فان البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدرج والتحقيق من التلطيف في طريق الحق فالرجاء فيه أصدق والثقة به أكثر من أن يواظب على نوع واحد من العبادات وإن كان ذلك أيضا مؤثرا في الحق فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى . ويدل على أن الشيء يكفر بضده أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وأثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والحنين إليها فلا جرم كان كل أذى يصيب المسلم ينجو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له إذ القلب يتجافى بالهموم والغموم عن دار الهموم قال صلى الله عليه وسلم « من الذنوب يكون كفارة » وفي لفظ آخر « إلا الهموم » وفي لفظ آخر « إلا الهموم بطلب العيشة » وفي حديث عائشة رضي الله عنها « إذا كثرت ذنوب البعد ولم تكن له أعمال تكفرها أدخل الله تعالى عليه الهموم فتكون كفارة له » ويقال إن الهم الذي يدخل على القلب والبعد لا يعرفه وظلة الذنوب والهم بها وغمور القلب بوقفة الحساب وهول اللطع . فان قلت هم الإنسان غالبا بما له وولده وجاهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة . فاعلم أن الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمت به لمت الخطيئة فقد روي أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام في السجن فقال له كيف تركت الشيخ الكتيب فقال قد حزن عليك حزن مائة شكوى قال فما له عند الله قال أجر مائة شهيد فاذن الهموم أيضا مكفرات حقوق الله فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى . وأما مظالم العباد فيها أيضا معصية وجناية على حق الله تعالى فان الله تعالى نهى عن ظلم العباد أيضا لما يتعلق منه بحق الله تعالى تداركه بالتمسك والتعسر وترك مثله في المستقبل والانيان بالحسنات التي هي أضعافها فيقابل إيلاءه الناس بالإحسان إليهم ويكفر غضب أموالهم بالتصدق بملكه الحلال ويكفر تناول أعراسهم بالبيعة والقدح فيهم بالثناء على أهل الدين وإظهار ما يعرف من خصال الخير من أقرانه وأمثاله ويكفر قتل النفوس باعتاق الرقاب لأن ذلك إحياء إذ البعد مفقود لنفسه موجود لسيده والاعتاق إجماع لا يقدر الإنسان على أكثر منه فيقابل الإعدام بالإجماع وهذا تصرف أن ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير والحق مشهود له في الشرع حيث كفر القاتل باعتاق رقبة ثم إذا فعل ذلك كله لم ينجد ولم يكفه مالم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد إما في النفوس أو الأموال أو الأعراس أو القلوب أعني به الإبداء المحض . أما النفوس فان جرى عليه قتل خطأ فتوبته بتسليم الدية ووصولها إلى المستحق إيمانه أو أمنه عاقبته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول وإن كان عمدا موجبا لقصاص فيالتقصص فان لم يعرف فيجب عليه أن يتعرف عند ولي الدم وعيحه في روحه فان شاء عفا عنه وإن شاء قتله ولا تسقط عهدة الإيذاء ولا يجوز له الإخفاء وليس هذا كما لو زنى أو شرب أو سرق أو قطع الطريق أو باشر ما يجب عليه فيه حد الله تعالى فانه لا يترحمه في التوبة أن يفضح نفسه وبهتك ستره ولتتمس من الوالي استيفاء حق الله تعالى بل عليه أن يستتر بستر الله تعالى ويقم حد الله على نفسه بأنواع المجاهدة والتعذيب بالمعروف في محض حقوق الله تعالى قريب من التائبين النادمين فان رفع أمر هذه إلى الوالي حتى أقام عليه الحد وقع وقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ما روي « أن ما عزم من مالك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

لنا ولا خواتنا الذين سبقونا بالإيمان ولا يجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم اللهم اغفر لي ولوالدي وللمن تولدنا وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر لأعمامنا وعماتنا وأخواتنا وخالاتنا وأزواجنا وفرباننا وجميع المؤمنين وللمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأدوات يا أرحم الراحمين يا خير الله افرين ولما كان الدعاء مغ البادة أحببنا أن نستوفى من ذلك قسما صالحا نرجو بركته وهذه الأدعية استخرجها الشيخ

- (١) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهموم وفي لفظ آخر إلا الهم في طلب المعيشة طس وأبو نعيم في الحلية والخطيب في التلخيص من حديث أبي هريرة بسند ضعيف تقدم في النكاح
- (٢) حديث إذا كثرت ذنوب البعد ولم يكن له أعمال تكفرها أدخل الله عليه الهموم وتقدم أيضا في النكاح وهو عند أحمد من حديث عائشة بلفظ ابتلاه الله بالحنن .

فقال يارسول الله إني ظلمت نفسي وزنيت وإني أريد أن تطهرني فرده فلما كان من القد أتاه
 فقال يارسول الله إني قد زنيت فرده الثانية فلما كان في الثالثة أمر به فغفر له فخره ثم أمر به فخرج
 فكان الناس فيه فرحين فقال يقول لقد هلك وأحاطت به خطيئته وقاتل يقول ما توبة أصدق من
 توبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لو منهم (١) وجاءت
 الغامدية فقالت « يارسول الله إني قد زنيت تطهرني فردها فلما كان من القد قالت يارسول الله تردني
 لملك حميد أن تردني كما رددت معاذ فوالله إني لحبل قال صلى الله عليه وسلم أما الآن فأذهبي حتى
 تضعى فلما ولدت أنت بالصبي في خرة قالت هذا قد ولدته قال أذهبي فأرضيه حتى تضطعمه فلما فطمته
 أنت بالصبي وفي يده كسرة خبز قالت يا بني الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من
 المسلمين ثم أمر بها فغفر لها إلى صدرها وأمر الناس فخرجوها فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى
 رأسها فتضخ الدم على وجهه فسبحا فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبه بإها قال مالا يا خالد
 فوالله نفسي بيده لقد تاب توبة لو تابها صاحب مكس كفر له ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت (٢).
 وأما القصص وحده القذف : فلا بد من تحليل صاحبه للستحي فيه وإن كان للتناول مالا تناوله
 بنصب أو خيانة أو غبن في معاملة بنوع تلبس كترويج زانف أو ستر عيب من للبيع أو قصر أجره
 أجبر أو منع أجرته فكل ذلك يجب أن يغتنى عنه لا من حد بلوغه بل من أول مدة وجوده فإن
 ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي إخراجا بعد البلوغ إن كان الولي قد قصر فيه فإن لم يفعل كان
 ظالما مطالبا به إذ يستوى في الحقوق المالية الصبي والبالغ ويجب على الحيات والذواق من
 أول يوم حياته إلى يوم توبته قبل أن يحاسب في القيامة وليناقض قبل أن يناقض فمن لم يحاسب نفسه
 في الدنيا طال في الآخرة حسابه فإن حصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد يمكن فليكتبه
 وليكتب أسامي أصحاب اللظام واحدا واحدا وليطوف في نواحي العالم وليطلمهم وليستحاجهم أو يؤد
 حقوقهم وهذه التوبة تحقق على الظلمة وعلى التجار فاتهم لا يقدر أن يطلب للماين كلهم ولا على
 طلب ورتهم ولكن على كل واحد منهم أن يفعل منه ما يقدر عليه فإن عجز فلا يبق له طريق
 إلا أن يكثر من الحسنات حتى تفيض عنه يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع في موازين أرباب
 اللظام وتسكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فإنه إن لم تف بها حسناته حمل من السيئات أرباب
 اللظام فبهلك بسيئات غيره فهذا طريق كل تائب في رد اللظام وهذا يوجب استغراق العمر في الحسنات
 لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يبرف وربما يكون الأجل قريبا فينبغي
 أن يكون تشميره للحسنات والوقت ضيق أشد من تشميره الذي كان في للعاصي في متسع الأوقات
 هذا حكم اللظام الكاتبة في ذمته . أما أمواله الحاضرة فلا بد إلى السالك ما يبرف له ما لم يعين وما لا يبرف
 له ما لم يفعله أن يصدق به فإن اختلط الجلال بالحرام فليعلم أن يبرف قدر الحرام بالاجتهاد ويصدق
 بذلك التقدير كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام . وأما الجناية على القلوب بعشافة الناس
 بما يسوؤهم أو يبهيمهم في التنية فيطلب كل من تعرض له لسانه أو أذى قلبه بفعل من أفعاله وليستحل
 واحدا واحدا منهم ومن مات أو غاب قد فات أمره ولا يتدارك إلا يشكتر الحسنات لتؤخذ منه
 عوضا في القيامة وأما من وجده وأحله بطيب قلب منه فذلك كفارته وعليه أن يبرف قدر جنايته

(١) حديث اعتراف معاذ بالزنا ورد عليه وسلم حتى اعترف أربا وقوله لقد تاب توبة
 الحديث مسلم من حديث بريدة بن الحبيب (٢) حديث الغامدية واعترافها بالزنا ورجعها وقوله صلى
 الله عليه وسلم : لقد تاب توبة الحديث مسلم من حديث بريدة وهو بعض الذي قبله .

أبو طالب السكرحم
 الله في كتابه قوت
 القلوب وعلى قلبه كل
 الاعتقاد وفي البركة
 فليدع بهذه الدعوات
 منفردا أو في الجماعة
 إماما أو مأموما
 ويختصر منها ما يشاء
 [الباب المحسون في
 ذكر العمل في جميع
 النهار وتوزيع
 الأوقات]

فمن ذلك أن يلزم
 موضعه الذي صلى هو
 فيه مستقبل القبلة إلا
 أن يرى انتقاله إلى
 زاوية أسلم لدننه لثلا
 يحتاج إلى حديث
 أو الثقات إلى شيء فإن
 السكوت في هذا الوقت
 وترك الكلام له أثر
 ظاهر بين يحمده أهل

وتعرضه له فلا استحلال اللهم لا يكفي وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالاحلال
 وادخر ذلك في القيامة ذخيرة يأخذها من حسناته أو يحمله من سيئاته فإن كان في جملة جنايته على
 الغير ما لو ذكره وعرفه لتأذى بعمرته كزناه بجاريته أو أهله أو نسبه باللسان إلى عيب من خفايا
 عيوبه يعظم أذاه مهما عوف به فقد انسد عليه طريق الاستحلال فليس له إلا أن يستحل منها ثم
 تبقى له مظلة فيجيرها بالحسنات كما يجبر مظلة الليل والنائب . وأما الذكر والتعريف فهو سيئة
 جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنايته وعرفه المحب عليه فلم تسمح نفسه بالاستحلال
 بقيت المظلة عليه فإن هذا حق فليد أن يتلطف به ويسعى في مهماته وأغراضه ويظهر من
 حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه فإن الإنسان عبد الاحسان وكل من نذر بسيئة مال بحسنة
 فإذا طاب قلبه بكرة تودده وتلطفه صحت نفسه بالاحلال فإن أبي إلا الاصرار فيكون تلطفه به
 واعتذاره إليه من جملة حسناته التي يمكن أن يجبر بها في القيامة جنايته وليكن قدر سعيه في فرجه
 وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في أذاه حتى إذا قاوم أحدهما الآخر أو زاد عليه أخذ ذلك
 منه عوضا في القيامة بحكم الله به عليه كمن أنلف في الدنيا مالا بجاء بثله فامتنع من له المال من
 القبول وعن الإبراء فإن الحاكم يحكم عليه بالقبض منه شاء أم أبى فكذلك يحكم في صعيد القيامة
 أحكم الحاكمين وأعدل القسطين وفي التنفق عليه من الصالحين عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله
 صلى الله عليه وسلم قال « كان فيمن كان قلبكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم
 أهل الأرض فدل على راهب فأناه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ قال لا
 فقله ففعل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال له إنه قتل مائة نفس
 فهل له من توبة ؟ قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها
 أناسا يعبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا
 نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة
 جاء تابيا مقبلا فقلبه إلى الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيرا قط فأناهم ذلك في صورة آدمي
 فلبسوه حكا بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فلبى أيهما كان أدنى فهو له فقاوسا فوجدوه أدنى
 إلى الأرض التي أراد قبضته ملائكة الرحمة (١) وفي رواية : فكان إلى القرية الصالحة أقرب
 منها بشبر فجعل من أهلها . وفي رواية : فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربي
 وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر ففقر له ، فهذا تعرف أنه لا خلاص إلا برحمان
 ميزان الحسنات ولو بمثل ذرة فلا بد للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد للتعلق بالماضي .
 وأما العزم للربط بالاستقبال فهو أن يعقد مع الله عقدا مؤكدا وبعاثه بهد وثيق أن لا يعود
 إلى تلك الذنوب ولا إلى أمثالها كالتى يعلم في مرضه أن الفاكهة تضره مثلا فيعزم عزمًا جزما
 أنه لا يتناول الفاكهة مالم يزل مرضه فإن هذا العزم يتأكد في الحال وإن كان يتصور أن تغلبه
 الشهوة في ثاني الحال ولكن لا يكون تابيا مالم يتأكد عزمه في الحال ولا يتصور أن يتم ذلك للتائب
 في أول أمره إلا بالجزلة والصحت وقلة الأكل والنوم وإحراز قوت حلال فإن كان له مال موروث
 حلال أو كانت له حرفة يكتب بها قدر الكفاية فيقتصر عليه فإن رأس المعاشي أكل الحرام
 فكيف يكون تابيا مع الاصرار عليه ولا يكتفى بالاحلال وترك الشهوات من لا يقدري على ترك الشهوات

للعامة وأرباب القلوب
 وقد نذب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم إلى
 ذلك ثم يقرأ الفاتحة
 وأول سورة البقرة إلى
 الفلقون والآيتين
 وإلهكم إله واحد وآية
 الكرسي والآيتين
 بعدها وآمن الرسول
 والآية قبلها وشهد الله
 وقل اللهم مالك الملك
 وإن ربكم الله الذي
 خلق السموات
 والأرض إلى الحسينين
 ولقد جاءكم رسول إلى
 الآخر وقل ادعوا الله
 الآيتين وآخر الكهف
 من إن الذين آمنوا
 وذا النون إذ ذهب
 مغاضبا إلى خير الوارئين
 فسبحان الله حين
 تمسون وحين تصبحون

(١) حديث أبي سعيد الخدري التنفق عليه كان فيمن كان قلبكم رجل قتل تسعة وتسعين فسأل
 عن أعلم أهل الأرض الحديث هو متفق عليه كما قال المصنف من حديث أبي سعيد .

في المأ كولات واللبيسات وقد قال بعضهم من صدق في ترك الشهوة وجاهد نفسه لله سبع مرار لم يتزل بها . وقال آخر من تاب من ذنب واستقام سبع سنين لم يعد إليه أبدا . ومن مهمات التائب إذا لم يكن عالما أن يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يتمكن الاستقامة وإن لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة المطلقة إلا أن يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والزنا والنصب مثلا وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس إن هذه التوبة لاتصح وقال قائلون تصح ولفظ الصحة في هذا المقام مجمل بل قول لمن قال لاتصح إن عنت به أن تركه بعض الذنوب لايفيد أصلا بل وجوده كدمه لما أعظم خطأك فانا نعلم أن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقتلتها سبب قتلته وقول لمن قال تصح إن أردت به أن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولاً يوصل إلى النجاة أو الفوز فهذا أيضا خطأ بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولستنا نتكلم في خفايا أسرار عفو الله فإن قال من ذهب إلى أنها لاتصح إني أردت به أن التوبة عبارة عن الندم وإنما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لالكونها سرقة ويستحيل أن يندم عليها دون الزنا إن كان توجهه لأجل المعصية فإن الله شامع لها إذ من يتوجه على قتل والده بالسيف يتوجه على قتله بالسكين لأن توجهه بفوات محبوه سواء كان بالسيف أو بالسكين فكذلك توجه العبد بفوات محبوه وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة أو الزنا فكيف يتوجه على البعض دون البعض فالندم حالة يوجبها العلم بكون المعصية مفقوة للمحبوب من حيث إنها معصية فلا يتصور أن يكون على بعض المعاصي دون البعض ولو جاز هذا لجاز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدينين دون الآخر فإن استحالة ذلك من حيث إن للصبي في الخمرين واحد وإنما الدنان ظروف فكذلك أعيان المعاصي آلات للمعصية وللصبي من حيث مخالفة الأمر واحدة فاذن معنى عدم الصحة أن الله تعالى وعد التائبين رتبة وتلك الرتبة لاتنال إلا بالندم ولا يتصور الندم على بعض التآثلات فهو كالملك المرتب على الإيجاب والقبول فانه إذا لم يتم الإيجاب والقبول قول إن العقد لا يصح أى لم ترتب عليه التجارة وهو الملك وتحقيق هذا أن مرة مجرد الترك أن ينقطع عنه عقاب ما تركه ومرة الندم تكفير ماسبق فترك السرقة لا ي كفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصور الندم إلا لالكونها معصية وذلك يتم جميع المعاصي وهو كلام مفهوم واقع يستطلق المنصف بتفصيل به ينكشف النقص . فنقول التوبة عن بعض الذنوب لا تفلح إما أن تكون عن الكبائر دون الصغائر أو عن الصغائر دون الكبائر أو عن كبيرة دون كبيرة . أما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فأمر ممكن لأنه يعلم أن الكبائر أعظم عند الله وأجلب لسخط الله ومقته والصغائر أقرب إلى تطرق العفو إليها فلا يستحيل أن يتوب عن الأعظم ويتقدم عليه كالذي يغني على أهل الملك وخرمه ويغني على دأته فيكون خائفا من الجناية على الأهل مستحقرا للجناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاد كونه مبعدا عن الله تعالى وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثرت التأثبات في الأعصار الحاليه ولم يكن أحد منهم معصوما فلا تستدعي التوبة المعصية والطبيب قد يحذر المريض الصل تحذيرا شديدا ويحذره السكر تحذيرا أخف منه على وجه يشعر معه أنه ربما لا يظهر ضرر السكر أصلا فيتوب المريض بقوله عن الصل دون السكر فهذا غير محال وجوده وإن أكلها جميعا بحكم شهوته ندم على أكل الصل دون السكر . الثاني أن يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا أيضا ممكن لاعتقاده أن بعض الكبائر أشد وأغلظ عند الله كالذي يتوب عن القتل والتهب والظلم ومظالم العباد لعله أن ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يتسارع العفو إليه فهذا أيضا ممكن كافي تفاوت

وسبحان ربك إلى آخر
السورة ولقد صدق الله
وأول سورة الحديد إلى
بذات الصدور وآخر
سورة الحشر من
لو أنزلناهم بسبع ثلاثا
وثلاثين وهكذا محمد
مثله ويكره مثله ويتعها
مائة بلاه إلا الله وحده
لا شريك له فإذا فرغ
من ذلك يشتغل بتلاوة
القرآن حفظا أو من
المصحف أو يشتغل
بأنواع الأذكار ولا
يزال كذلك من غير
فتور وقصور وناس
فان النوم في هذا الوقت
مكروه جدا فان غلبه
النوم فليقم في مصلاه
قائما مستقبل القبلة
فإن لم يذهب النوم
بالقيام يخطو خطوات

الكبائر والصغار لأن الكبائر أيضا متفاوتة في أنفسها وفي اعتقاد مرتكبها ، ولذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التي لاتصلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا ، إذ يتضح له أن الخمر مفتاح الشرور وأنه إذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي وهو لا يدري فبحسب ترجيح شرب الخمر عنده ينبعث منه خوف يوجب ذلك تركا في المستقبل وندما على الماضي . الثالث أن يتوب عن صغيرة أو صغار وهو مصر على كبيرة يعلم أنها كبيرة كالذي يتوب عن القية أو عن النظر إلى غير الحرم أو ما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر فهو أيضا ممكن ووجه إمكانه أنه ما من مؤمن إلا وهو خائف من معاصيه وتادم على فعله ندما إما ضعيفا وإما قويا ولكن تكون لذة نفسه في تلك المعصية أقوى من ألم قلبه في الخوف منها لأسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة وأسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون مليا بتحريك العزم ولا قويا عليه ، فان سلم عن شهوة أقوى منه بأن لم يمارسه إلا ما هو أصنف قهر الخوف الشهوة وغلبها وأوجب ذلك ترك المعصية وقد تشدد ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه وتكون له ضراوة ما بالنية وتلب الناس والنظر إلى غير الحرم وخوفه من الله قد بلغ مبلغا يطمع هذه الشهوة الضعيفة دون القوة فيوجب عليه جند الخوف انبعاث العزم للترك بل يقول هذا الفاسق في نفسه : إن قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلا ينبغي أن أضلح العذار وأرخص العنان بالكيفية بل لأجاده في بعض المعاصي فصانئ أغلبه فيكون قهري له في البعض كفارة لبعض ذنوبي ، ولو لم يتصور هذا لما تصور من الفاسق أن يصلي ويصوم ولليل له إن كانت مصلاته لغير الله فلا تصح وإن كانت لله فترك النسق لله فإن أمر الله فيه واحد فلا يتصور أن تقصد بصلواتك الترتب إلى الله تعالى ما لم تقرب بترك النسق وهذا محال بأن يقول لله تعالى طي أسمران ولي طي الخافقة فيهما عقوبتان وأنا طي في أحدهما بهر الشيطان عاجز عنه في الآخر فأنا أنفهر فيما أقدر عليه ، وأرجو بمجاهدتي فيه أن يكفر عني بعض ما عجزت عنه بفطر شهوتي فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم . إذ لا مسلم إلا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب له إلا هذا وإذا فهم هذا فهم أن غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب ممكن وجودها ، والخوف إذا كان من فعل ماض أورث الندم والندم يورث العزم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « الندم توبة » ولم يشترط الندم على كل ذنب وقال « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه المعاني تبين سقوط قول القائل إن التوبة عن بعض الذنوب غير ممكنة لأنها متائلة في حق الشهوة وفي حق التعرض إلى سخط الله تعالى ، نعم يجوز أن يتوب عن شرب الخمر دون التبيذ لتفاوتهما في اقتضاء السخط ويتوب عن الكثير دون القليل لأن لكثرة الذنوب تأثيرا في كثرة العقوبة فيساعد الشهوة بالقدر الذي يعجز عنه ويترك بعض شهوته لله تعالى كالمرضى الذي حذر الطبيب الفاكهة فإنه قد يتناول قليلا ولكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا أنه لا يمكن أن يتوب عن شيء ولا يتوب عن مثله بل لا بد أن يكون مائتاب عنه محالما بقي عليه إما في شدة المعصية وإما في غلبة الشهوة وإذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله في الخوف والندم فيتصور اختلاف حاله في الترك فندمه على ذلك الذنب ووافقه بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وإن لم يكن قد أطاع الله في جميع الأمور والنواهي ، فان قلت هل تصح توبة العنبن من الزنا الذي قارفه قبل طريان العنة . فأقول لا ، لأن التوبة عبارة عن ندم يستلزم على الترك فبما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد اندم بنفسه لا بتركه إياه ولكن أقول لو طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق به ضرر الزنا الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الواقع به باقية

نحو القبلة ويتأخر بالخطوات كذلك ولا يستدبر القبلة في إدامة استقبال القبلة وترك السلام والنوم ودوام الذكر في هذا الوقت اثر كبير وبركة غير قليلة . وجدنا ذلك بحمد الله ونوصي به الطالبين ، وأثر ذلك في حق من يجمع في الأذكار بين القلب واللسان أكثر وأظهر وهذا الوقت أول النهار والنهار مظنة الآفات فإذا أحكم أوله بهذه الرعاية فقد أحكم بنيانه وتبني أوقات النهار جميعا على هذا البناء فإذا قارب طلوع الشمس يتسدى براءة الساعات العشر

لكانت حرقة الندم شمع تلك الشهوة وتضلها فاني أرجو أن يكون ذلك مكفرا لذنبه وماحيا عنه سيئته إذ لاخلاف في أنه لو تاب قبل طريان الغنة ومات عقيب التوبة كان من التائبين وإن لم يطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتيسر أسباب قضاء الشهوة ولكنه تاب باعتبار أن ندمه بلغ مبلغا أوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذا لم يستجلب أن تبلغ قوة الندم في حق المنين هذا البالغ إلا أنه لا يعرفه من نفسه فان كل من لا يشتهي شيئا يقدر نفسه قادرا على تركه بأدنى خوف والله تعالى مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فبقلبه منه بل الظاهر أنه يقبله والحقيقة في هذا كله ترجع إلى أن ظلمة اللصية تمنحي عن القلب بشيئين : أحدهما حرقة الندم ، والآخر شدة المجاهدة بالترك في المستقبل وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالا أن يقوى الندم بحيث يقوى على عهوها دون المجاهدة ولولا هذا قلنا إن التوبة لا تقبل مالم يمض الثابت بعد التوبة مدة مجاهد نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك عما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه أصلا. فان قلت إذا فرضنا تائبين أحدهما سكنت نفسه عن الزنوع إلى الذنب والآخر بقي في نفسه نزوع إليه وهو مجاهدها ويعتصم بأيهما أفضل ؟ . فاعلم أن هذا عما اختلف العلماء فيه ، فقال أحمد بن أبي الحواري وأصحاب أبي سليمان الداراني إن المجاهد أفضل لأن مع التوبة فضل المجاهد. وقال علماء البصرة ذلك الآخر أفضل لأنه لو فتر في توبته كان أقرب إلى السلامة من المجاهد الذي هو في عرصة التنور وعن المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين لا يغلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق فيه أن الذي انقطع نزوع نفسه له حالتان : أحدهما أن يكون اضطرار نزوعه إليها بفقر في نفس الشهوة فقط فالمجاهد أفضل من هذا إذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة نفسه واستيلاء دينه على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين ، وأخرى بقوة الدين قوة الإرادة التي تنبثق بإشارة اليقين وتضع الشهوة للنبذة بإشارة الشياطين فهاتان قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعا وقول القائل إن هذا أسلم إذ لو فتر لاحود إلى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الأفضل فيه خطأ وهو كقول القائل المنين أفضل من الفحل لأنه في أمن من خطر الشهوة والصبي أفضل من البالغ لأنه أعلم وللنفس أفضل من الملك القاهر القاطع لأعدائه لأن النفس لأعدوه وللملك ربما يشلب مرة وإن غاب مرات وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بأن المز في الأخطار وأن اللغو شرطه احتكام الاغرار بل كقول القائل الصياد الذي ليس له فرس ولا كلب أفضل في صناعة الاصطياد وأعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس لأنه آمن من أن يجمع به فرسه فتتكسر أعضاؤه عند السقوط على الأرض وآمن من أن يضسه السكب ويمتد على وهذا خطأ بل صاحب الفرس والسكب إذا كان قويا طالما بطريق تأديهما أعلى رتبة وأحرى بذكر سعادة الصيد . الحالة الثانية : أن يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة إذ بلغ مبلغا قمع هيجان الشهوة حتى تأدت بأدب الشرع فلا تهيج إلا بالإشارة من الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين عليها فهذا أعلى رتبة من المجاهد للناس لهيجان الشهوة وقهها ، وقول القائل ليس لملك فضل المجاهد تصور عن الاحاطة بمقصود المجاهد فان المجاهد ليس مقصودا لعنه بل المقصود قطع ضراوة العدو حتى لا يستجرك إلى شهواته وإن هجم عن استجراك فلا يصدك عن سلوك طريق الدين فاذا قهرته وحسات القصد قد ظفرت وما دامت في المجاهدة قامت بمدى طلب الظفر ومثاله كشال من قهر العدو واسترته بالاضافة إلى من هو مشغول بالمجاهد في صف القتال ولا يدري كيف يسلم ومثاله إضامثال من علم كلب الصيد وراض الفرس فهما تأمسان عنده بعد ترك السكب الضراوة والفرس الجالح بالاضافة إلى من هو مشغول بمقاساة التأديب بمدى لوقد دل

وهي من تعلم الخضر
عليه السلام عليها
ابراهيم التيمي وذكر
أنه تعلمها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ،
وبنال بالمداومة عليها
جميع التفرق في
الأذكار والدعوات ،
وهي عشرة أشياء
سبعة سبعة الفاتحة
والعوذتان وقل هو
الله أحد وقل يا أيها
الكافرون وآية
الكسرى وسبحان الله
والحمد لله ولا إله إلا الله
والله أكبر والصلاة
على النبي وآله وسخفر
لنفسه ولوالديه
والمؤمنين والمؤمنات
ويقول سبحا اللهم أفضل
في وهم عاجلا وأجلا
في الدين والديا والآخرة

في هذا فريق فظنوا أن الجهاد هو المقصود الأقصى ولم يعلموا أن ذلك طلب للخلاص من عواقب الطريق وظن آخرون أن قمع الشهوات وإمالتها بالسكينة مقصود حتى جرب بعضهم نفسه فجزع عنه فقال هذا محال فكذب بالنسرة وسلك سبيل الاباحة واسترسل في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربيع للهلكات . فان قلت فماذا لك في تأييد أحدهما من الذنب ولم يشتغل بالتفكير فيه والآخر جملة نصب عينه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق بنماعليه فأيهما أفضل . فاعلم أن هذا أيضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين عينيك . وقال آخر حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك وكل واحد من اللذنين عندنا حق ولكن بالإضافة إلى حالين وكلام التصوفة أبدا يكون قاصرا فان عادة كل واحد منهم أن يخبر عن حال نفسه فقط ولا يهجم حال غيره فاختلاف الأجوبة لاختلاف الأحوال وهذا قصص بالإضافة إلى المهمة والارادة والجد حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يهجم أمر غيره إذ طريقه إلى الله نفسه ومنازله وأحواله وقد يكون طريق العبد إلى الله العلم فالطريق إلى الله تعالى كثيرة وإن كانت مختلفة في القرب والبعد والله أعلم عن هو أهدى سبيلا مع الاشتراك في أصل الهداية . فأقول تصور الذنب وذكره والتفجع عليه كمال في حق البدن لأنه إذا نسى لم يكثر احتراقه فلا تقوى إرادته وانما هو لسلك الطريق ولأن ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع إلى مثله فهو بالإضافة إلى التافل كمال ولكنه بالإضافة إلى سالك الطريق قصصا فانه شغل مانع عن سلوك الطريق بل سالك الطريق ينبغي أن لا يرجع على غير السالك فان ظهر له مبادئ الوصول وانكشف له أنوار المعرفة ولوامع التيب استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات إلى ما سبق من أحواله وهو الكمال بل لو عاق للسافر عن الطريق إلى بلد من البلدان حاجر طال تعب المسافر في عبوره مدة من حيث إنه كان قد خرب جسده من قبل فلو جلس على شاطئ النهر بعد عبوره يسكن متأنفا على تخريبه الجسر كان هذا مانعا آخر اشتغل به بعد الفراغ من ذلك المانع ، نعم إن لم يكن الوقت وقت الرحيل بأن كان ليلا فتمذر السالك أو كان على طريقه أنهار وهو يخاف على نفسه أن يمر بها فيلطم بالليل بكأوه وحزنه على تخريب الجسر ليتأكد بطول الحزن عزمه على أن لا يعود إلى مثله فان حصل له من التنبيه ما وثق بنفسه أنه لا يعود إلى مثله فسلك الطريق أولى به من الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه وهذا لا يعرفه إلا من عرف الطريق والقصد والمائق وطريق السالك وقد أشرنا إلى تلويحات منه في كتاب العلم وفي ربيع للهلكات بل تقول شرط دوام التوبة أن يكون كثير الفكر في النعم في الآخرة ليزيد رغبته ولكن إن كان شابا فلا ينبغي أن يطيل فكره في كل ماله نظير في الدنيا كالمحور والقصور فان ذلك الفكر ربما عجزك رغبته في طلب العاجل ولا يرضى بالأجل بل ينبغي أن يتفكر في لذة النظر إلى وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له في الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فالبدن أيضا قد يستغربه فيكون الشيطان أفضل له عند ذلك ولا يصدك عن التصديق بهذا التحقيق ما عيك لك من بكاء داود ونياحتة عليه السلام فان قياسك نفسك على الأنبياء قياس في غاية الاعوجاج لأنهم قد يزلون في أقوالهم وأفعالهم إلى الدرجات اللاتمة بأنهم فاتهم ما بعثوا إلا لارشادهم فطبعهم التلبس بما تنتفع أنهم بمشاهدته وإن كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم فلقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة إلا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيا عنها لفراره عن المجاهدة وتآديب النفس تسهلا للأمر على اللريد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أما إني لا أنسى ولكني أنسى لأشعر »^(١) وفي لفظ « إنما أسهو لأمن » .

ما أنت له أهل ولا تفعل ربنا يا مسولانا ما نحن له أهل إنك غفور حلیم جواد كريم رءوف رحيم . وروى أن إبراهيم التيمي لما قرأ هذه بعد أن تسلمها من الحضر رأى في المنام أنه دخل الجنة ورأى لللائكة والأنبياء عليهم السلام وأكل من طعام الجنة وقيل إنه مكث أربعة أشهر لم يطعم وقيل لعله كان ذلك لكونه أكل من طعام الجنة فاذا فرغ من المسببات أقبل على التيسيع والاستغفار والتلاوة إلى أن تطلع الشمس قدر رمح .

ولا تعجب من هذا فإن الأمم في كنف شفقة الأنبياء كالصبيان في كنف شفقة الآباء وكما لو اتى في كنف الرعاة أما ترى الأب إذا أراد أن يستنطق ولده الصبي كيف ينزل إلى درجة نطق الصبي كاذل صلي الله عليه وسلم للحسن « كعب كعب » لما أخذ تمر من تمر الصدقة ووضعها في فيه وما كانت فصاحته تنصر عن أن يقول ارم هذه التمرة فانها حرام ولكنه لما علم أنه لا يفهم منطلقه ترك الفصاحه ونزل إلى كنفه بل الذي يعلم شاة أو طائراً يصوت به رغاء أو صفيراً تشبها بالهيمه والطائر تلتفت في تمليعه فأياك أن تغفل عن أمثال هذه المواقف فانها منزلة أقدام العارفين فضلا عن العافلين ، نسأل الله حسن التوفيق بطلفه وكرمه .

(بيان أقسام العباد في دوام التوبة)

اعلم أن التائبين في التوبة على أربع طبقات . الطبقة الأولى : أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره فيندارك ما فرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعود إلى ذنوبه إلا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات معها لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة على التوبة وصاحبها السابق بالخيرات المتبدل بالسليئات حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح واسم هذه النفس السائكة النفس المطمئنة التي ترجع إلى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين إليهم الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « سبق للفرودون المستهزون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أو زارهم فوردوا القيامة خفافاً » (٢) فان فيه إشارة إلى أنهم كانوا تحت أوزار وضعا الذكر عنهم وأهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع إلى الشهوات فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة فترزاعها ولم يشغله عن السالك صبرها وإلى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه لم يجهدها وبرها ثم تفاوتت درجات النزاع أيضا بالكثر والقله وباختلاف اللمدة وباختلاف الأنواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمن مختطف يموت قريبا من توبته يخط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن يعمل طاله جهاده وصبره وعادته استقامته وكثرت حسناته وحال هذا أعلا وأفضل إذ كل سيئة فاعسا يعموها حسنة حتى قال بعض العلماء إنما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي أن يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى واشتراط هذا بعيد وإن كان لا ينكر عظم أثره لو فرض ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف أن يسلك هذا الطريق فتتهيج الشهوة وتخضر الأسباب حتى يتمكن ثم يطعم في الانسكاف فانه لا يؤمن خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على العصية وينقض توبته بل طريقها الفرار من ابتداء أسبابه لليسرة له حتى يسد طرقها على نفسه ويسمى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فيه تسلم توبته في الابتداء . الطبقة الثانية : تائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات وترك الكبائر الفواحش كلها إلا أنه ليس ينفك عن ذنوبه تعتبره لاعتن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجاري أحواله من غيره أن يقدم عزا على الإقدام عليها ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على أن يقتصر للاحتراز من

لا يوجد في الوقت إلا مرسل لا إسناد له وكذا قال حمزة الكناني إنه لم يرد من غير طريق مالك وقال أبو طاهر الأنصاري وقد طال بحثي عنه وسألى عنه لاثمة والحفاظ فلم أقفر به ولا سمعت عن أحد أنه ظفر به قال وادعى بعض طلبة الحديث أنه وقع له مستندا (١) حديث أنه قال للحسن كعب كعب لما أخذ تمر من الصدقة ووضعها في فيه البخاري من حديث أبي هريرة وتقدم في كتاب الحلال والحرام (٢) حديث سبق للفرودون المستهزون بذكر الله الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وحسنه وقد تقدم .

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لأن أقعد في مجلس أذكر الله فيه من صلاة الفداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعطي أربع رقاب » ثم صلى ركعتين قبل أن يصرف من مجلسه قد قل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يسلي الركعتين وهاتين الركعتين تبين فائدة رعاية هذا الوقت وإذا صلى الركعتين بجمع ثم وحضور فهم وحسن تدبر لما يقرأ يجدي باطنه أثرا ونورا وروحا وأنسا إذا كان صادقا والذي يجده

أسيبها التي تعرض لها وهذه النفس جديرة بأن تكون هي النفس الواهمة إذ تلوم صاحبها على ما تستهدف له من الأحوال الدنيوية لأعن تصميم عزم وتعمين رأى وقصد وهذه أيضا رتبة عالية وإن كانت نازلة عن الطبقة الأولى وهي أغلب أحوال التائبين لأن الشر معجون بطينة الأدنى قلما يفاك عنه وإنما غاية سعيه أن يظلب خيره شره حتى يتقل ميزانه فترجح كفة الحسنات فأما أن تخاف بالسكية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى إذ قال تعالى - الذين يحبون كبراء اليم والواحش إلا اللئيم إن ربك واسع المغفرة - فكل إمام يقع بصغيرة لأعن توطين نفسه عليه فهو جدير بأن يكون من اللئيم للعفو عنه قال تعالى - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - فأثني عليهم مع ظلمهم لأنفسهم لتندمهم ولولمهم أنفسهم عليه وإلى مثل هذه الرتبة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه علي كرم الله وجهه «خيركم كل مفتن نواب (١)» وفي خبر آخر «لأؤمن كالسنبلة ينفى أحيانا ويعيل أحيانا (٢)» وفي الخبر «لا بد لأؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة (٣)» أي الحين بعد الحين فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لا يقص التوبة ولا يباح صاحبها بدرجة الصيرين ومن يؤس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناول من القواكه والأطعمة الحارة مرة بعد أخرى من غير مداومة واستمرار وكالفقيه الذي يؤس للتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفنونه عن التكرار والتعليل في أوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه في الفقيه في الدين هو الذي لا يؤس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات المنقطعات قال النبي ﷺ «كل بنى آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون المستغفرون (٤)» وقال أيضا «أؤمن واه رافع غيرهم من مات على رقه (٥)» أي واه بالذنوب برافع بانوبة والندم وقال تعالى - أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة - فأوصفهم بدم السيئة أصلا. الطبقة الثالثة : أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلب الشهوات في بعض الذنوب فيقيم عليها عن صدق وقصد شهوة لمجزءه عن قهر الشهوة إلا أن يجمع ذلك مواظب على الطاعات وتارك لجملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وإنما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوات وهو يولد أو قدره الله تعالى على قهرها وكفاه شرها هذا أمينته في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول إني لم أقصه وسأتوب عنه وأجاهد نفسي في قهرها لكنه تسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد أخرى وبوما بعد يوم فهذه النفس هي التي تسمى النفس السولة وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم - وآخرون اغترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا - فأمرهم من حيث مواظبتهم على الطاعات وكراهتهما تعاطا لهم وجو (١) حديث على خيركم كل مفتن نواب البهيقي في الشعب بسند ضعيف (٢) حديث المؤمن كالسنبلة تنفي أحيانا ويعيل أحيانا أبو يعلى وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس والطبراني من حديث عمار بن ياسر والبهيقي في الشعب من حديث الحسن مرسل وكلها ضعيفة وقلوا تقوم بدلتني وفي الأمثال للراهمريزي إسناده جيد حديث أنس (٣) حديث لا بد لأؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة الطبراني والبهيقي في الشعب من حديث ابن عباس بأسانيد حسنة (٤) حديث كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون الترمذي واستخرجه الحاكم وصححه إسناده من حديث أنس وقال التوابون بدل المستغفرون . قلت فيه على بن مسعدة ضعه البخاري (٥) حديث المؤمن واه رافع غيرهم من مات على رقه الطبراني والبهيقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف ولا فسيح بدل غيرهم .

من البركة ثواب معجل له على عمله هذا وأحب أن يترأف هاتين الركعتين في الأولى آية الكرسي وفي الأخرى آمين الرسول والله نور السموات والأرض إلى آخر الآية وتكون نيته فيهما الشكر لله على نفسه في يومه وليته ثم يصلي ركعتين أخريين يقرأ في الأولى سورة فيهما في كل ركعة سورة وتكون صلاته هذه ليستبذ بالله تعالى من شر يومه وليته ويذكر بعد هاتين الركعتين كلمات الاستعاذة فيقول أعوذ باسمك وكلتك التامة من شر السامة والمهامة

فصلى الله أن يتوب عليه وعاقبتة عظيمة من حيث تسوية وتأخيرها فرميا يخطف قبل التوبة ويقع أمره في اللبشة فإن تدارك الله فضله وجبر كسره وادّخر عليه التوبة التعقيل السابقين وإن غلبته شقوته وقهرته شهوته فبخشى أن يحق عليه في الحاشية ماسبق عليه من القول في الأزل لأنه مهما تمدد على التفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم دل تمرد له أنه سبق له في الأزل أن يكون من الجاهلين فضعف الرجاء في حقه وإذا يسرت له أسباب للمواطبة على التحصيل دل على أنه سبق له في الأزل أن يكون من جملة العالمين فكذلك ارتباط سعادات الآخرة ودرجاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الأسباب كالرباط للرض والصحة بقاؤه للأغذية والأدوية ولوربط حصول صفاته النفسانية تستحق الناسب الملي في الدنيا بترك الكسل والمواطبة على تعقبه النفس فكلا لا يصلح لمنصب الرامة والقضاء والتقدم بالملم لأنفس صارت حقبة بطول التفقيه فلا يصلح ملك الآخرة ونعيمها ولا يقرب من رب العالمين إلا بقابل سليم صار طاهرا بطول الزكية والتطهير وهكذا سبق في الأزل بتدبير رب الأرباب ولذلك قال تعالى - ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها - فهما وقع العبد في ذنب فسار الذنب قداما والتوبة نسبية كان هذا من علامات الخذلان قال صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس إنهم من أهلها ولا يلقى بينه وبين الجنة إلا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها» (١) فإذا انخوف من الحاجة قبل التوبة وكل نفس فهو خائفة ما قبله إذ يمكن أن يكون للو متصلا به فليراقب الأنفاس وإلا وقع في المهدور وضاعت الحشرات حين لا ينفع التحسر . الطبقة الرابعة : أن يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود إلى مفارقة الذنب أو الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أن يتأسف على فعله بل ينهك أنهماك الغافل في اتباع شهواته فهذا من جملة الصرير وهذه النفس هي النفس الأمارة بالسوء الفاردة من الخير ويخاف على هذا سوء الحاجة وأمره في مشيئة الله فان ختم له بالسوء شقي فشاقة لا آخر لها وإن ختم له بالحسن حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستحيل أن يشمه محرم الغو بسبب مخي لا نطلع عليه كالاستحيال أن يدخل الإنسان خرابا ليعد كنزا فيتفق أن يجد وأن يجلس في البيت ليجعله الله علما بالعلوم من غير تعلم كما كان الأنبياء صلوات الله عليهم فطلب الغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار وطلب المال بالتجارة وكوب البحار وطلبها بعجدة راجع خراب الأعمال كطلب الكنوز في الواضع الحر وطلب العلوم من تعليم اللامكة وليت من اجتهد تعلم وليت من أجتر استغنى وليت من صام وصلى غفر له فأناس كلهم محرمون إلا المالمون والمالمون كلهم محرمون إلا المالمون والمالمون كلهم محرمون إلا المخلفون والمخلصون على خطر عظيم وكما أن من خرب بيته وشيع ماله وترك نفسه وعياله جباة يضم أنه ينتظر فضل الله بأن يرزقه كنزا يجد تحت الأرض في بيته الحرب يعد عند ذوي البصائر من الحي والنور ورين وإن كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله تعالى وقضاه فكذلك من ينتظر الغفرة من فضل الله تعالى وهو مقصر عن الطاعة مصر على الذنوب غير سالك سبيل الغفرة يعد عند باب القلوب من المعنويين والمعجب من عقل هذا الموت وتروجه حماقة في صيغة حسنة إذ يقول إن الله كريم وجهته ليست

(١١) حديث إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد دون قوله سبعين سنة ولمسلم من حديث أبي هريرة إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة الحديث ولأحمد من رواية شهر بن حوشب عن أبي هريرة إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة وشهر مختلف فيه

وأعوذ بأمك وكلتك
التامة من شر عذابك
وشر عبادك وأعوذ
بأمك وكلتك التامة
من شر ما يجري به الليل
والنهار إن ربّي الله
إلا هو عليه توكلت
وهو ربّ العرش العظيم
ويقول بعد الرّكعتين
الأوليين اللهم إني
أصبحت لأستطيع
دفع ما أكره ولا أملك
شفع ما أرجو وأصبحت
مرتهنا بعمل وأصبح
أمرى بيد غيري فلا
قسير أقصرني اللهم
لا تشمت بي عدوّي
ولا تنسني يا صديق
ولا تجعل مصيبتني في
دينّي ولا تجعل الدنيا
أكبر همّي ولا مبلغ
علي ولا تسلطني من

تضيق على مثلي ومصيق ليست تضربه ثم تراه يركب البحار ويقتحم الأوعار في طلب الدنار وإذ قيل
 إن الله كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر عن قهرك وكسلك بترك التجارة ليس يضرك فاجلس في بيتك
 فمساء يرزقك من حيث لا تحسب فيستحق قائل هذا الكلام ويستهي به ويقول ما هذا المومن
 السماء لا تمطر ذهبا ولافضة وإنما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره مسبب الأسباب وأجرى به سنته
 ولا تبدل لسنة الله ولا يعلم للفرور أن رب الآخرة ورب الدنيا واحد وأن سنته لا تبدل لها فيها جميعا
 وأنه قد أخبر إذ قال - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - فكيف يستفاد أنه كريم في الآخرة وليس بكرم
 في الدنيا وكيف يقول ليس مقتضى الكرم القصور عن كسب المال ومقتضاه القصور عن العمل للمالك
 للقيم والقيم المأمور وأن ذلك بحكم الكرم بطله من جهد في الآخرة وهذا بمنه مع شدة الاجتهاد
 في غالب الأمر في الدنيا وينسئ قوله تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون - فتعوز بالله من العنى
 والفضال لما هذا إلا تنكاس على أم الرأس وانعكاس في ظلمات الجهل وصاحب هذا جدير بأن يكون
 داخلا تحت قوله تعالى - ولوترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا بصيرنا ممعنا فارجعنا
 نعمل صالحا - أى أبصرنا أنك صدقت إذ قلت - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - فارجعنا نسعى وعند
 ذلك لا يمكن من الانقلاب وعق عليه العذاب فتعوز بالله من دواعي الجهل والشك والارتباب الباساق
 بالضرورة إلى سوء القلب واللباب.

(بيان ما ينبغي أن يبادر إليه التائب إن جرى عليه ذنب إما

عن قصد وشهوة غالبية أو عن إلهام بحكم الاتفاق)

اعلم أن الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالكفر بحسنة تضاده كما ذكرنا طريقه فان لم تساعده
 النفس على العزم على الترك لقلبة الشهوة قد عجز عن أحد الواجبين فلا ينبغي أن يترك الواجب الثاني
 وهو أن يدرأ بالحسنة السيئة ليعوها فيكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فالحسنات للكفر
 للسيئات إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح وتلك الحسنة في محل السيئة وفيها يتعلق بأسبابها
 فأما بالقلب فليكفره بالتضرع إلى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو وبذلك تذل العبد الأبقى
 ويكون ذله حيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيها بينهم لما للعبد الأبقى اللذنب وجه
 للتكبر على سائر العباد وكذلك يضم قلبه الحيرات للسجين والعزم على الطاعات . وأما باللسان
 فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسي وعملت سويا فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر
 من ضرب الاستغفار كما أوردناه في كتاب الدعوات والأذكار . وأما بالجوارح فبالطاعات
 والصدقات وأنواع العبادات وفي الآثار ما يدل على أن الذنب إذا أتبع بشاينة أعمال كان العفو عنه
 مرجوا أربعة من أعمال القلوب وهي التوبة أو العزم على التوبة حب الاقتلاع عن الذنب وتخوف العقاب
 عليه ورجاء المغفرة له وأربعة من أعمال الجوارح وهي أن تصلى عقب الذنب ركعتين ثم تستغفر الله
 تعالى بعدهما سبعين مرة وتقول سبحان الله العظيم ومحمد مائة مرة ثم تصدق بصدقة ثم تصوم يوما وفي
 بعض الآثار تسبيح الوضوء وتدخل للسجدة وتصل ركعتين^(١) وفي بعض الأخبار تصلى أربع ركعات^(٢)

(١) أثر إن من مكفرات الذنب أن تسبح الوضوء وتدخل للسجدة وتصل ركعتين أصحاب السنن من
 حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم
 يستغفر الله لا يغفر الله له لفظ أبي داود وهو في الكبرى للسنائي مرفوعا وموقوفا فلعل المصنف عبر
 بالآثر لإرادة اللوقوف فذكره احتياطا وإلا فالآثار ليست من شرط كتابنا (٢) حديث التفسير
 بصلاة أربع ركعات ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس قال كان رجل

لا يرحم الله إن أعوذ
 بك من الذنوب التي
 تزيل النعم وأعوذ بك
 من الذنوب التي توجب
 النقم ثم يصلى
 ركعتين أخريين بنية
 الاستخارة لكل عمل
 عمله في يومه وليته
 وهذه الاستخارة
 تصحون بمعنى الدعاء
 على الإطلاق وإلا
 فلا استخارة التي وردت
 بها الأخبار هي التي
 يصليها أمام كل أمر
 يريد ويقرأ في هاتين
 الركعتين - قل يا أيها
 الكافرون - وقل هو
 الله أحد - وقرأ دعاء
 الاستخارة كما سبق
 ذكره في غير هذا
 الباب ويقول فيه
 كل قول وعمل أريد

وفي الخبر « إذا عملت سيئة فأتيتها حسنة تسكفها السر بالسر والمالانية بالمالانية ^(١) » ولذلك قيل صدقة السر تسكف ذنوب الليل وصدقة المجر تسكف ذنوب النهار ، وفي الخبر الصحيح « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنى عاجلت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا اللبس فاقضى على بحكم الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم أو ماصليت معنا صلاة الفداة قال بلى فقال صلى الله عليه وسلم إن الحسنات يذهبن السيئات ^(٢) » وهذا يدل على أن مادون الرنا من معالجة النساء صغيرة إذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم « الصلوات الخمس كفارات لما يبين إلا الكبائر » فعلى الأحوال كلها ينبغي أن يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجهد في دفعها بالحسنات. فان قلت فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الاصرار ، وفي الخبر « للستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالاستريء بآيات الله ^(٣) » وكان بعضهم يقول أستغفر الله من قولى أستغفر الله ، وقيل الاستغفار باللسان نوبة الكذابين . وقالت رابعة العدوية : استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير . فاعلم أنه قد ورد في فضل الاستغفار أخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في كتاب الأذكار والدعوات حتى قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون - فكان بعض الصحابة يقول كان لنا أمانان ذهب أحدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار معنا فإن ذهب هلكنا ^(٤) . فنقول : الاستغفار الذى هو نوبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير أن يكون لقلب فيه شركة كما يقول الانسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة أستغفر الله وكما يقول إذا جمع صفة النار فغوى بالله منها من غير أن يثائر به قلبه ، وهذا يرجع إلى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فأما إذا انضاف إليه تضرع القلب إلى الله تعالى وإبهاله في سؤال المغفرة عن صدق إرادة وخلوص نية ورغبة فهذه حسنة في نفسها تفصل لأن تدفع بها السيئة ، وعلى هذا تحمل الأخبار الواردة في فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وسلم « ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة ^(٥) » وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب وللنوبة

من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يهوى امرأة الحديث وفيه فلما رآها جالس منها عجل الرجل من امرأته وحركه ذكره فإذا هو مثل الهدية فقام نادما فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صل أربع ركعات فأزله الله عز وجل وسأتم الصلاة طرفي النهار - الآية وإسناده جيد (١) جدت إذا عملت سيئة فأتيتها حسنة تسكفها السر بالسر والمالانية بالمالانية البيهقي في الشعب من حديث معاذ وفيه رجل لم يسم ورواه الطبراني من رواية عطاء بن يسار عن معاذ ولم يلقه بلفظ وما عملت من سوء فأحدث الله فيه توبة السر بالسر الحديث (٢) حديث إن رجلا قال يارسول الله إنى طلجت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا اللبس الحديث في نزول - إن الحسنات يذهبن السيئات - متفق عليه من حديث ابن مسعود دون قوله أو ماصليت معنا صلاة الفداة ورواه مسلم من حديث أنس وفيه هل حضرت معنا الصلاة قال نعم ومن حديث أبي أمامة وفيه ثم شهدت الصلاة معنا قال نعم الحديث (٣) حديث الاستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالاستريء بآيات الله إن أبي الدنيا في التوبة ومن طريقه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ كالاستريء بربه وسنده ضعيف (٤) حديث بعض الصحابة في قوله تعالى - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم - الآية كان لنا أمانان ذهب أحدهما أحمد من قول أبي موسى الأشعري ورفضه الترمذي من حديثه أنزل الله على أماني الحديث وضعفه وابن مردويه في تحفيرة من قول ابن عباس (٥) حديث ما أصر من استغفر الحديث تهجم في الدعوات .

في هذا اليوم اجعل فيه
الحيرة . ثم يصلى
ركعتين أخريين يقرأ
في الأولى سورة الواقعة
وفي الأخرى سورة
الأعلى ويقول بعدها
اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد واجعل
حبك أحب الأشياء
إلى وخشيتك أخوف
الأشياء عندي واقطع
عنى حاجات الدنيا
بالشوق إلى لقاءك وإذا
أفرت أعين أهل
الدنيا بدنياهم فأفرو
عنى عبادتك واجعل
طاعتك في كل شيء
مضى يا أرحم الراحمين
ثم يصلى بعد ذلك
ركعتين يقرأ فيهما
شيئا من حبه من
القرآن ثم بعد ذلك

والاستغفار درجات وأوامها لا تخلو عن الفائدة وإن لم تنته إلى أواخرها ، ولذلك قال سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاه فأحسن أحواله أن يرجع إليه في كل شيء ، فإن عصي قال يارب استر علي فادا فرغ من النصية قال يارب تب علي فاذا تاب قال يارب ارزقني العسمة وإذا عمل قال يارب تقبل مني وسئل أيضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال أول الاستغفار الاستجابة ثم الإنابة ثم التوبة فاستجابة أعمال الجوارح والإنابة أعمال القلوب والتوبة إقباله على مولاه بأن يترك الحلقى ثم يستغفر الله من تصديره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فند ذلك يفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل إلى الاقراء ثم الثبات ثم البيان ثم الفكر ثم المعرفة ثم اللجوء ثم الصفاء ثم اللوالة ثم محادثة السرو هو الحلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والد كرقومه والرضا زاده والنوكل صاحبه ثم ينظر الله إليه فيرضه إلى العرش فيكون مقامه مقام حلة العرش ، وسئل أيضا عن قوله صلى الله عليه وسلم « التائب حبيب الله » فقال إنما يكون حبيبا إذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى - التائبون العابدون - الآية . وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيه ما يكرهه حبيبه ، والنفسد أن للتوبة ثمرتين إحداهما تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له . والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيبا وللتكفير أيضا درجات فبعضه نحو لأصل القلب بالسكينة وبعضه تخفيفه ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدبر بالحسنة وإن خلا عن حل عقدة الإصرار من أوائل الدرجات فليس يخلو عن الفائدة أصلا فلا ينبغي أن تظن أن وجودها كدها بل عرف أهل المشاهدة وأرباب القلوب معرفة لا ريب فيها أن قول الله تعالى - فمن يضل مثقال ذرة خيرا يره - صدق وأنه لا تخلو ذرة من الخير عن أثر كمالا تخلو شميرة تطرح في اليزان عن أثر ولو خلت الشعيرة الأولى عن أثر كانت الثانية مثلها ولكان لا يرجح اليزان بأعمال الذرات وذلك بالضرورة محال بل ميزان الحسنات يرجع بذرات الخير إلى أن يقل تفرق كفة السيئات فإياك أن تستعسر ذرات الطاعات فلا تأتينا وذرات للمعاصي فلا تنفيا كالمرأة الحرقاء تسكن عن النزل خلا بأنها لا تنفد في كل ساعة إلا على خط واحد وتقول أى غنى يحصل يحيط وما وقع ذلك في الثياب ولا تدرى للمعصية أن ثياب الدنيا اجتمعت خطا خطا وأن أجسام العالم مع اتساع أفطاره اجتمعت ذرة ذرة فاذن التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله أصلا بل أقول الاستغفار باللسان أيضا حسنة إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغية مسلم أو فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالاضافة إلى السكوت عنه وإنما يكون نقصانا بالاضافة إلى عمل القلب . ولذلك قال بعضهم لشخصه أبي عثمان القزويني : إن لسانى في بعض الأحوال يجرى بالذكر والقرآن وقاى غافل . فقال اشكر الله إذ استعمل جارة من جوارحك في الخير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعود الفضول وما ذكره حتى فإن تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من للمعاصي فمن تعود لسانه الاستغفار إذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه إلى مانعود فقال أستغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه إلى قول ما أحقك وما أقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة إذا حدث بظهور مبادئ الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان تعود بالله . وإذا تعود الفضول قال لعنه الله فبعض في إحدى الكلمتين وسلم في الأخرى وسلامته أثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة ما ماني قوله تعالى - إن الله لا يضيع أجر المحسنين - ومعاني قوله تعالى - وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما - فأنظر كيف ضاعفها إذ جعل الاستغفار في النفقة عادة اللسان حتى دفع بذلك العادة شر المعصيان بالنية واللحن والفضول هذا تضيف في الدنيا لأدنى الطاعات وتضيف الآخرة أكبر لو كانوا

إن كان متفرغا ليس له شغل في الدنيا يتنقل في أنواع العمل من الصلاة والتلاوة والذكر إلى وقت الضحى وإن كان ممن له في الدنيا شغل إما لنفسه أو لغيره فليضع حاجته ومهامه بعد أن يصلى ركعتين لخروجه من المنزل وهكذا ينبغي أن يفعل أبدا لا يخرج من البيت إلى جهة إلا بعد أن يصلى ركعتين ليقيه الله سوء الخرج ولا يدخل البيت إلا وصلى ركعتين ليقيه الله سوء الدخول بعد أن يصلى على من في المنزل من الزوجة وغيرها وإن لم يكن في البيت

يملكون - فأيك وأن تلج في الطاعات مجرد الآفات فتفر رغبتك عن المبادات فإن هذه مكيدة ورجها الشيطان بملعته على اللغزوين وخيل إليهم أنهم أرباب البصائر وأهل التفتن فغفوا والسرائر فأى خير في ذكرنا باللسان مع غفلة القلب فاقسم الخلق في هذه للسكيدة إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات . أما السابق فقال صدقت ياملون ولكن هي كلف حق أردت بها باطلا فلا جرم أعذبك مرتين وأرغم أشقك من وجهين فأضيف إلى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذي دأوى جرح الشيطان بشر الملح عليه . وأما الظالم للفرور فاستمر في نفسه خيلاء القطعة لهذه الدقة ثم هجر عن الإخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فأضعف الشيطان وتدلى بجمل غروره وجمت بينهما للشاركة والواقعة كما قيل : وافق شرن طبقه . واقفه فاعتقه . وأما للتقصد فلم يقدر على إرغامه بإشراك القلب في العمل وتظن لتقصان حركة اللسان بالاضافة إلى القلب ولكن اهتدى إلى كماله بالاضافة إلى السكوت والفضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير فكان السابق كالحنك الذي ذمت حيا كنهه قركها وأصبح كاتباً وظالم للخلق كالذي ترك الحياكة أصلاً وأصبح كناساً والمقتصد كالذي هجر عن الكتابة فقال لا أنكر مقدمة الحياكة ولكن الحائك ممنوم بالاضافة إلى الكاتب لا بالاضافة إلى الكناس فاذا هجرت عن الكتابة فلا ترك الحياكة وكذلك قالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير فلا تظن أنها تدم حركة اللسان من حيث إنه ذكر الله بل تدم غفلة القلب فهو يحتاج إلى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فإن سكنت عن الاستغفار باللسان أيضاً احتاج إلى استغفارين لا إلى استغفار واحد فهكذا ينبغي أن تفهم مذمباته وحمده ما يحمده وإلا جهلت معنى مقال القائل الصادق: حسنات الأبرار سيئات القريين. فإن هذه أمور ثبتت بالاضافة فلا ينبغي أن تؤخذ من غير إضافة بل ينبغي أن لا تستحق ذرات الطاعات والمعاصي ولذلك قال جعفر الصادق إن الله تعالى خبياً ثلاثاً في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقر من مبادئ فعله رضاه فيه وغضبه في معاصيه فلا تحقر من مبادئ فعله غضبه فيه وخبياً ولايته في عبادته فلا تحقر من مبادئ فعله ولي الله تعالى وزاد خبياً إجابته في دعائه فلا تتركوا الدعاء فرحاً كانت الإجابة فيه .

(الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار)

اعلم أن الناس قسمان : شاب لاصبوه له نشأ على الخير واجتناب الشر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم «تعجب ربك من شاب ليست له صبوة» (١) وهذا عزيز نادر : والقسم الثاني هو الذي لا يغلو عن مقارفة الذنوب ثم هم يتسعمون إلى مصرين وإلى تابعين وغرضنا أن نبين العلاج في حل عقدة الإصرار ونذكر الدواء فيه . فاعلم أن شفاء التوبة لا يحصل إلا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الدواء إذا معنى للدواء إلا مناقضة أسباب الداء فكل داء حصل من سبب فالدواء حل ذلك السبب ورفعه وإبطاله ولا يبطئ الشيء إلا بضده ولا سبب للإصرار إلا الفلقة والشهوة ولا يضاد الغفلة إلا العلم ولا يضاد الشهوة إلا الصبر على قطع الأسباب المحركة للشهوة والغفلة رأس الخطايا قال تعالى - وأولئك هم العاقلون لاجرم أنهم في الآخرة هم الحاسرون - فلا دواء إذن للتوبة إلا معجون يسجن من حلاوة العلم وممرارة الصبر وكما يجمع السكتنجين بين حلاوة السكر وحموضة الحل ويقصد بكل منهما غرض آخر في العلاج يجمعونهما فيقطع الأسباب للهجة للصغراء فهكذا ينبغي أن تفهم علاج القلب مما به من مرض الإصرار فإذا نزل الدواء أصلاً : أحدهما العلم والآخر الصبر ولا بد من بينهما .

(١) حديث يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة .

أحد يعلم أيضاً يقول
السلام على عباد الله
الصالحين المؤمنين وإن
كان متفرطاً فأحسن
أشغاله في هذا الوقت
إلى صلاة الضحى الصلاة
فإن كان عليه قضاء
صلى صلاة يوم أو
يومين أو أكثر وإلا
قابل ركعات بطولها
وقرأ فيها القرآن فقد
كان من الصالحين من
يغتم القرآن في الصلاة
بين اليوم والليلة وإلا
فليصل أعدداداً من
الركعات خفية بفاحشة
الكتاب وقل هو الله
أحد وبآيات التي في
القرآن وفيها الدعاء
مثل قوله تعالى - ربنا
عليك توكلنا وإليك
أئبنا وإليك المصير -

فإن قلت أتنبه كل علم لحل الإصرار أم لا بد من علم مخصوص . فاعلم أن العلوم بجملة : دوية لأعراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه كما أن علم الطب نافع في علاج الأمراض بالجملة ولكن يخص كل علة علم مخصوص فكذلك دواء الإصرار . فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الأبدان ليكون أقرب إلى الفهم ، فقول : يحتاج المريض إلى التصديق بأمور : الأول أن يصدق على الجملة بأن للمرض والصحة أسبابا يتوصل إليها بالاختيار على مارتبه مسبب الأسباب وهذا هو الإيمان بأصل الطب فإن من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك وهذا وزانه أن نحن في الإيمان بأصل الشرع وهو أن للسعادة في الآخرة سببا هو الطاعة وللشقاوة سببا هو العصية وهذا هو الإيمان بأصل الشرائع وهذا لا بد من حصوله إما عن تحقيق أو تقليد وكلاهما من جملة الإيمان . الثاني أنه لا بد أن يعتقد المريض في طبيب معين أنه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يجبر عنه لا بلبس ولا يكذب فإن إيمانه بأصل الطب لا ينفعه بمجرد دون هذا الإيمان ، ووزانه مما نحن فيه العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والإيمان بأن كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف . الثالث أنه لا بد أن يصفى إلى الطبيب فيما يحمده من تناول الفواكه والأسباب للضرر على الجملة حتى ينطب عليه الخوف في ترك الاحتياك فتكون شدة الخوف باعثة على الاحتياك ووزانه من الدين الأصناف إلى الآيات والأخبار الشتملة على الترفع في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يأتي إلى صمعه من ذلك من غير شك واسترابة حتى يثبت بها لحوق التقوى على الصبر الذي هو الركن الآخر في العلاج . الرابع أن يصفى إلى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه في نفسه الاحتياك عنه ليعرفه أولا تفصيل ما يضره من أقواله وأحواله وما كوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتياك عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزانه من الدين أن كل عبد فليس يتبذل بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص أو ذنوب مخصوصة وإنما حاجته في الحال مرهقة إلى العلم بأنها ذنوب ثم إلى العلم بآفتها وقدر ضررها ثم إلى العلم بكيفية التوصل إلى الصبر عنها ثم إلى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم يختص بها أطباء الدين وهم العلماء الذين هم ورة الأنبياء فالعاصي إن علم عصيانه فقلبه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وإن كان لا يدري أن ما يرتكبه ذنب ضل العالم أن يعرف ذلك ، وذلك بأن يتكفل كل عالم باقليم أو بلدة أو محلة أو مسجد أو مشهد فيعلم أهله دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقهم عما يسعدهم ولا ينبغي أن يصبر إلى أن يسئل عنه بل ينبغي أن يتصدى لدعوة الناس إلى نفسه فاتهم ورقة الأنبياء والأنبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا فيرشدهم فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما أن الذي ظهر على وجهه رص ولا مرآة منه لا يعرف برصه مالم يعرف غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وى كل محلة قريبا متدينا يعلم الناس دينهم فان الحاق لا يولون إلا جهلا فلا بد من تبليغ الدعوة إليهم في الأصل والفرع والدنيا دار الرضى إذ ليس في بطن الأرض إلا ميت ولا على ظهرها إلا - قميم ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان والعلماء أطباء والسلاطين قوام دار الرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم إلى السلطان ليكشف شره كما يسلم الطبيب المريض الذى لا يحصى أو الذى غلب عليه الجنون إلى القيم ليقده بالسلاسل والأغلال ويكف شره عن نفسه وعن سائر الناس وإنما صار مرض القلوب أكثر من مرض الأبدان ثلاث علل : إحداهن أن المريض به لا يدري أنه مريض . والثانية أن عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن

وأمثال هذه الآية بقرأ
في كل ركعة آية منها
إما مرة أو يكررها
مهما شاء ويقدر
لطالب أن يصل بين
الصلاة التي ذكرناها
بعد طلوع الشمس
وصلاة الضحى مائة
ركعة خفيفة وقد كان
في الصالحين من ورده
بين اليوم واليلة مائة
ركعة إلى مائتين إلى
خمسمائة إلى ألف
ركعة ومن ليس
له في الدنيا شغل وقد
ترك الدنيا إلى أهلها
فما باله يسئل ولا ينتم
بخدمته الله تعالى . قال
- عبد بن عبد الله
التستري لا يكفل شغل
قلب عبد بالله الكريم
وله في الدنيا حاجة فإذا
ارتفعت الشمس

فإن عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه وما بهد للوت غير مشاهد وعاقبة الذنوب موت القلب وهو غير مشاهد في هذا العالم قللت البفرة عن الذنوب وإن عظمها مرتكبها فذلك تراه يتسكن على فضل الله في مرض القلب ويجهد في علاج مرض البدن من غير اتكال . والثالثة : وهو الداء الضال فقد الطيب فإن الأطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الأعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلة في عموم المرض حتى لا يظهر قصاتهم فاضطروا إلى إغواء الخلق والاشارة عليهم بما يزيد مرضا لأن الداء للهالك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الأطباء فمقدروا على تحدير الخلق منه استنكافا من أن يقال لهم لمبالسكم بأمورهم بالمعالج وتقصون أنفسكم فهذا السبب عم على الخلق الداء وعظم الوباء واظهر الداء وهلك الخلق لقد الأطباء بل اشتغل الأطباء بفنون الإغواء فليتهم إذ لم ينصحوهم بالمشورة وإذا لم يصلحوا لم يسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم إذا تكلموا لم يهجم في مواعظهم إلا ما يرغب المومنين ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون إلى ذلك إلا بالإرجاء وتخليب أسباب الرجاء وذكر لائل الرحمة لأن ذلك ألد في الأسماع وأخف على الطباع فتصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا من يد جراحة على الماصي ومزيد ثقة بفضل الله ومهما كان الطبيب جاهلا أو خائنا أهلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه فالرجاء والخوف دواء ولكن لشخصين متضادى العلة أما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالسكينة وكلف نفسه ما لا يطيق وضيق العيش على نفسه بالسكينة فتكسر سورة إسراره في الخوف بذكر أسباب الرجاء ليعود إلى الاعتدال وكذلك للمصر على الذنوب للشبهة للتوبة للمتنع عنها بحكم القنوط والياس استعظاما لذنوبه التي سبقت يعالج أيضا بأسباب الرجاء حتى يطعم في قبول التوبة فيتوب ، فأما معالجة القنوط للترور للترسل في الماصي بذكر أسباب الرجاء فيضاهي معالجة القنوط بالصبر طلبا للشفاء وذلك من دأب الجهال والأغبياء فاذن فساد الأطباء هي الفضلة الزائدة التي لا شغل الدواء أصلا . فإن قلت : فاذكر الطريق الذي يذوق أن يسلكه الواعظ في طريق الوعظ مع الخلق . فأقول أن ذلك بطول ولا يمكن استقصاؤه ، نعم نشير إلى الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهي أربعة أنواع : الأول أن يذكر مافي القرآن من الآيات المخوفة للذينين والماصين ، وكذلك ماورد من الأخبار والآثار مثل قوله صلى الله عليه وسلم « ما من يوم طلع فجره ولالة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول أحدهما : يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ، ويقول الآخر : يا ليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ، فيقول الآخر : يا ليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا علموا بما علموا ^(١) » وفي بعض الروايات « ليتهم تعلموا فذكروا ما علموا ، ويقول الآخر : يا ليتهم إذ لم يعلموا بما علموا تابوا عما علموا » وقال بعض السلف إذا أذنب البعد أمر صاحب الجبين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكن عليه عيب وإن لم يستغفر كتبها . وقال بعض السلف ما من عبدي صلي الاستاذن مكان من الأرض أن يخسف به واستاذن - فقه من السماء أن يسقط عليه كسفا ، فيقول الله تعالى للأرض والسماء كفيا عن عبدي وأمهلاه فانكلا لم تخلفاه ولو خلفناه لرحمتاه ولله يتوب إلى فأغفر له ولله يستبدل صالحا فأبدله له حسنات

(١) حديث ما من يوم طلع فجره ولالة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات فيقول أحدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا الحديث غريب لم أجده هكذا . وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف إن لله ملكا يتنادى في كل ليلة بأداء الأربعين زرع قد دنا حصاده الحديث وفيه ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فتعالوا بينهم فتذكروا الحديث .

وتتصف الوقت من صلاة الصبح إلى الظهر كما يتصف العصر بين الظهر والقررب يصلح الضحى فهذا الوقت أفضل الأوقات لصلاة الضحى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة الضحى إذا رخصت الفصال وهو أن ينام القسيل في ظل أمه عند حرّ الشمس . وقيل الضحى إذا ضجيت الأندام بحر الشمس وأقل صلاة الضحى ركعتان وأكثرها اثنتا عشرة ركعة ويجعل لنفسه دعاء بعد كل ركعة ثم ويسبح ويستغفر ثم بعد ذلك إن كان هناك

فذلك معنى قوله تعالى - إِنَّ اللَّهَ يَسْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زُلْزِلَا إِنْ أَسْكُمَا مِنْ
أَحَدٍ مِنْ بَدَاهُ - وفي حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه « الطابع معاق بقائمة العرش فإذا
انتبكت الحرمان واستحلجت الحارم أرسل الله الطابع فيطبع على القلوب بما فيها (١) وفي حديث
مجاهد « القلب مثل الكف للفتوحة كلما أذنب العبد ذنباً انقبضت أصبح حتى تنقبض الأصابع
كلها فيسند على القلب فذلك هو الطبع (٢) » وقال الحسن : « إِنَّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ حِدَا مِنْ
الْعَاصِي مَعَاوَا إِذَا بَلَغَ الْعَبْدَ طَبِيعَ اللَّهِ عَلَى قَلْبِهِ فَرَوْقُهُ بَعْدَهَا خَيْرٌ وَالْأَخْيَارُ وَالْأَثَارُ فِي دَمِ الْعَاصِي
وَمَدَحُ الثَّانِيْنَ لِأَنَّهُ يَنْصَحِي قَبْلِي أَنْ يَسْتَكْثِرَ الْوَاعِظُ مِنْهَا إِنْ كَانَ وَارِثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَانَّهُ مَا خَلَفَ دِينَارًا وَوَلَدَهَا إِلَّا مَا خَلَفَ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ وَوَرِثَهُ كُلَّ عَالِمٍ بِقَدَرِ مَا صَابَهُ (٣) .
النوع الثاني : حكايات الأنبياء والسلف الصالحين وما جرى عليهم من العاصب بسبب ذنوبهم فذلك
شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل أحوال آدم صلى الله عليه وسلم في عصيانه وما لقيه من
الخراج من الجنة حتى روى أنه لما أكل من الشجرة تطايرت الخلل عن جسده وبدت عورته
فاستجعا التاج والإكليل من وجهه أن يرتضا عنه فجاء جبريل عليه السلام فأخذ التاج عن رأسه
وحل الإكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش : اهبط من جوارى فانه لا يجاورني من عصائي
قال فانثنت آدم إلى حواء يا كيا وقال هذا أول شؤم للعصية أخرجتنا من جوار الحبيب. وروى أن
سليمان بن داود عليهما السلام لما عوقب على خطيئته لأجل القتال الذي عبد في داره أربعين يوما
وقيل لأن المرأة سألته أن يحكم لأبيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل أحب قلبه أن يكون الحكم لأبيها
على خصمه لمساكنها منه فسلم ملكه أربعين يوما فهرب تأمها على وجهه فكان يسأل بكفه فلا يعطى
فاذا قال أطمعوني فاني سليمان بن داود شج وطرد وضرب . وحكى أنه استظم من بيت لامرأته
فطردته وصقت في وجهه . وفي رواية أخرجت بهجوز جرة فيها بول فصنته على رأسه إلى أن أخرج
الله الحطم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الأربعين (أيام العقوبة) قال فجاءت الطيور فكفت على
رأسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله فاعتنر إليه بعض من كان جنى عليه
فقال لا ألوكم فيها فعلم من قبل ولا أحمكم في عذركم الآن إن هذا أمر كان من السماء ولا بد منه .
وروى في الاسرائيليات أن رجلا تزوج امرأة من بلدة أخرى فأرسل عبده ليحملها إليه فراودته
نفسه وطالبته بها فجاءها واستصم قال فنبأ الله بركة فتواء فكان نيا في بني إسرائيل وفي قصص
موسى عليه السلام أنه قال للخضر عليه السلام بم أطلعك الله على علم التيب قال تركي للعاصي
لأجل الله تعالى . وروى أن الربيع كانت تسير سليمان عليه السلام فنظر إلى قبره نظره وكان جدياً
فكانته أهجبه قال فوضعت الربيع فقال لم فعلت هذا ولم ترك ؟ قالت إنما نطعك إذا أطلعت الله .

حق يقضى مما ندب
إليه من زيارته وعبادة
يعفى فيه ولا يفديهم
العمل لله تعالى من غير
فتور ظاهره وباطنه
وقلباً وقالباً وإفياطانه
وترتيب ذلك أنه صلى
مادام مشغراً وقسمه
حجبة فان سم ينزل من
الصلاة إلى التلاوة فان
مجرد التلاوة أخف على
النفس من الصلاة فان
سم التلاوة أيضاً يذكر
الله بالقلب واللسان فهو
أخف من القراءة فان
سم الذكر يدع ذكر
اللسان ويلزم قلبه
المراقبة والمراقبة علم
القلب بنظر الله تعالى
إليه لما دام هذا العلم
مسلازماً لقلبه فهو
مراقب والمراقبة عين

(١) حديث عمر الطابع معاق بقائمة العرش فإذا انتبكت الحرمان فإذا انتبكت الحرمان فإذا انتبكت الحرمان
وابن حبان في الضمائم من حديث ابن عمر وهو منكر (٢) حديث مجاهد القلب مثل الكف
للفتوحة . قلت هكذا قال للصنف وفي حديث مجاهد وكأنه أراد به قول مجاهد وكذا ذكره المفسرون
من قوله وليس بمرفوع وقد رويناه في شعب الإيمان للبيهقي من قول حذيفة (٣) حديث أنه صلى
الله عليه وسلم ما خلف ديناراً ولادرها إنما خلف العلم والحكمة البخاري من حديث عمر بن الحرث
قال مترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته ديناراً ولادرها ولا عبداً ولا أمةً ولعلم من
حديث عائشة مترك ديناراً ولادرها ولا شاة ولا بيرا وفي حديث أبي بردة إن الأنبياء لم يورثوا
ديناراً ولادرها إنما ورثوا العلم الحديث وقد تقدم في العلم .

وروى أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام أتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف ؟ قال لا . قال انولك لإخوته - أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون - لم خفت عليه الذئب ولم ترجى ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له وتدري لم رددته عليك ؟ قال لا قال لأنك رجوتني وقلت - جئى الله أن يأتيهم جميعا - وبما قلت - اذهبوا فاحسبوا من يوسف وأخيه ولا تأمساوا - وكذلك لما قال يوسف لصاحب اللالك - اذكركنى عند ربك - قال الله تعالى - فأناشد الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين - وأمثال هذه الحكايات لا تنحصر ولم يرد بها القرآن والأخبار ورود الأهم بل الفرض بها الاعتبار والاستبصار لتعلم أن الأنبياء عليهم السلام لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم في الذنوب الكبار ، نعم كانت سماتهم في أن عوجلوا بالعقوبة ولم يؤخروا إلى الآخرة والأشقياء يمهلون ليزدادوا إثما ولأن عذاب الآخرة أشد وأكبر ، فهذا أيضا مما ينبغي أن يكثر جنبه على أسماع الصبر فانه نافع في تحريك دواعى التوبة . النوع الثالث : أن يقرر عندم أن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب وأن كل ما يصيب العبد من اللصاف فهو بسبب جناياته فرب عبد يتساهل في أمر الآخرة ويخاف من عقوبة الله في الدنيا أكثر لفرط جهله فينبغى أن يخوف به فان الذنوب كلها تجعل في الدنيا شؤمها في غالب الأمور كما حكى في قصة داود وسليمان عليهما السلام حتى إنه قد يضيق على العبد رزقه بسبب ذنوبه وقد تسقط منزلته من القلوب ويستولى عليه أعداؤه قال صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه (١) » وقال ابن مسعود إنى لأحسب أن العبد ينسى العلم بالذنوب يصيبه وهو معنى قوله عليه السلام « من قارف ذنبا فارق عقله لا يعود إليه أبدا (٢) » وقال بعض السلف ليست القلعة سوادا في الوجه ونقصا في السال إنما اللعنة أن لا تخرج من ذنب إلا وقت في مثله أو شر منه وهو كما قال لأن اللعنة هي الطرد والإبعاد فإذا لم يوفق للخير وسرله الشر فقد أبعد والخير من رزق التوفيق أعظم حرمان وكل ذنب فانه يدعو إلى ذنب آخر ويتضاعف فيجرم العبد به عن رزقه النافع من مجالسة العلماء للتكرين للذنوب ومن مجالسة الصالحين بل عقده الله تعالى ليعتقه الصالحون . وحكى عن بعض العارفين أنه كان عثى في الوحل جامعا ثيابه محترزا عن زلقة رجله حتى زلقت رجله وسقط ققام وهو يمشى في وسط الوحل ويكسى ويقول هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجهنبا حتى يقع في ذنب وذنبين فضعدها يغوص في الذنوب خوضا وهو إشارة إلى أن الذنوب تجعل عقوبته بالانجرار إلى ذنب آخر ولذلك قال الفضيل ما أنكرت من تغير الزمان وجفاء الإخوان فذنوبك ورثك ذلك وقال بعضهم إنى لأعرف عقوبة ذنبي في سوء خلقى حمارى وقال آخر أعرف التوبة حتى في قارى بيتى وقال بعض صوفية الشام نظرت إلى غلام نصرانى حسن الوجه فوقت أنظر إليه فمر بي ابن الجلاء الدمقى فأخذ يدي فاستجيت منه فقلت يا أبا عبد الله سبحانه الله تعجب من هذه الصورة الحسنة وهذه العنة المحسنة كيف خلقت للشار فتمز بدى وقال لتجدن عقوبتها بعد حين قال فعوقبت بها بعد ثلاثين سنة . وقال أبو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وقال لا يوفى أحد أصلا جماعة إلا بذنب يذنبه وفي الخبر « ما أنكرتم من زمانكم فيها غيرتم من أعمالكم (٣) » وفي الخبر « يقول الله تعالى إن أدنى ما صنع

الذكر وأفضله فان هجر
عن ذلك أيضا وعلمته
الوساوس وتراحم في
باطنه حديث النفس
فليتم في النوم السلامة
ولا فكترة حديث
النفس تقسى القاب
ككترة الكلام لأنه
كلام من غير لسان
فيحترز عن ذلك فان
سهل بن عبد الله أسوأ
للناس حديث النفس
والطالب يريد أن يعتبر
باطنه كما يعتبر ظاهره
فانه بحديث النفس
وما يتخيل له من ذكر
مامضى ورأى وصنع
كشخص آخر في باطنه
فيعيد الباطن بالمراقبة
والرعاية كالمقيد للظاهر
بالعمل وأنواع الذكر
ويمكن للطالب المحمد

(١) حديث إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه ابن ماجه والحاكم وصححه إسناده واللفظه إلا أنه قال الرجل بدل العبد من حديث ثوبان (٢) حديث من قارف ذنبا فارق عقله لا يعود إلا ما تقدم (٣) حديث ما أنكرتم من زمانكم فيها أنكرتم من أعمالكم البيهقي في الزهد من حديث أبي الدرداء

ولمجد إذا أثر شهوته على طاعتي أن أحرمه قديد مناجاتي (١) . وحكى عن أبي عمرو بن علوان في قصة يطول ذكرها قال فيها كنت قائما ذات يوم أصلي فقام قاي هوى طاولته فسكرتني حتى تولد منه شهوة الرجال فوقعت إلى الأرض واسود جسدي كله فاستترت في البيت فلم أخرج ثلاثة أيام وكنت أعالج غسله في الحمام بالصابون فلا يزداد إلا سوادا حتى انكشف بعد ثلاث فلقيت الجنيد وكان قد وجه إلى فأخصني من الرقة فلما أئتمته قال لي أما استحييت من الله تعالى كنت قائما بين يديه فساررت نفسك بشهوة حتى استولت عليك برقة وأخرجتك من بين يدي الله تعالى فولأاني دعوت الله لك وبميت إليه عنك فلقيت الله بذلك اللون قال فصبرت كيف علم بذلك وهو يمداد وأنا بالرق . واعلم أنه لا يذنب بالبعد ذنبا إلا ويسود وجه قلبه فإن كان سعيدا أظهر السواد على ظاهره ليترجر وإن كان شقيا أخفى عنه حتى ينهمك ويستوجب النار والأخبار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا من الفقر والمرض وغيره بل من شؤم الذنوب في الدنيا على الجملة أن يكسب ما بعده صفته فإن ابتلى بشيء كان غفوة له وبجرم جميل الرزق حتى يتضاعف شفاؤه وإن أصابته نعمة كانت استدراجا له وبجرم جميل الشكر حتى يحاقب على كفرانه وأما الطمع فمن بركة طاعته أن تكون كل نعمة في حقه جزءا على طاعته وبوفى لشكرها وكل بلية كفرارة لذنوبه وزيادة في درجاته . النوع الرابع : ذكر ماورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد وكل ذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير أهله وضع الدواء في غير موضعه بل يذم أن يكون العالم كالطبيب الخافق فيستدل أولا بالنفس والسحنة ووجود الحركات على العالم الباطنة ويشتمل بعلاجها فليستدل بقرائن الأحوال على خفايا الصفات وليتعرض لما وقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له واحد « أوصني يا رسول الله ولا تكثر على قال لا تنصب (٢) » وقال له آخر « أوصني يا رسول الله فقال عليه السلام عليك باليأس مما في أيدي الناس فإن ذلك هو التقى وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وصل صلاة مودع وإياك وما يتسدر منه (٣) » وقال رجل ل محمد بن واسع أوصني فقال أوصيك أن تكون مسلما في الدنيا والآخرة قال وكيف لي بذلك قال أزم الزهد في الدنيا فكأنه صلى الله عليه وسلم توسم في السائل الأول مخايل الغضب فبها عنه وفي السائل الآخر مخايل الطمع في الناس وطول الأمل وتخيل محمد بن واسع في السائل مخايل الحرص على الدنيا وقال رجل لمعاذ أوصني فقال كن رحيما كن لك بالجنة عز عيا فكأنه نفرس فيه آثار القضاطة والفاطة . وقال رجل لابراهيم بن آدم أوصني فقال : إياك والناس وعليك بالناس ولا بد من الناس فإن الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقي الناسنسان وما أراهم بالناس بل غمسون في ماء اليأس فكأنه نفرس فيه آفة الخالطة وأخبر عما كان هو الغالب على حاله وقته وكان الغالب ذاه بالناس والكلام على قدر حال السائل أولى من أن يكون بحسب حال القائل وكتب معاوية رحمه الله إلى عائشة رضي الله عنها أن اكتبي لي كتابا توصيني فيه ولا تكثري فكتبت إليه من عائشة إلى معاوية سلام عليك أما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

وقال غريب تفرد به هكذا العقيلي وهو عبد الله بن هاني . قلت : هو متهم بالكذب قال ابن أبي حاتم زوى عن أبيه أحاديث بواطيل (١) حديث يقول الله إن أدنى ما صنع بالبعد إذا أثر شهوته على طاعتي أن أحرمه للذة مناجاتي غريب لم أجده (٢) حديث قال رجل أوصني ولا تكثر على قال لا تنصب تقدم (٣) حديث قال له آخر أوصني قال عليك باليأس الحديث ابن ماجه والحاكم وقد تهمس .

أن يصلي من صلاة الضحى إلى الاستواء مائة ركعة أخرى وأقل من ذلك عشرون ركعة يصلها خفية أو يقرأ في كل ركعتين جزءا من التران أو أقل أو أكثر والنوم بعد الفراغ من صلاة الضحى وبعد الفراغ من أعداد آخر من الركعات حسن . قال سفيان كان يعجبهم إذا فرغوا أن يناموا طلبا للسلامة وهذا النوم فيه فوائد منها أنه يعين على قيام الليل ومنها أن النفس تستريح ويصفو القلب لبقية النهار والعمل فيه والنفس إذا استراحت عادت جديدة فبعد الإتيان

«من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس سخط الله برضا الناس وكفه الله إلى الناس» (١) والسلام عليك فانظر إلى قصتها كيف تعرضت الآلة التي تكون الولاية بسخطها وهي مراعاة الناس وطلب مرضاتهم وكتبت إليه مرة أخرى : أما بعد ؟ فائق الله فانك إذا أحببت الله كرهك الناس وإذا أحببت الناس لم ينفوا عنك من الله شيئا والسلام . فاذن على كل ناصح أن تكون عنانيته مصروفة إلى نفسك الصفات الخفية وتوسم الأحوال اللائقة ليكون اشتغاله بهمهم فان حكاية جميع مواظب الشرع مع كل واحد غير ممكنة والاشتغال بوعظه بما هو مستغن عن الترويض فيه تضيق زمان . فان قلت : فان كان الواقع يتشكك في جمع أوساؤه من لا يدري باطن حاله أن يعظه فكيف يعمل . فاعلم أن طريقته في ذلك أن يعظه بما يشترك كافة الخلق في الحاجة إليه إما على العموم وإما على الأكثر فان في علوم الشرع أغذية وأدوية فالأغذية للكافة والأدوية لأرباب الملل . ومثاله ما روي أن رجلا قال لأبي سعيد الخدري أوصني قال عليك بتقوى الله عز وجل فانها رأس كل خير وعليك بالمجاهدة فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقرآن فانه نور لك في أهل الأرض وذكر لك في أهل السماء وعليك بالصمت إلا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان . وقال رجل للحسن أوصني فقال أعز أمر الله عزرك الله . وقال لقمان لابنه يا بني زاحم العلماء برحمتك ولتجاهدكهم فيمحتوك وخذ من الدنيا بلاغك وأتفق فضول كسبك لأخركك ولا ترفض الدين لكل الرفض فتكون عيالا وعلى أعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلاتك فان الصلاة أفضل من الصوم ولا تجالس السفه ولا تغالط ذا الوجهين . وقال أيضا لابنه يا بني لاتضحك من غير عجب ولا تمس في غير أرب ولا تسأل عمالا ينيك ولا تضيق مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني إن من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير ينجى ومن يقل الشر يأتى ومن لا يملك لسانه يندم وقال رجل لأبي حازم أوصني فقال كل ما لوجاهك للوث عليه فأنت غنيمة فائز به وكل ما لوجاهك للوث عليه فأنت مصيبة فاتجنبه . وقال موسى الخضر عليهما السلام أوصني فقال كن بساما ولا تكن غضابا وكن نفاعا ولا تكن ضرارا وأزغ عن اللجاج ولا تعش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تهر الخطين غطايام وابك على خطيئتك يا ابن عمران . وقال رجل لعماد بن كرام أوصني فقال اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك وقال رجل لحامد اللخاف أوصني فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف للصنف أن تدنسه الآفات والمواعظ لا غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا إلا ما لا بد منه وترك كثرة الكلام إلا ما لا بد منه وترك مخالطة الناس إلا ما لا بد منه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : أما بعد ، فخف بما خوفك الله واحذر مما حذر لك الله وخذ مما في يديك لما بين يديك فعد للوث بآتيك الخير اليقين والسلام ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن يسأله أن يعظه فكتب إليه : أما بعد ، فان الهول الأعظم والأمور للفظات أمامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك إمام النجاة وإمام الطب ، واعلم أن من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجح ومن أطاع هواه ضل ومن حل غم ومن خاف أمن ومن آمن اعتبر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم فانذا زلت فارجع وإذا ندمت فأقلع وإذا جهلت فاسأل وإذا غضبت فأمسك . وكتب منظر بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أما بعد ، فان الدين أدار عتوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يفتر من لا علم عنده فكُن فيها بأمر المؤمنين كالمدوي جرحه يصير

(١) حديث عائشة من التمس رضا الناس بسخط الله وكفه الله إلى الناس الحديث الترمذي والحاكم وفي مسند الترمذي من لم يحسم .

من نوم النهار تجدد
في الباطن نشاطا آخر
وشفا آخر كما كان
في أول النهار فيكون
للصالح في النهار نهاران
يستمعها بخدمة الله
تعالى والدؤوب في العمل
وينبغي أن يكون
اتباعه من نوم النهار
قبل الزوال بساعة
حتى يتمكن من
الوضوء والطهارة قبل
الاستواء بحيث يكون
وقت الاستواء
مستقبل القبلة ذا كرا
أومسبحا أو تاليا قال الله
تعالى وأتم الصلاة طرفي
النهار وقال - فسبح
عبد ربك قبل طلوع
الشمس وقبل غروبها -
قيل قبل طلوع
الشمس صلاة الصبح

على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء . وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إلى عدى بن أرطاة أما بعد ، فإن الدنيا عدوة أولياء الله وعدوة أعداء الله فأما أوليؤه فضعفهم وأما أعداؤه فغرتهم . وكتب أيضا إلى بعض عماله : أما بعد ، فقد أمكنتك القدرة من ظلم النباد فإذا همت بظلم أحد فاذكر قدرة الله عليك ، واعلم أنك لا تأتي إلى الناس شيئا إلا كان زائلا عنهم باقيا عليك ، واعلم أن الله عز وجل أخذ للظالمين من الظالمين والسلام . فمكدا ينبغي أن يكون وعظا عاما ووعظا من لا يدري خصوص واقته فيهذ للواظ مثل الأغذية التي يشترك الكفاة في الانتفاع بها ولأجل فقد مثل هؤلاء الوعاظ انحم باب الانماط وغلبت الماصي واستشرى الفساد وبلى الحق . وعواظ يزخرفون أسجاعا وينشدون أياتا ويتكفون ذكر ما ليس في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فيسقط عن قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل إلى القلب بل القائل متصلف وللمستمع متكلف وكل واحد منهما مدير ومتخلف ، فاذن كان طلب الطبيب أول علاج الرضى وطلب العلماء أول علاج العاصين فهذا أحد أركان العلاج وأصوله . الأصل الثاني الصبر ووجه الحاجة إليه أن المريض إنما ياول مرضه لتناوله ما يضره وإنما يتناول ذلك إما لفتلته عن مضرته وإما لشدته غلبة شهوته فله سببان فإذا كرهناه هو علاج الفتلة فيبقى علاج الشهوة وطريق علاجها قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس . وحاصله أن للمريض إذا اشتدت ضرارته لما كوله مضر فطريقه أن يستشعر عظم ضرره ثم ينيب ذلك عن عينه فلا يحضره ثم يتسلى عنه بما يجرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصير قوة الحواف على الألم الذي يناله في تركه فلا بد على كل حال من مرارة الصبر فيكذلك يالح الشهوة في العاصي كالشباب مثلا إذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه ولا حفظ قلبه أو حفظ جوارحه في السعي وراء شهوته فينبغي أن يستشعر ضرر ذنبه بأن يستقرى المحفوظات التي جاءت فيه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا اشتد خوفه تباعد من الأسباب للبهجة للشهوة ومهيج الشهوة من خارج هو حضور الشهية والنظر إليه وعلاجه الحرب والعزلة ومن داخل تناوله لذلك الأطعمة وعلاجه الجوع والصوم الدائم وكل ذلك لا يتم إلا بصبر ولا يصبر إلا عن خوف ولا يخاف إلا عن علم ولا يعلم إلا عن بصيرة وانتكار أو عن جماع وتقليد فأول الأمر حضور مجلس الذكر ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل معصوف إلى السماع ثم التفكير فيه لتمام الفهم وينبعث من تمامه لا محالة خوفه وإذا قوى الحواف تيسر بمعونته الصبر وابتثت الدواعي لطالب العلاج وتوفيق الله وتيسره من وراء ذلك فمن أعطى من قلبه حسن الإصغاء واستشعر الحواف فائق وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسييسره الله تعالى ليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره الله للعسرى فلا يغنى عنه ما اشتغل به من مآل الدنيا معها هلك وتردى وما غنى الأثنياء إلا شريح طرق الهدى وإعناؤه الآخرة والأولى . فان قلت فقد رجح الأمر كله إلى الإيمان لأن ترك الذنب لا يمكن إلا بالصبر عنه والصبر لا يمكن إلا بمعرفة الحواف والحواف لا يكون إلا بالعلم والاعلم لا يحصل إلا بالتصديق بهظم ضرر الذنوب والتصدق بهظم ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الإيمان فكأن من أصر على الذنب لم يصبر عليه إلا لأنه غير مؤمن . فاعلم أن هذا لا يكون لفقد الإيمان بل يكون لضعف الإيمان اذ كل مؤمن من مصدق بأن للصيبة سبب البعد من الله تعالى وسبب العقاب في الآخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب أمور : أحدها أن العقاب للعود غيب ليس بمحاضر والنفس جبلت متأثرة بالحاضر فتأثرها بالموعود وضعيف بالمتانة إلى تأثرها بالحاضر . الثاني : أن الشهوات الباغية على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال أخذة بالحق وقد قوى ذلك واستولى عليها بسبب الاعتياد والإلف والعادة طبيعة خامسة والزروع عن

وقبل غروبها صلاة
الجمعة - ومن آناه
الليل فسبح - أراد
المشاء الأخيرة
- وأطراف النهار ساراد
الظهر وللغرب لأن
الظهر صلاة في آخر
الطرف الأول من
النهار وآخر الطرف
الآخر غروب الشمس
وفيها صلاة للغرب
فصار الظهر آخر
الطرف الأول وللغرب
آخر الطرف الآخر
فيستقبل الطرف الآخر
باليقظة والدكر كما
استقبل الطرف الأول
وقد عاد بنوم النهار
جديدا كما كان بنوم
الليل ويصل في أول
الزوال قبل السنة
والفرض أربع ركعات

الماجل لحوف الأجل شديد على النفس ولذلك قال تعالى - كلاب تحبون الماجة وتذرون الآخرة - وقال عز وجل - بل تؤثرون الحياة الدنيا - وقد عبر عن شدة الأمر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات »^(١) وقوله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى خلق النار لجبريل عليه السلام اذهب فانظر إليها فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فدخلها فحفا بالشهوات ثم قال اذهب فانظر إليها فنظر فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يبق أحد إلا دخلها، وخلق الجنة فقال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر إليها فنظر فقال وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها فحفا بالمكاره ثم قال اذهب فانظر إليها فنظر فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يدخل أحد »^(٢) فإذا كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متأخرا إلى المآل سيان ظاهرا في الاسترسال مع حصول أصل الإيمان فليس كل من شرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه مكذبا بأصل الطب ولا مكذبا بأن ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة قلبه وألم الصبر عنه ناجز فهوون عليه الأمل المنتظر. الثالث أنه مامن مذنب مؤمن إلا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وقد وعد بأن ذلك يجبره إلا أن طول الأمل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير في حيث رجاءه التوفيق لتوبة ربما يقدم عليه مع الإيمان. الرابع أنه مامن مؤمن موقن إلا وهو معتقد أن الذنوب لا توجب العقوبة إلا بما لا يمكن العفو عنها فهو يذنب وينتظر العفو عنها اتكالا على فضل الله تعالى فهذه أسباب أربعة موجهة للإصرار على الذنب مع بقاء أصل الإيمان، نعم قد يقدم الذنب بسبب خامس قدح في أصل إيمانه وهو كونه شاكا في صدق الرسل وهذا هو السكر كالذي يحذره الطبيب عن تناول ما يضره في المرض فان كان المحذر ممن لا يصدق فيه أنه عالم بالطب فيكذبه أو يشك فيه فلا يئلى به فهذا هو السكر. فان قلت لما علاج الأسباب الخمسة؟ فأقول هو السكر وذلك بأن يقرر على نفسه في السبب الأول وهو تأخر العقاب أن كل ما هو آت آت وأن غدا للناظرين قريب وأن اللوت أقرب إلى كل أحد من شركائه فما يدرى لهل الساعة قريب والتأخر إذا وقع صار ناجزا ويذكر نفسه أنه أبدا في دنياه يشب في الحال لحوف أمر في الاستقبال إذ يركب البحار ويقاسي الأسفار لأجل الريح الذي يظن أنه قد يحتاج إليه في ثاني الحال بل لو مرض فأخبره طبيب نصراني بأن شرب الماء البارد يضره ويسوقه إلى اللوت وكان الماء البارد ألد الأشياء عنده تركه مع أن اللوت ألم اللحظة إذا لم يخف ما جده ومفارقة الدنيا لا بد منها فكيف نسبة وجوده في الدنيا إلى عدمه أزالا وأبدافليظن كيف يبادر إلى ترك ملاذنه بقول ذي لم تهم معجزة على طبعه فيقول كيف يلقى بقل أن يكون قول الأنبياء للزويدين بالمعجزات عندي دون قول نصراني يدعى الطب لنفسه بلا معجزة على طبعه ولا يشهد له إلا عوام الخلق وكيف يكون عذاب النار عندي أخف من عذاب الأرض وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين ألف سنة من أيام الدنيا وهذا التذكر بينه وبالعالم للذة الثابتة عليه ويكافئ نفسه تركها ويقول إذا كنت لا أقدر على ترك لذاتي أيام العمر وهى أيام قلائل فكيف أقدر على ذلك أبد الآباد وإذا كنت لا أطيق ألم الصبر فكيف أطيق ألم النار وإذا كنت لا أصبر عن زخارف الدنيا مع كدورها وتنقصها وأمتزاج صفوها بكدرها فكيف أصبر عن نعم الآخرة وأما تسويف التوبة فيما لم يجال به بالسكر في أن كثر صياح أهل النار من التسويف لأن للسوف بين الأمر على ما ليس إليه وهو البقاء فلمه لا يبق وإن بقي

(١) حديث حفت الجنة بالمكاره الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث إن الله خلق النار فقال لجبريل اذهب فانظر إليها الحديث أبو داود والترمذي والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة وقدم فيه ذكر الجنة.

بسهولة واحدة كان
يصلها رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهذه
صلاة الزوال قبل الظهر
في أول وقتها وبحاج
أن يراعى لهذه الصلاة
أول الوقت بحيث
يفطن لوقت قبل
للمؤذين حين يذهب
وقت الصلوة رهيبة
بالاستواء فيشعر في
صلاة الزوال ويسمع
الأذان وقد توسط
هذه الصلاة ثم يستعد
لصلاة الظهر فان وجد
في باطنه كدرا من
عاطلة أو محالسة
اتفقت يستغفر الله
تعالى ويشفع إليه
ولا يشرع في صلاة
الظهر إلا بعد أن يجد
الباطن غائلا إلى حاله

فلا يقدر على الترك غذا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شمري هل عجز في الحال إلا لعلة الشهوة والشهوة ليست تشاركه غذا بل تضاعف إذ تتأكد بالاعتقاد فابست الشهوة التي أكدها الإنسان بالعادة كالتي لم يؤكدها وعن هذا هلك للسوقون لأنهم ينظنون الفرق بين الثابتين ولا ينظنون أن الأيام متشابهة في أن ترك الشهوات فيها أبدا شاق وماء مال السوف إلا منال من احتاج إلى قلع شجرة فراحا قوية لا تنقطع إلى بشقة شديدة فقال آخرها سنة ثم أعود إليها وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كالمطل عمره ازداد ضعفه فلا حماقة في الدنيا أعظم من حماقة إذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعفه فأخذ ينظر القلبة عليه إذا ضعف هو في نفسه وقوى الضعيف . وأما الثاني الرابع وهو انتظار غفران الله تعالى صلاحه ما سبق وهو كمن ينفق جميع أمواله ويترك نفسه وعياله فقراء منتظرا من فضل الله تعالى أن يرزقه العشر على كثر في أرض خربة فإن إمكان النفق عن الدين مثل هذا الامكان وهو مثل من يتوقع التوب من الظلمة في بلده وترك ذخائر أمواله في صحن داره وقدر على دفعها وإخفاها فلم يفعل وقال أنتظر من فضل الله تعالى أن يسلم غفلة أو عقوبة على الظالم الناهب حتى لا يتفرغ إلى داري أو إذا انتهى إلى داري مات على باب الدار فإن الموت ممكن والنفقة ممكنة . وقد حكى في الأسمار أن مثل ذلك وقع فأنا أنتظر من فضل الله مثله أنتظر هذا منتظر أمر ممكن ولكنه في غاية الحماقة والجبل إذ قد لا يمكن ولا يكون . وأما الخامس وهو شك فهذا كفر وعلاجه الأسباب التي تعرفه . صدق الرسل وذلك بطول ولكن يمكن أن يعالج بلم قريب يليق بحمد عقله فيقال له ما قاله الأنبياء للذين بالمعجزات هل صدقه يمكن أو تقول أعلم أنه محال كما أعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة فإن قال أعلم استحالة كذلك فهو آخرى معنوه وكأنه لا وجود لمثل هذا في العقلاء وإن قال أنا شك فيهِ فيقال لو أخبرك شخص واحد بمجهول عند تركك طعامك في البيت لحظة أنه ولست فيه حيلة وأنت صمها في وجوز صدقه فهل تأكله أو تركه وإن كان الله الأعظم فيقول أتركك لا محالة لأنني أقول إن كذب فلا يفتني إلا هذا الطعام والصبر عنه وإن كان شديدا فهو قريب وإن صدق فتفتني الحياة والموت بالإضافة إلى ألم الصبر عن الطعام وإضاوته شديدة فيقال له يا سبحان الله كيف تؤخر صدق الأنبياء كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة الأولياء والطهارة والحكام بل جميع أصناف العقلاء ولست أعني بهم جهال العوام بل ذوي الألباب عن صدق رجل واحد بمجهول لعل له غرضا فيما يقول فليس في العقلاء إلا من صدق باليوم الآخر وأثبت ثوبا وعقابا وإن اختلفوا في كيفية فإن صدقوا فقد أضررت على عذاب يبق أبدا الآباد وإن كذبوا فلا يؤتمك إلا بعض شهوات هذه الدنيا القانية للكسرة فلا يبق له توقف إن كان عاقلا مع هذا الفكر إذ لا نسبة لمدة العمر إلى أبدا الآباد بل لو قدرنا الدنيا مملوءة بالذرة وقدر ناطرا رايتم قطفي كل ألف سنة حبة واحدة منها لفنيت الذرة ولم ينقص أبدا الآباد شيئا فكيف يتم رأي الماقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لأجل سعادة تبقى أبدا الآباد ولذلك قال أبو العلاء أحمد ابن سليمان التوخي للمري :

قال النجم والطبيب كلاهما لا تبث الأموات قلت إليك

إن صرح قولك فليست بخاسر أو صرح قولك فالحسار عليك

ولذلك قال على رضى الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الأمور وكان شا كالن صمهاقات قد تخلصنا جميعا وإلا قد تخلصت وهلكت أى الماقل يسلك طريق الأمن في جميع الأحوال . فإن قلت هذه الأمور جليلة ولكمها ليست تنال إلا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستغفلته وما علاج القلوب لردّها إلى الفكر لاسيا من آمن بأصل الشرع وتفصيله . فاعلم أن المانع من الفكر

من الصفاء والآفات
حلاوة الناجاة لا بد أن
يجدوا صفو الأنس في
الصلاة وينسكرون
يسير من الاسترسال
في اللباس ويصير على
بواطنهم من ذلك عقد
وكدر وقد يكون ذلك
بمجرد الخاطلة والمجاسة
مع الأهل والولد مع
صكون ذلك عبادة
ولكن حسنات الأبرار
سيأت القرين فلا
يدخل الصلاة إلا
بصدق حل العقد
وإذهاب الكدر وحل
المقد بصدق الانابة
والاستغفار والتضرع
إلى الله تعالى ودواء
ما يحدث من الكدر
بمجالسة الأهل والولدان
أن يكون في مجالسته

أمران : أحدهما أن الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة وأهو الهادئ والهادئ هو حسرات العاصين في الحرمان عن النعيم القيم وهذا فكر لداغ مؤلم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر في أمور الدين على سبيل التفرج والاستراحة . والثاني أن الفكر شغل في الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات ومامن إنسان إلا وله في كل حالة من أحواله ونفس من أغصانه شهوة قد ملطت عليه واسترقت نصار عقله مسخرا لشهوته فهو مشغول بتدبير حياته وصارت لذته في طلب الحيلة فيه أو في مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك . وأما علاج هذين للناجين فهو أن يقول لقلبي ما أشد غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما جده تألما بذكره مع استحقار ألم مواقفه فكيف تصبر على مقاماته إذا وقع وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما يصد وتآلم به وأما الثاني وهو كون الفكر مغفوا لذات الدنيا فهو أن يتحقق أن قوات لذات الآخرة أشد وأعظم فاتها لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سرعة الدور وهي مشوبة بالمكدرات لما فيها لذة صافية عن كدر وكيف في التوبة عن المصاعب والإقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمرقته وطاعته وطول الأُنس به ولو لم يكن المطيع جزاء على عمله إلا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الأُنس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافيا فكيف بما ينضاف إليه من نعيم الآخرة ، نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ولكنها بعد ما يصير عليها مدة مديدة وقد صار الخير ديدنا كما كان الشر ديدنا فالنفس قابلة لما عودتها تعود والخير عادة والشر لاجبة ، فاذن هذه الأفكار هي للوجهة للخوف المهيج لقوة الصبر عن الذات ومهيج هذه الأفكار وعظ الوعاظ وتذبيات تنفع للقلب بأسباب تتفق لا تدخل في الحصر فيصير الفكر موقفا للطبع فيقبل القلب إليه ويبر عن السبب الذي أوقع للواقعة بين الطبع والفكر الذي هو سبب الخير بالتوفيق إذ التوفيق هو التأليف بين الإرادة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الآخرة وقد روي في حديث طويل أنه قام معمار بن ياسر فقال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الكفر على ما ذابني ، فقال على رضي الله عنه بفي على أربع دعائم : على الجفاء والمعنى والنفقة والشك ، فمن جفا احتار الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمى نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد ومن شك غرته الأمانى فأخذته الحسرة والدامه وباد له من الله ما لم يكن يحسب ، فما ذكرناه بيان لبعض آفات النفقة عن الفكر وهذا القدر في التوبة كاف وإذا كان الصبر ركنا من أركان دوام التوبة فلا بد من بيان الصبر فذكره في كتاب مفرد إن شاء الله تعالى .

﴿ كتاب الصبر والشكر ﴾

(وهو الكتاب الثاني من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله أهل الحمد والثناء ، التفرد براءه الكبرياء ، التوحد بصفات الجهد والملاء ، للتوحد صفوة الأولياء بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلا والنعماء . والصلاة على محمد سيد الأنبياء وعلى أصحابه بسادة الأصفاء وعلى آله قادة البررة الأتقياء صلاة عروسه بالدوام عن الفناء ، ومصونة بالتعاقب عن التصرم والانتفاء [أما بعد] فإن الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر ^(١) كما وردت به الآثار وشهدت له الأخبار وما أيضا وصفان من أوصاف الله تعالى وإيمان من أحماله الحسن إذ صمى نفسه صبوراً وشكراً فاجلهم بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الإيمان ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن

﴿ كتاب الصبر والشكر ﴾

(١) حديث الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من

غير ركن إليهم كل الركون بل يسترق القلب في ذلك نظرات إلى الله تعالى فتكون تلك النظرات كفارة لتلك المجالسة إلا أن يكون قوى الحال لا يجبهه الخلق عن الحق فلا ينقد على باطنه عقدة فهو كما يدخل في الصلاة لا يجدها ويجد باطنه وقلبه لأنه حيث استروحت نفس هـا إلى المجالسة كان استرواح نفسه مغفرا وخالط وعين ظاهره ناظرة إلى الخلق وعين قلبه مطالعة للحضرة الإلهية فلا يتعد على باطنه عقدة وصلاة

ولا سبيل إلى الوصول إلى القرب من الله تعالى إلا بالإيمان وكيف يتصور سلوك سبيل الإيمان دون معرفة ما به الإيمان ومن به الإيمان والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الإيمان وعن إدراك ما به الإيمان فما أحوج كلا الشطرين إلى الإيضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخر إن شاء الله تعالى . الشطر الأول في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الإيمان وبيان اختلاف أقسامه باختلاف متعلقاته وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة إلى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده إن شاء الله تعالى .

(بيان فضيلة الصبر)

قد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في ثيف وسبعين موضعا وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل - وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا - وقال تعالى - وتعت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا - وقال تعالى - ولننجزي الذين صبروا أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون - وقال تعالى - وأولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا - وقال تعالى - لعابقي الصابرون وأجرهم غير حساب فإيمان قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر ولأجل كون الصوم من الصبر وأنه نصف الصبر قال الله تعالى (الصوم لي وأنا أنجز به) فأضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بأنه معهم فقال تعالى - واصبروا إن الله مع الصابرين - وعلق النصرة على الصبر فقال تعالى - بل إن تصبروا وتقتوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين - وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لتبرهم فقال تعالى - أولئك عليهم صلات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون - فالهدى والرحمة والصلاة مجموعة للصابرين واستقصاه جميع الآيات في مقام الصبر يطول . وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم « الصبر نصف الإيمان ^(١) » على ما سأتى وجه كونه نصفاً وقال صلى الله عليه وسلم « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاتته من قيام الليل وصيام النهار ولأن تصبروا على ما أتم عليه أحب إلى من أن يوافي كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني أخاف أن تفتن عليكم الدنيا بعدى فينكر بضعكم بضعاً وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكامل ثوابه ثم قرأ قوله تعالى - ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولننجزي الذين صبروا وأجرهم ^(٢) » الآية وروى جابر أنه سئل ^(٣) عن الإيمان فقال « الصبر والسباحة ^(٤) » وقال أيضاً « الصبر كزمن كنوز الجنة ^(٥) » ومثل مرة « ما الإيمان فقال الصبر ^(٥) » وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم « الحج عرفة ^(٦) » معناه معظم الحج عرفة رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف (١) حديث الصبر نصف الإيمان أبو نعيم والطبيب من حديث ابن مسعود وتقدم في الصوم (٢) حديث من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث بطوله تقدم في العلم مختصراً ولم أجده هكذا بطوله (٣) حديث جابر سئل عن الإيمان فقال الصبر والسباحة الطبراني في معارج الأخلاق وابن حبان في الضعفاء وفيه يوسف بن محمد بن النكدر ضعيف ورواه الطبراني في الكبير من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده (٤) حديث الصبر كزمن كنوز الجنة غريب لم أجده (٥) حديث سئل مرة عن الإيمان فقال الصبر أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً بالصبر عن الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ويزيد ضعيف (٦) حديث الحج عرفة تقدم في الحج .

الزوال التي ذكرناها
تحل السعد وتبني
الباطن صلاة الظهر
فيقرأ في صلاة الزوال
بمقدار سورة البقرة
في النهار الطويل وفي
القصر ما ينيسر من
ذلك قال الله تعالى :
وعشاي حين تظهرون -
وهذا هو الإظهار
انتظر بسد السنة
حضور الجماعة للفرض
وقرأ الدعاء الذي بين
الريضة والسنة من
صلاة الفجر لحسن
وكذلك ماورد أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعا به إلى
صلاة الفجر ثم إذا
فرغ من صلاة الظهر
يقرأ الفاتحة وآية
الكرسى ويسبح

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم «أفضل الأعمال ما كرهت عليه النفوس» (١) «وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام تخلق بأخلاقى وإن من أخلاقى أنى أنا الصبور وفى حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنصار فقال «أه فى منون أتم؟» فسكتوا فقال عمر بن الخطاب لرسول الله قال ومعاملة إيمانكم قالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء وترضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب السكينة» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «فى الصبر على ما تكره خير كثير» (٣) وقال المسيح عليه السلام : إنكم لتدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين» (٤) والأخبار فى هذا لا تعدى . وأما الآثار : فقد وجد فى رسالة عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى عليك الصبر واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر : الصبر فى المصائب حسن وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى . واعلم أن الصبر ثلاثة الأيمان وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر والى كرم الله وجهه . بنى الإيمان على أربع دعائم : اليقين والصبر والجهد والعدل . ولة أيضا الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جد بدن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : نعم المدللان ونعمت الملاوة للصابرين بنى بالمدلين الصلاة والرحمة وبالملاوة الهدى والملاوة ما محمد فوق العدلين على الصبر وأشار به إلى قوله تعالى - أولئك عظيم أجرهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون - وكان حبيب بن أبى حبيب إذا قرأ هذه الآية - إننا وحدنا صابرين ثم البدين أو أبى بكرى وقال وجهه أعطى وأنى أى هو المعطى للصبر وهو لائق . وقال أبو البراءة ذرورة الإيعان الصبر للحكم والرضا بقدر هذا بيان فضيلة الصبر من حيث الثقل وأما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا تنفعه إلا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناها ذرورة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة للأوصاف فلنذكر حقيقة ومعناه وبالله التوفيق .

(بيان حقيقة الصبر ومعناه)

اعلم أن الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين إنما تنظم من ثلاثة أمور : معارف وأحوال وأعمال فالمعارف هى الأصول وهى تورث الأحوال والأحوال تورث الأعمال فالمعارف كالأشجار والأحوال كالأغصان والأعمال كالثمار وهذا مطرد فى جميع منازل السالكين إلى الله تعالى واسم الإيمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق على الكل كاذكرناه فى اختلاف اسم الإيمان والاسلام فى كتاب قواعد العقائد وكذلك الصبر لا يتم إلا بمعرفة سابقة ومعالجة قائمة فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمره صدر عنها ولا يعرف هذا إلا بمعرفة كافية الترتيب بين اللائكة والإنس والهائم فإن الصبر خاصية الإنس ولا يتصور ذلك فى الهائم واللائكة أما فى الهائم فلتنقصاتها . وأما فى اللائكة فلكمالها ويانه أن الهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون إلا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة فى مقابلة مقتضى الشهوة صبرا . وأما اللائكة

(١) حديث أفضل الأعمال ما كرهت عليه النفوس لأصل له مرفوعا وإنما هو من قول عمر بن عبد العزيز هكذا رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب محاسبة النفس (٢) حديث عطاء عن ابن عباس دخل على الأنصار فقال مؤمنون أتم؟ فسكتوا فقال عمر بن الخطاب لرسول الله الحديث الطبرانى فى الأوسط من رواية يوسف بن ميمون وهو منكر الحديث عن عطاء (٣) حديث فى الصبر على ما تكره خبر كثير الترمذى من حديث ابن عباس وقد تقدم (٤) حديث لو كان الصبر رجلا لكان كريما الطبرانى من حديث عائشة وفيه صحيح بن دينار ضعفه القبلى .

وبحمد وبكبر ثلاثا وثلاثين كما وسفنا ولو قدر على الآيات كلها إلى ذكرناها بعد صلاة الصبح وعلى الأدعية أيضا كان ذلك خيرا كثيرا وفضلا عظيما ومن له حمة ناضجة وعزيمة صادقة لا يستكثر شيئا لله تعالى ثم يحيى بسين الظهر والصبر كما يحيى بين الشاميين على الترتيب الذى ذكرناه من الصلاة والتلاوة والذكر والراقبة ومن قام سهرة ينال نومة خفيفة فى النهار الطويل بين الظهر والصبر ولو أحيا بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ فيها ربع القرآن

عليهم السلام فأنهم جردوا للشوق إلى حضرة الربوية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلب عليهم شهوة صارفة صادرة عنها حق محتاج إلى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بمجد آخر يغلب السوارف . وأما الإنسان فإنه خلق في ابتداء الصبا ناقصاً مثل البهيمة لم يخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي هو محتاج إليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة الذكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة ، إذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد متضاتهما ومطالبتها وليس في الصبر إلا جند الهوى كما في البهائم ولكن الله تعالى بفضل وسعة جوده أكرم بني آدم ورفع درجاتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين : أحدهما يهديه والآخر يقويه تمييز بمونة للملكين عن البهائم ، واختص بصفتين : إحداهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ومعرفة الصالحات المتعاقبة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي إليه الهداية والتعريف ، فالهيمة لمعرفة لها ولاهداية إلى مصاحبة العواقب بل إلى مقتضى شربها في الحال فقط فلهذا لا تطلب إلا اللذنيذ . وأما الدواء النافع مع كونه مضراً في الحال فلا تطلبه ولا تفرقه فصار الإنسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له منيات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية بما تمسك له قدرة على ترك ما هو مضر فحكم من مضى يصره الإنسان كالمرض النازل به مثلاً ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر إلى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكاً آخر يسنده ويؤيده ويقويه بمجنود لم تروها وأمر هذا الجند يقال جند الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى ذلك بحسب إمداد الله تعالى عبده بالتأييد كأن نور الهداية أيضاً يختلف في الخلق اختلافاً لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الإنسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعتبار دينها ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى وليفهم أن القتال قائم بين باعث الدين و باعث الهوى والحرب بينهما سجل ومعرفة هذا القتال قلب العبد ، ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ، ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى ، فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة ، فإن ثبت حق قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين وإن تخاذل وضعف حق غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق بأتباع الشياطين ، فإذا ترك الأفعال المشبهة بعمل يصره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مغالبة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال تضرعها للفرقة بمداواة الشهوات ومضادتها لأسباب السعادات في الدنيا والآخرة فإذا قوى فينه أعنى للفرقة التي تسمى إيماناً وهو اليقين بكون الشهوة عدواً قاطعاً للطريق إلى الله تعالى قوى ثبات باعث الدين وإذا قوى ثباته تمت الأفعال على خلاف ما تنافضه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الأخوة باعث الدين للضاد باعث الشهوة وقوه للفرقة والاعتماد بتبجح منية الشهوات وسوء غايتها وهذان للسلطان هما للتفكران بهذين الجنسين بادن الله تعالى وتسخيره إياهما . وهما من السكرام الكائين وهما للسلطان للوكلان بكل شخص من الآدميين . وإذا عرفت أن رتبة الملك الهادي أعلى من رتبة الملك القوي لم يغف عليك أن جانب اليمين هو الذي أشرف الجانبين من جنبي الست ، ينبغي أن يكون مسلماً له فهو إذن صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال . وللعبد طوران في الفعلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالفعلة معرض عن صاحب اليمين ومضى إليه فيكتب أعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب إقباله له حسنة وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسيء إليه فيثبت عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيثبت له به حسنة وإنما ثبتت هذه الحسنات والسيئات بأثباتها فلهذا سماها كراماً

أوبقاً ذلك في أربع ركعات فهو خير كثير وإن أراد أن يحيى هذا الوقت بمائة ركعة في النهار الطويل أمكن ذلك أو بعشرين ركعة يقرأ فيها قل هو الله أحد ألف مرة في كل ركعة خمسين ويستاك قبل الزوال إذا كان صائماً وإن لم يكن صائماً فأى وقت تخير فيه التيمم . وفي الحديث : السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعند القيام من القرائن يستحب قبل أن الصلاة بالسواك : ضل على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفاً ، وقيل هو خبر وإن أراد أن يقرأ بين

كاتين أما الكرام فلا تنفع العبد بكرمهما ولأن لللائكة كلهم كرام بررة وأما الكاتبون فلا ينفعهم الحسنات والسيئات وإنما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فاتها وكتبتهما وخطهما وصحافتها وجملة ما تعلق بهما من جملة عالم اليب واللكوت لأن عالم الشهادة وكل شيء من عالم لللكوت لا تدركه الأبصار في هذا "الملم" تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى وأتى بالقيامة الصغرى حالة للوثة إذ قال صلى الله عليه وسلم "من مات فقد قامت قيامته" (١) وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال - ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة - وفيها يقال - كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً - أما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملا من الخلق وفيها يساق الثقلون إلى الجنة والمجرمون إلى النار زمراً لا آحاداً والمولود الأول هو مولد القيامة الصغرى ولجميع أهوال القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الأرض مثلاً فإن ارتكبت الخاصة بك زلزلة في الوت فانك تعلم أن الزلزلة إذا زلزلت يهتة صدق أن يقال قد زلزلت أرضهم وإن لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الإنسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه لأنه إنما ينشأ عند زلزلة جميع الأرض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فخصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان . واعلم أنك أرضى عنقوك من التراب وحطك الخاص من التراب بذلك قططاً ما بدت غيرك فليس يحطك والأرض التي أنت جالس عليها بالإضافة إلى بدتك طرف ومكان وإنما تخاف من زلزلة أن يتزلزل بدتك بسببه وإلا فالهواء أبداً متزول وأنت لا تخشاه إذ ليس يتزلزل به بدتك فخطك من زلزلة الأرض كلها زلزلة بدتك قطع فهمي أرضك وتزأرك الخاص بك وعظامك جبال أرضك ورأسك مماء أرضك وقلبك فمسي أرضك وجمجمك وبصرك وسائر خواصك نجوم ممالك ومفيض العرق من بدتك بحر أرضك وشعورك نبات أرضك وأطرافك أشجار أرضك وهكذا إلى جميع أجزائك فإذا أهدم بالوت أركان بدتك فقد زلزلت الأرض زلزالها فإذا انفصلت العظام من اللحوم فقد حملت الأرض والجبال فدكتنا دكة واحدة فإذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفاً فإذا أظلم قلبك عند اللوت فقد كورت الشمس تسكويراً فإذا بطل صممك وبصرك وسائر خواصك فقد انكدرت النجوم انكداراً فإذا انشقق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقاً فإذا انشجرت من هول اللوت عرق جبينك فقد فجرت البحار فنجراً فإذا التفت إحدى ساقيك بالأخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلاً فإذا فارت الروح الجسد فقد حملت الأرض ثلثت حتى ألقت ما فيها وتخلت ولسن أطول بجميع موازين الأحوال والأهوال ولكني أقول بمجرد اللوت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى ولا يغوتك من القيامة الكبرى شيء مما يحضرك بل ما يحضر غيرك فإن بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتشرت خواصك إلى بها تنتفع بالنظر إلى الكواكب والأعمى يستوى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لأنها قد كشفت في حقه دفعة واحدة وهو حصته منها فلا يجلاء بعد ذلك حصه غيره ومن انشقق رأسه فقد انشقت سماؤه إذ السماء عبارة عما يلي جهة الرأس فمن لا رأس له لا سما له فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هي القيامة الصغرى والخوف بعد أسفل والمولود بعد مؤخر وذلك إذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والأرض ولسفت الجبال ونمت الأهوال . واعلم أن هذه الصغرى وإن طولنا في وصفها فإننا لم نذكر عشر عشر أوصافها وهي بالنسبة إلى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة إلى الولادة الكبرى فإن للإنسان ولادتين إحداهما الخروج من السلب والتراتب إلى مستودع الأرحام (١) حديث من مات فقد قامت قيامته ابن أبي الدنيا في كتاب اللوت من حديث أنس بسند ضعيف.

الصلاتين في صلاته في
عشرين ركعة في كل
ركعة آية أو بعض آية
تقرأ في الركعة الأولى
- ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة
حسنة وثنا عذاب
النار - ثم في الثانية
- ربنا أفرغ علينا صبراً
وثبت أقدامنا وصبرنا
على القوم الكافرين -
ثم - ربنا لا تؤاخذنا
إلى آخر السورة ثم - ربنا
لا ترغ قلبنا - الآية ثم
- ربنا إنا صغنا نادياً
ينادي للإيمان - الآية
ثم - ربنا آتنا بصراً
أزلت - ثم - أنت
ولينا فاغفر لنا - ثم
- فاطر السموات
والأرض أنت ولي -
ثم - ربنا إنا نكلم

فهو في الرحم في قرار مكين إلى قدر معلوم وله في سلوكه إلى الكمال منازل وأطوار من نقطة وعلاقة مضمضة وغيرها إلى أن يخرج من مضيق الرحم إلى فضاء العالم فنسبة عموم القيامة الكبرى إلى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه البعد بالموت إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضا إلى الرحم بل أوسع وأعظم قس الآخرة بالأولى لما خلقكم ولا يشكم إلا كنفس واحدة وما النشأة الثانية إلا على قياس النشأة الأولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في اثنتين وإليه الإشارة بقوله تعالى - وننشئكم فيها لأمم ولون - فالمرء بالقيامتين مؤمن بآل الغيب والشهادة وموقن بالملك ولللكوت والقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين الموراء إلى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والافتقار بالأعور الدجال ، فما أعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يدك هذه الأحوال فإن كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال أقل تكليفك دلالة القيامة الصغرى أو ماصمت قول سيد الأنبياء « كفى بالموت واعظا ^(١) » أو ماصمت بكره عليه السلام عند الموت حتى قال صلى الله عليه وسلم « اللهم هون على محمد سكرات الموت ^(٢) » أو ماستسنى من استبطائك هجوم اللوت اقتدار رعا العالمين الذين لا ينظرون إلا الصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون فيأتيهم المرض نذيرا من اللوت فلا ينجرون ويأتيهم الشيب رسولا مه فما يجترون فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون أفطنون أنهم في الدنيا خالون أو لم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم لهم لا يرجعون أم يحسبون أن اللوت صافروا من عندهم فهم معدومون كلا إن كل ما جمع لدينا محضرون ولكن ماتأتهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين وذلك لأننا جعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ولترجع إلى الغرض فإن هذه تلويحات تشير إلى أمور هي أعلى من علوم العامة . فنقول قد ظهر أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه للقاومة من خاصة الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكائنين ولا يكتبان شيئا على الصبيان والمجانين إذ قد ذكرنا أن الحسنه في الإقبال على الاستفادة منهما والسئته في الإعراض عنهما وما للصبيان والمجانين سبيل إلى الاستفادة فلا تصور منهما إقبال وإعراض وهما لا يكتبان إلا الإقبال والإعراض من القادرين على الإقبال والإعراض ولعمري إنه قد تظهر مبادئ إشراق نور الهداية عند سن التمييز وتنمو على التدرج إلى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح إلى أن يطلع قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد إلى مضار الآخرة بل إلى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يعاقب على تركها في الآخرة ولا يكتب عليه من الصحائف ما ينشر في الآخرة بل على القيم العدل والولي البر الشفيق إن كان من الأبرار وكان على سمعت الكرام الكائنين البررة الأخيار أن يكتب على الصبي - يشته وحسنه على صحيفة قلبه فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالترغيب ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولي هذا سمته في حق الصبي قد ورث أخلاق اللائكة واستملها في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته اللائكة فيكون مع النبيين والصديقين وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم

ما تخفى وما نعلن - الآية ثم - وقل رب زدني علما - ثم - لا إله إلا أنت سبحانك - ثم - رب لا تدركني فرداك - ثم - وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - ثم - ربنا هب لنا من أزواجنا - ثم - رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين - ثم - يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور - ثم - رب أو زعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي - الآية من سورة الأحقاف ثم - ربنا اغفر لنا

(١) حديث كفى بالموت واعظا البيهقي في الشعب من حديث عائشة وفيه الريبع بن بدر ضعيف ورواه الطبراني من حديث عقبة بن عامر وهو معروف من قول الفضل بن عياض رواه البيهقي في الزهد (٢) حديث اللهم هون على محمد سكرات الموت الترمذي وقال غريب والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث عائشة بل فقط اللهم أعني على سكرات اللوت .

«أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة (١)» وأشار إلى أصميه الكريمين صلى الله عليه وسلم .

(بيان كون الصبر نصف الإيمان)

اعلم أن الإيمان تارة يختص في إطلاقه بالتصديقات بأصول الدين وتارة يختص بالأعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف أبواب وللأشمال أبواب ولاشئ لفظ الإيمان على جميعها كان الإيمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربيع العبادات ولكن الصبر نصف الإيمان باعتبارين وعلى مقتضى إطلاقين : أحدهما أن يطلق على التصديقات والأعمال جميعا فيكون للإيمان ركنان : أحدهما اليقين والآخر الصبر وللراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده إلى أصول الدين وللراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين يعرفه أن للعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك للعصية والوفاة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسمل فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال «من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر» الحديث إلى آخره . الاعتبار الثاني أن يطلق على الأحوال للثمرة للأعمال لا على المعارف وعند ذلك يتقسم جميع ما يلاقى العبد إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيها وله بالإضافة إلى ما يضره حال الصبر وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شطري الإيمان بهذا الاعتبار كأن اليقين أحد الشطرين باعتبار الأول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضى الله عنه الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقدير فاع أيضا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى تسمين . باعث من جهة الشهوة ، وبأعت من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيق والغضب للهروب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهى شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار «الصوم نصف الصبر» لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعى الشهوة ودواعى الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الإيمان فهكذا ينبغي أن نفهم تحذيرات الشرع بحدود الأعمال والأحوال ونسبته إلى الإيمان والأصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الإيمان فان اسم الإيمان يطلق على وجوه مختلفة .

(بيان الأسامي التي تجدد للصبر بالإضافة إلى ماعنه الصبر)

اعلم أن الصبر ضربان : أحدهما ضرب بدنى كتحمل للشاق بالبدن والثبات عليها وهو إما بالقول كتسامي الأعمال الشاقة إما من العبادات أو من غيرها وإما بالاحتجال كالصبر عن الضرب الشديد وللرض العظيم والجراحات المألمة وذلك قد يكون مجهودا إذا وافق الشرع ولكن المجهود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسى عن مشتبهات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب إن كان صبرا على شهوة البطن والفرج سمى عفة وإن كان على احتجال مكروه اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذى غلب عليه الصبر فان كان فى مصيبة اقتصر على اسم الصبر وقضاه حالة تسمى الجزع والمهلح وهو إطلاق داعى الهوى ليسترسل فى رفع الصوت وضرب الحدود وشق الجيوب وغيرها وإن كان فى احتجال النفس سمى ضبط النفس وقضاه حالة تسمى البطر وإن كان فى حرب ومقابلة سمى شجاعة وضاده الجبن وإن كان فى كظم التيط والغضب سمى حلا وضاده التذمر وإن كان فى نائمة من نواب الزمان مضجرة سمى سعة الصدر وضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وإن كان فى إخفاء كلام سمى كتمان السر وسمى صاحبه كئوما وإن كان عن فضول الميث سمى زهدا وضاده

(١) حديث أنا وكافل اليتيم كهاتين البخارى من حديث سهل بن سعد وتقدم .

ولاخواننا الدين -
الآية ثم - ربنا عليك
توكلنا - ثم سرب اغفر
لى ولوالدى ولمن دخل
يقى مؤمنا وللمؤمنين
وللؤمنات ولا تزد
الظالمين إلا تبارا -
مما يصل فليقرأ بهذه
الآيات وبالحفاظة على
هذه الآيات فى الصلاة
مراعاة القلب واللسان
وشك أن يرقى إلى
مقام الاحسان ولورد
فرد آية من هذه فى
ركعتين من الظهر أو
الصبر كان فى جميع
الوقت مناجيا لمولاه
وداعيا وتاليا وسليا
والدؤوب فى العمل
واستيعاب أجزاء النهار
بقدارة وحلاوة من
غير سامة لا يصح

الحرص وإن كان صبرا على قدر يسير من الحفظ ممي قناعة وإضاده الثراء فأكثر أخلاق
الايان داخل في الصبر ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الايمان قال «هو الصبر» لأنه أكثر
أعماله وأعزها كما قال «الحج عرفه»^(١) وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك ومسمى الكل صبرا قال تعالى
- والصابرين في البأساء - أي الصيبة - والضراء - أي الفقر - وحين البأس - أي المحاربة وأولئك
الذين صدقوا وأولئك هم المتقون - فاذن هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ للعاني من
الأسامى يظن أن هذه الأحوال مختلفة في ذواتها وحققاتها من حيث رأى الأسامى مختلفة فالذي
يسلك الطريق للمستقيم وينظر بنور الله يلحظ للعاني أولا فيقطع على حقائقها ثم يلاحظ الأسامى
فانها وضعت دالة على العاني فالعاني هي الأصول والأفانظهي التوابع ومن يطلب الأصول من التوابع
لا بد وأن يزل وإلى التفرعين الإشارة بقوله تعالى - أفمن ينشئ مكبيا على وجهه أهدى أمن يمشي
سويا على صراط مستقيم - فإن الكفار لم يزلوا فيها غلطوا فيه لا يثبتل هذه الانكساعات ، نسأل
الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه .

(بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف)

اعلم أن باعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى ثلاثة أحوال : أمدها أن يهر داعي الهوى فلا يتق
له قوة المنازعة ويتوصل إليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون إلى هذه الرتبة
هم الأقلون فلاجزم هم الصديقون للقرىون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهو لا يزلوا الطريق
للمستقيم واستنوا على الصراط القويم واطمأننت نفوسهم على مقتضى باعث الدين وإياهم ينادى المنادى
- يا أيها النفس الطمئة ارجعي إلى ربك راضية مرضية - . الحالة الثانية أن يخلب دواعي الهوى
وتسقط بالسكية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه إلى جند الشياطين ولا يجاهد لباسه من المجاهدة
وهؤلاء هم الغافلون وهم الأكثرون وهم الذين استرغم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكوا
أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى وأمر من أمور الله إليهم الإشارة بقوله تعالى
- ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين -
وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فغشرت صفقتهم وقيل لمن قصد إرشادهم - فأعرض عن
تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبطلهم من العلم - وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط
والغرور بالأمانى وهو غاية الخلق كما قال صلى الله عليه وسلم والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الوآء والأحق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله^(٢) وصاحب هذه الحالة إذا وعظ قال أنا مشتاق
إلى التوبة ولكنها قد تحدثت على فلست أطمع فيها أولم يكن مشتقا إلى التوبة ولكن قال إن
أف غفور رحيم كريم فلاحاجة به إلى توبتي وهذا السكين قد صار عقله رقيقا لشبوته فلا يستعمل
عقله إلا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل إلى قضاء شهوته قد صار عقله في بدشهوته كسليم
أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخجور وحملها وعمله عند الله تعالى
محل من يهقر مسلما ويسله إلى الكفار ويجعله أسيرا عندهم لأنه فباحش جنايته يشبه أنه سخر
ما كان حقه أن لا يستسخر وسلط ماحقه أن لا يسلط عليه وإنما استحق السليم أن يكون متسلطا
لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وإنما استحق الكافر أن يكون مسلطا عليه لما فيه من الجهل
بالدين وباعث الشياطين وحق للمسلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه فلهما سخر للنفس الشريف

إلا بعد تزكت نفسه
بكمال التقوى
والاستقصاء في الزهد
في الدنيا واترعه منه
متابعة الهوى ومقبق
على الشخص من
التقوى والزهو الهوى
بقية لا يدوم روحه في
العمل بل ينشط وقتا
ويسأم وقتا ويتأوب
النشاط والكسل فيه
لبقاء متابعة شيء من
الهوى بقصان تقوى
أوحية دنيا وإذا صح
في الزهد والتقوى فإن
ترك العمل بالجوارح
لا يخر عن العمل بالقلب
لمن رام دوام الروح
واستعلاء الذنوب في
العمل فعليه بحسم مادة
الهوى والهوى روح
النفس لا يزول ولكن

(١) حديث الحج عرفة أصحاب السنن من حديث عبد الرحمن بن يعمر وتقدم في الحج

(٢) حديث الكيس من دان نفسه الحديث تقدم في ذم الغرور .

الذى هو من حزب الله وجند اللاتسكة للمعنى الحسيس الذى هو من حزب الشياطين المبدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلماً لكافر بل هو كمن قصد للثبات على فخذ أعز أولاده وسله إلى أبض أعدائه فانظر كيف يكون كفرانه نعمته واستجابته لنعمته لأن الهوى أبض إله عبد في الأرض عند الله تعالى والعقل أعز موجود خلق على وجه الأرض . الحالة الثالثة أن يكون الحرب سجالات بين الجندين فخارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يعد مثله لامن الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق إليه أيضاً ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه : فانه إما أن يفلب جميع الشهوات أو لا يفلب شيئاً منها أو يفلب بعضها دون بعض وتزِيل قوله تعالى - خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً - على من هجز عن بعض الشهوات دون بعض أولى والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقاً يشبهون بالأنام بل هم أضل سبيلاً إذ البهمة لم تخلق لها العرفة والقدرة التي بها يجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق ذلك له وعطاه فهو الناقص حقاً للدرجتين ولذلك قيل :

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنعس القادرين على التمام

وينقسم الصبر أيضاً باعتبار اليسر والصبر إلى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بمجهود شديد ويسمى ذلك صبراً وإلى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بأدنى تحمل على النفس ونحس ذلك باسم الصبر وإذا دامت التقوى وقوى التصديق بما في العاقبة من الحسن تيسر الصبر ولذلك قال تعالى - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى - ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فان الرجل القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بأدنى حملة وأيسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعة إعياء ولا لقوب ولا يضطرب فيه نفسه ولا ينهر ولا يقوى على أن يصرع الشديد لا يتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود اللاتسكة وجنود الشياطين ومهما أذعنّت الشهوات واقتضت وساطت باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول اللواظبة أورد ذلك مقام الرضا كما سيأتى في كتاب الرضا فالرضا أعلى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير (١) » وقال بعض الصارفين أهل الصبر على ثلاثة مقامات : أولها ترك الشهوة وهذه درجة التائبين . وثانيها الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين . وثالثها المحبة لما يصنع بعموله وهذه درجة الصديقين وسنبين في كتاب المحبة أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على الصائب والبلايا . واعلم أن الصبر أيضاً ينقسم باعتبار حكمه إلى فرض وقيل ومكروه ومحرم . فالصبر عن المخطورات فرض وعلى المكروه قتل والصبر على الأذى المخطور محظور كمن قطع يده أو يد ولهم وهو صبر عليه ساكتاً وكن يقصد حرمه بشهوة محظورة فتجبر غيرته فيصبر عن إظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على أهله فهذا الصبر محرم والصبر للمكروه هو الصبر على أذى بناله بمجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع يحكم الصبر فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغي أن يخيل إليك أن جميع محمود بل المراد به أنواع من الصبر بخصوصة .

(بيان مظان الحاجة إلى الصبر وأن العبد لا يستغنى عنه في حال من الأحوال)

اعلم أن جميع ما يلبقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين : أحدهما هو الذى يوافق هواه .

(١) حديث اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير الترمذى من حديث ابن عباس وقد تقدم .

نزول متابته والهي

عليه السلام المستأذ

من وجود المسوى

ولكن استأذ من

متابته فقال « أعوذ

بك من هوى متبع »

ولم يستأذ من وجود

الشع فانه طليعة

النفس ولكن استأذ

من طاعته فقال « وشع

مطاع » ودقائق متابته

الهوى تتبين على قدر

صفاء القلب وعلو الحال

فقد يكون متبعاً للهوى

باستحالة محالة الخلق

ومكالمهم أو النظر

إليه وقد يتبع الهوى

بتجاوز الاعتدال في

النوم والأكل وغير

ذلك من أقسام الهوى

للتبع وهذا شغل من

ليس له شغل إلا في الدنيا

والآخر هو الذي لا يوافق به يكرهه وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الأحوال لا يخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما فهو إذن لا يستغنى قط عن الصبر . النوع الأول : ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة واللذات والجاء وكثرة العشرة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا وما أوحج العبد إلى الصبر على هذه الأمور فإنه إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون إليها والانهماك في ملاذها للباحة منها أخرجها ذلك إلى البطر والطغيان فإن الإنسان ليظن أن رآه استغنى حتى قال بعض العارفين : البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها إلا صديق . وقال سهل : الصبر على العافية أحد من الصبر على البلاء ولما تفتحت أبواب الدنيا على الصحابة رضى الله عنهم قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله - وقال عز وجل - إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم - وقال صلى الله عليه وسلم « الولد ميخلة مجنة عزنة (١) » . ولما نظر عليه السلام إلى ولده الحسن رضى الله عنه يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله - إنما أموالكم وأولادكم فتنة - إنى لما رأيت ابنى يتعثر لم أملك نفسى أن أخذته (٢) » . ففى ذلك عبرة لأولى الأبصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها أن لا يركن إليها ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده وعسى أن يسترجع على القرب وأن لا يرسل نفسه فى الفرج بها ولا ينهمك فى التمتع واللذة واللهو واللعب وأن يعزى حقوق الله فى ماله بالانفاق وفى بدنه يذل للعونة للخلق وفى لسانه يذل للصدق . وكذلك فى سائر ما أنعم الله به عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر كما سيأتى وإنما كان الصبر على السراء أشد لأنه مقرون بالقدره ومن العزمة أن لا تشتر والصبر على الحاجة والنفد إذا تولاها غيرك أيسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك والجامع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهاذا عظمت فتنة السراء . النوع الثانى مالا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصى ولا يرتبط باختياره كالصائب والنوائب أولا يرتبط باختياره ولكن له اختيار فى إزالة كالتشقى من المؤذى بالانتقام منه فهذه ثلاثة أقسام : القسم الأول ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التى توصف بكونها طاعة أو معصية وهما ضربان . الضرب الأول : الطاعة والعبد محتاج إلى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لأن النفس يطعمها تنفر عن العبودية وتشهى الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس إلا وهى مضمرة ما أظهره فرعون من قوله - أنا ربكم الأعلى - ولكن فرعون وجدله بما أقبل ولا فآظهره إذ استخف قومه فأطاعوه وما من أحد إلا وهو يدعى ذلك مع عبده وخادمه وأتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وإن كان مجتمعاً من إظهاره فإن استقامته وغيظه عند تقصيرهم فى خدمته واستبداده ذلك ليس يصدر إلا عن إضمار الكبر ومنازعة الربوبية فى رداء الكبرياء ؛ فإذن العبودية شاقة على النفس مطلقاً ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسببها جميعاً كالخج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ومحتاج للطبع إلى الصبر على طاعته فى ثلاث أحوال : الأولى قبل الطاعة وذلك فى تصحيح النية والاختلاص والصبر عن شوائب الرياء

ثم يصل العبد قبل العصر أربع ركعات فإن أمكنه تجديد الوضوء لكل فريضة كان أكل وأتم ولو اغتسل كان أفضل فشكل ذلك له أثر ظاهر فى تنوير الباطن وتكميل الصلاة وبقراء فى الأربع قبل العصر إذا زلزلت العادات والقارعة والمهاكم وصل العصر ويجعل من قراءته فى بعض الأيام والساعات البروج وصحمت أن قراءة سورة البروج فى صلاة العصر أمان من الدمايل ويقرأ بعد العصر ما ذكرنا من الآيات والهاو ما يتيسر له من ذلك فإذا صلى

(١) حديث الولد ميخلة مجنة عزنة أبو يعلى الوصلى من حديث أنى سعيد وتقدم (٢) حديث لما نظر إلى ابنه الحسن يتعثر فى قميصه نزل عن المنبر الحديث أمهات السنن من حديث بريده وقالوا الحسن والحسين وقال الترمذى حسن غريب .

ودواعي الآفات وعقد العزم على الاخلاص والوفاء وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة البلية والاخلاص وآفات الرياء ومكاييد النفس ، وقد نبه عليه صلوات الله عليه إذ قال « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى »^(١) وقال تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - ولهذا قدم الله تعالى الصبر على العمل ، فقال تعالى - إلا الذين سبوا وعملوا الصالحات - الحالة الثانية : حالة العمل كي لا يخلل عن الله في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويؤدوم على شرط الأدب إلى آخر العمل الأخير فيلازم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ ، وهذا أيضا من شدائد الصبر ولله الراد بقوله تعالى - نعم أجر العاملين الذين صبروا - أي صبروا إلى تمام العمل . الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر إليه بين السجب وعن كل ما يبطئ عمله ويحبط أثره كما قال تعالى - ولا تبطلوا أعمالكم - وكما قال تعالى - لا تبطلوا صدقاتكم بالبنّ والأذى - فمن لم يصبر بعد الصدقة عن البنّ والأذى فقد أبطل عمله . والطاعات تنقسم إلى فرض وقيل وهو محتاج إلى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله تعالى في قوله - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى - فالعدل هو الفرض ، والإحسان هو النفل ، وإيتاء ذى القربى هو للروعة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج إلى صبر . الضرب الثاني للمعاصي فما أوجع البعد إلى الصبر عنها ، وقد جمع الله تعالى أنواع المعاصي في قوله تعالى - وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وقال صلى الله عليه وسلم « المهاجر من هجر السوء ، والمجاهد من جاهد هواه »^(٢) والمعاصي مقتضى باعث الهوى . وأشد أنواع الصبر عن المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مأثوفة بالعادة فإن العادة طبيعة خامسة فإذا انضافت العادة إلى الشهوة تظاهر جندنان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها ، ثم إن كان ذلك الفعل مما يتيسر فله كان الصبر عنه أثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من النية والكذب والراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا . وأنواع اللزج للوذى للقلوب وضروب الكلمات التي يقصدها الأرزاء والاستحقاق وذكر اللوني والتدح فيهم وفي علوهم وسيرهم ومناصهم فإن ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس فلنفس فيه شومتان : إحداها نفي الغير والأخرى إثبات نفسه وبها تتم له الربوبية التي هي في طبيعه ، وهي ضد ما أمر به من العبودية ولا جتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معنادا في المحاورات يسر الصبر عنها ، وهي أكبر اللوبات حتى بطل استنساكها واستقباحها من القلوب لكثرة تكريرها وعموم الأتس بها قترى الانسان بلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في أعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ماورد في الخبر « من أن النية أشد من الزنا ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر عن ذلك فيجب عليه العزلة والابتراد »^(٣) فلا ينجيه غيره فالصبر على الاشراد أهون من الصبر على السكوت مع المخاطلة وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف دامية تلك المعصية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان حركة الخطاير باختلاج السواوس فلا جرم يبق

(١) حديث إنما الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (٢) حديث المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه ابن ماجه بالشرط الأول والنسائي في الكبرى بالشرط الثاني كلاما من حديث فضالة بن عبيد بساندين جيدين وقد تقدم (٣) حديث إن النية أشد من الزنا تقدم في آفات اللسان .

الصبر ذهب وقت التنفل بالصلاة وبق وقت الأذكار والتلاوة وأفضل من ذلك جمالة من يزهد في الدنيا ويسدد كلامه عرا التنوى من العلماء الزاهدين للتسكيبين بما يقوى عزائم المؤمنين فاذا نعت نية القائل والمستمع فهذه الجمالة أفضل من الاشراد وللاذكار على الأذكار وإن عدت هذه الجمالة وتصدرت فليترجح بالتنفل في أنواع الأذكار وإن كان خروجه لحوائجه وأمر معاشه في هذا الوقت يكون أفضل وأولى من خروجه

حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلاً إلا بأن ينال على القلب ثم آخر في الدين يستترقه
 كن أصبح وهو مهيم ثم واحد وإلا فإن لم يستعمل التسكر في شيء معين لم يتصور فنور الوسواس
 عنه . القسم الثاني ما لا يرتبط بهجومه باختياره وله اختيار في دفعه كالأذى بضل أو قول وجى
 عليه في نفسه أو ماله ، فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجباً وتارة يكون فضيلة . قال
 بعض الصحابة رضوان الله عليهم : ما كنا نعد إيمان الرجل إيماناً إذا لم يصبر على الأذى ، وقال
 تعالى - ولصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون - « وقسم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم مرة مالا ، فقال بعض الأعراب من المسلمين هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فأخبر
 به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحمرت وجنتاه ثم قال رحمه الله أخى موسى لقد أودى بأكثر
 من هذا نصبر ^(١) » وقال تعالى - ودع أذاًم وتوكل على الله - وقال تعالى - واصبر على مايقولون
 واهجرهم هجراً جميلاً - وقال تعالى - ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد
 ربك - الآية وقال تعالى - ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا
 أذى كثيراً وإن تصبروا وتنفوا فإن ذلك من عزم الأمور - أى صبروا عن المكافأة ولذلك مدح
 الله تعالى العائفين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال تعالى - وإن قابضتم فاعقبوا بمنثل ما عوقبتم
 به ولئن صبرتم لهو خیر للصابرين - وقال صلى الله عليه وسلم وصل من قطعك وأعط من حرمك
 وأعف عمن ظلمك ^(٢) » ورأيت في الإنجيل قال عيسى ابن مريم عليه السلام لقد قيل لكم من
 قبل إن السن بالسن والأنف بالأنف وأنا أقول لكم لاختاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك
 الأيمن غول إليه الخد الأيسر ومن أخذ رداءك فأعطه إزارك ومن سخرك لتسير معه ميلاً فسر
 معه ميلاً وكل ذلك أمر بالصبر على الأذى ، فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر لأنه
 يتعاون فيه باعث الدين و باعث الشهوة والغضب جميعاً . القسم الثالث : ما لا يدخل تحت حصر
 الاختيار أوله وآخره كالمصائب مثل موت الأعزة و هلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وعمل العيى
 وفساد الأعضاء وبالجملة سائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر . قال ابن عباس
 رضى الله عنهما : الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه : صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلثة درجات
 وصبر عن محارم الله تعالى فله ستانة درجة وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسمانية درجة
 وإنما فضلت هذه الرتبة مع أنها من الفضائل على ما قبلها وهى من القرائض لأن كل مؤمن يقدر على
 الصبر عن المحارم . فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه إلا الأنبياء لأنه بضاعة الصديقين فإن ذلك
 شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أسألكم من اليقين ما تهون على به مصائب الدنيا ^(٣) »
 فهذا صبر مستندة حسن اليقين . وقال أبو سليمان والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره
 وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ذل الله عز وجل إذا وجهت إلى عبد من عبيدى مصيبة في بدنه أو ماله
 أو أولاده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحيت منه يوم القيامة أن أنضب ، يرانا وأنتسرله ديوانا ^(٤) »

في أول النهار ولا
 يخرج من المنزل إلا
 وهو على الوضوء .
 وكره جمع من العلماء
 تحبة الطهارة بعد
 صلاة العصر وأجازوه
 للشافعي والصالحن
 ويقول كلما خرج من
 منزله بسم الله ماشاء
 الله حبس الله لاقوة
 إلا بالله ، اللهم
 إليك خرجت وأنت
 أخرجنى ، ولقرا
 القناعة والموذنين ولا
 يدع أن يتصدق كل
 يوم بما يتيسر له ولو
 تمره أو لقمة فإن
 القليل بحسن النية
 كثير . وروى أن
 عائشة رضى الله
 عنها أعطت السائل

(١) حديث قسمة مرة مالا وقول بعض الأعراب هذه قسمة ما أريد بها وجه الله الحديث متفق
 عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم (٣) حديث صل من قطعك الحديث تقدم (٣) حديث
 أسألكم من اليقين ما تهون على به مصائب الدنيا الترمذى والنسائى والحاكم وصححه من حديث ابن عمر
 وحسنه الترمذى وقد تقدم في الدعوات (٤) حديث قال الله إذا وجهت إلى عبد من عبيدى
 مصيبة في بدنه أو أولاده أو ماله ثم استقبل ذلك بصبر جميل الحديث ابن عدى من حديث أنس
 بسند ضعيف .

وقال صلى الله عليه وسلم « انتظر الفرج بالصبر عبادة ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى - إنا لله وإنا إليه راجعون - اللهم اؤجرني في مصيبي وأعطيني خيرا منها إلا فصل الله به ذلك ^(٢) » وقال أنس حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل قال يا جبريل ماجزء من سلبت كرمته قال سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا قال تعالى جزاءه الخلود في داري والنظر إلى وجهي ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل إذا ابتليت عبدي بلاء فصر ولم يشكني إلى عواده أبدته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فإذا برأته برأته وأهول أذنوب له وإن توفيته فإلى رحمتي ^(٤) » وقال داود عليه السلام : يارب ماجزء الخزن الذي يصبر على الصائب ابتداء مرضاتك قال جزاؤه أن ألبسه لباس الإيمان فلا أزعه عنه أبدا. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله في خطبته ما ألم الله على عبد نعمة فأنزعها منه وعوضه منها الصبر إلا كان ما عوضه منها أفضل مما أنزع منه وقرا - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - وسئل فضيل عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله ، قيل وكيف ذلك ؟ قال الرضا لا يتنج فوق منزلته ، وقيل حبس الشبل رحمه الله في للسارستان فدخل عليه جماعة فقال من أتم قالوا أحباؤه وكذا أربعين فأخبرهم بها بالحجارة فأخذوا يهربون فقال لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلاءي ، وكان بعض الدرافين في جيرة رمية فخرجها كل ساعة ويطالها وكان فيها - وأصبر لحكم ربك فانك : بمننا - ويقال إن امرأة قبح الوصل عثرت فاقطع ظفرها فضحك قيل لها أما تجدين الوجع فقالت إن لذة ثوابه أزالته عن قلبي مرارة وجهه ، وقال داود لسلبان عليهما السلام يستدل على تقوى اللؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم يزل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات . وقال نينا صلى الله عليه وسلم « من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك ^(٥) » وروى عن بعض الصالحين أنه خرج يوما وفي كده صرة فافتتدها فإذا هي قد أخذت من كبه فقال برك الله له فيها لعله أحوج إليها مني وروى عن بعضهم أنه قال مررت على سالم مولى أبي حذيفة في القتل وبه رمق قتلته أسقيته ماء فقال جرتي قليلا إلى العدو واجعل الماء في الترس فإني صائم فان عشت إلى الليل شربته فبكذا كان صبر سالك طريق

(١) حديث انتظار الفرج بالصبر عبادة القاضي في مسند الشهاب من حديث ابن عمر وابن عباس وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة من حديث علي دون قوله بالصبر وكذلك رواه أبو سعيد المالبني في مسند الصوفية من حديث ابن عمر وكلها ضعيفة وللتزمذي من حديث ابن مسعود أفضل العبادة انتظار الفرج وتقدم في الدعوات (٢) حديث مامن عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله - إنا لله وإنا إليه راجعون - الحديث مسلم من حديث أم سلمة (٣) حديث أنس إن الله قال جبريل ماجزء من سلبت كرمته الحديث الطبراني في الأوسط من رواية أبي ظلال القسلي واسمه هلال أحد الضعفاء عن أنس ورواه البخاري بلفظ إن الله عز وجل قال إذا ابتليت عبدي بمصيبة فصر عوضته منها الجنة رواه ابن عدي وأبو يعلى بإفظ إذا أخذت كرمتي عبدي لم أرض له ثوابا دون الجنة قلت يارسول الله وإن كانت واحدة قال وإن كانت واحدة وفيه سعيد بن سلم قال ابن عدي ضعيف الحديث مالك في اللوطا من حديث عطاء بن يسار عن أبي سعيد انتهى وعاب بن كثير ضعيف ورواه البيهقي موقوفا على أبي هريرة (٤) حديث من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك لم أجده مرفوعا وإنما رواه ابن أبي الدنيا في اللرض والكفارات من رواية سفيان عن بعض الفقهاء قال من الصبر أن لا تتحدث بمصيبتك ولا بوجعك ولا تزكي نفسك .

عنة واحدة وقالت إن فيها لثاقيل ذر كثير . وجاء في الخبر « كل امرئ يوم القيامة تحت ظل صدقته » ويكون من ذكره من الصبر إلى القرب مائة مرة لإله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من قال ذلك كل يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحبت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به

الآخرة على بلاء الله تعالى . فإن قامت فبأذا تنال درجة الصبر في انصائب وليس الأمر إلى اختياره فهو مضطر شاء أم أبى فان كان الراد به أن لا تكون في نفسه كراهية للصيبة فذلك غير داخل في الاختيار . فاعلم أنه إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الحدود والبالغة في الشكوى وإظهار السكابة وتغيير المادة في اللبس والقرش والطعم وهذه الأمور داخلة تحت اختياره فينبغي أن يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويستند أن ذلك كان ودعابة فاسترجعت كما روى عن الرميضاء أم سلمة رضي الله عنها قالت توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة غاب فقممت فسجيت في ناحية البيت فقدم أبو طلحة فقممت فبئيت له إظهاره فحمل بكل فقال كيف الصبي قلت بأحسن حال بحمد الله ومنه فانه لم يكن منذ اشتكى بأسكن منه الليلة ثم فصنت له أحسن ما كنت أتصنع له قبل ذلك حتى أصاب مني حاجته ثم قالت ألا تعجب من جبرائنا قال ما هم قلت أعيروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا فقال بشئ ما صنعوا فقلت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وإن الله قد قبضه إليه فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما (١) قال الراوي فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرءوا القرآن ، وروى جابر أنه عليه السلام قال رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميضاء امرأة أبي طلحة ، وقد قيل الصبر الجليل هو أن لا يعرف صاحب الصيبة من غيره ولا يخرج عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالسمع إذ يكون من جميع الحاضرين لأجل اللوث سواء ولأن البكاء توجع القلب على البت فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الإنسان إلى اللوث ولذلك لسمات إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له « أما نهتينا عن هذا فقال إن هذين رحمة وإني أرحم الله من عباده الرحماء » بل ذلك أيضا لا يخرج عن مقام الرضا فالمقدم على الحجابة والقصد راض به وهو متالم بسببه لاحتالة وقد نفى عيناه إذا عظم ألمه وسأى ذلك في كتاب الرضا إن شاء الله تعالى ، وكتب ابن أبي نجيب حمزي بعض الخلفاء إن أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أنعم الله به . واعلم أن للساقي قلبك هو الباقي والباقي بعدك هو للأجور فيك . واعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يفتون منه فاذن هذه دفع الكراهة بالتفكير في نعمة الله تعالى عليه بالتواب نال درجة الصابرين ، نعم من كمال الصبر كتمان الرض والقهر وسائر للصاب ، وقد قيل من كنوز البر كتمان للصاب والأوجاع والصدقة فقد ظهر لك هذه التقنيات أن وجوب الصبر عام في جميع الأحوال والأضال فان الذي كفى الشهوات كلها واعتزل وحده لا يستغنى عن الصبر على العزلة والأفراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يمكن وأكثر جولان الخواطر إنما يكون في قائم لا تداركه أو في مستقبل لا بدوان يحصل منه ما هو مقدر فهو كيفما كان ضيق زمان وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به أنسا بالله تعالى أو عن فكر يستفيد به معرفة بالله تعالى ليستفيد بالعرفه عجب الله تعالى فهو مضبور هذا إن كان فكره ووسواسه في المباحات مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الخيل لقضاء الشهوات إذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره أو ممن يتوهم أنه ينازعه ويخالف أمره أو غرضه بظهور أمارته له منه بل بغير الخافقة من أخلص الناس في حبه حتى في أهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية تهرمهم وجواهرهم عما يتملون به

(١) حديث الرميضاء أم سلمة رضي الله عنها قالت توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة غاب فقممت فسجيت في ناحية البيت الحديث طيب ومن طريقه أبو نعيم في الحلية والقصة في الصحيحين من حديث أنس مع اختلاف .

إلا أحد عمل أكثر من ذلك ومائة مرة لإله إلا الله الملك الحق المبين فقد ورد أن من قال في يومه مائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين لم يعمل أحد في يومه أفضل من عمله ويقول مائة مرة سبحان الله والحمد لله والكلمات ومائة مرة سبحان الله وحمده سبحان الله العظيم وحمده أستغفر الله ومائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين ومائة مرة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ومائة مرة أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة ومائة

في محالته ولا يزال في شغل دائم فللشيطان جندان جند بطير وجند سير والوسواس عبارة عن حركة جنده الطيار والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار وهذا لأن الشيطان خلق من النار وخلق الإنسان من صلصال كالغضار والغضار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبيعته السكون والنار طبيعتها الحركة فلا يتصور نار مشتملة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبيعتها وقد كلف الملئون الخلق من النار أن يطمئن عن حركته ساجدا لما خلق الله من الطين فأبى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بأن قال - خلقته من نار وخلقته من طين - فإذا حيث لم يسجد للملئون لأيننا آدم صلات الله عليه وسلامه فلا ينبغي أن يطمع في سجوده لأولاده ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد أظهر اهتداده وإقناعه بالأذعان سجود منه فهو روح السجود وإعنا وضع الجبهة على الأرض قلبه وعلامته الدالة عليه بالاصطلاح ولوجل وضع الجبهة على الأرض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما أن الانبطاح بين يدي المعلم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي أن يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقصر الالب عن البشكوك بمن قيده عالم الشهادة بالسكية عن عالم القلب وتحقق أن الشيطان من النظيرين فلا تواضع لك بالكف عن الوسواس إلى يوم الدين إلا أن تصبغ وهو مكتم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد للملئون مجالاً فيك فعند ذلك تكون من عباد الله المحاصرين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا الملعون ولا تظن أنه يغلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القبح فانك إن أردت أن يغلو القسح عن الهواء من غير أن تشغله بالماء أو بغيره قد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يغلو من الماء يدخل فيه الهواء لاحتكاك ذلك القلب للشغول بفكرهم في الدين لا يغلو عن جولان الشيطان والألمن غفل عن الله تعالى ولوق لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين إلا الشيطان ولذلك قال تعالى - ومن يش عن ذكر الرحمن يقض له شيطاناً فيه قوله قرين - وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يفيض الشاب الفارغ» (١) وهذا لأن الشاب إذا عطل عن عمل يشغل باطنه بباح يستعين به على دنسه كان ظاهره فارغاً ولم يبق قلبه فارغاً بل يعيش فيه الشيطان ويبيض ويبرخ ثم تزوج أفرأخه أيضاً وتبيض مرة أخرى وتبرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالداً أسرع من توالد سائر الحيوانات لأن طبعه من النار وإذا وجد الحلفاء اليابسة كثرت تولده فلا يزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسرى شيئاً فشيئاً على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار وكما لا تبق النار إذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبق للشيطان مجال إذا لم تكن شهوة فاذن إذا تأملت علمت أن أعدى عدوك مشيوك وهي سفة تفككك ولذلك قال الحنبل بن منصور الحلاج حين كان يصب وقد سئل عن التصوف ما هو فقال هي نفسك إن لم تشغلها فشلتك فاذن حقيقة الصبر وكاله الصبر عن كل حركة ممنومة وحر كالباطن أولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دائم لا يقطعه إلا لالت نساء الله حسن التوفيق بمنه وكرمه .

(بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه)

اعلم أن الذي أنزل الداء أنزل الدواء ووعد الشفاء فالصبر وإن كان شاقاً أو مجتهداً فخصيه يمكن بمصون العلم والعمل والقلم والعمل هما الأخلاط التي منها تكب الأدوية للأمراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض إلى علم آخر وعمل آخر وكما أن أقسام الصبر مختلفة لأقسام اللال المانة منه مختلفة وإذا اختلفت اللال اختلف العلاج إذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها واستيفاء ذلك بما يطول

(١) حديث إن الله يفيض الشاب الفارغ لم أجده .

مرة ماشاء الله لا قوة إلا بالله ورأيت بعض الفقراء من المغرب بمكة وله سبعة فيها ألف حبة في كيس له ذكر أن ورده أن يديرها كل يوم اثني عشرة مرة بأنواع الذكر . وشغل عن بعض الصحابة أن ذلك كان ورده بين اليوم واليلة وتهل عن بعض التابعين كان ورده من التسبيح ثلاثين ألفاً بين اليوم واليلة وليل مائة مرة بين اليوم واليلة هذا التسبيح سبحان الله العلي الديان سبحان الله شديد الأركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار

ولكننا نعرف الطريق في بعض الأمثلة . فنقول إذا افتقر إلى الصبر عن شهوة الوقوع مثلا وقد غلبت عليه الشهوة بحيث ليس يملك منها فرجه أو يملك فرجه ولكن ليس يملك عنه أو يملك عنه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه إذ لا تزال تحدته بمقتضيات الشهوات ويصرفه ذلك عن الواظبة على الذكر والتفكير والأعمال الصالحة . فنقول قد قدما أن الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين أردنا أن يظلب أحدهما الآخر فلا طريق لنا فيه إلا تقوية من أردنا أن تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر فلو أننا ههنا حقمة باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فأما باعث الشهوة فتبديل تضعيفه ثلاثة أمور : أحدها أن ننظر إلى مادة قوتها وهي الأغذية الطيبة المهركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصاد عند الاضطرار على طعام قليل في نفسه ضئيف في جنسه فيحترز عن اللحم والأطعمة اللذيذة للشهوة . الثاني قطع أسبابه للبهجة في الحال فانه إنما يهيج بالنظر إلى مظان الشهوة إذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالمرزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور للشهوة والقرار منها بالكيفية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظره سهم مسموم من سهام إبليس » (١) وهو سهم يسدده للعلو ولا ترس يمنع منه إلا التقيض الأجنان أو الحرب من صوب رمية فانه إنما يرمى هذا السهم عن قوس الصور فإذا انقلبت عن صوب الصور لم يصيب سهمه . الثالث تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي تشبهه وذلك بالنكاح فان كل ما يشبهه الطبع في اللباحات من جنسه ما ينشأ عن المخطورات منه وهذا هو العلاج الأنفع في حق الأكثر فان قطع الغذاء يضاعف عن سائر الأعمال ثم قد لا يقطع الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فليصم بالصوم فان الصوم له وجاء » (٢) فهذه ثلاثة أسباب للعلاج الأول وهو قطع الطعام يضاهي قطع العلف عن البهيمة المجموع وعن السكك الضاري ليضعف فتسقط قوته . الثاني يضاهي تقييد اللحم عن السكك وتضييق الشعر عن البهيمة حتى لا يتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها . والثالث يضاهي تسليتها بشيء قليل مما يميل إليه طبيعتها حتى يبق معها من القوة ما تنصير به على التأديب . وأما تقوية باعث الدين فأنما تكون بطريقين أحدهما إطعامه في فوائد المجاهدة وعمراتها في الدين والدنيا وذلك بأن يكثر فكره في الأخبار التي أوردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الأثر : إن ثواب الصبر على الصيبة أكثر مما فات وإنه بسبب ذلك مغبوط بالصيبة إذ فاته ما لا يلقى معه لإمداد الحياة وحصل له ما يبقى بعده موته أبدا الدهر ومن أسلم خيسيا في نفس فلا ينبغي أن يحزن لقوات الحسنيين في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الإيمان فتارة يضاعف وتارة يقوى فان قوى قوى باعث الدين وهيجته تهيجها شديدا وإن ضعف ضعفه وإنما قوة الإيمان يجبر عنها باليقين وهو المهركة لمزجة الصبر وأقل ما أوتى الناس اليقين وعزيمة الصبر والثاني أن يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك لذة النظر بها فيستجري عليها وتقوى منه في مصارعتها فان الاعتقاد والممارسة للأعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الأعمال ولذلك تزيد قوة الجنائين والفاالحين والقاتلين وبالجملة قوة الممارسين للأعمال الشاقة تزيد على قوة الحياطين والعطارين والفقهاء والصالحين وذلك لأن قوامهم إنما كد بالممارسة فالعلاج الأول يضاهي أطمار الصارع بالحلقة عند الغلبة ووعده بأنواع الصكرامة كما وعد فرعون سحرته عند إغرائه بإمام عيسى حيث قال - وإنكم إذا من القربين - والثاني يضاهي تموييد الصبي

(١) حديث النظره سهم مسموم من سهام إبليس تقدم غير مرة (٢) حديث عليكم بالباءة فمن لم يستطع فليصم بالصوم الدائم يخدم في النكاح .

سبحان من لا يشغله شأن عن شأن سبحان الله الحنان للسان سبحان الله السميع في كل مكان . روى أن بعض الأبدال بات على شاطئ البحر فسمع في هذه الليل هذا التسبيح فقال من الذي أصمحه صوته ولا أرى شخصه فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أصبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت فقلت ما سمعت فقال مهلبيا كسل فقلت ما ثواب هذا التسبيح قال من قاله مائة مرة لمعت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له . وروى أن عثمان رضى

الذى يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة أسباب ذلك منذ الصبا حتى يأبى به ويستجري عليه وتقوى فيه منته فمن ترك بالسكينة المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وإن ضعف ومن عود نفسه مخالفة الهوى عليها مهما أراد فهذا منهج العلاج في جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه وإنما أشدها كلف الباطن عن حديث النفس وإنما يشتد ذلك على من تفرغ له بأن تقع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس للمراقبة والله كره الفكر فإن الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب إلى جانب وهذا لاعلاج له البتة إلا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالفرار عن الأهل والولد والوالد والجاه والرفقاء والأصدقاء ثم الاعتزال إلى زاوية بعد إحراز قدر يسير من القوة وبعد القناعة به ثم كل ذلك لا يكفي ما لم تقصر المأموم عما واحدا وهو الله تعالى ثم إذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير الباطن في ملكوت السموات والأرض وعجايب صنع الله تعالى وسائر أبواب معرفة الله تعالى حتى إذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك بحذبة الشيطان ووساوسه وإن لم يكن له سير الباطن فلا ينجي إلا الأوراد للتواصل للترتبة في كل لحظة من القراءة والأذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك إلى تكليف القلب الحضور فإن الفكر بالباطن هو الذى يستغرق القلب دون الأوراد الظاهرة ثم إذا فعل ذلك كله لم يسلم له من الأوقات إلا بعضها إذ لا يخلو في جميع أوقاته عن حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وإيذاء من إنسان وطينان من مخالط إذ لا يستغنى عن مخالطة من يعينه في بعض أسباب العيشة فهذا أحد الأنواع الشاغلة . وأما النوع الثانى فهو ضرورى أشد ضرورة من الأول وهو اشتغاله بالمطم والمالبس وأسباب المعاش فإن تهتبه ذلك أيضا تخرج إلى شغل إن تولاه بنفسه وإن تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب من يتولاه ولكن بعد طمع العلائق كلها يسلم له أكثر الأوقات إن لم تهجم به مدة أو واقعة وفى تلك الأوقات يصفو القلب ويتيسر له الفكر وينكشف فيه من أسرار الله تعالى في ملكوت السموات والأرض ما لا يقدر على عشر عشرة في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالملائق والالتهاء إلى هذا هو أقصى المقامات التى يمكن أن تنال بالاكتساب والجهد فأما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله تعالى في الأحوال والأعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق قد يقبل الجهد ويحل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ والمولود وهذا الاجتهاد على جذب من جذبات الرحمن فانها توافى أعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد ، نعم اختيار العبد في أن يتعرض لتلك الجذبة بأن يقطع عن قلبه جواز الدنيا فإن المجذوب إلى أسفل سافلين لا يجذب إلى أعلى عليين وكل مهوم بالدنيا فهو منجذب إليها فقطع العلائق الجاذبة هو لئلا يقول **عَلَيْهِ السَّلَام** « إن لربكم في أيام دهركم نفحات لا تفرضوا لها » وذلك لأن تلك النفحات والجذبات لها أسباب سماوية إذ قال الله تعالى - وفى السماء رزقكم وما تعدون - وهذا من أعلى أنواع الرزق والأمور السالوية قائمة عنا فلا ندري متى يبصر الله تعالى أسباب الرزق فما علينا إلا تفرغ الحبل والانتظار لزول الرحمة وبلوغ الكتاب أجله كالذى يصلح الأرض ويتقيا من الحشيش ويث البذر فيها وكل ذلك لا ينفعه إلا بغير ولا يدري متى يقدر الله أسباب المطر إلا أنه يثق بفضل الله تعالى ورحمته أنه يخلى سنة عن مطر فكذا ذلك قلما تخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات فينبغى أن يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الارادة والاخلاص وعرضه لمهاب رياح الرحمة كما يقوى انتظار الأمطار في أوقات الربيع وعند ظهور القيم يقوى انتظار تلك النفحات في الأوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما فى يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان فإن الهمم والأفاس أسباب يحكم تقدير الله تعالى لاستدرا رحمته حتى

الله عنه سأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم
عن تفسير قوله تعالى
- له مقاليد السموات
والأرض - فقال سألنى
عن شيء عظيم ما سألنى
غيرك هو لا إله إلا الله
والله أكبر وسبحان الله
والحمد لله ولا حول
ولا قوة إلا بالله عز وجل
وأستغفر الله الأول
الآخر الظاهر الباطن
له الملك وله الحمد يديه
الحير وهو على كل شيء
قدير من قالها عشرا
حين يصبح وحين
يمسى أعطى ست خصال
فأول خصلة أن يحرم
من إبليس وجنوده
الثانية أن يعطى قطارا
من الأجر الثالثة يرفع
له درجة في الجنة

تستدر بها الأمطار في أوقات الاستسقا وهي لاستدرا أمطار للكشافات ولطائف المعارف من خزائن
 لللكوت أحد مناسبة منها لاستدرا قطرات الماء واستجرا التيوم من أقطار الجبال والبحار بل
 الأحوال والكشافات حاضرة معك في قلبك وإنما أنت مشغول عنها بملاتك وشغواتك فصار ذلك
 حجابا بينك وبينها فلا تحتاج إلا إلى أن تنكسر الشهوة ويرفع الحجاب فتشرق أنوار المعارف من
 باطن القلب وتظهر ماء الأرض بجهر القنى أسهل وأقرب من استرسال إليها من مكان بعيد منخفض عنها
 ولكونه حاضرا في القلب ومنميا بالشفل عنه مبي الله تعالى جميع معارف الأيمان تذكر أفعال تعالى
 - إنا نحن نزلنا الله ذكر وإنا له لحافظون - وقال تعالى - ولتذكر أول الألباب - وقال تعالى - ولقد
 يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر - فهذا هو علاج الصبر عن الوسواس والشواغل وهو آخر درجات
 الصبر وإنما الصبر عن الملائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر - قال الجنيد رحمه الله السير من الدنيا
 إلى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في حب الحق شديد والسير من النفس إلى الله تعالى صعب
 شديد والصبر مع الله أشد فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق وأشد الملائق
 على النفس علاقة الخلق وحب الهوى فإن قوة الرياسة والغبية والاستملاء والاستبغاب أغلب الذات في
 الدنيا على نفوس الغفلة وكيف لا تكون أغلب الذات ومطلوبها صفات من صفات الله تعالى وهي الربوبية
 والربوبية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما فيه من للناسبة لأموال الربوبية وعنه العبادة بقوله تعالى
 - قل الروح من أمر ربي - وليس القلب مذموما على ذلك وإنما هو مذموم على غلط وقع له بسبب
 تقرير الشيطان اللعين للبعد عن عالم الأمر إذ حسده على كونه من عالم الأمر فأضله وأغواه وكيف يكون
 مذموما عليه وهو يطلب سعادة الآخرة فليس يطلب إلقاء لافاء فيه وعزا لادل فيه وأمثلا خوف فيه
 وغنى لا فقر فيه وكالا لا هتمان فيه وهذه كلها من أوصاف الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك بل
 حق كل عبد أن يطلب ملكا عظيما آخر له وطالب الملك طالب للعلو والعز والكمال لا عالة ولكن الملك
 مسكن ملك مشوب بأنواع الآلام وملحوق بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو في الدنيا وملك مخلد
 دائم لا يشوبه كدر ولا ألم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل وقد خلق الإنسان محجورا لأغراض في العاجلة فجاء
 الشيطان وتوسل إليه بواسطة الصحة التي في طبعه فاستغواه بالعاجلة فزنى له بالحاضرة وتوسل إليه بواسطة
 الحق فوعده بالثبوت في الآخرة ومنامه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال **عليه السلام** «والأحقق من أتبع نفسه
 هوها وتبعى على الله الأمانى» فانخدع المخذول بضروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر إمكانه ولم
 يتبدل الموقف بحبل غروره إذ علم مداخل مكره فأعرض عن العاجلة فضر عن المخذولين بقوله تعالى - كلا
 بل يحبون العاجلة وتذرون الآخرة - وقال تعالى - إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما
 ثقيلا - وقال تعالى - فأعرض عنهم تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم -
 ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق أرسل الله الملائكة إلى الرسل وأوحى إليهم أتم على الخلق
 من إهلاك الدنو وإغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق إلى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لأصل
 له إن سلم ولا دوام له أصلا فنادوا فيهم - يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل
 الله أنما قلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل -
 فالتوراة والإنجيل والزيور والفرقان وصحف موسى وإبراهيم وكل كتاب منزل ما أنزل إلا لدعوة
 الخلق إلى الملك الدائم المخلد والراد منهم أن يكونوا ملوكا في الدنيا ملوكا في الآخرة أما ملك الدنيا
 فالزهديا والقناعة باليسير منها وأما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى يدرك بقاء لافاء فيه وعزا
 لاذل فيه وقرعة عين أخفيت في هذا العالم لاتسلي نفس من النفوس والشيطان يدعوهم إلى ملك
 الدنيا لعله بأن ملك الآخرة يفوت به إذ الدنيا والآخرة ضربتان ولعله بأن الدنيا لاتسلي له أيضا

الرابطة بزوجه الله من
 الحور العين الخامسة
 اثنا عشر ملكا
 يستغفرون له السادسة
 يكون لهم من الأجر كمن
 حج واعتمر ويقول
 أيضا في هذا الوقت وفي
 أول النهار اللهم أنت
 خلقتني وأنت هديتني
 وأنت تعلمني وأنت
 تستقي وأنت تبيتي
 وأنت تحيي أنت ربي
 لا رب لي سواك ولا
 إله إلا أنت وحدك
 لا شريك لك ويقول
 ما شاء الله لا قوة إلا بالله
 ما شاء الله كل نصرة
 من الله ما شاء الله الحبر
 كله يد الله ما شاء الله
 لا يصر السوء إلا الله
 ويقول حسبى الله لا إله
 إلا هو عليه توكلت

ولو كانت تسلم له لكان يحسده أيضا ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبيرات وكذا سائر أسباب الجاه ثم مهما تسلم وتم الأسباب ينقض العمر - حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وأزيفت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس - فغضب الله تعالى لها مثلا فقال تعالى - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح - والزهدي في الدنيا لما أن كان ملكا حاضرا حسده الشيطان عليه فصد عنه ومعنى الزهد أن يترك البهائم شهوته وغضبه فينقادن لباعث الدين وإشارة الإيمان وهذا ملك بالاستحقاق إذ به يصير صاحبه حرا وبإستبلاء الشهوة عليه يصير عبدا لفرجه وبطنه وسائر أغراضه فيكون مسخرا مثل البهيمة يملوكا يستجره زمام الشهوة أخذًا بمخنته إلى حيث يريد وبهوى لما أعظم اغترار الانسان إذ ظن أنه ينال الملك بأن يصير مملوكا وينال الربوبية بأن يصير عبدا ومثل هذا هل يكون إلا مذكوسا في الدنيا منكوسا في الآخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة ؟ قال كيف أطلب منك حاجتك ملكي أعظم من ملكك فقال كيف قال من أنت عبده فهو عبدي فقال كيف ذلك قال أنت عبد شهوتك وغضبك وفرك وبطنك وقد ملكت هؤلاء كلهم فهم عبدي فهذا إذن هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق إلى الملك في الآخرة فالله يدعو عن بفرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والدين وهو الاعتدال على الصراط المستقيم فإزوا بالدنيا والآخرة جميعا فإذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والمبودية ومدخل العلف في ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبسه يسهل عليك الزرع عن الملك والجاه والاعراض عنه والصبر عند فواته إذ تصير بتركه ملكا في الحال وترجوه بملك في الآخرة ومن كوشف بهذه الأمور بعد أن ألف الجاه وأنس به ورسخت فيه للعادة مباينة أسبابه فلا يكتفي في العلاج مجرد العالم والكشف بل لا بد وأن يضيف إليه العمل وعمله في ثلاثة أمور : أحدها أن يهرب عن موضع الجاه كي لا يشهد أسبابه فيعسر عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبته الشهوة من مشاهدة الصور المحرمة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله في سعة الأرض إذ قال تعالى - ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا عنها الثاني أن يكلف نفسه في أعماله أفضلا تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن ومابس ومطم وقيام وقعود كان يتناهى وفاء بمتنفس جاهه فينبغي أن يبدلها بغيره حتى يرسخ باعتياد ذلك ضد ما رسخ فيه من قبل باعتياده ضده فلامعنى المعالجة الإلضادة . الثالث أن يراعى في ذلك التلطف والتدرج فلا يقتل دفعة واحدة إلى الطرف الأقصى من التبذل فإن الطبع شور ولا يمكن هله عن أخلاقه إلا بالتدرج فيترك البعض ويسل نفسه ببعض ثم إذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض إلى أن يقطع البقية وهكذا يفعل شيئا فشيئا إلى أن يقطع تلك الصفات التي رسخت فيه وإلى هذا التدرج الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تنفض إلى تحسك عبادة الله فإن التبت لا راضا قطع ولا ظهرا أبق (١) » وإليه الإشارة بقوله عليه السلام «لا تشادوا هذه الدين فإن من يشاده ضل (٢) » فاذن ما ذكرناه من علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أضفه إلى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربيع للهلكات فاتخذة دستورك لتعرف به علاج الصبر في جميع الأقسام التي فصلناها من قبل فإن تفصيل الأحاد يطول ومن راعى التدرج ترقى به الصبر إلى حال يشق عليه الصبر

وهروب العرش العظالي
ثم يستعد لاستقبال
الليل بالوضوء والطهارة
ويقرا السبعات قبل
الغروب ويدعي
التسبيح والاستغفار
بحيث تقيب الشمس
وهو في التسبيح
والاستغفار ويقرا عند
الغروب أيضا والشمس
والليل وللوردين
ويستقبل الليل كما
استقبل النهار قال الله
تعالى - وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفا
لن من أراد أن يذ كر أو
أراد شكورا - فكما
أن الليل يعقب النهار
والنهار يعقب الليل
ينبغي أن يكون العبد
بين الذكر والشكر
يعقب أحدهما الآخر

(١) حديث إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق الحديث أحمد من حديث أنس والبيهقي من حديث جابر وتقدم في الأوراد (٢) حديث لا تشادوا هذا الدين فإنه من شاده يضل تقدم فيه .

دونه کاکان یشق علیه الصبر معه فتعکس اموره فیصیر ماکان محبوا عنده مخموتا وما کان مکروها عنده مشربا هنثا لایصبر عنه وهذا لایعرف إلا بالتجربة والشوق وله نظیر فی العادات فان الصبر یعمل علی التعلّم فی الابتداء فورا فیشق علیه الصبر عن اللب والصبر مع العلم حق اذا فتحت بصیرته و انس بالعلم اقلب الأمر فصار یشق علیه الصبر عن العلم والصبر علی اللب والی هذا یشیر ما حکى عن بعض العارفين أنه سأل الشیخ عن الصبر أیه أشد ؟ فقال الصبر فی الله تعالى فقال لا قتال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا قتال فلیش ؟ قال الصبر عن الله فصرخ الشیخ صرخة کادت روحه تناف . وقد قیل فی معنى قوله تعالى - اصبروا وصابروا وابطوا - اصبروا فی الله وصابروا بالله وابطوا مع الله وقیل الصبر لله غناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله ولاء والصبر عن الله جفاء وقد قیل فی معناه .

والصبر عنك فمذموم عواقبه والصبر في سائر الأشياء محمود

وقيل أيضا: الصبر يجعل في للوطن كلها إله عليك فانه لا يجعل هذا آخر ما أردنا شرحه من علوم الصبر وأسراره .

الشرط الثاني من الكتاب في الشكر ، وله ثلاثة أركان

الأول : في فضيلة الشكر وحقيقته وأقسامه وأحكامه . الثاني : في حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة . الثالث : في بيان الأفضل من الشكر والصبر .

الركن الأول في نفس الشكر

(بيان فضيلة الشكر)

اعلم ان الله تعالى قرن الشكر بالله كرفى كتابه مع أنه قال سوف ذكر الله أكبر فقال تعالى - فاذكروني
أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون - وقال الله تعالى - ما يغفل الله بعدا بكم ان شكرتم و ما أمتن - وقال
تعالى - وسنجزي الشاكرين - وقال عز وجل إخبارا عن إبليس اللعين - لأعتدن لهم صراطك
الستيم - قيل هو طريق الشكر ولما لورثة الشكر من العين في الخلق فقال: ولا تجدوا كثرة ما شكرين
وقال تعالى - وقليل عن عبادة الشكور - وقد قطع الله تعالى بالمزيد من الشكر ولم يستثن فقال تعالى
- لأن شكرتم لأزيدنكم - واستثنى في خمسة أشياء في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال
تعالى - فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء - وقال فيكشف ما تدعون إليه إن شاء - وقال: برزق
من يشاء بغير حساب وقال: ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال: ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من
أخلاق الربوبية إذ قال تعالى - والله شكور حلیم - وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال
تعالى - وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده - وقال - وآخر دعوانى أن الحمد لله رب العالمين - وأما
الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الطاعم الشاكر عزة الصائم الصابر»^(١) وروى عن
عطاء أنه قال «دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت أخبرينى بأعجب ما رأت من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبكت وقالت وائى شأنه لم يكن عجبا أنانى ليله دخل معى فى فراشى أو قالت فى لحافى حتى مس جلدى
جلده ثم قال يا بنة أبى بكر ذرى أعبد لربى قالت قلت لى أحب ربك لىكنى أو ثمره الكافأنت له مقام
للى قرية ماء فوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلى فبكى حتى سألت دموعه على صدره ثم ركع فبكى
ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك يسكى حتى جاء بلال فأذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله
ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لأفعل ذلك

(١) حديث الطعام الشاكر بمنزلة الصائم الصابر علقه البخاري وأسنده الترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة ورواه ابن ماجه من حديث سنان بن سنة وفي إسناده اختلاف.

ولا يتخللها شيء كما
لا يتخلل بين الليل
والنهار شيء والله
جميعه أعمال القلب
والشكر أعمال
الجوارح قال الله تعالى
- عملوا آل داود
شكرا - والله الموفق
الأمين .

[الباب الحادى
والخامسون فى آداب
البريد مع الشيخ]
أدب للبريدى مع
الشيخ عند الصوفية
من مهام الآداب
وللقوم فى ذلك اقتداء
برسول الله صلى الله
عليه وسلم وأصحابه
وقد قاله الله تعالى
- يا أيها الذين آمنوا
لاتقدموا بين يدى الله
ورسوله واتقوا الله إن

وقد أنزل الله تعالى على - إن في خلق السموات والأرض - (١) الآية وهذا يدل على أن البكاء ينبغي أن لا ينقطع أبداً وإلى هذا البر يشير ما روى أنه من بعض الأنبياء هاجر صغير يخرج منه ماء كثير فتحبب منه فألقته الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى - وتودعها الناس والحجارة - فأنا أبكي من خوفه فسأله أن يبيحه من النار فأجابه ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب الصديق كالحجارة أو أشد قسوة ولا تزول قسوته إلا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعاً . وروى عنه عليه السلام أنه قال « ينادى يوم القيامة ليعلم المحادون فتقوم زمرة فينسب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن المحادون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال (٢) » وفي لفظ آخر « الذين يشكرون الله على السراء والضراء » وقال صلى الله عليه وسلم « الحمد رداء الرحمن (٣) » وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام أن يرضيت بالشكر مكافأة من أوليائي في كلام طويل وأوحى الله تعالى إليه أيضاً في صفة الصابرين أن دارهم دار السلام إذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدم وبالنظر إلى أزيدهم ولما نزل في السكروز مازل . قال عمر رضي الله عنه « أي للال تتخذ فقال عليه السلام ليتخذ أحدكم لساناً ذا كراو قلباً شاكراً (٤) » فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلاً عن اللال . وقال ابن مسعود الشكر نصف الإيمان .

(بيان حد الشكر وحقيقته)

اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين وهو أيضاً ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الأصل فيورث الحال والحال يورث العمل ، فأما العلم فهو معرفة النعمة من النعم والحال هو الفرح الحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود للنعم ومحبو به ويتعلق ذلك العمل بالقلب والجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكامل معانيه . فالأصل الأول : العلم وهو علم بثلاثة أمور بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات النعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل إليه النعمة من النعم بقصد وإرادة فهذه الأمور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله تعالى فأما في حق الله تعالى فلا يتم إلا بأن يعرف أن النعم كلها من الله وهو النعم والوسائطه سخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس إذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الأولى في معارف الإيمان التقديس ثم إذا عرف ذاتاً مقدسة فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد وماعداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة إذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والافتقار بالفعل وعن هذا عبر

(١) حديث عطاء دخلت على عائشة فقلت لها أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت وأمره لم يكن عجيباً الحديث في كتابه في صلاة الليل أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق رسول الله عليه السلام ومن طريقه ابن الجوزي في الوفاء وفيه أبو جناب واسمه يحيى بن أبي حبة ضعفه الجمهور ورواه ابن حبان في صحيحه من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء دون قولها وأمره لم يكن عجيباً وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة مقتصر على آخر الحديث (٢) حديث ينادى يوم القيامة ليعلم المحادون الحديث الطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ أول من يدعى إلى الجنة المحادون الحديث وفيه قيس بن الربيع ضعفه الجمهور (٣) حديث الحمد رداء الرحمن لم أجده أصلاً وفي الصحيحين حديث أبي هريرة الكبير رداء الحديث وتقدم في العلم (٤) حديث عمر ليتخذ أحدكم لساناً ذا كرا وقلبا شاكراً الحديث تقدم في التكلم .

الله صميع عليم .
 روى عن عبد الله بن الزبير قال قدم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني تميم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد وقال عمر بل أمر الأقرب بن حابس فقال أبو بكر ما أردت إلا خلافي وقال عمر ما أردت خلافتك فتأري حق ارتفعت أصواتهما فأقر الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا - الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تقدموا لاتكلموا بين يدي كلامه وقال جابر كان ناس يضحون قبل رسول الله فقهاوا عن تقديم الأصحية على

رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله فله عشر حسنات ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله (٢) » وقال « ليس شيء من الأذكار يضاعف مضاعف الحمد لله (٣) » ولا تظن أن هذه الحسنات بإزاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسيحان الله كلمة تدل على التقديس ولا إله إلا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بإزاء هذه العارف التي هي من أبواب الإيمان واليقين . واعلم أن تمام هذه المعرفة ينشئ الشرك في الأفعال ، فمن أتم عليه ملك من الملوك شيء فإن رأى لوزره أو وكيله دخلا في تيسير ذلك وإيساله إليه فهو إشراك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا في حق الملك ، ثم لا يرض من توحيد في حق الملك وكال شكره أن يرى النعمة الواصلة إليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه وبالسكافد الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالقلم والسكافد ولا يشكرهما لأنه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بأنفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم أن الوكيل الوصل والحازن أيضا مضطربان من جهة الملك في الإيصال وأنه لو رد الأمر إليه ولم يكن من جهة الملك إرهابا وأمر جزم يخاف عاقبته لما سلم إليه شيئا فاذا عرف ذلك كان نظره إلى الحازن للوصل كنظره إلى القلم والسكافد فلا يورث ذلك شركا في توحيد من إضافة النعمة إلى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أهله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم مثلا في يد الكاتب وأن الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فان الله تعالى هو الساطع للدواعي عليها لتعمل شامت أم أبت كالحازن للضرر الذي لا يجد سبيلا إلى مخالفة الملك ولو خلى ونفسه لما أعطاك ذرة مما في يده فكل من وصل إليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطرب لإسقاطه عليه الإرادة وهيج عليه الدواعي وألقى في نفسه أن خيره في الدنيا والآخرة أن يعطيك ما أعطاك وأن غرضه للتصود عنده في الحال والآل لا يحصل إلا به وبعد أن خلق الله له هذا الاعتقاد لا يجد سبيلا إلى تركه فهو إذن إنما يعطيك لغرض نفسه لا لغيره ولو لم يكن غرضه في العطاء لما أعطاك ولو لم يعلم أن نعمته في منفعتك لما فعلك فهو إذن إنما يطلب شع نفسه بفعلك فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة إلى نعمة أخرى وهو يرجوها وإنما الذي أتم عليك هو الذي سخره لك وألقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ماصار به مضطرا إلى الإيصال إليك فان عرفت الأمور كذلك فقد عرفت أن الله تعالى وعرفت فعله وكنت موحدا وقدردت على شكره بل كنت بهذه العرفة بمجرد ما شاكرا ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته: إلهي خلقت آدم بيديك وفعلت فكيف شكرتك فقال الله عز وجل أعلم أن كل ذلك مفي فكأنك معرفته شكرا فاذن لا تشكر إلا بأن تعرف أن الكل منه فان خالجت ريب في هذا لم تكن عارفا بالنعمة ولا بالثمن فلا تفرح بالثمن وحده بل وبغيره فبنقصان معرفتك بنقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك بنقص عملك فهذا بيان هذا الأصل . الأصل الثاني: الحال للتمتع من أصل العرفة وهو الفرح بالثمن مع هيئة الخضوع والتواضع وهو أيضا في نفسه

(١) حديث من قال سبحان الله فله عشر حسنات الحديث تقدم في الدعوات (٢) حديث أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه وابن حبان من حديث جابر (٣) حديث ليس شيء من الأذكار يضاعف مضاعف الحمد لله إلا جدهم فروا إلى أنصاره ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر عن إبراهيم النخعي يقال إن الحمد أكثر الكلام تضييفا .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان قوم يقولون لو أنزل في كذا وكذا فكره الله ذلك وقالت عائشة رضي الله عنها أي لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم . وقال الكلبي لا تسبقوا رسول الله يقول ولا فصل حتى يكون هو الذي يأمركم به وهكذا أدب الريد مع الشيخ أن يكون مسلوب الاختيار لا يتصرف في نفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره وقد استوفينا هذا المعنى في باب المشيخة وقيل لا تقدموا لا تمسوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى

شكر على تجربته كما أن للفرقة شكر ولكن إنما يكون شكرا إذا كان حاويا شرطه ، وشرطه أن يكون فرك بالمتم لا بالتمعة ولا بالإتمام ، ولعل هذا مما يتقرر عليك فحبه فنضربك مثلا فنقول: الملك الذي يريد الخروج إلى سفر فأنتم بفرس على إنسان يتصور أن يفرح للنعم عليه بالفرس من ثلاثة أوجه : أحدها أن يفرح بالفرس من حيث إنه فرس وإنه مال ينفع به يوم كوب يوافق غرضه وإنه جواد فليس وهذا فرح من لاحظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجدته صحرا فأخذه لكان فرحه مثل ذلك الفرس . الوجه الثاني أن يفرح به لامن حيث إنه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشقيقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء أو أعطاء غير الملك لكان لا يفرح به أصلا لاستغنائاه عن الفرس أصلا أو استحقاقه له بالاضافة إلى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك . الوجه الثالث أن يفرح به ليركبه ليخرج في خدمة الملك ويحمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه وربما يرتقى إلى درجة الوزارة من حيث إنه ليس يقنع بأن يكون محله في قلب الملك أن يعطيه فرما ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو طالب لأن لا ينعم الملك بشيء من ماله على أحد إلا بواسطته ، ثم إنه ليس يريد من الوزارة الوزارة أيضا بل يريد مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فيه ثلاث درجات ، فالأولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا لأن نظر صاحبها مقصور على الفرس فقرحه بالفرس لا بالمعطى ، وهذا حال كل من فرح بتمعة من حيث إنها لذينة ومواقفة لفرسه فهو بعيد عن معنى الشكر ، والثانية داخلية في معنى الشكر من حيث إنه فرح بالتمعة ولكن لامن حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستجني على الإتمام في المستقبل ، وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء ثوابه وإنما الشكر التام في القرب الثالث ، وهو أن يكون فرح العبد بتمعة الله تعالى من حيث إنه يقدر بها على التوصل إلى القرب منه تعالى والنزول في جواره والنظر إلى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا . وأما رتبة أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة للأخرة ويمنع عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتهدئه عن سبيله لأنه ليس يريد التمتع لأنها لذينة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لأنه جواد ومهملج بل من حيث إنه يعمل في محبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه ، ولذلك قال الشبلي رحمه الله : الشكر رؤية للنعم لارؤية النعمة . وقال الحواصم رحمه الله : شكر العامة على الطعام ولللبس . وللشرب ، وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يتركها كل من انحصرت عنده الذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الألوان والأصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتفت إلى حال الصحة إلا بذكر الله تعالى ومعرفته وقلناه وإنما يلتذ به إذا مرض بسوء الماديات كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين وكما يستنشع بعض الرضى الأشياء الحلوكة ويستحلى الأشياء المرة كما قيل :

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرارة الدواء الولا

فأذن هذا شرط الفرح بتمعة الله تعالى ، فان لم تكن إبل قمري ، فان لم يكن هذا فالدرجة الثانية . أما الأولى فخارجة عن كل حساب فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس ومن يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها إليه . الأصل الثالث : العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة النعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح . أما بالقلب قصد الخير وإظهار لكافة الخلق . وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه . وأما بالجوارح : فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقى من

أبو الدرداء قال كنت
أمشي أمام أبي بكر
فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم
تمشي أمام من هو خير
منك في الدنيا والآخرة
وقبل نزلت في أقوام
كانوا يحضرون
عجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فاذا سئل الرسول
عليه السلام
عن شيء خاضا فيه
وتقصدوا بالقول
والفتوى فهو عن
ذلك وهكذا أدب
الريد في مجلس الشيخ
ينبغي أن يأنم السكوت
ولا يقول شيئا يحضرته
من كلام حسن إلا
إذا استأمر الشيخ
ووجد من الشيخ
فصلته في ذلك وشأن

الاستعانة بها على معصيته حتى إن شكر العيّن أن تستر كل عيب تراه سلم وشكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت قال بخير فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذي أردت منك (١) وكان السلف يساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعاً وللمستطيق له به مطيعاً وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين وكيف لا تشيع الشكوى من ملك للوك ويملك كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالأحرى بالعبد إن لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به الضعف إلى الشكوى أن تكون شكواه إلى الله تعالى فهو للبي والقادر على إزالة البلاء وذلّ العبد لمولاه عز والشكوى إلى غيره ذلّ وإظهار الذلّ للعبد مع كونه عبداً مثله ذلّ قبيح قال الله تعالى - إن الذين يعبدون من دون الله لايملكون لهم رزقاً فانفخوا عند الله الرزق وابعدوه واشكروا له - وقال تعالى - إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم - فالشكر باللسان من جملة الشكر . وقد روى أن وفداً قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام هاب ليحكم فقال عمر الكبر الكبر فقال يأمر المؤمنين لو كان الأمر بالنسب لكان في المسلمين من هو أسنّ منك فقال تكلم فقال لنا وقد الرغبة ولاوفد الرغبة أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك وأما الرغبة فقد آمنتنا منها عدلك وإنا نحن وفداً لشكر جثالك نشكرك باللسان وتصرف . فهذه هي أصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته . فأما قول من قال إن الشكر هو الاعتراف بنعمة النعم على وجه الخضوع فهو نظر إلى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب وقول من قال إن الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه نظر إلى مجرد عمل اللسان وقول القائل إن الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة جامع لأكثر معاني الشكر لا يشذ منه إلا عمل اللسان وقول حمدون القصار شكر النعمة أن ترى نفسك في الشكر طفيلياً إشارة إلى أن معنى للرفقة من معاني الشكر فقط وقول الجنيّد الشكر أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة إشارة إلى حال من أحوال القلب على الخصوص وهؤلاء أقوالهم تعرب عن أحوالهم فذلك يختلف أجوبتهم ولا يتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالتين لأنهم لا يتكلمون إلا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالا بما بهمهم عمالاهمهم أو يتكلمون بما يرونه لاهها حال السائل اقتضارا على ذكر القدر الذي يحتاج إليه وإعراضاً عما لا يحتاج إليه فلا ينبغي أن نظن أن ما ذكرناه طعن عليهم وأنه لو عرض عليهم جميع المعاني التي شرحتها كانوا يشكرونها بل لا يظن ذلك بساقل أصلاً إلا أن تعرض منازعة من حيث اللفظ في أن اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني أم يقتل بعضها مقصوداً وثيقة المعاني تكون من تواضعه ولو أزمه ولنا قصد في هذا الكتاب شرح موضوعات الثقات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء والله للوفق برحمته .

السريد في حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل بحر ينتظر رزقاً يساق إليه فتطلبه إلى الاستماع وما يريزق من طريق كلام الشيخ يحقق مقام إرادته وتطلبه واستزادته من فضل الله وتطلبه إلى القول بمرده عن مقام الطلب والاستزادة إلى مقام إثبات شيء لنفسه وذلك جناية للريد . وينبغي أن يكون تطلبه إلى منهم من حاله يستكشف عنه بالسؤال من الشيخ على أن الصادق لا يحتاج إلى السؤال باللسان في حضرة الشيخ بل يباينه بما يريد أن الشيخ يكون مستنطقاً بلفظه بالمعنى

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت قال بخير فأعاد السؤال حتى قال في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال هذا الذي أردت منك الطبراني في الدعاء من رواية الفضيل بن عمرو مرفوعاً نحوه قال في الثالثة أحمد الله وهذا مفضل ورواه في اللجم الكبير من حديث عبد الله بن عمرو ليس فيه تكرار للسؤال وقال أحمد الله إليك وفيه راشد بن سعد منصفه الجهور لسوء حفظه ورواه مالك في اللوطاً موقوفاً على عمر باسناد صحيح .

(بيان طريق كشف التطاء عن الشكر في حق الله تعالى)

لعلك يخطر ببالك أن الشكر إنما يقبل في حق من هو صاحب حظ في الشكر فانا نشكر المولوك إما بالثناء ليزيد علمهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم أو بالخدمة التي هي إئانة لهم على بعض أغراضهم أو بالثول بين أيديهم في صورة الخدمة ذلك تكبير لسوادم وسبب لزيادة جاههم فلا يكونون شاكرين لهم إلا بشيء من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين: أحدهما أن الله تعالى منزّه عن الحفظ والأغراض مقدس عن الحاجة إلى الخدمة والإئانة وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والإطراء وعن تكبير سواد الخدم بالثول بين يديه ركعا سجدا فشكرنا إياه بما لاحظ له فيه ضاهى شكرنا للآلئ اللهم علينا بأن ننام في بيوتنا أو نسجد أو نركع إذا لاحظ للملك فيه وهو غائب لاعلم له ولا حظ لله تعالى في أصالنا كلها. الوجه الثاني أن كل ما متصاطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا وداعتنا وسائر الأمور التي هي أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة ولو أعطانا للآلئ مراكبا فأخذنا مراكبا آخر له وركبناه أو أعطانا للآلئ مراكبا آخر ليكن الثاني شكر الأول منا بل كان الثاني يحتاج إلى شكر كما يحتاج الأول ثم لا يمكن شكر الشكر إلا بنعمة أخرى فيؤدي إلى أن يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين الوجهين ولنا نكش في الأمرين جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل إلى الجمع . فاعلم أن هذا الخطر قد خطر لداود عليه السلام وكذلك لموسى عليه السلام فقال يارب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ آخر وشكرك لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك فأوحى الله تعالى إليه إذا عرفت هذا فقد شكرت وفي خبر آخر إذا عرفت أن النعمة متى وضيت منك بذلك شكرا . فإن قلت قد فهمت السؤال وفهمى قاصر عن إدراك معنى ما أوحى إليهم فاني أعلم استحالة الشكر لله تعالى فأما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا أفهمه فإن هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع إلى أن من لم يشكر فقد شكر وأن قبول الخلة الثانية من للآلئ شكر للخلة الأولى والفهم قاصر عن درك السر فيه فإن أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه . فاعلم أن هذا قرع باب من المعارف وهي أعلى من علوم الماملة ولكننا نشير منها إلى الملامح ونقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يرفك قطعا أنه الشاكر وأنه للشكور وأنه المحب وأنه المحبوب وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره وأن كل شيء هالك إلا وجهه وأن ذلك صدق في كل حال أزلا وأبدا لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا التبر لا وجود له بل هو محال أن يوجد إذ للوجود الحق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فإن اعتبر ذاته ولم يلتفت إلى غيره لم يكن له وجود بالذات وإنما للوجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقي موجودا فإن كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قويم ولا يقوم إلا واحد ولا يتصور أن يكون غير ذلك فإذا لم يكن في الوجود غير الحق القويم وهو الواحد الصمد فإذا نظرت من هذا المقام عرفت أن الكل منه مصدره وإليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ - إنا وجدناه صابرا ثم البدي إنه أوأب - وقال وعجابه أعطى وأثنى إشارة إلى أنه إذا أثنى على إعطائه قبل نفسه أثنى فهو المثنى وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد الميثقي حيث قرئ بين يديه - يحبه ويحبونه - فقال لعمرى يحبه ودعه يحبه

وهو عند حضور
الصادقين يرفع قلبه
إلى الله ويستعطر
ويستقي لهم فيكون
لسانه وقلبه في القول
والنطق مأخوذين إلى
مهم الوقت من أحوال
الطالبين المحتاجين إلى
ما ينفع به عليه لأن
الشيخ يعلم تطلع
الطالب إلى قوله
واعتسده بقوله
والقول كالبدر يقع في
الأرض فإذا كان
البدر قاسدا لا يثبت
وفساد الكلمة بدخول
الهوى فيها فالشيخ
يقضي بئر الكلام عن
شوب الهوى ويسلمه
إلى الله ويسأل الله
الموتة والساد ثم يقول
فيكون كلامه بالحق

فيحق بحجهم لأنه إنما يجب نفسه أشار به إلى أنه المحب وأنه المحبوب وهذه رتبة عالية لاضمهـما
إلا بمثال على حد عقلك فلا يخفى عليك أن للصنف إذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع إذا
أحب صنعه فقد أحب نفسه والوالد إذا أحب ولده من حيث إنه ولده فقد أحب نفسه وكل مافى
الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنعه فإن أحبه فما أحب إلا نفسه وإذا لم يحب
إلا نفسه فيحق أحب ما أحب وهذا كله نظر بين التوحيد ومنه الصوفية عن هـله الحالة بفناء
النفس أى فنى عن نفسه وعن غير الله فلم ير إلا الله تعالى فمن لم يفهم هذا ينكر عليهم ويقول
كيف فنى وطول ظله أربعة أذرع ولله يأكل فى كل يوم أرطالا من الخبز فيضحك عليهم الجبال
لجهلهم بمعاني كلامهم وضرورة قول المارفين أن يكونوا منزهة للجاهلين وإليه الإشارة بقوله تعالى
- إن الذين أجروا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى
أهلهم انقلبوا فكيفهم وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين - ثم بين أن
منزهة المارفين عليهم غدا أعظم إذ قال تعالى - قالوا الذين آمنوا أن الكفار يضحكون على
الأرائك ينظرون - وكذلك أمة نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة
قال - إن تسخروا منا فلنا نسخر منكم كما تسخرون - فهذا أحد النظرين . النظر الثانى نظر من
لم يبلغ إلى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسبان قسم لم يشعروا إلا وجود أنفسهم وأنكروا أن يكون
لهم رب بعد وهؤلاء هم الميمان للنكوسون وعمام فى كلتا المنين لأنهم تقوا ما هو الثابت تحقيا
وهو القيوم الذى هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم ققام به ولم يقتصر على
هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولو عرفوا لغوا أنهم من حيث هم لم لابات لهم ولا وجود لهم وإنما وجودهم
من حيث أوجدوا لامن حيث وجدوا وفرق بين الوجود وبين الوجود وليس فى الوجود إلا موجود
واحد وموجد فالموجود حق والوجود باطل من حيث هو هو الوجود قائم وقيوم وللوجه هالك
وطان وإذا كان كل من عليها فان فلا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام . الفريق الثانى
ليس بهم عى ولكن بهم عور لأنهم يصرون بأحدى المنين وجود للوجود الحق فلا ينكرونه
والعين الأخرى إن تم عماها لم يصير بها فناء غير الوجود الحق فأثبت موجودا آخر مع الله تعالى
وهذا مشرك تحقيا كما أن الذى قبله جاحد تحقيا فان جاوز حد العلم إلى العشى أدرك تفاوتنا
بين الوجودين فأثبت عبدا وربا فهذا القدر من إثبات التفاوت والنقص من الوجود الآخر دخل
فى حد التوحيد ثم إن كل بصره بما يزيد فى أنواره فيقل عشمه ويقد ما يزيد فى بصره يظهره
نقصان ما أثبتته سوى الله تعالى فان بقى فى سلوكه كذلك فلا يزال يفضى به نقصان إلى المحو
فينمى عن رؤية ماسوى الله فلا يرى إلا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث أدرك نقصا
فى وجود ماسوى الله تعالى دخل فى أوائل التوحيد وبينهما درجات لا تحصى فهذا تفاوت درجات
الموحدين وكتب الله المنزلة على ألسنة رسله هى الكحل الذى به يحصل أنوار الأبصار والأنبياء هم
الكحائلون وقد جاءوا داعين إلى التوحيد المحض ورجسته قول لا إله إلا الله ومعناه أن لا يرى
إلا الواحد الحق والواصلون إلى كمال التوحيد هم الأقليون والجاهدون والمشركون أيضا قليلون وهم
على الطرف الأقصى المقابل لطرف التوحيد إذ عبدة الأوثان قالوا - ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى
الله زلفى - فكانوا داخلين فى أوائل أبواب التوحيد دخولا ضيقا والمتوسطون هم الأكثرون
وفهم من تفتتح بصيرته فى بعض الأحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبقر الحاطف
لا يثبت وفهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم واللهوام فيه عزيز :

من الحق الحق فالشيخ
للمريدين أمين الإلهام
كما أن جبريل أمين
الوحي فكما لا يخون
جبريل فى الوحي
لا يخون الشيخ فى
الإلهام وكما أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
لا ينطق عن الهوى
فالشيخ مقتد رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ظاهرا وباطنا لا يتكلم
بهوى النفس . وهوى
النفس فى القسول
بشيئين : أحدهما طلب
لمستجلاب القلوب
وصرف الوجوه إليه
وما هذا من شأن
الشيخ . والثانى ظهور
النفس باستحالة
الكلام والعجب وذلك
خيانة عند المحققين

لكن إلى شأو الملا حر كات ولكن عزيز في الرجال ثبات

ولما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب قيل له - واسجد واقترب - قال في سجوده « أعوذ بفوك من عقابك وأعوذ برضائك من سخطك وأعوذ بك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ^(١) » قوله صلى الله عليه وسلم « أعوذ بفوك من عقابك » كلام عن مشاهدة فعل الله قط فكانه لم ير إلا الله وأفعاله فاستأذى بفعله من فعله ثم اقترب حتى عن مشاهدة الأفعال وترقى إلى مصادر الأفعال وهي الصفات فقال « وأعوذ برضائك من سخطك » وهما متان ثم رأى ذلك

تقصانا في التوحيد فاقرب ورقي من مقام مشاهدة الصفات إلى مشاهدة الذات فقال « وأعوذ بك منك » وهذا فرار منه إليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه رأى نفسه فاراً منه إليه ومستعداً وثنياً حتى عن مشاهدة نفسه إذ رأى ذلك نقصانا واقترب فقال « لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » قوله صلى الله عليه وسلم « لأحصى » خبر عن فناء نفسه وخروج عن مشاهدتها وقوله « أنت كما أثنيت على نفسك » بيان أنه لثني ولثني عليه وأن الكل منه بدا وإليه يعود وأن - كل شيء - هالك إلا وجهه - فكان أول مقاماته نهاية مقامات اللوحدين وهو أن لا يرى إلا الله تعالى وأفعاله

فيستعبد بفعل من فعل فائظ إلى ماذا انتهت نهايته إذا انتهى إلى الواحد الحق حق ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق ، وقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرى من رتبة إلى أخرى إلا ويرى الأولى يبدأ بالاضافة إلى الثانية فكان يستغفر الله من الأولى ويرى ذلك نقصاً في سوا كونه تصديراً في مقامه وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة ^(٢) » فكان ذلك لترقيته إلى سبعين مقاماً بعضها فوق البعض أولها وإن كان مجاوزاً أقصى غايات الخلق ولكن كان نقصاناً بالاضافة إلى آخرها فكان استغفاره لذلك، ولما قالت عائشة

رضي الله عنها « أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فها هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد قال أفلا أكون عبداً شكوراً ^(٣) » معناه أفلا أكون طالباً للزهد في اللقائات فإن الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى - لنن شكرتم لأزيدنكم - وإذا قلنا في جوار للكاشفة فلتقبض العنان ، ولترجع إلى ما يليق بعلوم العامة ، فنقول : الأنبياء عليهم السلام بشوا لدعوة الخلق

إلى كمال التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول إليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وإعما الشرح كله تعريف طريق سلوك تلك السافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة أغرى ومقام آخر فيظهر في ذلك اللقائ بالاضافة إلى تلك المشاهدة الشكر والشاكر وللشكور ولا يعرف ذلك إلا بآثار ، فأقول : يمكن أن نضم أن ملكاً من الملوك أرسل إلى عبدك بخدمته من كوا وملبوساً وقد أجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان : إحداها أن يكون قصده من وصول البعد إلى حضرة أن يقوم ببعض مهماته ويكون له عناية في خدمته ، والثانية أن لا يكون للملك حظ في البعد ولا حاجة به إليه بل حضوره لا يزيد في ملكه

(١) حديث قال في سجوده أعوذ بفوك من عقابك وأعوذ برضائك من سخطك الحديث مسلم من حديث عائشة أعوذ برضائك من سخطك وبمافانك من عقوبتك الحديث (٢) حديث إنه ليغان على قلبي الحديث تقدم في التوبة وقيله في الدعوات (٣) حديث عائشة لما قالت له غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فها هذا البكاء الحديث رواه أبو الشيخ وهو بقية حديث عطاء عنها التذم قبل هذا بتسعة أحاديث وهو عند مسلم من رواية عروة عنها مختصراً وكذلك هو في الصحيحين مختصراً من حديث الثوري بن شعبة .

والشرح فيها يجرى على لسانه وتحميد النفس تشغله معاملة نعم الحق في ذلك فائد الحظ من فوائد ظهور النفس بالاستحالة والعجب فيصكون الشيخ لما يجره الحق سبحانه وتعالى عليه مستمعا كأحد السامعين وكان الشيخ أبو السعود رحمه الله يتكلم مع الأصحاب بما يلقي إليه وكان يقول أنا في هذا الكلام مستمع كأحدكم فأهمل ذلك على بعض الحاضرين وقال إذا كان القائل هو يعلم ما يقول كيف يكون كستمع لا أعلم حتى يسمع منه فرج إلى منزله فرأى ليلته

لأنه لا يقوى على القيام بخدمة تقي فيه غناه وغنيته لاتنقص من ملكه فيكون قصد من الإنعام عليه بالمركوب والزاد أن يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادته حضرة ليتفتح هو في نفسه لا ينفع للملك به وياتنفاعه فنزل العباد من الله تعالى في النزلة الثانية لافي للنزلة الأولى فان الأولى بحال على الله تعالى والثانية غير محال . ثم اعلم أن العبد لا يكون شاكرًا في الحالة الأولى بمجرد الركوب والوصول إلى حضرة ما لم يتم بخدمته التي أرادها لذلك منه . وأما في الحالة الثانية فلا يحتاج إلى الخدمة أصلاً ومع ذلك يتصور أن يكون شاكرًا وكافرًا ويكون شكره بأن يستعمل ما أنعم الله به عليه لا لأجل نفسه وكفره أن لا يستعمل ذلك فيه بأن يعطيه أو يستعمله فما يزيد في بعدهم فهم العبد الثوب وركب القرس ولم يتفق الزاد إلا في الطريق قد شكره مولاه إذا استعمل نعمته في محبته: أي فيها أوجه لعبد لا لنفسه وإن ركب واستدبر حضرة وأخذ يمد منه فقد كفر نعمته : أي استعملها فيها كفره مولاه لعبد لا لنفسه وإن جلس ولم يركب لافي طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضًا نعمته إذا أهملها وعطّلها وإن كان هذا دون ما لو بعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرته يحتاجون إلى استعمال الشهوات لتشكل بها أبدانهم فيعدون بها عن حضرة تهوّلها سعادتهم في القرب منه فأعدّ لهم من النعم ما يقدرّون على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقرهم عبر الله تعالى إذ قال - قد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا - الآية فاذن نعم الله تعالى آيات يترقى العبد بها عن أسفل السافلين خلقها الله تعالى لأجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله تعالى غني عنه قرب أم بعد والعبد فيها بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه وبين أن يستعملها في معصيته فقد كفر لانتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فان الله لا يرضى لعباده الكفر واللعصية وإن عطّلها ولم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو أيضًا كفران للنعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا إنما خلق آلة للعبد ليتوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله في الأسباب التي استعملها في الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال أو عاص استعملها في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله تعالى فالمعصية والطاعة تشملهما للشئنة ولكن لاستعملها المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه . ووراء بيان هذه الحقيقة سرّ القدر الذي منع من إفشائه وقد أحل بهذا الاشكال الأول وهو أنه إذا لم يكن للشكور حظ فكيف يكون الشكر ، وهذا أيضًا ينحل الثاني فالإنسان بالشكر إلا انصرف نعمة الله في جهة محبة الله فإذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله فقد حصل للراد وفلعل عطاء من الله تعالى ومن حيث أنت محله قد أتى عليك وثناؤه نعمة أخرى مني إليك فهو الذي أعطى وهو الذي أتى وصار أحد فليحسب سبيلًا لانصراف فعله الثاني إلى جهة محبته فله الشكر على كل حال وأنت موصوف بأنك شاكر بمعنى أنك محلّ للتي الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك موجب لها كما أنك موصوف بأنك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق للعالم وموجد ولكن بمعنى أنك محل له وقد وجد بالقدرة الأزلية فيك فوصفك بأنك شاكر إثبات شئنة لك وأنت شيء إذ جعلك خالق الأشياء شيئًا وإنما أنت لاشيء إذا كنت أنت ظانًا لنفسك شيئًا من ذاتك فأما باعتبار النظر إلى الذي جعل الأشياء شيئًا فأنت شيء إذ جعلك شيئًا فان قطع النظر عن جعله كنت لاشيء تحقيقًا إلى هذا أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال واعملوا فكل ميسر لما خلق له ^(١) لما قيل له يا رسول الله فقيم العمل إذا كانت الأشياء قد فرغ منها من قبل فتبين أن الخلق مجاري قدرة الله تعالى وعمل أفعاله وإن كانوا هم أيضًا من أفعاله ولكن بعض أفعاله محلّ للبعض وقوله واعملوا وإن كان جاريا على

في المنام كأن
يقول له أليس القواس
يخوس في البحر لطلب
الدر ويجمع الصدق
في عائلته والدر قد
حصل معه ولكن
لأبراه إلا إذا خرج
من البحر ويشاركه
في رؤية الدر من هو
على الساحل فهم
بانام إشارة الشيخ
في ذلك فأحسن أدب
المريد مع الشيخ
السكوت والجمود
والجمود حتى يبادله
الشيخ بماله فيه من
الصالح قولًا وفعلًا
وقيل أيضًا في قوله
تعالى لا تقدموا بين
يدي الله ورسوله -
لا تطلبوا منزلة وراء
منزله ، وهذا من

(١) حديث اعموا فكل ميسر لما خلق له متفق عليه من حديث علي وعمران بن حصين .

لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فهو فعل من أفعاله وهو سبب لعل الخلق أن العمل نافع وعلمهم فعل من أفعاله الله تعالى والعلم سبب لانبعث داعية جازمة إلى الحركة والطاعة وإنعاش الداعية أيضا من أفعاله الله تعالى وهو سبب لحركة الأعضاء وهي أيضا من أفعاله الله تعالى ولكن بعض أفعاله سبب للبعض أى الأول شرط للثاني كما كان خلق الجسم سببا لخلق العرش إذ لا يخلق العرش قبله وخلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الإرادة والكل من أفعاله الله تعالى وبضها سبب للبعض : أى هو شرط ومعنى كونه شرطاً أنه لا يستمد لقبول فعل الحياة إلا جوهراً ولا يستمد لقبول العلم إلا ذو حياة ولا قبول الإرادة إلا ذو علم فيكون بعض أفعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى أن بعض أفعاله موجد لغيره بل بمعد شرط الحصول لغيره وهذا إذا حقق ارتقى إلى درجة التوحيد الذى ذكرناه . فان قلت فلم قال الله تعالى اعلموا وإلا قاتم معاقبون مذمومون على العصيان وما إلى النشوء فكيف ندع وإنما الكل إلى الله تعالى . فاعلم أن هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقادنا والاعتقاد سبب لمهبان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافى عن دار القرور ، وذلك سبب للوصول إلى جوار الله والله تعالى مسبب الأسباب ومربها فمن سبق له فى الأزل السعادة يسر له هذه الأسباب حتى يتوجه بسلسلتها إلى الجنة ويمير عن مثله : أن كلاما ليس لسا خلق له ومن لم يسبق له من الله الحسن يمد عن صماع كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء فإذا لم يسمع لم يعلم وإذا لم يعلم لم يخف وإذا لم يخف لم يترك الركون إلى الدنيا وإذا لم يترك الركون إلى الدنيا بقى فى حزب الشيطان وإن جهنم لموعدهم أجمعين ، فإذا عرفت هذا تبين من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل فما من أحد إلا وهو مقود إلى الجنة بسلاسل الأسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخدول إلا وهو مقود إلى النار بالسلاسل وهو تسليط الثقة والأمن والفرور عليه فالتقوى يساقون إلى الجنة قهراً والمجرمون يقادون إلى النار قهراً ولا قاهر إلا الله الواحد القهار ولا قادر إلا الله الجبار وإذا انكشف الغطاء عن أعين النافلين فشهدوا الأمر كذلك معوا عند ذلك نداء النادى - لمن الملك اليوم لله الواحد القهار - ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لذلك اليوم على الخصوص ولكن النافلين لا يسمعون هذا النداء إلا ذلك اليوم ، فهو نبأ عما يتجدد للنافلين من كشف الأحوال حيث لا يتفهم الكشف ، فنعوذ بالله الحليم الكريم من الجهل والعمى فإنه أصل أسباب الهلاك .

(بيان تميز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه)

اعلم أن فعل الشكر وترك الكفر لا يميز إلا بمعرفة ما يحبه الله تعالى عما يكرهه إذ معنى الشكر استعمال نعمه تعالى فى محابه ومعنى الكفر تقيض ذلك إما بترك الاستعمال أو باستعمالها فى مكارهه وتميز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه مدر كان : أحدهما السمع ومستنده الآيات والأخبار . والثانى بصيرة القلب وهو النظر بيمين الاعتبار وهذا الأخير عسير وهو لأجل ذلك عزيز ، فذلك أرسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تنبئ على معرفة جميع أحكام الشرع فى أفعاله العباد فمن لا يطلع على أحكام الشرع فى جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلاً . وأما الثانى وهو النظر بعين الاعتبار فهو إدراك حكمة الله تعالى فى كل موجود خلقه إذ ماخلق شيئاً فى العالم إلا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المهرب وتلك الحكمة منقسمة إلى جليل وخفية . أما الجلية فكالملم بأن الحكمة فى خلق الشمس أن يحصل بها الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار معاشاً والليل لباساً لتيسير الحركة عند الإبصار والسكون عند الاستئثار فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها

محسن الآداب
وأعزها و غنى المرید
أن لا يحدث نفسه
بطلب منزلة فوق
منزلة الشيخ بل يحب
للشيخ كل منزلة عالية
ويتقنى الشيخ عزيز
للشع وغرائب اللواهب
وبهذا يظهر جوه
الرشد فى حسن الإرادة
وهذا بين فى الریدین
فإرادته للشيخ تعمله
فوق ما يتقنى لنفسه
ويكون قائماً بأدب
الإرادة . قال السرى
رحمه الله حسن الأدب
ترجمان العقل . وقال
أبو عبد الله بن حنيفة
قال فى رويى يابى
اجعل عملك ملحا
وأدبك دقيقا ، وقيل
التصوف كله أدب

بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في الغيم وزول الأمطار وذلك لانشقاق الأرض بأنواع النبات مطعما للخلق ومرعى للأنام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجليلة التي تحملها أفهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه إذ قال تعالى - أنا صينا للناس صابغهم شققنا الأرض شققا فأنبتنا فيها حبا وعنبا - الآية. وأما الحكمة في سائر الكواكب السيارة ومنها ما شويت بشفقة لا يطام عليها كافة الخلق والقدر الذي يحتمله فهم الخلق أنها زينة السماء لتستلذ العين بالنظر إليها وأشار إليه قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - لجميع أجزاء العالم مما هو وكواكبها ورياحها وبحاره وجباله ومعدنه ونباته وحيواناته وأعضائه وحيواناته لا تخلو ذرة من ذراته عن حكم كثيرة من حكمة واحدة إلى عشرة إلى ألف إلى عشرة آلاف وكذا أعضاء الحيوان تنقسم إلى ما يعرف حكمها كالعلم بأن العين للإبصار واليد للبطش واللسان للمشي والرجل للمشي فأمما الأعضاء الباطنة من الأدماء وللرأفة والكبد والكلية وآحاد العروق والأعصاب والعضلات وما فيها من التجايف والالتفاف والاعتباك والأخفاف والدفقة والخلط وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها سائر الناس والذين يعرفونها لا يعرفون منها إلا قدرا يسيرا بالإضافة إلى ما في علم الله تعالى وما أو تبيّن من العلم الإقبلا فاذن كل من استعمل شيئا في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي أراده به قد كفر فيه بنعمة الله تعالى فمن ضرب غيره يده قد كفر نعمة اليد إذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه لا يهلك بها غيره ومن نظر إلى وجه غيره المحرم قد كفر نعمة العين ونعمة الشمس إذ الإبصار يتم بها وإنما خلقتا ليصير بها ما ينفعه في دينه ودنياه ويتق بها ما يضره فيها ما قد استعملها في غير ما أريدتا به وهذا لأن الراد من خلق الخلق وخلق الدنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بها على الوصول إلى الله تعالى ولا وصول إليه إلا بمجته والأنس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا والأنس بالإدوام الذكر ولا محبة إلا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر إلا بدوام البدن ولا يبقى البدن إلا بالغذاء ولا يتم الغذاء إلا بالأرض والماء والهواء ولا يتم ذلك إلا بخلق السماء والأرض وخلق سائر الأعضاء ظاهرا وباطنا فكل ذلك لأجل البدن والبدن مطية النفس والراجع إلى الله تعالى هي النفس للطمشة بطول العبادة واللعرفة فلذلك قال تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق - الآية فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله قد كفر نعمة الله في جميع الأسباب التي لا بد منها لإقامته على تلك العصية . ولذا ذكر مثلا واحدا للحكم الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى تفتري بها وتعلم طريقة الشكر والسكفران على التمس فنقول : من نعم الله تعالى خلق الدرامم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حبران لامتنة في أعيانها ولكن يضطر الخلق إليهما من حيث إن كل إنسان محتاج إلى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يجز عما يحتاج إليه ويملك ما يستغنى عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج إلى جمل يركبه ومن يملك الجمل ربما يستغنى عنه ويحتاج إلى الزعفران فلا بد بينهما من معاونة ولا بد في مقدار العوض من تقديره فلا يبدل صاحب الجمل جمه بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن أو الصورة وكذا من يشتري دارا بتياب أو عيدا بخف أو دقيقا بحمار فهذه الأشياء لا تناسب فيها فلا يدري أن الجمل كم يسوى بالزعفران فتعذر للعاملات جدا فافتقرت هذه الأعيان للتنافرة للتباعدة إلى متوسط بينها يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومزنته حتى إذا تهرت المنازل وترتبت الترتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي خلق الله تعالى الدنانير والدرامم حاكمين ومتوسطين بين سائر الأموال حتى تقدر الأموال بها فيقال هذا الجمل يسوى

لكل وقت وأدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن باتم الأدب يبلغ مبلغ الرجال ومن حرم الأدب فهو بعيد من حيث بطن القرب ومردود من حيث يرجو القبول ومن تأدب الله تعالى أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - لا ترفسوا أصواتكم فوق صوت النبي - كان ثابت بن قيس بن قيس في أذنه قرقر وكان جمهوري الصوت فكان إذا كلم أنسا جهر بصوته وربما كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فينادي بصوته فأنزل الله تعالى الآية تأديا له ولتفسيره .

مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة فهما من حيث إنهما مساويان بشيء واحد إذن متساويان وإنما أمكن التعديل بالتقدين إذ لا غرض في أعيانها ولو كان في أعيانها غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحاً ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينظم الأمر فاذا خلقهما الله تعالى لتداولهما الأيدي ويكونا حاكين بين الأموال بالعدل والحكمة أخرى وهي التوصل بهما إلى سائر الأشياء لأنهما عززان في أنفسهما ولا غرض في أعيانها ونسبتهما إلى سائر الأموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكأنه ملك كل شيء لا كن ملك نوباً فإنه لم يملك إلا الثوب فلو احتاج إلى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لأن غرضه في دابة مثلاً فاتحج إلى شيء هو في صورته كأنه ليس بشيء وهو في معناه كأنه كل الأشياء والثيء إنما تستوى نسبته إلى المختلفات إذا لم تكن له صورة خاصة يفيد بها خصوصاً كالرأه لالون لها وتحكى كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة إلى كل غرض وكالحرف لاعمى له في نفسه وتظهر به العاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيها أيضاً حكم بطول ذكرها فكل من عمل فيها عملاً لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله تعالى فيها فاذا من كثرها فقد ظلمها وأبطل الحكمة فيها وكان كمن حبس حاكم للسلمين في سجن يمنع عليه الحكم بسببه لأنه إذا كثر فقد ضيع الحكم ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم والدنانير لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة إذ لا غرض للأحد في أعيانها فاتها حجران وإنما خلقا لتداولهما الأيدي فيكونا حاكين بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب فأخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الأسطر الإلهية المكتوبة على صفحات للوجودات بخط إلى لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بين البصر بل بين البصيرة أخبر هؤلاء المجازين بكلام سمعوه من رسوله صلى الله عليه وسلم حتى وصل إليهم بواسطة الحرف والصوت الملقى الذي همزوا عن إدراكه فقال تعالى - والذين يكفرون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فشرهم عذاب أليم سول من أخذ من الدراهم والدنانير آتية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالاً ممن كثر لأن مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياة والكس والأعمال التي يقوم بها أخساء الناس والحبس أهون منه وذلك أن الحرف والحديد والرصاص والنحاس تنوب متاب الذهب والفضة في حفظ للمائعات عن أن تنبذ وإما الأواني لحفظ للمائعات ولا يكفي الحرف والحديد في القصد الذي أريد به النقود فمن لم يكشف له هذا انكشف له بالترجمة الإلهية وقيل له من شرب في آتية من ذهب أو فضة فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم ^(١) وكل من عامل معاملة الرابح الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لأنهما خلقا لتغيرهما لا لنفسهما إذ لا غرض في عينهما فإذا أبحر في عينهما فقد أخذها مقصوداً على خلاف وضع الحكمة إذ طلب النقد لتغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا قد معه نقد لا يقدر على أن يشتري به طعاماً ودابة إذ ربما لا يبيع الطعام والدابة بالثوب فهو محذور في يمه بقدر آخر ليحصل النقد فيتوصل به إلى مقصوده فاتها وسيلتان إلى التغير لا غرض في أعيانها وموقعها في الأموال كوقع الحرف من الكلام كما قال النحويون إن الحرف هو الذي جاء للمنى في غيره وكوقع للرأه من الألوان فأما من معه نقد فلو جاز له أن يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على النقداية عمله فيبقى النقد مقيداً عنده ويترك منزلة للكنوز وتهدية الحاكم والبريد للوصول إلى التغير ظلم

(١) حديث من شرب في آتية من ذهب أو فضة فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم متفق عليهن حديث أم سلمة ولم يصرح بالتسلف بكونه حديثاً .

أخبرنا ضياء الدين
عبد الوهاب بن طي
قال أنا أبو الفتح
المروى قال أنا أبو نصر
الرياني قال أنا أبو محمد
الجراحي قال أنا
أبو العباس المحبوبي
قال أنا أبو عيسى
الترمذي قال أنا محمد
ابن الشفي قال أنا مؤمل
ابن إسماعيل قال أنا فاع
ابن عمر بن جميل الجعفي
قال حدثني حابس بن
أبي مليكة قال حدثني
عبد الله بن الزبير أن
الأقرع بن حابس قدم
على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال أبو بصير
استعمله على قومه فقال
عمر لا تستعمله يا رسول
الله فكلما عند النبي
صلى الله عليه وسلم

كما أن حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد إلا أخذ النقد مقصودا ، زد - وهو ظلم . فان قلت : فلم جاز يبيع أحد التقدين بالآخر ولم جاز يبيع الدرهم بمثله . فاعلم أن أحد التقدين يخالف الآخر في مقصود التوصل ، إذ قد يتيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرته كالدرهم تنفرق في الحاجات قليلا قليلا ففي النفع منه ما يشوش القصود الخاص به ، وهو تيسر التوصل به إلى غيره . وأما يبيع الدرهم بدرهم بمثاله فجائر من حيث إن ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساوى ولا يشتغل به تاجر فانه يبتغى مجرى مجرى وضع الدرهم على الأرض وأخذته بينه ونحن لانحاف على العقلاء أن يصرفوا أوقاتهم إلى وضع الدرهم على الأرض وأخذته بينه فلا نفع مما لا تشوق النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود من الآخر وذلك أيضا لا يتصور جريانه ، إذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء ، فلا ينظم العقد وإن طلب زيادة في الرديء ، فذلك مما قد يقصده فلا جرم تمنعه منه وتحكم بأن جيدها ورديها سواء لأن الجودة والرداءة ينبغى أن ينظر إليهما فيما يقصد في عينه ، وما لا غرض في عينه فلا ينبغي أن ينظر إلى مضافات دقيقة في صفاته وإنما الذي ظلم هو الذي ضرب التقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في أعيانها وحقا أن لا تقصد . وأما إذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فاعلم أن الميزن ذلك لأنه لا يقدم على هذا إلا مسامح قاصد الإحسان في القرض وهو مكرمه مندوحة عنه لتبقى صورة للساعة فيكون له حمد وأجر . وللعارضة لاحد فيها ولا أجر فهو أيضا ظلم لأنه إضاعة خصوص السامحة وإخراجها في معرض للماوضة وكذلك الأطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى بها فلا ينبغي أن تصرف على جهتها فان فتح باب العامة فيها يوجب تضيقها في الأبدى ويؤخر عنها الأكل الذي أريدت له فما خلق الله الطعام إلا ليؤكل والحاجة إلى الأطعمة شديدة فينبغى أن تخرج عن يد المحتفى عنها إلى المحتاج ولا يعامل على الأطعمة إلا مستغنى عنها . إذ من معه طعام فلم لا يأكله إن كان محتاجا ولم يجمعه بضاعة تجارية وإن جمعه بضاعة تجارية فليسه عن طلبه بوض غير الطعام يكون محتاجا إليه . فأما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضا مستغنى عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب ، ثم بائع البر بالبر معذور إذ أحدهما لا يسد مسد الآخر في القرض وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور ولكنه عاثر فلا يحتاج إلى منع لأن النفوس لا تسمع به إلا عند التفاوت في الجودة ومقابلة الجيد بمثله من الرديء لا يرضى بها صاحب الجيد . وأما جيد برديين فقد يقصد ولكن لما كانت الأطعمة من الضروريات والجيد يساوى الرديء في أصل الفائدة وبخلافه في وجوه التتم أمقط الشرع غرض التتم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن غن الفقه فلنالحق هذا بين الفقهاء فانه أقوى من جميع ما أوردناه في الخلافات وهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي رحمه الله في التخصيص بالأطعمة دون السكيات إذ لو دخل المجلس فيه لكانت الشايب والدواب أولى بالدخول ولولا للتحلل لكان مذهب مالك رحمه الله أقوم المذاهب فيه إذ خصصه بالأوقات ولكن كل معنى يرمه الشرع فلا بد أن يضبط بمحد وتحدد هذا كان يمكننا بالقوت وكان يمكننا بالمطعم فرائى الشرع التحديد بجنس المعلوم أخرى لكل ما هو ضرورة البقاء وتحددات الشرع قد تحيط بأطراف لا تبقى فيها أصل المعنى البائع على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتجبر الحلق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالأحوال والأشخاص فحين للمعنى بكمال قوته يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص فيكون الحد ضروريا فلذلك قال الله تعالى - ومن تعد حدود الله فقد عظم نفسه

حق علت أصواتهما
فقال أبو بكر لعمر
ما أردت إلا خلاقي وقال
عمر ما أردت خلافاك
فأنزل الله تعالى الآية
فكان عمر بعد ذلك
إذا تكلم عند النبي
صلى الله عليه وسلم
لا يسمع كلامه حتى
يستفهم ، وقيل لما نزلت
الآية أتى أبو بكر أن
لا يتكلم عند النبي
صلى الله عليه وسلم إلا
كأن السراير فكذلك
ينبغي أن يكون المراد
مع الشيخ لا ينسبط
رفع الصوت وكثرة
الضحك وكثرة
السلام إلا إذا بسطه
الشيخ لرفع الصوت
تنحية جلباب الوفاق
والوقار إذا سكن

ولأن أصول هذه الماعى لا تختلف فيها الترائع وإنما تختلف في وجوه التجديد كما عهد شرع عيسى ابن مريم عليه السلام تحريم الحمر بالسكر وقد حده شرعنا بكونه من جنس السكر لأن قلبه يدعو إلى كثيره والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس كما دخل أصل للفن بالجمل الأصلية فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم التقدين فينبى أن يعتبر شكر النعمة وكفراتها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فينبى أن يصرف عنها ولا يعرف هذا إلا من قد عرف الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا - ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزايل السموات وملاب الشياطين بل لا تذكر إلا أول الألباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «ولو أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء (١)» وإذا عرفت هذا المثال قصص عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكونك وكل فعل صادر منك فانه إما شكر وإما كفر إذ لا يتصور أن ينفك عنهما وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذى تاتلق به عوام الناس بالكرهه وبضه بالخطو وكل ذلك عند أرباب القلوب موصوف بالخطو ، فأقول مثلا فواستجيت بالينى قد كثرت نعمة الدين إذ خلق الله لك الدين وجعل أحدهما أقوى من الأخرى فاستحق الأقوى عزيد رجائه فى الغالب التكريف والتفضيل وتفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يأمر إلا بالعدل ثم أحوجك من أعطاك الدين إلى أعمال بعضها شريف كأخذ الصبغ وبعضها خسيس كإزالة النجاسة فإذا أخذت للصبغ باليسار وأزلت النجاسة باليمن قد خصمت الشرف بما هو خسيس فضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك إذا بصقت مثالا في جهة القبلة أو استقبلتها في قضاء الحاجة فقد كثرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخلق سعة العالم لأنه خلق الجهات لتكون متمسكة في حركتك وقسم الجهات إلى مالم يشرفها وإلى ما شرفها بأن وضع فيها بيتا أضافه إلى نفسه استالة قلبك إليه ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار إذا عبدت ربك وكذلك اهتمت أفضالك إلى ما هي شريفة كالطاعات وإلى ما هي خسية كقضاء الحاجة ورمى البصاق فإذا رميت بصاقت إلى جهة القبلة فقد ظلمتها وكثرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التى بوضعها كالعبادت وكذلك إذا لبست خفك فابتدأت باليسرى قد ظلمت لأن الخف وقاية للرجل فالرجل فيه حظ والبداءة في الحظوظ يبنى أن تكون بالأشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة وتفضيه ظلم وكفران لنعمة الخف والرجل وهذا عند العارفين كبيرة وإن ساء الفقيه مكرها حتى إن بعضهم كان قد جمع أكرارا من الحنطة وكان يتصدق بها فسل عن سببه فقال لبست للداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا فأريد أن أكرهه بالصدقة ، ثم الفقيه لا يقدر على تضخيم الأمور في هذه الأمور لأنه مسكين بل باصلاح العوام الذين تقرب درجاتهم من درجة الأنعام وهم مغموسون في ظلمات الظلم وأعظم من أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة إليها فقيس أن يقال الذى شرب الخمر وأخذ القدر يساره قد تعدى من وجبين : أحدهما الشرب والآخر الأخذ باليسار ومن باع خمرًا في وقت النداء يوم الجمعة فقيس أن يقال خان من وجبين : أحدهما بيع الخمر والآخر البيع في وقت النداء ومن قضى حاجته في محراب للمسجد مستدبر القبلة فقيس أن يذكر تركه الأدب في قضاء الحاجة من حيث إنه لم يجعل القبلة عن يمينه فالعاصى كلها ظلمات بعضها فوق بعض فينمحق بعضها في جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده إذا استعمل سكنه بغير إذنه ولكن لو قتل تلك السكين أعز أولاده لم يق

القلب عقل اللسان
ما يقول وقد ينازل
باطن بعض الريدن
من الحرمة والوقار من
الشيخ ما لا يستطيع
الريد أن يشيع النظر
إلى الشيخ وقد كنت
أحم قيدخل على عمى
وشينى أبو النجيب
السهروردى رحمه
الله فيترشح جسدى
عرفا وكنت أعنى
المرق لتخف الحمى
فكنت أجد ذلك
عند دخول الشيخ
على ويكون في قدمه
بركة وغشاء وكنت
ذات يوم في البيت
خاليا وهناك مندبل
وهب لي الشيخ وكان
يتميم به فوق قنمى
على اللنديل اغفا قالم

(١) حديث لولأن الشياطين يحومون على بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء تقدم في الصوم .

لاستعمال السكين ينير إذنه حكم ونكاية في نفسه فشكل ماراعاه الأتيد والأتولياء من الآداب وتسامحا فيه في الفقه مع العوام ففيه هذه الضرورة وإلا فشكل هذه للكراه عدول عن العدل وكفران للنعمة وتقصان عن الدرجة للبينة للبعد إلى درجات القرب ، ثم بعضها يؤثر في العبد بقتان القرب واعطاط التلذة وبسبها يخرج بالكلية عن حدود القرب إلى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر غضنا من شجرة من غير حاجة واجزة مهمة ومن غير حاجة غرض صحيح فقد كفر نعمة الله تعالى في خلق الأشجار وخلق اليد . أما اليد فأنها لم تخلق للعبث بل للطاعة والأعمال النيرة على الطاعة . وأما الشجر فأنما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق إليه الماء وخلق فيه قوة للاغتذاء والنفاء يبلغ منتهى نشوه فيفتح به عباده فكسروا قبل منتهى نشوه لاطل وجهه ينشق به عباده مخالفة لقصود الحكمة وعدول عن العدل فإن كان له غرض صحيح فله ذلك إذا الشجر والحيوان جلا فداء لأغراض الإنسان فأنهم ما جميعا فانيان هالكان فافاء الأخص في بقاء الأشرف منهما أقرب إلى العدل من تضييعهما جميعا وإليه الإشارة بقوله تعالى - وسفر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعا منه - ثم إذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضا وإن كان محتاجا لأن كل شجرة بينها لتأني بحاجات عباد الله كلهم بل تفي بحاجة واحدة ولو خص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلما فصاحب الاختصاص هو الذي حصل البلد ووضعه في الأرض وساق إليه الماء وقام بالتعهد فهو أولى به من غيره فيرجع جانبه بذلك ، فإن ثبت ذلك في موات الأرض لأبسى آدمي اختص بمنغسه أو بمنغسه فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق إلى أخذه فللسابق خاصة السبق . فالعدل هو أن يكون أولى به ، وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك ، وهو مجال عرض ، إذ لا ملك إلا لملك الملوك الذي له مافي السموات والأرض ، وكيف يكون البعد مالكا وهو في نفسه ليس بملك نفسه بل هو ملك غيره ، ثم الخلق عباد الله والأرض مائدة الله وقد أذن لهم في الأكل من مائدة بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة لبيده ، فمن أخذ لقمة يمينه واحتوت عليها براحه فجاء عبد آخر وأراد اتزاعها من يده لم يمكن منه لأن القمة صارت ملكا له بالأخذ باليد فإن اليد وصاحب اليد أيضا مملوك ولكن إذا كانت كل لقمة بينها لتأني بحاجة كل العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والأخذ اختصاص يفرد به البعد ففتح من لا يلدل بذلك الاختصاص عن مزاحمته ، فهكذا ينبغي أن فهم أمر الله في عباده ولذلك تقول من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجته وكثره وأمسكه وفي عباد الله من يحتاج إليه فهو ظالم وهو من الدين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وإنما سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته أموال الدنيا ، إذ بها تتدفق ضرورتهم وترفع حاجاتهم ، ثم لا يدخل هذا في حدقاوى الفقه لأن مقدار الحاجات خفية والنفس في استعمار الفقر في الاستقبال عتلفة وأواخر الأعمار غير معلومة فتسكيف العوام ذلك يجري مجرى تسكيف الصبيان الوقر والتؤدة والكوثر عن كل كلام غير مهم ، وهو بحكم نقصانهم لا يطبقونه فتركنا الاعتراض عليهم في اللب واللبو وإاحتنا ذلك بإيام لا يلدل على أن الله واللبو حق فكذا ذلك إاحتنا للعوام حفظ الأموال والاقتصار في الاتفاق على قدر الزكاة لضرورة ما جلبوا عليه من البخل لا يلدل على أنه غاية الحق . وقد أشار القرآن إليه إذ قال تعالى - إن يسألكموها فيضكم تبخوا - بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه أن لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله إلا بقدر زاد الرأكب فشكل عباد الله ركاب لمطاي الأبدان إلى حضرة الملك الديان . فمن أخذ زيادة عليه ثم منعه عن ركب آخر محتاج إليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر بفضة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الأسباب التي بها عرف أن ماسوى زاد الرأكب وبإله عليه

باطن من ذلك وهاتى
الوطء بالقدم على
مندبل الشيخ وانبت
من باطن من الاحترام
ما أوجو بركته . قال
ابن عطاء في قوله تعالى
- لا ترفعوا أصواتكم -
زجر عن الأدنى لئلا
يشغلى أحد إلى ما فوقه
من ترك الحرمة وقال
سهل في ذلك لا تخاطبوه
الإستئمين . وقال
أبو بكر بن طاهر
لا تيدوه بالحطاب ولا
تجيهوه إلا على حدود
الحرمة ولا تجهروا له
بالقول كجهر بضكم
لبسنى أى لا تملطوا له
في الحطاب ولاتنادوه
بهمه بإحد يأحد كما
نادى بضكم بضاً
ولكن غسموه

في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج إلى مجلدات ثم لانفي إلا بالقليل وإنما أوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله تعالى - وقليل من عبادي الشكور - وفرح إبليس لعنه الله بقوله - ولا تجدوا كثرهم شاكرين - فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا كله وأمور أخرى ذلك تقتضي الأعمار دون استقصاء مبادئها ، فأما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير . فان قلت قد رجع حاصل هذا الكلام إلى أن الله تعالى حكمة في كل شيء وأنه جعل بعض أفعال العباد سببا لنظام تلك الحكمة وبلاغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالها مانعا من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساق الحكمة إلى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الأسباب من أن تنساق إلى الغاية للرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الأشكال باقية وهوان فعل العبد المنقسم إلى ما يتمم الحكمة وإلى ما يرفضها هو أيضا من فعل الله تعالى فأين العبدى الذين حتى يكون شاكرًا مرة وكافرًا أخرى . فاعلم أن تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم الكاشفات وقد رمزنا فيما سبق إلى تلويحات مبادئها ونحن الآن نبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها بهم ما من عرف منطق الطير ويحدها من هجر عن الإضاع في السير فضلا عن أن يحول في جوفه للسلوك جولان الطير فنقول : إن الله عز وجل في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة على ما أجل من أن تلصق عين واضع اللغة حتى يبر عنها بعبارة تدل على كنه جلاله وأخصوص حقيقتها فلم يكن لها في العالم عبارة لملا شأنها وانحطاط رتبة واضع اللغات عن أن يتبد طرف فهمهم إلى مبادئ إشراقها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش عن نور الشمس لا تنمض في نور الشمس ولكن لضيف في أبصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت أبصارهم لملاحظة جلالها إلى أن يستمروا ومن حضض عالم للتناقضين باللغات عبارة فهم من مبادئ حقاقتها شيئا ضيفا جدا فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسروا بسبب استعارتهم على النطق لقلنا لله تعالى صفة عن القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم في الوجود إلى أقسام وأخصوص صفات ومصدر اقسام هذه الأقسام واختصاصها بأخصوص صفاتها صفة أخرى استعير لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة للمشيئة فهي توهم منها أمرا مجعلا عند التناقضين باللغات التي هي حروف وأصوات المتضامين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كصور لفظ القدرة ثم اتسمت الأفعال الصادرة من القدرة إلى ما ينساق إلى المنتهى الذي هو غاية حكمتها وإلى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة إلى صفة المشيئة لرجوعها إلى الاختصاصات التي بها تم القسمة والاختلافات فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة واستعير لنسبة الوائف دون غايته عبارة الكراهة وقيل لهما جميعا دخلا في وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية أخرى في النسبة يوم لفظ المحبة والكراهة منهما أمرا مجعلا عند طالع الفهم من الألفاظ واللغات ثم اتسم عباده الذين هم أيضا من خلقه واختراعه إلى من سبقت له المشيئة الأزلية أن يستعمله لاستيقاف حكمته دون غايتها ويكون ذلك قهرا في حقهم بتسليط الدوامي والبواش عليهم وإلى من سبقت لهم في الأزل أن يستعملهم لساقه حكمته إلى غايتها في بعض الأمور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة إلى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستملين في إتمام الحكمة بهم عبارة أخرى واستعير للذين استوقف بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب فظهر على من غضب عليه في الأزل فضل وقتت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران وأردف ذلك بنعمة اللين والذمة زيادة في النكال وظهر على من ارتضاء في الأزل فضل انساق بسببه الحكمة إلى غايتها فاستعير له عبارة الشكر وأردف

واحترموه وقولوا له:

يا بني الله يا رسول الله

ومن هذا القليل

يكون خطاب المريد

مع الشيخ وإذا سكن

الوقار القلب علم اللسان

كيفية الخطاب . ولما

كلفت النفوس بحجة

الأولاد والأزواج

وتسكنت أهوية

النفوس والطباع

استخرجت من اللسان

عبارات غريبة وهي

تحت وقها صاغها

كلف النفس وهواها

فإذا امتلا القلب حرمة

ووفار تسلل اللسان

العبارة . وروى لما

نزلت هذه الآية فقد

ثابت بن قيس في

الطريق يسكن فر به

عاصم بن عدي فقال

جلمة الثناء والإطراء زيادة في الرضا والقبول والإقبال فكان الحاصل أنه تعالى أعطى الجلال ثم أثنى وأعطى الشكال ثم قبح وأردى وكان مثاله أن ينظف لللك عبده الوسخ عن أوساخه ثم يلبسه من عاسن ثيابه فإذا تم زينته قال يا جميل ما أجلك وأجل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحقبة فهو الجميل وهو للثني على الجلال فهو للثني عليه بكل حال وكأنه لم يثن من حيث للثني إلا على نفسه وإنما العبد يهدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الأمور في الأزل وهكذا تنسلسل الأسباب والسيئات بتقدير رب الأبواب ومسبب الأسباب ولم يكن ذلك على اتفاق وبحث بل عن إرادة وحكمة وحكم حق وأمر جزم استعير له لفظ القضاء وقيل إنه كلف بالبر أو هو أقرب ففاضت بحار التقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لثرب أحاد المقدرات بضمها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء يلزاه الأمر الواحد الكلي ولفظ القدر يلزاه التفصيل للتأدي إلى غير نهاية وقيل إن شيئاً من ذلك ليس خارجاً عن القضاء والقدر غطى بعض العباد أن القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والفضل وكان بضمهم لقصوره لا يطبق ملاحظة كنه هذا الأمر والاحتواء على مجامعه فأجلوا عما لم يطبقوا خوض غمرته بلجام للنم وقيل لهم اسكنوا لما لهذا خلقتم لا يستل عما يفعل وهم يسئلون وامتلأت مشكاة بضمهم نوراً مقتبساً من نور الله تعالى في السموات والأرض وكان زينهم أولاً صافياً يكاد يضيء ولو لم تمسه نار فتمت نار فاشتمل نوراً على نور فاشترقت أقطار للسلوك بين أيديهم بنور ربها فأدركوا الأمور كلها كما هي عليه قليل لهم تأدبوا بأداب الله تعالى واسكنوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا (١) فإن للحيطان آذاناً وحواليكم ضفادع الأبصار فسبروا بسير أضفكم ولا تكتفوا حجاب الشمس لأبصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فتخلقوا بأخلاق الله تعالى وأنزلوا إلى صماء الدنيا من منتهى علوكم ليأنس بكم الضفادع ويقتسبوا من بقايا أنواركم للشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والسكراب في جنح الليل فيجابه حياة محتلمها شخصه وحاله وإن كان لا يبعث به حياة للمتريدين في كمال نور الشمس وكونوا كمن قيل قيمه :

شربنا شراباً طيباً عند طيب كذلك شراب الطيبين يطيب
شربنا وأهرقنا على الأرض فضلة وللأرض من كأس الكرام نصيب

فهكذا كان أول هذا الأمر وآخره ولا يفهمه إلا إذا كنت أهلاً له وإذا كنت أهلاً له تحت العين وأبهرت فلا تحتاج إلى قائد بقوله والأعمى يمكن أن يهتد ولكن إلى حد ما فإذا ضاع الطريق وصار أحد من السيف وأدق من الشعر قدر الطائر أن يطير عليه ولم يقدر على أن يستجبر وراءه أعمى وإذا دق الجبال ولطف لطف اللاء ومثلاً ولم يكن العبور إلا بالسباحة فقد قدر الساهر بسبعة السباحة أن يعبر بنفسه وربما لم يقدر على أن يستجبر وراءه آخر فهذه أمور نسبة السيرة عليها إلى السيرة على ما هو مجال جواهر الخلق كنسبة للثني على اللاء إلى اللثني على الأرض والسباحة يمكن أن تتم فأما اللثني على الماء فلا يكتسب بالتصليم بل ينال بقوة اليقين ، ولذلك قيل لثني صلى الله عليه وسلم « إن عيسى عليه السلام يقال إنه مشى على الماء فقال صلى الله عليه وسلم لو ازداد يقيناً لثني على الهواء (٢) » فهذه

ما يبيك يا ثابت قال
هذه الآية أخوف أن
تكون زلت في أن
تخط أعمالكم وأنتم
لا تشعرون - وأنا
رفيع الصوت على النبي
صلى الله عليه وسلم
أخاف أن يحيط علي
وأكون من أهل النار
فضي عاصم إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وغلب ثابته البكاء
فأثى امرأته جميلة بنت
عبد الله بن أبي نسلول
فقال لها إذا دخلت
بيت فرسى فسدنى على
الضبة بسمار فضربت
بسمار حتى إذا خرجت
عظفته وقال لا أخرج
حتى يتوفاني الله أو
يرضى عنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما

(١) حديث إذا ذكر القدر فأمسكوا الطبراني من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم ولم يصرح بالصنف بكونه حديثاً (٢) حديث قيل له يقال إن عيسى مشى على الماء قال لو ازداد يقيناً لثني على الهواء وهذا حديث متكرر لا يعرف هكذا والمعروف ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول بكر بن عبد الله المزني قال قد الحواريون شبيب قليل له توجه نحو البحر فانطلقوا بطليونه . فلما اتهموا إلى البحر

رموز وإشارات إلى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بعم للعامة أكثر منها وقد ضرب الله تعالى مثلاً ذلك تقريباً إلى أفهام الخلق إذ عرف أنه ما خلق الجن والإنس إلا ليعبده فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم أخبر أن له عبيدين يحب أحدهما واسمه جبريل وروح القدس والأمين وهو عنده محبوب مطاع أمين مكن ويغض الآخر واسمه إبليس وهو اللعين النظري في يوم الدين ، ثم أحال الإبراهيم إلى جبريل فقال تعالى - قل تزله روح القدس من ربك بالحق - وقال تعالى - يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده - وأحال الإغواء على إبليس فقال تعالى - بل عن سبيله - والإغواء هو استغفاف السباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسب إلى العبد الذي غضب عليه والارشاد سبأه لهم إلى الغاية فانظر كيف نسب إلى العبد الذي أحبه وعندك في العادة له مثال فالملك إذا كان محتاجاً إلى من يسقيه الشراب وإلى من يحجمه وينظف فناء منزله عن القاذورات وكان له عيذان فلا يبرهن للحجامة والتنظيف إلا أتبعهما وأحسهما ولا غرض من حمل الشراب الطيب إلا إلى أحسنهما وأكملهما وأحسبهما إلا لا ينبغي أن تقول هذا فلي ولا يكون فله دون فلي - فانك أخطأت إذ أضفت ذلك إلى قسك بل هو الذي صرف فداعتك لتخصيص الفعل للكرهه بالشخص للكرهه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب إتماماً للعدل فإن عدله تارة يتم بأمور لا مدخل لك فيها وتارة يتم بك فانك أيضاً من أفضاله فداعتك وقدرتك وعلمك وعملك وسائر أسباب حر كاتك في التمييز هو فضله الذي رتب به بالعدل ترتيباً تصدر منه الأفضال للعدالة إلا أنك لا ترى إلا قسك فتظن أن ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب وللنكوت فذلك تضيفه إلى قسك وإبما أنت مثل الصبي الذي ينظر ليلاً إلى لعب الشهد الذي يخرج صوراً من وراء حجاب ترقص وتزق وتقوم وتقصده هو مؤلفه من خرق لا تتحرك بأنفسها وإنما تحركها خيوط شعيرة دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ووردها وسها في يد الشهد وهو محتجب عن أبصار الصبيان فيفرحون ويتحجبون لظنهم أن تلك الحرق ترقص وتلعب وتقوم وتقصده ، وأما الغلاء فاتهم يملون أن ذلك تحريك وليس تحرك ولكنهم ربما لا يملون كيف تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يملكه كما يملكه للشهد الذي الأمر إليه والجاذبة يده فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان بالنسبة إلى العلماء ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون أنها التحركة فيجولون عليها ، والعلماء يعلمون أنهم محر كون إلا أنهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الأكثرون إلا العارفين والعلماء الراسخون فانهم أدر كوا بحمة أبصارهم خيوط دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الأطراف بأشخاص أهل الأرض لا تندرك تلك الخيوط لثباتها بهذه الأبصار الظاهرة ثم شاهدوا رءوس تلك الخيوط في مناطق لها هي معلقة بها وشاهدوا تلك المناطق مقاض هي في أيدي الالكه المحركين للسماوات وشاهدوا أيضاً ملائكة السماوات مصروفة إلى حمة العرش ينظرون منهم ما ينزل عليهم من الأمر من حضرة الربوبية كي لا يصوا الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن وقيل - وفي السماء رزقكم وما توعدون - وعبر عن انتظار ملائكة السماوات لما ينزل إليهم من القدر والأمر فقيل - خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهما تعلماً أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً - وهذه أمور لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنهما عن اختصاص

إذاً هو قد أقبل يمشي على الماء فذكر حديثاً فيه أن عيسى قال : لو أن لابن آدم من اليقين شعرة مشى على الماء وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف من حديث معاذ بن جبل لوعرقه الله حق معرفته لشيت على البحور وزالت بدعائكم الجبال

أتى حاصم النبي وأخبره بحسبه قال اذهب فادعه فجاء حاصم إلى المكان الذي فيه رآه فلم يجده فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرس فقال له إن رسول الله يدعوك فقال اكسر الضبة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك يا ثابت فقال أنا صليت وأخاف أن تكون هذه الآية نزلت في فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش سميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة فقال قد رضيت بشعري الله تعالى ورسوله ولا أرفع صوتي أبداً على

الراشخين فى العلم بماوم لاعتماها أفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى - ينزل الأمرين - فقال لو ذكرت ماأعرفه من معنى هذه الآية لرجعتونى وفى لفظ آخر قلتم إنه كافر . ولتقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بلم العامة مالمس منه فلنرجع إلى مقاصد الشكر فنقول : إذا رجع حقيقة الشكر إلى كون البند مستعلا فى إتمام حكمة الله تعالى فأشكر العباد أحبهم إلى الله وأقربهم إليه وأقربهم إلى الله للأنكة ولهم أيضا ترتيب وامنهم إلاله مقام معلوم وأعلام فى رتبة القرب ملك اسمه إسرائيل عليه السلام وإمما علو درجتهم لأنهم فى أنفسهم كرام بررة وقد أصلح الله تعالى بهم الأنبياء عليهم السلام وهم أشرف مخلوق على وجه الأرض وبلى درجتهم درجة الأنبياء فانهم فى أنفسهم أخبار وقد هدى الله بهم سائر الخلق ونعم بهم حكته وأعلام رتبة نبينا ﷺ وعليهم إذ أكمل الله به الدين وختم به النبىين ويلهم السواء الدين هم ورثة الأنبياء فانهم فى أنفسهم صالحون وقد أصلح الله بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد منهم بقدر ماأصلح من نفسه ومن غيره ثم يلهم السلاطين بالعدل لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم ولأجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان أفضل من سائر الأنبياء فانه أكمل الله به صلاح دينهم ودينام ولم يكن السيف ولللك لغيره من الأنبياء ثم بلى العلماء والسلاطين الصالحون الدين أصلحوا دينهم ونفوسهم فقط فلم تتم حكمة الله بهم بل فى فهم ومن عدا هؤلاء فهمج راع . واعلم أن السلطان بقوام الدين فلا ينبغي أن يستحق وإن كان ظالما فاسقا . قال عمرو بن العاص رحمه الله : إمام غشوم خير من فتنة تدوم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتتكرون ويفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فان أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساءوا فاطلبهم الوزر وعليكم الصبر » (١) . وقال سهل من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق ومن داه السلطان فلم يجب فهو بدع ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل . وسئل أى الناس خير فقال السلطان قليل كنز أى شر الناس السلطان فقال مهلا إن لله تعالى كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال المسلمين ونظرة إلى علامة أبدانهم فيطلع فى صفيته فيفترله جميع ذنبه وكان يقول الخشب السود الملقة على أبوابهم خير من سبعين قاصية قصون .

(الركن الثانى من أر كان الشكر مأعله الشكر)

وهو النعمة فلندكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ومجامها بما يخص وبم فإن إحصاء نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - فنقدم أمورا كلية تجرى مجرى القوانين فى معرفة النعم ثم نشتغل بذكر الأحاد والله اللوفق للصواب .

(بيان حقيقة النعمة وأقسامها)

اعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فانه يسمى نعمة ولكن النعمة الحقيقية هى

(١) حديث سيكون عليكم أمراء يفسدون وما يصلح الله بهم أكثر الحديث مسلم من حديث أم سلمة يستعمل عليكم أمراء تعرفون وتتكرون ورواه الترمذى بلفظ سيكون عليكم أكثر وقال حسن صحيح وللبراز بسند ضعيف من حديث ابن عمر السلطان ظل الله فى الأرض بأوى إليه كل مظلوم من عباده فان عدل كان له الأجر وكان على الرعية الشكر وإن جار أو خاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر . وأما قوله وما يصلح الله بهم أكثر فلم أجده بهذا اللفظ إلا أنه يؤخذ من حديث ابن مسعود حين فرغ إليه الناس لما أنكروا ميرة الوليد بن عقبة فقال عبيد الله اصبروا فان جور إمامكم خسين سنة خير من هرج شهر فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قد كرهت الدنيا والإمارة الفاجرة خير من المخرج رواء الطبرانى فى الكبير بإسناد لا بأس به .

رسول الله فأنزل الله تعالى - إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله - قال أنس كنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشى بين أيدينا فلما كان يوم الجمعة فى حرب مسيلة تراه ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهمز طائفة منهم فقال ألف هؤلاء وما يصنعون ثم قال ثابت لسالم بن حذيفة ما كنا نقابل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا ولم يزالا يقاتلان حتى قتلوا واستشهدا ثابت كما وعدده رسول الله

السعادة الأخروية وتسمية ماسواها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تدوم على الأخرى نعمة فإن ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويمن عليها إما بواسطة واحدة أو بواسطة ثلثة فإن تسميته نعمة صحيحة وصدق لأجل أنه يغضى إلى النعمة الحقيقية والأسباب العينة والذات السجدة نعمة تشرحها بتقسيمات [القسم الأول] أن الأمور كلها بالإضافة إلى ما تنقسم إلى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق وإلى ما هو ضار فيها جميعا كالجهل وسوء الخلق وإلى ما ينفع في الحال ويضر في الآخرة كالتلذذ بتابع الشهوات وإلى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في الآخرة كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنفع في الحال والآخرة هو النعمة تحقيا كالعلم وحسن الخلق والضار فيها هو البلاء تحقيا وهو ضدها والنافع في الحال للضرر في الآخرة بلاء محض عند ذوي البصائر وتظن الجاهل نعمة ومثاله الجائع إذا وجد عسلا فيه سم فإنه يمد نعمة إن كان جاهلا وإذا علمه علم أن ذلك بلاء حقيق وإلى الضار في الحال النافع في الآخرة نعمة عند ذوي الأبواب بلاء عند الجاهل ومثاله الدواء البشع في الحال مذاقه إلا أنه شاف من الأمراض والأقسام وجالب للصحة والسلامة فالصبي الجاهل إذا كلف شربه ظنه بلاء والمائل يمد نعمة ويشقه المنة بمن يهديه إليه ويخبره منه ويهيء له أسبابه فلذلك تمنع الأم ولها من الحجامة والأب يدعو إليها فإن الأب لكامل عقله يلبس العاقبة والأم لقرط حبا وقصورها تلحظ الحال والصبي لجهله يتقبل منة من أمه دون أبيه ويأس إليها وإلى شفقها ويقدر الأب عدوا له ولو عقل لعلم أن الأم عدو باطن في صورة صديق لأن منها إياه من الحجامة يسوقه إلى أمراض وآلام أشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل إنسان فإنه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك تعمل به مالا يعمل به العدو [قصة ثالثة] أعلم أن الأسباب الدنيوية مختلطة قد امتاز خيرها بشرها قلما يصفو خيرها كالمال والأهل والولد والأقارب والجاه وسائر الأسباب ولكن تنقسم إلى ما تنفع أكثر من ضره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الأسباب وإلى ما ضره أكثر من نفعه في حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع وإلى ما يكافئ ضرره نفعه وهذه أمور تختلف بالأشخاص فرب إنسان صالح يستمتع بالمال الصالح وإن كثرت فينفقه في سبيل الله ويصرفه إلى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حق مورت إنسان يستشعر بالقليل أيضا إذ لا يزال مستغفرا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حق [قصة ثالثة] أعلم أن الحيرات باعتبار آخر تنقسم إلى ما هو مؤثر لدائه لا تغيره وإلى مؤثر لتغيره وإلى مؤثر لدائه لا تغيره . فالأول ما يؤثر لدائه لا تغيره ككلذة النظر إلى وجه الله تعالى وسعادة لقائه ، وبالجملة سعادة الأخرى التي لا تضاهي لها فاتها لا تطلب ليتوصل بها إلى غاية أخرى مقصودة ورأها بل تطلب لدائها . الثاني ما يقصد لتغيره ولا غرض أصلا في ذاته كالدرهم والدنانير فإن الحاجة لو كانت لا تنقضي بها لكأنها هي والحصاة بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة إلى اللذات سرحة الإقبال إليها صارت عند الجاهل محبوبة في نفسها حتى يجمعوها ويكثرونها ويتصارفوا عليها بالربا ويظنون أنهم مقصودة ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول محبة الأصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعبد الرسول ومراعاته وتقدمه وهو غاية الجهل والضلال . الثالث ما يقصده لدائه ولتغيره والصحة والسلامة فاتها تحصيل بقدر سببها المذكور والفكر الموصلي إلى لقاء الله تعالى أو ليتوصل بها إلى استيفاء لذات الدنيا وتقصده أيضا لدائها فإن الإنسان وإن استغنى عن الشيء الذي تراد سلامة الرجل لأجله فيريد أيضا سلامة الرجل

صلى الله عليه وسلم
وعليه درع فركه
رجل من الصحابة بعد
موته في المنام فقال له
اعلم أن فلانا رجلا من
المسلمين نزع درعي
فذهب بها وهو في
ناحية من السكر
وعنده فرس يستن
في طيله وقد وضع طي
درعي برمة قالت خالده
ابن الوليد فأخبره
حتى يسترد درعي والنت
أبا بكر خليفة رسول
الله عليه السلام قل
له إن طي دينا حتى
يقضى غنى وفلان من
عبيدي عتيق فأخبر
الرجل خالدا فوجد
الدرع والفرس طي
ما وصفه فاسترد الدرع
وأخبر خالدا أبا بكر

من حيث إنها سلامة فإذا أثر لذاته قُطع هو الخير والنعمة تحقّقاً وما يؤثر لذاته ولغيره بأضافه
 نعمة ولكن دون الأول فأما مالا يؤثر إلا لغيره كالقديّن فلا يوصفان في أنفسهما من حيث إنهما
 جوهراّن بأيهما نعمة بل من حيث هما سيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد أمراً ليس يمكنه
 أن يتوصل إليه إلا بهما فلو كان مقصده العلم والمادة وسعة الكفاية التي هي ضرورة حياته استوى عنده
 الذهب واللدن فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغفه وجودهما عن الفكر
 والمادة فيكونان بلاه في حقّه ولا يكونان نعمة [قسمة رابعة] اعلم أن الخبرات باعتبار آخر تنقسم
 إلى نافع ولذيد وجيل فاللذيد هو الذي تدرك راحته في الحال والتافع هو الذي يفيد في المال والجيل
 هو الذي يستحسن في سائر الأحوال . والشروع أيضاً تنقسم إلى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من
 القسمين ضريان مطلق ومقيد . فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الأوصاف الثلاثة أما في الخير فكالعلم
 والحكمة فانهما نافعة وجيلة ولذيدة عند أهل العلم والحكمة وأما في الشر فكالجهل فانه ضار وقبيح
 ومؤلم وإنما يحس الجاهل بأن جهله إذا عرف أنه جاهل وذلك بأن يرى غيره علماً ويرى نفسه
 جاهلاً فيدرك ألم النقص فتنبهت منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد يمنه الحسد والكبر والشهوات
 البدنية عن التعلم فيتجاهبه متضادان فيعظم ألمه فانه إن ترك التعلم تألم بالجهل ودرك نقصان
 وإن اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو بترك الكبر وذلك التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في
 عذاب دائم لا محالة . والضرب الثاني للقيح وهو الذي جمع بعض هذه الأوصاف دون بعض فرب
 نافع مؤلم كقطع الأصبع للتأكل والسلمة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالخمر فانه بالإضافة
 إلى بعض الأحوال نافع فقد قيل استراح من لا عقل له فانه لا يتعب بالمقاومة فيسترخ في الحال إلى أن
 يحين وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كإلقاء المال في البحر عند خوف الفرق
 فانه ضار لجمال نافع لنفس في نجاتها والتافع قسبان ضروري كالإيمان وحسن الخلق في الإيصال
 إلى سعادة الآخرة وأغنى بهما العلم والعمل إذ لا يقوم مقامهما البتة غيرها وإلى مالا يكون ضروريا
 كالسكنجبين مثلاً في تمكين الصفراء فانه قد يمكن تسكينها أيضاً بما يقوم مقامه [قسمة خامسة]
 اعلم أن النعمة يبر بها عن شكل اللذيد والذبات بالإضافة إلى الإنسان من حيث اختصاصه بها
 أو مشاركته لغيره ثلاثة أنواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع
 الحيوانات أما العقلية فكلذمة العلم والحكمة إذ ليس يستلذه السمع والبصر والشم والذوق ولا البطن
 ولا الفرج وإنما يستلذه القلب لاختصاصه بصفة يبر عنها بالقل وهذه أقل اللذات وجودا وهي
 أشرفها أما قلها فلأن العلم لا يستلذه إلا عالم والحكمة لا يستلذه إلا حكيم وما أقل أهل العلم والحكمة
 وما أكثر للتسعين بأجمعهم وللترميمين برسومهم وأما شرفها فلأنها لازمة لتزول أبداً لا في الدنيا ولا
 في الآخرة ودائمة لا تمحل فالطعام يشبع منه فيمل وشهوة الوقاع يفرغ منها فتستقل والعلم والحكمة
 قط لا يتصور أن تمحل وتستقل ومن قدر على الشرف الباقي أبداً الأبد إذا رضى بالحسب الثاني
 في أقرب الأماد فهو مصاب في عقله محروم لشقاوته وإدباره وأقل أمر فيه أن العلم والعقل لا يحتاج
 إلى أعوان وحفظه بخلاف المال إذ العلم محرسك وأنت تحرس المال والعلم يزيد بالإخفاق والمال
 ينقص بالإخفاق والمال يسرق والولاية يزل عنها والمال لا تمتد إليه أيدي السراق بالأخذ ولا أبدى
 السلاطين بالعزل فيكون صاحبه في روح الأمن أبداً وصاحب المال والجاه في كرب الخوف أبداً
 ثم العلم نافع ولذيد وجيل في كل حال أبداً والمال تارة يجذب إلى الهلاك وتارة يجذب إلى النجاة
 ولذلك ذم الله تعالى المال في القرآن في مواضع وإن سماه خيراً في مواضع وأما قصوراً أكثر الخلق

بتلك الرؤيا فأجاز
 أير بكر وصيته قال
 مالك بن أنس رضى
 الله عنهما لأعلم وصية
 أجزت بسد موت
 صاحبها إلا هذه فهذه
 كرامة ظهرت لثابت
 بحسن تقواه وأدب مع
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فيعتبر
 المريد الصادق ويعلم
 أن الشيخ عنده
 تذكرة من الله ورسوله
 وأن الذي يعتمد مع
 الشيخ عوض ما لو كان
 في زمن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم واعتمده
 مع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فلما قام القوم
 بواجب الأدب أخبر
 الحق عن حالهم وأثنى
 عليهم فقال - أولئك

عن إدراك لذة العلم فلما لعمد الدوق فمن لم يندق لم يعرف ولم يشتق إذ الشوق تبع الدوق وإما لفساد
 أمزجتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمرض الذي لا يدرك حلالة العسل ويراه مرأ
 وإما لتصور فطنتهم إذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستد العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة
 العسل والطيور السنان ولا يستدل إلا بالبن وذلك لا يدل على أنها ليست لذينة ولا استطابة الابن تدل
 على أنه ألد الأشياء فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة إما من لم يحى بطنه كالطفل وإما
 من مات بعد الحياة باتباع الشهوات وإما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى - في قلوبهم
 مرض - إشارة إلى مرض القول وقوله عز وجل - لينذر من كان حيا - إشارة إلى من لم يحى
 حياة بطنه وكل حى بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من اللوث وإن كان عند الجهال من الأحياء
 ولذلك كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وإن كانوا موتى بالأبدان . الثانية لذة
 يشارك الانسان فيها بعض الحيوانات كلفة الرياضة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الأسد والفيل
 وبعض الحيوانات . الثالثة ما يشارك فيها سائر الحيوانات كلفة البطن والفرج وهذه أكثرها وجودا
 وهي أخسها ولذلك اشترك فيها كل مادي ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة
 تشبث به لذة الغلبة وهو أعدها التصاقا بالمنافلين فإن جاوز ذلك ارتقى إلى الثالثة فصار أغلب
 اللذات عليه لذة العلم والحكمة لاسيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذم رتبة الصدقين
 ولا ينال تمامها إلا بخروج استيلاء حب الرياضة من القلب وخروج من رءوس الصديقين حب
 الرياضة وأما شره البطن والفرج فكسره بما يقوى عليه الصالحون وعشوة الرياضة لا يقوى على
 كسرها إلا الصديقون فأما قسمها بالكيفية حتى لا يقع بها الإحساس على الدوام وفي اختلاف الأحوال
 فيشبه أن يكون خارجا عن مقدور البشر . نعم تطلب لذة معرفة الله تعالى في أحوال لا يقع معها الإحساس
 بلذة الرياضة والغلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تقتربه الفترات فتعود إليه الصفات البشرية
 فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا تهوى على حمل النفس على الدول عن الدول وعند هذا
 تنقسم القلوب إلى أربعة أقسام قلب لا يحب إلا الله تعالى ولا يستريح إلا بزيادة المعرفة به والفكر
 فيه وقلب لا يدري مالهذ للمعرفة وماعنى الأنس بالله وإيمانه بآفته بالجاء والرياضة وللحال وسائر الشهوات
 البدنية وقلب أغلب أحواله الأنس بالله سبحانه والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعتره في
 بعض الأحوال الرجوع إلى أوصاف البشرية وقلب أغلب أحواله التلذذ بالصفات البشرية ويعتره
 في بعض الأحوال تلذذ بالعلم والمعرفة أما الأول فإن كان ممكنا في الوجود فهو في غاية البعد أما الثاني
 فالذي طاف به وأما الثالث والرابع فرجودان ولكن على غاية الندور ولا يتصور أن يكون ذلك
 إلا نادرا شاذا وهو مع الندور يتفاوت في القوة والكثرة وإتمام تكون كثرته في الأعصار القريبة
 من أعصار الأنبياء عليهم السلام فلا يزال يزداد العهد طولا وتزداد مثل هذه القلوب قلة إلى أن تقرب
 الساعة ويقضى الله أمرا كان مفعولا وإنما وجب أن يكون هذا نادرا لأنه مبادئ ملك الآخرة
 وللملك عزيز وللوك لا يكثران فكما لا يكون القائق في الملك والجمال إلا نادرا وأكثر الناس من
 دونهم فكذا في ملك الآخرة فإن الدنيا مرآة الآخرة فانها عبارة عن عالم الشهادة والآخرة عبارة
 عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما أن الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة
 والصورة في المرآة وإن كانت هي الثانية في رتبة الوجود فانها أولى في حق رؤيتك فانك لا ترى
 نفسك وترى صورتك في المرآة أولا فتصرف بها صورتك التي هي قائمة بك إنما على سبيل المحاكاة
 فالقلب النابع في الوجود متبوعا في حق للمعرفة والقلب المتأخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس

الذين امتحن الله قلوبهم
 للتقوى - أى اختبر
 قلوبهم وأخلصها كما
 يمتحن الذهب بالنار
 فيخرج خالصه وكان
 النسان ترجمان القلب
 وتهذب اللفظ لتأدب
 القلب فهذا يذنب أن
 يكون السريد مع
 الشيخ - قال أبو عثمان
 الأدب عند الأكابر
 وفي مجالسة السادات من
 الأولياء يبلغ صاحبه
 إلى الدرجات العلى
 والخير في الأولى والعز في
 الآخرة إلى قول الله
 تعالى - ولولاهم صبروا
 حتى نخرجهم إلى مكان
 خير لهم - وما سألهم
 الله تعالى قوله - سبحانه
 - إن الذين ينادونك
 من وراء الحجابات

ولكن الانكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة يحاك لعالم النيب ولللكوت فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك إلا ويصير به إلى عالم لللكوت فيسمى عبوره عبدة وقد أمر الحق به فقال - فاعتبروا بأولي الأَبصار - ومنهم من عَميت بصيرته فلم يعتبر فاحتسب في عالم الملك والشهادة وستفتش إلى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس مملوء ناراً من شأنها أن تطلع على الأُكُتة إلا أن بينه وبين إدراكها حجاباً فإذا رفع ذلك الحجاب بالوت أدرك وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم استقطعتهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان ولكن الجحيم تدرك مرة بإدراك يسمى علم اليقين ومرة بإدراك آخر يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون إلا في الآخرة وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين قد وفوا حظهم من نور اليقين فذلك قال الله تعالى - كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم - أي في الدنيا - ثم لترونها عين اليقين - أي في الآخرة فإذا قد ظهر أن القلب الصالح الملك الآخرة لا يكون إلا عزيراً كالشخص الصالح الملك الله الدنيا .

(قصة سادسة حاوية لجامع النعم)

اعلم أن النعم تنقسم إلى ما هي غاية مطلوبة لذاتها وإلى ما هي مطلوبة لأجل الغاية أما الغاية فأنها سعادة الآخرة ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور : بقاء لافناء له وسرور لا فم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر بعده وهي النعمة الحقيقية ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يعيش إلا يعيش الآخرة (١) » وقال ذلك مرة في الشدة تسلياً للنفس وذلك في وقت حفر الخندق في شدة الضر - وقال ذلك مرة في السرور منافع للنفس من الركون إلى سرور الدنيا وذلك عند إحداق الناس به في حجة الوداع (٢) وقال رجل « اللهم إني أسألك تمام النعمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهل تعلم تمامها فقال لا قال تمام النعمة دخول الجنة (٣) » وأما الوسائل فتقسم إلى الأقرب الأخص كفضائل النفس وإلى ما يليه في القرب كفضائل البدن وهو الثاني وإلى ما يليه في القرب وبجاوز إلى غير البدن كالأسباب الطيبة بالبدن من اللال والأهل والشيرة وإلى ما يجمع بين هذه الأسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والمهداية فهي إذن أربعة أنواع : النوع الأول وهو الأخص الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انضمام أطرافها إلى الإيمان وحسن الخلق وينقسم الإيمان إلى علم للكشفة وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسوله وإلى علوم للعامة ، وحسن الخلق ينقسم إلى قسمين ترك مقتضى الشهوات والغضب وإحسان العفة ومراعاة العدل في السكف عن مقتضى الشهوات والإقدام حتى لا يمتنع أصلاً ولا يقدم كيف شاء بل يكون إقدامه وإحجامه بالميزان العدل الذي أنزله الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم إذ قال تعالى - أن لا تطغوا في اللباز وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا للباز - فمن خشي نفسه ليزيل شهوة النكاح أو ترك النكاح مع القدرة والأمن من الآفات أو ترك الأكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفسر فقد أخسر اللباز ومن اتهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في اللباز وإحسان العدل أن يغلو وزنه وتقديره عن الطغيان والحسرة أن تقتصد به كفتنا للرباز فأذن الفضائل الخاصة بالنفس القريبة إلى الله تعالى أربعة علم مكشوفة وعلم معاملة وعفة وعدالة ولا يتم هذا في غالب الأمر إلا بالنوع الثاني وهو الفضائل البدنية

أكرمهم لا يتقون -
وكان هذا الحال من
وفد بني تميم جاء إلى
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنادوا يا محمد
أخرج إلينا فان مدحنا
زين وذمنا حين قال
فسمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم غفر
إليهم وهو يقول « إنما
ذلكم الله الذي ذمه
حين ومدحه زين » في
قصة طويلة وكانوا أتوا
بشاعرهم وخطيبهم
فلقبهم حسان بن ثابت
وشيبان لهاجرين
والأنصار بالخطبة وفي
هذا تأدب للفرد في
الدخول إلى الشيخ
والإقدام عليه وتركه
الاستعجال وصبره إلى
أن يخرج الشيخ من

- (١) حديث قوله عند حفر الخندق لا يعيش إلا يعيش الآخرة متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث قوله في حجة الوداع لا يعيش إلا يعيش الآخرة الشافعي مرسلاً والحاكم متصلًا وصححه وتقدم في المسج
- (٣) حديث قال رجل اللهم إني أسألك تمام النعمة الحديث الترمذي من حديث معاذ يسند حسن

وهي أربعة الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تبتلى هذه الأمور الأربعة إلا بالنوع الثالث وهي النعم الخارجة الطيفة بالبدن وهي أربعة المال والأهل والجاه وكرم العشرة ولا يتنعم شيء من هذه الأسباب الخارجة والبدنية إلا بالنوع الرابع وهي الأسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي أربعة : هداية الله ورشده وتسيده وتأييده ، فجميع هذه النعم ستة عشر إذا قسمناها إلى أربعة وقسمنا كل واحدة من الأربعة إلى أربعة وهذه الجملية يحتاج البعض منها إلى البعض إما حاجة ضرورية أو نافعة . أما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة إلى الإيمان وحسن الخلق إذ لا سبيل إلى الوصول إلى سعادة الآخرة البتة إلا بهما فليس للإنسان إلا ما سعى وليس لأحد في الآخرة إلا ما تزود من الدنيا فكذلك حاجة الفضائل النفسية التي تكسب هذه العلوم وتهذيب الأخلاق إلى صحة البدن ضروري . وأما الحاجة النافعة هي الجملية فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية إلى النعم الخارجة مثل المال والعز والأهل فان ذلك لو عدم بما تقرر من الجملية فالحاجة إلى بعض النعم الداخلة . فان قلت : فما وجه الحاجة لطريق الآخرة إلى النعم الخارجة من المال والأهل والجاه والعشرة . فاعلم أن هذه الأسباب جارية مجرى الجناح البالغ والآلة السهلة المقصود . أما المال فالتقير في طلب العلم والكمال وليس له كفاية : كساع إلى المحجا بغير سلاح ، وكبازي بروم الصيد بلا جناح ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « نعم للمال الصالح للرجل الصالح ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « نعم العون على تقوى الله المال ^(٢) » وكيف لا ومن عدم المال صار مستغرق الأوقات في طلب الأوقات وفي تهئية لباس والسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لأنواع من الأذى تشغله عن الذكر والفكر ولا تدفع إلا بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكاة والصدقات وإفاضة الخيرات . وقال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعم فقال : التقى فاني رأيت الفقير لا يعيش له ، قيل زدنا ، قال الأمن فاني رأيت الخائف لا يعيش له ، قيل زدنا ، قال العافية فاني رأيت المريض لا يعيش له ، قيل زدنا ، قال الشباب فاني رأيت الهرم لا يعيش له ، وكأن ما ذكره إشارة إلى نعم الدنيا ولكن من حيث إنه معين على الآخرة فهو نعمة ؟ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من أصبح معافي في بدنه أمان في سره عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ^(٣) » وأما الأهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة إليهما إذ قال صلى الله عليه وسلم « نعم العون على الدين المرأة الصالحة ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم في الولد « إذا مات البعد انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له ^(٥) » والحديث وقد ذكرنا فوائد الأهل والولد في كتاب النكاح . وأما الأقارب فهما كثر أولاد الرجل وأقاربه كانوا له مثل الأعيان والأبدى فينتسب له يسميهم من الأمور الدنيوية المهمة في دينه ما لو اغرد به لطل شمله وكل ما يفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين لك على الدين فهو إذن نعمة . وأما العز

موضع خلة . نعمت
أن الشيخ عبدالقادر
رحمه الله كان إذا جاء
إليه فقير زائر غيبر
بالفقير فيخرج ويفتح
جانب الباب ويصافح
الفقير ويسلم عليه ولا
يجلس معه ويرجع
إلى خلوته وإذا جاء
أحد ممن ليس من
زمرة الفقراء يخرج
ويجلس معه غفط
لبعض الفقراء نوع
إشكار ثم تركه الخروج
إلى الفقير وخروجه
لتسريح الفقير فأنهى
ما خطر لفقير إلى
الشيخ فقال الفقير
رابطتنا معه رابطة
قلبية وهو أهل وليس
عنده أجنبية فكنتني
معه بمواقة القلوب

(١) حديث نعم المال الصالح للرجل الصالح أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث عمرو بن العاص
يسند جيد (٢) حديث نعم العون على تقوى الله للمال أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من
رواية محمد بن المنكدر عن جابر ورواه أبو القاسم البغوي من رواية ابن المنكدر مرسلًا ومن طريقه
رواه القزاعي في مسند الشهاب هكذا مرسلًا (٣) حديث من أصبح معافي في بدنه أمان في سره
الحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محسن الأنصاري وقد تقدم (٤) حديث
نعم العون على الدين المرأة الصالحة لم أجد له إسنادًا ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو الدنيا متاع
وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة (٥) حديث إذا مات البعد انقطع عمله إلا من ثلاث الحديث مسلم من
حديث أبي هريرة وتقدم في النكاح .

والجاء فيه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضم ولا يستغنى عنه مسلم فانه لا يفتك عن عدو يؤذيه
وظالم يشوش عليه وعمله وفراغه وبشغل قلبه وقلبه رأس ماله وإنما تدفع هذه الشواغل بالعين
والجاء ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان . قال تعالى - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الأرض - ولا معنى للجاء إلى ملك القلوب كالأمر للفقير بالملك الدرام ومن ملك الدرام تسخرت له
أرباب القلوب لدفع الأذى عنه فكما يحتاج الإنسان إلى سقف يدفع عنه للطر وجبة تدفع عنه البرد
وكلب يدفع الذئب عن ماشيته فيحتاج أيضاً إلى من يدفع الشر به عن نفسه ، وعلى هذا القصد كان
الأنبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطة يرعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاء وكذلك علماء الدين
لا يلقى قصد التناول من خزانهم والاستثمار والاستكثار في الدنيا بما ينبتهم ولا تظن أن نعمة الله تعالى
على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث نصره وأكل دينه وأظهره على جميع أعدائه ومكن في القلوب
جبه حتى اتسع به عزه وجاهه كانت أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر إلى
الحرب والهجرة (١) ، فان قلت كرم العشرة وشرف الأهل هو من النعم أم لا ؟ فأقول نعم ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قريش (٢) » ولذلك كان صلى الله عليه وسلم من أكرم
الناس أرومة في نسب آدم عليه السلام (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « تخيروا لنطفكم الأكرام (٤) »
وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم وخضراء الدمن ، قليل وما خضراء الدمن ؟ قال المرأة الحسناء في
النبت السوء (٥) » فهذا أيضاً من النعم ولست أعني بالانتساب إلى الظلمة أو أرباب الدنيا بل لا تنسب
إلى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أئمة النساء وإلى الصالحين والأبرار للتوسمين بالعلم
والعمل . فان قلت فما معنى الفضائل البدنية . فأقول لاختفاء بشدة الحاجة إلى الصحة والقوة وإلى

وتنفع بها عن ملاقة
الظاهرة بهذا القدر
وأما من هو من غير
جنس الفقراء فهو
واقف مع العادات
والظاهر فلي لم يوف
حقه مسن الظاهر
استوحش خلق اللرب
عمارة الظاهر والباطن
بالأدب مع الشيخ
فيسل لأبي منصور
للقريش كم صحبت
أبا عثمان قال خدمته
لاصبته فالصحة مع
الإخوان والأقران
ومع الشايخ الخدمة
وبنبي للمريد أنه كلما
أشكل عليه شيء من
حال الشيخ يذكر قصة
موسى مع الخضر عليهما
السلام كيف كان
الخضر يفعل أضياف

(١) حديث ما ناله صلى الله عليه وسلم من الأذى ونحوه حتى افتقر إلى الحرب والهجرة البخاري ومسلم
من حديث عائشة أنها قالت لني صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أهد من يوم أحد قال لقد
لقيت من قومك وكان أهد ما لقيت يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد الله إلى الحديث ولقمتني
وصحبه وابن ماجه من حديث أنس لقد أخفت في الله وما أعزف أحدولقد أوديت في الله وما يؤذي أحد
ولقد أتى على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه ببطبال
قال الترمذي معنى هذا حين خرج النبي ﷺ هارباً من مكة ومعه بلال وللبخاري عن عروة قال سألت
عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع للشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عقبة بن أبي
معيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقه لشديد الجأ أبو بكر
فدفعه عنه الحديث وللبزار وأبي يعلى من حديث أنس قال لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى غشي عليه فقام أبو بكر فجعل ينادي ويلك أن تقولوا رجالاً أن يقول ربى الله وإسناده
صحيح على شرط مسلم (٢) حديث الأئمة من قريش النسائي والحاكم من حديث أنس بإسناد صحيح
(٣) حديث كان صلى الله عليه وسلم من أكرم أرومة في نسب آدم . الأرومة الأصل هذا معلوم فروى
مسلم من حديث وثالة بن الأسقع مرفوعاً إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من
كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم وفي رواية الترمذي إن الله اصطفى
من ولد إبراهيم إسماعيل وله من حديث العباس وحسنه وابن عباس والمطلب بن ربيعة وصححه
وللمطلب بن أبي وداعة وحسنه إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم وفي حديث ابن عباس ما بال
أنعام يتنزلون أملى فوائها لانا أفضلهم أصلاً وخيرهم موضعاً (٤) حديث تخيروا لنطفكم ابن ماجه
من حديث عائشة وتقدم في النكاح (٥) حديث إياكم وخضراء الدمن تقدم فيه أيضاً .

طول العمر إذ لا يتم علم وعمل إلا بهما ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أفضل السمادات طول العمر في طاعة الله تعالى (١) » وإيمانياستحق من جلته أمر الجبال فيقال يكفي أن يكون البدن سليما من الأمراض الشاغلة عن تحرى الخيرات ، ولعمري الجبال قليل القضاء ولكن من الخيرات أيضا أما في الدنيا فلا يخفى نفعه فيها وأما في الآخرة فمن وجهين : أحدهما أن القبيح منموم والطابع عنه نافرة وحاجات الجليل إلى الإجابة أقرب وجاهه في الصدور أوسع فمكانه من هذا الوجه جناح يبلغ كالمال والجاه إذ هو نوع قدرة إذ يقدر الجليل الوجه على تنجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمعين على الآخرة بواسطتها . والثاني أن الجبال في الأكثر يدل على فضيلة النفس لأن نور النفس إذا تم إشراقه تأدى إلى البدن فالنظر والنظر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عول أصحاب القراسة في معرفة مكارم النفس على هيأت البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ، ولذلك يظهر فيه أثر الغضب والسرور والنم ، ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان مافي النفس ، وقيل ما في الأرض قبيح إلا ووجهه أحسن مافي ، واستعرض للأمن جيشا فرض عليه رجل قبيح فاستنطقه فإذا هو أكن فأعقظ اسمه من الديوان وقال الروح إذا أشرقت على الظاهر فصباحة أو على الباطن فصباحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « اطلبوا الخير عند صباح الوجوه (٢) » وقال عمر رضي الله تعالى عنه : إذا بستم رسولا فاطلبوه حسن الوجه حسن الاسم ، وقال الفقهاء : إذا تساوت درجات للصليين فأحسنهم وجها أولا ثم بالأمارة ، وقال تعالى عتبادا لكم سوزاده بسطة في العلم والجسم - ولنا نعى بالجبال ما يحرك الشهوة فإن ذلك أنوفة وإمنا نعى به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في العلم وتسابب الأعضاء وتناصف خلقه الوجه بحيث لا تنبوا الطابع عن النظر إليه . فإن قلت فقد أدخلت المال والجاه والنسب والأهل والولد في حيز النعم ، وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وكذا العلماء قال تعالى - إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم - وقال عز وجل - إنما أموالكم وأولادكم فتنة وقال صلى الله عليه وسلم : الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه ، وقيل الرء بنفسه لا بأية فامعنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا . فاعلم أن من يأخذ العلوم من الألفاظ النقول للزولة والعمومات المختصة كان الضلال عليه أغلب فالم يمتد بنور الله تعالى إلى إدراك العلوم على ما هي عليه ثم ينزل النقل على وفق مظهره منها بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى فهذه ثم معينة على أمر الآخرة لا سبيل إلى جدها إلا لأن فيها فتنا وخاف ، فثبات المال مثال الحية التي فيها تريق نافع وسم نافع فإن أصابها العزم التي يعرف وجه الاحتراز عن مهابط طرق استخراج تزياتها النافع كانت نعمة وإن أصابها السوادى الترفى على بلاء وهلاك وهو مثل البحر القى تحت أضاف الجواهر والآلات - فمن نظر بالبحر فإن كان علما بالسباحة وطريق التوصل وطريق الاحتراز عن

- (١) حديث أفضل السادة طوا ، العمر في عبادة الله غريب بهذا اللفظ ولترمذى من حديث أبي بكر أن رجلا قال يا رسول الله أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله وقال حسن صحيح (٢) حديث اطلبوا الخير عند حسن الوجوه أبو يعلى من رواية إسماعيل بن عياش عن خيرة بنت محمد بن ثابت بن سباع عن أمها عائشة وخيرة وأمها لا أعرف حالهما ورواه ابن حبان من وجه آخر في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر وله طرق كلها ضعيفة (٣) حديث ذم المال والجاه الترمذى من حديث كعب بن مالك ماذنبان جاثمان أرسلنا في غم بأفئدتهما من حب المال والشرف له به وقد خدم في ذم المال والبخل .

ينكرها موسى وإذا
أخبره الخضر بسرها
يرجع موسى عن
إنكاره لما ينكره
للريد لقلقه حقيقه
ما يوجد من الشيخ
فللشيخ في كل شيء
صدر بلسان العلم
والحكمة . سأل بعض
أصحاب الجنيد مسألة
من الجنيد فأجابه
الجنيد فمارضه في ذلك
فقال الجنيد فإن لم
تؤمنوا لى فاعتزلون
وقال بعض الشاذليين
لم يعظم حرمة من
تأدب به حرم بركة
ذلك الأدب ، وقيل
من قال لأمتاذ لا ،
لا يفلح أبدا . أخبرنا
شيخنا ضياء الدين
عبد الوهاب بن حلى

مهلكات البحر قد ظفر بنعمه ، وإن خاضه جاهلا بذلك قد هلك فذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيرا ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « نعم العون على تقوى الله تعالى للمال » وكذلك مدح الجاه والعز إذ من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بأن أظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق وهو النبي بالجاه ولكن للنقول في مدحها قليل والنقول في ذم المال والجاه كثير ، وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه ، إذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب . ومعنى الجاه ملك القلوب وإنما كثرة هذا وقل ذلك لأن الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق القنوس في بحر الجاه فوجب تحذير قاتهم يهلكون بسم المال قبل الوصول إلى تزيينه وهلاكهم تمسح بحر الجاه قبل الشور على جواهره ولو كانا في أعينها مذبذوبين بالاضافة إلى كل أحد لما تصور أن ينضاف إلى النبوة لذلك كما كان لرسولنا صلى الله عليه وسلم ولأن ينضاف إليها النبي كما كان لسلمان عليه السلام فالتناس كلهم سيان والأموال حيات والآنياء والمارقون معزومون قد بضير الصبي مالا يضير للزعم ، نعم الزعم لو كان له ولد يريد قتله وصلاحه وقد وجد حديقته وعلم أنه لو أخذها لأجل تزيينها لا يقتدى به ولده وأخذ الحية إذا رآها ليلعب بها فيهلك فلا غرض في التزيين ولا غرض في حفظ الولد فوجب عليه أن يزن غرضه في التزيين بغرضه في حفظ الولد ، فإذا كان يقدر على الصبر عن التزيين ولا يتضرر به ضررا كثيرا ، ولو أخذها لأخذها الصبي وعظم ضرره بهلاكه فوجب عليه أن يهرب عن الحية إذا رآها ويشير على الصبي بالحرب ويقبح صورتها في عينه ويعرفه أن فيها سماً قاتلا لا ينجو منه أحد ولا يبعده أصلا بما فيها من قبح التزيين فإن ذلك ربما يفره فيقدم عليه من غير تمام المعرفة وكذلك القنوس إذا علم أنه لو أمس في البحر يموت ولده لا تبعه وهلك فوجب عليه أن يحذر الصبي ساحل البحر والثر ، فإن كان لا يئزر الصبي بمجرد التزجر مهما رأى والده يهجم حول الساحل فوجب عليه أن يبعد من الساحل مع الصبي ولا يقرب منه بين يديه فسذلك الأمة في حجر الآنياء عليهم السلام كالصبيان والأغنياء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لاسم مثل الوالد لولده » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم تهاقون على النار تهاق الفرائس وأنا تأخذ بحجزكم » (٢) وحظهم الأوفر في حفظ أولادهم عن الهالك فاتهم لم يمشوا إلا لذلك وليس لهم في المال حظ إلا بقدر التوت فلا جرم اقتصرنا على قدر القوت وما فضل فلم يسكوه بل اتفقوا فإن الاتفاق فيه التزيين وفي الامساك السم ولو فتح للناس باب كسب المال ورجعوا فيه لما لوالوا إلى سم الامساك ورجعوا عن تزيين الاتفاق فلذلك قبحت الأموال ولتني بتفسيح إمساكها والحرص عليها الاستكثار منها والتوسع في تعيها بما يوجب الركون إلى الدنيا ولذا تأمنا فأما أخذها بقدر الكفاية وصرف الفائض إلى الخيرات فليس بمذموم وحق كل مسافر أن لا يعمل إلا بقدر زاده في السفر إذا صم العزم على أن يخص بما يحمله . فأما إذا صحمت قمتها بطعام الطعام وتوسيع الراد على الرقاء فلا بأس بالاستكثار وقوله عليه الصلاة والسلام « ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب » (٣) معناه لا تفكس خاصة

قال أنا أبو الفتح
المروى قال أنا أبو نصر
الرباعي قال أنا أبو محمد
الجسراحي قال أنا
أبو العباس المروى قال
أنا أبو عيسى الترمذى
قال حدثنا هناد عن
أبي معاوية عن
الأعمش عن أبي صالح
عن أبي هريرة قال :
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « اتركوا
ما ترككم وإذا
حدثكم فخذوا عني
فإنما هلك من كان
قبلكم بكرة رؤاهم
واختلفهم على أنبيائهم »
قال الجنيد رحمه الله
رأيت مع أبي حفص
النيسابوري إنسانا
كثير الصمت لا يتكلم
قلت لأسماهيه من هذا

- (١) حديث إنما أنا لكم مثل الوالد لولده مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله لولده وقد تقدم
- (٢) حديث إنكم تهاقون على النار تهاق الفرائس وأنا تأخذ بحجزكم متفق عليه من حديث أبي هريرة بلقظ مثلى ومثل الناس . وقال مسلم ومثل أمق كثل رجل استودق نارا فجعلت الدواب والفرائس يقعن فيه فأنا تأخذ بحجزكم وأتم تقتحمون فيه ولمسلم من حديث جابر وأنا تأخذ بحجزكم عن النار وأتم تهلون من يدى (٣) حديث ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب ابن ماجه

ولا قد كان فيمن يروى هذا الحديث ويعمل به من يأخذ مائة ألف درهم في موضع واحد وعرقها في موضعه ولا يمسك منها حبة » ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة استأذنه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه في أن يخرج عن جميع ما يملكه فأذن له فنزل جبريل عليه السلام ، وقال : مره بأن يطعم للسكين ويكسو العارى ويرى الضيف^(١) الحديث. فأذن النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج دواؤها بدلائها ومرجوها بمخوفها ونفها بضرها فن وثق بصيرته وكال معرفته فله أن يقرب منها متقيا داءها ومستخرجا دواها ، ومن لا يثق بها فابعد البعد والفرار القرار عن مظان الأخطار فلا تعدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء وم الخلق كلهم إلا من عصمه الله تعالى وهدها لطريقه . فان قلت : فما معنى النعم التوفيقية الراجعة إلى الهداية والرشد والتأييد والتسديد . فاعلم أن التوفيق لا يستغنى عنه أحد وهو عبارة عن التأليف والتلقيق بين إرادة البعد وبين قضاء الله وقدره وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره كما أن الإلحاد عبارة عن الليل نخصص بمن ماله إلى الباطل عن الحق وكذا الارتداد ولا خفاء بالحاجة إلى التوفيق ولذلك قيل :

إذا لم يكن عون من الله للفقير فكأنه ما يجني عليه اجتاده

فأما الهداية فلا سبيل لأحد إلى طلب السعادة إلا بها لأن داعية الانسان قد تكون مائلة إلى ما فيه صلاح آخرته ولكن إذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا فن أبن بنفسه مجرد الإرادة فلا فائدة في الإرادة والقدرة والأسباب إلا بعد الهداية ولذلك قال تعالى سربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - وقال تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء - وقال صلى الله عليه وسلم « ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى أى بهدائه قليل ولا أنت يا رسول الله قال ولأنا^(٢) » . وللهداية ثلاث منازل : الأولى معرفة طريق الخير والشر والشار إليه بقوله تعالى - وهديناه النجدين - وقد أتم الله تعالى به على كافعاده بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل ولذلك قال تعالى - وأما عود هديناهم فاستجبوا للسمى على الهدى - فأسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر العقول وهي مبدولة ولا يمنع منها إلا الحسد والكبر وح الله والنا والأسباب التي تسمى القلوب وإن كانت لا تسمى الأبصار قال تعالى - قلها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور - ومن جملة العليات الإلف والعادة وح استصحابها وعنه العبارة بقوله تعالى

والحاكم من حديث سلمان لفظ الحاكم وقال بلغة وقال مثل زاد الراكب وقال صحيح الاسناد . قلت هو من رواية أبي سفيان عن أشياخه غير مسعين وقال ابن ماجه عبد إلى أن يكفى أحدكم مثل زاد الراكب (١) حديث استئذان عبد الرحمن بن عوف أن يخرج عن جميع ما يملكه لما ذكر أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة فأذن له فنزل جبريل فقال مره أن يطعم للسكين الحديث الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف وقال صحيح الاسناد . قلت : كلا فيه خالنه بن أبي مالك ضعيف جدا (٢) حديث ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله متفق عليه من حديث أبي هريرة لن يدخل أحدكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتعدني الله بفضل منه ورحمة وفي رواية لمسلم ما من أحد يدخله عمله الجنة الحديث واهقا عليه من حديث عائشة وأخره بمسلم من حديث جابر وقد تقدم .

قليل لي هذا إنسان
يصحب أبا حفص
ويخدمنا وقد أثق
عليه مائة ألف درهم
كانت له واستدان مائة
ألف أخرى أفقها عليه
ما يسوغ له أبو حفص
أن يتكلم بكلمة واحدة
وقال أبو يزيد البسطامي
صحب أبا على السندی
فكنت ألقنه ما يقيم به
فرضه وكان يطعن
التوحيد والحقائق
صرفا . وقال أبو عثمان
صحب أبا حفص وأنا
غلام حدث فطردني
وقال لا تجلس عندي
لن أجعل مكافآتي له على
كلامه أن أولى ظهري
إليه فانصرفت أمشي
إلى خلف ووجهي
مقابل له حتى غبت

- إنا وجدنا آباءنا على أمة - الآية وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى - وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - وقوله تعالى - أشرنا منا واحدا نتبعه فهد هذه العبيات هي التي منعت الاعتداء والهداية الثانية وراه هذه الهداية العامة وهي التي يمد الله تعالى بها العبد حالا بعد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - وهو المراد بقوله تعالى: - والذين اعتنوا زادهم هدى - والهداية الثالثة وراه الثانية وهو النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيبتدى بها إلى ما لا يبتدى إليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وإمكان تعلم العلوم وهو الهوى للطلق وماعده حجاب له ومقدماته وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الإضافة إليه وإن كان الكل من جهته تعالى يقال تعالى - قل إن هدى الله هو الهدى - وهو المسمى حياة في قوله تعالى - أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يعيش به في الناس - وللعنى بقوله تعالى - أفن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - وأما الرشد فعنى به العناية الإلهية التي تعين الإنسان عند توجهه إلى مقاصد تقوبه على ما فيه صلاحه وتفقره عما فيه فساده ويكون ذلك، ن الباطن كما قال تعالى - ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين - فالرشد عبارة عن هداية باعثة إلى جهة السعادة محركة إليها فالصبي إذا بلغ خبيرا يحفظ المال وطرق التجارة والاستماء ولكن مع ذلك يندرد ولا يريد الاستماء لاسمى رشيدا لالدم هدايته بل تقصور هدايته عن تحريك داعيته فكمن شخص يقدم على ما يسل أنه يضره فقد أعطى الهداية وميز بها عن الجاهل الذي لا يدري أنه يضره ولكن ما أعطى الرشد فالرشد بهذا الاعتبار أكل من مجرد الهداية إلى وجوه الأعمال وهي نعمة عظيمة . وأما التسديد فهو توجيه حركاته إلى صوب اللطوب وتيسرها عليه ليشد في صوب الصواب في أسرع وقت فان الهداية بمجرد هدايته لا تكفي بل لابد من هداية محركة للداعية وهي الرشد والرشدا لا يكفي بل لابد من تيسر الحركات بمساعدة الأعضاء والآلات حتى يتم المراد مما انبثت الداعية إليه فالهداية عضو التعريف والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرك والتسديد إغانة ونصرة بتحريك الأعضاء في صوب السداد وأما التأيد فكأنه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية أمره بالصبر من داخل وتقوية البطش ومساعدة الأسباب من خارج وهو المراد بقوله عز وجل - إذا يدتك روح القدس - وتقرب منه العصمة وهي عبارة عن وجود إلهي يسبح في الباطن أقوى به الإنسان على تحرى الخير وتجنب الشر حتى يصير كإن من باطنه غير محسوس وإياه عنى بقوله تعالى - ولقد همت به وهمم به ألوان أن رأى برهان ربه - فهذه هي مجامع النعم ولن تثبت إلا بما عوله الله من الفهم الصافي والثاب والسمع الواعي والقلب البصير التواضع للرأى وللمعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن المراتب قلته الصغر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفاه وظلم الأعداء ويستدهى كل واحد من هذه الأسباب الستة عشر أسبابا وتندعى تلك الأسباب أسبابا إلى أن تنتهى بالآخرة إلى دليل التحيرين وملجأ الضطرين وذلك رب الأرباب ومسبب الأسباب وإذا كانت تلك الأسباب طويلة لا يعمل مثل هذا الكتاب استقصاها فلندكر منها أمودجا يعلم بمعنى قوله تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - والله التوفيق.

(بيان وجه الأعوذ في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والإحصاء)

اعلم أنا جمعا النعم في ستة عشر ضربا وجعلنا محمة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة الأخيرة فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصى الأسباب التي بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها ولكن الأكل أحد أسباب الصحة فلندكر نيفة من جملة الأسباب التي بها تتم نعمة الأكل فلا يخفى أن الأكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة لابد لها من جسم متحرك هو آلها ولا بد لها من قدرة على

عنه واعتدت أن أحفر لنفسى بوا على بابه وأنزل وأقعد فيه ولا أخرج منه إلا بأذنه فلأرى ذلك منى قريبى وقلبنى وصيرنى من خواص أصحابه إلى أن مات رحمه الله ومن آدابهم الظاهرة أن المرید لا يبسط سجاده مع وجود الشيخ إلا لو تمت الصلاة فان للمرید من شأنه التبتل للخدمة في السجادة إيماء إلى الاستراحة والتعزز ولا يتحرك في السماع مع وجود الشيخ إلا أن يخرج عن حد التميز وهيبة الشيخ تملك المرید عن الاسترسال في السماع وتقيده واستغراقه في

الحركة ولا بد من إرادة الحركة ولا بد من علم بالمراد وإدراك له ولا بد لكل من مأكول ولا بد
للمأكول من أصل منه يحصل ولا بد له من صانع يصلحه فأنكر أسباب الإدراك ثم أسباب الارادات
ثم أسباب القدرة ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء .
(الطرف الأول في نعم الله تعالى في خلق أسباب الإدراك)

اعلم أن الله تعالى خلق النبات وهو أكمل وجودا من الحجر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي
لا تنمو ولا تنبت فان النبات خلق في قوة بها يجتذب الغذاء إلى نفسه من جهة أصله وعروقه التي في
الأرض وهي له آلات فيها يجتذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة ثم تنظرا أصولها ثم
تنشعب ولا تزال تستدق وتنشعب إلى عروق شمعية تنبسط في أجزاء الورقة حتى تشبع عن البصر إلا
أن النبات مع هذا الكمال ناقص فانه إذا أعوزه غذاء يساق إليه وبماس أصله جف وبس ولم يمكنه
طلب الغذاء من موضع آخر فان الطلب إنما يكون بمعرفة للطلب وبالانتقال إليه والنبات عاجز عن
ذلك فمن نعمة الله تعالى عليك أن خلق لك آلات الاحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر إلى
ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الإدراك فأولها حاسة اللمس وإنما خاتمت
لك حتى إذا لمستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به قهر ب منه وهذا أول حس يخلق للحيوان ولا
يتصور حيوان إلا ويكفون له هذا الحس لأنه لم يحس أصلا فليس يحس بالحرارة وأهمل درجات الحس أن
يحس بما لا يلاصقه ويماسه فان الاحساس بما يعد منه إحساس أتم لأعالة وهذا الحس موجود لكل
حيوان حتى الدودة التي في الطين فاما إذا غرغز فيها إبرة اهبطت للهرب لا كالنبات فان النبات يقطع
فلا يتقيض إذ لا يحس بالقطع إلا أنك لو لم يخلق لك إلا هذا الحس لكنت ناقصا كالودعة لا تقدر على
طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يحس بدتك فتجس به فتجذب به إلى نفسك فقط فافقرت إلى
حس تدرك به ما بعد عنك فتخلق لك اللمس لأنك تدرك به الرائحة ولا تدري أنها جاءت من أي ناحية
فتحتاج إلى أن تطوف كثيرا من الجوانب فربما تثر على الغذاء الذي سمعت به ويرى عينا فتعثر فتكون
في غاية النقصان لو لم يخلق لك إلا هذا خلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك به من قصدت تلك
الجهة بينها إلا أنه لو لم يخلق لك إلا هذا لكنت ناقصا إذ لا تدرك به ما وراء الجدران والحجب فتبصر
غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لأحباب بينك وبينه وأما ما بينك وبينه حجاب فلا تبصره
وقد لا يكشف الحجاب إلا بعد قرب العدو فتجوز عن الهرب فتخلق لك السمع حتى تدرك به الأصوات من
وراء الجدران والحجب عند جريان الحركات لأنك لا تدرك بالبصر إلا شيئا حاضرا أو ألقاب فلا يمكنك
معرفة إلا بالكلام ينظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع فاشتدت إليه حاجتك فخلق لك ذلك
وميزت بفهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان فيك لو لم يكن لك حشون الدوق إذ يصل الغذاء
إليك فلا تدرك أنه موافق لك أو مخالف فأنك تهلك كالشجرة يصب في أصلها كل مائع ولا ذوق لها
فتجذب به وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدمة دماغك إدراك آخر
يسمى حسا مشتركا تأدى إليه هذه الحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولا لطال الأمر عليك فانك إذا
أكلت شيئا أسفر مثلا فوجدته مرا عاقلالك فتركته فاذا رأيت مرة أخرى فلا تعرفه أنه مضر مالم تذقه
ثانيا لو لا الحس المشترك إذا لم ين بصر الصفرة ولا تدرك الرائحة فكيف تتجنب عن الدوق يدرك الرائحة
ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم يجتمع عنده الصفرة والرائحة جميعا حتى إذا أردت الصفرة حكما به
مر فيمتنع عن تناولها ثانيا وهذا كله تشارك فيه الحيوانات إذ لاشاء هذه الحواس كلها لو لم يكن لك
إلا هذا لكنت ناقصا فان البهيمة يخال عليها فتؤخذ فلا تدرك كيف تدفع الحية عن نفسها وكيف

الشيخ بالنظر إليه
ومطالعة موارد فضل
الحق عليه أتبع له من
الإسقاء إلى السماع ومن
الأدب أن لا يكتم على
الشيخ شيئا من حاله
ومواهب الحق عنده
وما يظهر له من كرامة
وإجابة ويكشف
للشيخ من حاله ما لم
الله تعالى منه وما
يستحي من كشفه
يدكره إجماعا وتعرضا
فان الريد من الطوى
ضميره على شيء
لا يكشفه للشيخ
تصريحها أو تعرضا
يصير على باطنه منه
عقدة في الطريق
وبالقول مع الشيخ
تحل العقدة وتزول
ومن الأدب أن

تتخلص إذا قيئت وقد تلقى نفسها في شر ولا تدرى أن ذلك يهلكها ولذلك قد تأكل البهيمة ما تستلذه في الحال ويضرها في ثانی الحال تمرض وتوت إذ ليس لها إلا الاحساس بالحاضر فأما إدراك العواقب فلا، فيترك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهو العقل فيه تدرك مضر الأطلعة ومنفعتها في الحال وللآل وبه تدرك كيفية طيبخ الأطلعة وتأليفها وإعداد أسبابها فتنتفع بعقلها في الأكل الذي هو سبب صحتك وهو أحسن فوائد العقل وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله وحكمة في ماله وعند ذلك تتقلب فائدة الحواس الخمس في حثك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الأخبار للكلين بنواحي للملكة وقد وكلت كل واحدة منها بأمر يخص به فواحدة منها بأخبار الألوان والأخرى بأخبار الأصوات والأخرى بأخبار الروائح والأخرى بأخبار الطعوم والأخرى بأخبار الحر والبرد والخشونة واللينة واللينة والصلابة وغيرها وهذه البرد والجواسيس يقتصون الأخبار من أقطار الملكة ويسلمونها إلى الحس المشترك والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحي العالم فيأخذها وهي محتومة ليس لها إدراك إلا أخذها وجمعها وحفظها فأما معرفة حقائق ما فيها فلا ولكن إذا صادف القلب العاقل الذي هو الأمير ولللك سلم الإتيان إليه محتومة فيفتشها الملك ويطلع منها على أسرار الملكة ويحكم فيها بأحكام هيبة لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يلوح لمن الأحكام وللصالح يحرك الجلود وهي الأعضاء مرة في الطلب ومرة في الحرب ومرة في إجماع التدبيرات التي تحسن له فهذه سياقة نعمة الله عليك في الادراكات ولا تظن أن أناستوفيناها فان الحواس الظاهرة هي بعض الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركب العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية وبعض الأغشية كأنها نسج العنكبوت وبعضها كالشمعة وبعض تلك الرطوبات كأنها يابض البيض وبعضها كأنه الجمد ولكل واحدة من هذه الطبقات الشريفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب لو اختلت طبقة واحدة من جملة الشريفة أو صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر ومجزعنا الأطباء والكعالمون كلهم فهذا في حسي واحد قفس به حاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن أن تستوفي حكم الله تعالى وأنواع نعمه في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع أن جملة لا يزيد على جوزة صغيرة فكيف ظنك بجمع البدن وسائر أعضائه ومجاليه فهذه مرامز إلى نعم الله تعالى في خلق الادراكات.

(الطرف الثاني في أصناف النعم في خلق الارادات)

اعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد لو خلق لك الميل في الطبع وشوق إلى الشهوة له تستحق على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو أقيم الأشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناولها فيبقى البصر والادراك معطلا في حقه فاضطرت إلى أن يكون لك الميل إلى ما يوافقك يسمى شهوة وقررة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكّلها بك كالتقاضى الذي يضطرك إلى تناولها حتى تتناول وتغتنى فتبقى بالتغذية وهذا مما يشاركك فيه الحيوانات دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة أسرفت وأهلكت نفسك فخلق الله لك الكراهة عند الشبع لتترك الأكل بها لا تكثر فانه لا يزال يجتذب الماء إذا اضرب في أسفه حتى يفسد فيحتاج إلى آدمى يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء أخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به بدتك خلق لك شهوة الجماع حتى تجماع فيبقى به نسلك ولوصفنا عليك محال منع الله تعالى في خلق الرحم وخلق

لا يدخل في صفة الشيخ إلا بعد علمه بأن الشيخ قيم بتأديبه وتهذيبه وأنه أقوم بالتأديب من غيره ومضى كان عند الريد تطلع إلى شيخ آخر لانسفوه حبه ولا ينفذ القول فيه ولا يستعد باطنه لسراية حال الشيخ إليه فان للريد كلما أيقن تفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقويت محبته والمهبة والتألف هو الواسطة بين الريد والشيخ وعلى قدر قوة المهبة تكون سراية الحال لأن المهبة علامة التعارف والتعارف علامة الجنسية والجنسية جالبة للريد حال الشيخ أو بعض حاله

دم الحيز وتأليف الجنين من النى ودم الحيز وكيفية خلق الأثنين والعروق السالكة إليهم الفقر الذى هو مستقر النطفة وكيفية اضياف ماء المرأة من التراب بواسطة العروق وكيفية اقسام مقعر الرحم إلى قوالب تقع النطفة في بعضها فتشكل بشكل الله كور وتقع في بعضها فتشكل بشكل الإنثى وكيفية إدراجها في أطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظاما ولحما ودما وكيفية قسمة أجزائها إلى رأس ويد ورجل وبطن وظهور وسائر الأعضاء لتضيق من أنواع نعم الله تعالى عليك في مبدأ خلقك كل العجب فضلا عما تراه الآن ولكننا لسنا نريد أن نتعرض إلا لنعم الله تعالى في الأكل وحده كي لا يطول الكلام . فاذن شهوة الطعام أحد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك فانه تأنيك الهللكات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذى به تدفع كل ما يصادك ولا يوافقك ثم هذا لا يكفيك إذ الشهوة والغضب لا يدعوان إلا ما حصلته من الغذاء فان كل واحد يشترى ما في يديك فتحتاج إلى داعية في دفعه ومقاتلته وهى داعية الغضب الذى به تدفع كل ما يصادك ولا يوافقك ثم هذا لا يكفيك إذ الشهوة والغضب لا يدعوان إلا إلى ما يضر وينفع في الحال وأما في المال فلا تنكفى فيه هذه الارادة فخلق الله تعالى لك إرادة أخرى مسخرة تحت إشارة العقل المعروف للعواقب كالخلق للشهوات والغضب مسخرة تحت إدر الدار الحس للدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل إذ كان مجرد المعرفة بأن هذه الشهوة مثلا تضرك لا ينفيك في الاحتراز عنها مالم يكن لك ميل إلى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة أفردت بها عن البهائم كراما لبنى آدم كما أفردت بمعرفة العواقب وقد سمينا هذه الارادة باعثة دينا وفصلناه في كتاب الصبر تفصيلا أولى من هذا .

(الطرف الثالث في نعم الله تعالى في خلق القدرة وآلات الحركة)

اعلم أن الحس لا ينفد إلا الإدراك والارادة لا مغمى لها إلا الليل إلى الطلب والمهرب وهذا لا كفاية فيه مالم تكن فيك آلة الطلب والمهرب فكم من مريض مشتاق إلى شيء بعيد عنه مدرك له ولكنه لا يمكنه أن يمشى إليه فقد رجه أولا يمكنه أن يتناوله فقد يده أو قلعج وخدر فيها فلا بد من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات هي الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهية هربا فذلك خلق الله تعالى لك الأعضاء التى تنظر إلى ظاهرها ولا تعرف أسرارها فبها هو للطلب والمهرب كالرجل للانسان والجنح للطير والقوائم للدواب ومنها ما هو للدفع كالأسلحة للإنسان والقرون للحيوان وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فبها ما يكثر أعداؤه ويعد غذاءه فيحتاج إلى سرعة الحركة فخلق له الجنح لطير يسرع عومنها ما خلق له أربع قوائم ومنها ماله رجلان ومنها ما يذهب وذو ذلك يطول فلندكر الأعضاء التى بها يتم الأكل فقط ليقاس عليها غيرها فقول : رؤيتك الطعام من بعد وحركتك إليه لا تنكفى مالم تتمكن من أن تأخذه فافترض إلى آلة باطشة فأنتم الله تعالى عليك خلق الدين وها طولتان تمتدتان إلى الأشياء ومشعلتان على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات فتتمد وتنقبز إليك فلا تكون كخشب منصوبة ثم جعل رأس اليد عريضا خلق الكف ثم قسم رأس الكف بخمسة اقسام هى الأصابع وجعلها في صفيين بحيث يكون الإبهام في جانب ويدور على الأربعة الباقية ولو كانت مجتمعة أو متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعتها وضعا إن بسطتها كانت لك جرفة وإن جمعتها كانت لك مفرقة وإن جمعتها كانت لك آلة للضرب وإن شربتها ثم قبضتها كانت لك آلة في القبض ثم خلق لها أظفارها وأسند إليها رءوس الأصابع حتى لا تفتت حتى تلتقط بها الأشياء الدقيقة التى لا تحويها الأصابع فتأخذها برءوس أظفارها ثم هب أنك أخذت الطعام بالدين فمن أين يكفيك هذا مالم يصل إلى المعدة وهى في الباطن فلا بد وأن يكون من الظاهر

أخبرنا الشيخ الثقة
أبو القاسم محمد بن
سليمان قال أنا أبو الفضل
حميد قال أنا الحافظ
أبو نعيم قال ثنا سليمان
ابن أحمد قال ثنا أسد
ابن رزيق عن أبي
أمامة الباهلي عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « من علم
عبدا آية من كتاب
الله فهو مولاة يبنى
له أن لا يخذله ولا
يستأثر عليه فمن فعل
ذلك فقد فهم عروة
من عرا الإسلام ومن
الأدب أن يراعى
خطرات الشيخ في
جزئيات الأمور
وكلياتها ولا يستحق
كرهه الشيخ ليسر

دهلين إليها حتى يدخل الطعام منه فيجعل اللحم منفذا إلى اللدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذا للطعام إلى اللدة ثم إن وضعت الطعام في اللحم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فحتاج إلى طاحونة لتطحن بها الطعام فخلق لك اللحين من عظمين وركب فيهما الأسنان وطرق الأضراس العليا على السفلى لتطحن بها الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج إلى الكسر وتارة إلى القطع ثم يحتاج إلى طحن بعد ذلك قسم الأسنان إلى عريضة طواحين كالأضراس وإلى حادة قواطع كالربايات وإلى ما يصلح للكسر كالآنياب ثم جعل مفصل اللحين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الأعلى دوران الرمح ولولا ذلك لما تيسر للأضرب أحداهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك لا يتم الطحن فيصل اللحي الأسفل متحركا كدوربة وللحي الأعلى ثابتا لا يتحرك فانظر إلى عجيب صنع الله تعالى فإن كل رحي صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الأسفل ويدور الأعلى إلا هذا الرمح الذي صنعه الله تعالى إذ يدور منه الأسفل على الأعلى فصبغناه ما أعظم شأنه وأعرسلطانه وأتم برهانه وأوسع امتنانه ، ثم هب أنك وضعت الطعام في فضاء اللحم فكيف يتحرك الطعام إلى ماتحت الأسنان أو كيف تستجره الأسنان إلى نفسها أو كيف يتصرف باليد في داخل اللحم فانظر كيف أتم الله عليك خلق اللسان فإنه يطوف في جوانب اللحم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة كالخفزة التي ترد الطعام إلى الرمح هذا مع ما فيه من فائدة الدوق وعجائب قوة النطق والحكم التي لسانا نطرب بدكرها ، ثم هب أنك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع إلا بأن ينزلق إلى الحلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى ينحدر به الطعام فانظر كيف سخرها لهذا الأمر فأنك ترى الطعام من بعد فيثور الخنكان للخدمة وينصب اللعاب حتى تتحلب أشداقك والطعام بعد بيبع عنك ثم هذا الطعام الطاهون للنعجن من يوصله إلى اللدة وهو في اللحم ولا تقدر على أن تدفعه باليد ولا يدق للدة حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف هبأ الله تعالى للمرى والخنجرة وجعل على رأسها طبقات تتفتح لأخذ الطعام ثم تطبق وتضغط حتى يتقبل الطعام بصفته فيهبى إلى اللدة فيدهلزم للمرى فإذا ورد الطعام على اللدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لأن يصير لحمًا وعظما ودما على هذه الهيئة بل لابد وأن يطبخ طبخا تاما حتى تتشابه أجزاؤه فخلق الله تعالى للدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتشوى عليه وتلحق عليه الأبواب فلا يزال لاثا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التي يحيط باللة من الأعضاء الباطنة إذ من جانبها الأيمن الكبد ومن الأيسر الطحال ومن قدام التراب ومن خلف لحم الصلب فتعدي الحرارة إليها من تسخين هذه الأعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير ما نأما متشابها يصلح للنفوذ في تجاويف المروق وعند ذلك يشبه ما الشعير في تشابه أجزائه ورتقوهو بعد لأصلح للتذية فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجارى من المروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهى إلى الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كأنه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في أجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في أجزائها حتى تستولى عليه قوة الكبد فتصفه بلون الدم فيستقر فيها ريشا يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لتذاة الأعضاء إلا أن حرارة الكبد هي التي تضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد في جميع ما ينطبخ إحداها شبيهة بالبردى والمكر وهو الخلط السوداوى والأخرى شبيهة بالرغوطة وهي الصفراء ولو لم تفصل عنها الفضلتان فسد مزاج الأعضاء فخلق الله تعالى للارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا معدودا إلى الكبد داخلًا في تجويفه

حركاته معتمدا على حسن خلق الشيخ وكال حله ومداراته. قال إبراهيم بن شيخان كذا نصعب أبا عبد الله للعربى وعن شيخان ويسافر بنا في البرارى والقلاوات وكان معه شيخ اسمه حسن وقد صعبه سبعين سنة فكان إذا جرى من أحدنا خطأ وتغير عليه حال الشيخ تشفع إليه بهذا الشيخ حتى يرجع لنا إلى ما كان . ومن أدب الريد مع الشيخ أن لا يستقل بوقائه وكشفه دون مرأجة الشيخ فإن الشيخ عليه أوسع وبابه الفتوح إلى الله أكبر

فتجذب الحرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال المكر السوداوى فيبقى الدم صافيا ليس فيه إلا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من المائىة ولولاها لما انتشر في تلك العروق الشعرية ولأخرج منها متصاعدا إلى الأعضاء خلق الله سبحانه الكيتين وأخرج من كل واحدة منهما عنقا طويلا إلى الكبد ومن عجائب حكمة الله تعالى أن عتقهما ليس دخلا في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من حدة الكبد حتى يجذب مايلها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد إذ لو اجتذب قبل ذلك للتلط ولم يخرج من العروق فإذا انفصلت منه المائىة قد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث نجا من كل ما يفسد الغذاء ، ثم إن الله تعالى أطلع من الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطلوع أقساما وشعب كل قسم شعب وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق إلى القدم ظاهرا وباطنا فيجرى الدم الصافي فيها ويصل إلى سائر الأعضاء حتى تصير العروق للنقصة شعرية كعروق الأوراق والأشجار بحيث لا تندرک بالأبصار فصل منها الغذاء بالرشع إلى سائر الأعضاء ولوحلت بالمرارة آفة فلم تجذب النقصلة الصفراوية فسد الدم وحصل منه الأمراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحجرة وإن حلت بالطحال آفة فلم يجذب الخاطى السوداوى حدثت الأمراض السوداوية كالهبوط والجذام والمالبخوليا وغيرها وإن لم تندفع المائىة نحو السكلى حدثت منه الاستسقاء وغيره ، ثم انظر إلى حكمة الفاطر الحكيم كيف رتب المنافع على هذه الفضلات الثلاث الحساسة أما الحرارة فأنها تجذب بأحد عتقها وتهدف بالعتق الأخر إلى الأمعاء ليحصل له في ثقل الطعام رطوبة مزقة ويحدث في الأمعاء لدغ يحركها للدفع فتضغض حتى يندفع الثقل وينزلق وتكون صفرته لثاق وأما الطحال فأنه يحيل تلك الفضلة إحالة يحصل بها فيه حموضة وقبض ثم يرسل منها كل يوم شيئا إلى فم اللدة فيحرك الشهوة بمحوصته وينبها ويثيرها ويخرج الباقي مع الثقل وأما السكلى فأنها تتندى بما في تلك المائىة من دم وترسل الباقي إلى المثانة ولتقتصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى في الأسباب التي أعدت للأكل ولود كرنا كيفية احتياج الكبد إلى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الأعضاء الرئيسية إلى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء ثم كيفية تركيب الأعضاء وعددها وعظامها وعضلاتها وعروقها وأوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام وكل ذلك محتاج إليه للأكل ولأمور أخر سواه بل في آدمى آلاف من العضلات والعروق والأعصاب مختلفة بالصفرو والكبر والدة والغلظ وكثرة الانقسام وقلة ولائى منها إلا وفيه حكمة أو اثنتان أو ثلاث أو أربع إلى عشر وزيادة وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من حملها عرق متحرك أو تحرك عرق ساكن هلكت بإمكان فأنظر إلى نعمة الله تعالى عليك أو لا تقوى بدها على الشكر فانك لا تعرف من نعمة الله سبحانه إلا الأكل وهو أخسها ثم لا تعرف منها إلا أنك تجوع فأكمل والجار أيضا يعلم أنه يجوع فيأكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع ويستنفض فينهض ويرمى فإذا لم تعرف أنت من نعمة الله تعالى إلا ما يعرف الجار فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك وهذا الذى رمزنا إليه على الإيجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله قطر قس على الاجمال ما أهملناه من جملة ما عرفناه حذرا من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالإضافة إلى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة من بحر إلا أن من علم شيئا من هذا أدرك ثمة من معاني قوله تعالى - وإن تمدوا نعم الله لا تحصوها - ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الأعضاء وقوام منافعها وأدراكها وقواها بخار لطيف يتصاعد من الأخطاط الأربعة ومستقره القلب ويسرى في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا يتسبى إلى جزء من أجزاء البدن

فإن كان واقعة للريد من الله تعالى يواقه الشيخ وبعضها له وما كان من عند الله لا يختلف وإن كان فيه شبهة نزول شبهة الواقعة بطريق الشيخ ويكتسب الريد علما بصحة الوقائع والكشوف فالريد لعله في واقته يخامره كون إرادة في النفس فيشتبك كون الإرادة بالواقعة مناما كان ذلك أو يقظة ولهذا سر عجيب ولا يقوم الريد باستكمال شأفة السكمن في النفس وإذا ذكره للشيخ فما في الريد من كون إرادة النفس مفقود في حق الشيخ فإن

إلا وحدث عند وصوله في تلك الأجزاء ما يحتاج إليه من قوة حس وإدراك وقوة حركة وغيرها كالسراج الذي يدار في أطراف البيت فلا يصل إلى جزء إلا و يحصل بسبب وصوله ضوء على أجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سبباً له بحكمته وهذا البخار اللطيف هو الذي تسميه الأطباء الروح وعمله القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة والدم الأسود الذي في باطن القلب له كالفتيلة والنفاء له كالزيت والحياة الظاهرة في سائر أعضاء البدن بسببه كالنفوذ للسراج في جملة البيت وكان السراج إذا انقطع زيته انطفأ فسراج الروح أيضاً ينطفئ* مهما انقطع غذاؤه وكان الفتيلة قد احترق خسر رماداً بحيث لا يقبل الزيت فينطفئ* السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذي تشبث به هذا البخار في القلب قد احترق بضرط حرارة القلب فينطفئ* مع وجود النفاء فإنه لا يقبل النفاء الذي يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولاً تشبث النار به وكان السراج تارة ينطفئ* بسبب من داخل كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج كريح عاصف فكذلك الروح تارة تنطفئ* بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكما أن انطفاء السراج بفناء الزيت أو فساد الفتيلة أو بريح عاصف أو بإطفاء إنسان لا يكون إلا بأسباب مقدرة في علم الله مرتبة ويكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح وكما أن انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك أجله الذي أجل له في أم الكتاب فكذلك انطفاء الروح وكما أن السراج إذا انطفأ أظلم البيت كله فالروح إذا انطفأ أظلم البدن كله وفارقته أنوارها التي كان يستفيد منها من الروح هي أنوار الاحساسات والقدرة والارادات وسائر ما يحتملها معنى لفظ الحياة فهذا أيضاً من وجوبه في عالم آخر من عوالم نعم الله تعالى ومحاسن صنعته وحكمتها يعلم أنه لو كان البحر مداداً للكلمات لرفى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي - عز وجل فصفا لمن كفر بالله تمسا وسحقاً لمن كفر نعمت مسحقاً. فان قلت فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله ﷺ «مثل من الروح فلم يزد عن أن قال سئل الروح من أمر ربي» (١) فلم يصفه لهم على هذا الوجه . فاعلم أن هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح فان الروح يطلق لثمان كثيرة لا نطول بذكرها ونحن إنما وصفنا من جملة جبا لطيفاً تسميه الأطباء روحاً وحوادق عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الأعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الأعضاء به حتى إذا خدر بعض الأعضاء علموا أن ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يجدون موضع الخدر بل منابت الأعصاب ومواقع السدة فيها وما يجدونها بما يفتح السدة فان هذا الجسم بطيفه ينفذ في شبكة العصب وبواسطته يتأدى من القلب إلى سائر الأعضاء وما يرتقي إليه معرفة الأطباء فأمر سهل نازل . وأما الروح التي هي الأصل وهي التي إذا قسدت فسد بها سائر البدن فذلك سر من أسرار الله تعالى لم نصفه ولا رخصة في وصفه إلا بأن يقال هو أمر رباني كما قال تعالى - قل الروح من أمر ربي - والأمور الربانية لا تختمل العقول وصفها بل تحير فيها عقول أكثر الخلق وأما الأوهام والخيالات فقادسة عنها بالضرورة تصور البصر عن إدراك الأصوات وتترزل في ذكر مبادئ وصفها معاقداً للعقول الثابتة بالجواهر والمرض المحبوسة في مضيقها فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل بنور آخر أعلى وأشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم النبوة والولاية نسبت به إلى العقل نسبة العقل إلى الوجود والخيال وقد خلق الله تعالى الخلق أطواراً فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك العقولات لأن ذلك طور لم يبلغه بعد فكذلك يدرك البالغ العقولات ولا يدرك ما وراءها لأن ذلك طور لم يبلغه بعد

(١) حديث أنه سئل عن الروح فلم يزد على أن قال الروح من أمر ربي متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم في شرح محاسن القلب .

كان من الحق يتبرهن بطريق الشيخ وإن كان ينزع واقفته إلى كون هوى النفس نزول وتبرأ ساحة الريد ويحصل الشيخ قتل ذلك لنفوة حاله وحمة إيواءه إلى جناب الحق وكال معرفته ومن الأدب مع الشيخ أن الريد إذا كان له كلام مع الشيخ في شيء من أمر دينه أو أمر دنياه لا يستعمل بالإقدام على مكالمته الشيخ والمجموع عليه حتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستمد له ولهاج كلامه وقوله متفرغ فكما أن للدعاء أوقافاً وآداباً وشروطاً لأنه مخاطبة الله تعالى

وإنه لتمام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ جناب الحق بنور الايمان واليقين وذلك للشرب أعز من أن يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه إلا واحد بعد واحد ولبناج الحق صدر وفي مقدمة الصدر عجال وميدان رحب وعلى أول اللبدان عتبة هي مستقر ذلك الأمر الرباني فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحالة أن يصل للبدان فكيف بالاتهاء إلى ماوراءه من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربها وأنى صادف هذا في خزانة الأطباء ومن أين للطبيب أن يلاحظه بل المعنى للسمى روحا عند الطبيب بالإضافة إلى هذا الأمر الرباني كالكرة التي يجرها صولجان الملك بالإضافة إلى الملك فمن عرف الروح الطي فظن أنه أدرك الأمر الرباني كان كمن رأى السكره التي يجرها صولجان الملك فظن أنه رأى الملك ولا يشك في أن خطأ فاحش وهذا الخطأ أخشى منه جدا ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبها تدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الأمر لم يأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يتحدث عنه بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الأمر شيئا ولكن ذكر نسبته وفضله ولم يذكر ذاته أما نسبته ففي قوله تعالى - من أمر ربى - وأما فضله فقد ذكر في قوله تعالى - يأتينا النفس للمطمئنة أرجى إلى ربك راضية مرضية فادخلني في عبادى وادخلني جنى - ولترجع الآن إلى العرض فإن المقصود ذكر نعم الله تعالى في الأكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آلات الأكل .

(الطرف الرابع : في نعم الله تعالى في الأصول التي يحصل منها الأطعمة)

وتصير صالحة لأن يصلحها الأذى بعد ذلك بصنفته)

اعلم أن الأطعمة كثيرة والله تعالى في خلقها بمناجيب كثيرة لأخصي وأسباب متوالية لا تنتهي وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فإن الأطعمة إما أدوية وإما فواكه وإما أغذية فلنأخذ الأغذية فانها الأصل ولناخذ من مجلتها حبة من البر ولندع سائر الأغذية فنقول : إذا وجدت حبة أو حبات فلو أكلتها ففيت وبقيت جائعا فما أحوجك إلى أن تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تنبت تمام حاجتك خلقك الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما يقتضى به كما خلق فيك فان النبات إنما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاعتناء لأنه يقتضى بالماء ويجتنب إلى باطنه بواسطة العروق كما تقتضى أنت وتجتنب ولستنا نطلب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء إلى نفسه ولكن نشر إلى غذائه . فنقول : كما أن الحشب والتراب لا يجذبك بل تحتاج إلى طعام مخصوص فكذا الحبة لا تقتضى بكل شيء بل تحتاج إلى شيء مخصوص بدليل أنك لو تركتها في البيت لم تزد لأنه ليس يحيط بها إلا هواء ومجرد الهواء لا يصلح لغذائها ولو تركتها في الماء لم تزد ولو تركتها في أرض لا ماء فيها لم تزد بل لابد من أرض فيها ماء يمزج ماؤها بالأرض فيصير طينا وإليه الإشارة بقوله تعالى - فلنظر الإنسان إلى طعامه أنا صبينا للماء صيا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنباً وقصباً وزيتونا وفخلا - ثم لا يكفي للماء والتراب إذ لو تركت في أرض تدية صلبة ممتدة لم تنبت فلقد الهواء فيحتاج إلى تركها في أرض رخوة متخلخلة يتغلغل الهواء إليها ثم الهواء لا يتحرك إليها بنفسه فيحتاج إلى ريح تحرك الهواء وتضربه بهجر وعنف على الأرض حتى ينفذ فيها وإليه الإشارة بقوله تعالى - وأرسلنا الرياح لواقح - وإنما إلقاها في إيقاع الأزواج بين الهواء والماء والأرض ثم كل ذلك لا ينشك لو كان في برد مفرط وشتاء شات فيحتاج إلى حرارة الريح والصف قد بان احتياج غذائه إلى هذه الأربعة فانظر إلى ماذا يحتاج كل واحد إذ يحتاج للماء لينساق

فلقول مع الشيخ أيضا
آداب وشروط لأنه من
معاملة الله تعالى وبسأل
الله تعالى قبل الكلام
مع الشيخ التوفيق
لما يجب من الأدب
وقد تبه الحق سبحانه
وتعالى على ذلك فبأمر
به أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في
خطبته فقال - يا أيها
الذين آمنوا إذا ناجيتم
الرسول قدموا بين
يدي نجواكم صدقة -
يعنى أمام مناجاتكم
قال عبد الله بن عباس
سأل الناس رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فأكثروا حتى شقوا
عليه وأحفوه بالمسئلة
فأوحى الله تعالى
وفطمهم عن ذلك

إلى أرض الزراعة من البحار والعيون والأنهار والسواقي فانظر كيف خلق الله البحار والجبال والعيون وأجرى منها الأنهار ثم الأرض ربما تكون مرصعة والياء لا ترتفع إليها فانظر كيف خلق الله تعالى القيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها بآذنه إلى أقطار الأرض وهي سحب يقال حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الأراضي في وقت الريح والحريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تنحدر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لغرفت البلاد وهلك الزرع والواشي ونعم الله في الجبال والسحاب والبحار والأمطار لا يمكن إحساؤها أو ما الحرارة فاتها لا تحصل بين السماء والأرض وكلاهما يردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع جدها عن الأرض مسخنة للأرض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة إلى البرد والحر عند الحاجة إلى الحر فهذه إحدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى ثم النبات إذا ارتفع عن الأرض كان في القواكه اعتقاد وميلابة فتفتقر إلى رطوبة تضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج القواكه ويصبتها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الأشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى إن الشجرة الصغيرة تفسد إذا ظللتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بأن تكشف رأسك له بالليل فتغلب على رأسك الرطوبة التي يبر عنها بالزكام فكما يرطب رأسك يرطب الفاكهة أيضا ولا تطول فيما لا مطنع في استقصائه بل نقول كل كوكب في السماء قد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر لترطيب فلا يغلو واحد منهما عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر بإحصائها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا باطلا - وقوله عز وجل - وما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما إلا لعبين - وكما أنه ليس في أعضاء بدنك عضوا لا فائدة فليس في أعضاء بدن العالم عضو إلا لفائدة والعالم كله كشخص واحد وآحاد أجسامه كالأعضاء له وهي متعاونة تعاون أعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي أن نطعن أن الإيمان بأن النجوم والشمس والقمر مسخرات بأمر الله سبحانه في أمور جعلت أسبابا لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من النهي عن تصديق النجميين وعن علم النجوم (١) بل النهي عنه في النجوم أمران : أحدهما أن تصدق بأنها فاعلة لأنارها مستقلة بها وأنها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر . والثاني تصديق النجميين في تفصيل ما يجهلون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها لأنهم يقولون ذلك عن جهل فان علم أحكام النجوم كان معجزة لبعض الأنبياء عليهم السلام ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق إلا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطأ فاعتقاد كون الكواكب أسبابا لأنار تحصل بخالق الله تعالى في الأرض وفي النبات وفي الحيوان ليس قادحا في الدين بل هو حق ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قاذح في الدين ولذلك إذا كان معك ثوب غسسته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك أخرج الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحسب النهار والهواء لا يترك تكذيبه ولا يترك الإنكار عليه بحوائثه حتى

وأمرهم أن لا يتجاوزوه حتى يقدموا صدقة وقيل كان الأغنياء يأتون النبي عليه السلام ويطلبون الفقراء على المجلس حتى كره النبي عليه السلام طول حديثهم ومناجاتهم فأمر الله تعالى بالصدقة عند الحاجة فلما رأوا ذلك اتبوا عن مناجاته فأما أهل السريرة فلا هم لم يجدوا شيئا وأما أهل اليسرة فبخلوا ومنعوا فاشد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزلت الرخصة وقال تعالى - أشقمت أن تصدروا بين يدي نوحاكم صدقات - وقيل لما أمر الله تعالى بالصدقة

(١) حديث الترمذي عن تصديق النجميين وعن علم النجوم أبو داود وابن ماجه بسند صحيح من حديث ابن عباس من اجبت علما من النجوم اجبت شعبة من السحر زاد ما زاد ولا يطربني من حديث ابن مسعود وثوبان إذا ذكر النجوم فأمسكوا وإسناده ضعيف وقد تقدم في العلم ولعلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال قلت لرسول الله أمورا كنا نضمنها في الجاهلية كنا تأتي السكبان قال فلا تأتوا السكبان الحديث .

الهواء على طالع الشمس وإذا سألت عن تغيير وجه الإنسان قال قرعتني الشمس في الطريق فأسود وجهي لم يلمك تكديبه بذلك وقس بهذا سائر الآثار إلا أن الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالجهول لا يجوز دعوى العلم فيه وللمعلوم بضه معلوم للناس كافة كصول الضياء والحرارة بطالع الشمس وبضه لبعض الناس كصول الزكام بشروق القمر فاذن الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لأغصى ولهذا «نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء وقرأ قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقتنا عذاب النار - ثم قال صلى الله عليه وسلم : ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سيبلته (١)» ومعناه أن يقرأ ويترك التأمل ويقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضا فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سيبلته لله تعالى في ملكوت السموات والآفاق والأقنص والحيوانات هجاب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى فإن من أحب طالما غلازال مشغولا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على هجاب علمه جاله فه فكذلك الأمر في هجاب صنع الله تعالى فإن العالم كله من تصنيفه بل تصنيف للصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده فإن تصيبت من تصنيف فلا تصعب من الصنف بل من الذي سخر للصنف لتصنيفه بما أنتم عليه من هدايته وتبديده وتغيره كما إذا رأيت لعب المشعوذ ترقص وتتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تصعب من اللعب قائما خرق محركا لا متحركة ولكن تصعب من حلق المشعوذ المحرك لها بروابط دقيقة خفية عن الأبصار فاذن للتصود أن غذاء النبات لا يتم إلا بالهواء والهواء والشمس والقمر والسكواكب ولا يتم ذلك إلا بالأفلاك التي هي مركوزة فيها ولا يتم الأفلاك إلا بحركاتها ولا يتم حركاتها إلا بعلائكة سبوية يحركونها وكذلك يتأدى ذلك إلى أسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه على ما هللناه ونقتصر على هذا من ذكر أسباب غذاء النبات .

(الطرف الخامس : في ثم الله تعالى في الأسباب للوصلة للأطعمة إليك)

اعلم أن هذه الأطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لأجلها توجد في بعض الأماكن كن دون بعض والناس منتشرون على وجه الأرض وقد تبعدهم الأطعمة ويحول بينهم وبينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله تعالى البحار وسلط عليهم حرس حب لئلا وشهوة الریح مع أنهم لا ينزيم في غالب الأمر شيء بل يجمعون فلما أن تخرق بها السفن أوتنها قطع الطريق أو يجمعون في بعض البلاد فيأخذها السلاطين وأحسن أحوالهم أن يأخذوها ورتهم وهم أعدائهم لو عرفوا ، فانظر كيف سلط الله الجهل والفتنة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الریح ويركبوا الأخطار ويفرروا بالأرواح في ركوب البحر فيجملون الأطعمة وأنواع الحوامج من أقصى الشرق والغرب إليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحمل في البراري وانظر إلى الأبل كيف خلقت وإلى القرس كيف أمدت بسرعة الحركة وإلى الحمام كيف جعل صبورا على التعب وإلى الجمال كيف تقطع البراري وتطوى للراحل تحت الأعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سبهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليجملوا إليك الأطعمة وسائر الحوامج وتأمل ما يحتاج

(١) حديث قرأ قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقتنا عذاب النار - ثم قال ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سيبلته أي ترك تأملها التعليل من حديث ابن عباس بلقظ ولم يشكر فيها وفيه أبو جناب يحيى بن أبي جة ضيف .

لم ينج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على ابن أبي طالب قدم ديناراً قصدياً به وقال على في كتاب الله آية ماعمل بها أحق بقل ولا يعمل بها أحد بعدى وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية دعا علياً وقال ما ترى في الصدقة كم تكون ديناراً قال على لا يطيقونه قال كم قال على تكون حبة أو شعيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لرهيد ثم نزلت الرخصة ونسخت الآية ومابنه الحق عليه بالأمر بالصدقة ومافيه من حسن الأدب وتقيد اللفظ والاحترام

إليه الحيوانات من أسبابها وأدواتها وعقلها ومحتاج إليه السفن قد خلق الله تعالى جميع ذلك إلى حد الحاجة وفوق الحاجة وإحصاء ذلك غير ممكن ويشمادى ذلك إلى أمور خارجة عن المحصر نرى تركها طلبا للإيجاز .

(الطرف السادس : في إصلاح الأطعمة)

اعلم أن الذي ينبت في الأرض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن أن يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لابد في كل واحد من إصلاح وطيبخ وتركيب وتنظيف بإلقاء البعض وإبقاء البعض إلى أمور آخر لا تحصى واستقصاء ذلك في كل طعام يطول فلتبين رغيفا واحدا ولننظر إلى ما يحتاج إليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للأكل من بعد إلقاء البذر في الأرض فأول ما يحتاج إليه الحراث ليزرع ويصلح الأرض ثم الثور الذي يشد الأرض والقدان وجميع أسبابه ثم بعد ذلك التصدي بسقي الماء مدة ثم تنقية الأرض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرز والتنقية ثم الطحن ثم المعجن ثم الخبز فتأمل عدد هذه الأضال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الأشخاص القاعين بها وعدد الآلات التي يحتاج إليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر إلى أعمال الصناع في إصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيرهما وانظر إلى حاجة الحداد إلى الحديد والراس والنحاس وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والأحجار والعماد وكيف جعل الأرض قطعا متجاورات مختلفة ، فان فقتت علت أن رغيفا واحدا لا يستدير بحيث يصلح لأكلك يامسكين ما لم يعمل عليه أكثر من ألف صانع فابتدى من لذلك الذي يزجي السحاب لينزل الماء إلى آخر الأعمال من جهة للاستكمال حتى تنتهي التوبة إلى عمل الانسان ، فاذا استدار طلبه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع التي بها تتم مصلحة الخلق ، ثم تأمل كثرة أعمال الانسان في تلك الآلات حتى إن البرة التي هي آلة صغيرة فأنفذتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لاستكمال صورتها من حديد تصليح لأبرة لا يبد أن تمر على يد الأبري خمسا وعشرين مرة ويتماطى في كل مرة منها عملا ، فلو لم يجمع الله تعالى البلاد ولم يسخر العباد وافقرت إلى عمل للنجل الذي تحصد به البر مثلا بعد نباته لنفذ عمرك وهجرت عنه . أفلا تسمى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نقطة قدرة لأن يعمل هذه الأعمال الصعبة والصنائع القوية فانظر إلى القراض مثلا وما جلدان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فيتأولان الشيء معا وقطعانه بسرعة ولو لم يكشف الله تعالى طريق اتخاذ فضله وكرمه لمن قبلنا وافقرنا إلى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم إلى استخراج الحديد من الحجر وإلى تحصيل الآلات التي بها يعمل القراض وعمر الواحد منا عمر نوح وأوى أكل القول قصر عمره عن استنباط الطريق في إصلاح هذه الآلة وحدها فضلا عن غيرها ، فسبحان من ألحق ذوى الأبصار بالعيان وسبحان من منع التبيين مع هذا البيان . فانظر الآن لو خلا بليك عن الطحان مثلا أو عن الحداد أو عن الحجام الذي هو أشس العمال أو عن الحائك أو عن واحد من جملة الصناع ماذا يصيبك من الأذى وكيف تضطرب عليك أمورك كلها ، فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى فقتت به مشيته وتمت به حكمته . ولننجز القول في هذه الطبقة أيضا فان الفرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء .

(الطرف السابع : في إصلاح الصالحين)

اعلم أن هؤلاء الصناع الصالحين للأطعمة وغيرها لو غرقت آراؤهم وتنافرت طبائعهم تافر طباع الوحي لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بهم بعض بل كانوا كالوحوش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد ، فانظر كيف ألق الله تعالى بين قلوبهم وسلط الأناس والمحبة عليهم - لو أفتقت ما في الأرض جميعا

مانسخ ، والقائدة
باقية ، أخبرنا الشيخ
الثقة أبو الفتح محمد
ابن سلمان قال أنا
أبو الفضل أحمد قال
أنا الحافظ أبو نعيم
قال حدثنا سليمان
ابن أحمد قال حدثنا
مطلب بن شبيب قال
حدثنا عبد الله بن صالح
قال ثنا ابن لهيعة
عن أبي قبيل عن
عبادة بن الصامت قال
سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يقول « ليس منا من
لم يعمل كبيرا ورحم
صغيرا ويعرف لئلا
حقه » فاحترام العلماء
توفيق وهدى إلهي وإلهام
ذلك خذلان وعقوق.

ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - فلا جيل إلا ألف وتعارف الأرواح اجتمعوا واشتغلوا وبناو المدن والبلاد وربوا الساكن والدور متقاربة متجاورة وربوا الأسواق والأحانات وسائر أضاف البقاع مما يطول إحصاؤه ثم هذه الحبة تزول بأغراض يزاوحن عليها ويتأفسون فيها في جيلة الإنسان القبط والحسد والبغاسة وذلك مما يؤدي إلى القتال والتناحر فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وأمدم بالقوة والعدة والأسباب وألقى رعيهم في قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف هدى السلاطين إلى طريق إصلاح البلاد حتى ربوا أجزاء البهائم كالأجزاء من شخص واحد تتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها ببعض فربوا الرؤساء والقضاة والسجن وزعماء الأسواق واضطروا الخلق إلى قانون العدل وأزموهم للتعاقد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقتاب والحجاز وسائر أهل البهائم ينتفعون بالحداد وصار الحداد ينتفع بالحراث والحراث بالحداد وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما يتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بث الأنبياء عليهم السلام حتى أصلحو السلاطين المسلمين للرعايا وعرفهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من أحكام الإمامة والسلطنة وأحكام القضاة ما هتدوا به إلى إصلاح الدنيا فضلا عما أرشدوهم إليه من إصلاح الدين وانظر كيف أصلح الله تعالى الأنبياء باللائكة وكيف أصلح لللائكة بعضهم ببعض إلى أن ينتهي إلى الملك للقراب الذي لا واسطة بينهما وبين الله تعالى فالجهاز غير الجبين والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث يصلح له الحصاد والحداد يصلح آلات الحراثة والنجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع أبواب الصناعات الصالحين لآلات الأطعمة والسلطان يصلح الصنائع والأنبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم والعلماء يصلحون السلاطين واللائكة يصلحون الأنبياء إلى أن ينتهي إلى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتأليف وكل ذلك نعم من رب الأبواب ومسبب الأسباب ولولا فضله وكرمه إذ قل تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - لما اهتدنا إلى معرفة هذه النبذة البسيرة نعم الله تعالى ولولا عزله إيانا عن أن نطعم بين الطمع إلى الاحاطة بكنهه نعمه لتسوفنا إلى طلب الإحاطة والاستقصاء ولكنه تعالى عزلنا بحكم التهر والقدرة فقال تعالى - وإن تدرأه الله لا تحصوها - فإن تكلمنا فبأذنه أنبسطنا وإن سكتنا فبقهره انقبضنا - إذ لا معطى لما منع ولا مانع لما أعطى لآفا في كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء الملك الحيار - لمن الملك اليوم لله الواحد القهار - فالحمد لله الذي ميزنا عن الكفار وأمعنا هذا النداء قبل انقضاء الأعمار .

(الطرف الثامن في بيان نعمة الله تعالى في خلق اللائكة عليهم السلام)

ليس يخفى عليك ماسبق من نعمة الله في خلق اللائكة بإصلاح الأنبياء عليهم السلام وهذا يتم وتبليغ الوحي إليهم ولا تظن أنهم مقتضرون في أقصاهم على ذلك القدر بل طبقات اللائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات : اللائكة الأرضية والسموية وحمة العرض . فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع إلى الأكل والنفاء الذي ذكرنا مودون ما يجاوز ذلك من الهداية والارشاد وغيرهما . واعلم أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يشتد إلا بأن يوكّل بسبمة من اللائكة فهو الله إلى عشرة إلى مائة إلى ماوراء ذلك ويانه أن معنى النذاء أن يقوم جزء من النذاء بمقام جزء وقد تلف ذلك النذاء بصير دما في آخر الأمر ثم بصير لحما وعظما وإذا صار للحما وعظما ثم اغتذوا بالدم والحم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بأنفسها ولا تتغير بأغصانها ومجرد الطبع لا يكفي في ترددها في أطوارها كما أن البر بنفسه لا يسير طحيثا ثم يحينا ثم يخبرنا ثم خبزنا إلا بسناع فكذلك الدم بنفسه لا يسير لحما

[الباب الثامن والخمسون]
في آداب الشيخ وما
يعتمد مع الأصحاب
والتلامذة]

أهم الآداب : أن
لا يتعرض الصادق
للتقدم على قوم ولا
يتعرض لاستجلاب
بواطنهم بلطف الرفق
وحسن الكلام محبة
للاستباج قالوا رأى
أن الله تعالى يبعث
إليه المرسلين
والمرسلين بحسن
الظن وصدق الإرادة
يحد أن يكون ذلك
ابتلاء وامتحانا من
الله تعالى والنفس
مجبولة على محبة إقبال
الخلق والشمرة وفي
الحول السلامة ، فالباغ
الكتاب أجله وتمكن

وعظما وعروقا وعصبا إلا بصناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما أن الصناع في الظاهر هم أهل البلد وقد أسبغ الله تعالى عليك نعمة ظاهرة وباطنة فلا ينبغي أن تغفل عن نعمة الباطنة . فأقول لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة اللحم ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم واللحم والورق أو العظم ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل عن حاجة الغذاء ولا بد من سادس ياصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرعى المقادير في الإلتصاق فيلحق بالمستدير مالا يسلط استدبارته وبالعريض مالا يزيل عرضه والمجوف مالا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذاء على أنف الصبي ما يجمع على غفده لكبر أنه وبطل تجويفه وتشوهت صورته وخلقت بل ينبغي أن يسوق إلى الأنفان مع رقتها إلى الحديقة مع صفاتها وإلى الأنفاز مع غلظها وإلى العظم مع صلاته ما يليق بكل واحد منهما من حيث القدر والشكل وإلا بطلت الصورة وربما بعض للواضع ونصف بعض للواضع بل لو لم يرع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيم فساق إلى رأس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما ينمو به إلا إحدى الرجلين مثلا لبقيت تلك الرجل كما كانت في حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل واحد ورجل واحدة كأنها رجل صبي فلا ينفع بنفسه البتة فراعاة هذه المهندسة في هذه القسمة مفوضة إلى ملك من الملائكة ولا تظن أن الهم بطيئه يهندس شكل نفسه فان عييل هذه الأمور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول فهذه هي الملائكة الأرضية وقد شغلوا بك وأنت في النوم تستريح وفي التفلة تتردد وهم يصلحون الغذاء في باطنك ولا خير لك منهم وذلك في كل جزء من أجزائك الذي لا يتجزأ حتى يقتصر بعض الأجزاء كالعين والقلب إلى أكثر من مائة ملك تركنا تفضيل ذلك للإيجاز والملائكة الأرضية مددوم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه إلا الله تعالى ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على جلتهم بالتأييد والمهداية والتسديد المهيمن القدوس المنفرد بالملك والملكوت والعرزة والجبروت جبار السموات والأرض مالك الملك ذو الجلال والإكرام، والأخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والأرض وأجزاء النبات والحوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحب ينجر من جانب إلى جانب (١) أكثر من أن تحصى فذلك تركنا الاستشهاد به . فان قلت فهلا فوضت هذه

العبد من حاله وعلم
يتعريف الله إياه أنه
مراد بالارشاد والتعالم
للمريد في فكهم
حيث كلام الناصح
المشتق من الوداد لولده بما
ينفعه في دينه ودنياه
وكل مرید ومسترشد
ساقه الله تعالى إليه
يراجع الله تعالى في
معناه ويكثر اللجأ إليه
أن يتولاه فيه وفي
القول معه ولا يتكلم
مع المرید بالكلمة
إلا وقلبه ناظر إلى الله
مستعين به في الهداية
للسواب من القول
محمّد شيخنا بالذنب
السهر وردي رحمه الله
يوصي بعض أصحابه
ويقول لا تتكلم أحدا
من الفقهاء إلا في أسمى

(١) حديث الأخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والأرضين وأجزاء النبات والحوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحب ينجر من جانب إلى جانب انتهى . ففي الصحيحين من حديث أبي ذر في قصة الاسراء قال جبريل لحازن السماء الدنيا اتضح وفيه حتى أتى السماء الثانية فقال لحازنها اتضح الحديث ولهما من حديث أبي هريرة إن الله ملائكة سياحين يلعنوني عن أمقي السلام وفي الصحيحين من حديث عائشة في قصة عرضه نفسه على عبد ياليل فناداني ملك الجبال إن شئت أن أطبق عليهم الأخشيين الحديث ولهما من حديث أنس إن الله وكل بالرحم ملكا الحديث وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث بريدة الأسلمي ما من نبت نبت إلا وتحت ملك موكل حتى يحصد الحديث وفيه محمد بن صالح الطبري وأبو بحر البكري وأبو عيسى عثمان بن عبد الرحمن وكلامها ضيف والطبراني من حديث أبي البرداء بسند ضعيف إن لله ملائكة ينزلون في كل ليلة يحسون السكال عن دواب التزاة إلا دابة في عنقها جرس ولترمذي وحسنه من حديث ابن عباس قالت اليهوديا بألقاسم أخبرنا عن الرعد قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب ولسم من حديث أبي هريرة ينزل رجل فعلا من الأرض سمع صوتا من سحابة أسقى حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة الحديث.

الأفعال إلى ملك واحد ولم أقتر إلى سبعة أملاك والحنطة أيضا تحتاج إلى من يطحن أولاهم إلى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانيا ، ثم إلى من يصب الماء عليه ثالثا ، ثم إلى من يربو رابعا ، ثم إلى من يقطع كرات مدورة خامسا ، ثم إلى من يرقها رغفا ناعرة سادسا ، ثم إلى من يصبها بالتور سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد يستقل به فهلا كانت أعمال اللائكة بأعمال الإنسان ظاهرا ٩ . فاعلم أن خلقه لللائكة يخالف خلقه للإنس وما من واحد منهم إلا وهو وحده في الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم الإفضل واحد ، وإليه الإشارة بقوله تعالى - وما منا إلا له مقام معلوم - فلذلك ليس بينهم تنافس وتفاضل بل مثالهم في تعين مرتبة كل واحد منهم وقفه مثال الخواص المحسن فان البصر لا يزاحم السمع في إدراك الأصوات ولا الشم زاحما ولاهما بآذاننا والشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطي بأصابع الرجل بطشا ضيفا قزاحم به اليد وقد تقرب غيرك برأسك قزاحم اليد التي هي آلة الضرب ولا كالإنسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز فان نوع من الأعوجاج والعدول عن العدل سيه اختلاف صفات الإنسان واختلاف دواعيه فانه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل ولذلك نرى الإنسان يطعم الله مرة ويصعبه أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن في طباع اللائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للصعوبة في حقهم فلا جرم لا يصون الله مأمورهم ويفعلون ما يؤمرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترقون والراكم منهم راكع أبدا والساجد منهم ساجد أبدا والقائم قائم أبدا لا اختلاف في أفعالهم ولا تقور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للخلافة فيهم يمكن أن تشبه بطاعة أطرافك لك ، فانك مهما جزمت الإرادة ففتح الأجنان لم يكن للجن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومصعبتك أخرى بل كأنه منتظر لأمرك ونهيك وينفتح وينطبق متصلا بإشارتك فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه من وجه إذ الجن لا يعمل به بما يصدر منه من الحركة فتعا وإطاعة ولللائكة أحياء عالمون بما يعملون فاذن هذه نعمة الله عليك في اللائكة الأرضية والسبابة وحاجتك إليهما في غرض الأكل فقط دون ماعداها من الحركات والحاجات كلها فاننا لنطول بذلك ، فهذه طبقة أخرى من طبقات النعم وجميع الطبقات لا يمكن إحصاؤها فكيف أحاد ما يدخل تحتها جميع الطبقات ، فاذن قد أسبغ الله نعمه عليك ظاهرة وباطنة ثم قال - وذروا ظاهر الإثم وباطنه فترك باطن الإثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدة وإضار الشر للناس إلى غير ذلك من آثام القلوب هو الشكر للنعم الباطنة وترك الإثم الظاهر بالجوارح شكر للنعمة الظاهرة ، بل أقول كل من عصى الله تعالى ولو في تطرعة واحدة بأن ضح جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة الله تعالى عليه في السموات والأرض وما بينهما فان كل ما خلقه الله تعالى حق لللائكة والسموات والأرض والحيوانات والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وإن انتفع غيره أيضا به فان الله تعالى في كل تطرعة للجن نعمتين في نفس الجن إذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها أوتار ورباطات متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الأعلى وارتفاع الجفن الأسفل وعلى كل جفن شعور سود ونعمة الله تعالى في سوادها أنها تجمع ضوء العين إذ الأبيض يرقق الضوء والسواد يجمعه ونعمة الله تعالى في ترتيبها صفا واحدا أن يكون ما ضلواهم من الذي يب إلى باطن العين ومتشبها للأقداء التي تتناثر في الهواء وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين أصلها ومع العين قوام ضباطها وفي اشتباك الأهداب نعمة أعظم من الكل وهو أن غبار الهواء قد يمنع من ضح العين ولو طبق لم يصير فيجمع الأجنان مقدار ما تشابك الأهداب فينظر من وراء شبك الشعر فيكون شبك الشعر ما من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم إن أصاب الحدقة غبار فقد خلق

أو فائتاك ، وهذه وصية ناضة لأن الكلمة تقع في سمع الريد السادق كالجبة تقع في الأرض وقد ذكر أن الجبة الفاسدة تهلك وتضيع وفساد جبة الكلام بالهوى وقطرة من الهوى تكدر بهرا من العلم فسد الكلام مع أهل الصدق والارادة ينبغي أن يستمد القلب من الله تعالى كما يستمد اللسان من الجوارح وكما أن اللسان ترجمان القلب يكون قلبه ترجمان الحق عند البعد فيكون ناظرا إلى الله مصفيا إليه متلقيا ما يرد عليه مؤيدا للأمانة فيه ثم ينبغي

أطراف الأجنان خادمة منطبقة على الحديقة كالمصقلة للزراعة فيعطيها مرة وأمرتين وقد انفصلت الحديقة من التبار وخرجت الأقداء إلى زوايا الدين والأجنان والذباب لما لم يكن لحديقته جفن خلق له يدين قراء على الدوام يمسح بهما حديثه ليصقلها من الضباب وإذ تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لاقتضاره إلى تطويل يزيد على أمل هذا الكتاب ، ولعلنا نستأنفله كتاباً مقصوداً فيه إن أمهل الزمان وساعد التوفيق نسمة حجاب صنع الله تعالى ، فلنرجع إلى غرضنا فنقول : من نظر إلى غير محرم فقد كفر بخلق النعم نعمة الله تعالى في الأجنان ولا تقوم الأجنان إلا بالعين والبرأس والارأس إلا بجميع البدن ولا البدن إلا بالقداء ولا القداء إلا بالنساء والأرض والهواء والطر والنعم والشمس والقمر ولا يقوم شيء من ذلك إلا بالسماوات ولا السماوات إلا باللائكة فإن الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه ببعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض فاذن قد كفر كل نعمة في الوجود من منتهى التراب إلى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد إلا يلصقه ولذلك ورد في الأخبار أن البقعة التي يجتمع فيها الناس إما أن تلهم إذا عرفوا أو تستغفر لهم ^(١) وكذلك ورد أن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر ^(٢) وأن اللائكة يلغون العصاة ^(٣) في ألفاظ كثيرة لا يمكن إحصاؤها وكل ذلك إشارة إلى أن العاصي بتطريفة واحدة جنى على جميع مافي الملك والملكوت وقد أهلك نفسه لأن يتبع السيئة بحسنة فتحوها فيقبل اللعن بالاستغفار ففسى الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام : يا أيوب مامن عبد لي من آدميين إلا وعله مكان فإذا شكرني طي نعمائي قاله للكان اللهم زده نعماً على نعم فانك أهل الحمد والشكر فكسر من الشاكرين قريباً فكفى بالشاكرين علو رتبة وعندي أتى أشكرهم وملاصق يدعون لهم والبقاع تحمهم والآثار تبكي عليهم ، وكما عرفت أن في كل طرفة عين نعمة كثيرة فاعلم أن في كل نفس بنسبها يتقضى نعمتين إحداهما بنسبها تخرج الدخان المحترق من القلب ولولم يخرج لهلك وباقضه يجمع روح الهواء إلى القلب ولو سد متفلسه لاحترق قلبه باقطع روح الهواء وبرودته عنه وهلك بل اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قريب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فليكن في كل لحظة آلاف آلاف نعمة في كل جزء من أجزاء بدنك بل في كل جزء من أجزاء العالم فانظر هل يتصور إحصاء ذلك أم لا ، ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - قال إلهي كيف أشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان أن ليئت أصهاها وأن طمست رأسها وكذا ورد في الأثر أن من لم يعرف نعم الله إلا في مطعمه وشربه قد قتل علمه وحضر عذابه وجميع مآذركه أنه يرجع إلى العلم وللشرب فاعتبر ما سواه من النعم به فإن البصير لا تقع عينه في العالم على شيء ولا يلاي خاطره بوجود إلا ويتحقق أن فيه نعمة عليك فلترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع في غير مطعم .

(بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر)

اعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجبل والنفلة فاهم نعموا بالجبل والنفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها ، ثم إنهم ان عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله ، ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إنعام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله عز وجل فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين العريقتين إلا غلبة الشهوة

(١) حديث إن البقعة التي اجتمع فيها الناس تلهم أو تستغفر لهم لم أجده أصلاً (٢) حديث إن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر تقدم في العلم (٣) حديث إن اللائكة يلغون العصاة مسلم من حديث أبي هريرة لللائكة تلغ أحدكم إذا أشار إلى أخيه بحديدة وإن كان أخاه لأبيه وأمه .

للشيخ أن يعتبر حال للريدين ويفسر فيه بنور الإيمان وقوة العلم والمعرفة ما يتأتى منه ومن صلاحيته واستعداده فمن للريدين من يصلح للتعبد الخفى وأعمال القلوب وطريق الأبرار ومن للريدين من يكون مستعداً صالحاً للقرب وسالك طريق للقرين للرادين بحاملة القلوب والعلامات السنية ولكل من الأبرار والقرين مبادونهايات فيكون الشيخ صاحب الاشراف على البواطن يعرف كل شخص وما يصلح له والعجب أن الصراوى

واستبداه الشيطان . أما النعمة عن النعم فلها أسباب وأحد أسبابها أن الناس يجملهم لا يعدون ما بهم الخالق ويسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لأنها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع أحوالهم فلا يرى كل واحد نفسه منهم اختصاصا به فلا يسهو نعمته ولا تراه يشكرون الله على روح الهواء ولو أخذ بمحتتهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو جسوا في بيت حمام فيه هواء حار أو في بئر فيه هواء تهل برطوبة للآدم ماتوا عما كان ابتلى واحد منهم بشيء من ذلك ثم نجوا ربحا قدر ذلك نعمة وشكرا لله عليها وهذا غاية الجهل إذ صار شكرهم موقوفا على أن تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الأحوال والنعمة في جميع الأحوال أولى بأن تشكروا فيها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره إلا أن تمنى عينه فتد ذلك لو أعيد عليه بصره أو أحس به أو شكره وعده نعمة ولما كانت رحمة الله واسعة نعم الخلق وبذل لهم في جميع الأحوال فلم يسهو الجاهل نعمة وهذا الجاهل مثل العبد السوء حقه أن يضرب دائما حتى إذا ترك ضربه ساعة تخلد به منة فإن ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون إلا للآل الذي يطرُق الاختصاص إليه من حيث الكثرة والقلّة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما شكوا بعضهم فقره إلى بعض أرباب البصائر وأظهر شدة اغترافهم به فقال له أسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال أسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال أسرك أنك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفا فقال لا فقال أسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفا . وحكى أن بعض القراء اشتد به الفقر حتى صاق به ذرعا فرأى في المنام كأن قائلا يقول له تود أنا أنسيناك من القرآن سورة الأنعام وأن لك ألف دينار قال لا قال فصوره هود قال لا قال فصوره يوسف قال لا فصدق عليه سورا ثم قال فلك قيمة مائة ألف دينار وأنت تشكو فأصبح وقد سرى عنه . ودخل ابن الهالك على بعض الخلفاء ويده كوز مذهب به فقال له عظمي فقال لو لم تملط هذه الثيرة إلا يبدل جميع أموالك وإلا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه قال نعم فقال لو لم تملط إلا بملكك كله فهل كنت تركه قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يساوي شربة ماء فهذا تبين أن نعمة الله تعالى على العبد في شربة ماء عند المطش أعظم من ملك الأرض كلها وإذا كانت الطباع مائلة إلى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة فلندكر إشارة وجيزة إلى النعم الخاصة فتقول ما من عبد إلا ولو أضمن النظر في أحواله رأى من الله نعمة أو نعمًا كثيرة فخصه بالإشارة فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيها أحد وذلك يستوفى به كل عبد في ثلاثة أمور : في العقل والخلق والعلم أما العقل لما من عبده الله تعالى إلا وهو راض عن الله في عقله يعتقد أنه أعمق الناس وقيل من يسأل الله العقل وإن من شرف العقل أن يفرح به الخلق عنه كما يفرح به المتصف به فإذا كان اعتقاده أنه أعمق الناس فواجب عليه أن يشكره لأنه إن كان كذلك فالشكر واجب عليه وإن لم يكن ولكنه يعتقد أنه كذلك فهو نعمة في حقه فمن وضع كبريائته الأرض فهو يفرح به ويشكر عليه فإن أخذ الكبر من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده وبقى شكره لأنه في حقه كالباقي وأما الخلق لما من عبد إلا ويرى من غيره عيوبًا يكرهها وأخلاقيًا يمدحها وإنها يمدحها من حيث يرى نفسه بريئا عنها فإذا لم يشتغل بدم الغيرة فينبغي أن يشتغل بشكر الله تعالى إذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيء ، وأما العلم لما من أحد إلا ويعرف من بواطن أمورهم وخفايا أفكاره ما هو منعد به ولو كشف الغطاء حتى اطلع عليه أحد من الخلق لافضح فكيف لو اطلع الناس كافة فاذن لكل عبد علم . بأمر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله فلم لا يشكر سر الله الجليل الذي أرسله على وجه مساوية فأظهر الجليل وسر التبيين وأخفى ذلك عن أعين الناس وخصص عليه به

يعلم الأرض والعرس
ويعلم كل غرس وأرضه
وكل صاحب صنعة يعلم
مناخ صنعه وضارها
حق للرأى تعلم قطبها
وما يتأتى منه من القزل
ودقته وغلظه ولا يعلم
الشيء حال اللريد
وما يصلح له . وكان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكلم الناس
على قدر عقولهم
ويأمر كل شخص بما
يصلح له ففهم من كان
بأمره بالاتفاق ومنهم من
أمره بالإسلاك ومنهم
من أمره بالكسب
ومنهم من قرره على
ترك الكسب كأصحاب
الصفة فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم

حتى لا يطالع عليه أحد فهذه ثلاثة من النعم خاصة يتبرفها كل عبد إمام مطلة أو إمامي بعض الأمور فلنزل عن هذه الطبقة إلى طبقة أخرى أعم منها قليلا فنقول : مامن عبد إلا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه أو أقرابه أو عزه أو جاهه أو في سائر محابه أموراً لو سلب ذلك منه وأعطى ما خصص به غيره لكان لا بأس به وذلك مثل أن جعله مؤمناً لا كافراً وحياً لأجداداً وإنساناً لاهية وذكراً لأنثى وصحيحاً لأمريئاً وسليماً لأمعيئاً فإن كل هذه خصائص وإن كان فيها عموم أيضاً فإن هذه الأحوال لو بدلت بأضدادها لم يرض بها بل له أمور لا يبدلها بأحوال الآدميين أيضاً وذلك إما أن يكون بحيث لا يبدله بما خص به أحد من الخلق أو لا يبدله بما خص به إلا أكثر فإذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فإذا حاله أحسن من حال غيره وإذا كان لا يبرف شخص يرتضى لنفسه حالة بدلا عن حال نفسه إمامي الجملة وإمامي أمخاص فإذا نزلت على الله تعالى عليه نعم ليست له على أحد من عباده سواء وإن كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر إلى عدد التبوطين عنده فإنه لا يرام أقل بالإضافة إلى غيرهم فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير مما هو فوقه فما باله ينظر إلى من فوقه ليزدري نعم الله تعالى على نفسه ولا ينظر إلى من دونه ليستعظم نعم الله عليه وما باله لا يسوى ديناه بدينه أليس إذا لامته نفسه على سيئة يقارنها بعترتها بأنها في الفساق كثرة فينظر أبداً في الدين إلى من دونه لا إلى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك فإذا كان حال أكثر الخلق في الدين خير منه وحاله في الدنيا خير من حال أكثر الخلق فكيف لا يلومه الشكر، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتبته الله صابراً وشاكراً ومن نظر في الدنيا إلى من هو فوقه وفي الدين إلى من هو دونه لم يكتبه الله صابراً ولا شاكراً (١) » فاذن كل من اعتبر حال نفسه ونقص عما خص به وجده الله تعالى على نفسه نعماً كثيرة لا سيما من خص بالسنة والإيمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والأمن وغير ذلك ولذلك قيل :

من شاء عيشاً رحيماً يسطيل به في دينه ثم في دنياه إقبالا

فلينظرن إلى من فوقه ورعاً ولينظرن إلى من دونه مالا

وقال صلى الله عليه وسلم « من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله (٢) » وهذا إشارة إلى نعمة العلم وقال عليه السلام « إن القرآن هو الثقل الذي لا غنى بعده ولا قهر معه (٣) » وقال عليه السلام « من آتاه الله القرآن فظن أن أحداً أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله (٤) » وقال عليه السلام « ليس من آمن بالقرآن (٥) » وقال عليه السلام « كفى باليقين غنى (٦) » وقال بعض السلف يقول الله تعالى في بعض الكتب للزلة

(١) حديث من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتبته الله صابراً وشاكراً الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقال غريب وفيه الثقل بن الصباح ضعيف (٢) حديث من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله لم أجده بهذا اللفظ (٣) حديث إن القرآن هو الثقل الذي لا غناء بعده ولا قهر معه أبو يعلى والطبراني من حديث أنس بسند ضعيف بلطف إن القرآن غنى لا قهر بعده ولا غنى دونه قال المذركطي رواه أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد الرقاشي عن الحسن مرسلاً وهو أشبه بالصواب (٤) حديث من آتاه الله القرآن فظن أن أحداً أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله البخاري في التاريخ من حديث جرجاء الثوري بلطف من آتاه الله حفظ كتابه وظن أن أحداً أغنى أفضل مما أوتي قد صغر أعظم التعم وقد تهم في فضل القرآن وجاء مختلف في صحته وورود من حديث عبد الله بن عمرو وجابر والبراء نحوه وكلها ضعيفة (٥) حديث ليس من آمن بالقرآن تقدم في آداب التلاوة (٦) حديث كفى باليقين غنى الطبراني من حديث عتبة بن عامر ورواه ابن أبي الدنيا في القناعة موقوفاً عليه وقد تقدم.

يعرف أوضاع الناس وما يصلح لكل واحد فأما في رتبة الدعوة فقد كان يعمم الدعوة لأنه مبعوث لإثبات الحق وإيضاح الحق يدعو على الإطلاق ولا يخص بالدعوة من يفرس فيه الهداية دون غيره . ومن أدب الشيخ أن يكون له خلوة خاصة ووقت خاص لا يسهه فيه معاناة الخلق حتى يفرض على جلوته فائدة خلوته ولا تدعى نفسه قوة ظناً منها أن استدانة المخالطة مع الخلق والكلام معهم لا يضره ولا يأخذ منه وأنه غير محتاج إلى الخلوة فإن رسول الله

إن عبدا أغنيته عن ثلاثة لقد أتممت عليه نعمتي عن سلطان يأتيه وطيب يدأويه وعما في يد أخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال :

إذا ما القوت بآتيك هكذا الصحة والأمن
وأصبحت أبا حزن فلا فارقك الحزن

بل أرقش العبارات وأفصح الكلمات كلام أفصح من نطق بالصادحيت عبر على الله عليه وسلم عن هذا للمنى فقال « من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ^(١) » ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث مع أنها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الإيعان الذي به وصولهم إلى النعم القم والملك العظيم بل البصر يغني أن لا يضرح إلا بالمرقوة واليقين والإيعان بل عن تعلم من العلماء من لو سلم إليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الأرض من للشرق إلى الغرب من أموال وأتباع وأنصار وقيل له خذها عوضا عن علمك بل عن عشر عشر علمك لم يأخذها وذلك لرجائه أن نعمة العلم تغني به إلى قرب الله تعالى في الآخرة بل لو قيل له لك في الآخرة ما تزوج به كماله فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن التذاذك بالم في الدنيا وفرحك بل كان لا يأخذ لعله بأن هذه العلم دأمة لا تنقطع وباية لا تسرق ولا تنصب ولا ينافس فيها وأنها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها نافسة مكدره مشوشة لا يفي مرجوها يخوفها ولا لذتها بألمها ولا فرحها بنمها هكذا كانت إلى الآن وهكذا تكون ما بقي الزمان إن ما خلقت لذات الدنيا إلا لتجلب بها العقول النافسة وتخرج حتى إذا أخذت وتقيدت بها أت عليها واستصمت كالمرأة الجليل ظاهرها تزين للشباب الشيق التي حق إذا تقيدها قلبه استصمت عليه راحتجت عنه فلا يزال معها في تعب قائم وعناء دائم وكل ذلك باغتراره بقلته النظر إليها في لحظة ولوعقل وفض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع عمره فهكذا وقت أرباب الدنيا في شباك الدنيا وجبالها ولا ينبغي أن يقول إن العرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها فإن للقلب عليها إضامات بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع الصوص عنها وتألم للعرض يغني إلى لذة في الآخرة وتألم للقلب يغني إلى الألم في الآخرة فليقرأ للعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى - ولا تنهوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تأملون فانهم يأملون كما تأملون وترجون من الله ما لا يرجون - فاذا نزلت إماما تسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامية . فإن قلت فما علاج هذه القلوب النافقة حتى تشعر بنعم الله تعالى فساها تشكر . فأقول أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيما رمزا إليه من أصناف نعم الله تعالى العامة وأما القلوب البليدة التي لاتمد النعمة نعمة إلا إذا خصتها أو شغرت بالبلاد معها فسيبها أن ينظر أبدا إلى من دونه ويفعل ما كان يفعله بعض الصوفية إذ كان يحضر كل يوم دار للرضى والقاير والواضع التي تقام فيها الحدود فكان يحضر دار للرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره بلاء الأمراض ويشكر الله تعالى ويشاهد الجنة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويعذبون بأنواع العذاب ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنائيات ومن تلك العقوبات ويشكر الله تعالى على نعمة الأمن ويحضر القاير فيعلم أن أحب الأشياء إلى الله أن يردوا إلى الدنيا ولو يوما واحدا أما من عصى الله فليدارك وأما من أطاع فليزد في طاعته فإن يوم القيامة يوم التغابن فالطبع مغبون إذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فلما أعظم غنبي إذ ضيبت بعض الأوقات في الباحات وأما العاصي فحينه طاهر فاذا شاهد القاير

(١) حديث من أصبح آمنا في سربه الحديث تقدم غير مرة .

صلى الله عليه وسلم مع
كأن حاله كان له قيام
الليل وصلوات يصلها
ويوم عليها وأوقات
بخلو فيها قطيع البشر
لا يستغنى عن السياسة
قل ذلك أو أكثر
لطف ذلك أو كنف
وكم من مغرور قانع
باليسير من طيبة القلب
اتخذ ذلك رأس
ماله واغتر بطيبة
قلبه واسترسل في
للمجازسة والمخالطة
وجعل نفسه مناخ
للباطنين بالقمة تؤكل
عنده وبرق يوجد
منه فيقصده من ليس
قصده الدين ولا يقينه
سلوك طريق التيقن
فاتنن وأقن وبقي في
خطة القصور ووقع في

وعلم أن أحب الأشياء إليهم أن يكون قد بقي لهم من العمر ما بقي له فيصرف بقية العمر إلى ما يشتهي أهل القبور العود لأجله ليكون ذلك معرفة لنعم الله تعالى في بقية العمر بل في الأمهال في كل نفس من الأفاضل وإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرّف العمر إلى ما خلق العمر لأجله وهو التزوّد من الدنيا لآخره فهذا علاج هذه القلوب العاقلة لتشعر بنعم الله تعالى فصاها تشكروا وقد كان الربيع بن خنيم مع حمام استبحاره يستعين بهذه الطريق تأكيداً للمعرفة فكان قد حفر في داره قبراً فكان يضع غلّا في عنقه ويأتيه في لحدّه ثم يقول ربنا رجونا إلى عمل صالح ثم يقوم ويقول يا ربّ قد أعطيت مأساة فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد . وما ينبغي أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف أن النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد . وذلك كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول : عليك بلازمة الشكر على النعم قل نعمت زالت عن قوم فسادت إليهم . وقال بعض السلف النعم وحشة فقيدها بالشكر وفي الخبر « ما عظمت نعمة الله تعالى على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه ^(١) » فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال وقال الله سبحانه وتعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - فهذا تمام هذا الركن . الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر

(بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد)

اطلاق قول ما ذكرته في النعم إشارة إلى أن الله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير إلى أن البلاء لا وجود له أصلاً فامعنى الصبر وإن كان البلاء موجوداً فامعنى الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون أننا نشكر على البلاء فضلاً عن الشكر على النعمة فكيف يصور الشكر على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر على البلاء يستدعى المأ والشكر يستدعى فرحاً وما يشادان واما معنى ما ذكرتموه من أن الله تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده فاعلم أن البلاء موجود كما أن النعمة موجودة والقول بآيات النعمة يوجب القول بآيات البلاء لأنها متضادان فقد البلاء نعمة وقد النعمة بلاء ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه أما في الآخرة فكسادة البعد بالزوال في جوار الله تعالى وأما في الدنيا فكلايمان وحسن الخلق وما يمين عليهما وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه فكذلك البلاء ينقسم إلى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعالى إمامدة وإمابداً وأما في الدنيا فالكفر والمصيبة وسوء الخلق وهي التي تنفي إلى البلاء المطلق وأما القيد فكالكفر والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة وأما البلاء المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لأن الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا المصيبة بل حق الكافر أن يترك كفره وكذا حق العاصي نعم الكافر قد لا يصرّف أنه كافر فيكون كبراً بعدة وهو لا يتألم بسبب غشية أو غيرها فلا يصبر عليه والعاصي يعرف أنه عاص فله ترك المصيبة بل كل بلاء يقدر الإنسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الإنسان اللاء مع طول النطش حتى عظم تألمه فلا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بإزالة الألم وإعما الصبر على ألم ليس إلى البعد إلا لأنه فاذن يرجع الصبر في الدنيا إلى ما ليس يلا مطلق بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فذلك يتصور أن يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فإن الثنى مثلاً يجوز أن يكون سبباً لهلاك الإنسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل ويقتل أولاده

(١) ما عظمت نعمة الله على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه الحديث ابن عدى وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بن جبل بلفظ إلا عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة للحديث ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وقال إنه موضوع على حجاج الأعور .

دائرة القنور فما يستغنى
الشيخ عن الاستمداد
من الله تعالى والتضرع
بين يدي الله قبله إن لم
يكن بقاله وقابه فيكون
له في كل كلمة إلى الله
رجوع وفي كل حركة
بين يدي الله خضوع
وإيمادخلت الفتنة على
الفرورين للدين القوة
والاسترسال في الكلام
والمخالطة لقصة
معتهم بصفات النفس
واغترارهم بيسير من
للوهبة وقلة تأديهم
بالشيوخ . كان الجنيد
رحمه الله يقول لأصحابه
لو علمت أن صلاة
ركعتين لي أفضل من
جلوسى معكم ما جلست
عندكم فإذا رأى
الفضل في الخلوة غلوا

والصحة أيضا كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدينية إلا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالإضافة إليه فكذلك مامن بلاء إلا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة إلى حاله فربما تكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبني قال الله تعالى - ولو بطل الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض - وقال تعالى - كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى - وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليحبي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحبي أحدكم مريضه ^(١) » وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل مذكرناه في الأقسام الستة عشر من النعم سوى الإيمان وحسن الخلق فاتها يتصور أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون أضعافها إذن نعمة في حقهم إذ قد سبق أن المعرفة كمال ونعمة فاتها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد تكون على العبد في بعض الأمور بلاء ويكون قددها نعمة مثاله جهل الإنسان بأجله فانه نعمة عليه إذ لو عرفه ربما تنصص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضره الناس عليه من معارفه وأقاربه نعمة عليه إذ لو عرف الستر واطلع عليه لطال ألمه وحقده وحسده واشغاله بالانتقام وكذلك جهله بالصفات للذمومة من غيره نعمة عليه إذ لو عرفها أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالا عليه في الدنيا والآخرة بل جهله بالحاصل الحمودة في غيره قد يكون نعمة عليه فانه ربما يكون وليا لله تعالى وهو يضطر إلى إيذائه وإهانتها ولو عرف ذلك وآذى كان إنهم لا محالة أعظم فاقس من آذى نبيا أو وليا وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف. ومنها إيهام الله تعالى أمر القيامة وإيهامه ليلة القدر وساعة يوم الجمعة وإيهامه بعض الكائنات فكل ذلك نعمة لأن هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا إن الله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق وذلك مطرد في حق كل أحد ولا يستثنى عنه بالظن إلا الآلام التي يخلقها في بعض الناس وهي أيضا قد تكون نعمة في حق التآلم بها فان لم تكن نعمة في حقه كالألم الحاصل من اللصية كقطعه يد نفسه وضمه بصرته فانه يتألم به وهو عاص به وألم السكران في النار فهو أيضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم لأن مصائب قوم عند قوم فوائد ولولا أن الله تعالى خلق العذاب وعذب به طائفة لا عرف للتعلمون قدر نعمه ولا أكثر فرحهم بها ففرح أهل الجنة إنما يتضاعف إذا تشكروا في آلام أهل النار أما ترى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم إليها من حيث إنها عامة بمذولة ولا يشتد فرحهم بالنظر إلى زينة السماء وهي أحسن من كل بستان لهم في الأرض يجتهدون في عمارته ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فاذن قد صرح مذكرناه من أن الله تعالى لم يخلق شيئا إلا وفيه حكمة ولا خلق شيئا إلا وفيه نعمة إما على جميع عباده أو على بعضهم فاذن في خلق الله تعالى البلاء نعمة أيضا إما على اللبثي أو على غير اللبثي فاذن كل حالة لا توصف بأنها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا . فان قلت ففما متضادان فكيف يجتمعان إذ لا صبر إلا على غم ولا شكر إلا على فرح . فاعلم أن الشيء الواحد قد يشتمل به من وجه ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث التفرح وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة أمور يقبني أن يفرح الماقل بها ويشكر عليها . أحدها أن كل مصيبة ومرض فيتصور أن يكون أكبر منها إذ مقدورات الله تعالى لا تنهاى فلو ضيقها الله تعالى وزادها ماذا كان يردده ويحجزها فليشكر إذ لم تكن أعظم منها في الدنيا. الثاني أنه كان يمكن أن تكون مصيبته في دينه . قال رجل لسهل رضى الله تعالى عنه دخل اللص بيتي

وإذا رأى الفضل في
الجلوة يجلس مع
المصحاب فتكون جلوته
في حماية خلوته وجلوته
مزيدا لخلوته وفي هذا
سر وذلك أن الآدمي
ذو تركيب مختلف فيه
تضاد وتمايز على
ما أسلفنا من كونه
مترددا بين السفلى
والعلاوى ولما فيه من
التمايز له حظ من
القنوت عن الصبر
على صرف الحق ولهذا
كان لكل عامل
فترة والفترة قد تكون
تارة في صورة العمل
وتارة في عدم الروح في
العمل وإن لم تكن في
صورة العمل في وقت
الفترة للمريد
والسالكين تنضيق

وأخذ متاعى فقال اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك فأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى عليه الصلاة والسلام في دعائه إذ قال : اللهم لا تجعل مصيقي في ديني، وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ما ابتليت بلاء إلا كان لله تعالى على فيه أربع نعم إذ لم يكن في ديني وإذ لم يكن أعظم منه وإذ لم أحرم الرضا به وإذ أرجو الثواب عليه . وكان لبعض أرباب القلوب صديق خفيصة السلطان فأرسل إليه يعلنه ويشكو إليه فقال له اشكر الله فضر به فأرسل إليه يعلنه ويشكو إليه فقال اشكر الله فجاءه بمجوسى خفيص عنده وكان مبطونا قعيد وجعل حلقة من قيده في رجله وحلقة في رجل المجوسى فأرسل إليه فقال اشكر الله فكان المجوسى يحتاج إلى أن يقوم مرات وهو يحتاج إلى أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضى حاجته فكتب إليه بذلك فقال اشكر الله فقال إلى متى هذا وأبى بلاء أعظم من هذا فقال لو جعل الزنار الذى في وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع فاذن مامن إنسان قد أصيب بلاء إلا ولو تأمل حق التأمل في سوء أدبه ظاهره وأبطان في حق مولاه لكان يرى أنه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا وأجلا ومن استحق عليك أن يضر بك مائة سوط فاقصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن استحق عليك أن يقطع يدك فترك إحداها فهو مستحق للشكر وذلك من بعض الشيوخ في شارع فصب على رأسه طشت من رمان فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقيل له ماهذه السجدة فقال كنت أعتقد أن تصب على النار فلا تقصر على الرماد نعمة . وقيل لبعضهم ألا تخرج إلى الاستسقاء فقد احتسبت الأمطار فقال ألم تستبشرون المطر وأنا أستبطئ الحجر . فان قالت كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت مصيبتهم على مصيبتى ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار . فاعلم أن الكافر قد خفي له ما هو أكثر وإنما أهمل حتى يستكثروا الاتم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى - إنما على لهم ليزدادوا إيمانا - وأما العاصي فمن أين تعلم أن في العالم من هو أعصى منه ورب خاطر بسوء أدب في حق الله تعالى وفي صفاته أعظم وأعلم من شرب الخمر واذا ناسا المصائب الجوارح ولذلك قال تعالى في مثله - وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم - فمن أين تعلم أن غيرك أعصى منك ثم لعله قد أخرت عقوبته إلى الآخرة وصحبت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك وهذا هو الوجه الثالث في الشكر وهو أنه مامن عقوبة إلا وكان يتصور أن تؤخر إلى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها بأسباب أخر تهون الصيبة فيخفف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم وإن لم تدم فلا سبيل إلى تخفيفها بالتسلى إذ أسباب التسلى مقطوعة بالكلية في الآخرة عن المؤمنين ومن عجبت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد إذا أذنب ذنبا فأصابته شدة أو بلاء في الدنيا فأنه أكرم من أن يعذبه ثانيا (١) » الرابع أن هذه الصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب وكان لابد من وصولها إليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أو من جميعها فذهت نعمة . الخامس أن ثوابها أكثر مما فان مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة من وجهين : أحدها الوجه الذى يكون به الدواء الكربة نعمة في حق المريض ويكون الشئ من أسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلى واللعب كان ينعمه ذلك عن العلم والأدب فكان يحسر جميع عمره فكذلك السال والأهل والأقارب

واستراح للنفس وركون إلى البطالة فمن بلغ رتبة الشيخة انصرف قسم قهرته إلى الخلق فأفلق الخلق بقسم قهرته وما ضاع قسم قهرته كضياحه في حق الريدن فالريد يعود من الفترة بقوة الشدة وحدة الطلب إلى الإقبال على الله والشيخ يكتب النصيحة لمن تقع الخلق بقسم فسرته ويسود إلى أولاد خلوته وخاص حاله بنفس مشربة أكثر من عود الفقير بمحبة إرادته من قهرته فيعود من الخلق إلى الخلوة متفرغ التنوير بقلب متعطف وافر النور وروح متخلصة عن

(١) حديث إن العبد إذا أذنب ذنبا فأصابه شدة أو بلاء في الدنيا فأنه أكرم من أن يعذبه ثانيا الترمذى وابن ماجه من حديث على من أصاب في الدنيا ذنبا عوقب به فأنه أعد لمن أن يفي عقوبته على عبده الحديث لفظ ابن ماجه وقال الترمذى من أصاب حدا فصجل عقوبته في الدنيا وقال حسن وللشيخين من حديث عبادة بن الصامت ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له الحديث.

والأعضاء حتى العين التي هي أعز الأشياء قد تكون سببا لهلاك الإنسان في بعض الأحوال بل العقل الذي هو أعز الأمور قد يكون سببا لهلاكه فالملحمة غذا يمتنون لو كانوا مجانبين أوسينا ولم يصرفوا بقولهم في دين الله تعالى فإيمان شيء من هذه الأسباب يوجد من البعد إلا يتصور أن يكون له فيه خيرة دينية فقلبه أن يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فإن حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد أعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلايا وإنذار أو ثواب الله على البلايا كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ أستاذه وأباه على ضربه وتأديبه إذ يدرسه ثمرة ما استفاده من التأديب والبلاء من الله تعالى تأديب وعنايته بعباده أتم وأوفر من عنايته الآباء بالأولاد فقد روى «أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تنه الله في شيء خفاه عليك (١)» ونظر صلى الله عليه وسلم إلى السماء فضحك فسل قال عجب لقضاء الله تعالى للؤمن إن قضى له بالسراء رضى وكان خيرا له وإن قضى له بالفسراء رضى وكان خيرا له (٢)» الوجه الثاني أن رأس الخطايا للهلكة حب الدنيا ورأس أسباب النجاة التجاني بالقلب عن دار الضرور ومواناة التمس على وفق للراد من غير امتزاج ببلاء ومضنية تورث طمأنينة القلب إلى الدنيا وأسبابها وألنسه بها حتى يصير كالجنة في حقه فيقطع بلاؤه عند اللوت بسبب مفارقتها وإذا كثرت عليه المصائب ازعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن إليها ولم يأنس بها وصارت سببا عليه وكانت نجاته منها غاية اللذة كالخلاص من السجن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (٣)» والكافر كل من أعرض عن الله تعالى ولم يرد إلا الحياة الدنيا ورضى بها واطمأن إليها وللمؤمن كل منقطع قلبه عن الدنيا شديد الحنين إلى الخروج منها والكفر بشيء ظاهر وبشء خفي وبشعر حب الدنيا في القلب يسرى فيه الشرك الخفي بل للموحد للطاق هو الذي لا يجب إلا الواحد الحق فاذن في البلاء نعم من هذا الوجه فيجب القرح به وأما التألم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة إلى المجامعة بمن يتولى حجامتك جمانا أو يمسكك دواء فانما يشما جمانا فانك تألم وتفرح فتصبر على الألم وتشكره على سبب القرح فكل بلاء في الأمور الدينية مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في المآل بل من دخل دار ملك للفتنة وعلم أنه يخرج منها لاهالة فرأى وجهها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك وبالا وبلاء عليه لأنه يورثه الأُنس بمنزل لا يمكنه اللقاه فيه ولو كان عليه في اللقاه خطر من أن يطلع عليه للملك فيعذبه فأصابه ما يكره حتى نوره عن اللقاه كان ذلك نعمة عليه والدنيا بمنزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون عنها من باب اللحد فكل ما يفتق أنسهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما يزج قلوبهم عنها ويقطع أنسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه أن يشكر على البلايا ومن لم يعرف هذه التمس في البلاء لم يتصور منه الشكر لأن الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يؤمن بأن ثواب للصية أكبر من الصية لم يتصور منه الشكر على الصية. وحكي أن أعرابيا عزي ابن عباس على أبيه قال :

(١) حديث قال له رجل أوصني قال لا تنه الله في شيء خفاه عليك أحمد والطبراني من حديث جعابة بزيادة في أوله وفي إسناده ابن أبي عمير (٢) حديث نظر إلى السماء فضحك فسل قال عجب لقضاء الله للؤمن الحديث مسلم من حديث صبيدود نظرته إلى السماء وضحك عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن ابتضرأ سراء صبر فكان خيرا له وللنساء في اليوم واليلة من حديث سعد بن أبي وقاص عجب من رضا الله للمؤمن إن أصابته خير حمد به وشكر الحديث (٣) حديث الدنيا سجن للمؤمن وجنة للكافر مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

مضيق مطالعة الأغيار
قادمة بحدة شفها إلى
دار القسار . ومن
وظيفة الشيخ حسن
خلقه مع أهل الإرادة
والطلب والتزول من
حقه قبا يجب من
التسجيل والتعظيم
للسايع واستعماله
التواضع . حكي الرقي
قال كنت بمصر وكنا
في المسجد جماعة من
الفقراء جاؤنا فدخل
الرفاق قيام عند
أسطوانة يركع قلنا
يسرع الشيخ من
صلاته وقوم نسلم عليه
فما فرغ جاء إلينا وسلم
علينا قلنا نحن كنا
أولى بهذا من الشيخ
قال ما عذب الله

اصبر نكن بك صابرين قائما صبر الرعية بعد صبر الراس
خير من العباس أجرك بعدد والله خير منك للعباس

قال ابن عباس ما عزاني أحد أحسن من تعزيتي. والأخبار الواردة في الصبر على الصائب كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من برد الله به خيرا يصيب منه» (١) وقال عليه السلام قال الله تعالى «إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدته أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحيت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشره ديوانا». وقال عليه السلام «ما من عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى - إن الله وإننا إليه راجعون - اللهم أجرني في مصيبي وأعقبني خيرا منها إلا فضل الله ذلك به وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى «من سلبت كرميته جزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي» وروى أن رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال عليه السلام «لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه وإذا ابتلاه صبره» (٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل لتكون له الدرجة عند الله تعالى لا يلقيها بعمل حتى يبتلى يبله في جسمه فيلقيها بذلك» (٣) وعن خباب بن الأرت قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردائه في ظل الكعبة فشكونا إليه قتلنا يا رسول الله ألا تدعو الله تستصره لنا فجلس محمرا لونه ثم قال «إن من كان قلبكم يؤتي بالرجل فيخسر له في الأرض خفيرة ويهاجم بالمشاة فيؤسف على رأسه فيجعل فرقتين ما يصير فذلك عن دينه» (٤) وعن علي كرم الله وجهه قال: أما رجل حسيه السلطان ظالمات فهو شهيد وإن ضربه فمات فهو شهيد. وقال عليه السلام «من إجلال الله ومعرفته أن لا تشكو وجهك ولا تذكر مصيبتك» وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على ما يفني وتندرون ما يبقى ألا جندنا المكروهات الثلاث الفقر والمرض والوفاة. وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله بعبده خيرا أو أراد أن ينافيه صب عليه البلاء صبا ونجحه عليه نجا فإذا دعاه قالت للملائكة صوت معروف وإن دعاه ثانيا فقال يارب قال الله تعالى ليبيك عبيدي وسعديك لتسألني شيئا إلا أعطيتك أو دفعت عنك ما هو خير وأدخرت لك عندي ما هو أفضل منه فإذا كان يوم القيامة جرى بأهل الأعمال فوفوا أعمالهم بالميزان أهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الأجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا

(١) حديث من يرد الله به خيرا يصب منه البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث أن رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسدي فقال لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسده إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه وإذا ابتلاه صبره ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد فيه لين (٣) حديث أن الرجل ليكون له الدرجة عند الله لا يلقيها بعمل حتى يبتلى يبله في جسمه فيلقيها بذلك أبو داود في رواية ابن داسه وابن العبد من حديث محمد بن خالد السلي عن أبيه عن جده وليس في رواية الأوثري ورواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من هذا الوجه ومحمد بن خالد لم يرو عنه إلا أبو الليث الحسن بن عمر الرقي وكذلك لم يرو عن خالد إلا ابنه محمد وذكر أبو نعيم أن ابن منده سمى جده اللجلاج بن سليم فأنه أعلم وطى هذا فأنه خالد بن اللجلاج العامري ذلك مشهور روى عنه جماعة ورواه ابن منده وأبو نعيم وابن عبد البر في الصحابة من رواية عبد الله بن أبي إياس بن أبي فاطمة عن أبيه عن جده ورواه البيهقي من رواية إبراهيم السلي عن أبيه عن جده فأنه أعلم (٤) حديث خباب بن الأرت أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برداء في ظل الكعبة فشكونا إليه الحديث تقدم.

قلبي بهذا قطيعي
ما تقيدت بأن أحترم
وأقصد. ومن آداب
الشيوخ النزول إلى
حال الريدين من
الرفق بهم وبسببهم.
قال بعضهم: إذا رأيت
الفقر الله بالرفق ولا
تلقه بالعلم فإن الرفق
يؤنس والعلم يوحشه
فاذا فصل الشيخ
هذا العلم من الرقي
يتدرج للريد ببركة
ذلك إلى الانتفاع
بالعلم فيما له حيث
يصريح العلم. ومن
آداب الشيوخ
التعطف على الأصحاب
وقضاء حقوقهم في
الصحة والمرض ولا
يترك حقوقهم اعتداء
على إرادتهم وصديقهم

فؤاد أهل العافية في الدنيا لو أنهم كانت تفرض أجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به أهل البلاد من الثواب . فذلك قوله تعالى - إن عابروني الصابرون أجريهم شير حساب^(١) - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنها قال شكاني من الأنبياء عليهم السلام إلى ربه فقال يارب العبد المؤمن يطعك ويحبت معاصيك تروى عنه الدنيا وتعرض له البلاد ويكون العبد الكافر لا يطعك ويحترى عليك وعلى معاصيك تروى عنه البلاد وتبسط له الدنيا فأوحى الله تعالى إليه إن العباد لي والبلاد لي وكل يسبح بحمدي فيكون للمؤمن عليه من الذنوب فأزوى عنه الدنيا وأعرض له البلاد فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني فأجزيه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فأبسط له في الرزق وأزوى عنه البلاد فأجزيه بحسناته في الدياحق يلقاني فأجزيه بسأته . وروى أنه لما نزل قوله تعالى - من يعمل سويا يجز به قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كيف القرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غفر الله لك يا أبا بكر ألست عرض ألست يصيبك الأذى ألست تحزن فلهذه مما تجزون به^(٢) » يعني أن جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك . وعن عتبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا رأيتم الرجل يعطي الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك استدراج ثم قرأ قوله تعالى - فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء -^(٣) » يعني لما تركوا ما أمروا به فتحنا عليهم أبواب الخير حتى إذا فرحوا بما آتوا من الله بما أعطوا من الخير أخذناهم بفتنة . وعن الحسن البصري رحمه الله أن رجلا من الصحابة رضي الله عنهم رأى امرأة كان يرفها في الجاهلية فكلهماتهم تركها فجعل رجل يلتفت إليها وهو يمشي فصدمه حائط فأثر في وجهه فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله بعبده خيرا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا^(٤) » وقال على كرم الله وجهه ألا أخبركم بأرجى آية في القرآن قالوا بلى فقرأ عليهم - وما أضايكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير - فالصائب في الدنيا يكسب الأوزار فإذا عاقبه الله في الدنيا فآله أكرم من أن يعذبه ثانيا وإن عفا عنه في الدنيا فآله أكرم من أن يعذبه يوم القيامة وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما تجرع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة

(١) حديث أنس إذا أراد الله بعبده خيرا وأراد أن يصايبه صيب عليه البلاد صبا الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من رواية بكر بن خنيس عن يزيد الرقاشي عن أنس أخضر منه دون قوله فإذا كان يوم القيامة إلى آخره وبكر بن خنيس والرقاشي ضعيفان ورواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب بتمسامة وأدخل بين بكر وبين الرقاشي ضرابين عمرو وهو أيضا ضعيف (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - من يعمل سويا يجز به - قال أبو بكر الصديق كيف القرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا غفر الله لك يا أبا بكر ألست تحزن فلهذه مما تجزون به الحديث من رواية من لم يسم عن أبي بكر ورواه الترمذي من وجه آخر بلفظ آخر وضعفه قال وليس له إسناده صحيح وقال الدارقطني وروى بضامن حديث عمر وبين حديث الزبير قال وليس فيها شيء ثبت (٣) حديث عتبة بن عابر إذا رأيتم الرجل يعطي الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك استدراج الحديث أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب بسند حسن (٤) حديث الحسن البصري في الرجل الذي رأى امرأة فجعل يلتفت إليها وهو يمشي فصدمه حائط الحديث وفيه إذا أراد الله بعبده خيرا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا أحمد والطبراني بإسناد صحيح من رواية الحسن عن عبد الله بن معقل مرفوعا ومتصلا ووصله الطبراني أيضا من رواية الحسن عن عمار بن ياسر ورواه أيضا من حديث ابن عباس وقد روى الترمذي وابن ماجه للرقوع منه من حديث أنس وحسنه الترمذي .

قال بعضهم لا تضيق
حق أخيك بما
بينك وبينه من
للودة . وحكى عن
الجري قال وافيت
من الحج فابتدأت
بالجند وسلمت عليه
وقلت حق لا يتنى
ثم أتيت منزلي فلما
صلبت القداة التفت
إلي بالجنيد خلفي
فقلت يا سيدي إنما
ابتدأت بالسلام عليك
لكيلا تنني إلى ههنا
فقال لي يا أبا محمد هذا
حقك وذاك فضلك .
ومن آداب الشيوخ
أنهم إذا علموا من
بعض الساتر شدة ضعفه
في مراعاة النفس
وقهرها واعتاد صدق
العزيمة أن يرققوا

أحب إلى الله من قطرة دم أهريق في سبيل الله أو قطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه إلا الله ، وما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله تعالى من خطوة إلى صلاة الفريضة وخطوة إلى صلاة الرحمة (١) . وعن أبي الدرداء قال : توفي ابن لسليان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فأثام ملكان فخبيا بين يدي في زى الخصوم ، فقال أحدهما : بذرت بذرا فلما استحصد من به هذا فأفسده ، فقال للآخر ما تقول ، قال أخذت الجادة فأثيت على زرع فنظرت عينا وشملا فإذا الطريق عليه ، فقال سليمان عليه السلام ولم يذرت على الطريق أما علمت أن لا بد للناس من الطريق . قال فلم تحزن على ذلك أما علمت أن اللوت سبيل الآخرة كتاب سليمان إلى ربه ولم يجزع على ولده بعد ذلك . ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض ، فقال يابني : لأن تكون في ميزاني أحب إلى من أن أكون في ميزانك ، فقال يابني : لأن يكون مأثب أحب إلى من أن يكون مأثب . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه نعى إليه ابنة له فاسترجع وقال عودة سترها الله تعالى ومؤنة كفأها الله وأجر قد ساقه الله ثم نزل فضلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما أمر الله تعالى . قال تعالى - واستعينوا بالصبر والصلاة - . وعن ابن المبارك أنه مات له ابن فزاع مجوسى يعرفه ، فقال له ينبغي للعالم أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام ، فقال ابن المبارك كتبوا عنه هذه . وقال بعض العلماء إن الله لينتلي العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمشى على الأرض وماله ذنب . وقال الفضيل : إن الله عز وجل ليتماهد عبده للؤمن بالبلاء كما يتماهد الرجل لأهله بالخير . وقال حاتم الأصم إن الله عز وجل يجتج يوم القيامة على الخلق بأربعة أشس على أربعة أجناس على الأغنياء بسليان وعلى الفقراء بالمسيح وعلى العبيد يوسف وعلى الرضى بأيوب صلوات الله عليهم . وروى أن زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني إسرائيل واختفى في الشجرة فصرقوا ذلك فجاءه بالمنشار فشرعت الشجرة حتى بلغ للنشار إلى رأس زكريا فأن منه أنه فأوحى الله تعالى إليه يا زكريا لأن صدقت منك أنه ثانية لأعونك من ديوان النبوة فضض زكريا عليه السلام على أمهه حتى قطع شطرين . وقال أبو السعود البلخي : من أصيب بمصيبة فزق ثوبا وأضرب صدره فاكتمأ أخذ ومحا يريد أن يقاتل به ربه عز وجل . وقال لقمان رحمه الله لابنه : يابني إن الذهب يجرب بالنار والبلد الصالح يجرب بالبلاء فإذا أحب الله فوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط . وقال الأحنف بن قيس : أصبحت يوما أشتكى ضرسى ، فقلت لعمى ما تمت البارحة من وجع الضرس حتى قلنا ثلاثا ، فقال : لقد أكثر من ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد . وأوحى الله تعالى إلى عزير عليه السلام إذا نزلت بك بيلة فلا تشكى إلى خلقى واشك إلى كالأشكوك إلى ملائكتي إذا صدت مساوبك وضناحك نسأل الله من عظيم لطفه وكرمه ستره الجليل في الدنيا والآخرة .

به ويوقوه على حد الرخصة في ذلك خير كثير وما دام العبد لا يخطئ حبريم الرخصة فهو حر ثم إذا ثبت وخالف الفقراء وتدرب في لزوم الرخصة يدرج بالرفق إلى أوطان المزة . قال أبو سعيد بن الأعرابي كان شاب يصرف بأبراهيم الصانع وكان لأبيه نعمة فاقطع إلى الصوفية وصحب أبا أحمد التلانى فربما كان يقع يد أبى أحمد شيء من الدراهم فكان يشتري له الرقاق والشواء والحلواء وبؤثره عليه ويقول هذا خرج من الدنيا وقد تعود

(١) حديث أنس مات جرجع عبد قط جرجعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم ، وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث على بن أبي طالب دون ذكر الجرجعتين وفيه محمد بن صدقة وهو الفديكي منكر الحديث وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر بإسناد جيد ما من جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ كظمها عبدا ابتغاه وجه الله وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبى أمامة ماقطر في الأرض قطرة أحب إلى الله عز وجل من دم رجل مسلم في سبيل الله أو قطرة دمع في سواد الليل الحديث وفيه محمد بن صدقة ، وهو الفديكي منكر الحديث .

(بيان فضل النعمة على البلاء)

لمالك تقول هذه الأخبار تدل على أن البلاء خير في الدنيا من النعم فهل لنا أن نسأل الله البلاء .
 فأقول لوجه لذلك لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه كان يستعبد في دعاته من
 بلاء الدنيا وبلاء الآخرة ^(١) » وكان يقول هو والأنبياء عليهم السلام « ربنا آتانا في الدنيا حسنة
 وفي الآخرة حسنة ^(٢) » وكانوا يستميذون من شاة الأعداء وغيرها ^(٣) . وقال على كرم الله وجهه
 اللهم إني أسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم « لقد سألت الله البلاء فأسأله العافية ^(٤) » وروى
 الصديق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « سأل الله العافية فما
 أعطى أحد أفضل من العافية إلا اليتيم ^(٥) » وأشار باليتيم إلى عافية القلب عن مرض الجمل والشك
 فعافية القلب أحلى من عافية البدن . وقال الحسن رحمه الله الحير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر
 فكمن من نعم عليه غير شاكر . وقال مطرف بن عبد الله لأن أعافى فأشكر أحب إلى من أن أبلى فأصبر
 وقال صلى الله عليه وسلم في دعاته « وعافيتك أحب إلى ^(٦) » وهذا أظهر من أن محتاج فيه إلى دليل
 واستسهاد وهذا لأن البلاء صار نعمة باعتبارين : أحدهما بالإضافة إلى ما هو أكثر منه إيا في الدنيا أو في
 الدين ، والآخر بالإضافة إلى ما يرجو من الثواب فينبغي أن نسأل الله تمام النعمة في الدنيا ودفع ما هو قسرها
 البلاء ويسأله الثواب في الآخرة على الشكر على نعمته فإنه قادر على أن يعطى على الشكر ما لا يعطيه
 على الصبر . فإن قلت : فقد قال بعضهم أود أن أكون جسرا على النار يمر على الخلق كلهم
 فينجون وأكون أنا في النار وقال ممنون رحمه الله تعالى :

وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني

فهذا من هؤلاء سؤال البلاء فاعلم أنه حكي عن ممنون المحب رحمه الله أنه لم يبدعه البيت بملة الحصر
 فكان بعد ذلك يدور على أبواب للكاتب ويقول للصبيان : ادعوا العمكم الكذاب . وأما محبة الإنسان
 ليكون هو في النار دون سائر الخلق فقير ممكنة ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن المحب بنفسه
 حبا لكل ذلك فمن شرب كأس المحبة سكر ومن سكر توسع في السلام ولوزايله سكره علم أن ما غلب
 عليه كان حالة لاحقة لها فاسمعت من هذا الفن فهو من كلام العشاق الذين أفرط حبهم وكلام العشاق

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يستعبد في دعاته من بلاء الدنيا والآخرة أحمد من حديث
 بشر بن أبي أطرطة بلفظ أجرتنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وإسناده جيد ولأبي داود من حديث
 عائشة اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة وفيه بقية وهو مدلس ورواه للجنة
 (٢) حديث كان يقول هو والأنبياء عليهم السلام ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا
 عذاب النار البخاري ومسلم من حديث أنس كان أكثر دعوة يدعوها النبي صلى الله عليه وسلم قول
 اللهم آتانا في الدنيا الحديث ولأبي داود والنسائي من حديث عبد الله بن السائب قال سمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين الركنين ربنا آتانا الحديث (٣) حديث كان يستعبد من شاة
 الأعداء تقدم في الدعوات (٤) حديث قال على رضي الله عنه اللهم إني أسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم
 لقد سألت الله البلاء فله العافية الترمذي من حديث معاذ في أثناء حديث وحسنه ولم يسم عليا وإنما
 قال سمع رجلا وله والنسائي في اليوم والليلة من حديث على كنت سأكنا في رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأنا أقول الحديث وفيه فإن كان بلاء فصبرني فصر به برجله وقال اللهم فافقه واشفه وقال حسن
 صحيح (٥) حديث أبي بكر الصديق سأل الله العافية الحديث ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة بإسناد
 جيد وقد تقدم (٦) حديث وعافيتك أحب إلى ذكره ابن اسحق في السيرة في دعاته يوم خرج إلى
 الطائف بلفظ وعافيتك أوسع لي وكذا رواه ابن أبي الدنيا في الدعاء من رواية حسان بن عطية مرسل

النعمة فيجب أن نرفق
 به ونؤثره على غيره .
 ومن آداب الشيوخ
 التفرد عن مال المرید
 وخدمته والارتفاق
 من جانبه بوجه من
 الوجوه لأنه جاء الله
 تعالى فيجمل نفسه
 وإرشاده خالصا لوجه
 الله تعالى فما يسدى
 الشيخ للسريد من
 أفضل الصدقات .
 وقد ورد « ما صدق
 متصدق بصدقة أفضل
 من علم يبيته في الناس »
 وقد قال الله تعالى
 تنبها على خلوص
 ماله وحرصته من
 الشوائب إنما نطعمكم
 لوجه الله لا نريد منكم
 جزاء ولا شكورا فلا
 ينبغي للشيخ أن يطلب

يستلذ سماعه ولا يحول عليه كما حكى أن فاختة كان يرادها زوجها فتمنعه فقال ما لي بى بمنعك عنى ولوأردت أن أقبل لك الكونين مع ملك سليمان ظهرا لبطن لعلته لأجلك فسمع سليمان عليه السلام فاستدعاه وعاتبه فقال يابى الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال ، وقال الشاعر :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ملائري لما يريد

وهو أضعاف ومعامات أريد ما لا يريد لأن من أراد الوصال ما أراد الهجر فكيف أراد الهجر الذى لم يرد به بل لا يصح هذا الكلام إلا بتأويلين : أحدهما أن يكون ذلك فى بعض الأحوال حتى يكتب به برهان الذى يتوصل به إلى مراد الوصال فى الاستقبال فيكون الهجران وسيلة إلى الرضا والرضا وسيلة إلى وصال المحبوب والوسيلة إلى المحبوب محبوبية فيكون مثاله مثل حب لئال إذا سلم درهما فى درهمين فهو يحب الدرهمين بترك الدرهم فى الحال . الثانى أن يصبر رضاء عنده مطلوب ما من حيث إنه رضاء فمطلوبه يكون له نفع فى استشعاره رضاء يحبه به منه تزيد تلك اللذة على لذته فى مشاهدته مع كراهته فمذ ذلك يتصور أن يرى بما فيه الرضا فذلك قد انتهى حال بعض المحبين إلى أن صار له تنهى فى البلاد مع استشعارهم رضاءه عنهم كثر من لذتهم فى العافية من غير شعور الرضا فيؤلا . وإذا قدر وارضاءه فى البلاد صار البلاء أحب إليهم من العافية وهذه حالة لا يعدو عنها فى غلبات الحب ولكنها لا تثبت وإن ثبتت مثلا فهل هى حالة صحيحة أم حالة اقتضاها حالة أخرى وردت على القاب قالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر حقيقة لا يليق بأن نحن فيه وقد ظهر بما سبق أن العافية خير من البلاء فنسأل الله تعالى لئالاً بفضل على جميع خلقه الفعو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة لنا وجميع المسلمين .

(بيان الأفضل من الصبر والشكر)

اعلم أن الناس اختلفوا فى ذلك فقالوا الصبر أفضل من الشكر وقال آخرون الشكر أفضل وقال آخرون هما سميان وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الأحوال واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلامنى للتطوير بالنقل بل للبادة إلى إظهار الحق أولى فنقول فى بيان ذلك مقامان : المقام الأول البيان على سبيل التسهيل وهو أن ينظر إلى ظاهر الأمر ولا يطلب بالتفتيش حقيقته وهو البيان الذى ينبغى أن يغاطب به عوام الخلق لقصور أفهامهم عن درك الخفايا النافضة وهذا الذى من الكلام هو الذى ينبغى أن يستمدد الوعاظ إذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام إصلاحهم والظفر للشقة لا ينبغى أن تصلح الصبي الطفل بالطيور السبان وضروب الحلاوات بل بالابن اللطيف وعليها أن تؤخر عنه أطايب الأطعمة إلى أن يصير محتملا لها بقوة ويفارق الضعف الذى هو عليه فى بيته فنقول : هذا المقام فى البيان بأى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر إلى الظاهر للفهم من موارد الشرع وذلك يقتضى تفضيل الصبر فإن الشكر وإن وردت أخبار كثيرة فى فضله فإذا أضيف إليه ما ورد فى فضيلة الصبر كانت فضائل الصبر أكثر بل فيه الفاظ صريحة فى التفضيل كقوله صلى الله عليه وسلم « من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزة الصبر » (١) وفى الخبر « يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزى به الله جزاء الشاكرين ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له : أما ترى أن يجزى بك كما جزينا هذا الشاكر ، فيقول نعم يارب فيقول الله تعالى : كلا أنعمت عليه ففكر وأبليتك فصبرت لأضعفن لك الأجر عليه فيعطى أضاعف جزاء الشاكرين » (٢) وقد قال الله تعالى - إنما يؤتى الصابرون أجرهم بغير حساب - وأما قوله « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر » (٣)

ورواه أبو عبد الله بن منده من حديث عبد الله بن جعفر مستداً وقيل من مجهول (١) حديث من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزة الصبر تقدم (٢) حديث يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزى به الله جزاء الشاكرين ويؤتى بأصبر أهل الأرض الحديث ثم أجده أصلاً (٣) حديث الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

على صدقته جزاء إلا أن يظهر له فى شيء من ذلك علم يرد عليه من الله تعالى فى قبول الفرق منه أو صلاح يترأى للشيخ فى حق المرید بذلك فيكون اتلبس بماله والارتفاع بخدمته لمصلحة تعود على المرید مأمونة الفاتحة من جانب الشيخ قال الله تعالى - يؤتىكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم لأن يسألكنوها فيعنفكم تبسخوا ويخرج أشفانكم - معنى عنفكم أى عجزكم وبلغ عليكم . قال قتادة : علم الله تعالى أن فى خروج المال إخراج الشفان وهذا

فهو دليل على أن الفضيلة في الصبر إذ ذكر ذلك في معرض اللبالة لرفع درجة الشكر فألحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولا أنه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان إلحاق الشكر به مبالغة في الشكر وهو كقولهم صلى الله عليه وسلم «الجمعة حج» للساكنين وجهاد للراء حسن التبع (١) وكقولهم صلى الله عليه وسلم «شارب الخمر كما بد الوثن» وأبدا للشيء به يقين أن يكون أعلى رتبة فكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «الصبر نصف الإيمان» لا يدل على أن الشكر مثله ، وهو كقولهم عليه السلام «الصوم نصف الصبر» فإن كل ما ينقسم قسمين يسمى أحدهما نصفاً وإن كان بينهما تفاوت كما يقال الإيمان هو العلم والعمل فالعمل هو نصف الإيمان فلا يدل ذلك على أن العمل يساوي العلم ، وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم «آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمسكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبدالرحمن بن عوف لمسكه غناه» وفي خبر آخر «يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خريفاً» (٢) وفي الخبر «أبواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فإنه مصراع واحد» (٣) ومن يدخله أهل البلاء أمامهم أيوب عليه السلام (٤) وكل ما ورد في فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لأن الصبر حال الفقير والشكر حال الغني ، فهذا هو اللقار الذي يفتح العوام ويكتسبهم في الوظ للالاق والتعريف لما فيه صلاح دينهم . اللقار الثاني : هو البيان الذي قصد به تعريف أهل العلم والاستبصار بحقائق الأمور بطريق الكشف والافصاح فنقول فيه : كل أمرين مبهمين لا يمكن للوازنة بينهما مالم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكتشف يشتمل على أقسام لا يمكن للوازنة بين الجملة والجملة بل يجب أن تنفرد الأحاد بالوازنة حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر أقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما في الرجحان

(١) حديث الجمعة حج للساكنين وجهاد للراء حسن التبع الحديث بن أبي أسامة في مسنده بالشطر الأول من حديث ابن عباس بسند ضعيف أو الطبراني بالشطر الثاني من حديثه بسند ضعيف أيضاً أن امرأة قالت كتب الله الجهاد على الرجال فما بعد ذلك من أعمالهم من الطاعة قال طاعة أزواجهن وفي رواية ما جزاء غزوة المرأة قال طاعة الزوج الحديث وفيه القاسم بن قياض وثقه أبو داود وضعفه ابن معين وباقي رجاله ثقات (٢) حديث شارب الخمر كما بد الوثن ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ مدمن الخمر ورواه بلفظ شارب الحديث بن أبي أسامة من حديث عبد الله بن عمر وكلاهما ضعيف وقال ابن عدى إن حديث أبي هريرة أخطأ فيه محمد بن سليمان بن الأصماني (٣) حديث آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود لمسكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبدالرحمن بن عوف لمسكه غناه الطبراني في الأوسط من حديث معاذ بن جبل يدخل الأنبياء كلهم قبل داود وسليمان الجنة بأربعين عاماً وقال لم يروه إلا إسماعيل بن خاله وهو كوفي ثقة ، وروى البراء من حديث أنس أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي عبدالرحمن بن عوف وفيه أغلب بن نجيم ضعيف (٤) حديث يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خريفاً تقدم حديث معاذ قبله ورواه أبو منصور الدبلي في مسند الفردوس من رواية دينار عن أنس بن مالك ودينار الحنظلي أحد الكذابين على أنس والحديث منكر (٥) حديث أبواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فإنه باب واحد الحديث لم أجده أصلاً ولا في الأحاديث الواردة في مصاريع أبواب الجنة خفرقة ، فروى مسلم من حديث أنس في الشفاعة والذي شس محمد بنده إن ما بين للمصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى وفي الصحيحين في خطبة عتبة بن غزوان ولقد ذكر لنا أن ما بين للمصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيم من الزحام .

تأديب من الله الكريم
والأدب أدب الله .
قال جعفر الخدي جاء
رجل إلى الجنيدي وأراد
أن يخرج من ماله
كله ويجلس معهم
على الفقر فقال له الجنيدي
لا تخرج من مالك
كله احبس منه مقدار
ما يكفيك وأخرج
الفصل وهو ت بما
حبست واجتهد في
طلب الحلال لا تخرج
كل ما عندك فلت
آمن عليك أن
تطالبك نفسك وكان
النبي عليه السلام إذا
أراد أن يعمل عملاً
تجبت وقد يصحون
الشيخ يعلم من حاله
للريد أنه إذا خرج
من الشيء يكسبه من

والنقصان مع الإجمال فنقول : قد ذكرنا أن هذه القامات تنظم من أمور ثلاثة : علوم وأحوال وأعمال والشكر والصبر وسائر القامات هي كذلك وهذه الثلاثة إذا وزن البعض منها ببعض لآخر للتأطرين في الظواهر أن العلوم تتراد للأحوال والأحوال تتراد للأعمال والأعمال هي الأفضل. وأما أرباب الصائر فالأمر عندهم بالعكس من ذلك فإن الأعمال تتراد للأحوال والأحوال تتراد للعلوم فالأفضل العلوم ثم الأحوال ثم الأعمال لأن كل مراد لغيره فذلك الغير لاجتماعه أفضل منه. وأما آحاد هذه الثلاثة فالأعمال قد تتساوى وقد تختلف وإذا أضيف بعضها إلى بعض وكذا آحاد الأحوال إذا أضيف بعضها إلى بعض وكذا آحاد المعارف وأفضل المعارف علوم للكشفة وهي أرفع من علوم للعامة بل علوم للعامة دون العامة لأنها تتراد للعامة ففائدتها إصلاح العمل وإعاضل العالم بالمعاملة على العابد إذا كان عليه محاييم فقه ، فيكون بالإضافة إلى عمل خاص أفضل وإلا فالعلم القاصر بالعمل ليس بأفضل من العمل القاصر فنقول : فائدة إصلاح العمل إصلاح حال القلب وفائدة إصلاح حال القلب أن يشرف له جلال الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله فأرفع علوم للكشفة معرفة الله سبحانه وهي الثابتة التي تطالب لذاتها فإن السعادة تنال بها بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بأنها عين السعادة وإنما يشعر بها في الآخرة فهي للفرقة الحرة التي لا يصدق عليها فلا يتقيد بغيرها وكل ما عداها من المعارف عبث وخدم بالإضافة إليها فإنها إما تتراد لأجلها ولما كانت مرادة لأجلها كان تدويرها بحسب تقصها في الإفضاء إلى معرفة الله تعالى فإن بعض المعارف يقضى إلى بعض إما بواسطة أو بوسائط كثيرة فكلما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أقل فهي أفضل ، وأما الأحوال ، فنفع بها أحوال القلب في تصفيته وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الحلق حتى إذا طهر وصفوا انفتح له حقيقة الحق فاذن فضائل الأحوال بقدر تأثيرها في إصلاح القلب وتطهيره وإعداده لأن حصوله علوم للكشفة ، وكما أن تمصيل للرأى يحتاج إلى أن يتقدم على تمامه أحوال للرأى بعضها أقرب إلى الصقالة من بعض فكذا أحوال القلب فالحالة القريبة أو القربة من صفاء القلب هي أفضل مما دونها لاجتماع بسبب القرب من للقصود وهكذا ترتيب الأعمال فإن تأثيرها في تأكيد صفاء القلب وجلب الأحوال إليه وكل عمل إيمان يجلب إليه حالة مائة من للكشفة موجبة لظلمة القلب جاذبة إلى زخارف الدنيا وإما أن يجلب إليه حالة مهيتة للكشفة موجبة لصفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه واسم الأول للصية واسم الثاني الطاعة وللعاصي من حيث التأثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة وكذا الطاعات في توير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها وذلك يختلف باختلاف الأحوال ، وذلك أننا نقول للطلق ربما قول الصلاة النافعة أفضل من كل عبادة نافعة وأن الحج أفضل من الصدقة وأن قيام الليل أفضل من غيره ولكن التحقيق فيه أن التقى الذي معه مال وقد غلبه البخل وحب المال على إمساكه فأخرج الدرهم له أفضل من قيام ليل وصيام أيام لأن الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فأراد كسرها أو منعه الشبع عن صفاء الفكر من علوم للكشفة فأراد تصفية القلب بالجوع فأما هذا الدبر إذا لم تكن حاله هذه الحال فليس يستغنى بشهوة بطنه ولا هو مشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حال إلى حال غيره وهو كالريش الذي يشكو وجع البطن إذا استعمل دواء الصداع لم ينفع به بل حقه أن ينظر في الهلك الذي استولى عليه والشح الطاع من جملة الهلكات ولا يزال صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة منه ذرة بل لا يزيده إلا إخراج المال فله أن يتصدق بما معه ، وتفصيل هذا مما ذكرناه في ربح الهلكات فارجع إليه فاذن باعتبار هذه الأحوال يختلف وعند ذلك يعرف البصير أن الجواب للطلق فيه خطأ

الحال ما لا يتطلع به إلى اللال حينئذ يجوز له أن يفسح للريد في الخروج من المال كما فسح رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وقبل منه جميع ماله ، ومن آداب الشيخ إذا رأى من بعض الريد ينكره أو علم من حاله أعوجاج أو أحس منه يدعى أو رأى أنه داخله حجب أن لا يصريح له بالمكروه بل يتكلم مع الأصحاب ويشير إلى المكروه الذي يلم ويكشف عن وجه الذممة بجملة تحصل بذلك الفائدة للكل فهذا أقرب إلى الداراة وأكثر أثراً تأتلف

إذ لو قال لنا قائل الحزب أفضل أم اللام لم يكن فيه جواب حق إلا أن الحزب للجائم أفضل وللألم العطشان أفضل فان اجتماعه فليُنظر إلى الأغلب فان كان العطش هو الأغلب فالألم أفضل وإن كان الجوع أغلب فالحزب أفضل فان تساوى فهما متساويان وكذا إذا قيل السكجيين أفضل أم شراب الينوفرم يصح الجواب عنه مطلقا أصلا ، نعم لو قيل لنا السكجيين أفضل أم عدم الصفاء . فنقول : عدم الصفاء لأن السكجيين مراد له وما يراد بغيره فذلك التبر أفضل منه لانهالة فاذن في بذل المال لعمل وهو الإتيان يحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب وتبني القلب بسبب خروج حب الدنيا منه لمعرفة الله تعالى وجهه فالأفضل للفرقة ودونها الحال ودونها العمل . فان قلت قد حث الشرع على الأعمال وباتع في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله - من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا - وقال تعالى - وبأخذ الصدقات - فكيف لا يكون العمل والاتفاق هو الأفضل . فاعلم أن الطبيب إذا أتى على الدواء لم يدل على أن الدواء مراد لعينه أو على أنه أفضل من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الأعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلوب مما لا يشعر به غالبا فهو كبرس على وجه من لأمراة معه فانه لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق به والسيل معه الباقية في الشتاء على غسل الوجه بماء الورد مثلا إن كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستحس فرط الشاء على الواظبة عليه فيزول مرضه فانه لو ذكر له أن المقصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم أن وجهه لا عيب فيه ولنضرب مثلا أقرب من هذا فنقول : من له ولد علمه العلم والقرآن وأراد أن يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم أنه لو أمره بالتكرار والدراسة ليقب له محفوظا قال إنه محفوظ ولا حاجة إلى تكرار ودراسة لأنه يظن أن ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبدا وكان له عبيدا فأمروا بالدراسة لتعليم العبيد ووعدوه على ذلك بالجبل لتتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الصبي السكجيين أن المقصود تعليم العبيد القرآن وأنه قد استخدم لتعليمهم فيشكل عليه الأمر فيقول ما بلى قد استخدمت لأجل العبيد وأنا أجل منهم وأمر عند الوالد وأعلم أن أبي لو أراد تعليم العبيد لقدّر عليه دون تكلفي به وأعلم أنه لا نقصان لأبي بفقد هؤلاء العبيد فضلا عن عدم علمهم بالقرآن فربما يتكاسل هذا السكجيين فيترك تعليمهم اعتيادا على استغناء أبيه وعلى كرمه في الصفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبرا محروما من حيث لا يدري وقد أخذ عيش هذا الخيال طائفة ومسلوكوا طريق الإباحة وقولوا إن الله تعالى غنى عن عبادتنا وعن أن يستقرض منا فأى معنى لقوله - من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا - ولو شاء الله إطعام المساكين لأطعمهم فلا حاجة بنا إلى صرف أموالنا إليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار - وإذ قيل لهم اتقوا الله ما رزقكم الله قال الذين كفروا الذين آمنوا أنظم من لو يشاء الله أمهمه وسوا قالوا أيضا - لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا - فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بسددهم فسبحان من إذا شاء هلك بالصدق وإذا شاء أسعد بالجهل يصل به كثير أو يهدى به كثيرا فهو لأجل ما غنوا أنهم استخدموا لأجل المساكين والقراء أو لأجل الله تعالى لم يفلحوا لا حظنا في المساكين ولا حظ في غنا وفي أموالنا سواء أفتقنا أو أمسكتنا هلكوا كاهلك الصبي لما ظن أن المقصود الوالد استخدامهم لأجل العبيد ولم يشعر بأنه كان المقصود ثبات صفة العلم في نفسه وتوا كسبه في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا وإنما كان ذلك من الوالد تلطفا به على استجراؤه إلى ما فيه سعادته ، فهذا للتائبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق فاذن للسكجيين ألا يخلطوا بك يستوفى بواسطة المال بحيث البخل وحسب الدنيا من باطنك فانه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج خروج الدم الملة الهلكة من باطنك فالجمام خادم لك لأنك خادم للجمام ولا يخرج الجمام عن كونك خادما بأن يكون له

القلوب وإذا رأى من
للريد تقصير في خدمة
نذبه إليها يحمل تقصيره
ويصفو عنه ويحرضه
على الخدمة بالرفق
واللين وإلى ذلك نذب
رسوله الله صلى الله
عليه وسلم فيما أخبرنا
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا أبو الفتح
السكروخي قراءة عليه
قال أنا أبو نصر التراقي
قال أنا أبو محمد الجراحي
قال أنا أبو العباس
المجوسي قال أنا أبو عيسى
الترمذي قال ثنا قتيبة
قال ثنا رعد بن بن
سعد عن أبي هلال
الحولاني عن ابن
عباس بن جليد
الحجري عن عبد الله بن

غرض في أن يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة لقلب وامن كماله عن خبايا الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذها وانتهى عنها (١) كما نهى عن كسب الحجام وسماها أوساخ أموال الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها (٢) والقصد أن الأعمال مؤثرات في القلب كسب في ربح الهلكات والقلب بحسب تأثيرها مستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول السلكي والقانون الأصلي الذي ينبغي أن يرجع إليه في معرفة فضائل الأعمال والأحوال والمعارف ولنرجع الآن إلى خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فتقول في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز أن تقابل المعرفة في أحدهما بالخال أو العمل في الآخر بل يقابل كل واحد منهما بنظيره حتى يظهر التناسب بهد التناسب يظهر الفضل ومهما قولت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر وبمراجعا إلى معرفة واحدة إذ معرفة الشاكر أن يرى نعمة العيين مثلا من الله تعالى ومعرفة الصابر أن يرى العمى من الله وهما مرقان متلازمان متساويان هذا إن اعتبرنا في البلاد والمصاب وقد بينا أن الصبر قد يكون على الطاعة وعن العصية وفيها يتجدد الصبر والشكر لأن الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة لأن الشكر يرجع إلى صرف نعمة الله تعالى إلى ما هو للقصد منها بالحسنة والصبر يرجع إلى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه إسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالإضافة إلى باعث الهوى ويسمى شكرا بالإضافة إلى باعث الدين إذ باعث الدين إنما خلق لهذه الحكمة وهو أن يصبر به باعث الشهوة وقد صرفه إلى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه فاذن مجازي الصبر ثلاثة : الطاعة والعصية والبلاد وقد ظهر حكمها في الطاعة والعصية وأما البلاد فهو عبارة عن فقد نعمة والتعصية إما أن تقع ضرورية كالعينين مثلا وإما أن تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر السكافية من المال أما العينان فصبر الأعمى عنهما بأن لا يظهر انشكوى ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى في بعض الماهى وشكر البصير عليها من حيث العمل بأمرين : أحدهما أن لا يستعين بهما على معصية ، والآخر أن يستعملهما في الطاعة وكل أحد من الأمرين لا يغفل عن الصبر فإن الأعمى كفى الصبر عن الصور الجميلة لأنه لا يراها والبصير إذا وقع بصره على جميل صبر كان شاكرا لنعمة العينين وإن أتبع النظر كفر نعمة العينين فقد دخل الصبر في شكره وكذا إذا احتمان العينين على الطاعة فلا بد أيضا فيه من صبر على الطاعة ثم قد يشكرها بالظر إلى هجائب صنع الله تعالى ليتوصل به إلى معرفة الله سبحانه وتعالى فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شعيب عليه السلام مثلا وقد كان ضريرا من الأيتام فوق رتبة موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء لأنه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر مثلا ولكن الكمال في أن يسلب الإنسان الأطراف كلها ويترك كاحم على وضم وذلك محال جدا لأن كل واحد من هذه الأعضاء آلة في الدين يفوت بهوتها ذلك الركن من الدين وشكرها باستعمالها فيها هي آلة فيه من الدين وذلك لا يكون إلا بصبر وأما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على السكافية من المال فانه لم يؤت إلا قدر الضرورة وهو محتاج إلى ما وراءه في الصبر عنه مجاهدة هرجاء الفقر ووجود الزيادة نعمة وشكرها أن تصرف إلى الخيرات أو أن لا تستعمل في المعصية فإن أضيف الصبر إلى الشكر الذي هو صرف إلى الطاعة فالشكر أفضل لأنه تضمن الصبر أيضا وفيه فرح بنعمة الله

عمر قال جابر جلي إلى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله كم أغفر عن الحادم قال « كل يوم سبعين مرة » وأخلاق الشايف مهذبة بحسن الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أحق الناس باحياء سنته في كل ما أمر وندب وأنسكروا وأوجب ومن جملة مهام الآداب حفظ أسرار للرديدين فيها يكاشفون به ويعنعون من أنواع النسخ فسر للردي لا يتعدى ربه وشيخه ثم يحقر الشيخ في نفس الردي بما يجده في خلوته من كشف أو ملاح خطاب أو شيء من خوارق المادات يعرفه

(١) حديث التبي عن كسب الحجام تقدم (٢) حديث امتنع من الصدقة وسماها أوساخ الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها مسلم من حديث عبد اللطيف بن ربيعة إن هذه الصدقة لأهل لنا إنما هي أوساخ القوم وإنما لأهل الحمد ولا لآل محمد وفي رواية له أوساخ الناس .

تعالى وفيه احتمال ألحق صرفه إلى الفقراء وترك صرفه إلى التتم للباح وكان الحاصل يرجع إلى أن شيئين أفضل من شيء واحد وأن الجملة أعلی رتبة من البعض وهذا فيه خلل إذ لا يصح الموازنة بين الجملة وبين أبعاضها وأما إذا كان شكره بأن لا يستعين به على معصية بل يصرفه إلى التتم للباح والصبر ههنا أفضل من الشكر والفقير الصابر أفضل من التقى المسك ما له الصارف بإياه إلى للباح لأن التقى الصارف ماله إلى الخيرات لأن الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهتها وأحسن الرضا على بلاه الله تعالى وهذه الحالة تستدعي لا محالة قوة والتي أنسج نهمة وأطاع شهوة ولكنه اقتصر على للباح والباح فيه مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام أيضا لأن القوة التي عنها يصدر صبر الفقير على وأتم من هذه القوة التي يصدر عنها الاقتصاد في التتم على للباح والشكر لتلك القوة التي بدل العمل عليها فإن الأحوال لا تتراد إلا لأحوال القلوب وتلك القوة حالة القلب تختلف بحسب قوة اليقين والإيمان فسادل على زيادة قوة في الإيمان فهو أفضل لا محالة وجميع ما ورد من فضيل أجر الصبر على أجر الشكر في الآيات والأخبار إنما أريد به هذه الرتبة التي المحصر لأن السابق إلى أفهام الناس من النعمة والأموال والتي بها والسابق إلى الأفهام من الشكر أن يقول الإنسان المحدث ولا يستعين بالنعمة على المعصية لأن يصرفها إلى الطاعة ، فاذن الصبر أفضل من الشكر أي الصبر الذي تفهمه العامة أفضل من الشكر الذي يفهمه العامة وإلى هذا المعنى على الخصوص أشار الجليل رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر أيهما أفضل فقال ليس منسج التقى بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وإنما للدخ في الاثنين قيامهما بشرط ما عليهما فشرط التقى يصحبه فيها عليه أشياء ثلاث منسج صفته وتلقدها والفقير يصحبه فيها عليه أشياء ثلاث منسج صفته وتزجها فإذا كان الاثنان قاعين لله تعالى بشرط ما عليهما كان الذي آلم صفته وأزجها أتم حالا ممن متع صفته ونعمها والأمر على ما قاله وهو صحيح من جهة أقسام الصبر والشكر في القسم الأخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواء ويقال كان أبو الناس بن عطاء قد خالفه في ذلك وقال التقى أكثر أفضل من الفقير الصابر فذا عليه الجليل فأصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده وإتلاف أمواله وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجليل أصابني ورجع إلى فضيل الفقير الصابر على التقى الشاكر ومهما لاحظت للمعنى التي ذكرناها علمت أن لكل واحد من القولين وجهها في بعض الأحوال فرب فقير صابر أفضل من غنى شاكر كسابق ورب غنى شاكر أفضل من فقير صابر وذلك هو التقى الذي يرى نفسه مثل الفقير إذ لا يمكن لنفسه من المال إلا قدر الضرورة والباقي يصرفه إلى الخيرات أو يمسكه على اعتقاد أنه خازن للحاجين وللساكين وإنما ينتظر حاجه تمنح حتى يصرف اليها ثم إذا صرف لم يصرفه لطلب جاه وصيت ولا تقليد بمنه أداء الحق الله تعالى في فقد عبادته فهذا أفضل من الفقير الصابر ، فإن قلت فهذا لا يثبت على النفس والفقير يتقل عليه الفقر لأن هذا يستشعر للذة القدرة وذلك يستشعر ألم الصبر فإن كان متألما بفراق المال فينجبر ذلك بقلته في القدرة على الاتفاق فاعلم أن الذي نراه أن من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس أكل حالا ممن ينفقه وهو بخيل به وإنما يقتطعه عن نفسه قهرا وقد ذكرنا فضيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة في بلام النفس ليس مطلوب بالعين بل تأديها وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب للتأديب كل من الكلب المحتاج إلى الضرب وإن كان صابرا على الضرب ولذلك يحتاج إلى الإيلاء والمجاهدة في البداية ولا يحتاج إليها في النهاية بل النهاية أن يصير ما كان مؤلما في حقه للذة عنده كما يصير التعلم عند الصبي العاقل للذة واد وقد كان مؤلما له أو لا ولكن لما كان الناس كلهم إلا الأقلين في البداية بل قيل البداية بكثير كالصبيان أطلق الجليل القول بأن الذي يؤلم صفته أفضل وهو كما قال صحيح فيما أراه من عموم الخلق ، فإذا كنت لا تفصل الجواب وتطلق لإرادة الأكثر

أن الوقوف مع شيء من هذا يشغل عن الله ويسد باب للزيد بل يعرف أن هذه نعمة تشكر ومن ورأها ثم لا تحصى ويعرفه أن شأن الريد طلب النعم لا النعمة حتى يتق سره عفوفا عند نفسه وعند غيره ولا يذيع سره فلا داعة الأسرار من ضيق الصدر وضيق الصدر لاوجب لإذاعة السر يوصف به النسوان وضعفاء العقول من الرجال وسبب إذاعة السران للإنسان قوتين أخذة ومعطية وكلتاها تنشرف إلى الفل المختص بها ولولأن الله تعالى وكل العطية باظهار ما عندها

فأطلق القول بأن الصبر أفضل من الشكر فانه صحيح بالمعنى السابق إلى الأفهام فاذا أردت التحقيق ففضل فان للصبر درجات أقلها ترك الشكوى مع الكراهية ووراءها الرضا وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضا إذ الصبر مع التألم والرضا يمكن عالماً فيه ولا فرح والشكر لا يمكن إلا على محبوب مفروح به وكذلك الشكر درجات كثيرة ذكرنا أخصاها ويدخل في جملتها أمور دونها فان حياة البعد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفته يقتصره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة يعظم حلم الله وكنف ستره شكر والاعتراض بأن النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر والعلم بأن الشكر أيضا نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر وحسن التواضع للنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسائط شكر إذ قال عليه السلام «من لم يشكر الناس لم يشكر الله (١)» وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب أسرار الزكوة والاعتراف وحسن الأدب بين يدي للنعم شكر وتلقى النعم بحسن القبول واستظام صغيرها شكر وما يندرج من الأعمال والأحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر أحادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن إجمال القول بتفضيل أحدها على الآخر إلا على سبيل إرادة الخصوص باللفظ العام كالورد في الأخبار والآثار وقد روى عن بعضهم أنه قال رأيت في بعض الأسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسأله عن حاله فقال إني كنت في ابتداء عمري أهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواني فاتفق أنهما تزوجتا مني فليقلز فأنها قالت تعالى حق نهي هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جمنا فصلينا تلك الليلة ولم يفرغ أحدهما إلى صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فصلينا طول الليل فند سيعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة ليس كذلك بإفلاحة قالت المجوز هو كما يقول الشيخ فانظر إليهما لو صبرا على بلاء الفرقة أن لولم يجمع الله بينهما وأنسب صبر الفرقة إلى شكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك أن هذا الشكر أفضل فاذا لاوقوف على حقائق للفضلات لا تفضل على سبق والله أعلم .

﴿ كتاب الخوف والرجاء ﴾

(وهو الكتاب الثالث من ربيع للنجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله للرجو لطفه وثوابه الخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب أوليائه بروح رجا له حتى ساقهم لطائف آلائه إلى التزول بفنائهم والصدول عن دار بلاء التي هي مستقر أعدائه وضرب بسياط التخويف وزجره العنيف وجوه للعرضين عن حضرته إلى دار ثوابه وكرامته وصددهم عن التعرض لأثمه والتهدف لسخطه وشمته قودا لأصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وأزمة الرق واللفظ إلى جنته ، والصلاة على محمد سيد أنبيائه وخير خليفته وعلى آله وأصحابه وعترته .

[أما بعد] فان الرجاء والخوف جناحان هما يطير القربون إلى كل مقام محمود ومطمان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كشود فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء تقبل الأعباء محفوفاً بمكافره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء إلا أزمة إلى الرجا ولا يصدر عن نار الجحيم والعذاب الأليم مع كونه محفوفاً بلطائف الشهوات ومحباب اللذات إلا بسياط التخويف وسطوات التننيف فلا بد إذن من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل إلى الجمع بينهما مع تضادها وتمازجها ونحو

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله تقدم في الزكاة .

(كتاب الرجاء والخوف)

ما ظهر سرت الأسرار
فكامل العقل كمال
طلبت القوة للقل
تبدوا ووزنها بالقل
حتى يضمها في مواضعها
فيجل حال الشيوخ
عن إذاعة الأسرار
لرزانة عقولهم وينبئ
للريد أن يحفظ سره
من بثه في ذلك سمته
وسلامته وتأييد الله
سبحانه وتعالى له
بتدراك الريدتين
الصادقين في مورد
ومصدره .

[الباب الثالث
والحمس في حقيقة
الصعبة وما فيها من
الحير والشر]
للتقصي للصعبة وجود
الجنسية وقد يدعو
إليها أهم الأوصاف

تجميع ذكرها في كتاب واحد يشتمل على شطرين الشطر الأول في الرجاء والشطر الثاني في الخوف أما الشطر الأول فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء والطريق الذي يحتل به الرجاء .

(بيان حقيقة الرجاء)

اعلم أن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين وإنما يسمى الوصف مقاماً إذا ثبت وأقيم وإنما يسمى حالاً إذا كان طارفاً سريع الزوال وكما أن الصفرة تنقسم إلى ثابتة كصفرة الذهب وإلى سريعة الزوال كصفرة الوجع وإلى ما هو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالاً لأنه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من أوصاف القلب وغرضنا الآن حقيقة الرجاء فالرجاء أيضاً يتم من حال وعلم وعمل فالعلم سبب يشعر الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجاء اسماً من جملة الثلاثة وبيانه أن كل ما يلائقك من مكروه ومحبوب فينقسم إلى موجود في الحال وإلى موجود فيما مضى وإلى منتظر في الاستقبال فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى مسمى ذكرنا وتذكرنا وإن كان ماضياً بقلبك موجوداً في الحال مسمى وجداً ووفقاً وإدراكاً وإنما مسمى وجداً لأنها حالة تجدها من نفسك وإن كان قد خطر ببالك وجود شيء في الاستقبال وقلب ذلك على قلبك مسمى انتظارك وتوقفاً فإن كان للانتظار مكروها حصل منه ألم في القلب مسمى خوفاً وإشفاقاً وإن كان محبوباً حصل من انتظاره وتعلق القلب به وإخطار وجوده بالبال لذة في القلب وإرتياح مسمى ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو إرتياح القلب للانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد وأن يكون له سبب فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق وإن كان ذلك انتظارك مع انحراف أسبابه واضطرارها فاسم الضرر والخوف عليه أصدق من اسم الرجاء وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم الغنى أصدق على انتظاره لأنه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتردد فيه أما ما يقطع به فلا ، إذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب لأن ذلك مقطوع به ، ثم يقال أرجو زوال الضر وأخاف انقضاءه وقد علم أن أبواب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالأرض والإيمان كالبذر فيه والطاقات جارية مجرى تغليب الأرض وتطهيرها ويجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها والقلب للسترته الدنيا للسترته كالأرض للنبوة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان وقما ينفع الإيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه كما لا ينمو بذر في أرض سيئة فينبغي أن يقاس رجاء العبد للفرقة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً غير غفن ولا ممسوس ثم أمده بما يحتاج إليه وهو سوق الماء إليه في أوقاته ثم نقي الشوك عن الأرض والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده ثم جلس منتظراً من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات الفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ فاته مسمى انتظاره رجاء وإن بثر البذر في أرض صلبة سيئة مرفوعة لا ينصب إليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر أصلاً ثم انتظر الحصاد منه مسمى انتظاره حقاً وغروراً لا رجاء وإن بثر البذر في أرض طيبة لكن لا ماء لها وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تنبئ الأمطار ولا يجتمع أيضاً مسمى انتظاره تمناً لا رجاء ، فإذا سمى الرجاء إيماناً صادقاً على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابها الأخلاقية تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع وللفسدات فالعبد إذا بثر الإيمان وسقاها بماء الطاعات

وقد يدعو إليها أخص الأوصاف فالدعاء بأعم الأوصاف كليل جنس البشر بعضهم إلى بعض والدعاء بأخص الأوصاف كليل أهل كل مدة بعضهم إلى بعض ثم أخص من ذلك كليل أهل الطاعة بعضهم إلى بعض وكليل أهل العصية بعضهم إلى بعض فإذا علم هذا الأصل وأن الجاذب إلى الصسجة وجسود الجنسية بالأعم تارة وبالأخص أخرى فليفتقد الإنسان نفسه عند الليل إلى صسجة شخص وينظر ما إلى يميل به إلى محبته ويرى أحوال من يميل إليه يميز أن الشرع فان

وطهر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة واستقر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى الموت وضمن الحاجة للفضة إلى اللغرة كان انتظاره رجاء حقيقياً محموداً في نفسه باعثاً له على المواظبة والقيام بمقتضى أسباب الإيمان في إتمام أسباب اللغرة إلى الموت وإن قطع عن بذل الإيمان تهديده بماء الطامات أو ترك القلب مشحوناً برذائل الأخلاق واهتمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر اللغرة فانتظاره حق وغرور قال صلى الله عليه وسلم «الأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الجنة» (١) وقال تعالى - غفل من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا - وقال تعالى - غفل من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا - وذن الله تعالى صاحب البستان إذ دخل جنته وقال - ما أظن أن تتبد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً - فاذن البذر الجهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة وأما العاصي فإذا تاب ودارك جميع ما فرط منه من تقصير حقيق بأن يرجو قبول التوبة وأما قبول التوبة إذا كان كارها للمعصية تسوء السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشنق إليها حقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة لأن كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجرى مجرى السبب الذي قد يقضي إلى التوبة وإنما الرجاء بعد تأكيد الأسباب ولذلك قال تعالى - إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله - معناه أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لأن غيرهم أيضاً قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء فأما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاءه للغرة حق كرجاء من بث البذر في أرض سبخة وعزم على أن لا يتهدد بسقي ولا تقيح - قال يحيى ابن معاذ من أعظم الاغترار عندى القمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة يذر النار وطلب دار الطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمنى على الله عز وجل مع الإفراط :

رجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على البيس

فاذا عرفت حقيقة الرجاء ومطلته فقد علمت أنها حالة أمثرها العلم بجريان أكثر الأسباب وهذه الحالة تمر الجهد للقيام بيقية الأسباب على حسب الإمكان فإن من حسن بذره وطابت أرضه وغزر ماؤه صدق رجاءه فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الأرض وتهديدها ونتيجة كل حشيش ينبت فيها فلا يفتخر عن تهديدها أصلاً إلى وقت الحصاد وهذا لأن الرجاء يضاده اليأس واليأس يمنع من التصدق فمن عرف أن الأرض سبخة وأن الماء معوز وأن البذر لا ينبت فترك لمحالة تفقد الأرض والتمنى في تهديدها والرجاء محمود لأنه باعث واليأس مذموم وهو ضده لأنه صارف عن العمل والخوف ليس بضده للرجاء بل هو رفيق له كما سيأتي بيانه بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما أن الرجاء باعث بطريق الرغبة فاذن حال الرجال يورث طول المحاهدة بالأعمال والمواظبة على الطاعات كيما تقبليت الأحوال ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى والتمنى بتناجاته والتلطيف في التملق له فإن هذه الأحوال لا بد وأن تظهر على كل من يرجو ملكاً من الملوك أو شخصاً من الأشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فإن كان لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والزول في حضيض الغرور والتمنى فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما أمثره من العلم ولما استثمر منه من العمل

(١) حديث الأحمق من أتبع نفسه هواها الحديث تقدم غير مرة .

رأى أحواله مسددة
فليشتر نفسه بحسن
الحال فقد جعل الله
تعالى مرآته بمجاوله
يلوح له في مرآة أخيه
جمال حسن الحال وإن
رأى أفعاله غير مسددة
فليرجع إلى نفسه باللائمة
والإهام فقد لاح له في
مرآة أخيه سوء حاله
فبالجدير أن يفر منه
كفراره من الأسد
فانهما إذا اصطجبا
ازدادا ظلة وأوعوا جاجا
ثم إذا علم من صاحبه
الذي مال إليه حسن
الحال وحكم نفسه
بحسن الحال طالع ذلك
في مرآة أخيه فليعلم أن
الميل بالوصف الأعم
مركوز في جبلته والميل
بطرقه واقع وله

ويدل على إيماره لهذه الأعمال حديث زيد الخيل إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم «جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأيقنت بثوابه وإذا فاتني منه شيء حزنت عليه وحسنت إليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو أرادك لأخرى هيأ لك لها ثم لا يالي في أي أوديتها هلكت فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من أريد به الخير فمن أرجمي أن يكون مراد الخير من غير هذه العلامات فهو مغرور^(١)».

(بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه)

اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبه له والحب يغلب الرجاء واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفاً والآخر رجاءاً وثوابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن «رغائب لا سعي في وقت اللوت قال تعالى - لا تنظروا من رحمة الله - لحرم أصل اليأس وفي أخبار يعقوب عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه أن تدري لم فرقت بينك وبين يوسف لأنك قلت أخاف أن يأكله اللدب وأنتم عنه غافلون لم خفت اللدب ولم ترجى ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له وقال صلى الله عليه وسلم «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن» بالله تعالى^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»^(٣) «ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك فقال أجدي أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتمعوا في قلب عبد في هذا الوطن إلا أعطاه الله ما رجا وأمنه بما يخاف»^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم «أخرج الله الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك» وقال سفيان: من أذنب ذنباً فطمأن الله تعالى قدره عليه ورجاه غفرانه غفر الله له ذنبه قال لأن الله عز وجل عير قومًا فقالوا ذللكم ظمكم الذي ظننتم بربكم أرداكم - وقال تعالى - وظننتم ظن السوء وكنتم قومًا بوراً وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعتك إذ رأيت للسكر أن تنكره فإن الله حجتك قال يارب رجوتك وخفت الناس قال فيقول الله تعالى قد غفرت لك^(٥)» وفي الخبر الصحيح «أن رجلاً كان يدين الناس فيسأع الناس ويتجاوز عن العسر فلقى الله ولم يعمل خيراً قط فقال الله عز وجل من أحق بذلك منا^(٦)» فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه أن يعفو عنه مع إفلاسه عن الطاعات وقال تعالى - إن الذين يتلون كتاب الله

(١) حديث قال زيد الخيل جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد الحديث الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود بندين ضعيف وفيه أنه لما أتت زيدا الخيرو وكذا قال ابن أبي حاتم سباه النبي ﷺ الخبر ليس يروى عنه حديث وذكره في حديث يروى قيام زيد الخير فقال رسول الله الحديث منعت أي يقول ذلك (٢) حديث لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله مسلم من حديث جابر (٣) حديث أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ابن حبان من حديث وثائق بن الأعمق وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة دون قوله فليظن بي ما شاء (٤) حديث دخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك الحديث الترمذي وقال غريب والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث أنس وقال النووي إسناده جيد (٥) حديث إن الله يقول للعبد يوم القيامة ما منعتك إذ رأيت للسكر أن تنكره الحديث ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد جيد وقد تقدم في الأمر المعروف (٦) حديث أن رجلاً كان يدين الناس فيسأع ويتجاوز عن العسر الحديث مسلم من حديث أبي مسعود حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يؤجدهم من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسراً فكان يأمر غلماناً أن يتجاوزوا عن العسر قال الله عز وجل نحن أحق بذلك بما جاوزوا عنه وانفقوا عليه من حديث حذيفة

عسبه أحكام ولانفس بسببه سكون وركون فيسلب الليل بالوصف الأعم جمدى الليل بالوصف الأخص وصير بين الصحابين استرواحات طبيعية ولذذات جبلية لا يفرق بينها وبين خلوص الصلابة لله إلا العلماء الزاهدون وقد بنفسه للريد الصادق بأهل الصلاح أكثر مما بنفسه بأهل الفساد ووجه ذلك أن أهل الفساد علم فساد طريقهم فأخذ حذره وأهل الصلاح غره صلاحهم فدل إليهم بخسبة الصلاحية ثم حصل بينهم استرواحات طبيعية جبلية حالت بينهم وبين

وأقاموا الصلاة وأتقوا حمارزناهم سرا وعلاية يرجون تجارة لن تبور - ولما قال صلى الله عليه وسلم
«لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلا ولبكيتم كثيرا» وخرجتم إلى الصدقات تلمدون صدوركم وتجأرون إلى
ربكم فبسط جبريل عليه السلام فقال إن ربك يقول لك لم تقنط عبادي فخرج عليهم ورجاهم
وشوقهم (١) «وفي الخبر» إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام أجبني وأحب من يحبني وجبني إلى
خليقي فقال يارب كيف أحبيك إلى خلقك قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي وإحساني واذكرهم
ذلك فانهم لا يعرفون مني إلا بالجميل (٢) «وروي أن بن أبي عياش في النوم وكان يكثر ذكر أبواب الرجاء
فقال أوقفني الله تعالى بين يديه فقال ما الذي حملك على ذلك فقلت أردت أن أحبيك إلى خلقك فقال
قد غفرت لك ورؤي يحيى بن أكرم بعد موته في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال أوقفني الله بين
يديه وقال يا شيخ السوء نمت وفتلت قال فأخذني من الرعب ما بهل الله ثم قلت يارب ما هكذا
حدثت عنك فقال وما حدثت عني فقلت حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن
نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام أنك قلت أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء
وكنت أظن بك أن لاتعذبنني فقال الله عز وجل صدق جبريل وصدق نبي وصدق أنس وصدق
الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فألبست ومشى بين يدي الولدان إلى الجنة
فقلت يا لها من فرحة «وفي الخبر» أن رجلا من بني إسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم قال
فيقول له الله تعالى يوم القيامة اليوم أوسعك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها (٣) «وقال صلى الله
عليه وسلم وإن رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله تعالى
لجبريل اذهب فائتني بعدي قال فجاءه به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى كيف وجدت مكانك
فيقول شرمكان قال فيقول ردوه إلى مكانه قال فيمشي ويأتفت إلى وراءه فيقول الله عز وجل إلى
أي شيء تلتفت فيقول لقد رجوت أن لاتعذبنني إليها بعد إذ أخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا
به إلى الجنة (٤) «فدل هذا على أن رجاءه كان سبب نجاته نسأل الله حسن التوفيق بلفظه وكرمه.

(بيان دواء الرجاء والسيل الذي يحصل منه حال الرجاء ويناب)

اعلم أن هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين إما رجل غاب عليه اليأس فترك العبادة وإما رجل غلب
عليه الخوف فأمر في الواظبة على العبادة حتى أضر بنفسه وأهله وهذا رجلان ماثلان عن
الاعتدال إلى طرفي الإفراط والتفریط فيحتاجان إلى علاج يردهما إلى الاعتدال فأما المعاصي للفرور
اللتصق على الله مع الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فأدوية الرجاء تنقلب ميموما مهلكة في حقه
وتنزله منزلة العسل التي هو شفاء لمن غلب عليه البرد وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل
للفرور لا يستعمل في حقه إلا أدوية الخوف والأسباب للبيحة له فلها يجب أن يكون واعظ الحائق
متلطفا ناظرا إلى مواقع العلل معالجا لكل علة بما يضاهاها لئلا يزيدها فإن المطلوب هو العمد

وأبى هريرة بنحوه (١) حديث لوتعلمون ما أعلم لضحككم قليلا ولبكيتم كثيرا الحديث وفيه فبسط جبريل
الحديث ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة قال وله متفق عليه من حديث أنس ورواه زيادة وخرجتم
إلى الصدقات أحمد والحاكم وقد تقدم (٢) حديث إن الله تعالى أوحى إلى عبده داود عليه السلام
أجبني وأحب من يحبني الحديث لم أجده أصلا وكأنه من الاسرائليات كالذي قبله (٣) حديث أن رجلا
من بني إسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم الحديث رواه البيهقي في الشعب عن زيد بن أسلم
فذكره مقطوعا (٤) حديث إن رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي يا حنان يا منان
الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله والبيهقي في الشعب وضعفه من حديث أنس .

حقيقة الصبغة قد
فاكتسب من طريقهم
التسور في الطب
والتخلف من بلوغ
الأرب قلبه الصادق
لهذه الحقيقة وبأخذ
من الصبغة أصفي
الأقسام ويد منها
مايسد في وجهه للرام
قال بعضهم هل رأيت
شرا فإلّا آمن تعرف
ولمّا للمنى أنكر
طائفة من الملق
الصبغة ورأوا الفضيلة
في العزلة والوحدة
كأبراهيم بن آدم
وداود الطائي وفضل
ابن عياض وسليمان
الحواص وحكي عنه
أنه قيل له جاء إبراهيم
ابن آدم أمانته قال
لأن ألقى سبعا سناريا

والفصد في الصفات والأخلاق كلها وخير الأمور أوساطها فإذا حاوز الوسط إلى أحد الطرفين عوج بما
يرده إلى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي أن يستعمل فيه مع الخلق
أسباب الرجاء بل بالبالغة في التخوف أيضا تسلك أن لا تزدحم إلى جادة الحق وسنن الصواب فأما ذكر
أسباب الرجاء فهل لهم ويردهم بالسكينة ولكيما لما كانت أخف على القلوب وألذ عند النفوس ولم
يكن غرض العواطف إلا استئالة القلوب واستنطاق الحقائق بالثناء كيفما كانوا مالوا إلى الرجاء حتى ازداد
الفساد فسادا وازداد التهمكون في طغيانهم عماديا قال علي كرم الله وجهه إنما العالم الذي لا يقنط الناس
من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله . ونحن نذكر أسباب الرجاء لتستعمل في حق الآيس
أو فيمن غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فانهما مشتملان على الخوف
والرجاء جميعا لأنهما جامعان لأسباب الشفاء في حق أصناف الرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورة
الأنبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لاستعمال الآخر الذي يظن أن كل شيء من الأدوية
صالح لكل مريض كيفما كان . وحال الرجاء يغلب بشيئين أحدهما الاعتبار والآخر استقراء الآيات
والأخبار والآثار . أما الاعتبار فهو أن يتأمل جميع ما ذكرناه في أصناف النعم من كتاب الشكر حتى
إذا علم اطائف نعم الله تعالى لعباده في الدنيا وعجايب حكمه التي راعاها في فطرة الإنسان حتى أعدها في
الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج إليه كالأصابع والأظفار
وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف ألوان العينين وحرمة الشفتين وغير ذلك مما كان لا يخطر
بفكره غرض مقصود وإنما كان يغوث به مزية جمال فالنانية الإلهية إذا لم تقصر عن عباده في أمثال
هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن توهتهم الزايد والزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بساتهم إلى
الهلاك المؤبد بل إذا نظر الإنسان نظرا شافيا علم أن أكثر الخلق قد هيء له أسباب السعادة في الدنيا
حتى إنه يكره الانتقال من الدنيا بالموث وإن أخبر بأنه لا يجذب بعد للوث أبدا مثلا أو لا يحشر أصلا
فليسست كراحتهم لعدم إلا لأن أسباب النعم أغلب لا محالة وإنما الذي يتخلى للوث لا يدرى ثم لا يتم له إلا في
حال نادرة وواقعة هاجمة غريبة فإذا كان حال أكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة
فسنة الله لتجدها بتديلا فالغالب أمر الآخرة هكذا يكون لأن مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو
غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا إذا تؤمل حق التأمل قوى به أسباب الرجاء ومن
الاعتبار أيضا النظر في حكمة الشريعة وسقمتها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض
العارفين يرى آية للديانة في البقرة من أقوى أسباب الرجاء قليل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا
كلها قليل ورزق الإنسان منها قليل والدين قليل عن رزقه فانظر كيف أنزل الله تعالى في أطول آية
ليهدى عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه .

الفن الثاني استقراء الآيات والأخبار : فما ورد في الرجاء خارج عن المحصر أما الآيات فقد قال تعالى
- قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه
هو الغفور الرحيم - وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يالي إلا هو الغفور الرحيم (١) وقال
تعالى - والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض - وأخبر تعالى أن النار أعداها
لأعدائه وإنما خوف بها أوليائه فقال - لهم من فوقهم ظلال من النار ومن تحتهم ظلال ذلك خوف الله به
عباده - وقال تعالى - واتقوا النار التي أعدت للكافرين - وقال تعالى - فأنذرتكم نارا تطفى بإصلاحها

(١) حديث قرأ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب
جميعا ولا يالي إلا هو الترمذي من حديث أمية بنت زيد وقال حسن غريب .

أحب إلى من أن أنى
إبراهيم بن آدم قل
لأنى إذا رأيت أحمدا
كلامى وأظهر نفسى
بأظهار أحسن أحوالها
وفي ذلك الفتنة وهذا
كلام عالم بنفسه
وأخلاقها وهذا واقع
بين المتصالحين إلا أن
عصمه الله تعالى . أخبرنا
الشيخ الثقة أبو الفتح
محمد بن عبد الباقي
إجازة قال أنا الحافظ
أبو بكر محمد بن أحمد
قال أنا أبو القاسم
إسماعيل بن مسعدة قال
أنا أبو عمرو محمد بن
عبد الله بن أحمد قال
أنا أبو سليمان أحمد بن
محمد الخطابي قال أنا
محمد بن بسكر بن
عبد الرزاق قال حدثنا

إلا الأشقي الذي كذب وتولى - وقال عز وجل - وإن ربك لدور مغفرة للناس على ظلمهم - ويقال « إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية - وإن ربك لدور مغفرة للناس على ظلمهم - ^(١) » وفي تفسير قوله تعالى - ولسوف يعطيك ربك فترضى - قال لا يرضى محمد وواحد من أمته في النار وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول أتم أهل العراق يقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله - الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى - ولسوف يعطيك ربك فترضى - وأما الأخبار فقد روى أبو موسى عنه عليه السلام أنه قال « أمي أمة مرحومة لأعذاب عليها في الآخرة مجمل الله عقابها في الدنيا الزلازل والفنن فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمي رجل من أهل الكتاب قليل هذا فداؤك من النار ^(٢) » وفي لفظ آخر « يأتي كل رجل من هذه الأمة يهودي أو نصراني إلى جهنم فيقول هذا فدائي من النار فيلقى فيها ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « الحمى من فيح جهنم وهي حظ للؤمن من النار ^(٤) » وروى في تفسير قوله تعالى - يوم لا ينجز الله النبي والذين آمنوا معه « أن الله تعالى أوحى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام أني أجعل حساب أمتك إليك قال لا يارب أنت أرحم بهم مني فقال إذن لا تخزيك فيهم ^(٥) » وروى عن أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب أمته فقال يارب أجعل حسابهم لي لكلا يطلع على مساوهم غيبي فأوحى الله تعالى إليهم هم أمتك وهم عبادي وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم لي غيبي لكلا تنظر إلى مساوهم أنت ولا غيبي ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « حياتي خير لكم وموتي خير لكم أما حياتي فأسنن لكم السنن وأشرع لكم الشرائع ، وأما موتي فإن أعمالكم تعرض لي لما رأيتم منها حسنا حمدت الله عليه وما رأيتم منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم ^(٧) »

(١) حديث إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزل عليك وإن ربك لدور مغفرة للناس على ظلمهم لم أجده بهذا اللفظ وروى ابن أبي حاتم والعليني في تفسيرهما من رواية علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزة ما هنا أحد العيش الحديث (٢) حديث أبي موسى أمي أمة مرحومة لأعذاب عليها مجمل عقابها في الدنيا الزلازل والفنن الحديث أبو داود دون قوله فإذا كان يوم القيامة الخ فرواها ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف وفي صحيحه من حديث أبي موسى كما سأتى ذكره في الحديث الذي يليه (٣) حديث يأتي كل رجل من هذه الأمة يهودي أو نصراني إلى جهنم الحديث مسلم من حديث أبي موسى إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار وفي رواية له لا يوت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا (٤) حديث الحمى من فيح جهنم وهي حظ للؤمن من النار أحمد من رواية أبي صالح الأعمري عن أبي أمامة وأبو صالح لا يعرف ولا يعرف اسمه (٥) حديث إن الله أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم أني أجعل حساب أمتك إليك فقال لا يارب أنت خير لهم مني الحديث في تفسير قوله تعالى - يوم لا ينجز الله النبي - ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله (٦) حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب أمته فقال يارب أجعل حسابهم لي لكلا يطلع على أصل (٧) حديث حياتي خير لكم وموتي خير لكم الحديث البزار من حديث عبد الله بن مسعود ورواه رجال الصحيح إلا أن عبد الحميد بن عبد العزيز بن أبي داود وإن أخرجه - سلم ووثقه ابن معين والنسائي فقد ضعفه كثيرون ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بنحوه بسند ضعيف.

سليمان بن الأشعث قال ثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بوشك أن يكون خير مال المسلم غنائب تسبع بها شحاب الجبال ومواقع القطر يفر بدينه عن الفتن » قال الله تعالى إخبارا عن خليله إبراهيم - وأعزلكم وما ندعون من دون الله وأدعو ربي - استظهر بالمرلة على قومه . قيل : المرلة : نوحان فريضة وفضيلة فالمرضة المرلة عن الشرواهله

وقال صلى الله عليه وسلم يوما «يا كريم العفو فقال جبريل عليه السلام أتدري ما تنصير يا كريم العفو هو إن عفا عن السيئات برحمة بدلها حسنات بكرمه^(١)» وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول «اللهم إني أسألك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة؟ قال لا قال دخول الجنة^(٢)» قال الصالح أقدم الله علينا نعمته برضاه الاسلام لنا إذ قال تعالى - وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً وفي الخبر «إذا أذنب العبد ذنباً فاستغفر الله يقول الله عز وجل للملائكة انظروا إلى عبدی أذنب ذنباً فاعلم أن له رباً يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشبهكم أنى قد غفرت له^(٣)» وفي الخبر «لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرت له ما استغفرتى ورجاني^(٤)» وفي الخبر «لوقيتني عبدی بقراب الأرض ذنوباً لقيته بقراب الأرض مغفرة^(٥)» وفي الحديث إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتب عليه وإلا كتبها سيئة^(٦)» وفي لفظ آخر «فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب التين لصاحب الشمال وهو أمير عليه ألقى هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة تضعيف العشر وأرفع له تسع حسنات فتلقى عنه السيئة» وروى أنس في حديث أنه عليه الصلاة والسلام قال «إذا أذنب العبد ذنباً كتب عليه قال أعرابي وإن تاب عنه قال عفى عنه قال فإن عاد قال النبي صلى الله عليه وسلم يكتب عليه قال أعرابي فإن تاب قال عفى من عيفته قال إلى متى؟ قال إلى أن يستغفر ويتوب إلى الله عز وجل إن الله لا يعلل من الغفرة حتى يعمل العبد من الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب التين حسنة قبل أن يعملها فإن عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله سبحانه وتعالى إلى سبعمائة ضعف وإذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فاذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله عز وجل^(٧)» وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم يوماً يا كريم العفو فقال جبريل تدري ما تنصير يا كريم العفو الحديث لم أجده عن النبي صلى الله عليه وسلم وللوجود أن هذا كان بين إبراهيم الخليل وبين جبريل هكذا رواه أبو الشيخ في كتاب العظيمة من قول عتبة بن الوليد ورواه البيهقي في الشعب من رواية عتبة بن الوليد قال حدثني بعض الزهاد فذكره (٢) حديث سمع رجلاً يقول اللهم إني أسألك تمام النعمة الحديث تقدم (٣) حديث إذا أذنب العبد فاستغفر يقول الله تعالى للملائكة انظروا إلى عبدی أذنب ذنباً فلم أن له رباً يغفر الذنب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ إن عبداً أصاب ذنباً فقال أي رب أذنبت ذنباً فاغفر لي الحديث وفي رواية أذنب عبد ذنباً فقال الحديث (٤) حديث لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء الحديث الترمذي من حديث أنس بإسناده آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك وقال حسن (٥) حديث لوقيتني عبدی بقراب الأرض ذنوباً لقيته بقرابها مغفرة مسلم من حديث أبي ذر ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك لي شيئاً لقيته بمثليها مغفرة وللترمذي من حديث أنس الذي قبله بإسناده آدم لو لقيتني الحديث (٦) حديث إن للملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتب عليه الحديث قال وفي لفظ آخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب التين لصاحب الشمال وهو أمير عليه ألقى هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة من تضعيف العشر الحديث البيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة بسند فيه لين باللفظ الأول ورواه أيضاً أطول منه وفيه إن صاحب التين أمير على صاحب الشمال وليس فيه أنه يأمر صاحب الشمال بإلقاء السيئة حتى يلقى من حسناته واحدة ولم أجده لذلك أصلاً (٧) حديث أنس إذا أذنب العبد ذنباً كتب عليه قال أعرابي فإن تاب عنه قال عفى عنه قال فإن عاد الحديث وفيه إن الله لا يعلل من التوبة حتى يعمل العبد من الاستغفار

والفضيلة عزلة الفضول وأهله ويجوز أن يعل الخلو غير العزلة فالخلوة من الأغيار والعزلة من النفس وما تدعو إليه وما يشد عن الله فالخلوة كثيرة الوجود والعزلة قليلة الوجود قال أبو بكر الورقي «ظهرت الفتنة إلا بالخلطة فمن لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا وما سلم إلا من جانب الخلطة وقيل السلامة عشرة أجزاء تسعة في الصمت وواحد في الخلطة وقيل الخلوة أصل والخلطة عارض فليأثم الأصل ولا يخالط إلا بشدة الحاجة وإذا خالط لا يخالط إلا بحجة وإذا خالط بلازم

«يا رسول الله إني لأأسوم إلا الشجر لأزيد عليه ولا أصلى إلا الخس لأزيد عليها وليس لله في مالى صدقة ولا جاح ولا تطوع : أبى أنا إذ امت قتبم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : نعم معى ، إذا حفظت قلبك من اثنتين : الفل والحسد ، ولسانك من اثنتين : الفية والكذب ، وعينك من اثنتين : النظر إلى ما حرم الله ، وأن تزدري بهما مسلما دخلت معى الجنة على راحتي هاتين (١) » وفي الحديث الطويل لأنس « أن الأعرابي قال يا رسول الله من يلى حساب الخلق ؟ فقال الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه ؟ قال نعم فتبسم الأعرابي فقال صلى الله عليه وسلم ضحكت يا أعرابي فقال إن الكريم إذا قدر عفا وإذا حاسب سامح ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الأعرابي ألا كريم أكرم من الله تعالى هو أكرم الأكرمين ثم قال قته الأعرابي (٢) وفيه أيضا « إن الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو أن عبدا هدتها حجر أحجارها ما بلغ جرم من استخف بولئ من أولياء الله تعالى . قال الأعرابي ومن أولياء الله تعالى قال للؤمنون كلهم أولياء الله تعالى أمامعت قول الله عز وجل - الله ولئ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور - » وفي بعض الأخبار « المؤمن أفضل من الكعبة (٣) » « وللمؤمن طيب طاهر (٤) » « وللمؤمن أكرم على الله تعالى من اللاتكة (٥) » وفي الخبر « خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده إلى الجنة (٦) » . وفي خبر آخر « يقول الله عز وجل

الحديث البيهقي في الشعب بلفظ جاء رجل ، فقال يا رسول الله : إني أذنبت ذنبا . قال استغفر ربك قال فاستغفر ثم أعود . قال فإذا عدت فاستغفر ربك ثلاث مررات أو أربع . قال فاستغفر ربك حتى يكون الشيطان هو للسجور المحسور وفيه أبو بدر يسار بن الحكم للصري ، منكر الحديث وروى أيضا من حديث عتبة بن عامر أحدنا يذنب . قال يكتب عليه قال ثم يستغفر ويتوب قال يغفرله ويتوب عليه قال فيعود الحديث وفيه لا يعل الله حتى تملا وليس في الحديثين قوله في آخره فاداهم البعد بحسنة الخ وهو في الصحيحين بنحوه من حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يرويه عن ربه فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هم بها وعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هم بها فعلها كتبها الله سيئة واحدة زاد مسلم في رواية أو عاها الله ولا يهلك على الله إلا هالك ولهما نحوه من حديث أبي هريرة (١) حديث جاء رجل ، فقال يا رسول الله إني لأأسوم إلا الشجر لأزيد عليه ولا أصلى إلا الخس لأزيد عليها وليس لله في مالى صدقة ولا جاح ولا تطوع الحديث تقدم (٢) حديث أنس الطويل قال أعرابي يا رسول الله من يلى حساب الخلق قال الله تبارك وتعالى فقال هو بنفسه قال نعم فتبسم الأعرابي الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث للمؤمن أفضل من الكعبة ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ أعظمك وأعظم حرمتك والذي تسمى يده لحرمة المؤمن أعظم حرمة منك ماله ودمه وأن يظن به إلا خيرا ، وشيخه نصر ابن محمد بن سليمان الحمصي ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن حبان وقد تقدم (٤) حديث للمؤمن طيب طاهر لم أجده بهذا اللفظ . وفي الصحيحين من حديث حذيفة اللؤم لا ينس (٥) حديث للمؤمن أكرم على الله من اللاتكة ابن ماجه من رواية أبي الهزم يزيد بن سفيان عن أبي هريرة بلفظ للمؤمن أكرم على الله من بعض اللاتكة وأبولهزم تركه شعبة وضمه ابن معين ورواه ابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من هذا الوجه بلفظ للسنف (٦) حديث خلق الله من فضل رحمته سوطا يسوق به عباده

الصمت فانه أصل
والكلام عارض ولا
يتكلم إلا بحجة غطر
الصحة كثير يحتاج
العبد فيه إلى مزيد
علم والأخبار والآثار
في التحذير عن
الخطية والصحة
كثيرة والكتب بها
مشحونة . وأجمع
الأخبار في ذلك ما أخرنا
الشيخ الثقة أبو الفتح
باسنده السابق إلى
أبي سليمان قال حدثنا
أحمد بن سليمان
النجاد قال ثنا محمد
ابن يونس الكرمي
قال ثنا محمد
ابن منصور الحمصي
قال ثنا مسلم بن سالم
قال ثنا السري
ابن يحيى عن الحسن

إنما خافت الخلق ليخرجوا على ولم أخلقهم لأربع عليهم (١) « وفي حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما خلق الله تعالى شيئاً إلا جعل له ما يقبله وجعل رحمته تغلب غضبه (٢) « وفي الخبر المشهور « إن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق إن رحمته تغلب غضبه (٣) « وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم قال « ومن قال لا إله إلا الله دخل الجنة (٤) » . « ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار (٥) » . ومن لقي الله لا يشرك به شيئاً حرمت عليه النار (٦) » . ولا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان (٧) « وفي خبر آخر « لو علم الكافر نعمة رحمة الله ما أيس من جنته أحد (٨) « ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى « - إن زلزلة الساعة شيء عظيم - قال أتدرون أي يوم هذا هذا يوم يقال لأدم عليه الصلاة والسلام قم فابست الثمار من ذريتك فيقول كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة قال فأبلس القوم وجعلوا سيكون وتسلطوا يومهم عن الاشتغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما لكم لا تعملون فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا فقال كم أنتم في الأمم أين تأويل وفارث ومنك وبأجوج ومأجوج أم لا يحصيها إلا الله تعالى إنما أنتم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود والرقعة في درع

إلى الجنة لم أجدته هكذا ويفي عنه ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة عجب ربنا من قوم يهجم بهم إلى الجنة في السلاسل (٩) حديث قال الله إنما خلقت الخلق ليخرجوا على ولم أخلقهم لأربع عليهم لم أقف له على أصل (١٠) حديث أبي سعيد ما خلق الله شيئاً إلا جعل له ما يقبله وجعل رحمته تغلب غضبه أبو الشيخ ابن حبان في الثواب وفيه عبد الرحمن بن كردم جهله أبو حاتم وقال صاحب البرز أن ليس بواه ولا بمجول (١١) حديث إن الله كتب على نفسه بنفسه قبل أن يخلق الخلق : إن رحمته تغلب غضبه متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (١٢) حديث معاذ وأنس من قال لا إله إلا الله دخل الجنة الطبراني في الدعاء بلفظ من مات يشهد وتقدم من حديث معاذ وهو في اليوم والليلة للنساء بلفظ من مات يشهد وقد تقدم من حديث معاذ من حديث أنس أيضاً تهدم في الأذكار (١٣) حديث من كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار أبو داود والحاكم وصححه من حديث معاذ بلفظ دخل الجنة (١٤) حديث من لقي الله لا يشرك به شيئاً حرمت عليه النار الشيخان من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار وزاد البخاري صادقا من قلبه وفي رواية له من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ورواه أحمد من حديث معاذ بلفظ جعله الله في الجنة وللنساء من حديث أبي عمرة الأنصاري في أثناء حديث قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني رسول الله لا يلقى الله عبداً من بهما إلا حجب عن النار يوم القيامة (١٥) حديث لا يدخلها من في قلبه وزن ذرة من إيمان أحمد من حديث سهل بن رضاه من شهد أن لا إله إلا الله حرمه الله على النار وفيه انقطاع وله من حديث عثمان بن عفان إنني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه إلا حرم على النار قال عمر بن الخطاب هي كلمة الإخلاص وإسناده صحيح ولكن هذا ونحوه هاذ مخالف لما ثبت في الأحاديث الصحيحة من دخول جماعة من اللوحدين النار وإخراجهم بالشفاعاة ، ثم لا يمتنع في النار من في قلبه ذرة من إيمان كما هو متفق عليه من حديث أبي سعيد وفيه لمن وجدته في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه . وقال مسلم من خير بدل من إيمان (١٦) حديث لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد متفق عليه من حديث أبي هريرة .

عن أبي الأحوص
عن عبد الله بن مسعود
قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
ليأتين على الناس زمان
لا يسلم لدى دين دينه
إلا من فر دينه من
قرية إلى قرية ومن
شاهق إلى شاهق ومن
جهر إلى جهر كالعلب
الذي يروغ قالوا وحق
ذلك يا رسول الله قال
إذا لم تنل العيشة إلا
بمعاصي الله فإذا كان
ذلك الزمان حلت
العزوبة قالوا وكيف
ذلك يا رسول الله وقد
أمرتنا بالنزوح قال إنه
إذا كان ذلك الزمان
كان هلاك الرجل على
يد أبويه فإن لم يكن له
أبوان فلي يذوخته

الدابة (١) « فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بأزمة الرجاء إلى الله تعالى إذ ساقهم بسياط الخوف أولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال إلى إفراط اليأس داوام بدواء الرجاء وردهم إلى الاعتدال والقصد والآخر لم يكن مناقضا للأول ولكن ذكر في الأول مآرسة سبيل الشفاء وانقصر عليه فلما احتاجوا إلى المراجعة بالرجاء ذكر تمام الأمر . فعلى الواعظ أن يقتدى بسيد الواعظ فيتلطف في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة العلل الباطنة وإن لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه أكثر مما يصلحه ، وفي الخبر « لو لم تذبوا خلق الله خلقا يذنبون فيغفر ذلك كان ما يفسد بوعظه أكثر مما يصلحه ، وفي الخبر « لو لم تذبوا خلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم (٢) » وفي لفظ آخر « ذهب بكم ونجا خلق آخر يذنبون فيغفر لهم إنه هو الغفور الرحيم » وفي الخبر « لو لم تذبوا لحشيت عليكم ما هو شر من الذنوب . قيل وما هو قال العجب (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده لله أرحم بعبده للؤمن من الوالدة الشقية بولدها (٤) » وفي الخبر « ليفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد حتى إن إبليس ليتناول لها رجاء أن تصيبه (٥) » وفي الخبر « إن لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسع وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فيها يترحم الخلق فتحن الوالدة على ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها باق السموات والأرض قال فلا يهلك على الله يومئذ إلا هالك (٦) » وفي الخبر « ما منكم من أحد بدخله عمله الجنة ولا ينجي من النار قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يغمدني الله برحمته (٧) » وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « اعملوا وأبشروا واعلموا أن أحدا لن ينجي عمله (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « إني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمي أرونها للمطيعين للذين بل هي للمتأولين المخطئين (٩) »

وولده فإن لم يكن له زوجة ولا ولد فعلى يد قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يبرونه بضيق للعيشة فيتكلف مالا يطيق حتى يوردوه موارد الملحكة . وقدر غيب جمع من السلف في الصعبة والأخوة في الله ورأوا أن الله تعالى من على أهل الإيمان حيث جعلهم إخوانا فقال سبحانه وتعالى - واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتكم بعمته إخوانا - وقال تعالى - هو الذي أيذك بصره بال مؤمنين وألف

(١) حديث لما تلا - إن زلزلة الساعة شيء عظيم - قال أندرون أي يوم هذا الحديث الترمذي من حديث عمران بن حصين ، وقال حسن صحيح . قلت هو من رواية الحسن البصري عن عمران ولم يسمع منه ، وفي الصحيحين نحوه من حديث أبي سعيد (٢) حديث لو لم تذبوا لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم ، وفي لفظ لذهب بكم الحديث مسلم من حديث أبي أيوب واللفظ الثاني من حديث أبي هريرة قريبا منه (٣) حديث لو لم تذبوا لحشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل ما هو قال العجب البزار وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث أنس وتقدم في ذم السكر والعجب (٤) حديث والذي نفسي بيده لله أرحم بعبده للؤمن من الوالدة الشقية بولدها متفق عليه من حديث عمر بنحوه (٥) حديث ليفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله من حديث ابن مسعود بأسناد ضعيف (٦) حديث إن لله تعالى مائة رحمة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث ما منكم من أحد بدخله عمله الجنة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٨) حديث اعملوا وأبشروا واعلموا أن أحدا لن ينجي عمله أيضا (٩) حديث إني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمي الحديث الشيخان من حديث أبي هريرة لكل نبى دعوة وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي ، ورواه مسلم من حديث أنس ، وللترمذي من حديثه وصححه وابن ماجه من حديث جابر شفاعتي لأهل الكبائر من أمي ، ولابن ماجه من حديث أبي موسى ، ولأحمد من حديث ابن عمر خبرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى أرونها للمتقين الحديث وفيه من لم يسم .

وقال عليه الصلاة والسلام «بشت بالخفيفة السمحة السهلة» (١) وقال صلى الله عليه وسلم على كل عبد مصطلي «أحب أن يعلم أهل الكتابين أن في ديننا ساحة» (٢) ويدل على معناه استجابة الله تعالى للمؤمنين في قولهم - ولا تعمل علينا أصرا - وقال تعالى - ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم - وروى محمد بن الحنفية عن علي رضي الله تعالى عنهما أنه قال «لما نزل قوله تعالى - فاصنع الصنع الجليل - قال ياجبريل وما الصنع الجليل قال عليه السلام إذا عفوت عن ذلك فلا تعاتبه فقال ياجبريل فإلهي أكرم من أن يحاسب من عفا عنه فيكي جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعت الله تعالى إليهما ميكائيل عليه السلام وقال إن ربكما يرفعكما السلام ويقول كيف أعاتب من عفوت عنه هذا ملا يشبه كرمي» (٣) . والأخبار الواردة في أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى . وأما الآثار : فقد قال علي كرم الله وجهه : من أذنب ذنبا قسره الله عليه في الدنيا فإلهي أكرم من أن يكشف ستره في الآخرة ومن أذنب ذنبا فغوب عليه في الدنيا فإلهي أعدل من أن يثني عقوبته على عبده في الآخرة . وقال الثوري ما أحب أن يجعل حسابي إلى أبوي لأنني أعلم أن الله تعالى أرحم بي منهما . وقال بعض السلف : للأؤمن إذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشبه عليه . وكتب محمد بن صعب إلى أسود بن سالم بخطه إن العبد إذا كان مسرفا على نفسه فرقع يديه يدعو ويقول : يارب حجب للملائكة صوته وكذا الثانية والثالثة حتى إذا قال الرابعة يارب قال الله تعالى حق متى تحجبون عني صوت عبدي قد علم عبدي أنه ليس له رب يغفر الذنوب غيري أشهدكم أني قد غفرت له . وقال إبراهيم بن آدم رحمة الله عليه خلا في الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلة توقفت في للزمت عند الباب قلت : يارب اعصمني حتى لا أعصيك أبدا ففتحت بي هاتف من البيت يا إبراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبونني ذلك فاذا عصمتهم ضلوا من أفضل ولما أغفر ، وكان الحسن يقول : لو لم يذنب المؤمن لكان يطير في ملكوت السموات ولكن الله تعالى فعه : للذنوب . وقال الجنيدي رحمه الله تعالى : إن بدت عين من الكرم ألحقت للسجين بالمحسنين . ولقي مالك بن دينار أبانا قال له إلى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا أبا يحيى إلى لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تحرق له كساء هذا من الفرح . وفي حديث ربي بن حراش عن أخيه ، وكان من خيار التابعين ، وهو ممن تكلم بعد الموت . قال لما مات أخى سجي ثوبه وألقينه على نمشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا ، وقال : إلى قيت ربي عز وجل خياني بروح وريحان وربى غير غضبان وإني رأيت الأمر يسر مما ظننونا فلا تقفروا وأن محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظري وأصحابه حتى أرجع إليهم . قال ثم طرح نفسه فكأنها كانت حصاة وقعت في طشت فحملناه ودفناه . وفي الحديث

(١) حديث بشت بالخفيفة السمحة السهلة أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف : دون قوله السهلة وله ولطبراني من حديث ابن عباس أحب الدين إلى الله الخفيفة السمحة وفيه محمد بن إسحق رواه بالضعفة (٢) حديث أحب أن يعلم أهل الكتاب أن في ديننا ساحة أبو عبيد في غريب الحديث وأحمد (٣) حديث محمد بن الحنفية عن علي لما نزل قوله تعالى - فاصنع الصنع الجليل - قال ياجبريل وما الصنع الجليل قال إذا عفوت عن ذلك فلا تعاتبه الحديث ابن مردويه في تحصيله موقوف على علي مختصرا قال الرضا بغير عتاب ولم يذكر بقية الحديث وفي إسناداه نظر .

بين قلوبهم لو أغشت
مائي الأرض جميعا
مألفت بين قلوبهم
ولكن الله ألف
بينهم - وقد اختار
الصحة والأخوة في
الله تعالى معبد
ابن السبب وعبد الله
ابن المبارك وغيرهما .
وقائمة الصحة أنها
تفتح مسام الباطن
ويكتسب الإنسان
بها علم الحوادث
والموارض . قيل :
أعلم الناس بالآفات
أكثرهم آفات
ويتصلب الباطن
برزين العلم ويشمكن
الصدق بطروق
هوب الآفات ثم
التخلص منها بالإيمان
ويضع بطريق

مالك بن أنس في العشة التي قبض فيها قتلنا بأبا عبد الله كيف تحدثك قال لا أدري ما تقول لكم إلا أنكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا حتى أغضضناه وقال يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد رجائي لك مع الذنوب ينهب رجائي إليك مع الأعمال لأنني أعتمد على الأعمال على الاخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا ضفرها وأنت بالجود موصوف.

وقيل إن مجوسيا استضاف إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال إن أسدت أضفتك فر الجوى فأوحى الله تعالى إليه بإبراهيم لم تعلمه إلا بشير دينه ونحن من سبعين سنة نطمع على كفره فلو أسدته ليلة ماذا كان عليك فر إبراهيم يسمى خلف الجوى فرده وأضافه فقال له الجوى ما السبب فيها بذلك فذكر له فقال له الجوى أهكذا يماثلني ثم قال اعرض على الاسلام فأسلم . ورأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكي أبا سهل الرجاسي في المنام وكان يقول بوعيد الأبد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الأمر أهون مما توهمنا . ورأى بعضهم أبا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة تحسنة لا توصف فقال له يا أستاذي نلت هذا فقال بحسن غلى برى . وحكى أن أبا العباس بن سريج رحمه الله تعالى رأى في مرض موته في منامه كأن القيامة قد قامت وإذا الجبار سبحانه يقول أين السلاء قال جاءوا ثم قال ماذا علمت فيها علمت قال قتلنا يارب قصرنا وأسأنا قال فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جوابا غيره فقلت أما أنا فليس في صحيفة الشرك وقد وعدت أن تخفف ما دوني فقال اذهبوا به فقد غفرت لكم ومات بذلك ثلاث ليل . وقيل كان رجل شريب جمع قوما من ندمائه ودفع إلى غلامه أربعة دراهم وأمره أن يشتري شيئا من التوابل فجلس فر التمام ياب مجلس منصور بن عمار وهو سأل فقير شيئا ويقول من دفع إليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات قال فدفع التمام إليه الدرام فقال منصور ما الذي تريد أن أدعوك فقال لي سيد أريد أن أخلص منه فدا منصور وقال الأخرى قال أن يغفر الله لي ولسيدي ولك فدا ثم قال الأخرى قال أن يتوب الله على سيدي فدا ثم قال الأخرى قال أن يغفر الله لي ولسيدي ولك ولقوم فدا منصور فرجع التمام فقال له سيده لم أبطأت قصص عليه القصة قال وبم دعا فقال سألت لنفسى العتق فقال له اذهب فأنت حر قال وأيضى الثاني قال أن يخاف الله على الدرام قال لك أربعا آلاف درهم وأيضى الثالث قال أن يتوب الله عليك قال ثبت إلى الله تعالى قال وأيضى الرابع قال أن يغفر الله لي ولك ولقوم قال هذا الواحد ليس إلى فلما بات تلك الليلة رأى في المنام كأن قائلا يقول له أنت فعلت ما كان إليك أقرى أنى لأفضل ما إلى قد غفرت لك وللقلام وللمصور بن عمار وللقوم الحاضرين أجمعين . وروى عن عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفي قال رأيت ثلاثة من الرجال وامرأة يعملون جنازة قال فأخذت مكان المرأة وذهبت إلى القبرة وصلينا عليها ودفنا الميت فقلت للمرأة من كان هذا الميت منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران قالت بلى ولكن صغروا أمره قلت وأيضى كان هذا قالت منحننا قال فرحمتها وذهبت بها إلى منزلي وأعطيتها دراهم وحنطة وثيابا قال فرأيت تلك الليلة كأنه أتاني آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجلل يشكرني فقلت من أنت فقال الخنث الذي دفتتموني اليوم رحمني ربى باحتقار الناس إلي . وقال إبراهيم الأطروش كنا قعودا يفتدنا مع معروف السكرخي على دجلة إذ مر أحدث في زورق يشربون بالدف ويشربون ويلعبون فقالوا المعروف أمارهم يصون الله مجاهرين ادع الله عليهم فر رفع يديه وقال إلهي كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الآخرة فقال

اغفر لي إن شئت ولكن يعزم ويعظم الرغبة فان الله عز وجل لا يتعاطله شيء أعطاه والبخارى من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ورواه الترمذي من حديث معاذ وصاحبه بن الصامت

حروف الخلق والهميم
مأخوذ من الاهتمام
أى يتم بأمر أخيه
فلا اهتمام بهم الصديق
حقيقة الصداقة . وقال
عمر إذا رأى أحدا
ودا من أخيه
فلتجسك به قلما
يصيب ذلك وقد قال
القائل :

وإذا صفا لك من زمانك
واحد
فهو الراد وأين ذاك
الواحد
وأوحى الله تعالى إلى
داود عليه السلام
قال يادود ما لي أراك
منتبذا وحداك قال
إلهي قليت الخلق من
أجلك فأوحى الله إليه
يادود كن يقظانا
مرتابا لنفسك أخوانا

القوم إنما سألوا أن تدعو عليهم فقال إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم ، وكان بعض السلف يقول في دعائه يارب وأنى أهل دهر لم يصولك ثم كانت نعمتك عليهم سائبة ورزقك عليهم دارا سبحانه ما أحلك وعزتك إنك لمنصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى كأنك ياربنا لا تنضب فذهى الأسباب التي بها يجلب روح الرجاء إلى قلوب الخائفين والأيمن ، فأما الحقى الغرورون فلا ينبغي أن يسمعون شيئا من ذلك بل يسمعون ما ستورده في أسباب الخوف فإن أكثر الناس لا يصلح إلا على الخوف كالمديد السوء والصبي العرم لا يستقيم إلا بالسوط والعصا وإظهار الخشونة في الكلام ، وأما من ذلك فيسعد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا .

(الشطر الثاني من الكتاب في الخوف)

وقه بيان حقيقة الخوف وبيان درجاته وبيان أقسام الخواف وبيان فضيلة الخوف وبيان الأفضل من الخوف والرجاء وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الحظاثة وبيان أحوال الخائفين من الأنبياء صلوات الله عليهم والصلحين رحمة الله عليهم ، ونسأل الله حسن التوفيق .

(بيان حقيقة الخوف)

اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال ، وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجلال الحق على الدوام لم يبق له التفات إلى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار جاله أعلى من الخوف والرجاء فإنهما زمانان بمنان النفس عن الخروج إلى رعواتها ، وإلى هذا أشار الواسطي حيث قال : الخوف حبيب بين الله وبين العبد . وقال أيضا إذا ظهر الحق على السرائر لا يبق فيها فضلة لرجاء ولا خوف وبالجملة فالحبيب إذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصا في الشهود وإتماما للشهود فاية القامات ، ولكنها الآن إنما تشكك في أوائل القامات تقول : حال الخوف ينظم بضامن علم وحال وعمل . أما العلم فهو العلم بالسبب للقضى إلى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز الضو والإفلات ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة عمله بالأسباب للقضية إلى قتله وهو ضاحق بجنايته وكون الملك في نفسه حقوقا غصوبا منتقما وكونه مخوفًا بمن يحسه على الانتقام خاليا عن تشفع إليه في حقه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنه تحو أثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الأسباب بسبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لاعتب سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة الخوف كالتي وقع في غلاب سبع فإنه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي حرصه وسطوته على الاقتراس غالبا وإن كان اقتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للخوف منه تكوف من وقع في مجرى سيل أو جوار حريق فإن للساء يخاف لأنه بطبعه مجبول على السيلان والإغراق وكذا النار على الإحراق فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث للتحرر لإحراق القلب وتألمه وذلك الإحراق هو الخوف فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأنه لو أهلك العالمين لم ينال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بتقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بصوب غمه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وأنه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون تكون قوة خوفه فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وربه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أنا أخوفكم » (١) وكذلك قال الله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - ثم إذا كتلت المعرفة (١) حديث أنا أخوفكم البخاري من حديث أنس والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له وللشيخين

وكل خدن لا يوافق على مسرتي فلا تصعبه فانه عدو يسى قلبك ويباعدك منى . وقد ورد في الخبر « إن أحبك إلى الله الدين يأنسون وبؤلون فالؤمن الكسب ما لوف » وفي هذا دققة وهي أنه ليس من اختار العزلة والوحدة لله يذهب عنه هذا الوصف فلا يكون كمالا ما لوف فإن هذه الإشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخلق الجبلى ، وهذا الخلق يكمل في كل من كان أتم معرفة وبقينا وأوزن عقلا وأتم أهلية واستعدادا وكان أوف الناس حظا

أورثت جلال الخوف واحترق القلب ثم يفيض أثر الحرقه من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات . أما في البدن فبالنحول والصفار والشفية والزعقة والبكاء وقد تشقق به الرارة فيفيض إلى لوت أو يبعد إلى الدماغ فيفسد العقل أو يقوى فيورث القنوط واليأس . وأما في الجوارح فيكفها عن المعاصي وتقيد بها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ، ولذلك قيل ليس الخائف من يئس ويحس عينه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه . وقال أبو القاسم الحكيم من خف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب إليه ، وقيل لدى النون متى يكون البعد خائفًا قال إذا نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمى مخافة طول السقام . وأما في الصفات فيأن يجمع الشهوات ويكدر بالذات فخصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العمل مكروهًا عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه ما يفسد الشهوات بالخوف وتآذ الجوارح ويحصل في القلب الدبول والخشوع والذلة والاستكانة ويغفره الكبير والحققد والحسد بل يصير مستوعب الهم وخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لشيء ولا يكون له شغل إلا للراقبة والمحاسبة والمجاهدة والفضلة بالأنفاس والاحتظات ومؤاخذة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله حال من وقع في مغالب سبع ضار لا يدري أنه يفعل عنه فينلت أو يهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولًا بما هو خائف منه لا يتسع فيه لغيره ، هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة للراقبة ونجاسة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحترائه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله وبمبوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال وأقل درجات الخوف بما يظهر أثره في الأعمال أن يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعًا فإن زادت قوته كف عما يتطرق إليه إمكان التحريم فيكف أيضًا عما لا يقين تحريمه ويسمى ذلك تقوى إذ التقوى أن يترك ما يريه إلى ما يريه وقد يجعله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى فإذا انضم إليه التجرد للخدمة صار لا يبق ما لا سكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها تفرقه ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفسًا من أنفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بأن يسمى صديقًا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فإنها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة ، فاذن الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والإبدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فإنه أعم لأنه كف عن كل محظور ، وأعلى منه التقوى فإنه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعا ووراء اسم الصديق والتقرب وتجري الرتبة الأخيرة مما قبلها مجرى الأخص من الأعم فإذا ذكرت الأخص فقد ذكرت الكل كما أنك تقول الإنسان إما عربي وإما عجمي والعربي إما قرشي أو غيره والقرشي إما هاشمي أو غيره والهاشمي إما علوي أو غيره والعلوي إما - مني أو حسيني فإذا ذكرت أنه حسيني مثلا فقد وصفته بالجميع وإن وصفته بأنه علوي وصفته بما هو فوقه مما هو أعم منه فكذلك إذا قلت صديق فقد قلت إنه تقى وورع وعفيف فلا ينبغي أن نظن أن كثرة هذه الأسماء تدل على معان كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلط على من طلب المعاني من الألفاظ ولم يتبع الألفاظ للمعاني فهذه إشارة إلى جماع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب المعالو كالعرفه للوجهة ومن جانب السفلى كالأعمال الصادرة منه كفا وإقداما .

من هذا الوصف
الأنبياء ثم الأولياء
وأنهم الجميع في هذا
نبينا صلوات الله عليه
وكل من كان من
الأنبياء ثم أئمة كان
أكثر تبعًا ونبينا
صلى الله عليه وسلم
كان أكثرهم أئمة
وأكثرهم تبعًا وقال
وتناحوا تكبروا
فاني مكاتب بكم الأمم
يوم القيامة وقد نبه
الله تعالى على هذا
الوصف من رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فقال - ولو كنت فظا
غليظ القلب لانفضوا
من حولك - وإنما
طلب الميزة مع وجود
هذا الوصف ومن
كان هذا الوصف فيه

من حديث عائشة والله إنني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية .

(بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف)

اعلم أن الخوف محمود وربما يظن أن كل ما هو خوف محمود فكل ما كان أقوى وأكثر كان أقرب وهو غلط بل الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى اللواظية على العمل والعمل لئلا يولاهما رتبة القرب من الله تعالى والأصلح للبيعة أن لا تخلو عن سوط وكذا الصبي ولكن ذلك لا يدل على أن المبالغة في الضرب محمود وكذلك الخوف له قصور وله إفراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط فأما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء فخطئ بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء وتضيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فإذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى النقلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالضرب الضعيف الذي تضرب به دابة قوية لا يؤلها ألاماً بحال لا يسوقها إلى القصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم إلا العارفين والعلماء ولست أعني العلماء الترتيبين برسوم العلماء وللتسمين بأسمائهم فإنهم أبعد الناس عن الخوف بل أعني العلماء بالله وبآياته وأفعاله وذلك بما قد عزّ وجوده الآن ، ولذلك قال الفضيل بن عياض إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك إن قلت لا كفرت وإن قلت نعم كذبت وأشار به إلى أن الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات ومالم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفاً ، وأما للفرط فإنه الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط وهو مذموم أيضاً لأنه يمنع من العمل وقد يخرج الخوف أيضاً إلى الرض والضعف وإلى الوله والهشّة وزوال العقل ، فالمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو العمل على العمل ولولا ذلك لما كان الخوف كلاً لأنه بالحقيقة نقصان لأن منشأه الجهل والعجز ، أما الجهل فإنه ليس يدرى حاجة أمره ولوعرف لم يكن خائفاً لأن الخوف هو الذي يتردّ فيه ، وأما العجز فهو أنه يتعرض للحدود لا يقدر على دفعه فاذن هو محمود بالإضافة إلى قصص الأدمي وإنما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز أن يوصف لله تعالى به وما لا يجوز وصف الله تعالى به فليس يكال في ذاته وإنما يصير محموداً بالإضافة إلى قصص هو أعظم منه كما يكون احتمال أتم السواء محموداً لأنه أهون من أتم الأرض ولولت فما يخرج إلى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف أيضاً إلى الرض والضعف وإلى الوله والهشّة وزوال العقل وقد يخرج إلى الموت وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة أو يمرضها أو يكسر عضواً من أعضائها وإنما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسباب الرجاء وأكثرتهم في المعالج به صدمة الخوف للفرط المقضى إلى القنوط أو أحد هذه الأمور فكل ما يراد لأمر فالحمود منه ما يغني إلى المراد للتصود منه وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر الأسباب للوصول إلى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما يقدح في هذه الأسباب فهو مذموم ، فإن قلت من خاف فثابت من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموماً ، فأقول أن معنى كونه شهيداً أن له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لومات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو بالإضافة إليه فضيلة فأما بالإضافة إلى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلكه فليس بفضيلة بل للسالك إلى الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والورع في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ، ولولا هذا لكانت رتبة صبي يقتل أو مجنون يقتله سبع أعلى من رتبة نبي أو ولي يموت خائف أهله وهو محال فلا ينبغي أن يظن هذا بل أفضل السماعات طول العمر في طاعة الله تعالى فكل ما يبطل العمر أو العقل أو الصحة التي يتعمل العمر بتعطيلها فهو حسران ونقصان بالإضافة إلى أمور وإن كان بعض أقسامها فضيلة بالإضافة

أقوى وأتم كان طلب
العزلة فيه أكثر في
الابتداء ولهذا المعنى
حب إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم
الخطوة في أول أمره
وكان يخاف في غار حراء
وتحت الليالي ذوات
السدد وطلب العزلة
لا يسبب وصف كونه
آلها ما لولها وقد غلط
في هذا قوم ظنوا
أن العزلة تسلب هذا
الوصف فتركوا العزلة
طلباً لهذه الفضيلة
وهذا خطأ وسر طلب
العزلة من هذا الوصف
فيه أتم من الأنبياء
ثم الأمثل فالأمثل
ما تسلمنا في أول الباب
إن في الإنسان ميلاً
إلى الجنس بالوصف

إلى أمور آخر كما كانت الشهادة فضيلة بالإضافة إلى مدونها بالإضافة إلى درجة التقين والصديقين فاذن الخوف إن لم يؤثر في العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حره كما لا يوقن أثره في درجات بحسب ظهور أثره فان لم يحمل إلا على العفة وهي الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فاذا أثر الورع فهو أعلى وأقصى درجاته أن يشعر بدجات الصديقين وهو أن يسلب الظاهر والباطن محاسن الله تعالى حتى لا يبقى لتغير الله تعالى فيه متسع فهذا أقصى ما محمد منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا إلى إزالة العقل والصحة فهو مريض يجب علاجه إن قدر عليه ولو كان محمودا لماوجب علاجه بأسباب الرجاء وبغيره حتى يزول ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريدن اللازمين للجوع أياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى ولي نافع العقل .

(بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه)

اعلم أن الخوف لا يتحقق إلا بانتظار مكروه وللكره إيمان يكون مكروها في ذاته كالنار وإيمان يكون مكروها لأنه يقضى إلى الكره كما تكره العاصي لأدائها إلى مكروه في الآخرة كما يكره المريض الفواكه للضرر لأدائها إلى الموت فلا بد لكل خائف من أن يتمثل في نفسه مكروها من أحد القسمين وبقوى انتظاره في قلبه حتى يحرق قلبه بسبب استشعاره ذلك للكره ومقام الخائفين بخلاف فيما يغلب على قلوبهم من الكروهاات المحذورة فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة أو خوف نقص التوبة ونكث العهد أو خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى أو خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالتساود وخوف الليل عن الاستقامة أو خوف اسميلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة أو خوف أن يكلف الله تعالى إلى حسنة التي اتكل عليها وعزز بها في صياد الله أو خوف البطر بكثرة نعم الله عليه أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله أو خوف الاستدراج بتواتر النعم أو خوف انكشاف غوائل طاعاته حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحسب أو خوف تبعات الناس عنده في التوبة والحياة والنفس وإضمار السوء أو خوف مالا يدري أنه يحدث في بقية عمره أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاع قبل الموت أو خوف الاغترار بخلاف الدنيا أو خوف اطلاع الله على سريره في حال غفلته عنه أو خوف الختم له عند الموت بجناية السوء أو خوف السابقة التي سبقت له في الأزل ، فهذه كلها مخاوف الله ربين ولكل واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يقضى إلى الخوف فمن يخاف اسميلاء العادة عليه فيواظب على القطام عن العادة ، والذي يخاف من اطلاع الله تعالى على سريره يشتغل بتطهير قلبه عن الوسواس وهكذا إلى بقية الأقسام وأغلب هذه المخاوف على اليقين خوف . الحاشية فان الأمر فيه خطر وأعلى الأقسام وأدناها على كمال المعرفة خوف السابقة لأن الحاشية تمتع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تخطل أسباب كثيرة فالحاشية تظهر ماسبق به القضاء في أم الكتاب والخائف من الحاشية بالإضافة إلى الخائف من السابقة كرجلين وقع للذك في حقهما بتوقيع يحتمل أن يكون فيه حز الرقبة ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة إليه ولم يصل التوقيع إليهما بعد فيربط قلب أحدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وأنه عما إذا يظهر ويربط قلب الآخر بحالة توقيع للذك وكيفيته وأنه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة أو غضب وهذا الغياب إلى السبب فهو أعلى من الالتفات إلى ما هو فرع فكذلك الالتفات إلى القضاء الأزل الذي جرى بتوقيعه القلم أعلى من الالتفات إلى ما يظهر في الأبد وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان على للنبي قبض كنه النبي ثم قال : « هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ثم قبض كنهه اليسرى

الأعم فلما علم الحذاق ذلك ألهمهم الله تعالى حجة الخلوة والمزلة لتصفية النفس عن الليل بالوصف الأعم لترقى الملمم الدالية عن ميل الطباع إلى تألف الأرواح فإذا وفوا التصفية حقها اشتربت الأرواح إلى جنسها بالتألف الأصلي الأولى وأعادها الله تعالى إلى الخلق ومخالطتهم مصفاة واستنارت النفوس الطاهرة بأنوار الأرواح وظهرت صفة الجيلة من الألفة للكلية آتية مألوفة فصارت النزلة من أهم الأمور عند من

وقد هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزداد فيهم ولا ينقص وليعلم أن أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هم ثم يستقدم الله قبل الموت ولو بغواق ناقة وليعلم أن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بغواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقى بقضاء الله والأعمال الخواص (١) وهذا كاشم الخائفين إلى من يخاف مصيبته وجنائه وإلى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله وأوصافه التي تغشى المية لأحواله فهذا أعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه وإن كان في طاعة الصديقين وأما الآخر فهو في عرصة الفرور والأمن وإن غلب على الطاعات والخوف من المعصية خوف السالحين والخوف من الله خوف للوحدين والصديقين وهو عمدة المعرفة بالله تعالى وكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بأن يخاف من غير جنابة بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف مصيبته ولولا أنه يخوف في نفسه لما سخره للمصير له سبيلها ومهد له أسبابها فان تيسر أسباب المعصية لإعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها أن يسخر للمعصية وتجربى عليه أسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توصل بها من سرت له الطاعات ومهد له سبيل القربات فالعاصي قد قضى عليه بالمعصية شاء أم أبى وكذا للطبيع الذي رفع محمدا صلى الله عليه وسلم إلى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ويضع أبا جهل في أسفل سافلين من غير جنابة سبقت منه قبل وجوده جدير بأن يخاف من لصفة جلالة فان من أطاع الله أطاع بأن سلط عليه إرادة الطاعة وآتاه القدرة وسد خلق الإرادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى عصى لأنه سلط عليه إرادة قوية جازمة وآتاه الأسباب والقدرة فكان الفعل بعد الإرادة والقدرة ضروريا فليت شعري ما الذي أوجب إكرام هذا وتخصيصه بتسليط إرادة الطاعات عليه وما الذي أوجب إهانته الآخر وإبعاده بتسليط دواعي المعصية عليه وكيف حال ذلك على العبد وإذا كانت الحوالة ترجع إلى القضاء الأزلي من غير جنابة ولا وسيلة فالخوف بمن يقضى بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل ووراء هذا الذي سر القدر الذي لا يجوز إفتاؤه ولا يمكن تفهم الخوف منه في صفاته جل جلاله إلا بمثال لولا إذن الشرع لم يستجريء على ذكره ذو بصيرة فوجدناه في الخبر « إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يادأود خفي كما تخاف السبع الضاري (٢) » فهذا المثال يفهمك حاصله وإن كان لا يقف بك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك إلا لأهله . والحاصل أن السبع يخاف لا لجناية سبقت إليه منك بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيئته ولأنه يفعل ما يفضل ولا يبالي فان قتلك لم يرق قلبه ولا يتألم بقتلك وإن خلاك لم يهلك شفقة عليك وإبقاء على روحك بل أنت عنده أخس من أن يلتفت إليك حيا كنت أو ميتا بل إهلاك ألف مثلك وإهلاك ثمة عنده على وتيرة واحدة إذ لا يفتح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته وقه للتل الأعلى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوثق وأجلى من للمشاهدة الظاهرة أنه صادق في قوله « هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي » هؤلاء إلى النار ولا أبالي » وكيفك من موجبات المية والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم البالاة.

(١) حديث هذا كتاب من الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن الناص وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث إن الله تعالى أوحى إلى داود يادأود خفي كما تخاف السبع الضاري لم أجده أصلا ولعل للصفق قصد بارأده أنعم الامراتيات فانه عبر عنه بقوله جاء في الخبر وكثيرا ما عبر بذلك عن الامراتيات التي هي غير مرفوعة .

بأنف فزؤائف ومن أدل الدليل على أن الذي اعززل ألف مألوف حتى يذهب الغاظ عن الذي غلط في ذلك وذم المزة على الاطلاق من غير علم بحقيقة الصعبة وحقيقة المزة فصار المزة مرغوبا فيها في وقتها والصعبة مرغوبا فيها في وقتها قال محمد بن الحنفية رحمه الله ليس بحكيم من لم يتأخر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حق يجعل الله له منه فرجا . وكان بشر بن الحرث يقول إذ قصر العبد في طاعة الله سلبه الله تعالى من يؤنس فلا ينس يهيمه الله

الطبقة الثانية من الخائفين : أن يتمثل في أنفسهم ماهو المكروه وذلك مثل سركرات اللوت وسدته
أوسؤال منكر ونكير أو عذاب القبر أو هول اللطاع أو هيبه للوقف بين يدي الله تعالى والحياة من
كشف السر والسؤال عن التقير والتعظيم أو الخوف من الصراط وحدته وكيفية البور عليه
أو الخوف من النار وأغلالها وأهوالها أو الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك للقيم
وعن نقصان الدرجات أو الخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الأسباب مكروهة في نفسها
فهى لاحالة محوقة وتختلف أحوال الخائفين فيها وأعلاها رتبة هو خوف القراق والحجاب عن الله
تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العاملين والصالحين والزاهدين وكافة العالمين ومن
لم تكمل معرفته ولم تفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بألم البعد والقراق وإذا ذكر له أن
العارف لا يخاف النار وإنما يخاف الحجاب وجد ذلك في باطنه منكرا وتعجب منه في نفسه وربما
أنكر لذة النظر إلى وجهه الكريم لولامع الشمع إياه من إنكاره فيكون اعترافه به باللسان
عن ضرورة التقليد والإفراط لا يصدق به لأنه لا يسرف إلا لذة البطن والفرج والعين بالنظر
إلى الألوان والوجوه الحسن وبالجلة كل لذة تشاركه فيها البهائم فأماللة العارفين فلا يدركها غيرهم
وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس أهله ومن كان أهله استبصر بنفسه واستغنى عن أن
يشرحه له غيره فإلى هذه الأنعام يرجع خوف الخائفين نسأل الله تعالى حسن التوفيق بكرمه .

(بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه)

اعلم أن فضل الخوف تارة يسرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والأخبار . أما الاعتبار فبسيلة أن
فضيلة الشيء بقدر غناؤه في الإفضاء إلى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة إذ لا مقصود سوى السعادة
وللا سعادة للعبد إلا لقاء مولاه والقرب منه فكل ما أطاق عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر غنايته وقد
ظهر أنه لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا ولا يحصل
المحبة إلا بالمعرفة ولا يحصل المعرفة إلا بدوام الفكر ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر
ولا تيسر للواظبة على الذكر والفكر إلا بإتباع طاع حب الدنيا من القلب ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذات
الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك للشهيات إلا بجمع الشهوات ولا تنقطع الشهوة بشئ كما تنقطع نار
الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فإن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكف
عن للماصى ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون
الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهى الأعمال الفاضلة المحموده التي
تقرب إلى الله زلفى . وأما بطريق الاقتباس من الآيات والأخبار فساورد في فضيلة الخوف خارج
عن الحصر وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهى
جوامع مقامات أهل الجنان قال الله تعالى - وهدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون - وقال تعالى
- إنما يخشى الله من عباده العلماء - وصفهم بالعلم لحشيتهم وقال عز وجل - رضى الله عنهم
ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه - وكل مادل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لأن الخوف
ثمرة العلم ولذلك جاء في خبر موسى عليه أفضل الصلاة والسلام وأما الخائفون فإن لهم الرفيق
الأعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف أفردهم بمرافقة الرفيق الأعلى وذلك لأنهم العلماء والعلماء لهم
رتبة مرافقة الأنبياء لأنهم ورثة الأنبياء ومرافقة الرفيق الأعلى للأنبياء ومن يلحق بهم ولذلك
لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله

لصادقين رقفا من الله
تعالى وثوابا للعبد
معبولا والأنيس قد
يكون مفيدا للمشايخ
وقد يكون مستفيدا
كالمريدين فصحيح
الخلوة والعزلة لا يترك
من غير أنيس فإن
كان قاصرا يؤنس الله
بمن يتم حاله به وإن
كان غير ذمير يقضى
الله تعالى له من يؤنس
من المرادين وهذا
الأنس ليس فيه ميل
بالوصف الأعظم بل هو
بالله ومن الله وفى الله.
وروى عبد الله بن
مسعود عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
« المتحابون في الله على
عمود من ياقوته حمراء
فراش العود سبعون

تعالى كان يقول أسألك الرقيق الأعلى^(١) « فاذن إن نظر إلى مثمره فهو العلم وإن نظر إلى ثمرته فالورع والتقوى ولا يخفى ماورد في فضائلهما حتى إن العاقبة صارت وسومة بالتقوى مخصوصة بها كما صار الحمد مخصوصاً بالله تعالى والصلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للتقوى والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله أجمعين وقد خصص الله تعالى التقوى بالإضافة إلى نفسه فقال تعالى - لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم - وإنما التقوى عبارة عن كسب عقنقى الخوف كما سبق وذلك قال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - ولذلك أوصى الله تعالى الأولين والآخرين بالتقوى فقال تعالى - ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله - وقال عز وجل - وخافون إن كنتم مؤمنين - فأمر بالخوف وأوجبه وشرطه في الإيمان فلذلك لا يتصور أن يتفك مؤمن عن خوف وإن ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضيلة التقوى « إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم فإدام بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أذانهم فيقول - يا أيها الناس إني قد أنصت لكم منذ خلقتمكم إلى يومكم هذا فأنصتوا إلى اليوم إنما هي أعمالكم ترد عليكم - أيها الناس إني قد جعلت نسباً جعلتم نسباً فوضعتهم في يومهم نسبكم - قلت - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وإيتهم إلا أن تقولوا فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان فالقوم أضاع نسبكم وأرفع نسبي أبن للتقوى فيرفع القوم لواء فيتبع القوم لواءهم إلى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب^(٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « رأس الحكمة مخافة الله^(٣) » وقال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود « إن أردت أن تلقاني فأكثر من الخوف بدي^(٤) » وقال الفضيل : من خاف الله دله الخوف على كل خير . وقال الشبلي رحمه الله : ما خفت الله يوماً إلا رأيت له باباً من الحكمة والعبرة مارأيت قط . وقال يحيى بن معاذ : ما من مؤمن يعمل شيئاً إلا يولجها حسنات خوف العقاب ورجاء العفو كمثل بياض أسدين . وفي خبر موسى عليه الصلاة والسلام وأما الورع عن فاته لا يلقى أحد إلا ناقشته الحساب وقد تمت عما في يديه إلا الورع عن فاته أستحي منهم وأجلهم أن أوقفهم للحساب والورع والتقوى أسام اشتقت من معان شرطها الخوف فإن خلت عن الخوف لم تسم بهذا الاسم وكذلك ماورد في فضائل الذكر لا يخفى وقد جعله الله تعالى مخصوصاً بالخاصين فقال - سيذكرهم - ضحى - وقال تعالى - ولن يخاف مقار ربه جنتان - وقال صلى الله عليه وسلم « قال عز وجل وعزني

ألف غرة مشرفون على أهل الجنة ضحى . حسنتهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى المتعدين في الله عز وجل فإذا أشرفوا عليهم أضاء حسنتهم لأهل الجنة كأنضى الشمس لأهل الدنيا عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم هؤلاء المتجاوبون في الله عز وجل » وقال أبو إدريس الخولاني لما دلى إني أحبك في الله فقال له أشر ثم أشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطافة من الناس كراسي حول

- (١) حديث لما خفي في مرض موته كان يقول أسألك الرقيق الأعلى متفق عليه من حديث عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح إنه لم يقبض في حق يرى مقدمه من الجنة ثم غير فلما نزل به ورأسه في حجره غشى عليه ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال اللهم الرقيق الأعلى فقلت أنه لا يختارنا وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح الحديث (٢) حديث إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمعه أقصاهم كما يسمعه أذانهم فيقول يا أيها الناس إني قد أنصت إليكم منذ خلقتمكم إلى يومكم هذا فأنصتوا إلى اليوم إنما هي أعمالكم ترد عليكم أيها الناس إني جعلت نسباً الحديث الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرک بسند ضعيف والشمس في التفسير مقتصر على آخره إني جعلت نسباً الحديث من حديث أبي هريرة (٣) حديث رأس الحكمة مخافة الله أبو بكر بن لال الفقيه في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب وضعفه من حديث ابن مسعود ورواه في دلائل النبوة من حديث عقبة بن عامر ولا يصلح أيضاً (٤) حديث إن أردت أن تلقاني فأكثر من الخوف بدي قاله لابن مسعود لم أقف له على أصل.

لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين فإن أمنى في الدنيا أخضته يوم القيامة وإن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « من خاف الله تعالى خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء (٢) » وقال عليه السلام « آمنكم عقلا أشدكم خوفا لله تعالى وأحسنكم فيها أمر الله تعالى به ونهى عنه نظرا (٣) » وقال يحيى بن معاذ رحمه الله عليه مسكين ابن آدم لو خاف الباركة خاف الفقر دخل الجنة . وقال ذو النون رحمه الله تعالى من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد حببوا صرح له به . وقال ذو النون أيضا ينبغي أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء فإذا غلب الرجاء تشوش القلب . وكان أبو الحسين الضرير يقول : علامة السعادة خوف الشقاوة لأن الخوف زمام بين الله تعالى وبين عباده فإذا قطع زمامه هلك مع المالكين . وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الخلق غدا فقال أشدتم خوفا اليوم . وقال سهل رحمه الله لا تحب الخوف حتى تأكل الحلال . وقيل للحسن يا أبا سعيد كيف تصنع تجالس أقواما يخوفوننا حتى نكاد قلوبنا تطير فقال والله إنك إن تخالط أقواما يخوفونك حتى يدركك أمن خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى يدركك الخوف . وقال أبو سليمان النخعي رحمه الله ما قرأ في الخوف قلبا إلا خرب وقالت عائشة رضي الله عنها « قلت يارسول الله - الذين يؤتون ما آتوا قلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويؤذي قال لا ، بل الرجل يصوم وصلى ويتصدق ويخاف أن لا يقبله الله (٤) » والتقى بدات الواردة في الأمن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لأن مذمة الشيء ثناء على ضده الذي ينفيه وعند الخوف الأمن كما أن ضد الرجاء اليأس وكذا لذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك تدل مذمة الأمن على فضيلة الخوف للضاد له بل نقول كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لأنهما متلازمان فإن كل من رجا محبوبا فلا بد وأن يخاف فوته فإن كان لا يخاف فوته فهو إذا لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وجامعاهما يجوز أن يشتغل القلب بأحدهما ولا يلتفت إلى الآخر في الحال لفتلته عنه وهذا لأن من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه إذ العلوم لا يرجى ولا يخاف فاذن المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف والتقديران يتبادلان لا محالة إذا كان ذلك الأمر للنتظر مشكوكا فيه نعم أحد طرفي الشك قد يرجع على الآخر بحضور بعض الأسباب ويسمى ذلك غنا فيكون ذلك سبب غلبة أحدهما على الآخر فإذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجاء وخفي الخوف بالإضافة إليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال تعالى - ويدعوننا رغبا ورهبا - وقال عز وجل - يدعون ربهم خوفا وطعما - ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء فقال تعالى - مآلهم لآرجون لله وقارا - أي لا تخافون وكثير ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى

(١) حديث لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين ابن حبان في صحيحه والبيهقي في الشعبين حديث أبي هريرة ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية الحسن مرسل (٢) حديث من خاف الله خافه كل شيء الحديث أبو الشيخ ابن حبان في كتاب التوابين حديث أبي أمامة بسند ضعيف جدا ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين بإسناد ضعيف ومفضل وقد تقدم (٣) حديث آمنكم عقلا أشدكم لله خوفا الحديث لم أتف له على أصل ولم يصح في فضل العقل شيء (٤) حديث عائشة قلت يارسول الله - الذين يؤتون ما آتوا قلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويؤذي قال لا ، الحديث الترمذي وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد . قلت بل منقطع بين ما شقويين عبد الرحمن بن سعد بن وهب قال الترمذي وروى عن عبد الرحمن بن سعد عن أبي حازم عن أبي هريرة .

العرش يوم القيامة
وجوههم كالقمر ليلة
البدر يفرح الناس
ولا يغزعون ويخاف
الناس ولا يخافون وهم
أولياء الله الذين لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون
قبيل من هؤلاء
يارسول الله ! قال
التعابون في الله عز
وجل . وروى عبادة
ابن الصامت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال « يقول الله عز وجل
حقن عيني للمتجابين
في اللزاورين في
والتبازلين في
والتصادقين في »
أخبرنا الشيخ
أبو الفتح محمد بن
عبد الباقي بإجازة قال
أنا أحمد بن الحسين

الخوف وذلك لتلازمهما إذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلازمه بل أقول كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو إظهار لفضيلة الخشية فإن البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقال تعالى - يبكون ويؤذيهم خضوعا وقال عز وجل سأقن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم حامدون - وقال عليه السلام « ما من عبد مؤمن يخرج من عينه دمة وإن كانت مثل رأس الدباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئا من حروجه إلا حرمه الله على النار ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أقتصر قلب المؤمن من خشية الله فحانت عنه خطايه كما يتحات من الشجرة ورقها ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يلبغ النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود الالين في الفروع ^(٣) » وقال عقبة بن عامر « ما النجاة يارسول الله قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك ^(٤) » وذلت عائشة رضى الله عنها « قلت يارسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه بكى ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دم من خشية الله تعالى أو قطرة دم أهرقت في سبيل الله سبحانه وتعالى ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم ارزقني عينين هطاليتين تشفيان ^[١] » بذروف الدمع قبل أن تصير الدموع دما والأخراس جمر ^(٧) » وقال عليه السلام « سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ^(٨) » وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنهما من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليبتك . وكان محمد بن النكدر رحمه الله إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول : بلغني أن النار لا تأكل موضع استمسكته الدموع . وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أبكوا فإن لم تبكوا فتبكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم كره حتى ينقطع صوته وصل حتى ينكسر صلبه وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله ما تغررت عين بماء إلا أريق وجه صاحبه اقترولا ذلة

ابن خيرون قال أنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الله الهاملي قال أنا أبو القاسم عمر بن جعفر ابن محمد بن سلام قال أنا أبو اسحق إبراهيم بن اسحق الحري قال حدثنا حماد عن يحيى ابن سعيد عن سعيد ابن السيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة والصدقة قالوا وما هو قال إصلاح ذات البين وإياكم والبغضة فإنها هي الخالقة » وبإسناد إبراهيم الحري عن عبيد الله بن عمر عن أبي أسامة عن عبد الله ابن الوليد عن عمران ابن رباح قال سمعت

(١) حديث ما من مؤمن يخرج من عينه دمة وإن كانت مثل رأس الدباب الحديث الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث إذا أقتصر جلد المؤمن من خشية الله فحانت عنه ذنوبه الحديث الطبراني والبيهقي فيه من حديث العباس بسند ضعيف (٣) حديث لا يلبغ النار عبد بكى من خشية الله الحديث الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة (٤) حديث قال عقبة بن عامر ما النجاة يارسول الله قال أمسك عليك لسانك الحديث تقدم (٥) حديث عائشة قلت يدخل الجنة أحد من أمتك بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه بكى لم أنف له على أصل (٦) حديث ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دمة من خشية الله الحديث الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن غريب وقد تقدم (٧) حديث اللهم ارزقني عينين هطاليتين تشفيان بذروف الدمع الحديث الطبراني في الكبير وفي الأعمش وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بإسناد حسن ورواه الحسين الروزي في زيادته في الوحد والرقائق لابن المبارك من رواية سالم بن عبد الله مرسل دون ذكر الله وذكر النار قطعي في الملل أن من قال فيه عن أبيه وهم إنما هو عن سالم بن عبد الله مرسل قال وسالم هذا يشبه أن يكون سالم بن عبد الله الحارثي وليس يابن عمر انتهى وما ذكره من أنه سالم الحارثي هو الذي يدل عليه كلام البخاري في التاريخ ومسلم في السنن وابن أبي حاتم عن أيوب بن أحمد الحارثي أن الرواية له عن سالم بن عبد الله أبو سلمة وإنما ذكرها له رواية عن سالم الحارثي والله أعلم، نعم حكى ابن عساكر في تاريخه الخلاف في أن الذي يروي عن سالم الحارثي أو سالم بن عبد الله بن عمر (٨) حديث سبعة يظلهم الله في ظله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

[١] قوله تشفيان بذروف الدمع الصغير تشفيان القلب بذروف الدمع من خشيتك الله .

يوم القيامة فإن سالت دموعه ألقاً الله بأول قطرة منها بحراً من التيران ولو أن رجلاً بيكى في أمة ما عذبت تلك الأمة . وقال أبو سليمان البكاء من الخوف والرجاء والطرب من الشوق . وقال كعب الأبحار رضى الله عنه والذي نفسى بيده لأن أبكى من خشية الله حتى تسيل دموعه على وجنتي أحب إلى من أن أتصدق بجبل من ذهب . وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لأن أدمع دموعاً من خشية الله أحب إلى من أن أتصدق بألف دينار . وروى عن حنظلة قال « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أننا فرجعت إلى أهلي فندت في المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت في نفسي قد ناقشت حيث تحولت على ما كنت به من الخوف والركة فخرجت وجلت أنأدى نافع حنظلة فاستقبلني أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقال كلاماً يوافق حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول نافع حنظلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلاماً يوافق حنظلة فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة رجأت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أننا فرجعت إلى أهلي فأخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه فقال صلى الله عليه وسلم يا حنظلة لو أنكم كنتم أبداً على تلك الحالة لصالحكم للملازمة في الطرق وعلى فراشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة (١) فاذن كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومدة الأمن فهو دلالة على فضل الخوف لأن جملة ذلك متعلقة به إما للسبب أو لتعلق السبب .

(بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدلهما)

اعلم أن الأخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر إليها فيترعبك في أن الأفضل أهما وقول القائل الخوف أفضل أم الرجاء سؤال فاسد يضاهي قول القائل الخبز أفضل أم اللحم والجواب أن يقال الخبز أفضل للجامع ولأنه أفضل للعطشان فإن اجتماعه نظر إلى الأغلب فإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل وإن كان العطش أغلب فاللحم أفضل وإن استويا فهما متساويان وهذا لأن كل ما يراد لمقصود فضله يظهر بالإضافة إلى مقصوده لا إلى نفسه والخوف والرجاء دوا أن يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الدواء الموجود فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى والاعتراض به فالخوف أفضل وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل وكذلك إن كان الغالب على العبد العسية فالخوف أفضل ويجوز أن يقال مطلقاً الخوف أفضل على التاويل الذي يقال فيه الخبز أفضل من السكتنجين إذ يبالغ بالخبز مرض الجوع والسكتنجين مرض الصفراء ومرض الجوع أغلب وأكثر فالخارجة إلى الخبز أكثر فهو أفضل فهذا الاعتبار غلبة الخوف أفضل لأن المعاصي والاعتراض على الخلق أغلب وإن نظر إلى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل لأنه مستغنى عن بحر الرحمة ومستغنى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضى اللطف والرحمة كانت المحبة عليه أغلب وليس وراء المحبة مقام . وأما الخوف فستنده الانكفات إلى الصفات التي تقتضى العنف فلا يمازجه المحبة بمازجها للرجاء . وعلى الجملة فإيراد لغيره ينبغي أن يستعمل فيه لفظ الأصلح لالفظ الأفضل فنقول : أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء وذلك لأجل غلبة المعاصي . فأما التثنية التي ترك ظاهر الآم وباطنه وخفيه وجليه فالأصلح أن يتبدل خوفه ورجاؤه وتلك

(١) حديث حنظلة كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا الحديث وفيه نافع حنظلة الحديث وفيه ولكن يا حنظلة ساعة وساعة مسلم مختصراً .

أما مسلم يقول سمعت
أبا هريرة يقول أخبر
في الخبر تحذير عن
البغضة وهو أن يخفو
المختل الناس مقتنا لهم
وسوء ظن بهم وهذا
خطأ وإنما يريد أن
يغلو مقتنا نفسه
وعلمنا بما في نفسه من
الآفات وحسدنا على
نفسه من نفسه وعلى
الخلق أن يعود عليهم
من شره فإن كانت
خلوته بهذا الوصف
لا يدخل تحت هذا
الوعيد والاشارة
بالحالفة يعني أن البغضة
حالة للدين لأنه نظر
إلى المؤمنين والمسلمين
بين القتل . وأخبرنا
الشيخ أبو القاسم
بأسناده إلى إبراهيم

قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا وروى أن علياً كرم الله وجهه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفاً ترى أنك لو أتيت به سجنات أهل الأرض لم يتقبلها منك وأرج الله رجاءاً ترى أنك لو أتيت به سجنات أهل الأرض غفرها لك ولذلك قال عمر رضي الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً لحشيت أن أكون أنا ذلك الرجل وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يستوى خوفه ورجاؤه فأما العاصي إذا ظن أنه الرجل الذي استسقى من القدين أمره بالدخول النار كان ذلك دليلاً على اغتراره . فإن قلت مثل عمر رضي الله عنه لا ينبغي أن يتساوى خوفه ورجاؤه بل ينبغي أن يغلب رجاءه كما سبق في أول كتاب الرجاء وأن قوته ينبغي أن تكون بحسب قوة أسبابه كما مثل بالزرع والبذر ومعلوم أن من بث البذر الصحيح في أرض تربة وواظب على تهذيبها وجاء به شروط الزراعة جميعها غلب على قلبه رجاء الإدراك ولم يكن خوفه مساوياً لرجائه فهكذا ينبغي أن تكون أحوال للتقين . فاعلم أن من يأخذ للعارف من الألفاظ والأمثلة بكثر زله وذلك وإن أوردناه مثلاً فلا يفسد بضاهي ما نحن فيه من كل وجه لأن سبب غلبة الرجاء العلم بالحاصل بالتجربة إذ علم بالتجربة صحة الأرض وقاؤها وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق للهلكة في تلك البقاع وغيرها وانما مثل مسألتنا بذر لم يجرب جسده وقد بث في أرض غريبة لم يعدها الزارع ولم يجربها وهي في بلاد ليس يدري أتكثر الصواعق فيها أم لا لئلا هذا الزارع وإن أدى كنه مجهوده وجاء بكل مقدورة فلا يغلب رجاءه على خوفه والبذر في مسألتنا هو الإيمان وشروط صحته دقيقة والأرض القلب وخفاياخته وصفاته من الشرك الخفي والتفاني والرياء وخفايا الأخلاق فيه غامضة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب إليها في مستقبل الزمان وإن سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة إذ قد يمرض من الأسباب ما لا يطابق محالته ولم يجرب مثله أو أحوال السكرات للوبت وانضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لم يجرب مثله ثم الحصاد والإدراك عند التصرف من القيامة إلى الجنة وذلك لم يجرب فمن عرف حقائق هذه الأمور فإن كان ضيف القلب جباناً في نفسه غلب خوفه على رجائه للاحتمال كما سيحكي في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين وإن كان قوي القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فأما أن يغلب رجاءه فلا وقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة رضي الله عنه أنه هل يعرف به من آثار التفاني شيئاً إذا كان قد خصه رسول الله ﷺ يعلم للناقين (١) فمن ذا الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا التفاني والشرك الخفي وإن اعتقد قهراً قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بتبليس حاله عليه وإخفاء عيه عنه وإن وثق به فمن أين يثق بيقينه على ذلك إلى تمام حسن الحاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شهر (٢)» ، وفي رواية «لإقدر فواق

الحرق قال حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا أبو عاصم عن ثور عن خالد بن معدان قال إن الله تعالى ملكاً لصفه من نار ونصفه من ثلج وإن من دعاها اللهم فكأ ألفت بين هذا الثلج وهذه النار فلا الثلج يطفي النار ولا النار تذيب الثلج ألفت بين قلوب عبادك الصالحين وصكيف لاتألف قلوب الصالحين وقد وجدتم رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت العزيم يقاب فوسين في وقت لايسته فيه شيء لطف حال الصالحين وجدتم في ذلك المقام العزيز

- (١) حديث إن حذيفة كان خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم للناقين مسلم من حديث حذيفة في أمهات اثنا عشر مناقباً تمامه لا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجمل في سم الحياض الحديث (٢) حديث إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شهر وفي رواية لإقدر فواق ثاقاة الحديث مسلم من حديث أبي هريرة إن الرجل ليعمل أتم من الطويل بعمل أهل الجنة ثم يحتم له بعمل أهل النار والبر والطيبة في الأوسط مبعين سنة وإسناده حسن وللشيخين في أثناء حديث لابن مسعود إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع الحديث

نافة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعدل أهل النار وقد فراق النافقة لا يحتمل عملا بالجوارح إنعاهو
 بمقدار خاطر ينجح في الغالب عند اللوث فيقتضي غائمة السوء فكيف يؤمن ذلك فاذن أقمى غايات
 المؤمن أن يتبدل خوفه ورجاؤه وغلبة الرجاء في غالب الناس تكون مستندة للاغترار وقلعة للفرقة لذلك
 جمع الله تعالى بينهما في وصف من أئتم عليهم فقال تعالى - يدعو نرجهم خوفا وطعما قال عز وجل
 - ويدعوننا رغبا ورهبا - وأين مثل صمري الله عنه فالخلق الموجودون في هذا الزمان كلهم الأصلح
 لهم غلبة الخوف بشرط أن لا يجرهم إلى اليأس وترك العمل وقطع الطمع من الفترة فيكون ذلك سببا
 للتكاسل عن العمل وداعيا إلى الانهماك في المعاصي فان ذلك قنوط وليس يخوف إنعاه الخوف هو الذي
 يحث على العمل ويذكر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا ويدعوه إلى التجاني عن
 دار النور فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكسب والحث ودون اليأس للوجوب
 للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله تعالى بمحض الخوف غرق في بحار الأفكار ومن عبده بمحض
 الرجاء تاه في مفاضة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في حجة الاذكار - وقال مكحول
 الدمشقي من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء فهو مرجي ومن عبده بالهبة فهو زنديق
 ومن عبده بالخوف والرجاء والهبة فهو موحد فاذن لابد من الجمع بين هذه الأمور وغلبة الخوف هو
 الأصلح ولكن قبل الاشراف على اللوث أما عند اللوث فالأصلح غلبة الرجاء وحسن الظن لأن الخوف
 جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضت وقت العمل فالشرف على اللوث لا يقدر على العمل ثم
 لا يطبق أسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تمجيد موته وأما روح الرجاء فانه يتقوى
 قلبه ويحبب إليه ربه الذي إليه رجاءه ولا ينبغي أن يفارق أحد الدنيا إلا بحالة تعالى ليكون عبدا للقاء
 الله تعالى فان من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه والرجاء تارة لهبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب
 وللقيود من العلوم والأعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تتم للرفة لهبة فان الصبر إلى القيود بالوئ
 عليه ومن قسم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محبته وعذابه فهما
 كان القلب الغالب عليه عند اللوث حب الأهل والولد واللسان والسكن والقرار والرفاء والأصحاب
 فهذا رجل محاببه كلها في الدنيا فالدنيا جنته إذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فموتة خروج
 من الجنة وحياولة بينه وبين ما يشتهيه ولا ينبغي حال من يحال بينه وبين ما يشتهيه فاذا لم يكن له محبوب
 سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفة والفكر فيه والدنيا وعلاقتها شاغلة عن المحبوب فالدنيا إذ
 سجنه لأن السجن عبارة عن البقعة للساعة للمحبوس عن الاسترواح إلى محابه فموتة تقدم على محبوه
 وخلاص من السجن ولا ينبغي حال من أفلت من السجن وحنى بينه وبين محبوه بلامانع ولا مكدر
 فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والمقاب فضلا عما أعده الله لعباده
 الصالحين مما لم تره عين ولم تسمع أذن ولا خطر على قلب بشر وفضلا عما أعده الله تعالى للذين استجابوا
 الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها وأطعوا إليها من الأنكال والاسلاسل والأغلال وضروب الحزنى
 والنكال ففساد الله تعالى أن يتوفانا مسلمين ويلبستنا بالصالحين ولا مطمع في إجابة هذا الدعاء إلا
 باكتساب حب الله تعالى ولا سبيل إليه إلا باخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى
 الله تعالى من جاء ومال ووطن فالأولى أن تدعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم إذ قال «اللهم ارزقني
 حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد» (١) والقرص

وقال السلام علينا
 وعلى عباد الله الصالحين
 فهم مجتمعون وإن
 كانوا متفرقين
 وصحبهم لازمة
 وعزيمتهم في التواصل
 في الدنيا والآخرة
 جازمة - وعن صبر بن
 الخطاب رضى الله عنه
 لو أن رجلا صام النهار
 وقام الليل وتصدق
 وجاهد ولم يحب في
 الله ولم يرض فيه
 ما فقه ذلك - أخبرنا
 رضى الدين أحمد بن
 اسمعيل بن يوسف
 إجازة إن لم يكن مباحا
 قال أنا أبو الطغر عن
 والده أبي القاسم
 التبريزي قال سمعت
 أبا عبد الرحمن السلمي
 يقول سمعت عبد الله

ليس فيه تقدير زمن العمل بخمسين سنة ولا ذكر شر ولا فواق ناقة (١) حديث اللهم ارزقني
 حبك وحب من أحبك الحديث الترمذي من حديث معاذ وتقدم في الأذكار والدعوات .

أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لأنه أجلب للمعجزة وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لأنه أحرق لآثار الشهوات وألحق لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك قال عليه السلام « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه » (١) وقال تعالى « أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء » ولما حضرت سليمان التيمي الوفاة قل لا يتهيبني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى ألقى الله على حسن الظن به وكذلك لما حضرت الثوري الوفاة واشتد جزع جمع العلماء حوله يرجونه وقال أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه لا يته عند الموت أذكر لي الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن وللقصود من ذلك كله أن يحبب الله تعالى إلى نفسه ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام أن حببني إلى عبادي فقال سبحانه قال بأن تذكر لهم الآلاتي ونعماني فاذن غاية السعادة أن يموت عبدا لله تعالى وإعنا تحصل المحبة بالمعرفة وبإخراج حب الدنيا من القلب حتى يصير الدنيا كلها كالسجن للنافع من المحبوب ولذلك رأى بعض الصالحين أن سليمان الداراني في المنام وهو يطير فساءله فقال الآن أفلت فلما أصبح سأل عن حاله فقيل له إنه مات البارحة.

(بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف)

اعلم أن ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا القرض لأن الصبر لا يمكن إلا بعد حصول الخوف والرجاء لأن أول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء بالجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر فإن الجنة قد حفت بالأكار فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قهرها إلا بقوة الخوف ولذلك قل على كرم الله وجهه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المفريات ثم يؤدي مقام الصبر المتفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى والفكر فيه على الدوام ويؤدي دوام الذكر إلى الأُنس ودوام الفكر إلى كمال المعرفة ويؤدي كمال المعرفة إلى الأُنس إلى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين وليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد طاهرا وباطنا ولا مقام بعد المجاهدة من فتح له الطريق إلا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة إلا المحبة والأُنس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بنياته وهو التوكل فاذن فهاذا كرمنا في علاج الصبر كفاية ولكننا نرى الخوف بكلام جمى فنقول : الخوف يحصل بطريقتين مختلفتين أحدهما أعلى من الآخر، ومثاله أن الصبي إذا كان في بيت قد دخل عليه صبيح أو حية ربما كان لا يخاف وربما بدأ اليد إلى الحية ليأخذها ويلب بها ولكن إذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها فإذا نظر الصبي إلى أبيه وهو يرتعد من الصبر ومثاله إذا كان في الحرب منها قام معه وغلب عليه الخوف وواقفه في الحرب غوف الأب عن بصيرته ومعرفة بصفة الحية ومحميا وخاصيتها وسلطة السبع ويطشه وقلة مبالاته . وأما خوف الابن فإيمانه بمجرد التقيد لأنه يحسن الظن بأبيه ويعلم أنه لا يخاف إلا من سبب خوف في نفسه فيعلم أن السبع يخوف ولا يعرف وجهه وإذا عرفت هذا المثال فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين أحدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه فأما الخوف منه فهو خوف اللطام وأرباب القلوب السارفين من صفاته ما يقتضي المحبة والخوف والحذر المطلقين على سر قوله تعالى - ويحذركم الله نفسه - وقوله عز وجل - اتقوا الله حق تقاته وأما الأول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار وكونهما جزاء من على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الفتنه وسبب ضعف الإيمان وإعنا نزول الفتنة بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر في أهوال

ابن العسلم يقول سمعت أبا بصير التميمي يقول سمعنا مع الله فان لم تطيقوا فاصبروا مع من يصحب مع الله توصلكم بركة صحتهم إلى صفة الله وأخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إجازة قال أنا سمع ابن أحمد الصغار التيسابوري إجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلي قال سمعت أبا نصر الأصفهاني يقول سمعت أبا جعفر الحداد يقول سمعت علي بن سهل يقول : الأُنس بالله تعالى أن تستوحش من الخلق إلا من أهل

(١) حديث لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه مسلم من حديث جابر وقد تقدم .

يوم اقامة وأصناف العذاب في الآخرة وتزول أيضا بالنظر إلى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم فان قامت للمشاهدة فالسجاع لا يخلو عن تأثير وأما الثاني وهو الأمل فان يكون الله هو الخوف أعني أن يخاف العبد الحجاب عنه ويرجو القرب منه . قال ذو النون رحمه الله تعالى خوف النار عند خوف القراق كقطرة قطرت في بحر طلي وهذه خشية العلماء حيث قال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - ولعموم المؤمنين أيضا حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد يضاهي خوف الصبي من الحية تقليدا لآبيه وذلك لا يستند إلى بصيرة فلا يجزم بضعف ويؤول على قرب حتى إن الصبي ربما يرى العزيم يتم على أخذ الحية فينظر إليه ويترهب فيتنجر إلى أخذها تقليدا له كما احتزم من أخذها تقليدا لآبيه والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب إلا إذا قويت بمشاهدة أسبابها للؤكدتها لها على الدوام وبالملاحظة على مقتضاها في تسخير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فاذن من ارتقى إلى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف كما أن من عرف السبع ورأى نفسه واقفا في محالته لاجتناج إلى علاج لجلب الخوف إلى قلبه بل يخافه بالضرورة هاء أم إلى وذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام خفي كما تخاف السبع الضاري ولا حيلة لجلب في الخوف من السبع الضاري إلا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في محالته فلا يحتاج إلى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى عرف أنه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا يخاف قُرب اللاتكة من غير وسيلة سابقة وأبعد إبليس من غير جريمة سالفة بل صفة ما ترجمه قوله تعالى هؤلاء في الجنة ولا يبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي وإن خطر ببالك أنه لا يعاقب إلا على معصية ولا يثيب إلا على طاعة فتأمل أنه لم يعد للطبع أسباب الطاعة حتى يطيع هاء أم أي ولم يعد المعاصي بدواعي المعصية حتى يعصى هاء أم أي فانه من مخلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بها بالضرورة فان كان أبعد لأنه عصاه فلم حمله على المعصية هل ذلك لمعصية محاجة حتى يتسلسل إلى غير نهاية أو يقف لعمالة على أول لاعتلة من جهة العبد بل قضى عليه في الأزل وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم إذ قال واحتج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام عند ربهما فحج آدم موسى عليه السلام قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيده وشفع فيك من روحه وأسجدك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبطت الناس بمخطئتك إلى الأرض فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسائه وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبين كل شيء وقربك نبيافبك وحدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال آتوا مني على أن عمات عملا كتبه الله عليّ قبل أن أعمله وقبل أن يخلقني بأربعين سنة قال صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى (١) فمن عرف السبب في هذا الأمر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص البارفين للطلعين على سر القدرين مع هذا فآمن به وصدق بمجرد السجاع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من القريتين خوف فان كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في محال السبع والسبع قد يضل بالاضاق فيخيل وقد يهجم عليه فيفتسه وذلك بحسب ما يتفق ولذلك الاضاق أسباب مرتبة بقدر معلوم ولكن إذا أضيف إلى من لا يعرفه معنى اضاقا وإن أضيف إلى علم الله لم يجز أن يسمى اضاقا والواقع في محال السبع لو تكلمت معرفته لكان لا يخاف السبع لأن السبع مسخر إن سلط عليه الجوع اقتصر وإن سلط عليه الغفلة خلى وترك فاما يخاف خالق السبع وخالف صفاته فليست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع

(١) حديث احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بألفاظ أخر .

ولاية الله فان الأنس بأهل ولاية الله هو الأنس بالله . وقد نيه القائل نظما على حقيقة جامعة لمعان الصحة والخلوة وفائدتهما وما يخلو فربما يقوله : وحدة الانسان خير من جليس السوء عنده وجليس الخير خير من قعود الرء وحده [الباب الرابع والخمسون في أداء حقوق الصبغة والأخوة في الله تعالى] قال الله تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى - وقال تعالى - وتواصوا بالحق - وقال في وصف أصحاب

بل إذا كشف الغطاء علم أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لأن المملك بواسطة السبع هو الله . فاعلم أن سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وأن الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلا يسوقه القدر للتفرع عن القضاء الجزم الأزل إلى ما خلق له خلق الجنة وخلق لها أهلا . سخروا الأسبابها شاءوا أم أبوا ، وخلق النار وخلق لها أهلا سخروا لأسبابها شاءوا أم أبوا فلا يرى أحد نفسه في ملتطم أمواج القدر إلا غلبه الخوف بالضرورة ، فهذه مخاوف المارقين يسر القدر في قعديه القصور عن الارتفاع إلى مقام الاستبصار فسيبه أن يبالغ نفسه بسباع الأخبار والآثار فيطالع أحوال الخائفين المارقين وأقوالهم وينسب عقولهم ومناصبهم إلى مناصب الراجين القرويين فلا يتمارى في أن الاقتداء بهم أولى لأنهم الأولياء والأولياء والعلماء . وأما الآمرون فهم الفرائضة والجهال والأغبياء . أما رسولنا صلى الله عليه وسلم فهو سيد الأولين والآخرين (١) وكان أشد الناس خوفا (٢) حتى روي أنه كان يصلي على طفل ، قضى رواية أنه سمع في دعائه يقول « اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار (٣) » وفي رواية ثانية « أنه سمع قائلا يقول هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة فضرب وقال ما يدريك أنه كذلك والله إنى رسول الله وما أدري ما يصنع في إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم (٤) » وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك أيضا على جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الأولين لما قالت أم سلمة هنيئا لك الجنة فكانت تقول أم سلمة بعد ذلك والله لا أركي أحدا بعد عثمان (٥) وقال محمد بن خولة الحنيفة والله لا أركي أحدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبي الذي ولدت قال فثارت الشيعة عليه فأخذ يذكر من فضائل على ومناقبه ، وروى في حديث آخر « عن رجل من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم : وما يدريك له كان يتكلم بما لا يفهم ويمنع مما لا يضره (٦) » وفي حديث آخر « أنه دخل صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيئا

رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد على الكفار رحما بينهم . وكل هذه الآيات تنبيه من الله تعالى للعباد على آداب حقوق الصحبة فمن اختار صحبة أو أخوة فأدبه في أول ذلك أن يسلم نفسه وصاحبه إلى الله تعالى بالمسئلة والتضرع ويسأل البركة في الصحبة فإنه يفتح على نفسه بذلك إما بابا من أبواب الجنة وإما بابا من أبواب النار فإن كان الله تعالى يفتح بينهما خير فهو باب من أبواب الجنة قال الله تعالى : الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض هدى والآخرين وقيل

(١) حديث كان سيد الأولين والآخرين مسلم من حديث أبي هريرة أناسيدود لا مؤلفا للحديث (٢) حديث كان أشد الناس خوفا تقدم قبل هذا بخمسة وعشرين حديثا قوله والله إنى لأخشاكم الله وقوله والله إنى لأعلمهم بالله وأشداهم له خشية (٣) حديث إنه كان يصلي على طفل فسمع في دعائه يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار الطبراني في الأوسط من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على صبي أوصية وقال لو كان أحد نجا من ضمة القبر لنجا هذا الصبي واختلف في إسناده فرواه في الكبير من حديث أبي أيوب أن صبيًا دفن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي (٤) حديث إنه سمع قائلا يقول لطفل مات هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة فضرب وقال ما يدريك الحديث مسلم من حديث عائشة قالت توفي صبي فقلت طوبى له عصفور من عصافير الجنة الحديث وليس فيه فضرب وقد تقدم (٥) حديث لما توفي عثمان بن مظعون قالت أم سلمة هنيئا لك الجنة الحديث البخاري من حديث أم العلاء الأنصارية وهي القائلة رحة الله عليك أبا السائب فشهدني عليك لقد أكرمك الله قال وما يدريك الحديث ، وورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك أم خارجة بن زيد ولم أجد فيه ذكر أم سلمة (٦) حديث إن رجلا من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيئا له عصفور من عصافير الجنة الحديث أبو يعلى من حديث أنس يستند ضعيف بافظ إن أمه قالت هنيئا لك يا بني الجنة ورواه البيهقي في الشعب إلا أنه قال فقالت أمه هنيئا لك الشهادة وهو عند الترمذي إلا أنه قال إن رجلا قال له أشر الجنة وقد تقدم في ذم المال والبخل مع اختلاف.

لك الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه للتأية على الله تعالى فقال للربض هي أمي يا رسول الله
 فقال وما يدرك لعل فلانا كان يتكلم بما لا ينبغي ويسجل بما لا ينبغي ^(١) وكيف لا يخاف المؤمنون
 كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول « شيتني هود وأخواتها » سورة الواقعة وإذا الشمس
 كورت وعم يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك لما في سورة هود من الإبعاد كقوله تعالى - ألا بعدا
 لهاد قوم هود - ألا بعدا لنهود - ألا بعدا لمدين كما بدت نهود - مع علمه صلى الله عليه وسلم بأنه لو شاء
 الله ما أشركوا إذ لو شاء لأن كل نفس هداها ، وفي سورة الواقعة - ليس لو قتها كاذبة ، خاضعة
 رافة - أي جف القلم بما هو كائن وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة إما خاضعة قوما كانوا مرفوعين
 في الدنيا وإما رافة قوما كانوا مخفوضين في الدنيا ، وفي سورة التكو رأهوا يوم القيامة وانكشف
 الحافة وهو قوله تعالى - وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزيلت علمت نفس ما أحضرت - وفي عم
 يتساءلون - يوم ينظر المرء ما قدمت يداه - الآية ، وقوله تعالى - لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن
 وقال صوابا - والقرآن من أوله إلى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالى - وإن
 لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - لكان كافيا إذ علق النقرة على أربعة شروط يسجز
 البعد عن أحادها ، وأشد منه قوله تعالى - فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فسي أن يكون من
 الغافلين - وقوله تعالى - ليسأل الصادقين عن صدقهم - وقوله تعالى - سنفرغ لك به القلان -
 وقوله عز وجل - أفأمنوا مكر الله - الآية وقوله - وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن
 أخذهم أليم شديد - وقوله تعالى - يوم نحشر المبشرين إلى الرحمن وفدا - الآيتين وقوله تعالى - وإن منكم
 إلا واردها - الآية وقوله - اعملوا ما كنتم - الآية وقوله - من كان يريد حرث الآخرة زدناه من
 الآية وقوله - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - الآيتين وقوله تعالى - وقد نمنا إلى ما عملوا من عمل -
 الآية وكذلك قوله تعالى - والصر إن الإنسان لفي خسر - إلى آخر السورة فلهذا ربه تشر وطه الخلاص
 من الحشران وإنما كان خوف الأنبياء مع ما فاض عليهم من النعم لأنهم لم يأمنوا مكر الله تعالى - ولا
 يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون - حتى روي أن النبي وجبريل عليهما الصلاة والسلام بكيا خوفا من
 الله تعالى فأوحى الله إليهما لم تبكيا وقد أمنتكما فقالا ومن يأمن مكر الله ^(٢) كأنهما إذ علم أن الله هو
 علام الغيوب وأنه لا وقوف لهما على غاية الأمور لم يأمن أن يكون قوله قد أمنتكما ابتلاء وامتحان لهما
 ومكرا بهما حتى إن سكن خوفهما ظهر أنهما قد أمنت من المكرو وما فيا جوهلما كأن إبراهيم ^(٣) لما وضع
 في المنجنيق قال حسبي الله وكانت هذه من الدعوات العظام فامتحن وعورض بجبريل في الهواء حتى
 قال ألك حاجة فقال أما إليك فلا فكان ذلك وفاء بحقيقة قوله حسبي الله فأخبر الله تعالى عنه فقال
 - وإبراهيم الذي وفى - أي بموجب قوله حسبي الله وبمثل هذا أخبر عن موسى ^(٤) حيث قال - إننا
 نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى - ومع هذا لما ألقى السجرة
 سحرم أوجس موسى في نفسه خيفة إذ لم يأمن مكر الله والتبس الأمر عليه حتى جدد عليه الأيمن
 وقيل له - لا تخف إنك أنت الأعلى - ولما ضمنت شوكة للمسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم

- (١) حديث دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيئا له الجنة الحديث تقدم أيضا
- (٢) حديث شيتني هود وأخواتها الحديث الترمذي وحسنه الحاكم وصححه من حديث ابن عباس
- وهو في التبايل من حديث أبي جحيفة وقد تقدم في كتاب السجدة (٣) حديث أنه وجبريل صلى الله
- عليهما وسلم بكيا خوفا من الله عز وجل فأوحى الله إليهما لم تبكيا الحديث ابن شاهين في شرح
- السنة من حديث عمر وروياه في مجلس من أمالي أبي سعيد النقاش بسند ضعيف .

إن أحد الأخوين في الله
 تعالى يقال له ادخل
 الجنة فيسأل عن
 منزل أخيه فإن كان
 دونه لم يدخل الجنة
 حتى يعطى أخوه مثل
 منزله . فإن قيل له لم
 يكن يعمل مثل عملك
 فيقول إن كنت أعمل
 لي وله يعطى جميع
 ما يسأل لأخيه ويرفع
 ويرفع أخوه إلى
 درجته وإن قسح الله
 تعالى عليهما بالصعبة
 شرا فهو باب من
 أبواب النار . قال الله
 تعالى - ويوم يعرض
 الظالم على يديه يقول
 يا ليتني اتخذت مع
 الرسول سبيلا يا ليتني
 اتخذت سبيلا يا ليتني
 لم اتخذ فلانا خليلا
 وإن مكنت الآية

وردت في قصة مشهورة ولكن الله تعالى فيه بذلك عباده على الحذر من كل خليل يقطع عن الله واختيار الصعبة والأخوة اختافاً من غير نية في ذلك وثبتت في أول الأمر شأن أرباب الغفلة الجاهلين بالنيات والمقاصد والنافع والمضار . وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في كلام له وهل يغدر الناس إلا الناس ، فالفساد بالصعبة متوقع والصالح متوقع وما هذا سبيله كيف لا يحدث في أوله ويحكم الأمر فيه بكرة البعاً إلى الله تعالى وصدق الاختيار

« اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك (١) » فذل أبو بكر رضي الله تعالى عنه دمع عنك مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق رضي الله عنه مقام الثقة بوعده الله ، وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو أتم لأنه لا يصدر إلا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر وما لأحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ، ومن عرف حقيقة المعرفة وقصور معرفته عن الاحاطة بكنه الأمور عظم خوفه لعمالة ولذلك قال السبيح صلى الله عليه وسلم لما قيل له - أنت قلت للناس اتخذوني وفيي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك - وقال - إن تعدبهم فاتهم عبادك وإن تنفر لهم - الآية . ففوض الأمر إلى الشئنة وأخرج نفسه بالكليّة من بين ليله بأنه ليس له من الأمر شيء وأن الأمور مرتبطة بالشئنة ارتباطاً يخرج عن حدد العقولات والالوذ فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس ولا حساب فضلاً عن التحقيق والاستيفار وهذا هو التي قطع قلوب العارفين ، إذ الطامة الكبرى هي ارتباط أمرك بعشئ من لا يبالي بك إن أهلكك قد أهلك أمثالك ممن لا يحصى ولم يزل في الدنيا بينهم بأنواع الآلام والأمراض ومرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم غشك العقاب عليهم أبد الأباد ثم خبر عنه ويقول - ولو شئنا لأتيننا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - وقال تعالى - وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم - الآية فكيف لا يخاف ماحق من القول في الأزل ولا يطمع في تداركه ولو كان الأمر أمناً لكانت الأطعمة تمتد إلى حيلة فيه ولكن ليس إلا التسليم فهو واستغراء خفي الساقية من جلي الأسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسرت له أسباب الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير وأحكمت علاقته من الدنيا فكأنه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشفاوة ، إذ كل ميسر لما خلق له وإن كانت الخيرات كلها يدرعها القلب بالكليّة عن الدنيا منقطاً وبظاهره وباطنه على الله مقبلاً كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقاً به ولكن خطر الحاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف إشعالاً ولا يمكنها من الانطفاء ، وكيف يؤمن خير الحال وقلب للؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وإن القلب أشد تقبلاً من القدر في غلبتها وقد قال مقلب القلوب عز وجل - إن عذابهم غير ما مومن - فأجهل الناس من آمنه وهو ينادي بالتحذير من الأمن ولولا أن الله لطيف بعباده العارفين إذ روح قلوبهم بروح الجاهل احترقت قلوبهم من نار الخوف ، فأسباب الرجاء رحمة لخواص الله وأسباب العقاب رحمة على عوام الخلق من وجه ، إذ لو انكشف النطاء لرهقت النفوس ونهطت القلوب من خوف ، قلب القلوب . قال بعض العارفين : لو حالت بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة أسطوانة فرأت لم أضع له بالتوحيد لأنني لأأدري ما ظهر له من القلب . وقال بعضهم : لو كانت الشهادة على باب الدار ولوت على الإسلام عند باب الحجر لاخترت الموت على الإسلام لأنني لأدري ، ليس قلبي بين باب الحجر وباب الدار . وكان أبو الدرداء يحلق بالله ما أحد آمن على إيمانه أن يسلبه عند الموت إلا سلبه . وكان سهل يقول : خوف الصديقين من سوء الحاتمة عند كل خطرة وعند كل

(١) حديث قال يوم بدر : اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك البخاري من حديث ابن عباس بلفظ : اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم الحديث .

حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال - وقلوبهم وجلة - ولما احتضر سفيان جعل يبيكي ويخرج قهقرياً له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فإن عفو الله أعظم من ذنوبك ، قال أوطى ذنوبي أبكي ؟ لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا . وحكى عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض إخوانه ، فقال إذا حضرته الوفاة فاقعد عند رأسي ، فإن رأيتني متاً على التوحيد فخذ جميع ماله فاشتر به لوزاً وسكراً واتره على صبيان أهل البلد ، وقل هذا عرس المنفات ، وإن مت على غير التوحيد فأعلم الناس بذلك حتى لا يشترأوا بشهود دنائتي ليحضر جنازتي من أحب على بصيرة ثلاثي الحق الرياء بعد الوفاة . قال : وبم أعلم ذلك فذكر له علامة فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر والاوز وفرقه . وكان سهل يقول : للزيد يخاف أن يبتلى بالمعاصي ، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر . وكان أبو يزيد يقول : إذا توجهت إلى المسجد فكأن في وسطى زناراً أخاف أن يذهب بي إلى البيعة ويبت النار حتى أدخل المسجد فينقطع عني الزنار فهذا لي في كل يوم خمس مرات . وروى عن السبيع عليه الصلاة والسلام أنه قال : يا حشر الحواريين أنتم تخافون المعاصي ، ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر . وروى في أخبار الأنبياء أن نبيا شك إلى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف ، فأوحى الله تعالى إليه : عبيد أمارضيت أن عصمت قلبك أن تكفربي حتى تسألني الدنيا فأخذ التراب فوضه على رأسه ، وقال بلى قد رضيت يارب فاعصمني من الكفر ، فإذا كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفاء ، ولسوء الخاتمة أسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات للدمومة ، ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن : لو أعلم آتى برئ من النفاق كان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس وماتوا به النفاق الذي هو ضد أصل الإيمان بل للراد به ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلماً مناقها ، وله علامات كثيرة : قال صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم وإن كانت فيه خصلة منهن فیه شعبة من النفاق حتى يدعها : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان ، وإذا خاصم فجر » (١) وفي لفظ آخر « وإذا عاهد غدر » وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بشفاير لا يغلو عن شيء منه إلا صدق إذ قال الحسن : إن من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب واختلاف للدخل والمخرج ، ومن الذي يغلو عن هذه للماني بل صارت هذه الأمور مأوفاً بين الناس معتادة ونسي كونها منسكراً بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد زمان النبوة فكيف الظن زماننا حتى قال حذيفة رضي الله تعالى عنه : إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقاً إلى لأصعبها من أحدكم في اليوم عشر مرات (٢) وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : إنكم لتملأون أعمالاً هي أدق في أعينكم

وسؤال البركة والخبرة
في ذلك وتقديم صلاة
الاستخارة . ثم إن
اختيار الصلابة
والأخوة عمل وكل
عمل يحتاج إلى التوبة
وإلى حسن الخاتمة
وقد قال عليه الصلاة
والسلام في الحشر
الطويل « سبعة
يظلمهم الله تعالى لئنهم
اثنتان تحابا في الله
صالحا على ذلك وماتا
عليه » إشارة إلى
أن الأخوة والصلابة
من شرطهما حسن
الخاتمة حتى يكتب
لهما ثواب للزوجة
ومنى أقصد للزوجة
بتضييع الحقوق فيها
فقد العمل من
الأول . قيل ما حذر

(١) حديث أربع من كن فيه فهو منافق الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو وقد تقدم في قواعد العقائد (٢) حديث حذيفة إن الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقاً الحديث أحمد من حديث حذيفة وقد تقدم في قواعد العقائد .

من الشعر كنا نعدّها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر (١). وقيل بعضهم : علامة النفاق أن تسكره من الناس ماتاً مثله ، وأن تحبّ على شيء من الجور ، وأن تبغض على شيء من الحق . وقيل من النفاق : أنه إذا مدح بشيء ليس فيه أحبه ذلك . وقال رجل لابن عمر رحمه الله إن ادخل على هؤلاء الأمراء فصدقتهم بما يقولون ، فإذا خرجنا تكلمنا بهم ، قال كنا نعدّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) . وروى أنه مع رجلاً يذمّ الحجاج ويقع فيه ، فقال : أرايت لو كان الحجاج حاضراً أكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعدّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) . وأشد من ذلك ما روى أن قراً قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه ، فلما خرج عليهم سكنوا حياء منه ، فقال تكلموا بما كنتم تقولون فسكنوا ، فقال كنا نعدّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) . وهذا حذيفة كان قد خص بعلم المنافقين وأسباب النفاق ، وكان يقول : إنه يأتي على القلب ساعة يملىء بالإنسان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز إبرة ويأتي عليه ساعة يملىء بالنفاق حتى لا يكون للإيمان فيه مغرز إبرة . فقد عرفت بهذا أن خوف العارفين من سوء الحاتمة ، وأن سببه أمور تتقدمه : منها البدع . ومنها المعاصي . ومنها النفاق ، ومضى يغلو العبد عن شيء من جملة ذلك وإن ظن أنه قد خلا عنه فهو النفاق ، إذ قيل من آمن النفاق فهو منافق . وقال بعضهم لبعض السارفين : إني أخاف على نفسي النفاق ، فقال لو كنت منافقاً لما خفت النفاق فلإزال العارف بين الالتفات إلى السابقة والحاتمة خائفاً منهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « العبد للؤمن بين عثايتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قديقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار (٥) » ، والله للستعان .

(بيان معنى سوء الحاتمة)

فإن قلت : إن أكثر هؤلاء يرجع خوفهم إلى سوء الحاتمة فما معنى سوء الحاتمة . فاعلم أن سوء الحاتمة على ربتين : إحداها أعظم من الأخرى . فأما الرتبة العظيمة المسماة : فإن يلبس على القلب عند سكرات اللوت وظهور أهواله إما الشك : وإما الجحود فتقبض الروح على حال غلبة الجحود أو الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجاباً

(١) حديث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر الحديث البخاري من حديث أنس وأحمد والبراز من حديث أبي سعيد وأحمد والحاكم من حديث عبادة بن قرص وصحيح إسناده وتقدم في التوبة (٢) حديث قال رجل لابن عمر إنا ندخل على هؤلاء الأمراء فصدقتهم بما يقولون الحديث رواه أحمد والطبراني وقد تقدم في قواعد العقائد (٣) حديث مع ابن عمر رجلاً يذم الحجاج ويقع فيه فقال أرايت لو كان الحجاج حاضراً الحديث تقدم هناك ولم أجد فيه ذكر الحجاج (٤) حديث إن قراً قعدوا عند باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج سكنوا الحديث لم أجد له أصلاً (٥) حديث العبد للؤمن بين عثايتين من أجل قد مضى الحديث البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم في ذم الدنيا ذكره ابن المبارك في كتاب الزهد بلافا وذكره صاحب الفردوس من حديث جابر ولم يخرجوه وله في مسند الفردوس .

الشیطان متعاونین علی بر حسده متآخین فی الله متحابین فیہ فانه یحمی نفسه ویمت قبیسله علی إفساد ما بینهما . وكان الفضیل یقول : إذا وقعت النیبة ارتفعت الأخوة ، والأخوة فی الله تعالی مواجبه قال الله تعالی - إخوانا علی سرر متقابلین - ومضى أضمر أحدهما لآخر سوءاً أو كره منه شیئاً ولم یبنه علیه حتی یزیه أو یتسبب إلى إزالته منه فإواجه بل استدبره قال الجنید رحمه الله ما تواخى اثنان فی الله واستوحشی

بينه وبين الله تعالى أبداً وذلك يقتضى البعد الدائم والمذاب الخلد . والثانية وهى دونها أن يثقل على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها فيثقل ذلك في قلبه ويستترقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحال فيكون استغراق قلبه به منكسا رأسه إلى الدنيا وصارفا وجهه إليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب إذ نار الله للوقدة لا تأخذ إلا المجهوجين عنه فأما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا للصروف همه إلى الله تعالى فتقول له النار جز يا مؤمن فان نورك قد أظنأ لمحي فهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالأمر عظم لأن المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الثابتة عليه إذ لا تنصرف في القلوب إلا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الأعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع إلى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكّد ذلك بالأعمال الصالحة فانه يحسو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان إيمانه في القوة إلى حد مثقال أخرجه من النار في زمان أقرب وإن كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن إلا مثقال حبة فلا بد وأن يخرج من النار ولو بهذا لافسين. فان قلت لما ذكرته يقتضى أن تسرع النار إليه عقوب موته لما باله يؤخر إلى يوم القيامة ويعمل طول هذه المدة . فاعلم أن كل من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع محبوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن ونور الإيمان بل الصحيح عند ذوى الأبصار ما صحت به الأخبار وهو «أن القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة (١)» . «وأنه قد يفتح إلى قبر للعذب سبعون بابا من الجحيم (٢)» كما وردت به الأخبار فلا تغارقه روحه إلا وقد نزل به البلاء إن كان قد شقي بسوء الحاتمة وإنما تختلف أصناف العذاب باختلاف الأوقات فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر (٣) والتعذيب بعده (٤) ثم للناقشة في الحساب (٥) والافتضاح على ملا من الأشهاد في القيامة (٦) ثم بعد ذلك خطر الصراط (٧) وهول الزبانية (٨) إلى آخر ماوردت به الأخبار فلا يزال الشقي مترددا في جميع أحواله بين أصناف العذاب وهو في جملة الأحوال معذب إلا أن يتعمده الله برحمته ولا تظن أن عمل الإيمان يأكله التراب بل التراب يأكل جميع الجوارح ويبددها إلى أن يبلغ الكتاب أجله

(١) حديث القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة الترمذى من حديث أبي سعيد وقال غريب وتقدم في الأذكار (٢) حديث لأنه يفتح إلى قبر للعذب سبعون بابا من الجحيم لم أجده أصلا (٣) حديث سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر تقدم في قواعد العقائد (٤) حديث عذاب القبر تقدم فيه (٥) حديث للناقشة في الحساب تقدم فيه (٦) حديث الافتضاح على ملا الأشهاد في القيامة أحمد والطبراني من حديث ابن عمر بإسناد جيد من اتقى من ولده ليفضحه في الدنيا فضحه الله على ردوس الأشهاد وفي الصحيحين من حديث ابن عمر وأما الكافر وللناق فينادي بهم على ردوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم والطبراني والشيخ في الضعفاء من حديث الفضيل بن عياض فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وهو حديث طويل منكر (٧) حديث خطر الصراط تقدم في قواعد العقائد (٨) حديث هول الزبانية الطبراني من حديث أنس الزبانية يوم القيامة أسرع إلى فسقة حملة القرآن منها إلى عبدة الأوثان واليران . قال صاحب الليزان حديث منكر وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم معضلا في خزنة جهنم ما بين منكب أحدهم كما بين للشرق والترب .

أحدهما من صاحبه إلا
لعل في أحدهما فامؤاخاة
في الله أصنى من الساء
الزلال وما كان لله فائه
مطالب بالصفاء فيه وكل
ما صفا دام والأصل في
دوام صفائه عدم الخالفة
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « لا تمار
أخاك ولا تمازحه
ولا تصدعه موعدا
فتخلفه » . قال أبو سعيد
الحرّاز : سميت
الصفوية خمسين سنة
ما وقع بيني وبينهم
خلاف قليل له وكيف
ذلك ؟ قال لأنى كنت

معهم على شقى .
أخسبرنا شيخنا
أبو النجيب السهروردي
إجازة قال أنا عمر بن
أحمد الصفار قال أنا

فجميع الأجزاء المتفرقة وتعاد إليها الروح التي هي محل الإيمان وقد كانت من وقت الموت إلى
الاعادة إما في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش إن كانت سعيدة وإما على حالة تضاد هذه
الحال إن كانت والياد بالله شقية . فان قلت لما السبب الذي يقضى إلى سوء الحائفة . فاعلم أن
أسباب هذه الأمور لا يمكن إحصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الإشارة إلى مجامعها أما الختم على
الشك والجحود فينحصر سببه في شيئين : أحدهما يتصور مع تمام الورع والزهّد وتعماد الصلاح
في الأعمال الملتزم الرّاهد فان عاقبته خطيرة جدا وإن كانت أعماله سالحة ولست أعنى مدبها .
فأقول إنه بدعة فان يان ذلك بطول القول فيه بل أعنى البدعة أن يعتقد الرجل في ذات الله
وصفاته وأفعاله خلاف الحق فيعتقد على خلاف ماهو عليه إما برأيه ومعقوله ونظره الذي به يجادل
الحصم وعليه يمول وبه يتر وإما أخذاً بالتقليد بمن هذا حاله فاذا قرب اللوث وظهرت له ناصية
ملك اللوث واضطرب القلب بما فيه ربما ينكشف له في حال سكرات اللوث بطلان ما اعتقده جهلا
إذ حال اللوث حال كشف النطاء ومبادئ سكراته منه قد ينكشف به بعض الأمور فهما بطل
عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند تقسه له يظن نفسه أنه أخطأ في هذا الاعتقاد
خاصة لاتجانبه فيه إلى رآيه الفاسد وعقله الناقص بل ظن أن كل ما اعتقده لأصل له إذ لم يكن
عنده فرق بين إيمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشف
بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته أو لشكها فيها فان اتفق زهو في روحه في هذه
الخطرة قبل أن يثبت ويود إلى أصل الإيمان قد ختم له بالسوء وخرجت روحه عن الشر والعباد
بالله منه فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - سوبقه عز وجل
- قل هل نشيكم بالأخسرين أمحالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعا - وكما أنه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة أشغال الدنيا عن
القلب فكذلك ينكشف في سكرات اللوث بعض الأمور إذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي النافذة
لقلب من أن ينظر إلى اللسكوت فيطالع ما في القويع المحفوظ لتتنكشف له الأمور على ما هي عليه
فيكون مثل هذه الحال سببا للكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات وكل من
اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئا على خلاف ماهو به إما تليدا وإما نظرا بالرأى والعقول
فهو في هذا الخطر والزهّد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينبغي منه إلا الاعتقاد الحق والبه
يعزل عن هذا الخطر أعنى الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيمانا بجملا راسخا كالأعراب
والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يصرعوا في الكلام استقلالاً ولا اقتوا
إلى أصناف للتكلمين في تقليد آقاويلهم المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أكثر أهل الجنة
البه (١) » ولذلك منع السلف من البحث والنظر والحوض في الكلام والتفتيش عن هذه الأمور
وأمرهم بالخلق أن يقتصر على أن يؤمنوا بما أنزل الله عز وجل جميعا وبكل ما جاء من الظواهر
مع اعتقاده نفي التشبيه ومنعهم عن الحوض في التأويل لأن الخطر في البحث عن الصفات عظيم
وعقباه كثورة ومسالكه وعرة والعقول عن ذلك جلال الله تعالى قاصرة وهداية الله تعالى بنور
اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون يضاعفة عقولهم
مضطرب ومتعارض والقلوب لما ألقى إليها في مبتدأ النشأة آلفة وبه متعلقة والخصبات الثائرة بين
الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الورثة أو للأخوة بحسن الظن من الطلبن في أول الأمر الطباع

(١) حديث أكثر أهل الجنة البه البرار من حديث أنس وقد تقدم .

أبو بكر أحمد بن خلف
قال أنا أبو عبد الرحمن
السلمي قال سمعت
عبد الله الداراني قال
سمعت أبا عمرو والد دمشق
الرازي يقول سمعت أبا
عبد الله بن الجلاء يقول
وقد سأله رجل على أي
شرط أصعب الخلق
فقال إن لم يرم فلا
تؤذم وإن لم يرم
فلا تؤم . وهذا
الاستاد قال أبو عبد الله
لاضيع حق أخيك
بما بينك وبينه من
للودة والصدقة فان الله
تعالى فرض لكل
مؤمن حقوقا لم يضيها
إلا من لم يراع حقوق الله
عليه ومن حقوق
الصعبة أنه إذا وقع
فرقة ومباينة لا يذكر

حُب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخبتها آخذة وعن تمام السكر صارفة فإذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأى والمقول مع تفاوت الناس في قرائعهم واختلافهم في طبائعهم وحرص كل جاهل منهم على أن يدعى الكمال أو الاحاطة بكنه الحق انطلقت ألسنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب الصنفين إليهم وتأكد ذلك بطول الإلف فيهم فانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة ولا يتصرفوا بالماه وخارج عن حد طاقتهم ولكن الآن قد استرخى السنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وأنه صفو الايمان ويطن أنه واقع به من حسد وتخمين علم اليقين وعين اليقين - وتعلمن نبأه بعد حين - وبيني أن ينشد في هؤلاء عند كشف الغطاء:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسألتك الليالي فاعتدلت بها - وعند صفو الليالي يحدث السكر

واعلم يقينا أن كل من فارق الايمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله مثال من انكسرت سميتة وهو في ملتطم الأمواج يرميه موج إلى موج فربما يتفق أن يلقيه إلى الساحل وذلك بعيد والملاك عليه أغلب . وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين يضاعة عقولهم لإماعة الأدلة التي حرروها في تصبانهم أو دون الأدلة فان كان شاكاً فيه فهو فاسد الدين وإن كان واقفاً به فهو آمن من مكر الله مفتر بفضله الناقص وكل خائف في البحث فلا يفتك عن هاتين الحاتمتين إلا إذا جاوز حدود المعتقد إلى نور للكشفة التي هو مشرق في عالم الولاية والنبوة وذلك هو السكربت الأحمر وأني تيسر وإنما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام والذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يحرصوا في هذا الفضول فهذا أحد الأسباب المخطرة في سوء الحاتمة . وأما السبب الثاني فهو ضعف الايمان في الأصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله تعالى وقوى حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس ولا يظهر له أثر في مخالطة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة النفوس على القلب فلا يزال يطفى ما فيه من نور الايمان على ضعفه حتى يصير طبعاً وريناً فإذا جاءت سكرات اللوت ازداد ذلك الحب أعنى حب الله ضعفاً لما يبدو من استئثار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب فيتألم القلب باستئثار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيحتاج ضميره بانكار ما قدر عليه من اللوت وكراهة ذلك من حيث إنه من الله فيخشي أن يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب كما أن الذي يحب ولده حباً ضعيفاً إذا أخذ ولده أمواله التي هي أحب إليه من ولده وأحرقها قلب ذلك الحب الضعيف بغضا فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة قد ختم به بالسوء وهلك هلاكاً مؤبداً والسبب الذي يغض إلى مثل هذه الحاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون إليها والفرح بأسبابها مع ضعف الايمان للوجب لضعف حب الله تعالى فمن وجد قلبه حب الله أغاب من حب الدنيا وإن كان يحب الدنيا أيضاً فهو أبعد عن هذا الخطر وحب الدنيا رأس كل خطية وهو البدء الضلال وقد عم أصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى إذ لا يجهل إلا من عرفه ولهذا قال تعالى - قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترنتموها وجاهرتهم خشونكم كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترى بصواحيق آيات الله بأمه - فاذن كل من دارته روحه في حالة خطرة الاشكال على الله تعالى بآله وظهور بغض قلب الله بقلبه في تفرقة بينه وبين أهله وماله

أخاه الإلهي . قول
كان لبعضهم زوجة
وكان يعلم منها ما يكره
فكان يقال له استجارا
عن حالها فيقول لا ينبغي
للرجل أن يقول في أهله
إلا خيراً ففارقها وطاعها
فاستخبر عن ذلك فقال
امرأة بصدت عني
وليس مني في شيء
كيف أذكرها وهذا
من التخليق بأخلاق الله
تعالى أنه سبحانه يظهر
الجميل ويستر القبيح
وإذا وجد من أحدهما
ما يوجب التقاطع فهل
يفضله أولاً اختلف
القول في ذلك . كان
أبو ذر يقول إذا قلبت
عرا كان عليه أنفضه
من حيث أحبته وقل
غيره لا يفيض الأخ

وسائر عجايبه فيكون موته قدوما على ما أبغضه وفراقا لما أحبه فقدم على الله قدوم العبد البغض الآبق
 إذا قدم به على مولاه فقرأ فلا يخفى ما يستحقه من الحزى والنكال وأما الذي يتوفى على الحب فإنه يقدم
 على الله تعالى قدوم العبد المحسن للشقائق إلى مولاه الذي تحمل مشاق الأعمال ووعته الأسفار طمعا
 في لقاءه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الأكرام
 وبنائع الانعام . وأما الحاتمة الثانية التي هي دون الأولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها أيضا
 سببان : أحدهما كثرة المعاصي وإن قوى الإيمان والآخرة ضعف الإيمان وإن قلت المعاصي وذلك
 لأن مقارنة المعاصي سببا غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكرة الإلف والمادة وجميع ما لفته
 الانسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته فإن كان ميله أكثر إلى الطاعات كان أكثر ما يحضره
 ذكر طاعة الله وإن كان ميله الأكثر إلى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت فربما تقبض
 روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومصيبة من المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير معجوبا عن الله
 تعالى فالذي لا يقارف الذنب إلا القينة بعد القينة فهو أبعد عن هذا الخطر والذي لم يقارف ذنبا أصلا
 فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت أكثر من طاعاته وقلبه بها ففرح
 منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جدا ونعرف هذا بمثال وهو أنه لا يخفى عليك أن الانسان يرى
 في منامه جملة من الأحوال التي عهدها طول عمره حتى إنه لا يرى إلا ما يماثل مشاهداته في اليقظة وحتى
 إن للرأقي الذي يحتمل لا يرى صورة الواقع إذا لم يكن قد وقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما رأى
 عند الاحتلام صورة الواقع ثم لا يخفى أن الذي قضى عمره في الفقه يرى من الأحوال المتعلقة بالتجارة
 والعساء أكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الأحوال المتعلقة بالتجارة
 وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والفقيه لأنه إنما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول
 الإلف أو بسبب آخر من الأسباب وللموت شبه النوم ولكنه فوقه ولكن سكرات الموت وما يتقدمه
 من التشية قريب من النوم فيقتضى ذلك تذكرا للألوف وعوده إلى القلب وأحد الأسباب المرجحة
 لحصول ذكره في القلب طول الإلف فطول الإلف بالمعاصي والطاعات أيضا مرجح وكذلك يخالف أيضا
 منامات الصالحين منامات الفساق فتكون غلبة الإلف سببا لأن تتمثل صورة فاحشة في قلبه وتميل
 إليها نفسه فربما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سبب سوء خاتمته وإن كان أصل الإيمان باقيا بحيث
 يرجى له الخلاص منها وكما أن ما خطر في اليقظة إنما يخطر بسبب خاص يملأه الله تعالى فكذلك أحاد
 المنامات لها أسباب عند الله تعالى تعرف بعضها ولا تعرف بعضها كما أننا نعلم أن الخطر ينتقل من الشيء إلى
 ما يناسبه إما بالمشابهة وإما بالمضادة وإما بالمقارنة بأن يكون قد ورد على الحس منه . أما بالمشابهة فبأن
 ينظر إلى جميل فيتذكر جمالا آخر وأما بالمضادة فبأن ينظر إلى جميل فيتذكر قبيحا ويتأمل في شدة
 التفاوت بينهما وأما بالمقارنة فبأن ينظر إلى فرس قدره إلى قبل مرمع إلى إنسان فيتذكر ذلك الانسان وقد
 ينتقل الخطر من شيء إلى شيء ولا يدري وجه مناسبته له وإنما يكون ذلك بواسطة واسطتين مثل
 أن ينتقل من شيء إلى شيء فإن ومنه إلى شيء ثالث ثم ينشأ الثاني ولا يكون بين الثالث والأول مناسبة
 ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والأول مناسبة فكذلك لا تتقالات الحواطر في
 المنامات أسباب من هذا الجنس وكذلك عند سكرات الموت فلي هذا العلم عند الله من كانت الحيلة
 أكثر أشغاله فأنك تراه يومئذ إلى رأسه كأنه يأخذ إبرته ليخيط بها ويملأ أصبعه التي لها عادة
 بالسكتان ويأخذ الأزار من فوقه ويشره كأنه يتعاطى تفصيله ثم يمد يده إلى القراض ومن
 أراد أن يكف خاطره عن الانتقال عن المعاصي والشهوات فلا طريق له إلا المجاهدة طول العمر في نظامه

بسد الصبغة ولكن
 يغض عمله قال الله
 تعالى لديه صلى الله
 عليه وسلم - فإن
 عسوك قتل إلى برئ
 مما تعلمون - ولم يقل
 إلى برئ منك .
 وقيل كان غاب بلالزم
 مجالس أبي الدرداء
 وكان أبو الدرداء يحبه
 على غيره فابتنى الشاب
 بكثرة من السكائر
 وانتهى إلى أبي الدرداء
 ما كان منه قليل له
 لو أبعدته وهجرته
 فقال سبحانه الله لا يترك
 صاحب شيء كان
 منه . قيل : الصداقة
 لجة كاحمة القلب .
 وقيل لحكم مرة
 أيما أحب إليك أخوك
 أو صديقك فقال إنما

نفسه عنها وى قمع الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذى يدخل تحت الاختيار ويكون طول الواطئة على الحيز وتخليه الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالةسكرات لاوت فانه يموت للرعى على ما عاش عليه وعسر على ما مات عليه ولذلك قيل عن بقال أنه كان يلقي عند اللوت كفى الشهادة فيقول خمسة ستة أربعة فكان مشغول النفس بالحساب الذى طال إلقاه قبل اللوت. وقال بعض العارفين من السلف العرش جوهره تتلاها نورا فلا يكون العبد على حال إلا انطبع مثاله في العرش على الصورة التى كان عليها فإذا كان في سكرات اللوت كشف له صورته من العرش فرجا يرى شمس على صورة مصعصة وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحوال نفسه فأخذه من الحياء والخوف ما يجلب عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فإن الذنم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة ألوح المحفوظ هو جزء من أجزاء النبوة فإذا رجع سوء الحاة إلى أحوال القلب واختلاج الخواطر وغلب القلوب هو الله والاضطرابات المنتضية لسوء الخواطر غير داخلية تحت الاختيار دخولا كلياً وإن كان لطول الإلف فيه تأثير فهذا عظم خوف العارفين من سوء الحاة لأنه لو أراد الإنسان أن لا يرى في اللام إلا أحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وإن كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الجبال لا تدخل بالكليّة تحت الضبط وإن كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة حتى سمعت الشيخ أبا على الفارمدى رحمة الله عليه يصفلى وجوب حسن أدب المرید لشيعه وأن لا يكون في قلبه إنكار لكل ما يقوله ولا فى لسانه محادثة عليه فقال حكيت لشيخى أبى القاسم السكرمانى مناماً لى وقلت رأيتك قلت لى كذا قلت لم ذاك قال فهو جرنى شهر اوم يكلمنى وقول لولا أنه كان فى باطنك تجوز المطالبة وإنكار ما أقوله لك لما جرى ذلك على لسانك فى النوم وهو كالم إذ قلنا يرى الإنسان فى تمامه خلاف ما يغلب فى اليقظة على قلبه فهذا هو القدر الذى نسمح بذكره فى علم الهامة من أسرار أمر الحاة وما وراء ذلك فهو داخل فى علم المكاشفة وقد ظهر لك بهذا أن الأمن من سوء الحاة بأن ترى الأشياء كما هى عليه من غير جهل وتزجى جميع العمر فى طاعة الله من غير مصيبة فإن كنت تعلم أن ذلك محال أو عسير فلا بد وأن يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاءك وبناحتك ويدوم به حزنك وفائقك كما سنحكيه من أحوال الأنبياء والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الأسباب الموجبة لئار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا أن أعمال العمر كلها ضالمة إن لم يسلم فى النفس الأخير الذى عليه خروج الروح وأن سلامته مع اضطراب أوج الخواطر مشكلة جداً ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول إنى لأعجب بمن هلك كيف هلك ولسكى أعجب بمن نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللها فى إذا صمدت الملائكة بروح البذل المؤمن وقد صمدت على الحيز والاسلام تعجبت للملائكة منه وقالوا كيف نجا هذا من دنيا فسد فيها خيارنا وكان الثورى يوماً يبكى قبل له علام تبكى فقال بكينا على الذنوب زماناً فالآن نبكى على الاسلام. وبالجملة. ونقتت سفينة فى لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطربت الأمواج كانت النجاة فى حقه أبعد من الهلاك وقلب المؤمن أشد اضطراباً من السفينة وأمواج الخواطر أعظم التضايق من أمواج البحر وإنما الخوف عند الموت خاطر سوء مخطر فقط وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا أفاق ناقة فيقتل له بما سبق به الكتاب (١)» ولا يتسع فراق الناقة لأعمال توجب الشقاوة بل هى الخواطر التى تضطرب وتخطر خطور البرق الحظ وقال سهل رأيت كائى أدخلت الجنة فرأيت ثلاثمائة نبي فسألتهم ما أخوف ما كنتم تخافون فى الدنيا لو أسوء

(١) حديث إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة الحديث تقدم.

أحب أخى إذا كان
صديقى وهذا الخلاف
فى المارقة ظاهراً وباطناً
وأما الملازمة باطناً وإذا
وقعت المبائة ظاهراً
فختلف باختلاف
الأشخاص ولا يطلق
القول فيه إطلاقاً من
غير تفصيل فمن الناس
من كان تقيده رجوعاً
عن الله وظهور حكم
سوء السابقة فيجب
بفضه وموافقة الحق
فيه ومن الناس من
كان تقيده عثرة
حدثت وفترة وقعت
يرجى عوده فلا ينفى
أن يفيض ولكن
يفيض عمله فى الحالة
الحاضرة ويلاحظ بعين
الود منتظر له الفرج
والعود إلى أوطان

الحاتمة ولأجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها وكان موت الفجأة مكروها ، أما الموت فجأة فلائنه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخول عن أمثاله إلا أن يدفع بالكرهه أو ينور للرفة ، وأما الشهادة فلائنها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يسبق في القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والأهل والبال والوالد وجميع الشهوات عن القلب إذ لا يعجز على صف القتال موطنه نفسه على الموت إلا حب الله وطلب المرضاة وبإعدادها بآخرته وراضيا بالبيع الذي يابه الله به إذ قال تعالى - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وبالبائع راضب عن البيع لعمالة وعجزه عن القلب ومجرد حب الموض المطلوب في قلبه ومثل هذه الحالة قد ينقلب على القلب في بعض الأحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها فصف القتال سبب زهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فيمن ليس يقصد القلب والقيمة وحسن الصيت بالشجاعة فان من هذا حاله وإن قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كأدلت عليه الأخبار^(١) وإذ بان لك معنى سوء الحاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها فواظب على ذكر الله تعالى وأخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل الماصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة الماصي ومشاهدة أهلها جهدا فان ذلك أيضا يؤثر في قلبك ويصرف إليه فكرك وخواطرك وإياك أن تسوف وتقول سأستعد لها إذا جاءت الحاتمة فان كل نفس من أنفسك خائتكم إذ يمكن أن تختطف فيروحك فراقب قلبك في كل تطرئة وإياك أن تهمل لحظة فعمل تلك اللحظة خائتكم إذ يمكن أن تختطف فيروحك هذا مادمت في يقظتك وأما إذ ماتت فأياك أن تنام إلا على طهارة الظاهر والباطن وأن يظليك النوم إلا بعد غلبة ذكر الله على قلبك لست أقول على لسانك فان حركة اللسان بمجرد ضغينة الأثر . واعلم قطعا أنه لا يغلب عند النوم على قلبك إلا ما كان قبل النوم غالبا عليه وأنه لا يغلب في النوم إلا ما كان غالبا قبل النوم ولا يثبت عن نومك إلا ما غلب على قلبك في نومك ولت والبعث شبيه النوم واليقظة فسكا لا ينم العبد إلا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ إلا على ما كان عليه في نومه فكذلك لا يموت المرء إلا على ما عاش عليه ولا يعمر إلا على ما مات عليه وتحقق قطعا وبقينا أن اللوت والبست حالتان من أحوالك كما أن النوم واليقظة حالتان من أحوالك وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب إن لم تكن أهلا لمشاهدة ذلك بين اليقين ونور البصرة وراقب أنفسك ولحظاتك وإياك أن تفعل عن الله طرف عين فانك إذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف إذا لم تفعل والناس كلهم هلسكي إلا العالمون والمألون كلهم هلسكي إلا العالمون والعالمون كلهم هلسكي إلا الخاصون والخاصون كلهم هلسكي إلا عظيم . واعلم أن ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك . طعمهم وملبسهم ومسكنهم والباقي كله فضول والضرورة من الطعام ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغي أن يكون تناولك تناول مضطر كاره له ولا تكون رغبتك فيه أكثر من رغبتك في قضاء حاجتك إذ لا فرق بين إدخال الطعام في البطن وإخراجه فيما ضرورتان في الجلبة وكلاهما يكون قضاء الحاجة من همتك التي يشتغل بها قلبك فلا ينبغي أن يكون تناول الطعام من همتك . واعلم أنه إن كان همتك ما يدخل بطنك قيمتك ما يخرج من بطنك وإذا لم يكن قصدك من الطعام إلا التقوى على عبادة الله تعالى كقصدك من قضاء

الصلح قد ورد « وأن النبي عليه الصلاة والسلام لما شتم القوم الرجل الذي أتى بفاحشة قال له وجزم قوله ولا تصكرونا عونا للشيطان على أخيك » وقال إبراهيم التيمي لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يركبه اليوم ويتركه غدا وفي الخبر « اتقوا زلة العالم ولا تلهووه وانتظروا فيتمه » وروى أن عمر رضى الله عنه سأل عن أخ له كان أخاه يخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه فقال ما فعل أخى فقال له ذلك أخو الشيطان قال له ما قال له إنه عارف

(١) حديث المقتول في الحرب إذا كان قصده القلبية والقيمة وحسن الصيت فهو بعيد عن رتبة الشهادة متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري إن رجلا قاتل يارسول الله الرجل يقال له نعمم والرجل يقال له لذكر والرجل يقال له ليري مكانه فن في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو سبيل الله وفي رواية الرجل يقاتل شجاعة ويقال حمية ويقال رياء وفي رواية يقاتل غضبا .

حاجتك فعلامه ذلك تظهر في ثلاثة أمور: من مآ كوكك في وقته وقدره وجنسه أما الوقت فأقله أن يكفى في اليوم واليلة بمرة واحدة فيواظب على الصوم وأما قدره فبأن لا يزيد على ثلث البطن وأما جنسه فأن لا يطلب له ائله الاطنمة بل يقتنع بما يتفق فان قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنك مشوة الشهوات والذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشهوات وأمكنك أن لا تأكل إلا من حله فان الحلال بمن ولا يفي بجميع الشهوات وأما ما يسبك فليكن غرضك منه دفع الحروالبرد وستر العورة فكل مادفع البرد عن رأسك ولوقد نسوة بدائق فطليك غيره فضول منك يضيع فيه زمانك ويهلك الشغل الدائم وللعناء القائم في بحصيله بالسكسب مرة والطعم أخرى من الحرام والشبهة وقس بهذا ما تدفع به الحر والبرد عن يدك فكل ما حصل مقصود الباس إن لم تكن تف به في خاسا قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت ممن لا يعلا بطنه إلا التراب وكذلك للسكن إن اكتسبت بمقصوده كفتك الماء سقا والأرض مستقرا فان غلبك حر أو برد فليكن بالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك وأنصرف إليه أكثر عمرك وعمرك هو بضاعتك ثم إن تيسر لك تقصدت من الخاطم سوى كونه حائلا بينك وبين الأبطال ومن السفسوسى كونه دافعا للأمطار فأخذت ترغ الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت في مهواة بعد ريقك منها وهكذا جميع ضرورات أمورك إن اقتصرت عليها فترغت لله وقدرت على التزود لأخرتك والاستعداد لحاجتك وإن جاوزت حد الضرورة إلى أودية الأمانى تشعبت همومك ولم يبال الله في أى واد أهلكك فاقبل هذه النصيحة ممن هو أحوج إلى النصيحة منك . واعلم أن متسع التدبير والتزود والاحتياط هذا العمر التصبر فإذا دفعته يوما يوم في تسويةك أو غفلتك اختطفت فجأة في غير وقت إرادتك ولم تفارقك حسرتك وتندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة ما أرشدت إليه بضعف خوفك إذ لم يكن فيما وصفناه من أمر الخاتمة كفاية في تخويفك فانا سنورد غلبك من أحوال الخائفين ما نرجو أن يزيد بعض القساوة عن قلبك فانك تتحقق أن عقل الأنبياء والأولياء والعلماء وعلمهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعملك ومكانك فتأمل مع كلال بصيرتك وعشى عين قلبك في أحوالهم لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يغرر ميتا إلى الأرض ولا غرو إن كان ذلك لا يؤثر في قلبك فان قلوب القائلين مثل- الحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة ما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما لقيه بنافلهم ما عملون-

(بيان أحوال الأنبياء وللانكحة عليهم الصلاة والسلام في الخوف)

روى عائشة رضى الله عنها «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله (١)» وقرأ صلى الله عليه وسلم آية في سورة الواقعة فصعق (٢) وقال تعالى سوخر موسى صفا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل عليه السلام بالأبطح فصعق (٣) وروى أنه عليه السلام كان إذا دخل

(١) حديث عائشة كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة تغير وجهه الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث قرأ في سورة الواقعة فصعق العرف فيأبى روى من هذه القصة أنه قرأه عنده سادينا أنشكالا وجنينا وطعاما إذا غصة وعذابا ليجامع في كتاب السمع واللبق في الشعب رسلا وهكذا ذكره للصفى على الصواب في كتاب السمع كما تقدم (٣) حديث إن رأى صورة جبريل بالأبطح فصعق البرار من حديث ابن عباس بسند جيد سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته فقال ادع بك فدعاه به فطلع عليه من قبل المشرق فجعل يرتفع ويسير فلما رآه صعق وروا ابن البارك من رواية الحسن مر سلا

الكبار حتى وقع في الحفر فقال إذا أردت الخروج فأذن قال فكتب إليه - حم - تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ثم غابته تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى فقال صدق الله تعالى ونصحت عمر فتاب ورجع . وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ابن عمر يلتفت يمينا وشمالا فقال يا رسول الله أخيت رجلا فانا أطلبه ولا أراه فقال يا عبيد الله إذا أخيت أحسدا فاسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فان

في الصلاة يسمع لصدره أزيز كأنه زرّ الرجل^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «ما جاني جبريل قط إلا هو يرد فرقا من الجبار^(٢)» وقيل لما ظهر على إبليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يكيان فأوحى الله إليهما مالكتان يكيان كل هذا البكاء فقالا يارب ما نأمن منك فقال الله تعالى هكذا كونا لا نأمن مكرى . وعن محمد بن النسكر قال لما خلقت النار طارت أمثلة للأئمة من أماكنها فلما خلق بنو آدم عادت وعن أنس أنه عليه السلام سأل جبريل «مالى لأرى ميكائيل يضحك فقال جبريل ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار^(٣)» ويقال إن الله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة أن يغضب الله عليهم فيعذبهم بها وقال ابن عمر رضى الله عنهما «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من الخمر ويأكل فقال يا ابن عمر مالك تأكل قلت يا رسول الله لأشبهه فقال لكنى أشتيه وهذا صبح رابعة لم أذق طعاما ولم أجده ولوسألت ربي لأعطاني ملك قصير وكسرى فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم ينجثون رزق سنهم ويضعف اليقين في قلوبهم قال فو الله ما برحنا ولا نحن حتى نزلت سوكان من دابة لا تعمل رزقها الله يرزقهم ولوياكم وهو السميع العليم - قال فقال رسول الله ﷺ إن الله لم يأمركم بكنز المال ولا بتابع الشهوات من كنز دنائير يريد بها حياة فانية فإن الحياة بيد الله ألا وإن كنز دنائير أو لادرها أو لأخبار زكاة^(٤)» وقال أبو الدرداء كان يسمع أزيز قلب إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة من مسيرة ميل. خوفا من ربه . وقال عياهد بكى داود عليه السلام أربعين يوما سجدا لا يرفع رأسه حتى نبت للرعى من دموعه وحتى غطى رأسه فنودي بإداود أجالتم أنت فتطمع أم ظلمن فتسقى أم عارفتكسى فنجب نعمة حاج العود فاحترق من حر خوفه ثم أنزل الله تعالى عليه التوبة والفرقة فقال يارب اجعل خطيئتي في كفى فصارت خطيئته في كفه مكتوبة فكان لا ييسط كفه لطعام ولا شراب ولا يذره إلا راحا فأبكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاء فإذا تناوله أبصر خطيئته لما يضعه على شفته حتى يفيض القدس من دموعه . ويروى عنه عليه السلام أنه ما رفع رأسه إلى السماء حتى مات حياء من الله عز وجل وكان يقول في مناجاته : إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الأرض رحبا وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلى روعي سبحانك إلهي أتيت أطباء عبادك ليذروا خطيئتي فكلمهم عليك بدلى فؤسا لطف الطين من رحمتك . وقال الفضيل بلغنى أن داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا وعايده على

كان مريضا عدهم وإن كان مشغولا أعنته
وكان يقول ابن عباس رضى الله عنهما
ما اختلف رجل إلى مجلس ثلاثا من غير حاجة تكون له فقلت ما كافأته في الله يا و كان يقول سعيد بن العاص لجليسي على ثلاث إذا دنا رحبت به وإذا حدث أقبلت عليه وإذا جلس أوسعت له وعلامة خلوص الهمّة لله تعالى أن لا يكون فيها غلبة حظ عاجل من رفق أو إحسان فان ما كان معلولا يزول بزوال علمه ومن لا يستند في خلقه إلى علة يحكم بدوام خلقه ومن شرط الحب لله

بلفظ قضى عليه وفي الصحيحين عن عائشة رأى جبريل رأى جبريل في صورته مرتين ولهما عن ابن مسعود رأى جبريل له سائمة جناح^(١) حديث كان إذا دخل في الصلاة سمع لصدره أزيز كأنه زرّ الرجل أبو داود والترمذى في الشمائل والنسائي من حديث عبد الله بن الشخير وتقدم في كتاب السماع^(٢) حديث ماجاني جبريل قط إلا هو ترعد فرائسه من الجبار لم أجده هذا اللفظ وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة عن ابن عباس قال إن جبريل عليه السلام يوم القيامة لتقام بين يدي الجبار تبارك وتعالى ترعد فرائسه فرقا من عذاب الله الحديث وفيه زميل بن سحابة الحنفى يحتاج إلى معرفته^(٣) حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالى لأرى ميكائيل يضحك فقال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الحافظين من رواية ثابت عن أنس باسناد جيد رواه ابن شاهين في السنة من حديث ثابت مرسلًا ورد ذلك أيضا في حق إسرائيل رواه البيهقي في الشعب وفي حق جبريل رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الحافظين^(٤) حديث ابن عمر خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل على حيطان الأنصار فجعل يلتقط من الخمر ويأكل الحديث ابن مردويه في التضمير والبيهقي في الزهد من رواية رجل لم يسم عن ابن عمر قال البيهقي هذا إسناد مجهول والجراح بن منهال ضعیف.

رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت إليه السباع فقال ارجعوا لأريدكم إنما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني إلا البكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداد الحطاء وكان يمازج في كثرة البكاء فيقول دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تخريق العظام واشتعال الحشا وقبل أن يؤمرني ملائكة غلاظ شداد لا يصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . وقال عبد العزيز بن عمر لما أصاب داود الخطيئة تمن صوته فقال إلهي بخ صوتي في صفاء أصوات الصديقين ، وروى أنه عليه السلام لما لحق بكأؤه ولم ينفعه ذلك ضاق فذعه واشتد غمه فقال يا رب أأمرهم بكأى فأوحى الله تعالى إليه يا داود نسيت ذنبتك ذكرت بكاءك فقال إلهي وسيدى كيف أنسى ذنبي وكنت إذا تلوت التوراة كفت للقاء الجارى من جريه وسكن هبوب الريح وأظفى الطير على رأسى وأنست الوحوش إلى عمرانى إلهي وسيدى فما هذه الوحشة التى بينى وبينك فأوحى الله تعالى إليه يا داود ذلك أنسى الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود آدم خلق من خلقى خلقتة يدي ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتى وألبست ثوب كرامتى وتوجته بتاج وقارى وشكلى إلى الوحدة فروجته حواء أمتى وأسكنته جنى عصافى فطردته عن جوارى عريانا ذليلا يا داود اسمع منى والحق أقول أطمئنا فأطمناك وسألتنا فأعطيناك وعصيتنا فأهلناك وإن عدت إلينا على ما كان منك قبلنا . وقال يحيى بن أبى كثير بلغنا أن داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فإذا كان قبل ذلك يوم أخرجه له المنبر إلى البرية فأمر سليمان أن ينادى بصوت يستقرى البلاد وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبرارى والصوامع والبيع فينادى فيها أألمن أراد أن يسمع نوح داود على نفسه فليأتى قال فتأتى الوحوش من البرارى والآكام وتأتى السباع من الغياض وتأتى الهوام من الجبال وتأتى الطير من الأوكار وتأتى المذارى من خدورهن وتجتمع الناس لذلك اليوم ويأتى داود حتى يرقى المنبر ويحيط به بنو إسرائيل وكل صنف على حدته يحيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه فيأخذ في التناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتعومت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في أهوال القيامة وفى النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فإذا رأى سليمان كثرة الموتى قال يا أبناء قديمزمت للستمعين كل محرق ومات طوائف من بنى إسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدعاء فيبناها وكذلك إذا نادى بعض عباد بنى إسرائيل يا داود هجئت بطلب الجزاء على ربك قال فيخبر داود مفشيا عليه فإذا نظر سليمان إلى ما أصابه أتى بسرير لحمله عليه ثم أمر مناديا بنادى أألمن كان له مع داود حبيب أو قريب فليأتى بسرير لحمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المرأة تأتى بالسرير وتعمل قريبا وتقول يا من قتلته ذكر النار يا من قتلته خوف الله ثم إذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأظلقى بابه ويقول يا إله داود أعضبان أنت على داود ولا يزال ينابجى ربه فيأتى سليمان ويثبته على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعر فيقول يا أبناء قوت بهذا على ما تريد فأكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج إلى بنى إسرائيل فيكون بينهم . وقال يزيد الرقاشى خرج داود ذات يوم بالناس يعظمهم ويخوفهم فخرج في أربعين ألفا فمات منهم ثلاثون ألفا ومارجع إلى عشرة آلاف قال وكان له جاريتان أخذاهما حتى إذا جاءه الحوف وسقط فاضطرب تعمدتا على صدره وعلى رجله مخافة أن تفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت . وقال ابن عمر رضى الله عنهما دخل يحيى بن زكريا عليهم السلام بيت للقدس وهو ابن ثمان حجج فظفر إلى عبادهم قد لبسوا مدافع الشر والصوف ونظر إلى مجتهدهم قد جرقوا التراقي وسلسكوا فيها السلاسل وهذوا أنفسهم إلى أطراف بيت المقدس فهاله ذلك

إشارة إلى ما يقدر عليه من أمر الدين والدنيا قال الله تعالى - يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - قوله تعالى لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - أى لا يجدون إخوانهم على ما هم وهذان الوصفان بهما يكملن صفو المحبة أحدهما انتزاع الحسد على شيء من أمر الدين والدنيا . والثاني الإشارة بالمقدور . وفى الخبر عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام «الرء على دين خليله ولاخير

فرجع إلى أبويه فر بصيدان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا للعب فقال إني لم أخلق للعب قال فأتى أبويه فأنهما أن يدرعاه الشعر فعلا فرجع إلى بيت للقدس وكان يخدمه نهرا ويصحب فيه ليلا حتى أتت عليه خمس عشرة سنة فخرج وزم أطواد الأرض وغيران الشباب فخرج أبواه في طلبه فأدركاه على بحيرة الأردن وقد أتقن رجليه في اللاء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لأذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكاني منك فسأله أبواه أن يفطر على قرص كان معهم من شعير وشرب من ذلك اللاء فضل وكفر عن بينه فمدح بالبرفردة أبواه إلى بيت للقدس فكان إذا قام يصلي بكى حتى يسكى معه الشجر والدرر فينكس زكريا عليه السلام لبعكاه حتى يضى عليه فزلى يسكى حتى خرقت دموعه لم حديه وبنت أضراره للناظرين فقالت له أمه يا بني لو أدت لي أن أتعذلك شيئا تورى به أضراسك عن الناظرين فأذن لها فعدت إلى قطعي لودفألصقتها على خديه فكان إذا قام يصلي بكى فإذا استنقعت دموعه في القطعتين أتت إليه أمه فقصرتهما فإذا رأى دموعه تسيل على ذراعي أمه قال اللهم هذه دموعى وهذه أمى وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين فقال له زكريا يوما يا بني إنما سألت ربى أن يهلك لى لتفرعنائى بك فقال يحيى يا أبت إن جنريل عليه السلام أخبرنى أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكاء فقال زكريا عليه السلام يا بني فابك . وقال المسيح عليه السلام : معاشرة الحوارين خشية الله وحب الفردوس يورثان السبر على المشقة ويباعدان من الدنيا بحق أقول لكم إن أكل الشعر والنوم على الزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل . وقيل كان الخليل صلات الله عليه وسلامه إذا ذكر خطيئته يمشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فيأتيه جبريل فيقول له ربك يقرئك السلام ويقول هل رأيت خيلا يخاف خيله فيقول يا جبريل إني إذا ذكرت خطيئتي نسيت فخلق هذه أحوال الأنبياء عليهم السلام فدونك والتأمل فيها فانهم أعرف خلق الله بالله وصفاته صلات الله عليهم أجمعين وعلى كل عبد الله القرآن وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف والصالحين في عدة الخوف)

روى أن أبابكر الصديق رضى الله عنه قال لطائر لفتى مثلك ياطائر ولم أخلق حيرا . وقال أبوذر رضى الله عنه وددت لو أنى شجرة تضد وكذلك قال طلحة . وقال عثان رضى الله عنه وددت أن إذا مت لم أبث وقالت عائشة رضى الله عنها وددت أنى كنت نسيا منسيا وروى أن عمر رضى الله عنه كان يسقط من الخوف إذا مع آية من القرآن مفسيا عليه فكان يمد أياما وأخذ يوما تينة من الأرض فقال يا ليتنى كنت هذه التينة يا ليتنى لم أك شيئا مذكورا يا ليتنى كنت نسيا منسيا يا ليتنى لم تلدن أمى وكان في وجه عمر رضى الله عنه خطان أسودان من السموع . وقال رضى الله عنه من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولو لا يوم القيامة لكان غير ماترون ولما قرأ عمر رضى الله عنه - إذا الشمس كورت - و انتهى إلى قوله تعالى - وإذا الصحف نشرت - خر مفسيا عليه وصرى ما يدار لسان وهو يصلى وقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى - إن عذاب ربك لواقع ما منه من دافع - نزل عن محارم واستند إلى حائط ومكث زمانا ورجع إلى منزله ففرض شهر ايموده الناس ولا يبدون مامرضه وقال على كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الشجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده لقد رأيت أصحاب محمد عليه السلام فلم أر اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يحبون شعثا صفرا غبرا بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياماتون كتاب الله يراوون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا ذكر الله فلهذا كان عبيد الشجر في يوم الرب وهملت أعينهم بالسموع حتى تبل ثيابهم والله فتكأى بالقوم باتوا عائلين

لك في صحة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه وكان يقول أبو مسابرة الأسود إخواني كلهم خير مني قيل وكيف ذلك قال كلهم يرى لى الفضل عليه ومن فضلى على نفسه فهو خير منى ولبعضهم نظما : تذلل لمن إن تذللته يرى ذلك للفضل لآله

وجانب صداقة من لم يزل على الأصدقاء يرى الفضل له .

[الباب الخامس والخمسون في آداب الصبية والأخوة]
سئل أبو حفص عن أديب الفقراء في الصبية

ثم قام فما رأى بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم ، وقال عمران بن حصين : وددت أن أكون رمادا تنسفني الرياح في يوم عاصف ، وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه : وددت أني كبش فيذبحني أهلي فيأكلون لحمي ويحسون مرقى ، وكان علي بن الحسين رضي الله عنه إذا توشأ أصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يتأدك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم .
 وتل موسى بن مسعود كنا إذا جلسنا إلى الثوري كأن النار قد أحاطت بنا لما منى من خوفه وجزعه وتقرأ مضر القاري ، يوما - هذا كتنا بنا ينطق عليك بالحق - الآية فيكي عبد الواحد بن زيد حتى غشى عليه فلما أفاق قال وعزتك لأصيتك جهدي أبدا فأعنى بتوفيقك علي طاعتك ، وكان للمسور ابن خزيمة لا يتقوى أن يسمع شيئا من القرآن لشدة خوفه ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة لما يقتل أياما حتى أتى عليه رجل من خشم يقرأ عليه - يوم نخسر للتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق الجرمين إلى جهنم وردا - فقال أنا من الجرمين ولست من للتقين أعدل القول لها القاري فأعادها عليه فشقي شقة فلقق بالآخرة ، وقرئ عند يحيى البكاء - ولو ترى إذ وقوا على ربهم - فصاح صيحة مكث منها مريضا أربعة أشهر ياد من أطراف البصرة ، وقال مالك بن دينار بينا أنا أطوف بالبيت إذ أنا بجورية متعبدة متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول يارب كم شهوة ذهبت لآلتها وبقيت تبعاتها يارب أما كان لك أعب وعقوبة إلا النار ويكي لما زال ذلك مقامها حتى طلع النهار ، قال مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخا أقول ثكلت مالكا أمه ، وروى أن الفضيل رأى يوم عرفة والناس يدعون وهو يكي بكاء الشكي المحترقة حتى إذا كادت الشمس تقرب قبض على لحيتي ثم رفع رأسه إلى السماء وقال واسأله منك وإن غفرت ثم اذهب مع الناس ، وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الخافضين فقال قلوبهم بالخوف فرحة وأعنيهم بأكية يقولون كيف ترحب واللوت من ورائنا والقبر أماننا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي الله بناموقتنا . وروى الحسن بن شاب وهو مستغرق في ضحكته وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى هل مررت بالصرائط قال لا قال فهل تدرى إلى الجنة تصير أم إلى النار قال لا قال فما هذا الضحك قال فرأيت ذلك الفتي بعدها ضاحكا . وكان حماد بن عبد ربه إذا جلس مجلس مستوفرا على قدميه فيقال له لو أعلم أنت فيقول تلك جلسة الأمن وأنا غير آمن إذ عصيت الله تعالى ، وقال عمر بن عبد العزيز : إنما جعل الله هذه الغفلة في قلوب العباد رحمة كيلا يعنوا من خشية الله تعالى ، وقال مالك بن دينار لقد هممت إذا أنا مت أمرهم أن يقيديني ويثبوني ثم ينطلقوا بي إلى ربى كما ينطلق بالبعد الأبق إلى سيده ، وقال حاتم الأصم لا تفر بوضع صالح فلا مكان أضعك من الجنة وقد لقي آدم عليه السلام فيها مائتي ولا تفر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تبذره لقي مائتي ولا تفر بكثرة العلم فإن بلعام كان يحسن اسم الله العظيم فانظر ماذا لقي ولا تفر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر منزلة عند الله من الصلطي صلى الله عليه وسلم ولم ينتفع بقائه آثاره وأعداؤه . وقال السري : إني لأنظر إلى أنفي كل يوم مرات أن يكون قد اسود وجهي ، وقال أبو حفص منذ أربعين سنة اعتقادي في شئ أن الله ينظر إلى نظري السخط وأعمالى تدل على ذلك ، وخرج ابن المبارك يوما على أصحابه فقال إني أجترأت البارحة على الله سبحانه الجنة ، وقالت أم محمد بن كعب القرظي لأبنتها يا بني إني أعرفك صغيرا طيبا وكبيراً طيباً وأكأك أحدث حدثاً موقعا لما أراك تصنع في ليالك ونهارك فقال أياماً ما يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع على وأنا على بعض ذنوبي فمقتي وقال وعزني وجلالي لا غفرت لك ، وقال الفضيل إني لأعجبني ما يرسل من لا ملصقا مقربا ولا عبدا صالحا ليس هؤلاء . ما يؤمن يوم القيامة إنما أعجبتم من لم يخلق . وروى أن فتى من الأنصار

قال حفظ حرمت للشايح وحسن المشورة مع الاخوان والنصيحة للأصغر وترك صجة من ليس في طبقهم وملازمة الاثار ومجانبة الادخار والمعاونة في أمر الدين والدنيا فمن أحبهم التناقل عن زلل الاخوان والنصح فيها يجب فيه النصيحة وكنتم عيب صاحبه واطلاعه على عيب يعلم منه . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رحم الله امرا أهدي إلى عيوب وهذا فيه مصلحة كلية تكون للشخص ممن ينيبه على عيوبه قال جعفر ابن برقان قال لي

دخلته خشية النار فكان يركب حتى حبسه ذلك في البيت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه غفر ميتا فقال ﷺ جهزوا صاحبكم فان القرق من النار قتت كبده ^(١) وروى عن ابن أبي ميرة أنه كان إذا أوى إلى فراشه يقول ياليت أمتي لم تلدن فقالته يا أميرة إن الله تعالى قد أحسن إليك هذا إلى الاسلام قال أجل ولكن الله قد بين لنا أنوار بدو النار ولم يبين لنا أناسادرون عنها وقيل لفرقد السبحي أخبرنا بأعجب شيء بملك عن بني إسرائيل فقال بطني أنه دخل بيت المقدس فحمى عذراء لباسهن الصوف وللصوف قنطرة فنادى ثواب الله وعقابه فمن جميعا في يوم واحد وكان عطاء السلي من الخائفين ولم يكن يسأل الله الجنة أبدا وإنما كان يسأل الله الغفر وقيل له في مرضه ألا تشتهي شيئا فقال إن خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعا للشهوة وقال إنه ما فرغ رأسه إلى السماء ولا ضحك أو بين سنة وأنه رفع رأسه يوما فززع فسقط فاشتق في بطنه فتق وكان يس جسده في بعض الليلة عثانة أن يكون قد مسخ وكان إذا أصابهم ريح أو برق أو غلاء طعام قال هذا من أجل يصيبهم لو مات عطاء لاستراح الناس ، وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر يطهرون العشاء قد نورمت أقدامهم من طول القيام وطارأت أعينهم فردهم وسهم ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الأوتار يصيحون كأن جلودهم قصور الطبيع وكأنهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف أكرم الله للطيعين وكيف أهان العاصين فبينما هم يمشون إذ مر أدهم بمكان غفر مفضيا عليه فجلس أصحابه حوله ليكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فجاءوا بجماء فمسحوا وجوهه فأفاق وسأله عن أمره فقال إني ذكرت أني كنت عصيت الله في ذلك المكان. وقال صالح للري قرأت على رجل من المتبدين - يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطيننا الله وأطعنا الرسول - فصعق ثم أفاق فقال زدني يا صالح فاني أجد غما فقرأت كما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فها هي غفرا ميتا وروى أن زرارة بن أنس أوفى صلى بالناس النداء فلما قرأ - فاذا هم في القنطرة خر مفضيا عليه ففعل ميتا. ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال عظمي يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين أعلم أنك لست أول خليفة بموت فبكى ثم قال زدني قال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب إلا ميت فبكى ثم قال زدني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل غفر مفضيا عليه . وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية - وإن جهنم لموعدهم أجمعين - صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه وخرج هاربا ثلاثة أيام لا يقدر على شيء ^(٢) ورأى داود الطائي امرأة تبكي على رأس قبر ولدها وهي تقول يا ابنة ليت شعري أي خديك بدأ به اليهود ألا تصعق داود وسقط مكانه وقبل مرض سلمان الثوري فرض دليبه على طبيب ذمي فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاءه وجس عروقه ثم قال ما علمت أن في الله الخيفة مثله وقال أحمد بن حنبل رحمة الله عليه سألت الله عز وجل أن يفتح لي بابا من الخوف فتفتح فغث على عظمي فقامت يارب على قدر ما أطيق ففكن قلبي وقال عبد الله بن عمرو بن العاص أبكوا فان لم يبكوا فبأبكوا فوالله نفسي بيده لو يعلم أحدكم لمصرح حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينسكر عليه وكأنه أشار إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم «لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلا ولبكيكم كثيرا» ^(٣) وقال الثوري اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته

ميمون بن مهران قال لي في وجهي ما أكره فان الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكرهه فان الصادق يحب من يصدق والكاذب لا يحب الناصح قال الله تعالى ولكن لا تحبون الناصحين - والصبغة ما كانت في السر. ومن آداب الصوفية القيام بخدمة الإخوان واحتمال الأذى منهم فبذلك يظهر جوهر الفقير روي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر بقلع ميزاب كان في دار العباس بن عبد المطلب إلى الطريق بين الصفاء للروة فقال له العباس فلت ما كان

(١) حديث إن فقي من الأنصار دخلته خشية من النار حتى حبسه خوفه في البيت الحديث ابن أبي الدنيا في الخائفين من حديث حذيفة والبيهقي في الشعب من حديث سهل بن سعد باسنادين فبها لظفر .
(٢) حديث ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية وإن جهنم لموعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسي لم أقف له على أصل (٣) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلا ولبكيكم كثيرا تقدم في قواعد العقائد

ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث إنما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء القريق إنما هذا زمان احفظ لسانك وأخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وروى الفضيل يوما وهو يمشي قبيل له إلى أين؟ قال لأدري وكان يمشي والمسا من الخوف . وقال ذو بن عمر لأبيه عمر بن ذر : ما بال للتكلمين يتكلمون فلا يسكن أحدنا تسكمت أنت سمعت البكاء من كل جانب فقال يا بني ليست الناحية الشكلى كالناحية الستارة وحكي أن قوما وقفوا بسابده وهو يسكن فقالوا ما الذي يبكيك يرحمك الله ؟ قال قرعة يجدها المخافون في قلوبهم قالوا وما هي ؟ قال روعة النداء بالمرض على الله عز وجل . وكان الخواص يسكن ويقولون في مناجاته قد كبرت وضعت جسمي عن خدمتك فأعطني . وقال صالح المري : قدم علينا ابن السكاة مرة فقال أرني شيئا من بعض عجائب عبادكم فذهبت به إلى رجل في بعض الأحياء في خص له فاستأذنا عليه فإذا رجل يعمل خوصا فقرأت عليه - إذا لأغلال في أعناقهم والاسلال يسحبون في الجحيم ثم في النار يسجرون - فضيق الرجل شهقة وخر مغشيا عليه فخرجنا من عندهم وتركناه على حاله وذهبنا إلى آخر فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية فضيق شهقة وخر مغشيا عليه فنهضنا واستأذنا على ثالث فقال ادخلوا إن لم تشغلونا عن ربنا فقرأت - ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد - فضيق شهقة فبدا الدم من منخره وجعل يتشبط في دمه حتى يبس فتركناه على حاله وخرجنا فأدبرته على ستة أنفاس كل خرج من عنده وتركه مغشيا عليه ثم أتيت به إلى السابع فاستأذنا فإذا امرأة من داخل الحصى تقول ادخلوا فدخلنا فإذا شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت عال إلا إن الخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فأتها فاه شاخصا بصره يصيح بصوته ضعيف أوه أوه حتى انقطع ذلك الصوت فقامت امرأته اخرجوا فانكم لا تنفون به الساعة فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فإذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى وأما الشيخ فإنه مكث ثلاثة أيام على حاله مبهوتا متحيرا لا يؤدّي فرضا فلما كان بعد ثلاث عقل وكان يزيد بن الأسود يرى أنه من الأبدال وكان قد حلف أنه لا يضحك أبدا ولا ينام مضطجعا ولا يأكل ممنا أبدا فمارى صاحبا ولا مضطجعا ولا يأكل ممنا حتى مات رحمه الله . وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني أنك لم تضحك قط فقال كيف أضحك وجههم قد سمرت والأغلال قد نصبت والزانية قد أذت وقال رجل للحسن يا أبا سعيد كيف أصبحت قال بخير قال كيف حالك فقبسم الحسن وقال تسألني عن حالي ما ظنك بناس ركبو سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فطلق كل إنسان منهم خشية على أي حال يكون قال الرجل على حال شديدة قال الحسن حالي أعذب من حالهم . ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز عليه فسلمت عليه ثم قامت إلى مسجد في بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عينها فرقدت فاستبكت في منامها ثم انتهت فقالت يا أمير المؤمنين إني والله رأيت عجبا قال وما ذلك ؟ قالت رأيت النار وهي تزفر على أهلها ثم جرى بالصراط فوضع على متنها فقال هيه قالت بغيء بعد الملك بن مروان فحمل عليه فامضى عليه إلا يسير حتى انكفأ به الصراط فهوى إلى جهنم فقال عمر هيه قالت ثم جرى بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فامضى إلا يسير حتى انكفأ به الصراط فهوى إلى جهنم فقال عمر هيه قالت ثم جرى سليمان بن عبد الملك فامضى عليه إلا يسير حتى انكفأ به الصراط فهوى كذلك فقال عمر هيه قالت ثم جرى بك والله يا أمير المؤمنين فصاح عمر رحمه الله عليه صيحة خر مغشيا عليه فقامت إليه فجلست تتادى في أذنه يا أمير المؤمنين إني رأيته والله قد نبوت إني رأيته والله قد نبوت قال وهي تتادى وهو يسبح ويصيح ويرجله

رسول الله صلى الله عليه وسلم وضه يده فقال إذن لا يردعه إلى مكانه غير يدك ولا يكون لك سلم غير عاتق عمير فأقامه على عاتقه وردعه إلى موضعه ومن أدبهم أن لا يرون أنفسهم ملكا يخصون به قال إبراهيم بن شيكان كنا لاصعب من يقول نبي . أخبرنا بذلك رضي الدين عن أبي القاسم التميمي قال سمعت أبا حاتم الصوفي قال سمعت أبا نصر السراج يقول ذلك وقال أحمد بن القلانسي دخلت على قوم من الثقراء يوما بالبصرة فأكرموني

ويحكى أن أويس القرني رحمه الله كان يحضر عند القاص فيسكن من كلامه فإذا ذكر النار صرخ أويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون . وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه إن المؤمن لا يسكن روعه حتى يترك جسدهم وراءه وكان طاوس يفرش له الفرش فيضطجع ويتقلب كما تتقلب الحبة في القلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الحافئين . وقال الحسن البصري رحمه الله : يخرج من النار رجل بعد ألف عام باليتي كنت ذلك الرجل وإنما قال ذلك خوفا من الخلود وسوء الخاتمة . وروى أنه ماضحك أربعين سنة قال وكنت إذا رأيته قاعدا كأنه أسير قد قدم تضرب عنقه وإذا تسكلم كأنه يمين الأخيرة فيجبر عن مشاهدتها فإذا سكنت كأن النار تسمر بين عينيه وعوغب في شدة حزنه وخوفه فقال ما يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع في كل بعض ما يكره فتفتى فقال اذهب فلا غفرت لك فأنا أعلم في غير معتدل . وعن ابن السكيت : قال وعظمت يوما في مجلس قمام شاب من القوم فقال يا أبا العباس لقد وعظمت اليوم بكلمة ما كنا نبالى أن لانسبح غيرها قلت وما هي رحمتك الله قال ذلك لقد قطع قلوب الحافئين طول الخلودين إما في الجنة أو في النار قال ثم مات رحمه الله عنه فأنخبت أنه مريض ياد فأنيته أعوده قتل يا أخي ما الذي أرى بك فقال يا أبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الحافئين طول الخلودين إما في الجنة أو النار قال ثم مات رحمه الله فرأيت في المنام قتل يا أخي ماضل الله بك ؟ قال غفرتي ورحمتي وأدخلني الجنة قلت بماذا ؟ قال لسكامة فهذه مخاوف الأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين ونحن أجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكال للرفة والإفليس أننا لقله ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شوقنا وغلبت علينا شوقنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا فاقرب الرحيل بنهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الحافئين نخوفنا ولا خطر الخاتمة زهجننا ففسأل الله تعالى أن يتدارك فضله وجوده أحوالنا فيصلحنا إن كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا . ومن العجايب أنا إذا أردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا وأنجزنا وركبنا البعار والبرارى وخاطرنا وإن أردنا طلب ربة العلم تفقهننا ونهيننا في حفظه وتسكراه وسهرنا ونهجد في طلب أرزاقنا ولا تبق بزمان الله لنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول اللهم ارزقنا ثم إذا طمعت أعيننا نحو ذلك الدائم للقيم قمنا بأن يقول بألسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذى إليه مرجعنا فاعتزنا بآيادينا ويقول - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . ولا يفرنكم بالله الغرور . يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم - ثم كل ذلك لا ينهنا ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وما نماننا فهاهنا لا نعنه هائلة إن لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا ففسأل الله تعالى أن يتوب علينا بل نسأله أن يشوق إلى التوبة سرائر قلوبنا وأن لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غايه حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل إذا سمعنا الوعظ بكينا وإذا جاء وقت العمل بما سمعنا عصينا فلا علامة للخذلان أعظم من هذا ففسأل الله تعالى أن يمن علينا بالتوفيق والرشدة ونفضله ولتقتصر من حكاية أحوال الحافئين على ما أوردناه فإن القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكنى والكثير منه وإن أقفى على القلب القابل فلا يفي . ولقد صدق الراغب الذي حكى عنه عيسى بن مالك الخولاني وكان من خيار العبادة أنه رأى على باب بيت المقدس واقفا كهية المهزون من شدة الوله ما يكاد يرقأ قدميه من كثرة البكاء فقال عيسى لما رأيته هالتي منظره قتل أيها الراهب أوصى بوصية أخفها عنك فقال يا أخي بماذا أوصيك إن استطعت أن تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهموم فهو خائف حذر

ويجأون قتل يوما
لبعثهم أين إزارى
نسقط من أعينهم .
وكان إبراهيم بن آدم
إذا سمع إنسان شارطه
على ثلاثة أشياء أن
تكون الخدمة
والأذان له وأن تكون
يده في جميع ما يفتح
الله عليهم من الدنيا
كيد فقال رجل من
أصحابه أنا لأقدر على
هذا قل أعجز
صدقت . وكان إبراهيم
ابن آدم ينظر البسائين
ويجمل في الحساد
وينفق على أصحابه .
وكان من أخلاق
السلف أن كل من
احتاج إلى شيء من
مال أخيه استعمله من
غير مؤامرة قال الله

خاف أن يفقد ففترسه السباع أو يسهو فتشهته الهوام فهو مذخور القلب وجل فهو في المخافة ليه وإن أمن القُتُرون وفي الحزن نهاده وإن فرح البطالون ثم ولي وتركني قلت لو زدتني شيئاً عسى ينفعني فقال الظمآن مجزبه من الساء أيسره وقد صدق فإن القلب الصافي يحركه أدنى مخافة القلب الجامد تنبو عنه كل الواعظ وما ذكره من تهديره أنه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي أن يظن أنه تهدير بل هو تحقيق فإنك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لأيتهمشحو بأصناف السباع وأنواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والسجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفتتسك وتتهشك إن غفلت عنها لحظة إلا أنك محجوب العين عن مشاهدتها فإذا انكشف الغطاء وضعت في قبرك عابثتها وقد تمثلت لك بصورها وأشكالها للواقعة لما نيتها قري ببيتك المقارب والحيات وقد أهدقت بك في قبرك وإنما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك صورها فإن أردت أن تقتلها وتظهرها وأنت قادر عليها قبل اللوت فافعل وإلا فوطن نفسك لي دغها ونهشها لصميم قلبك فضلاً عن تظاهر بشرتك والسلام.

كتاب الفقر والزهد

(وهو الكتاب الرابع من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي تسبح له الرمال ، وتسجد له الظلال ، وتذكرك من هيبة الجبال ، خلق الإنسان من الطين اللابز والصلصال ، وزين صورته بأحسن تهويم وأتم اعتدال ، وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال ، وأذن له في قرع باب الخدمة بالهدو والآصال ، ثم كل بصيرة الخلف في خدمته بنور العبادة حتى لاحظ بضائه حضرة الجلال ، فلاح له من البهجة والبهاء والكمال ، ما استعجب دون مبادئ إشرافه كل حسن وجمال ، واستثقل كل ماصرة عن مشاهدته وما لا زمته غاية الاستقلال ، وتمثل له بظاهر الدنيا في صورة امرأة جميلة تيسر وتغفل ، وانكشف له باطنها عن عجوز شوهاء محجنت من طينة الخزي وضربت في قالب النكال ، وهي متلففة بجلبابها لتخفي قبائح أسرارها بطائف السحر والاحتيال ، وقد نصبت حبالها في مدارج الرجال ، فهي تقتنصهم بشروب السكر والاختيال ، ثم لا تجترئ معهم بالخلف في مواعيد الوصال ، بل تهديمهم مع قطع الوصال بالسلال والأغلال ، وتبايعهم بأنواع البلبا والآنسكال ، فلما انكشف للعارفين منها قبائح الأسرار والأفصال ، زهدوا فيها وزهد البغض لها فتركوها وتركوا التفاخر والتكاثر بالأموال ، وأقبلوا بكنههم على حضرة الجلال ، واتقوا منها بوصول ليس دونه اتصال ، ومشاهدة أبدية لا يعترها فناء ولا زوال ، وبالصلة على سيدنا محمد سيد الأنبياء وعلى آله خير آل .

[أما بعد] فإن الدنيا عدوة لله عز وجل بنورها ضل وخطو وبكروهازل من زل خبارأس الخطايا والسيئات ، وبضها أم الطاعات وأس القربات ، وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا من ربيع الهلكات ، ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فانه رأس النجيات ، فلا طمع في النجاة إلا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها الكن مقاطعتها إما أن تكون بأزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقراً وإما بأزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهداً ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادات وحظ في الاعانة على الفوز والنجاة ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودور جأهما وأقسامهما وشروطهما وأحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر آخر منه ونبدأ بذلك الفقر فنقول : [الشطر الأول من الكتاب في الفقر] وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة الفقر . مطلقاً وبيان

(كتاب الفقر والزهد)

تعالى وأمرهم شوري
بينهم - أي مشاعهم فيه
سواء ومن أدبهم أنهم
إذا استغنوا صاحباً
يتمون أنفسهم
ويقتسبون في إزالة
ذلك من بواطنهم لأن
انطواء الضمير على
مثل ذلك للمصاحب
وليجه في الصحية قال
أبو بكر الصكتاني
صحبني رجل وكان على
قلبي ثقلاً فوهبت له
شيئاً بنية أن يزول ثقله
من قلبي فلم يزله فخلوب
به يوماً وقلت له صنع
رجلك على خدي فأني
قلت له لا بد من ذلك
فقص ذلك فزال
ما كنت أجده في
باطني قال الرقي أصدت
من الشام إلى الحجاز

خصوص فضيلة الفقراء وبيان فضيلة الفقير على الثني وبيان أدب الفقير في فقره وبيان أدبه في قبوله العطاء وبيان تحریم السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار الثني المحرم للسؤال وبيان أحوال السائلين والله الوفي للصواب بلطفه وكرمه .

(بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأسمايه)

اعلم أن الفقر عبارة عن قد ما هو محتاج إليه ما قد ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقرا وإن كان المحتاج إليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا وإذا فهمت هذا لم تشك في أن كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لأنه محتاج إلى دوام الوجود في ثانی الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى وجوده فان كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفاد من غيره فهو الثني للطلق ولا يتصور أن يكون مثل هذا الموجود إلا واحدا فليس في الوجود إلا غنى واحد وكل من عداها فأنهم محتاجون إليه ليعود وجودهم به يوم وإلى هذا الحصر الاشارة بقوله تعالى - والله الثني وأنتم الفقراء - هذا معنى الفقر مطلقا ولكننا نساهد بيان الفقر للطلق بل الفقر من المال على الخصوص ولا فقر العبد بالاضافة إلى أصناف حاجاته لا ينحصر لأن حاجاته لا حصر لها ومن جهة حاجاته ما يتوصل إليه المال وهو الذي يريد الآن بيانه فقط فنقول: كل فاقد للمال فانا نسميه فقيرا بالاضافة إلى المال الذي قدده إذا كان ذلك المفقود محتاجا إليه في حقته يتصور أن يكون له خمسة أحوال عند الفقر وغنى غيرهما ونخص كل حال باسم لتتوصل بالتمييز إلى ذكر أحكامها: الحالة الأولى وهي العليا أن يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه وتأذى به وهو بمن أخذ مضاه له وعجزا من شره وشغله وهو الزهد واسم صاحبه الزاهد . الثانية أن يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة فخرج لحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويژهده في لو أتاه وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا . الثالثة أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لرغبة فيه ولو لم يبلغ من رغبته أن ينهض لطلبه بل إن أتاه صفوا أغوا أخذه وفرح به وإن اقتصر إلى تب في طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه الحالة نسميه قالما إذ تقع نفسه بالوجود حتى ترك الطلب مع ما فيها من الرغبة الضعيفة . الرابعة أن يكون تركه الطلب لعجزه وإلا فهو راضب فيه رغبة لو وجسد سيل إلى طلبه ولو بالتعب لطلبه وهو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه بالحريص . الخامسة أن يكون ماقده من المال مضطرا إليه كالجائع الفاقد للغنى والعاري الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كفيما كانت رغبته في الطلب إما ضعيفة وإما قوية وقفا تنفك هذه الحالة عن الرغبة ، فهذه خمسة أحوال أعلاها الزهد والاضطرار إن انضم إليه الزهد وتصور ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتي بيانه ووراء هذه الأحوال الخمسة حالة هي أعلى من الزهد وهي أن يتوسى عنده وجود المال وقده فان وجدته لم يفرح به ولم يتأذى وإن قدده فكذلك بل حاله كما كان حال عائشة رضي الله تعالى عنها إذا أتاهما مال الف درهم من العطاء فأخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادمتها ما استطعت فيا فرقت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحما تطعم علي فقالت لو ذكرتيني لعلت فمن هذه حاله لو كانت الدنيا بخذا فير هاتي بدو وخزائمه لم يقضه إذ هو يرى الأموال في خزائنه الله تعالى لا في يد نفسه فلا يفرق بين أن تكون في يده أو في يد غيره وينبئ أن يسمى صاحب هذه الحالة للستنى لأنه غنى عن قد للمال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يشارك اسم الثني للطلق على الله تعالى وعلى كل من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير إلى بقاء المال في يده وإلما هو غنى عن دخول المال في يده لاعتنا بقاءه فهو إذن فقير من وجه وأما هذا الشخص فهو غنى عن دخول المال في يده وعن بقاءه في يده وعن خروجه من يده أيضا فانه ليس يتأذى به ليجتاج إلى إخراجة وليس يفرح به ليجتاج إلى بقاءه وليس فاقدا له

حق سأل الكنان عن هذه الحكاية . ومن أدبهم تقديم من يعرفون فضله والتوسعة له في المجلس والاثار بالراضع . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في صفة ضيقة فجاءه قوم من البذريين فلم يجدوا موضعا يجلسون فيه فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يكن من أهل بدر فجلسوا مكانهم فاشتد ذلك عليهم فأرسل الله تعالى - وإذا قيل انشروا فانشروا - الآية وحكى أن طي بن بدار الصوفي ورد على أبي عبد الله بن خفيف زائرا فقامها فقال له

ليحتاج إلى الدخول في يده قضاء إلى العموم أميل فهو إلى التقى الذي هو وصف الله تعالى أقرب وإنما قرب البعد من الله تعالى بقرب الصفات لا بقرب المكان ولكننا لانسمى صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا ليقى التقى اسماء له التقى للطلق عن كل شيء وأما هذا البعد فإن استغنى عن المال وجودا أو عدمه فلم يستغن عن أشياء أخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليقى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فإن القلب للتعبيد بحسب المال رقيق وللمستغنى عنه حر والله تعالى هو الذي أعنته من هذا الرق فهو محتاج إلى دوام هذا الشق والتعاقب متقلبة بين الرق والحرية في أوقات متقاربة لأنها بين أصعبين من أصابع الرحمن فذلك لم يكن اسم التقى مطلقا عليه مع هذا الكمال إلا مجازا . واعلم أن الزهد درجة هي كمال الأبرار وصاحب هذه الحالة من اللذين فلا جرم صار الزهد في حقه قصفا نارا لإحداث الأبرار سببات للقرين وهذا لأن الكساة للدنيا مشغول بالدنيا كما أن الراغب فيها مشغول بها والشفل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى إلا بدينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا فإنه أقرب إليك من جبل الوريد وليس هو في مكان حتى تكون السموات والأرض حجابا بينك وبينه فلا حجاب بينك وبينه إلا غفلتك بغيره وغفلتك بنفسك وشهواتك فغل بغيره وأنت لاتزال مشغولا بنفسك وبشهوات نفسك فكذلك لاتزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله تعالى والمشغول بنفسه نفسه أيضا مشغول عن الله تعالى بكل ماسوى الله مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع العاشق والمشوق فإن التفت قلب العاشق إلى الرقيب وإلى بنفسه واستغفله وكرهه حضوره فهو في حال اشتغال قلبه بنفسه مصروف عن التلذذ بمشاهدة مشوقة ولو استغرقه الشق لغفل عن غير المشوق ولم يلتفت إليه فكما أن النظر إلى غير المشوق ليه عند حضور المشوق شرك في الشق وتقص فيه فكذا النظر إلى غير المحبوب ليعرض فيه وتقص ولكن أحدهما أخف من الآخر بل الكمال في أن لا يلتفت القلب إلى غير المحبوب بغضا وجبا فإنه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع أيضا بغض وجب في حالة واحدة فالمشغول بغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بها إلا أن للمشغول بها غافل وهو في غفلة سالك في طريق البعد والمشغول بغضا غافل وهو في غفلة سالك في طريق القرب إذ يرجى له أن ينتهي حاله إلى أن تزول هذه الغفلة وتبدل بالشهود الكمال له مرتقب لأن بغض الدنيا مطية توصل إلى الله فالحب والبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وغفلتها وتسييرها ولكن أحدهما مستقبل السكينة والآخر مستدبرها فهما إسيان بالإضافة إلى الحال في أن كل واحد منهما محجوب عن السكينة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالإضافة إلى الاستدبر إذ يرجى له الوصول إليها وليس محمودا بالإضافة إلى المتكفف في السكينة اللازم لها الذي لا يخرج منها حتى يقتصر إلى الاشتغال بالعبادة في الوصول إليها فلا ينبغي أن تظن أن بغض الدنيا موصوف في عينه بل الدنيا طائق عن الله تعالى ولا وصول إليه إلا بدفع المائق ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استجمل الراحة بل ينبغي أن يشغل بالآخرة فينبى أن سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع التريم المائق عن الحج ، فاذن قد ظهر أن الزهد في الدنيا إن أريد به عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وإن أريد به الرغبة في عدمها فهو كمال بالإضافة إلى درجة الراضى والقانع والحريص وتقصان بالإضافة إلى درجة المستغنى بل الكمال في حق المال أن يستوى عندك للمال وللماء وكثرة الماء في جوارك لاتؤذيك بأن تكون على شاطئ البحر ولا قلته تؤذيك إلا في قدر الضرورة مع أن المال محتاج إليه كما أن الماء محتاج إليه فلا يكون قلبك مشغولا بالقرار عن جوار الماء الكثير ولا يفيض للماء الكثير بل تقول أشرب

أبو عبد الله تقدم فقال
بأى عذر فقال بأنك
لقيت الجنيد وما لقيته
ومن أدهم ترك محبة
من همه شيء من
فضول الدنيا قال الله
تعالى - فأعرض عمن
تولى عن ذكرنا ولم يرد
إلا الحياة الدنيا -
ومن أدهم بذل
الانصاف للاخوان
وترك مطالبة الانصاف
قال أبو عثمان الحيري
حق الصعبة أن توسع
على أخيك من مالك
ولا تطمع في ماله وتصفه
من نفسك ولا تطلب
منه الانصاف وتكون
تبعاه ولا تطمع أن
يكون تبعالك وتستكثر
ما يصل اليك منه
وتستقل بما يصل اليك

منه بقدر الحاجة وأسقى منه عباد الله بقدر الحاجة ولا أدخل به على أحد فكذلك ينبغي أن يكون للمال لأن الحزن واللأواء واحد في الحاجة وإنما الفرق بينهما في قلة أحدهما وكثرة الآخر وإذا عرفت الله تعالى ووثقت بتدبيره الذي دبره العالم علمت أن قدر حاجتك من الحزن يأتيك لأحالة ما دمت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من اللأواء على ما سيأتي بيانه في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى، قال أحمد بن أبي الحواري قلت لأبي سليمان الداراني قال مالك بن دينار للفقير إذا ذهب إلى البيت فخذ الرقعة التي أهديتها لك فان الصدوق يوسوس لي أن الصلح قد أخذها قال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية قد زاده في الله بما غلبه من أخذها فيمن أن كراهية كون الرقعة في بيته التفات إليها سببه الضعف والتقصان . فان قلت فما بال الأنبياء والأولياء هربوا من المال وشرقوا منه كل الشارب، فأقول: كما هربوا من اللأواء على معنى أنهم ما شربوا أكثر من حاجتهم شربوا عما وراءه ولم يجمعوه في القرب والروايات يروى عنهم أنهم لم يتركوا في الأنهار والآبار والبراري المحتاجين إليه لأنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبها ونفسه وقد حملت خزائن الأرض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها (١) إذ كان يستوى عندهم للمال وللأموال والذهب والحجر وما نقل عنهم من امتناع فاما أن ينقل عن خلف أن لو أخذها أن يخذله للمال ويبدد قلبه فيدعوه إلى الشبهوات وهذا حال الضعفاء فلا جرم البنض للمال والحرب منه في حقه كالحكم جميع الخلق لأن كلهم ضعفاء إلا الأنبياء والأولياء وإما أن ينقل عن قوى بلغ السكائل واسكن أظهر القرار والنفارز ولا إلى درجة الضعفاء ليقنعوا به في الترك إذ لو اقتدوا به في الأخذ لساكوا بأفقر الرجل العزم بين يدي أولاده من الحيلة لا لضعفه عن أخذها ولكن لعله أنه لو أخذها أخذها أولاده إذ أروها فيكون والسير بسير الضعفاء ضرورة الأنبياء والأولياء والطباء فقد عرفت إذن أن الراتب ست وأعلىها رتبة المستغنى ثم الزاهد ثم الراضى ثم القانع ثم الحريص ، وأما للضطر فيستور في حقه أيضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف أحوال وأسماه الفقير يطلق على هذه الحجة أما تسمية للمستغنى فقيرا فلا وجه لها بهذا المعنى بل إن سمى فقيرا فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا إلى الله تعالى في جميع أموره عامة وفي بقاء استغناؤه عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية وأقر بها فإنه أحق باسم العبد من العاقلين وإن كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر إلى الله تعالى فهو أحق باسم الفقير فاسم الفقير مشترك بين هذين العنيتين وإذا عرفت هذا الاشتراك فهمت أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعوذ بك من الفقر (٢)»

منك . ومن أدبهم في الصحة لين الجانب وترك ظهور النفس بالصولة . قال أبو علي الروذباري الصولة على من فوقك فحة وعلى من مثلك سوء أدب وعلى من دونك هجر ومن أدبهم أن لا يجري في كلامهم لو كان كذا لم يكن كذا وليت كان كذا وعسى أن يكون كذا فاتهم يرون هذه التذيرات عليه اعتراضا . ومن أدبهم في الصحة حذر لفارقة والحرس على الملازمة . قيل محب رجل رجلا ثم أراد لفارقة استأذن صاحبه فقال بشرط أن لا تصحب أحدا إلا إذا كان فوقنا وإن كان

(١) حديث إن خزائن الأرض حملت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر فأخذوها ووضعوها في مواضعها هذا معروف وقد تقدم في آداب العيشة من عند البخاري تعليقا مجزوما به من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال أنس به فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فلما كان يرى أحدا لإعطاء ووصله عمر بن محمد البحري في صحبته من هذا الوجه وفي الصحيحين من حديث عمرو بن عوف قدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار يقدمونه الحديث ولهما من حديث جابر لوجاءت مال البحرين أعطيتك هكذا ثلاثا فلم يقدم حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر أبو بكر مناديا فنادى من كان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أودين فليأتا قلت إن النبي صلى الله عليه وسلم وعدني ثلثا (٢) حديث أعوذ بك من الفقر تهدم في الأكار واللعوات .

وقوله عليه السلام « كاد الفقر أن يكون كفرا ^(١) » لا يناقض قوله « أحبني مسكينا وأمتني مسكينا ^(٢) » إذ قدر للضرر هو الذي استعاض منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار إلى الله تعالى هو الذي سأله في دعائه صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء .

(بيان فضيلة الفقر مطلقا)

أما من الآيات فبدل عليه قوله تعالى - للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم - الآية وقال تعالى - للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض - ساق الكلام في معرض اللوح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالمجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر . وأما الأخبار : في مدح الفقر فأكثر من أن نحصى روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « أي الناس خير فقالوا مؤسر من المال يعطى حق الله في نفسه وماله قال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس يا رسول الله قال فقير يعطى حق الله في نفسه وماله قال لبلال « ألقى الله فقيرا ولا تلقه غنيا ^(٣) » وقال ^(٤) « إن الله يحب الفقير المتشفع بأبائيه ^(٥) » وفي الخبر للشهور « يدخل قراء أمي الجنة قبل أغنيائها خمسمائة عام ^(٦) » وفي حديث آخر « بأربعين خريفا ^(٧) » أي أربعين سنة فيكون للراغب به تقدير تقدم الفقير الحرص على التقى الحرص والتقدير بخمسمائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على التقى الراغب وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقر يصر فك بالضرورة تفاوتوا بين الفقراء في درجاتهم وكان الفقير الحرص على درجة من خمس وعشرين درجة من التقى الزاهد إذ هذه نسبة الأربعين إلى خمسمائة ولا ننظر أن تقدير رسول الله ^(٨) عمرى على لسانه جزاء وبالافتقار بل لا يستغنى صلى الله عليه وسلم إلا بحقيقة الحق فانه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وهذا كنهه صلى الله عليه وسلم « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ^(٩) » فانه تقدير تحقيق لعمالة ولكن ليس في قوة غيره أن يصرف تلك النسبة إلى اثنين في فأما بالتحقيق فلا بد أن النبوة عبارة عما يخص به النبي ويفارق به غيره وهو مختص بأنواع من الخواص أحدها أنه يصر حقائق الأمور المتعلقة بالله وصفاته وللانكسار والدار الآخرة لا كإبله غيره

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا تقدم في ذم الحسد (٢) حديث اللهم أحبني مسكينا وأمتني مسكينا الترمذي من حديث أنس وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٣) حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه أي الناس خير فقالوا مؤسر من المال يعطى حق الله من نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس قال فقير يعطى حق الله أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف مقتصر على للر فروع منه دون سؤاله لأصحابه وسؤالهم له (٤) حديث قال لبلال ألقى الله فقيرا ولا تلقه غنيا الحاكم في مسند أبي سعيد بلطف مت فقيرا ولا تمت غنيا أهل التحقيق من حديث بلال ورواه الطبراني من حديث أبي سعيد بلطف مت فقيرا ولا تمت غنيا وكلامه ضعيف (٥) حديث إن الله يحب الفقير المتشفع بأبائيه ابن ماجه من حديث عمران ابن حصين وقد تقدم (٦) حديث يدخل قراء أمي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح وقد تقدم (٧) حديث دخولهم قبلهم بأربعين خريفا مسلم من حديث عبيد الله بن عمرو إلا أنه قال قراء المهاجرين والترمذي من حديث جابر وأنس (٨) حديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة البخاري من حديث أبي سعيد ورواه هو ومسلم من حديث أبي هريرة وعبادة بن الصامت وأنس بلطف رؤيا المؤمن جزء الحديث وقد تقدم .

فوقنا أيضا فلا تصحبه لأنك محبتنا أولا فقال الرجل زال عن قلبى نية المارقة . ومن أدمهم المتعطى على الأصاغر . قيل : كان إبراهيم بن آدم يعمل في الحصاد ويطمع الأصحاب وكانوا يحتمون بالليل وهم صيام وربما كان يتأخر في بعض الأيام في العمل فقالوا ليلتنا لو أننا كل فلورنا ذنوبنا حتى يعود بعد هذا . يسمع فأفطروا وناموا فخرجهم إبراهيم فوجدهم نياما فقال مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام فعند إلى شيء من الذيق فضجوا فانتبهوا وهو ينفع في النار واضحا

بل عاقلا له بكثرة الماومات وبزيادة اليقين والتحقيق والكشف واثناني أن له في نفسه صفة بها
تبره الأنفال الحارقة للمادات كأن لنا صفة بها تم الحركات للقرونة بإرادتنا وباختيارنا وهي القدرة
وإن كانت القدرة وللقدور جميعا من فعل الله تعالى. والثالث أن له صفة بها يبصر اللافتة ويشاهدكم كأن
البصير صفة بها يخارق الأعمى حتى يدرك بها للبصرات. والرابع أن له صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب
إما في القطة أو في اللام إذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب فهذه كالات وصفات يعلم
ثبوتها للأنياء ويعلم انقسام كل واحد منها إلى أقسام وربما يمكننا أن نقسمها إلى أربعين وإلى
خمسين وإلى ستين ويمكننا أيضا أن نتكلف تقسيمها إلى ستة وأربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة
جزءا واحدا من جملتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يمكن إلا بظن
وتعمين فلا ندرى تحقيقا أنه الذي أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا وإنما للعلوم مجامع الصفات
التي بها تم النبوة وأصل انقسامها وذلك لا يرشدنا إلى معرفة علة التقدير فكذلك نعلم أن الفقراء
لهم درجات كما سبق فأما لم كان هذا الفقير الحرص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد
حق لم يبق له التقدم بأكثر من أربعين سنة إلى الجنة واقتضى ذلك التقدم بحسبته عام فليس
في قوة البشر غير الأنبياء الوقوف على ذلك إلا بنوع من التعمين ولا وثوق به والفرض التنبيه على
منهاج التقدير في أمثال هذه الأمور فإن الضيف الايمان قد يظن أن ذلك يجري من رسول الله
صلى الله عليه وسلم على سبيل الاضاق وحشا منصب النبوة عن ذلك. ولترجع إلى نقل الأخبار فقد
قال صلى الله عليه وسلم أيضا «خير هذه الأمة قراؤها وأسرعا تضجعا في الجنة ضغفاؤها» (١) وقيل
صلى الله عليه وسلم «إن لي حرقين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضني الفقر
والجهاد» (٢) وروى أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إن الله عز وجل قرأ
عليك السلام ويقول أحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا (٣) وتكون معك أينما كنت فأمرق رسول
الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها جمع من
لا عقل له فقال له جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت. وروى أن السبيح صلى الله عليه وسلم مر في
سياحته برجل نائم ملتصق في عبادة فأيقظه وقال يا نائم قم فاذا ذكر الله تعالى فقال ما تريد مني؟ إني
قد تركت الدنيا لأهلها فقال له قم إذن يا حبيبى ومر موسى صلى الله عليه وسلم برجل نائم على التراب
وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متر بعبادة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع
فأوحى الله تعالى إليه يا موسى أما علمت أني إذا نظرت إلى عبد يوجهى كله زويت عنه الدنيا
كلها وعن أبي رافع أنه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه
فأرسلني إلى رجل من يهودى خير وقال قل له يقول لك محمد أسلفني أو بنى دقيا إلى هلال رجب
قال فأتيته فقال لا والله إلا برهن فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما والله
إني لأمين في أهل السماء أمين في أهل الأرض ولو باعني أو أسلفني لأديت إليه اذهب بدرعي

حاشته على التراب فقالوا
له في ذلك فقال قلت
لعلكم لم تجدوا فطورا
فتمن قالوا الفطورا
بأى شيء عاملناه
وبأى شيء عاملنا.
ومن أدبهم أن لا يقولوا
عند الدعاء إلى أين ولم
وبأى سبب قال بعض
الطباء إذا قال الرجل
لصاحب قم بنا قال
إلى أين فلا تصحبه.
وقال آخر من قال
لأخيه أعطني من
مالك فقال كم تريد
ماقم بحق الإخاء وقد
قال الشاعر:

لا يسألون أخام حين
يتدهم
للتأنيب على مال برهانا
ومن أدبهم أن
لا يتكلفوا للاخوان

(١) حديث خير الأمة قراؤها وأسرعا تضجعا في الجنة ضغفاؤها لم أجده له أصلا (٢) حديث
إن لي حرقين اثنتين الحديث وفيه الفقر والجهاد لم أجده له أصلا (٣) حديث أن جبريل نزل فقال
إن الله قرأ عليك السلام ويقول أحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا الحديث وفيه إن الدنيا دار
من لا دار له الحديث هذا ملحق من حديثين فروى الترمذي من حديث أبي أمامة عرض على ربي
ليجعل لي بطعام مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن أشيع يوما وأجوع يوما الحديث وقال حسن
ولأحمد من حديث عائشة الدنيا دار من لا دار له الحديث وقد تقدم في ذم الدنيا.

هذا إليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الآية - ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا (١) - الآية وهذه الآية تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم «الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد القرس (٢)» وقال عليه السلام «من أصبح منكم معافى في جسده آمناً في سره عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها (٣)» وقال كعب الأتجار «قال الله تعالى لموسى عليه السلام يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلاً قتل مرحباً بشعار الصالحين»، وقال عطاء الخراساني مرني من الأنبياء بساحل فإذا هو برجل يصطاد حيتاناً فقال بسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شيء ثم مر بأخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاضى من كثرتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يارب ما هذا وقد علمت أن كل ذلك بيدك قال الله تعالى لللائكة اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما فلما رأى ما عاهد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذلك من الهوان قال رضى يارب ودل نبينا صلى الله عليه وسلم «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء» وفي لفظ آخر «قللت أن الأغنياء قبيل حبسهم الجحيم» وفي حديث آخر «فرأيت أكثر أهل النار النساء قللت ما شأهن قبيل شغلن الأحرار الذهب والزعفران (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «تحفة المؤمن في الدنيا الفقر (٥)» وفي الخبر «آخر الأنبياء دخولاً الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصعابى دخولاً الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه (٦)» وفي حديث آخر «رأيت دخل الجنة زحفاً (٧)» وقال السليح صلى الله عليه وسلم بشدة يدخل الثني الجنة وفي خبر آخر عن أهل البيت رضى الله عنهم أنه صلى الله عليه وسلم قال «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإذا أحبه الحب البائع اقتناه قيل وما اقتناه قال لم تركه أهلاً ولا مالاً (٨)» وفي الخبر «إذا رأيت الفقر مقبلاً قتل مرحباً بشعار الصالحين وإذا رأيت الثني مقبلاً قتل ذنب عجبت عقوبته (٩)» وقال موسى عليه السلام يارب من أباؤك من خلقك حق أحبهم لأجلك فقال: كل قبر فقير فيمكن أن يكون الثاني للتوكيد ويمكن أن يراد به الشديد الضر وقال السليح صلوات الله

(١) حديث أبي رافع ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فأرسلني إلى رجل من يهود خيبر الحديث في نزول قوله تعالى - ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم - الطبراني بسند ضعيف (٢) حديث الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد القرس الطبراني من حديث شداد بن أوس بسند ضعيف وللرؤف أنه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم رواه ابن عدى في الكامل هكذا (٣) حديث من أصبح منكم معافى في جسده الحديث الترمذي وقد تقدم (٤) حديث اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء الحديث تقدم في آداب التكلم مع الزيادة التي في آخره (٥) حديث تحفة المؤمن في الدنيا الفقر رواه محمد بن حنيفة الشيرازي في شرف الفقر وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بن جبل بسند لا بأس به ورواه أبو منصور أيضاً في من حديث ابن عمر بسند ضعيف جداً (٦) حديث آخر الأنبياء دخولاً الجنة سليمان الحديث تقدم وهو في الأوسط للطبراني بإسناد فرد وفيه نكارة (٧) حديث رأيت يحنى عبد الرحمن بن عوف دخل الجنة زحفاً تقدم وهو ضعيف (٨) حديث إذا أحب الله عبداً ابتلاه الحديث الطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني (٩) حديث إذا رأيت الفقر مقبلاً قتل مرحباً بشعار الصالحين وإذا رأيت الثني مقبلاً قتل ذنب عجبت عقوبته أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية مكحول عن أبي الدرداء ولم يسمع منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى فذكره بزيادة في أوله ورواه أبو نعيم في الحلية من قول كعب

قيل لما ورد أبو حفص
السرائق تكلف له
الجنيب أنوعاً من
الأطعمة فأكثر ذلك
أبو حفص وقال صبر
أصعابى مثل الخائث
يقدم لهم الألوان
والفتوة عندنا ترك
التكلف وإحضار
ما حضر فإن بالتكلف
ربما يؤثر مفارقة
الضيف وبترك
التكلف يستوى
مقامه وفها به ومن
أدبهم في الصحبة
للدارة وترك الداهنة
وتسببه للدارة
بالداهنة والفرق بينهما
أن للدارة ما أردت
به صلاح أخيك
فدأريته لرجاء صلاحه
واحتملت منه ما تكره

عليه وسلامه إلى أحب للسنة وأبيض النعماء وكان أحب الأسامي إلى صلوات الله عليه أن يقال له يامسكين ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يعيشون إليك ولا يجي ونجى إليك ولا يعيشون ينون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضى الله عنهم أجمعين أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك وذلك لأنهم شكوا إليه التأذى برأيتهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فإذا عرقوا فاحت الزواجر من ثيابهم فاشتد ذلك على الأغنياء منهم الأقرب بن حابس التميمي وعيينة بن حصن القزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجتمعهم وإياهم مجلس واحد فقول عليه تعالى - وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالقناعة والى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم - يعنى الفقراء - تريد زينة الحياة الدنيا - يعنى الأغنياء - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا - يعنى الأغنياء - وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (١) - الآية - واستأذن ابن أم مكتوم على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من أشرف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فأئذ الله تعالى - عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر تفتحه الذكري - يعنى ابن أم مكتوم - أما من استغنى فأنت له تصدى (٢) - يعنى هذا الشريف - وعن النبي ﷺ أنه قال «يؤتى بالبعد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى إليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا فيقول: وعزى وجلالى ما زويت الدنيا عنك لخوانك على ولكن لما أعددت لك من السكراة والفضيلة أخرج يا عبدي إلى هذه الصوف فمن أطعمك في أو كاسك في يريد بذلك وجهي فخذ يده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيدخل الصوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذ يده ويدخله الجنة (٣) » وقال عليه السلام «أكثرنا معرفة الفقراء وأخذوا عندهم الأذى فان لهم دولة قالوا يا رسول الله وما دوتهم قال إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كاسكم ثوبا فخذوا يده ثم امضوا به إلى الجنة (٤) »

الأخبار غير مرفوع بإسناد ضعيف (١) حديث قال سادات العرب وأغنياؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما الحديث في نزول قوله تعالى - وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم - الآية تقدم من حديث خباب وليس فيه أنه كان لباسهم الصوف ويفوح ريحهم إذا عرقوا وهذه الزيادة من حديث سلمان (٢) حديث استئذان ابن أم مكتوم على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من أشرف قريش وتزول - قوله تعالى - عبس وتولى - الترمذى من حديث عائشة وقال غريب قلت ورجاله رجال الصحيح (٣) حديث يؤتى بالبعد يوم القيامة فيعتذر الله إليه كما يعتذر الرجل إلى الرجل في الدنيا فيقول وعزى وجلالى ما زويت الدنيا عنك لخوانك على الحديث أبو الشيخ في كتاب التواب من حديث أنس بإسناد ضعيف يقول الله عز وجل يوم القيامة أدنوا مني أحياناً فقول للامة ومن أجابوك فيقول فقراء للمسلمين فيدون منه فيقول أما إنى لم أزو الدنيا عنكم لخوان كان يكى على ولكن أردت بذلك أن أضف لكم كرامتي اليوم فتحنوا على ما شتمت اليوم الحديث دون آخر الحديث وأما أول الحديث فرواه أبو نعيم في الحلية وسيأتى في الحديث الذى بصده (٤) حديث أكثرنا معرفة الفقراء وأخذوا عندهم الأذى فان لهم دولة الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث الحسين بن على بسند ضعيف أخذوا عند الفقراء أذى فان لهم دولة يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة نادى مناد صبروا إلى الفقراء فيعتذر إليهم كما يعتذر أحدكم إلى

وللادانة ما قصدت به شيئا من الهوى من طاب حظا وإقامة جاء . ومن أدبهم في الصبر رعاية الاعتدال بسين الانقباض والانسباط ، نقل عن الشافعى رحمه الله أنه قال : الانقباض عن الناس مكسبة لعداوتهم والانسباط إليهم محبة لقرناء السوء فكان بسين المنقبض وللنسبط . ومن أدبهم ستر عورات الاخوان قال عيسى عليه السلام لأصحابه : كيف تضمنون إذا رأيتم أحاكم ناعما فكشف الربيع عنه ثوبه قالوا نستره ونغطي فقال بل تكشفون عورته

وقال صلى الله عليه وسلم «دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فإذا بلال ونظرت في أعلاها فإذا قراء أمق وأولادهم ونظرت في أسفلها فإذا فيه من الأغنياء والنساء قليل قتل يارب ما شأنهم قال أمنا النساء فأضربهن الأحرار الذهب والحرير وأما الأغنياء فاشتغلوا بطول الحساب ونقضت أحسابهم فلم أر عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك وهو يكي قتل ما خلفك عنى قال يارسول الله والله ما وصلت إليك حتى تقيت للشيات وظننت أنى لأراك ، قتل ولم ؟ قال كنت أحاسب بمالى (١) فانظر إلى هذا وعبد الرحمن صاحب الساقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المحبوبين بأنهم من أهل الجنة (٢) وهو من الأغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «الإن من بالمال هكذا وهكذا (٣) ومع هذا فقد استغفر» بالثنى إلى هذا الحد «ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقير فلم ير له شيئا فقال : لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «الآخركم بمالك أهل الجنة قالوا بلى يارسول الله قد بكل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره (٥)» وقال عمران ابن حطين «كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاءها فويل لك في عبادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ قلت نعم بأى أنت وأمى يارسول الله قام ولقت معه حتى وقف ياب فاطمة قمرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يارسول الله قل أنا ومن موى قالت ومن معك يارسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذي بئتك بالحق نبيا ما على إلا عبادة قال اصنمى بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدى قد وارثه فكيف برأسى فالتى إليها ملادة كانت عليه خلقة فقال شدى بها على رأسك ثم أذنت له فدخل قال السلام عليكم بالبناء كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على ماى أنى لست أقدر على طعم أكله فقد أضرب الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لأبنتى يا بنة فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإنى لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأعطى ولكنى أثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها أهرى فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فأبنتى آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إن سكن في بيوت من نصب لأذى فيها ولا صعب ولا نصب ثم قال لها اقضى بأبن عمك إلى أخيه في الدنيا [١] [٢] (١) حديث دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فإذا بلال ونظرت إلى أعلاها فإذا قراء أمق وأولادهم الحديث الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف نحوه وقصة بلال في الصحيح من طريق آخر (٢) حديث إن عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المحبوبين بأنهم من أهل الجنة أصحاب السنان الأربعة من حديث سعد بن زيد قال الترمذى حسن صحيح (٣) حديث الإمام قال بالمال هكذا وهكذا ومتفق عليه من حديث أبى ذر في أثناء حديث تقدم . (٤) حديث دخل على رجل فقير ولم ير له شيئا فقال لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم لم أجده (٥) حديث الآخركم بمالك أهل الجنة الحديث متفق عليه من حديث حارثة بن وهب عن حصرا ولم يقلوا مالوك وقد تقدم ولا بن ماجه بسند جيد من حديث معاذ الآخركم عن مالوك الجنة الحديث دون قوله أغبر أشعث .

[١] قال البرهان الحلي رأيت عن ابن تيمية أبى العباس بخط بعض الفضلاء حديثا أخذوا مع القراء أياذى وكذا حديث الفقر فخرى قال كلاها كذب انتهى وكذا رأيت في كلام له آخر .

قالوا ضحيحان : الله من يفعل هذا قال أحسنكم يسمع في أخيه بالسكامة فيزيد عليها ويشيها . بأعظم منها ومن أدبهم الاستقار للاخوان بظهور التيب والاهتمام لهم مع الله تعالى في دفع السكاره عنهم . حتى أن أخوين ابشلى أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه فقال إني ابتليت بهوى فان شئت أن لا تعبد على محبى لله فأعمل فقال ما كنت لأحل عقد إختاك لأجل خطيئتك وعقد بينه وبين الله عقدا أن لا يأكل ولا يشرب حتى يمات الله تعالى من هواده وطوى أربعين يوما كذا يسأله

فوالله لقد زوجتكم سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة (١)» وروى عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا أبغض الناس قراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدرهم ورام الله بأربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والحياة من ولادة الأحكام والشوكة من الأعداء (٢)». وأما الآثار فقد قال أبو البرداء رضى الله عنه: ذوالدرهمين أشد حسبا وأقال أشد حسبا من ذي درهم، وأرسل عمر رضى الله عنه إلى سعيد بن عامر بألف دينار بغاء حزينا كثيرا فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أرى درعك الخلق فشق وجهه صرورا وفرقه ثم قال صلى بيكي إلى القداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يدخل قراء أمي الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام حتى إن الرجل من الأغنياء يدخل في عمارهم فيؤخذ بيده فيخرج (٣)» وقال أبو هريرة: ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يشرب ثوبه فلم يكن له خاق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرا به فلا يقال له أيها تريد وقيل جاء فقير إلى مجلس الثوري رحمه الله فقال له غط لو كنت غنيا لما قربتك، وكان الأغنياء من أصحابه يودون أنهم قراء لكثرة تفريره للفقراء وإعراسه عن الأغنياء. وقال لأبي ماريت الثني أدل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري رحمه الله. وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منها جميعا ولورغب في الجنة كما يرغب في الثني لجاز بها جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا وقال ابن عباس: ملعون من أكرم بالثني وأهان بالفقر. وقال لقمان عليه السلام لابنه: لا تحقرن أبدا لحقنا ثياب فان ربك ورب واحد وقال يحيى بن معاذ: حبك الفقراء من أخلاق المرسلين وإيثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة اللناقين، وفي الأخبار عن الكتب السالفة أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام: احذر أن أمتكت فقسقط من عني فأصعب الدنيا عليك صبا، ولقد كانت عائشة رضى الله عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد يوجهها إليها معاوية وابن عامر وغيرهما وإن دعاها لم ترقع وتقول لها الجارية لو اشترت لك بدرهم لحا فطرين عليه وكانت سائمة فقالت لو ذكرتني لفعلت، وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «إن أردت الحق في ضحكك ببش الفقراء وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعى درعك حتى ترقبه (٤)» وجاء رجل إلى إبراهيم بن آدم بشرة آلاف درهم فأى عليه أن يقبها فألح عليه الرجل فقال له إبراهيم أنريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بشرة آلاف درهم ولا أفضل ذلك أبدا رضى الله عنه.

(١) حديث عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عبادة فاطمة الحديث تقدم (٢) حديث إذا أبغض الناس قراءهم وأظهروا عمارة الدنيا الحديث أبو منصور الديلمي بإسناد فيه جهالة وهو منكر (٣) حديث سعيد بن عامر يدخل قراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام الحديث وفي أوله قصة أن عمر بعث إلى سعيد بألف دينار بغاء كثيرا حزينا وفرقا، وقد روى أحمد في الزهد القصة إلا أنه قال تسعين عاما وفي إسناده يزيد بن أبي زياد تسكلم فيه وفي رواية له بأربعين سنة وأما دخلهم قبلهم بخمسمائة عام فهو عند الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه وقد تقدم قبل هذا بورتين.

(٤) حديث قال لعائشة إن أردت الحق في ضحكك ببش الفقراء وإياك ومجالسة الأغنياء الحديث الترمذي وقال غريب والحاكم وصححه نحوه من حديثها وقد تقدم.

عن هواه يقول مازال
فبمد الأربعين أخبره
أن الهوى قد زال
فأكل وشرب. ومن
أدبهم أن لا يهوجوا
صاحبهم إلى الداراة
ولا يلجئوه إلى الاعتذار
ولا يتكافوا للصاحب
ما يشق عليه بل
يكونوا للصاحب من
حيث هو مؤثرين مراد
الصاحب على مراد
أنفسهم قال علي بن أبي
طالب كرم الله وجهه
شر الأصدقاء من
حوجك إلى مداراة
أو الجألك إلى اعتذار
وتسكنت له. وقال
جعفر الصادق أقبل
إخواني علي من
يتكلم لي وأعظم
منه وأخفهم على قلبي

بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والفقيرين والصادقين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن هدى إلى الاسلام وكان عيشه كعفاً وقنع به ^(١) »
وقال صلى الله عليه وسلم « يامشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تنظفروا ثواب تفرحوا ^(٢) »
فالاول القانع وهذا الراضى ويكاد يشعر هذا بفهمه أن الحريص لأثواب له بقره ولكن العوالم
الواردة في فضل الفقير تمل على أنه ثواباً كما سيأتى تحقيقه فلعل للراغب الرضا هو السكراة لفضل
الله في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه إنكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله
تلك السكراة هي التي تحبب ثواب الفقر ، وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال « إن لكل شئ مفتاحاً ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم جلوساً
الله تعالى يوم القيامة ^(٣) » وروى عن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أحب العباد إلى الله تعالى
الفقير القانع برزقه الراضى عن الله تعالى ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل قوت آل محمد
كعفاً ^(٥) » وقال « مامن أحد غنى ولا فقر إلا ود يوم القيامة أنه كان أوفى قوتا في الدنيا ^(٦) » وأوحى الله
تعالى إلى إسماعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال
صلى الله عليه وسلم « لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضياً ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يوم القيامة
أين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة ومن هم بار بنا فيقول فقراء المسلمين القناصون ببطاني الراضون
بقدري أدخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون ^(٨) » فهذا في
القانع والراضى . وأما الزاهد فسنذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب إن شاء الله تعالى . وأما الأثر
في الرضا والقناعة فكثير ولا يخفى أن القناعة يضادها الطمع ، وقد قال عمر رضي الله تعالى عنه إن
الطمع قر والياس غنى وإنه من يشع عفا في أيدي الناس وقنع امتنى عنهم . وقال أبو مسعود رضي الله
تعالى عنه مامن يوم لا اؤملك بنادي من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطفيك وقال
أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه مامن أحد إلا وفي عقله نقص وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظن فرحاً
مسروراً والليل والنهار دأبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد عمره بئس وقيل
لبعض الحكماء ما لفتى قال قللة تمنيك ورضا بما يكفيك وقيل كان إبراهيم بن آدم من أهل النعم فخرسان
فبينما هو يشرف من قصره ذات يوم إذ نظر إلى رجل في فناء القصر وفي يده رغيف يأكله فلما أكل
نام فقال لبعض غلمانه إذا قام فخنني به فلما قام جاء به إليه فقال إبراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع

- (١) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كعفاً وقنع به رواه مسلم وقد تقدم (٢) حديث
يامشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث
أبي هريرة وهو ضعيف جداً فيه أحد بن الحسن بن أبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث
(٣) حديث إن لكل شئ مفتاحاً ومفتاح الجنة حب المساكين الحديث الذي روى في غرائب مالك
وأبو بكر بن لال في مقام الأخلاق وابن عدي في الكامل وابن جبان في الضعفاء من حديث ابن عمر .
(٤) حديث أحب العباد إلى الله الفقير القانع برزقه الراضى من الله لم أجده بهذا اللفظ وتقدم عند
ابن ماجه حديث إن الله يحب الفقير للتغنى (٥) حديث اللهم اجعل رزق آل محمد كعفاً مسلم من
حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلطف قوتا وقد تقدم (٦) حديث مامن أحد غنى ولا فقر إلا ود
يوم القيامة أنه كان أوفى قوتا في الدنيا ابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٧) حديث لا أحد أفضل
من الفقير إذا كان راضياً لم أجده بهذا اللفظ (٨) حديث يقول الله يوم القيامة أين صفوتي من خلقي ؟
فتقول الملائكة ومن هم بار بنا فيقول فقراء المسلمين الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس .

من أكون معه كما
أكون وحدي ناداب
الصحة وحقوق
الأخوة كثيرة
والحكايات في ذلك
يطول قلها وقد رأيت
في كتاب الشيخ أبي
طالب المكي رحمه الله
من الحكايات في هذا
لغنى عيشاً كثيراً
أودع كتابه كل شئ
حسن من ذلك وحاصل
الجميع أن العبد ينبغي له
أن يكون لمولاه ويريد
كل ما يريد لمولاه
لأنفسه وإذا صاحب
شخصاً تكون محبته
إياه الله تعالى وإدماحه
له تعالى يهتم به في كل
شئ يزيد عند الله
زلفى وكل من قام
بحقوق الله تعالى برزقه

قال نعم قال فضيحت قال نعم قال ثم عنت طيا قال نعم فقال إبراهيم في نفسه فما صنع أنا بالدين والنفس تنفع بهذا القدر ومرو رجل بامر بن عبد القيس وهو يأكل ملحا ويقال له يا عبد الله أَرْضَيْتَ من الدنيا بهذا قال ألا أدلك على من رضى بشر من هذا قال بلى قال من رضى بالله عاوضا عن الآخرة وكان محمد بن واسع رحمه الله عليه يخرج خبزا يابس فيه الملاء ويأكله بالملح ويقول من رضى من الدنيا بهذا لم يحتاج إلى أحد . وقال الحسن رحمه الله لمن الله أقواما أقسم لهم الله تعالى ثم لم يصدقهم ثم قرأ - وفي السماء رزقكم وما تعدون فو رب السماء والأرض إنه لحق - الآية . وكان أبو ذر رضى الله عنه يوما جالسا في الناس فأثته امرأته فقالت له أجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة فقال ياهنم إن بين أيدينا عتبة كشودا لا ينجونها إلا أكل خصف فرجعت وهي راضية وقال ذو النون رحمه الله أقرب الناس إلى الكفر ذو فاقة لا صبر له وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال التجمع في الظاهر والتصدق في الباطن والياس بما في أيدي الناس وروى أن الله عز وجل قال في بعض الكتب السالفة للزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا محسن إليك وقد قيل في القناعة:

أضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس وأنتع بياس فان العزى إلياس
واستن عن كل ذي قربى وذى رحم إن الثنى من استغنى عن الناس

وقد قيل في هذا الثنى أيضا :

يا جامعا مانعا والهدى برمقه بمقدرا أى باب منه يملقه
مفكرا كيف تأتبه منيته أغاديا أم بها يسرى قنطرقه
جمعت ما لا تقلل هل جمعت له يا جامع المال أيا ما خرقه
للمال عندك غزون لوارثه ما للمال مالك إلا يوم تنفقه
أرفه يال فتى بقدر على ثقة أن الذى قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مسون ما يدنس والوجه منه جديد ليس يخلقه
إن القناعة من عمل بإحسانها لم يبق في ظلها هم يؤرقه

بيان فضيلة الفقر على الثنى

اعلم أن الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجندب والحواص والأكثرون إلى تفضيل الفقر . وقال ابن عطاء الثنى الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر ويقال إن الجندب دعا ابن عطاء لمخالفته إياه في هذا فأصابته بحمة وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر وبيننا أوجه التناوب بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الأعمال والأحوال وأن ذلك لا يمكن إلا بتفصيل . فأما الفقر والثنى إذا أخذنا مطلقا لم يسترب من قرأ الأخبار والآثار في تفضيل الفقر ولا بد فيه من تفصيل فنقول : أما بتصور الشك في مقامين : أحدهما فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع أو راض بالاضافة إلى غنى منفق ماله في الحريات ليس حريصا على إمساك المال والثاني فقير حريص مع غنى حريص إذ لا يخفى أن الفقير القانع أفضل من الثنى الحريص للمسك وأن الثنى المنفق ماله في الحريات أفضل من الفقير الحريص أما الأول فربما يظن أن الثنى أفضل من الفقير لأنها تساوى في ضنك الحرص على المال والثنى متقرب بالصدقات والحريات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذى ظنه ابن عطاء فبا محبة . فأما الثنى لانتعج بالمال وإن كان في مباح فلا يتصور أن يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ما روى في الخبر « أن الفقراء شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الأغنياء بالحريات والصدقات والحج والجهاد فسلمهم كسبات في التسبيح وذكرهم أنهم يبالغون به فوق ما ناله الأغنياء فتعلم الأغنياء ذلك

الله تعالى علما بمعرفة النفس وعيوبها وبسرورها وعسائرها والأخلاق وعسائرها والآداب وبوقته من أداء الحقوق على بصيرة وبفقهه في ذلك كله ولا يفوته شيء مما

يحتاج إليه فيما يرجع إلى حقوق الحق وفيما يرجع إلى حقوق الخلق فشكل تقصير يوجد من خبث النفس وعدم تركيها وبقاء صفاتها عليه فإن حبيت ظلمت بالافراط تارة وبالتفريط أخرى وتعددت الواجب فيها يرجع إلى الحق والخلق والحكايات واللواظ والآداب وصعابها لا يعمل في النفس

فكانوا يقولونه فنادى الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال عليه السلام ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (١) وقد استشهد ابن عطاء أيضا لماسئل عن ذلك فقال التقي أفضل لأنه وصف الحق أماديله الأول فيه نظر لأن الجبر قد ورد مفصلا فصيلا يدل على خلاف ذلك وهو أن ثواب الفقير في التيسير يزيد على ثواب التقي وأن فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء قد روى يزيد بن أسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال «بث الفقراء رسولا إلى رسول الله ﷺ فقال إنى رسول الفقراء إليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم قوم أحبهم قالوا يا رسول الله إن الأغنياء ذهبوا بالخير يحبون ولا تقدر عليه ويستمرن ولا تقدر عليه وإذا مرضوا يمضوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عنى الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء أما خصال واحدة فإن في الجنة غرضا ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء لا يدخلها إلا نبى فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير ، والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو حسنة عام ، والثالثة إذا قال التقي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق التقي بالفقير ولو أنفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع إليهم فأخبرهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا رضينا رضينا (٢) فهذا يدل على أن قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء أى مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم وأما قوله إن التقي وصف الحق قد أجابه بعض الشيوخ فقال أرى أن الله تعالى غنى بالأسباب والأعراض فاطقطع ولم ينطق وأجاب آخرون فقالوا إن التكبر من صفات الحق فينبى أن يكون أفضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على أن الفقراء أفضل لأن صفات العبودية أفضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينازع فيها ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم «الكبرياء رداءى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما قصصته (٣)» وقال سهل حب المز والبقاء شرك فى الربوبية ومنازعة بها لأهمها من صفات الرب تعالى فمن هذا الجنس تكلموا فى تفضيل التقي والفقير وحاصل ذلك تعلق بمهمات قبل التأويلات وبكلمات قاصرة لا تبيد مناقضها إذ كما يناقض قول من فضل التقي بأنه صفة الحق بالتكبر فكذلك يناقض قول من ذم التقي لأنه وصف للعبد بالمع واللعرفة فإنه وصف الرب تعالى والجهل والغفلة وصف العبد وليس لأحد أن يفضل التقي على الفقير فكشف الغطاء عن هذا هو ما ذكرناه فى كتاب الصبر وهو أن ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبى أن يضاف إلى مقصوده إذ به يظهر فضله والله لا يستعذرة لعينها ولكن كونها عاقبة عن الوصول إلى الله تعالى ولا الفقر مطلوبوا به لئلا يكون لأن فيه قد عائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكمن غنى لم يشغله التقي عن الله عز وجل مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم وكمن فقير شغله الفقر وصرفه عن التصدقات في التصديق الدنيا

- (١) حديث شكا الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الأغنياء بالخيرات والصدقات الحديث وفى آخره فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء متفق عليه من حديث أنى هريرة نحوه
(٢) حديث زيد بن أسلم عن أنس بث الفقراء إلى رسول الله ﷺ رسولا إن الأغنياء ذهبوا بالجنة يحبون ولا تقدر عليه الحديث وفيه بلغ عنى الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء الحديث لم أجده هكذا بهذا السياق وللعرف فى هذا المعنى ما رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر اشكى فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فضل الله به عليهم أغنياءهم فقال يا معشر الفقراء ألا يشركم أن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم حسنة عام وإسناده ضعيف (٣) حديث قال الله تعالى الكبرياء رداءى والعظمة إزارى تخدم فى العلم وغيره.

زيادة تأخير ويكون
كثير قلب فيه الماء
من فوقه فلا يجث فيه
ولا يشفع به وإذا
أخذت بالقوى والرهه
فى الدنيا نبغ منها ماء
الحياء وتفتحت وعلت
وأدت الحقوق وقامت
بواجب الآداب
بتوفيق الله سبحانه
وتعالى .

[الباب السادس
والحسبون فى معرفة
الانسان نفسه
ومكاشفات الصوفية
من ذلك]

حدثنا شيخنا أبو
النجيب السهروردى
قال أنا الشريف نور
الهدى أبو طالب الرضى
قال أنا كرمة للرواية
قالت أخبرنا أبو الهيثم

هو حب الله تعالى والأنس به ولا يكون ذلك إلا بمعرفة وسواك سبيل للعرفة مع الشواغل غير
 يمكن والفقر قد يكون من الشواغل كما أن الثنى قد يكون من الشواغل وإنما الشاغل على التحقيق
 حب الدنيا إذ لا يجتمع معه حب الله في القلب والمحبة للشيء مشغول به سواء كان في فراقه أو في وصاله
 وربما يكون شغله في الفراق أكثر وربما يكون شغله في الوصال أكثر والدنيا مشغولة الغافلين
 المحروم منها مشغول بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها فاذن إن فرمت فارغين عن
 حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد إذ كل واحد غير متمتع إلا بقدر
 الحاجة ووجود قدر الحاجة أفضل من قتله إذ الجائع يسلك سبيل اللوث لاسبيل المعرفة وإن أخذت
 الأمر باعتبار الأكبر فالفقير عن الخطر أبعد إذ فتنة السراء أهد من فتنة الضراء ومن العصمة
 أن لا يقدر ولذلك قال الصحابة رضي الله عنهم بلينا بفتنة الضراء فصرنا وبلينا بفتنة السراء فلم
 نصبر وهذه خلقه الآدميين كلهم إلا الشاذ القليل الذي لا يوجد في الأعصار الكثيرة إلا نادرا ولما
 كان خطاب الشرع مع الكل لامع ذلك النادر والضراء أملى على الكل دون ذلك النادر زجر الشرع عن
 الثنى وذمه وفضل الفقر ومدحه حتى قال السبيح عليه السلام : لا تنتظروا إلى أموال أهل الدنيا فإن
 يريق أموالهم ينهب بنور إيمانكم . وقال بعض العلماء : قلب الأموال عيص حلاوة الإيمان
 وفي الخبر « إن لكل أمة محلا وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم » (١) وكان أصل عجل قوم موسى
 من حلية الذهب والفضة أيضا واستواء المال والماء والذهب والحجر إنما يتصور للأنبيا عليهم السلام
 والأولياء ثم يتم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول
 « الدنيا » (٢) « إليك عني » (٣) إذ كانت تتمثل له بزينة وكان على كرم الله وجهه يقول : يا صغراء غري
 غري وبإيضاء غري غري وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادئ الاغترابها لولا أن رأى
 برهان ربه وذلك هو الثنى للطلق إذ قال عليه الصلاة والسلام « ليس الثنى عن كثرة العرض إنما
 الثنى عن النفس » (٤) وإذا كان ذلك بعيدا فاذن الأصلح لكافة الخلق فقد المال وإن تصدقوا
 به وصرفوه إلى الخيرات لأنهم لا ينفكون في القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها
 واستثمار راحة في بلذتها وكل ذلك يورث الأنس بهذا العالم ويقدر ما يأنس به بالدنيا يستوحش
 من الآخرة ويقدر ما يأنس بصفة من صفاته - سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما
 انقطعت أسباب الأنس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب إذا تجافى عما سوى الله تعالى
 وكان مؤمنا بالله انصرف لآماله إلى الله إذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود إلا الله تعالى وغيره
 فمن أقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن أقبل عليه تجافى عن غيره ويكون إقباله على أحدهما بقدر
 تجافيه عن الآخر وقربه من أحدهما بقدر بعده من الآخر ومثلهما مثل الشرق والغرب فانهما جبهتان
 فالمردد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما يبعد عن الآخر بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد
 من الآخر فحين حب الدنيا هو عين بغض الله تعالى فينبغي أن يكون مطعم نظر العارف قلبه في
 عزوه عن الدنيا وأنه بها فاذن فضل الفقير والثنى بحسب تعلق قلبه بالمال بالمال فقط فإن تساوا
 فيه تساوت درجاتهما إلا أن هذا منزلة قدم وموضع غرور فإن الثنى ربما يظن أنه منقطع القلب

الكشميني قال أخبرنا
 أبو عبد الله القزويني
 قال أنا أبو عبد الله
 البخاري قال ثنا عمر
 ابن حفص قال ثنا أبي
 قال ثنا الأعشى قال
 ثنا زيد بن وهب
 قال ثنا عبد الله قال
 ثنا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وهو الصادق
 للصدوق قال « إن
 أحدم يجمع خلقه في
 بطن أمه أربعين يوما
 نظمة ثم يكون علقه
 مثل ذلك ثم يكون
 مضغة مثل ذلك ثم
 يبعث الله تعالى إليه
 ملكا بأربع كلمات
 فيكتب عمله وأجله
 ووزقه ونشأته فيمضي
 ينفخ فيه الروح وإن
 الرجل ليعمل بعمل

(١) حديث لكل أمة عجل وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم أبو منصور الديلمي من طريق
 أبي عبد الرحمن السلمي من حديث حذيفة بأسناد فيه جهالة (٢) حديث كان يقول للدنيا إليك عني
 الحديث الحاكم مع اختلاف وقد تقدم (٣) حديث ليس الثنى عن كثرة العرض الحديث متفق
 عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

عن المال ويكون حبه دفيناً في باطنه وهو لا يشعر به وإنما يشعر به إذا قدّمه فليجرب نفسه بتفرقة أو إذا سرق منه فإن وجد قلبه إليه التفتان فليعلم أنه كان مغروراً فكم من رجل باع سرية له لظنه أنه منقطع القلب عنها بعد ثروم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه فتحقّق إذن أنه كان مغروراً وأن المفق كان مستكناً في الفؤاد استكنان النار تحت الرماد وهذا حال كل الأغنياء إلا الأنبياء والأولياء وإذا كان ذلك محالاً أو بعيداً فلنطلق القول بأن الفقر أصلح لكافة الخلق وأفضل لأن علاقة الفقير وأنسه بالدين أصعب وقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسيبته وعبادته فإن حركات اللسان ليست مريحة لأعيانها بل ليتأكّد بها الأنس بالذكور ولا يكون تأثيرها في إثارة الأنس في قلب فارغ من غير المذكور كتأثيرها في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من تميد وهو في طلب الدنيا مثل من يطفي أناراً بالحطب ومثل من يفسد يده من الغمر بالسكك . وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى : تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غنى ألف عام . وعن الضحاك قال من دخل السوق فرأى شيئاً يشتهي فصرّ واحتسب كان خيراً له من ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله تعالى . وقال رجل لبشر بن الحرث رحمه الله : ادع الله لي فقد أضرت في العيال فقال إذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لي في ذلك الوقت فإنّ دماءك أفضل من دماي وكان يقول مثل التي المجدد مثل روضة على منبة ومثل الفقير للتبديد مثل عقد الجوهري في جيد الحساء وقد كانوا يكرهون سماع علم المرفقين الأغنياء ، وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : اللهم إني أسألك الدّل عند النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف وإذا كان مثل الصديق رضي الله عنه في كمال حاله يحدّر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في أن قدّم المال أصلح من وجوده هذا مع أن أحسن أحوال الغني أن يأخذ حلالاً وينفق طيباً ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن نوقس الحساب قد عذب ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة إذ كان مشغولاً بالحساب كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال أبو العرداء رضي الله عنه ما أحب أن لي حائوتاً على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاة وذكر وأرجع كل يوم خمسين ديناراً وأصدق بها في سبيل الله تعالى قبل وما تكره قال سوء الحساب ولذلك قال سفيان رحمه الله اختار الفقراء ثلاثة أشياء واختار الأغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس و فراغ القلب وخفة الحساب واختار الأغنياء تعب النفس وغفل القلب وهذه الحساب وما ذكره ابن عطاء من أن الغني وصف الحق فهو بذلك أفضل فهو صحيح ولكن إذا كان البعد غنياً عن وجود المال وعدمه جميعاً بأن يستوى عنده كلاماً فأما إذا كان غنياً بوجوده ومفتقر إلى بقائه فلا يصاهي غناه غنى الله تعالى لأن الله تعالى غني بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور زواله بأن يسرق وما ذكر من الردّ عليه بأن الله ليس غنياً بالأعراض والأسباب صحيح في ذم غنى يريد بقاء المال وما ذكر من أن صفات الحق لا تلحق بالبعد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو أفضل شيء للبعد بل منتهى البعد أن يتخلّق بأخلاق الله تعالى وقد صحت بعض المشايخ يقول إن سألك الطريق إلى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق تصير الأسماء التسمية والتسعون أوصافاً له أي يكون له من كل واحد نصيب وأما التكبر فلا يليق بالبعد فإن التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى وأما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والطبيب على العاصي فليقل به ، ثم قد براد بالتكبر الزهو والسلف والإيذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى وإنما وصف الله تعالى أنه أكبر من كل شيء وأنه يعلم أنه كذلك والبدعيّ أمور

أهل النار حتى ما يكون
بينه وبينها إلا ذراع
فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل أهل الجنة
فيدخل الجنة وإن
الرجل يعمل بعمل
أهل الجنة حتى
ما يكون بينه وبينها
إلا ذراع فيسبق عليه
الكتاب فيعمل بعمل
أهل النار فيدخل النار
وقال تعالى - ولقد
خلقنا الإنسان من
سلافة من طين ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين
أي حريراً لاستقرارها
فيها إلى بلوغ أمدها ثم
قال بعد ذلك كرتلينا نهم
أنفساً ناهقاً آخر - قيل
هذا الانشاء تنفع الروح
فيه . واعلم أن الكلام
في الروح صعب للرام

به بأنه يطلب أعلى للراتب إن قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتليس فضل
 البعد أن يعلم أن المؤمن أكبر من الكافر والطيع أكبر من العاصي والعالم أكبر من الجاهل والانسان
 أكبر من البهيمة والجماد والنبات وأقرب إلى الله تعالى منها فلو رأى نفسه بهذه الصفة ورؤية محتمة
 لاشك فيها لكانت صفة التكبر حاصلة له ولاشك به وفضيلة في حقه إلا أنه لا سبيل له إلى معرفته فان ذلك
 موقوف على الحاجة وليس يدعى الحاجة كيف تكون وكيف تتفق فلجعله بذلك وجب أن لا يستند
 لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر إذ ربما يحتم للكافر بالإيمان وقد يحتم به بالكفر فلم يكن ذلك لائقا به
 لتصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور أن يعلم الثناء على ما هو به كان العلم كمالا في حقه لأنه من
 صفات الله تعالى ولما كانت معرفة بعض الأشياء قد تغيرة صار ذلك العلم نقصانا في حقه إذ ليس
 من أوصاف الله تعالى علم يضرة شعرة الأمور التي لا ضرر فيها هي التي تصور في الثبذ من صفات
 الله تعالى فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الأنبياء والأولياء والعلماء فاذا لو استوى عنده وجود
 المال وعدمه فهذا نوع من الثنى يضاهي بوجه من الوجوه الثنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو
 فضيلة ما لا ثنى بوجوده للمال فلا فضيلة فيه أصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع إلى حال الثنى الشاكر .
 [المقام الثاني في نسبة حال الفقير الحريص إلى حال الثنى الحريص] ولنفرض هذا في شخص واحد
 هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقد وحالة الوجود فأى حالتيه أفضل فنقول :
 ننظر فان كان مطلوبه ما لا بد منه في العيشة وكان قصده أن يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه
 حال الوجود أفضل لأن الفقر يشغله بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الفكر والذكر إلا قدر مدخولة
 بشغل والسكنى هو القادر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل قوت آل محمد كقوت كفاف » وقال « كاد
 الفقر أن يكون كفرا » أي الفقر مع الاضطراب في ما لا بد منه وإن كان للطلب فوق الحاجة وكان
 للطلب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين حالة الفقر أفضل وأصلح
 لأنها استوى في الحرص وحب المال واستوى في أن كل واحد منهما ليس يقصد به الاستعانة على طريق
 الدين واستوى في أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمصيبة بسبب الفقر والثنى ولكن اختلفا في أن الواحد
 يأمن بما وجده فيتأكد حبه في قلبه ويطمئن إلى الدنيا والفائدة المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون
 الدنيا عنده كالسجن الذي ينى الخلاص منه وهما استوت الأمور كلها وخرج من الدنيا رجلان أحدهما
 أشد ركونا إلى الدنيا فحاله أشد لاهة إذ يلتفت قلبه إلى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تأكد
 أنه بالدنيا وقد قال عليه السلام « إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة (١) »
 وهذا تنبيه على أن فراق المحبوب شديد فينبغي أن تحب من لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك وهو
 الدنيا فانك إذا أحببت الدنيا كرهت لقاءه تعالى فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما
 تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون ذاهبا فراقه بقدر حبه وقد أنسه به وأنس الواحد للدنيا القادر عليها أكثر
 من أنس الفاقدها وإن كان حريصا عليها فاذن قد انكشف بهذا التحقيق أن الفقر هو الأشرف والأفضل
 والأصلح لسكافة الخلق إلا في موضعين أحدهما غنى مثل غنى عائشة رضي الله عنها يستوى عنده الوجود
 والعدم فيكون الوجود مزيدا له إذ يستفيد به أدعية الفقراء وللساكنين وجع همهم والثاني الفقر عن
 مقدار الضرورة فان ذلك بكاد أن يكون كفرا ولا خير فيه بوجهن الوجوه إلا إذا كان وجوده يبق حياه
 ثم يستعين به فهو حياته على الكفر والمعاصي ولو مات جوعا كانت معاصيه أقل فالأصلح له أن يموت
 جوعا ولا يجدها يضطر إليه أيضا فهذا تفصيل القول في الثنى والفقر وبق النظر في فقير حريص متكالب على

والامساك عن ذلك
 سبيل ذوى الأحلام وقد
 عظم الله تعالى شأن
 الروح وأسسجل على
 الخلق بقلة العلم حيث
 قال - وما أوتيتم من
 العلم إلا قليلا - وقد
 أخبرنا الله تعالى في كلامه
 عن إكرامه بنى آدم
 فقال لو لقد كرمنا بنى
 آدم - وروى « أنه لما
 خلق الله تعالى آدم
 وذرت به قالت الملائكة
 يا رب خلقهم يا كلون
 وشر يون وينكحون
 فاجعل لهم الدنيا ولنا
 الآخرة فقال وعزنى
 وجلالى لا أجل ذرية
 من خلقت يدي كمن
 قلت له كن فكان « فلع
 هذه الكرامات واختياره
 سبحانه وتعالى ما دام على

(١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة تقدم .

طلب المال ليس له ثم سواه وفي غنى دونه في الحرص على حفظ المال ولم يكن تضعفه بفقد المال لوقته كتنفيع الفقير بفقره فهذا في محل النظر والأظهر أن بسدها عن الله تعالى بقدر قوة تنفيعها لفقد المال وقرهها بقدر ضعف تنفيعها بفقده والعلم عند الله تعالى فيه .

(بيان آداب الفقير في فقره)

اعلم أن للفقير آداباً في باطنه وظاهره ومخالفته وأفضاله ينبغي أن يراعيها فأما آداب باطنه فأن لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر أعنى أنه لا يكون كراهه فعل الله تعالى من حيث إنه فعله وإن كان كراهه للفقر كالحجوج يكون كراهه للحجامة لتألمه بها ولا يكون كراهه فعل الحجامة ولا كراهه للحجام بل ربما يتقصد منه فهذا أقل درجاته وهو واجب وتقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى قوله عليه السلام « يا معشر الفقراء أعطوا الله الثمن من قلوبكم تنظفوا وجوب فقركم والإفلاحة وأرفع من هذا أن لا يكون كراهه للفقر بل يكون راضياً به وأرفع منه أن يكون طالباً له وفرحاً به لعله ينوائل القنى ويكون متوكلاً في باطنه على الله تعالى وثاقاً به في قدر ضرورته أنه يأتيه لاحتاجة ويكون كراهه للزيادة على الكفاف وقد قال على كرم الله وجهه : إن لله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامات الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه ويطيع بهر ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ، ومن علاماته إذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه ويصمى ربه يترك طاعته ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء وهذا يدل على أن كل فقير فليس محمود يدل الحمد الذي لا يتسخط ويرضى وأفرح بالفقر ويرضى لعله يثمره إذ قليل ما أعطى عبد شيئاً من الله نياً لا لئلا له خذه على ثلاثة أثلاث : غفل وهم وطول حساب . وأما آداب ظاهره فأن يظهر التمتف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستره يستره في الحديث « إن الله تعالى يحب الفقير المتعفف بأبائمال » وقال تعالى « يحسبهم الجاهل أغنياً من المتعفف » وقال سفيان أن أفضل الأعمال التجمل عند المحتنة وقال بعضهم ستر الفقر من كسوز البر . وأما في أعماله فأدبه أن لا يتواضع لقنى لأجل غناه بل يتكبر عليه قال على كرم الله وجهه ما أحسن تواضع القنى للفقير رغبة في ثواب الله تعالى وأحسن منه تيه الفقير على القنى ثقة بالله عز وجل فهذه رتبة وأقل منها أن لا يغالط الأغنياء ولا يرغب في مجالستهم لأن ذلك من مبادئ الطمع . قال الثوري رحمه الله إذا خاطب الفقير الأغنياء فاعلم أنه مرء وإذا خاطب السلطان فاعلم أنه لص . وقال بعض العارفين إذا خاطب الفقير الأغنياء انحلت عروته فإذا طمع فيهم انشطت عصمته فإذا سكن إليهم ضل وينبغي أن لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للأغنياء وطعماً في العطاء وأما أدبه في أفضاله فأن لا يغتر بسبب الفقر عن عبادة ولا ينع بذلك قليل ما يفضل منه فإن ذلك جهد للقل وفضله أكثر من أموال كثيرة تبدل عن ظمغى . روى زيد بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف درهم فصدق بها وأخرج رجل درهماً من درهمن لا يلائق غيرها طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف » (١) وينبغي أن لا يدخر مالا بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار ثلاث درجات إحداها أن لا يدخر إلا ليومه وليلته وهى درجة الصديقين والثانية أن يدخر لأربعين يوماً فإن مازاد عليه داخل في طول الأمل وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام ففهم منه الرخصة

(١) حديث زيد بن أسلم درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف قيل وكيف يا رسول الله قال أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف الحديث النسائي من حديث أبي هريرة متصلاً وقد تقدم في الزكاة ولا أصل له من رواية زيد بن أسلم مرسلاً .

للاسكة لما أخبر عن الروح أخبر عنهم بقلة العلم وقال ويستلونك عن الروح قل الروح من أمرى - الآية قال ابن عباس قالت اليهود للنبي عليه السلام أخبرنا ما الروح وكيف تمزيب الروح التي في الجسد وإنما الروح من أمر الله ولم يكن نزل إليه فيه شيء فلم يجيبهم فأما جبرائيل بهذه الآية وحيث أمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإخبار عن الروح وماهية باذن الله تعالى ووجه وهو صلوات الله عليه معدن العلم وينبوع الحكمة فكيف يسوغ لغيره

في أمل الحياة أربعين يوما وهذه درجة اللتين والثالثة أن يدخر لسنته وهي أقصى المراتب وهي رتبة الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية فنفى الصالح الضعيف في طمأنينة قلبه في قوت سنته وغنى الخصوص في أربعين يوما وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم لسانه على مثل هذه الأقسام فيعوضن كان يعطيها قوت سنة عند حصول ما يحصل وبعضن قوت أربعين يوما وبعضن يوما وليلة وهو قسم ثالثه وحصة .

(بيان آداب الفقير في قبول العطاء إذا جاءه بغير سؤال)

ينبغي أن يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة أمور : نفس للبالوغرض للمطلى وغرضه في الأخذ أما نفس المال فينبغي أن يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز من أخذه وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنبه وما يستحب وأما غرض المطلى فلا يخاف إيمان أن يكون غرضه تطيب قلبه وطلب محبته وهو الهدية أو الثواب وهو الصدقة والزكاة أو الذكر والرياء والسمة إما على التجرد وإما بمزجها بيقية الأغراض أما الأول وهو الهدية فلا بأس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله ﷺ (١) ولكن ينبغي أن لا يكون فيها منة فان كان فيها منة فالأولى تركها فان علم أن : ضحا عما نظم فيه للتأفيل بالعضدون البعض قد أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن وأقط وكبش قبل السمن والأقط ورد الكبش (٢) وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض (٣) وقال « قد هممت أن لأتهب لإلأمن قرشي أو تقي أو أنصاري أو دوسي (٤) » وفعل هذا جماعة من التابعين وجاءت إلى فتح للوصل صرة فيها خسوس درهم قال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من آتاه رزق من غير مسألة فرده فأتاهم يرد على الله (٥) » ثم فتح الصرة فأخذ منها درهما ورد سائرهما وكان الحسن يروي هذا الحديث أيضا ولكن حمل إليه رجل كيسا ورزمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا قال الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلاق وهذا يدل على أن أمر العالم والواعظ أشد في قبول العطاء

(١) حديث إن قبول الهدية سنة تقدم أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية (٢) حديث أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ممن وأقط وكبش قبل السمن والأقط ورد الكبش أحمد في أثناء حديث ليلى بن مرة وأهدت إليه كبشين وشيئا من سمن وأقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذ الأقط والسمن وأحد الكبشين ورد عليهما الآخر وإسناده جيد وقال وكبش مرة عن يلى بن مرة عن أبيه (٣) حديث كان يقبل من بعض الناس ويرد على بعض أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة وأبى الله لا قبل بعد يومى هذا من أحد هدية إلا أن يصكون مهاجريا الحديث فيه محمد ابن اسحق ورواه بالسننة (٤) حديث لقد هممت أن لأتهب لإلأمن قرشي أو تقي أو أنصاري أو دوسي الترمذي من حديث أبي هريرة وقال روى من غير وجه عن أبي هريرة قلت ورجاله ثقات (٥) حديث عطاء مرسل من آتاه رزق من غير وسيلة فرده فأتاهم يرد على الله عز وجل لم أجده مرسل هكذا ولا أحمد وأبى يلى والطبراني بإسناد جيد من حديث خالد بن عدى الجهني من بلغه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يرد فأتاه هو رزق ساقه الله عز وجل إليه ولأحمد وأبى داود الطيالسي من حديث أبي هريرة من آتاه الله من هذا المال شيئا من غير أن يسأله فليقبله وفي الصحيحين من حديث عمر مائة من هذا المال وأنت فقير مشرف ولا سائل فخله الحديث .

الحوض فيه والاشارة إليه لاجرم لما تناقضت الأنفس الانسانية للتطاعة إلى الفضول للتشوق إلى للعقول للتحركة بوضنها إلى كل ما أمره بالسكون فيه وللتسوية بجرصها إلى كل تحقيق وكل نمويه وأطلقت ضان النظر في مسارج الفكر وخاضت غمرات معرفة ماهية الروح تاهت في التيه وتنوعت آراؤها فيه ولم يوجد الاختلاف بين أرباب النقل والعقل في شيء كالاختلاف في ماهية الروح ولولزمتم النفوس حدها متفرقة ببعجزها كان ذلك أجدر بها

وقد كان الحسن يقبل من أصحابه ، وكان إبراهيم التيمي يسأل من أصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه
وإمرض عليه غيرهم للثمن فلا يأخذها ، وكان بعضهم إذا أعطاه صديقه شيئا يقول أتركه عندك
وانظر إن كنت بعد قبوله في قلبك أفضل من قبل القبول فأخبرني حق أخذه والإفلا ، وأما هذا
أن يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول ويرى للثمن على نفسه في قبول صديقه هديته ، فإن علم
أنه يجازجه منه فأخذه مباح ولكن كنه مكره عند الفقهاء الصادقين . وقال بشر : سألت أحدا قط
شيئا إلا سريا السقطي لأنه قد صرح عندى زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويترحم
ببقائه عنده فأكون عوناً له على ما يجب ، وجاء خراساني إلى الجليل رحمه الله تعالى وسأله أن يأكله
فقال أفرقه على الفقراء ، فقال ما تريد هذا . قال ومضى أعيش حتى آكل هذا قال ما تريد أن تنفقه
في الخل واليتل بل في الحلاوات والطيبات قبل ذلك منه ، فقال الخراساني ما تجد في بغداد أمن على
منك ، فقال الجليل ولا ينبغي أن يقبل إلا من مثلك . الثاني أن يكون للثواب المبرد وذلك صدقة
أو زكاة فليعلم أن ينظر في صفات نفسه هل هو مستحق للزكاة فإن أشبهه عليه فهو محل شبهة وقد
ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الزكاة وإن كانت صدقة وكان يطمع لثمنه فلينظر إلى باطنه ،
فإن كان مقارفا لمصيبة في السر يعلم أن للمطى لو علم ذلك لفر طبعه ولما تقرب إلى الله بالتصدق
عليه فهذا حرام أخذه كما لو أعطاه لظنه أنه عالم أو عاوي ولم يكن فإن أخذه حرام محض لاشبهة
فيه . الثالث أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة فينبغي أن يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله ،
إذ يكون معينا له على غرضه الفاسد . وكان سفيان الثوري يرد ما يعطى ، ويقول : لو علمت أنهم
لا يذكرون ذلك اختاراً به لأخذت ، وعوب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة ، قال إنما أرد
صلتهم إشفاقاً عليهم ونصحاً لهم لأنهم يذكرون ذلك ويحسون أن يعلم به فتذهب أموالهم ويحبط
أجورهم . وأما غرضه في الأخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج إليه فيما لا بد منه أو هو مستغن عنه
فإن كان محتاجاً إليه وقد سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في المطى فالأفضل له الأخذ . قال النبي
صلى الله عليه وسلم « ما للمطى من سعة بأعظم أجراً من الأخذ إذا كان محتاجاً (١) » وقال صلى الله
عليه وسلم « من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استئراف فأنما هو رزق ساقه الله
إليه (٢) » وفي لفظ آخر « فلا يرد » . وقال بعض العلماء : من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يعط وقد
كان سرى السقطي يوصل إلى أحمد بن حنبل رحمه الله عليها شيئا فرد مرة ، فقال له السري :
يا أحمد احذر أفة الرد فإنها أشد من أفة الأخذ ، فقال له أحمد أهد على ما قلت فأعاده ، فقال أحمد
مارددت عليك إلا لأن عندى قوت شهر فاجبته لي عندك فإذا كان بعد شهر فأفنده إلى ، وقد
قال بعض العلماء يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع أو دخول في شبهة أو غيره . فأما
إذا كان مأثراً زائداً على حاجته فلا ينبغي أن يكون حاله الاشتغال بنفسه والتكفل بأمر الفقراء
والإتفاق عليهم لما في طبعه من الرفق والسخاء ، فإن كان مشغولاً بنفسه فلاجبه لأخذه وإمسكه
إن كان طالبا طريق الآخرة فإن ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس له فهو في سبيل الشيطان
أوداعه ، ومن حالم حول الحلى يوشك أن يقع فيه ، ثم له مقامان : أحدهما أن يأخذ في الملاينة

وأولى فأما أقاويل
من ليس متمسكا
بالشرائع ففسدته
الكتاب عن ذكرها
لأنها أقوال أبرزتها
القبول التي ضلت
عن الإرشاد وطبعت
على الفساد ولم يصحها
نور الاهتداء ببركة
متابعة الأنبياء فهم كما
قال الله تعالى - كانت
أعينهم في غطاء عن
ذكرى وكانوا
لا يستطيعون سمعا - .
وقالوا قلوبنا في
أكنة مما تدعونا
إليه وفي آذاننا وقر
ومن بيننا وبينك
حجاب - فلما حججوا
عن الأنبياء لم يسمعوا
وحيث لم يسمعوا لم
يهتدوا فأصروا على

(١) حديث ما للمطى من سعة بأعظم أجراً من الأخذ إذا كان محتاجاً للطبراني من حديث ابن عمر
وقد تهم في الزكاة (٢) حديث من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استئراف فأنما هو
رزق ساقه الله إليه ، وفي لفظ آخر فلا يرد يرد ههنا قبل هذا الحديث .

ويرد في السر أو يأخذ في العلانية ويفرق في السر ، وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لا يطيقه إلا من اطعمت نفسه بالرياضة . والثاني أن يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه إلى من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل إلى من هو أحوج منه فيفعل كليهما في السر أو كليهما في العلانية ، وقد ذكرنا هل الأفضل إظهار الأخذ أو إخفاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فيطلب من موصيه . وأما امتناع أحمد بن حنبل عن قبول عطاء سرى السقطي رحمه الله فأنما كان لاستغناؤه عنه إذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يشتغل بأخذه وصرفه إلى غيره فإن في ذلك آفات وأخطارا والورع يكون حذرا من مظان الآفات إذ لم يأمن مكيده الشيطان على نفسه . وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعددتها للإعاق في سبيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي أنا جائع كما ترى عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يأمن يرى ولا يرى فنظرت فإذا عليه خلقان لامتكاك نواحيه قلت في نفسي لأجده لبراهمي موضعاً أحسن من هذا فحملتها إليه فظفر إليها ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال : أربعة فمن مژرين ودرهم أنفقه ثلاثاً فلا حاجة بي إلى الباقي فردّه . قال فرأيت هذه الليلة الثانية وعليه مژران جديان فهجس في نفسي منه شيء فالتفت إلى فأخذ بيدي فأطافني معه أسبوعاً كل شوط منها على جوهر من معادن الأرض يتخسّش تحت أقدامنا إلى الكسبين : منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس ، فقال هذا كله قد أعطانيه فزهدت فيه وأخذ من أيدي الخلق لأن هذه أثمان وقتة وذلك للبداء فيه رحمة ونعمة ، وللقصود من هذا أن الزيادة على قدر الحاجة إنما تأتيك ابتلاء وقتة لينظر الله إليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة يأتيك رقابك ، فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء . قال الله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً - وقد قال صلى الله عليه وسلم « لاحق لابن آدم إلا في ثلاث : طعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى عورته ، وبيت يكتنه ، فما زاد فهو حساب (١) » فاذن أنت في أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب وفيما زاد عليه إن لم تص الله متعرض للحساب ، وإن عصيت الله فأنت متعرض للعقاب ، ومن الاختيار أيضاً أن تعزم على ترك لغة من اللذات تقرباً إلى الله تعالى وكسراً لصفة النفس فتأتيك عفوا صفوا لتتحنن بها قوة عقلك ، فالأولى الامتناع عنها فإن النفس إذا رخص لها في نقض العزم ألقت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم وهو الزهد ، فإن أخذته وصرفته إلى محتاج فهو غاية الزهد ، ولا يقدر عليه إلا الصديقون . وأما إذا كانت حالك السخاء والذل والتسكف بحق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء غنم مازاد على حاجتك فإنه غير زائد على حاجة الفقراء ، ويأدر به إلى الصرف إليهم ولا تدخره فإن إمساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار فربما علو في قلبك فتمسكه فيكون فتنة عليك . وقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة أخذوها وسيلة إلى التوسع في المال والتعم في العلم وللشرب وذلك هو الهلاك . ومن كان غرضه الرفق وطيب التوابية فله أن يستقرض على حسن الظن بالله لا على إعطاء السلاطين الظلمة فإن رزقه الله من جهل قضاءه وإن مات قبل القضاء قضاء الله تعالى عنه وأرضى غرامه وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يقرض للقرض ولا يقرضه بالواعدة بل يكشف حاله عنده ليقدم على إقرضه على بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب أن يقضى من مال بيت المال ومن الزكاة وقد قال تعالى

الجهالات وحجوا
بالمقول عن المأمول
والعقل حجة الله تعالى
بهدي به قوما ويضل
به قوما آخرين فلم
تقل أنوالم في الروح
واختلافهم فيه . وأما
للمستمكن بالشرائع
الذين تكلموا في الروح
قوم منهم بطريق
الاستدلال والنظر
وقوم منهم بلسان
الدوق والوجد
لا باستعمال الفكر
حق تسلم في ذلك
شايع الصوفية أيضاً
وكان الأولى الإمساك
عن ذلك والتأدب
بأدب النبي عليه الصلاة
والسلام ، وقد قال
الجنيد : الروح شيء
استأثر الله بعلمه ولا

(١) حديث لاحق لابن آدم إلا في ثلاث : طعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى عورته ، وبيت يكتنه
فما زاد فهو حساب الترمذي من حديث عثمان بن عفان وقال وجلف الحزن والماء بدل قوله طعام
يقيم صلبه وقال صحيح .

ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله - قيل معناه ليبيع أحد ثوبيه وقيل معناه فليستعترض بجاهه فذلك مما آتاه الله . وقال بعضهم إن الله تعالى عبادا ينفقون على قدر بضائهم والله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى . ومات بعضهم فأوصى بماله ثلاث طوائف الأقوياء والأسعياء والأغنياء فقيل من هؤلاء ؟ فقال أما الأقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى وأما الأسعياء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى وأما الأغنياء فهم أهل الانقطاع إلى الله تعالى فاذن مهما وجدت هذه الشروط فيك في المال وفي العطي فليأخذ ويبنى أن يرى ما يأخذه من الله لامن العطى لأن العطى واسطة فتسخر للعطاء وهو مضطر إليه بما سلب عليه من الدواعي والإرادات والاعتقادات . وقد حكى أن بعض الناس قد اشقى في خمسين من أصحابه فوضع الرجل مائة حسنة فلما صدق قال لأصحابه إن هذا الرجل يقول من لم يرنى صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا إلا عابستهم كان دورهم في الدرجة فقال صاحب المنزل لثقيق ما قصدت بهذا قال أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهم . وقال موسى عليه السلام : يارب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني إسرائيل فبدني هذا يوما ويشيني هذا ليلة فأوحى الله تعالى إليه هكذا أصنع بأوليائي أجرى أزواجهم على أيدي البطالين من عبادي ليؤجروا فيهم فلا يبنين أن يرى العطى لامن حيث إنه مسخر مأجور من الله تعالى نسأل الله حسن التوفيق لما يرضاه .

(بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير للضرر فيه)

اعلم أنه قد وردت منه كثيرة في السؤال وتشديدات وورد فيه أيضا ما يدل على الرخصة إذ قال صلى الله عليه وسلم «للسائل حق ولو جاء على فرس (١)» وفي الحديث «ردوا السائل ولو بظلف عرق (٢)» ولو كان السؤال حراما مطلقا لمجاز إيانة للتمدى على عدوانه والاعطاء إيانة فالكشف للعطاء فيه أن السؤال حرام في الأصل وإنما يباح بضرورة أو حاجة مهمة قرية من الضرورة فإن كان غنا بد فهو حرام وإنما قلنا إن الأصل فيه التحريم لأنه لا يفتك عن ثلاثة أمور محرمة : الأول إظهار الشكوى من الله تعالى إذ السؤال إظهار للفقر وذكر قصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى وكما أن العبد للملوك لو سأل لكان سؤاله تشيما على سيده فكذلك سؤال العباد تشييع على الله تعالى وهذا يبنى أن يحرم ولا يحل إلا للضرورة كما تحل للآية . الثاني أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله بل عليه أن يذل نفسه لمولاه فإن فيه عزه فأما سائر الخلق فانهم عباد أمثاله فلا يبنين أن يذل لهم إلا للضرورة وفي السؤال ذل للسائل بالإضافة إلى للسؤل . الثالث أنه لا يفتك عن إبداء للسؤل غالبا لأنه ربما لا تسمع نفسه باليد عن طيب قلب منه فإن يذل حياء من السائل أورياه فهو حرام على الآخذ وإن منع ربما استجيا وتأذى في نفسه بالمنع إذ يرى نفسه في صورة البخلاء في البذل قصان ماله وفي اللع قصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو السبب في الإيذاء والإيذاء حرام إلا بضرورة ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فقد فهمت قوله

(١) حديث للسائل حق وإن جاء على فرس أبو داود من حديث الحسين بن علي ومن حديث علي وفي الآول يلى بن أبي يحيى جهله أبو حاتم ووثقه ابن حبان وفي الثاني شيخ لم يسم وسكت عليهما أبو داود وما ذكره ابن الصالح في علوم الحديث أنه بلغه عن أحمد بن حنبل قال أربعة أحاديث تدور في الأسواق ليس لها أصل منها للسائل حق الحديث فانه لا يصح عن أحمد فقد أخرجه حديث الحسين بن علي في مسنده (٢) حديث ردوا السائل ولو بظلف عرق أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والنسائي واللفظ له من حديث أم مجيد . وقال ابن عبد البر حديث مضطرب .

يجوز العبارة عنه بأكثر من موجود ولكن يجمل للصادقين مجلا لأقوالهم وأفعالهم ويجوز أن يكون كلامهم في ذلك بمثابة التأويل لكلام الله تعالى والآيات للزلة حيث حرم تفسيره وجوز تأويله إذ لا يصح القول في التفسير إلا لعل وأما التأويل فتعتمد العقول إليه بالباع الطويل وهو ذكر ما يحتمل الآية من المعنى من غير القطع بذلك وإذا كان الأمر كذلك فليقول فيه وجه وعمل . قال أبو عبد الله النجاشي الروح جسم يلطف

صلى الله عليه وسلم «مسألة الناس من الفواحش ما حل من الفواحش غيرها»^(١) فانظر كيف سبها فاحشة ولا يخفى أن الفاحشة إنما تباح لضرورة كإباحة شرب الخمر لمن غص بلغمه وهو لا يجد غيره وقال صلى الله عليه وسلم «من سأل عن غنى فأنما يستكثر من جرحهم»^(٢) «ومن سأل وله ما يشبعه ما جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتققع وليس عليه لحم» وفي لفظ آخر «كانت مسألته خدوشا وكدحا في وجهه»^(٣) وهذه الألفاظ صريحة في التحريم والتشديد «وباب رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم على الاسلام فاشتراط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفيفة : ولانسألو الناس شيئا»^(٤) وكان صلى الله عليه وسلم يأمر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول «من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا»^(٥) وقال عليه السلام «استنصوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسول الله قال ومنى»^(٦) وسمع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل بعد القرب فقال لواحد من قومه عشي الرجل ففساه ثم جمعه ثانيا يسأل فقال ألم أقل لك عشي الرجل قال قد عشتني فظفر عمر فاذا نحت يده بحجارة ملوذة خبر اقال لست سائلا ولا لعلك تاجر ثم أخذوا الخلاوة وشرا بين يدي إبل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولا أن سؤاله كان حراما لما ضرب به ولا أخذ مخلاته ولعل الفقيه الضعيف للمنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول أما ضربه فهو تأديب وقد ورد الشرع بالتميز وأما أخذه ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بأخذ المال فكيف استخذه وهو استبعاد مصدره انقصور في الفقه فأرى يظهر فقه الفقهاء كلهم في حصوله عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأطاعه على أسرار دين الله ومصالح عباده أقرى أنه لم يعلم أن المصادرة بالمال غير جائزة وعلم ذلك ولكن أقدم عليه غضبا في مصيبة الله وحاشاه وأراد أن الجرح بالمصاحبة بغير طريق شرعي نفي الله وهيات فان ذلك أيضا مصيبة بل الفقه الذي لاح له فيه أنه رأى مستغنيا عن السؤال وعلم أن من أعطاه شيئا فأنما أعطاه على اعتقاده أنه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملكه بأخذه مع التلبس وعسر تمييز ذلك ورده إلى أصحابه إذ لا يعرف أصحابه بأعيانهم بقي ما لا مال له فوجب صرفه إلى الصالح وإبل الصدقة وعلفها من الصالح ويتزل أخذ المسائل مع إظهار الحاجة كاذبا كذا الذي يقول في إنى علوى وهو كاذب فإنه لا يملك ما يأخذه وكأخذ الصوفى الصالح الذى يعطى لصلاحه وهو فى الباطن مقارن لمصيبة لو عرفها لمعطى لما أعطاه وقد

(١) حديث مسألة الناس من الفواحش وما حل الله من الفواحش غيرها لم أجده أصلا (٢) حديث من سأل عن غنى فأنما يستكثر من جرحهم الحديث أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنفية مقتصر على ما ذكر منه وتقدم في الزكاة ولسلم من حديث أبي هريرة من يسأل الناس أموالهم تكثرا فأنما يسأل جحرا الحديث وللإيزر والطبراني من حديث مسعود بن عمر ولا يزال العبد يسأل وهو غنى حتى يخاف وجهه وفى إسناده ابن ولشريقين من حديث ابن عمر ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس على وجهه مزعة لحم وإسناده جيد (٣) حديث من سأل وله ما يشبعه كانت مسألته خدوشا وكدحا فى وجهه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود وتقدم فى الزكاة (٤) حديث بايع قوم على الاسلام فاشتراط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفيفة ولانسألو الناس شيئا مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي (٥) حديث من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا ابن أبى الدنيا فى القناعة والحارث بن أبى أسامة فى مسنده من حديث أبى سعيد الخدرى وفيه حصن بن هلال لم أر من تكلم فيه وباقيم هات (٦) حديث استنصوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير الحديث الإيزر والطبراني من حديث ابن عباس استنصوا عن الناس ولو بشوص السواك وإسناده صحيح وله فى حديث تعففوا ولو بهزم الخطب وقبه من لم يسأل وليس فيه وما قل من السؤال الخ .

عن الحسن ولا يكره
عن الحسن ولا يكره
منه بأكثر من
موجود وهو وإن منع
عن العبارة فقد حكم
بأنه جسم فكأنه عبر
عنه . وقال ابن عطاء
خافى الله الأرواح قبل
الأجساد لقوله تعالى
سولقد خلقناكم - يعنى
الأرواح - ثم صورناكم -
يعنى الأجساد . وقال
بعضهم الروح لطيف
قائم فى كسيف
كالصبر جوهر لطيف
قائم فى كسيف وفى هذا
القول نظر وقال
بعضهم الروح عبارة
والقائم بالأشياء هو
الحق وهذا فيه نظر
أيضا إلا أن يحمل على
معنى الإحياء فقد قال

ذكرنا في مواضع أن ما أخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد إلى المالكه فاستدل بفعل عمر رضى الله عنه على صحة هذا المعنى الذى ينقل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولا تستدل بفعلك عن هذا القلق على بطلان فعل عمر فاذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة فاعلم أن الشيء إما أن يكون مضطرا إليه أو محتاجا إليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه ، فهذه أربعة أحوال . أما للضرر إليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا وسؤال العارى وبذنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو مباح ومجذبة بقية الشروط في اللشول بكونه مباحا وللشول منه بكونه راضيا في الباطن وفي السائل بكونه عاجزا عن الكسب فإن القادر على الكسب وهو بطل ليس له السؤال إلا إذا استغرق طلب العلم أوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة . وأما للمستغنى فهو الذى يطلب شيئا وعنده مثله وأمثاله فقولاه حرام قطعا وهذا طرفان واضحان وأما المحتاج حاجة مهمة فشكل الرضى الذى يحتاج إلى دواء ليس يظهر خوفه لولم يستعمله ولكن لأخلو عن خوف وكن له حجة لا تقص نعتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تأذيا لا ينتهى إلى حد الضرورة وكذلك من يسأل لأجل الكراء وهو قادر على الشيء بمسقة ، فهذا أيضا ينبغي أن تسترسل عليه الإباحة لأنها أيضا حاجة محققول لكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك للأولى ولا يسمى سؤاله مكروها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جيتى قبس والبرد يؤذنى أذى أطيقه ولكن يشق على فإذا صدق فصدته بكون كفارة لسؤاله إن شاء الله تعالى . وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قيسا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر الحروق من ثيابه عن أعين الناس وكن يسأل لأجل الأدم وهو وواجد للغير وكن يسأل الكراء لقرى في الطريق وهو وواجد كراء الحمار أو يسأل كراء الحمل وهو قادر على الراحة فهذا ونحوه إن كان فيه تلبس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وإن لم يكن وكان في شيء من المذورات الثلاثة من الشكوى والقتل وإيذاء للشول فهو حرام لأن مثل هذه الحاجة لا تصلح لأن يتباح بها هذه المذورات وإن لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة . فان قلت فكيف يمكن إخلال السؤال عن هذه المذورات . فاعلم أن الشكوى تدفع بأن يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول أنا مستغن بما أملكه ولكن تطالبني رعونة النفس ثوب فوق ثيابي وهو فضلة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى . وأما القتل فيأبى يسأل أباه أو قريبه أو صديقه الذى يعلم أنه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله والرجل السخى الذى قد أعدت ماله لمثل هذه الكرام فيقر بوجود مثله ويتقبل منه منة بقبوله فيسقط عند القتل بذلك فإن القتل لازم للجنة لا محالة . وأما الإيذاء فسيحل الخلاص عنه أن لا يبين شخصا بالسؤال بينه بل يلقى الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل إلا متبرع بصدق الرغبة وإن كان في القوم شخص مرموق لولم يبدل لكان يلام بهذا إيذاء فانه ربما يبذل كرها خوفا من اللامة ويكون الأحب إليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير اللامة . وأما إذا كان يسأل شخصا مينا فينبغى أن لا يصرح بل يعرض تعرضا يبقى له سبيلا إلى التغافل إن أراد فإذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وأنه غير متأذبه وينبغى أن يسأل من لا يستجيب منه لورده أو يتغافل عنه فإن الحياء من السائل يؤذى كأن الرأى مع غير السائل يؤذى . فان قلت فإذا أخذ مع العلم بأن باعث العلى هو الحيامنه أو من الحاضرين ولو لا لما ابتداء به فهل هو حلال أو شبهة . فأقول ذلك حرام محض لاختلاف فيه بين الأمة وحكمه حكم أخدمال القير بالضرب والصادرة إذ لا فرق بين أن يضرب ظاهر جله بسياط الحشيش أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف اللام وضرب الباطن أشد نكابة في قلوب العقلاء

بعضهم الإحياء صفة
المحي كالخلق صفة
الحال وقول قل الروح
من أمرى - وأمره
كلامه وكلامه ليس
بمخلوق أى صار إلى
حيا بقوله كن حيا
وعلى هذا لا يكون
الروح بمعنى في الجسد
من الأقوال ما يدل
على أن قتله يستند
الروح ومن الأقوال
ما يدل على أنه يستند
حدوثه ثم إن الناس
مختلفون في الروح الذى
سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عنه
قال قوم هو جبرائيل
وقتل عن أمير المؤمنين
على بن أبى طالب رضى
الله عنه أنه قال هو
ملك من الملائكة له

ولا يجوز أن يقال هو في الظاهر قدرضى به وقد فعل صلى الله عليه وسلم « إنما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر ^(١) » فإن هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات إذ لا يمكن رد مدعى البواطن وقرائن الأحوال فاضطرأوا إلى الحكم بظاهر القول بالسان مع أنه ترجح كثير الكذب ولكن الضرورة دعت إليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله تعالى والحاكم فيه أحكم الحاكمين والقلوب عنده كاللغة عند سائر الحكماء فلا تنظر في مثل هذا إلا إلى قلبك وإن أقولك وأخوك فإن للفقير مع لقاضي والسلطان ليحكموا في عالم الشهادة ومضى القلوب هم علماء الآخرة وبفتواهم النجاة من سطوة سلطان الآخرة كما أن بفنوى الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا فإذا ما أخذ مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله تعالى ويجب عليه رد إلى صاحبه فإن كان يستحي من أن يسترده ولم يسترد فليعلم أن شيعة على ذلك بما يساوى قيمته في معرض الهدية وللقالبة ليقص عن عهده فإن لم يقبل هديته فليعلم أن رد ذلك إلى ورثته فإن تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل به الأذى . فإن قلت فهذا أمر باطن يصير الاطلاع عليه فكيف السبيل إلى الخلاص منها فربما يظن السائل أنه مرض ولا يكون هو في الباطن راضيا . فأقول لهذا ترك التنقون السؤال رأسا لما كانوا يأخذون من أحد شيئا أصلا فكان بشر لا يأخذ من أحد أصلا لإيمان السرى رحمة الله عليهما وقال لأنى علمت أنه يفرح بخروج السالم من يده فأتا أعينه على ما يجب وإنما عظم التكثير في السؤال وتأكد الأمر بالتعفف لهذا لأن الأذى إنما يحل بضرورة وهو أن يكون السائل مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل إلى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة وأذى فيباح له ذلك كما يباح له أكل لحم الخنزير وأكل لحم اللبنة فكان الامتناع طريق الورعين ومن أرباب القلوب من كان وانما يصير تعفى الاطلاع على قرائن الأحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا يأخذ إلا من أصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما يطمى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله ﷺ في السكبش والسمن والأقط وكان هذا فيما بينهم من غير سؤال فإن ذلك لا يكون إلا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعا في جأوا طلب الرياء والسعة فكانوا يختارون من ذلك فأما السؤال فقد امتنعوا عنه رأسا إلى موضعين أحدهما الضرورة فسدسائل ثلاثة من الأنبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام ولا شك في أنهم ما سألوا إلا من علو أنه يرغب في إعطائهم . والثاني السؤال من الأصدقاء والاخوان فقد كانوا يأخذون ما لهم بغير سؤال واستئذان لأن أرباب القلوب علوا أن لا يطلب رضا القاب لانطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم أنهم كانوا يفرحون بمباستهم فإذا كانوا يسألون الاخوان عند شكهم في اقتدار اخوانهم على ما يريدونه وإلا فسألوا يستفنون عن السؤال ، وحد بإباحة السؤال أن تعلم أن للسؤال بصفة علم ما بك من الحاجة لا بتدراك دون السؤال فلا يكون لسؤالك تأثير إلا في تعريف حاجتك فأما في تحريكه بالحياة وإثارة داعيته بالحيل فلا يتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا بالباطن وحالة لا يشك في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الأحوال فأخذ في الحالة الأولى حلالا طلق وفي الثانية حرام سحت وتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليست قلبه فيها وليترك حزاز القلب فانه الأثم وليدع ما يريه إلى ما لا يريه وإدراك ذلك بقرائن الأحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فإن قوى الحرص وضفت القطنة تراهي له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة وبهذا الدقائق يطالع على سر قوله صلى الله عليه وسلم « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه ^(٢) »

سبعون ألف وجهه
ولكل وجه منه
سبعون ألف لسان
ولكل لسان منه
سبعون ألف لغة يسبح
الله تعالى بتلك اللغات
كلها ويخلق من كل
نسيجة ما يسكب على
اللائكة إلى يوم
القيامة . وروى عن
عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما أن
الروح خلق من خلق
الله صورته على صورة
بنى آدم وما زل من
السما ملك إلا ومعه
واحد من الروح وقال
أبو صالح الروح كهيئة
الإنسان وليسوا بناس
وقال مجاهد الروح على
صورة بنى آدم لهم أيد
وأرجل وروس

(١) حديث إنما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر لم أجده أصلا وكذا قال للزى لما سئل عنه.

(٢) حديث إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه تقدم .

وقد أوى جوامع الكلم لأن من لا كسب له ولا مال ورثه من كسب أيه أو أحد قرابته يأكل من أيدي الناس وإن أعطى بشر سؤال فأتى ما يطى بدينه ومق يكون باطنه بحيث لو انكشف لا يطى بدينه فيكون ما يأخذه حراما وإن أعطى بسؤال فأين من يطيب قلبه بالعطاء إذا سئل وأين من يقتصر في السؤال على حد الضرورة ، فإذا قتشت أحوال من يأكل من أيدي الناس علمت أن جميع ما يأكله أو أكثره حرام وأن الطبيب هو الكسب الذى اكتسبه بحلالك أنت أو مورثك فإذا بعيد أن يجتمع الورع مع الأكل من أيدي الناس ، فنسأل الله تعالى أن يقطع طمعنا عن غيره وأن يثينا بحلاله عن حرامه ويغضه عن سواه بمنه وسعة جوده فإنه على ما يشاء قدير .

(بيان مقدار التقي المحرم للسؤال)

اعلم أن قوله صلى الله عليه وسلم «من حال عن ظهر غنى فاعلم يا سأل جرمًا ليس لست منه» وليست كثر صريح في التحريم ، ولكن حدث التقي مشكل وتقدره غيره . وليس إلينا وضع المقدار بل يستدرك ذلك بالتوقيف ، وقد ورد في الحديث «استفتوا بنى الله تعالى عن غيره قالوا وما هو قال غدا يوم وعشاء ليلة (١)» وفي حديث آخر «من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب قد سأل إلحاقا (٢)» وورد في لفظ آخر «أربعون درهما» ومهما اختلفت التقديرات وصحت الأخبار فينبى أن يقطع بوردوها على أحوال مختلفة فإن الحق في نفسه لا يكون إلا واحدا والتقدير مجتمع غاية الممكن فيه تحريم ولا يتم ذلك إلا بتقسيم محيط بأحوال الحاجين ، فنقول . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاحق لابن آدم إلا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يوارى به عورته ويبت يكتنه فما زاد فهو حساب» فلنجعل هذه الثلاث أصلا في الحاجات ليان أجناسها والنظر في الأجناس وللأوقات ، فأما الأجناس فهى هذه الثلاث ويلحق بها ما فى معناها حتى يلحق بها الكرا للساافر إذا كان لا يندر على التقي وكذلك ما يجرى مجراه من اللحام ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفاله كالابنة أيضا . وأما التقادير فالثوب يراعى فيه ما يلحق بدوى الدين وهو ثوب واحد وقرص ومنديل وسراويل ومداس وأما الثانى من كل جنس فهو مستغن عنه وليتس على هذا أثاث البيت جميعا ولا ينبى أن يطلب رقة الثياب وكون الأواني من النحاس والصفى فما يكفى فيه الخرف فإن ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على أحسن أجناسه ما لم يكن فى غاية البعد عن العادة . وأما الطعام فقدرة في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يشاء ولو كان من الشعر والأدم على الدوام فضلة وقطعه بالسكية إضرار فى طلبه فى بعض الأحوال رخصة . وأما السكن فأدله ما يجزى من حيث المقدار وذلك من غير زينة فأما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى وأما بالإنفاق إلى الأوقات فما يحتاج إليه فى الحال من طعام ويوم وليلة وثوب يلبسه وماوى يكتنه فلا شك فيه فأما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات : أحدها ما يحتاج إليه فى غد . والثانية ما يحتاج إليه فى أربعين يوما أو خمسين يوما . والثالثة ما يحتاج إليه فى السنة ، ولنقطع بأن من معه ما يكفي له ولعياه إن كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فإن ذلك غاية التقي وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما فى الحديث فإن خمسة دنانير تكفى للتفرد

- (١) حديث استفتوا بنى الله قالوا وما هو قال غدا يوم وعشاء ليلة تقيم من الزكاة من حديث سهل ابن الجهمي قالوا ما ينبغي قال ما ينبغي أو يشبهه ولأحمد من حديث على بن أسد حسن قالوا ما ظهر غنى؟ قال عشاء ليلته وأما اللفظ الذى ذكره للسنف فذكره صاحب الفردوس من حديث أنى هريرة .
- (٢) حديث من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب قد سأل إلحاقا وفى لفظ آخر أربعون درهما تقدم فى الزكاة .

يا مكلون الطعام وليسوا
بلائكة وقال سعيد
ابن جبير لم يخلق الله
خلقا أعظم من الروح
غير العرش ولول شاء
أن يبلغ السموات
والأرضين السبع فى
لقمة لقعل صورة
خلقه على صورة
اللائكة وصورة
وجهه على صورة
الآدميين يقوم يوم
القيامة عن عرش
واللائكة معه فى صف
واحد وهو بمن يشفع
لأهل التوحيد ولولا أن
بينه وبين اللائكة
سترا من نور لحرق
أهل السموات من
نوره فهذه الأقاويل
لا تكون إلا هلا وساما
بفهم عن رسول الله

في السنة إذا اقتصد أما للميل فربما لا يكتفيه ذلك وإن كان محتاج إليه قبل السنة فإن كان قادرا على السؤال ولا شغفه فرحته فلا يحل له السؤال لأنه مستغن في الحال وربما لا يهتدي إلى العذبة يكون قد سأل مالا يحتاج فيكتفيه غداً يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وإن كان يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو أخر فيسأل له السؤال لأن أمل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطرا عاجزا عما يهتد به فإن كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان مألجه السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطراب وخوف القوت وتراخي اللذة التي فيها يحتاج إلى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظيره نفسه بينه وبين الله تعالى فيستفيق فيه قلبه ويسعمل به إن كان سالكا طريق الآخرة وكل من كان يقينه أقوى وقتته بمجيء الرزق في المستقبل ثم وقتاعته بقوت الوقت أظهر قدرته عند الله تعالى أحرى فلا يكون خوف الاستقبال وقد أتاك الله قوت يومك لك ولعالمك إلا من ضعف اليقين والامتنان إلى تخويف الشيطان وقد قال تعالى - فلا تخافونم وخافون إن كنتم مؤمنين - وقال عز وجل - الشيطان يصدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يصدكم مغفرة منه وفضلا - والسؤال من الفحشاء التي أحييت بالضرورة وحال من يسأل حاجة متراخية عن يومه وإن كان مما يحتاج إليه في السنة أشد من حال من ملك مالا موروثا وادخره لحاجة وراء السنة وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الأمل وعدم الثقة بفضل الله وهذه الحصلة من أمهات الهلكات ، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه .

(بيان أحوال السائلين)

كان بصر رحمه الله يقول الفقراء ثلاثة : فقير لا يسأل وإن أعطى لا يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين وفقير لا يسأل وإن أعطى أخذ فهذا مع القرين في جنات الفردوس وفقير يسأل عند الحاجة فهذا مع الصادقين من أصحاب الإيمان فاذن قد اتفق كلهم على عدم السؤال وعلى أن تمنع الفاقة عطف الرتبة والدرجة . قال شقيق البلخي لإبراهيم بن آدم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك قال تركتهم إن أعطوا شكروا وإن منعوا صبروا وطن أنعموا وصفهم بترك السؤال قد أنى عليهم غاية التثناء فقال شقيق هكذا تركت كلاب بليغ عندنا فقال له إبراهيم فكيف الفقراء عندك يا أبا إسحق قال الفقراء عندنا إن منعوا شكروا وإن أعطوا آفروا قبل رأسه وقال صدقت يا أستاذ فاذن درجات أرباب الأحوال في الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفته اتقسامها واختلاف درجاتها فانه إذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضيضها إلى قلاعها ومن أسفل سافلين إلى أعلى عليين وقد خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم رد إلى أسفل سافلين ثم أمر أن يرقى إلى أعلى عليين ومن لا يميز بين السفلى والعلو لا يقدر على الرقي قطعا وإنما السالك فيمن عرف ذلك فانه ربما لا يقدر عليه وأرباب الأحوال قد تغلبهم حالة تقتضي أن يكون السؤال مزيدا لهم في درجاتهم ولكن بالإضافة إلى حالهم فان مثل هذه الأعمال بالنيات وذلك كما روى أن بعضهم رأى أبا إسحق النوري رحمه الله يمد يده ويسأل الناس في بعض المواضع قال فاستعظمت ذلك واستعجبته له فأثمت الجند رحمه الله فأخبرته بذلك فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسأل الناس إلا ليعطيهم وإنما سألهم ليثبهم في الآخرة فيؤجرون من حيث لا يشعرون وكانه أشار به إلى قوله صلى الله عليه وسلم « يد الملقى هي العليا (١) » فقال بعضهم يد الملقى هي يد الآخذ للمال لأنه يعطي الثواب والتدبره

صل الله عليه وسلم ذلك وإذا كان الروح السؤل عنه شيئا من هذا للقول فهو غير الروح الذي في الجسد فلي هذا يسوغ القول في هذا الروح ولا يكون الكلام فيه ممنوعا وقال بعضهم الروح لطيفة تسرى من الله إلى أماكن معروفة لا يجبر عنه بأكثر من موجود بل يجاد غيره وقال بعضهم الروح لم يخرج من كن لأنه لو خرج من كن كان عليه القدر قبل فمن أي شيء خرج قال من بين جماله وجلاله سبحانه وتعالى بملاحظة الإشارة خصا بسلامه وحياها بكلامه

(١) حديث بد الملقى هي العليا مسلم من حديث أبي هريرة .

لألسا يأخذه ثم قال الجنيدهات اليزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فألقاها على السائفة ثم قال احملها
إليه فقلت في نفسي إيايوزن الشيء يعرف مقداره فكيف خلط به مجمو لا وهو رجل حكيم واستحييت
أن أسأله فنهبت البصرة إلى النوري فقال هات اليزان فوزن مائة درهم وقال رد ها عليه وقل له أنا لأقبل
منك أنت شيئا وأخذ مازاد على السائفة قال فراد تعجبى فسأله فقال الجنيدهات رجل حكيم يريد أن يأخذ
الجليل بطريقه وزن السائفة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فأخذت
ما كان لله تبارك وتعالى ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها إلى الجنيدهات فبكي وقال أخذ ماله ورد مالنا
الله للنعان، فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف خلصت لله أعمالهم حتى كان يشاهد كل
واحد منهم قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الأسماء وذلك نتيجة
أكل الحلال وخلا القلب عن حب الدنيا والأقبال على الله تعالى بكنه الهمة فمن أنكر ذلك قبل تجربة
طريقه فهو جاهل كمن ينكر مثلا كون الدواء مسهلا قبل شربه ومن أنكره بعد أن طالع اجتبا حده حتى
بذل كنهه مجهودا لم يصل فأنكر ذلك لغيره كان كمن شرب للسبيل فلم يؤثر في حقه خاصة لمعة في باطنه
فأخذ ينكر كون الدواء مسهلا وهذا وإن كان في الجبل دون الأول ولكنه ليس خاليا عن حظ واف
من الجهل بل البصيرة أحد جلين إمارجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والعرفة
وقد وصل إلى عين اليقين وإنما رجل لم يسلك الطريق أو سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك وصديق به
فهو صاحب علم اليقين وإن لم يكن واصلا إلى عين اليقين ولعلم اليقين أيقينية وإن كان دون عين
اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين وعشر يوم القيامة في
زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتل القلوب الضعيفة وأتباع الشياطين فسأله الله تعالى أن
يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب .

[الشرط الثاني من الكتاب في الزهد] وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان درجات الزهد
وأقسامه وبيان تفصيل الزهد في العلم والمليس والسكن والأثاث وضروب العيشة وبيان علامة الزهد .

(بيان حقيقة الزهد)

اعلم أن الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام علم وحال وعمل كسائر
المقامات لأن أبواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع إلى عقد وقول وعمل وكان القول لظهوره أقيم مقام
الحال إذ به يظهر الحال الباطن وإلا فليس القول مرادا لعينه وإن لم يكن صادرا عن حال مسمى إسلاما
وليس إيمانا والعلم هو السبب في حال يجري مجرى الثمر والعمل يجري من الحال مجرى الثمرة فلندكر
الحال مع كلاً طريقه من العلم والعمل . أما الحال فمضى بها ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف
الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء إلى غيره بمعاوضة وبيع وغيره
فإنما عدل عنه لرغبته عنه وإتباع عدل إلى غيره لرغبته في غيره بخلافه بالإضافة إلى العدول عنه يسمى
زهذا بالإضافة إلى العدول إليه يسمى رغبة وجا فاذن يستدعى حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه
هو خير من الرغوب عنه وشرط للرغوب عنه أن يكون هو أو يضام مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب
عما ليس مطلوباً في نفسه لا يسمى زاهدا إذا تارك الحجر والتراب وما أشبهه لا يسمى زاهدا وإنما يسمى زاهدا
من ترك الدرام والله ناظر لأن التراب والحجر ليسا بمطنة الرغبة وشرط للرغوب فيه أن يكون عنه خيرا
من الرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة بالباع لا يقدم على البيع إلا ولشترى عنه خيرا من البيع فيكون
خلافه بالإضافة إلى البيع زهدا فيكون بالإضافة إلى النوض عنه رغبة فيه وجواب ذلك قال الله تعالى وسره
بشئ حسن ذاهم مدودة وكانوا فيه من الزاهدين - منه باعوه قد يطلق الشراء بمعنى البيع

فهو معتق من ذلك كن
وسئل أبو سعيد الخراساني
عن الروح أعنوقة هي
قال نعم ولولا ذلك
ما أقرت بالروية
حيث قالت بالروح
هي التي قام بها البدن
واستحق بها اسم الحياة
وبالروح ثبت النقل
وبالروح قامت الحجة
ولو لم يكن الروح
كان النقل معطلا
لا حجة عليه ولا له
وقيل إنها جوهر مخلوق
واصطنعها . القلب
المخلوقات . وأصغى
الجواهر وأبورها وبها
تترامى النيات وبها
يكون الكشف لأجل
الحقائق وإذا جيت
الروح عن راحة
السي أسامت الجوارح

ووصف إخوة يوسف بالزهد فيه إذ طعموا أن يخالو لهم وجه أبيهم ، وكان ذلك عندهم أحب إليهم من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذن كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا ، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد ولكن في الآخرة ولكن المادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن زهد في الدنيا كما خصص اسم الإلحاد بمن يميل إلى الباطل خاصة وإن كان هو اللبيل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجللة لم يتصور إلا بالدول إلى شيء هو أحب منه وإلا فترك المحبوب بغير الأحب محال والذي يرغب عن كل ماسوى الله تعالى حتى القناديس ولا يحب إلا الله تعالى فهو الزاهد للطلق ، والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والأنهار والنفوك فهو أيضا زاهد ولكنه دون الأول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع في الأكل ولا يترك التمتع في الرينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض للمصالح في التائبين وهو زهد صحيح كما أن التوبة عن بعض المصالح صحيحة فإن التوبة عبارة عن ترك المحظورات . والزهد عبارة عن ترك الباحات التي هي حظ النفس ، ولا يعد أن يقدر على ترك بعض الباحات دون بعض كما لا يعد ذلك في المحظورات ، وللتقصير على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وإن كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن المادة تخصص هذا الاسم بترك الباحات فاذن الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا إلى الآخرة أو عن غير الله تعالى عدولا إلى الله تعالى وهي الدرجة العليا وكما يشترط في الرغبة فيه أن يكون خيرا عنده فيشترط في الرغبة فيه أن يكون مقدورا عليه فإن ترك ما لا يقدر عليه محال وبالترك يتبين زوال الرغبة ، ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها ، وأما أنا فهاذا زهدت . وأما العلم الذي هو مثمر لهذه الحال فهو العلم بكون التروك حقيقيا بالإضافة إلى للأخذ كعلم التاجر بأن العوض خير من للبيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لم يتصور أن يزول الرغبة عن البيع فكذلك من عرف أن ما عند الله باق وأن الآخرة خير وأبقى أي لذاتها خير في أنفسها وأبقى كما تكون الجواهر خيرا وأبقى من التلج مثلا . ولا يسر على مالك التلج يمه بالجواهر والآلئ فهكذا مثال الدنيا والآخرة فالدنيا كالتلج والوضوع في الشمس لا يزال في الدوبان إلى الأهراس والآخرة كالجواهر الذي لا فناء له فيقدر قوة اليقين والعسرة بالثغرات بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة في البيع والعلامة حتى إن من قوى يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - . ثم بين أن صفاتهم راجعة فقال تعالى - فاستبشروا ببيعكم الذي باعتم به - فليس يحتاج من العلم في الزهد إلا إلى هذا القدر وهو أن الآخرة خير وأبقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا : إما لضيف علمه ويقينه . وإما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في يد الشيطان . وإما لاعتباره بعواید الشيطان في التسويف يوما بعد يوم إلى أن يخطفه الموت ولا يبقى معه إلا الحسرة بعد القوت وإلى تعريف خسارة الدنيا بالإشارة بقوله تعالى - قل متاع الدنيا قليل - وإلى تعريف خسارة الآخرة بالإشارة بقوله عز وجل - وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير - فيه على أن العلم بنفاسة الجواهر هو للرغب عن عوضه ولما يتصور الزهد بالإعماضة ورغبة عن المحبوب في أحب منه . قال رجل في دعائه « اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تهمل هكذا ولكن قل أرني

الأدب وذلك صارت الروح ينجل واستتار وقابض وتازع وقيل الدنيا والآخرة عند الأرواح سواء وقيل الأرواح أقسام أرواح تجول في البرزخ وتبصر أحوال الدنيا والآخرة وتسمع ما تحدث به في السماء عن أحوال آدميين وأرواح تحت العرش وأرواح طيارة إلى الجنسان وإلى حيث شاءت إلى أقدارها من السعي إلى الله أيام الحياة . وروى سعيد بن المسيب عن سلمان قال أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض حتى يردّها

الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك (١) » وهذا لأن الله تعالى يراها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة إلى جلاله حقير والبد يراها حقيرة في حق نفسه بالاضافة إلى ما هو خير له ولا يتصور أن يرى بائع القرص وإن رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الأرض مثلاً لأنه مستغن عن الحشرات أصلاً وليس مستغنياً عن القرص والله تعالى غنى بذاته عن كل ما سواه فيرى السكك في درجة واحدة بالاضافة إلى جلاله ويراه متفاوتاً بالاضافة إلى غيره والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالاضافة إلى نفسه لا إلى غيره . وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحد لأنه يبيع ومعاملة واستبدال للذي هو خير بالذي هو أدنى فكما أن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك البيع وإخراجه من اليد وأخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك الزهود فيه بالكلية وهي الدنيا بأسرها مع أسبابها ومدة دماها . ولا تها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات وإلا كان كمن سلم للبيع ولم يأخذ الثمن فإذا وفي بشرط الجانبين في الأخذ والترك فليست بشر بيعه الذي يبيع به فإن الذي يابيه بهذا البيع وفي بالهد فن سلم حاضراً في غائب وسلم الحاضر وأخذ يسعى في طلب الغائب سلم إليه الغائب حين فراغه من سعيه إن كان العائد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالهد وما دام محسباً للدنيا لا يصح زهده أصلاً ولذلك لم يصف الله تعالى إخوة يوسف بالزهد في بنيامين وإن كانوا قد قالوا - يوسف وأخوه أحب إلى أئمتنا - وعزموا على إبعاده كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه أحدهم فتركه ولا وصفهم أيضاً بالزهد في يوسف عند العزم على إخراجه بل عند التسليم والبيع فعلمة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج فإن أخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فأنت زاهد فيها أخرجت فقط . ولست زاهداً مطلقاً وإن لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد لأن ما لا يقدّر عليه لا يقدر على تركه وربما يستويك الشيطان بغروره ويخيل إليك أن الدنيا وإن لم تتركها فأنت زاهد فيها فلا ينبغي أن تتدلى بمجل غروره دون أن تستوثق وتستظهر بموثق غليظ من الله فانك إذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها فكم من ظان بنفسه كراهة لما صعد عند تلها فلما تسيرت له أسبابها من غير مكر ولا خوف من الخلق وقع فيها وإذا كان هذا غرور النفس في المحظورات فأيالك أن تثق بوعدها في اللباعات والموثق الغليظ الذي تأخذه عليها أن تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فإذا وفيت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والأعداء ظاهراً وباطناً فلا بأس أن تثق بها وثوقاً ما ولكن تكون من تغيرها أيضاً على حذر فانها سرية النقص للعهد قرية الرجوع إلى مقتضى الطبع . وبالجملة فلا أمان منها إلا عند الترك بالاضافة إلى ما تركه قط وذلك عند القدرة . قال ابن أبي ليلى لابن شبرمة ألا ترى إلى ابن الحائك هذا لا تفتي في مسألة إلا رد علينا يعني أبا حنيفة قال ابن شبرمة لا أدري أمو ابن الحائك أم ما هو لكن أعلم أن الدنيا غدت إليه فهرب منها وهربمتنا فطلبناها وكذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نجب ربنا ولو علينا في أي شيء محبته لقمناه حتى نزل قوله تعالى - ولو أننا كتبنا عليهم أن اقنوا أنفسكم أو أخرجوا من دياركم ما ضاؤوه إلا قليل منهم - (٣) .

(١) حديث قال رجل اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له لا تقل هكذا ولكن قل أرني الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك ذكره صاحب الفردوس مختصراً اللهم أرني الدنيا كما تريها صالح عبادك من حديث أبي القيسر ولم يخرجوه (٢) حديث قال للمسلمون إنا نجب ربنا ولو علينا في أي شيء محبته لقمناه حتى نزل قوله تعالى - ولو أننا كتبنا عليهم أن اقنوا أنفسكم - الآية لم أفت له على أصل .

إلى جسدها . وقيل
إذا ورد على الأرواح
ميت من الأحياء
التقوا وتحادثوا
وتساءلوا وكل الله
بها ملائكة تعرض
عليها أعمال الأحياء
حتى إذا عرض على
الأموات ما يقاب به
الأحياء في الدنيا من
أجل الذنوب قالوا
ننتدر إلى الله ظاهراً
عنه فانه لا أحد أحب
إليه العبد من الله تعالى
وقد ورد في الخبر عن
النبي صلى الله عليه وسلم
« تعرض الأعمال يوم
الاثنين والخميس لله
والله تعرض على
الأنبياء والآباء
والأمهات يوم الجمعة
فيفرحون بمسئلتهم

قال ابن مسعود رضي الله عنه: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم يعني من القليل قال وما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى - منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة - (١) . واعلم أنه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل إسالة القلوب وعلى سبيل الطمع فذلك كلهم من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشيء منه في العبادات وإنما الزهد أن تترك الدنيا لملك بمحاربتها بالإضافة إلى نقاسة الآخرة فأما كل نوع من الترك فإنه يتصور ممن لا يؤمن بالآخرة فذلك قد يكون سرهودة وقوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا إذ حسن الذكر وبذل القلوب من حظوظ المعالجة وهي الدواهي من اللال وكما أن ترك اللال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والتناء والاعتبار بالفتوة والسخاء واستقلاله لما في حفظ السال من للشقوة والصنا والحاجة إلى التذلل للسلطين والأغنياء ليس من الزهد أصلا بل هو استعجال حظ آخر لنفس بل الزاهد من آتته الدنيا راحة صفوا عفوا وهو قادر على التمتع بها من غير نقصان جاءه وقبح اسم ولا فوات حظ لنفس فتركها خوفا من أن يأبس بها فيكون آتسا بغير الله ومجالسا سوى الله ويكون مشركا في حب الله تعالى غيره أو تركها طمعا في ثواب الله في الآخرة فترك التمتع بأشربة الدنيا طمعا في أشربة الجنة وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة وأشجارها وترك الزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك اللطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من أن يقال له - أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا - فأتر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما ييسر له في الدنيا عفوا صفوا لعله بأن مافي الآخرة خير وأبقى وأن ماسوى هذا شاملات دنوية لا جدوى لها في الآخرة أصلا .

(بيان فضيلة الزهد)

قال الله تعالى - نخرج على قومه في زينته - إلى قوله تعالى : وقال الذين أوتوا العلم ولعلكم نواب الله خير لمن آمن - فنسب الزهد إلى العلماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية التناء وقال تعالى - أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا - وجاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال عز وجل - إنما جعلنا ما على الأرض زينة لما نلبوهم أيهم أحسن عملا - قيل معناه أيهم أزهدي فها فوسف الزهد بأنه من أحسن الأعمال وقال تعالى - من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب - وقال تعالى - ولا تعدن عينيكم إلى ما تمنيتها به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى - وقال تعالى - الذين يستجيبون لأوامر الدنيا على الآخرة - فوسف الكفار بذلك لفهموه أن اللؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا . وأما الأخبار : فهاورد منها في دم الدنيا كثير وقد أوردنا بعضها في كتاب دم الدنيا من ربع الهلكات إذ حب الدنيا من الهلكات ونحن الآن نتصير على فضيلة بعض الدنيا فانه من اللجيات وهو للزهد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح وهمه الدنيا عشت الله عليه أمره وفرق عليه ضيقه وجعل قرره بين عييه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيقه وجعل غناه في قلبه وآتته الدنيا وهي راحة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم البعد وقد أعطى سمنا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه

وتزداد وجوههم يابسا وإشراقا » فاتقوا الله تعالى ولا تؤذوا موتاكم وفي خبر آخر « إن أفعالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من اللوثي فإن كان حسنا استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لاتنهم حتى تهديمهم كما هديتنا » وهذه الأخبار والأقوال يدل على أنها أعيان في الجسد وليست بمجان وأعراض ، مسئل الواسطي : لشي علة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلم الخلق ؟ قال لأنه خلق روحه أولا فوقع له صفة التحسين والاستمرار لأنراه يقول « كنت

(١) حديث ابن مسعود ما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى - منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة - والآية البهيقة في دلائل النبوة باسناد حسن (٢) حديث من أصبح وهمه الدنيا عشت الله عليه أمره الحديث ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بسند جيد والترمذي من حديث أنس بسند ضعيف نحوه

فانه يلقى الحكمة (١) وقال تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وذلك قيل: من زهد في الدنيا أربعين يوماً أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق به لسانه. وعن بعض الصحابة أنه قال « قلنا يا رسول الله أي الناس خير ؟ قال كل مؤمن » فحمم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما يحمم القلب ؟ قال التقى النقي الذي لا خل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قلنا يا رسول الله فمن على أثره ؟ قال الذي يشأ الدنيا ويحب الآخرة (٢) ومفهوم هذا أن شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا (٣) » فجعل الزهد سبباً للحببة فمن أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات فينبغي أن يكون الزهد في الدنيا من أفضل القامات ومفهومه أيضاً أن يحب الدنيا متعرض لبعض الله تعالى وفي خبر من طريق أهل البيت « الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فإن صادقا قلباً فيه الإيمان والحياء أقاما فيه وإلا انحلا (٤) » ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة إيمانك ؟ قال عرفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكأني بالجنة والنار وكأني بعرض ربي بارزا فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم ، عبد نور الله قلبه بالإيمان (٥) » فانظر كيف بدأ في إظهار حقيقة الإيمان بمزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال عبد نور الله قلبه بالإيمان « ولما سئل رسول الله ﷺ عن معنى الشرح في قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - وقيل له ما هذا الشرح ؟ قال إن النور إذا دخل في القاب الشرح له الصدر وانفتح قيل يا رسول الله وهل ذلك من علامة ؟ قال نعم التجافي عن دار القرور والإقامة في دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله (٦) » فانظر كيف جعل الزهد شرطاً للإسلام وهو التجافي عن دار القرور وقال صلى الله عليه وسلم « استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا لنستحي منه تعالى ليس كذلك تتبنون ما لا تكونون وتحمون ما لا تأكلون (٧) » فبين أن ذلك يناقض الحياء من الله تعالى « ولما قدم عليه بعض الوفود قالوا إنا مؤمنون قال وما علامة إيمانكم ؟ فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الثمالة بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء فقال عليه الصلاة والسلام إن كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تتبنوا ما لا تكونون ولا تافسوا فيما عنه ترحلون (٨) » فجعل الزهد تسكحة لإيمانهم وقال جابر رضى الله عنه « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث إذا رأيتم العبد قد أوتي سمنا وزهدا في الدنيا فاقربوا منه فانه يلقى الحكمة ابن ماجه من حديث أبي خلد بسنده ضعيف (٢) حديث قلنا يا رسول الله وما يحمم القلب ؟ قال التقى النقي الحديث ابن ماجه باسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله يا رسول الله فمن على أثره وقد تقدم ورواه بهذه الزيادة بالاسناد للذكر الحرثاطي في مكارم الأخلاق (٣) حديث إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف نحوه وقد تقدم (٤) حديث الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فإن صادقا قلباً فيه الإيمان والحياء أقاما فيه وإلا انحلا لم أجده أصلا (٥) حديث لما قال له حارثة أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة إيمانك الحديث البزار من حديث أنس والطبراني من حديث الحارث بن مالك وكلا الحديثين ضعيف (٦) حديث سئل عن قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه - الحديث الحاكم وقد تقدم (٧) حديث استحيوا من الله حق الحياء الحديث الطبراني من حديث أم الوليد بنت عمر بن الخطاب باسناد ضعيف (٨) حديث لما قدم عليه بعض الوفود قالوا إنا مؤمنون قال وما علامة إيمانكم الحديث الخطيب وابن عساكر في تاريخهما باسناد ضعيف من حديث جابر .

نباء وأدم بين الروح والجسد « أي لم يكن روحا ولا جسدا وقال بعضهم الروح خلق من نور العزة وإبليس من نار العزة ولهذا قال - خلقتني من نار وخلقتني من طين - ولم يدرك أن النور خير من النار قال بعضهم قرن الله تعالى العلم بالروح فهي للطاقتان تنمو بالعلم كما ينمو البدن بالغذاء وهذا في علم الله لأن علم الخلق قليل لا يبلغ ذلك والختار عند أكثر متكلمي الاسلام أن الانسان يتوالتجوى عرسان خلقا في الانسان واللسوت يدمهما وأن الروح هي الحياة بينهما صار

قال : من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط بها غيرها وجبت له الجنة ققام إليه على كرم الله وجهه ، فقال : أي أنت وأمي يارسول الله لا يخلط بها غيرها ؟ صفه لنا قصره لنا ، قال : حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها ، وقوم يقولون قول الأنبياء ويعملون عمل الجبابرة ، فمن جاء بلا إله إلا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة (١) . وفي الخبر « السخى من اليقين ولا يدخل النار موثق ولا يخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك » (٢) . وقال أيضا « السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار » (٣) . والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخاء ثمرة الزهد والتناء على الخيرة ثناء على الثمرة لا محالة . وروى عن ابن السيب

عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فأطلق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما إلى دار السلام » (٤) . وروى أنه صلى الله عليه وسلم « مر في أصحابه بشار من التوق حفل وهي الحوامل وكانت من أحب أموالهم إليهم وأفسها عندهم لأنها تجمع الظهر والقدم واللين والوبر ، واعظمها في قلوبهم قال الله تعالى - وإذا العشار عطلت - قال فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له يارسول الله هذه أفسس أموالنا لم نلتظر إليها فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى - ولا تمدن عينك إلى ما متنا بها - » (٥) الآية وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت « قلت يارسول الله ألا تستطم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع ، فقال يا عائشة والذي نفس يده لو سألت ربي أن يجرى معي جبال الدنيا ذهباً لأجرها حيث شئت من الأرض ولكني اخترت جوع الدنيا على شعها وقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها ، يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي الحمد ولا لا ل محمد ، يا عائشة إن الله لم يرض لأولي العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ، ثم لم يرض لي إلا أن يكلفني ما كلفهم ، قال - فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل - والله مالى يد من طاعته وإنى والله لأصبرن كما صبروا إجمعي لاقوة إلا بالله » (٦)

(١) حديث جابر من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط معها شيئا وجبت له الجنة لم أره من حديث جابر وقد رواه الترمذي الحكيم في التواتر من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف نحوه (٢) حديث السخاء من اليقين ولا يدخل النار موثق الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء ولم يخبره ولده في مسنده (٣) حديث السخى قريب من الله الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث أبي ذر من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه الحديث لم أره من حديث أبي ذر ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا من حديث صفوان بن سليم ومرسل ولا ينعى في السكامل من حديث أبي موسى الأشعري من زهد في الدنيا أربعين يوما وأخلص قبل العبادة أجره في الدنيا بيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال حديث منكر وقال الذهبي باطل ورواه أبو الشيخ في كتاب التواب وأبو نسيم في الحلية مختصرا من حديث أبي أيوب من أخلص لله وكلها ضعيفة (٥) حديث مرفى أصحابه بشار من التوق حفل الحديث وفيه ثم تلا قوله تعالى - ولا تمدن عينك - الآية لم أجده أصلا (٦) حديث مسروق عن عائشة قلت يارسول الله ألا تستطم نيك فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع الحديث . وفيه يا عائشة إن الله لم يرض لأولي العزم من الرسل إلا الصبر الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من رواية عباد ابن عباد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق مختصرا : يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم

الذين بوجودها حيا وبالإعادة إليه في القيامة يصير حيا وذهب بعض متكلمي الإسلام إلى أنه جسم لطيف مشتبك بالأجسام المكنشفة اشتباك الماء بالسود الأخضر وهو اختيار أبي العلى الجويني وكثير منهم مال إلى أنه عرض إلا أنه ردم عن ذلك الأخبار الدالة على أنه جسم لما ورد فيه من العروج والهبوط والتردد في البرزخ فثبت وصف بأوصاف دل على أنه جسم لأن العرض لا يوصف بأوصاف إذ الوصف معنى واللفظ لا يقوم بالمعنى واختار بعضهم أنه عرض .

وروى عن عمر رضى الله عنه « أنه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضى الله عنها
 البس ألين الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآفاق ، وممر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من
 حضر ، فقال عمر بإحسان ألت تعليمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته فقالت لى قال ناشدتك
 الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا
 أهل بيته غدوة إلا جاعوا عشي ولا شبعوا عشي إلا جاعوا غدوة . وناشدتك الله هل تعلمين أن
 النبي صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهل حقه فتح رضى الله عليه
 خبير ، وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ قربتم إليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع
 فشقى ذلك عليه حتى تغير لونه ثم أمر بالمائدة فرقت ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الأرض
 وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عبادة مثنية فخنيت له ليلة
 أربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال منتموني قيام الليلة بهذه العبادة انتوها باثنتين كما كنتم
 تشونها ، وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه لتسل فيأتيه
 بلال فيؤذنه بالصلاة لما يجد ثوبا يخرج به إلى الصلاة حتى تحبف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاة ،
 وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعت له امرأة من بني ظفر كساء من
 إزارا ورداء وبشت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر فخرج إلى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره
 قد عقد طرفه إلى عنقه ففعل كذلك لما زال يقول حتى أبكها وبكى عمر رضى الله عنه وانتحب
 حتى ظننا أن نفسه ستخرج (١) » وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر وهو أنه قال كان لى

مثل ابن عباس رضى
 الله عنهما قيل أين
 تذهب الأرواح عند
 مفارقة الأبدان فقال
 أين يذهب ضنوء
 الصباح عند فناء
 الأدهان قيل له فأين
 تذهب الجسوم إذا
 بليت قال فأين يذهب
 لها إذا مرضت .
 وقال بعض من يتم
 بالعلوم للدودة
 اللدومة وينسب إلى
 الاسلام: الروح تنفصل
 من البدن في جسم
 لطيف . وقال بعضهم
 إنها إذا فارقت البدن
 تحمل معها القوة الوهمية
 بتوسط الطبقة
 فتكون حينئذ
 مطالعة للعاني
 والمحسوسات لأن

من الرسل إلا الصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض إلا أن كلفني ما كلفهم فقال تعالى
 - فاصبر كما صبر أولوا الزمهن الرسل - ومجاهد يختلف في الاحتجاج به (١) حديث إن عمر لما كتبت
 عليه الفتوحات قالت له حفصة البس ألين الثياب إذا قدمت عليك الوفود الحديث بطوله وفيه ناشدتك
 الله هل تعلمين كذا يذكرها ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أبكها وبكى الخ لم أجده
 هكذا مجموعا في حديث وهو مفرق في عدة أحاديث فروى البزار من حديث عمران بن حصين قال
 ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل غداة وعشاء من خبز شعير حتى لقي ربه وفيه عمرو
 ابن عبد الله القدرى متروك الحديث وللترمذى من حديث عائشة قالت ما شبع من طعام فأشام
 أن أبكي إلا بكيت قلت لم قالت أذكر الحال التي فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا عليها
 والله ما شبع من خبز ولحم مرتين في يوم قال حديث حسن وللشيخين من حديثها ما شبع آل محمد
 منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليال تباعا حتى قبض وللبخارى من حديث أنس كان لا يأكل على
 خوان الحديث وتقدم في آداب الأكل وللترمذى في الشياكل من حديث حفصة أنها لما سلت ما كان
 فراش النبي صلى الله عليه وسلم؟ مسح بثنائه ثنتين فبناهما عليه الحديث ولابن سعد في الطبقات من
 حديث عائشة أنها كانت تخرش لاني صلى الله عليه وسلم عبادة باثنتين الحديث وتقدم في آداب
 العيشة وللبزار من حديث أبي الدرداء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل له الدقيق
 ولم يكن له إلا قميص واحد وقال لا نعم يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الاسناد قال بونس بن بكير قد
 حدث عن سعيد بن مسيرة البكرى بأحاديث لم يتابع عليها واحتملت على ما فيها قلت فيه سعيد
 ابن مسيرة فقد كذبه يحيى القطان وضعفه البخارى وابن حبان وابن عدى وغيرهم ولابن ماجه
 من حديث عباد بن الصامت صلى في شملة قد عقد عليها زاد الطبرقي في جزئه للشهور فهداه في عنه
 ما عليه غيرها وإسناده ضعيف وتقدم في آداب اللبسة .

صاحبان سلكا طريقا فان سلكك غير طريقهما سلك في طريق غير طريقهما وإني والله سأصبر على عيشهما الشديد لئلا أدركهما عيشهما الرغد . وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أتدركون الأنبياء قبل بيتي أحدم بالفقر فلا يلبس إلا البياض وإن كان أحدم لبيتل بالتمل حتى يفته التمل وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم ^(١) » وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترى في بطنه من الخزال فهذا ما كان قد اختاره أنبياء الله ورسله وهم أعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه قال « لما نزل قوله تعالى - والذين يكتزون الذهب والنفضة ولا ينفقونها في سبيل الله - قال صلى الله عليه وسلم تبأ الدنيا تبأ الدينار والدرهم قلنا يارسول الله نهانا الله عن كثر الذهب والنفضة فأى شيء تدخر قال ^(٢) : ليتخذ أحدكم لسانا ذا كرا وقلبا لها كرا وزوجا صالحا لينه على أمر آخرته ^(٣) » وفي حديث حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله ثلاثا ما لا يشارك قلبه أبدا وقرأ لا يستحي أبدا وحرصا لا يشبع أبدا ^(٤) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف وحتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرتة ^(٥) » وقال المسيح ^(٦) الدنيا قطرة فاعبروها ولا تعمروها وقيل له يا بني الله لو أمرتنا أن نبني بيتا لعبد الله فيه قال اذهبوا فابنوا بيتا على المساء فقالوا كيف يستقيم بنيان على الماء قال وكيف تستقيم عبادة مع حب الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « إن ربى عز وجل عرض على أن يجعل لي بطعامك ذهباً قلت لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذي أجوع فيه فأفزع إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأعذك وأنى عليك » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يعشى وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي ^(٧) يا جبريل والذي يشك بالحق ما أمسى لآل محمد كف سوق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفضتته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمر الله

نجردها من حيات
البدن عند الفارقة
غير يمكن وهي عند
اللوت شاعرة بالموت
ويعد اللوت متخيلة
بنفسها مقبورة
وتصور جميع
ما كانت تعتقد حال
الحياة ونفس بالثواب
والعقاب في القبر قال
بعضهم أسلم للقاتل
أن يقال الروح شيء
مخلوق أجرى الله تعالى
العادة أن يحيى البدن
مادام متصلا به وأنه
أشرف من الجسد
يذوق اللوت بفارقة
الجسد كما أن الجسد
بفارقتها يذوق اللوت
فإن السكينة والراحة
يتعاشى العقل فيهما
كل يتعاشى البصر في

(١) حديث أبي سعيد الخدري كان الأنبياء بيتل أحدم بالفقر فلا يجد إلا البياض الحديث باسناد صحيح في أثناء حديث أوله دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك دون قوله وإن كان أحدم لبيتل بالتمل (٢) حديث عمر لما نزل قوله تعالى - والذين يكتزون الذهب والنفضة - الآية قال تبأ الدنيا تبأ الدينار والدرهم الحديث وفيه فأى شيء تدخر الترمذي وابن ماجه وتقدم في التلخيص دون قوله تبأ الدينار والدرهم وزيادة رواها الطبراني في الأوسط وهو من حديث ثوبان وإسحاق التلخيص إنه حديث عمر لأن عمر هو الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم أى المال يتخذ كفاي رواية ابن ماجه وكا رواه البراء من حديث ابن عباس (٣) حديث حذيفة من حديث ابن مسعود بسند حسن من أشرف قلبه حب الدنيا التلط منها ثلاث شقاء لا ينفذ عنه وحرص لا يبلغ غناه وأمل لا يبلغ منتهاه وفي آخره زيادة (٤) حديث لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف وحتى يكون أقله أحب إليه من كثرتة لم أجده له أسنادا وذكره صاحب الفردوس من رواية على بن طلحة مرسلا لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرتة وحتى يكون أن يعرف في ذات الله أحب إليه من أن يعرف في غير ذات الله ولم يخرج له وفيه في مسند الفردوس وعلى بن أبي طلحة أخرجه له مسلم وروى عن ابن عباس لكن روايته عنه مرسلة فالحديث إذن معضل .

القيامة أن تقوم قال لا ولكن هذا إسرائيل عليه السلام قد نزل إليك حين مع كلامك فأنا إسرائيل
 فقال إن الله عز وجل سمع ما ذكرت فيمضي بما تيسر الأرض وأمرني أن أعرض عليك إن أحببت أن
 أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذخبا وفضة فضلت وإن شئت نيا مسكا وإن شئت نيا عبدا
 فأومأ إليه جبريل أن تواضع لله فقال نيا عبدا ثلاثا (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله بعبده
 خيرا أزهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعبوب نفسه» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «أزهدي في الدنيا
 بحبك الله وأزهدي فيها في أيدي الناس بحبك الناس» (٣) وقال صلوات الله عليه «من أراد أن يؤتبه
 الله علما يغير تعلم وهدى ينير هداية فليزهد في الدنيا» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «من اشتاق إلى الجنة
 سارع إلى الخيرات ومن خاف من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا
 هانت عليه الصبائب» (٥) وروى عن نبينا وعن المسيح عليهما السلام «أربع لا يدرنك إلا يصب
 الصمت وهو أول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشيء» (٦) وإبراهيم الأخبار الواردة في مدح
 بطن الدنيا وذم حبها لا يمكن فإن الأنبياء ما بشوا إلا للصرف الناس عن الدنيا إلى الآخرة وإليه يرجع
 أكثر كلامهم مع الخلق. وفيما أوردناه كفاية والله المستعان. وأما الآثار فقد جاء في الأثر: لا تزال لاله
 إلا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يسألوا ما غص من دنياهم وفي لفظ آخر: ما لم يؤثر وأصفه
 دنياهم على دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى: كذبتم لستم بما صادقين. وعن بعض
 الصحابة رضى الله عنهم أنه قال تابنا الأعمال كلها فلم نر في أمر الآخرة أبلغ من زهد في الدنيا وقال
 بعض الصحابة لصدر من التابعين أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا خيرا
 منكم قيل ولم ذلك؟ قال كانوا أزهدي في الدنيا منكم. وقال عمر رضى الله عنه الزهادة في الدنيا راحة
 القلب والجسد وقال بلال بن سعد كفي به ذنبا أن الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال
 رجل لسفيان أهدني أن أرى ما لا زهدا فقال وبحك تلك ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه إن
 للجنة ثمانية أبواب فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد
 قبل الزاهد في الدنيا العاشقين للجنة. وقال يوسف بن أسباط رحمه الله إن لأهل الجنة ثلاث خصال
 أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم ولا يكون على دين ولا على عظمي لحم فأعطى ذلك كله. وروى
 أن بعض الحلفاء أرسل إلى الفقهاء بجوائز قبلوها وأرسل إلى الفضيل بشرة آلاف فلم قبلها فقال
 له بنوه قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالك هذه فيك الفضيل وقال أتدرون ما مثلي ومثلكم
 كمثل قوم كانت لهم بكرة يحرثون عليها فصار هربت ذبحوها لأجل أن ينتقموا بجلدها وكذلك

(١) حديث ابن عباس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا
 الحديث في نزول إسرائيل وقوله إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذخبا وفضة
 الحديث تقدم مختصرا (٢) حديث إذا أراد الله بعبده خيرا أزهده في الدنيا ورغبه في الآخرة
 وبصره بعبوب نفسه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس دون قوله ورغبه في الآخرة وزاد
 قلبه في الدين وإسناده ضيف (٣) حديث أزهدي في الدنيا بحبك الله الحديث تقدم (٤) حديث
 من أراد أن يؤتبه الله علما يغير تعلم وهدى ينير هداية فليزهد في الدنيا لم أجده أصلا (٥) حديث
 من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات الحديث ابن حبان في الضعفاء من حديث علي بن أبي طالب
 (٦) حديث أربع لا يدرنك إلا يصب الصمت هو أول العبادة الحديث الطبراني والحاكم من حديث
 أنس وقد تقدم.

شعاع الشمس ولما
 رأى للتكلمون أنه
 يقال لهم الوجودات
 بصورة قديم وجسم
 وجوه وعرض
 فالروح من أي هؤلاء
 فاختار قوم منهم أنه
 عرض وقوم منهم أنه
 جسم لطيف كذا كرنا
 واختار قوم أنه قديم
 لأنه أمر والأمر كلام
 والكلام قديم فما أحسن
 الإمساك عن القول
 فيها هذا سبيله وكلام
 الشيخ أبي طالب للكي
 في كتابه يدل على أنه
 يميل إلى أن الأرواح
 أعيان في الجسد وهكذا
 النفوس لأنه يذكر
 أن الروح تتحرك
 للخير ومن حركتها
 يظهر نور في القلب

أنت أردت ذمى على كرسى موتوا يا أهل جوما خير لكم من أن تذبحوا فضيلا . وقال عبيد بن عمير كان السبيح ابن مريم عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت غريب ولا يدخر لعد أيضا أدركه النساء تام . وقالت امرأة أبي حازم لأبي حازم هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والشراب والحطب فقال لها أبو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البس ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم الجنة أو النار . وقيل للحسن لم لا تتسل ثيابك قال الأمر أعجل من ذلك . وقال إبراهيم بن آدم قد حجت قلوبنا ثلاثة أغنية فلن يكشف للبعد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على الفقد والسرور بالمدح فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص وإذا حزنت على الفقد فأنت ساخط والساخط مذنب وإذا سررت بالمدح فأنت معجب والمعجب يحبط العمل . وقال ابن مسعود رضى الله عنه ركعتان من زاهد قلبه خير له وأحب إلى الله من عبادة للتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبدا سرمد . وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيها صرف عنا أكثر من نعبت فيها صرف إلينا وكأنه التفت إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحمي عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه »^(١) فإذا فهم هذا علم أن النعمة في اللع للوذى إلى الصحة أكبر منها في الاعطاء المؤدى إلى السقم . وكان الثوري يقول: الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح برحاء ولم يحزن على شقاء . وقال سهل لا يخلص العمل بالتعبد حتى لا يفرغ من أربعة أشياء الجوع والعري والفقر والذل . وقال الحسن البصري أدركت أقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشئ من الدنيا أو قبل ولا يأسفون على شئ منها أدبر ولحي كانت في أعينهم أهون من التراب كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئا ولا أمر من في بيته بصنع طعام قط فإذا كان الليل قيام على أقدامهم يفتشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم ينجون ربه في فكاك رفاقهم كانوا إذا عملوا الحسنة دبأوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلها وإذا عملوا السيئة أحزنهم وسألوا الله أن يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك وواجه ماسلوا من الذنوب ولا يخجوا إلا بالخفزة رحمة الله عليهم ورضوانه .

(بيان درجات الزهد وأقسامه بالإضافة إلى نفسه وإلى للرغوب عنه وإلى الرغوب فيه)

اعلم أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاث: الدرجة الأولى وهي السفلى منها أن يزهد في الدنيا وهو لها مشته وقلبه إليها مائل ونفسه إليها ملتفت ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى للزهد وهو مبدأ الزهد في حق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والتهجد يذنب أولا نفسه ثم كسبه والزاهد أولا يذنب كسبه ثم يذنب نفسه في الطاعات لافي الصبر على ما فارقه للزهد على خطر فانه ربما قلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا وإلى الاستراحة بها في قليل أو كثير . الدرجة الثانية: الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاقه إياها بالإضافة إلى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لأجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وإن كان يحتاج إلى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لامعالة زهده ويلتفت إليه كما يرى البائع السبيح ويلتفت إليه فيكاذبكون معجبا بنفسه وزهده ويظن في نفسه أنه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه وهذا أيضا نقصان . الدرجة الثالثة وهي العليا أن يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده إذ لا يرى أنه ترك شيئا إذ عرف أن الدنيا لاشئ فيكون كمن ترك خرفة وأخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا والدنيا بالإضافة إلى الله تعالى ونعيم الآخرة أخس من خرفة بالإضافة إلى جوهرة فهذا هو السكال في الزهد وسببه كاللحرفة

(١) حديث إن الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا الحديث تقدم .

يراه لللاك فيلهم الخ
عند ذلك وتحرك
للشعر ومن حركتها
تظهر ظلة في القاب
فيرى الشيطان الظلة
فيقبل بالاغوا وحيث
وجدت أقوال المشايخ
تشير إلى الروح
أقول : ما عسى في
ذلك على معنى ما ذكرت
من التأويل دون
أن أقطع به إذ لم ي
في ذلك إلى السكوت
والامساك فأقول والله
أعلم : الروح الانساني
الماوى السابوى من
عالم الأمر والروح
الحيوان البشرى من
عالم الخلق والروح
الحيوانى البشرى
عمل الروح العلوى
ومورده والروح

ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات إلى الدنيا كما أن تارك الخرفة بالجوهرة آمن من طلب الأقالمة في البسيح . قال أبو يزيد رحمه الله تعالى لأبي موسى عبد الرحيم في أي شيء تكلم ؟ قال في الزهد فقال في أي شيء ؟ قال في الدنيا فنفذ يده وقال ظننت أنه يتكلم في شيء والدنيا لائق ؟ إيش زهد فيها ومثل من ترك الدنيا للأخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب للممورة بالمشاهدات وللکاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فألقى إليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى أخذ أمره في جميع مملكته أقرى أنه يرى نفسه يدا عند الملك بلقمة خبز ألقاها إلى كلبه في مقابلة ما قد ناله فالشياطين كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز إن أكلت فلذتها في حال الضغ وتقصى على القرب بالأطلاع ثم يبقى قلبها في اللعة ثم تنتهي إلى التأن والقدر ثم يحتاج بعد ذلك إلى إخراج ذلك النفل فمن تركها لينال عز الملك كيف بلغت إليها ونسبة الدنيا كلها أعنى ما يسلم لكل شخص منها وإن عمرائة سنة بالإضافة إلى نعم الأخرة أقل من قصة بالإضافة إلى ملك الدنيا إذ لانسبة للتمتاع إلى مالا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تمدى ألف ألف سنة صافية عن كل كدر لكان لانسبة لها إلى نعم الأبد فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدره غير صافية فأى نسبة لها إلى نعم الأبد فاذن لا يلتفت الزاهد إلى زهده إلا إذا التفت إلى ما زهد فيه ولا يلتفت إلى ما زهد فيه إلا لأنه يراه شيئا ممتدا به ولا يراه شيئا ممتدا به إلا لقصور معرفته فسيب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذه تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه أيضا لها درجات إذ تصير للزهد مختلف ويتفاوت أيضا باختلاف قدر الاشقة في الصبر وكذلك درجة للعجب بزهده بقدر التفاته إلى زهده . وأما أقسام الزهد بالإضافة إلى الرغوب فيه فهو أيضا على ثلاث درجات : الدرجة السفلى أن يكون الرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام ككذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الأحوال كما وردت به الأخبار إذ فيها « إن الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء (١) » فهذا هو زهد الخافضين وكأنهم رضوا بالعدم لو أعدموا فإن الخلاص من الألم يحصل بمجرد العدم . الدرجة الثانية أن زهد رغبة في ثواب الله ونعيمه والذات للعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فإن هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الألم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد لا آخر له . الدرجة الثالثة وهي العليا أن لا يكون له رغبة إلا في الله وفي لقاءه فلا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا إلى الذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق في المحبة بالله تعالى وهو الذي أصبح وهو مومنه واحده وهو للوحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لأن من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين وهم البارفون لأنه لا يجب الله تعالى خاصة إلا من عرفه وكما أن من عرف الديار والدرم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يجب إلا الديار فصك ذلك من عرف الله وعرف لذة النظر إلى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التمتع بالخور العين

(١) حديث إن الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء أحمد من حديث ابن عباس التقي مؤمنان على باب الجنة مؤمن غنى ومؤمن فقير الحديث وفيه إني جئست ببدك عبيسا فظيما كرمها ما وصلت إليك حتى ساله منى العرق ما لو ورده ألف بعير أكلة حمض لصدرت عنه رواء وفيه دريد غير منسوب محتاج إلى معرفته قال أحمد حديثه مثله .

الحيواني جسبان لطيف
حامل لقوة الحس
والحركة ينبعث من
القلب أعنى بالقلب
هنا اللذة اللحمية
للعروة الشكل للودعة
في الجانب الأيسر
من الجسد وينتشر
في تجاويف العروق
الضواري وهذه
الروح لسائر الحيوانات
ومنه تفيض قوى
الحواس وهو الذي
قوامه بإجراء سنة الله
بالفداء غالبا ويتصرف
بمسلم الطلب فيه
باعتدال مزاج الأخلاط
ولو روى الروح الانساني
السلوى على هذا
الروح تجنس الروح
الحيواني وبأن
أرواح الحيوانات

والنظر إلى نفث القصور وخضرة الأشجار غير ممكن فلا يجب إلاالة النظر ولا يؤثر غيره ولا تظن أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبق لذة الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة إلى لذة نعيم أهل الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الخلق بالاضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور والعب به والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب لعب بالصغور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن إدراك لذة الملك لأن اللعب بالصغور في نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق . وأما أقسامه بالاضافة إلى الرغبة عنه فقد كثرت فيه الأقاويل ولعل للذكور فيه زيد على مائة قول فلا نشغل بنقل الأقاويل ولكن نشير إلى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح أن أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل . فنقول: للرغوب عنه بالزهد إجمال وتفصيل وتفصيله مراتب بعضها أشرح لاحاد الأقسام وبعضها أجمال للجمال . أما الاجمال في الدرجة الأولى فهو كل مأسوى الله فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد في نفسه أيضا ، والاجمال في الدرجة الثانية أن يزهد في كل صفة للنفس فيمنعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها ، وفي الدرجة الثالثة أن يزهد في المال والجاه وأصحابهما إذ إليهما ترجع جميع حظوظ النفس ، وفي الدرجة الرابعة أن يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه ، وإذا أموال وإن كثرت أضناها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وإن كثرت أسبابها يرجع إلى العلم والقدرة وأغنى به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب ، إذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كما أن معنى المال ملك الأعيان والقدرة عليها فإن جاوزت هذا التفصيل إلى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن المحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها قال - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المنقطرة من الذهب والفضة والحيل السومة والأنعام والحرب ذلك متاع الحياة الدنيا - ثم رده في آية أخرى إلى خمسة فقال عز وجل - اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينهم وتكاثر في الأموال والأولاد - ثم رده تعالى في موضع آخر إلى اثنين فقال تعالى - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو - ثم رد الكل إلى واحد في موضع آخر قال - ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي للأوى - فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي أن يكون الزهد فيه وإذافهمت طريق الاجمال والتفصيل عرفت أن البعض من هذه لا يخالف البعض وإنما يفرقه في الشرح ، ورة والاجمال أخرى . فالحاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصر أمه لا محالة لأنه إنما يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بإرادة البقاء فان من أراد شيئا أراد دوامه ولا معنى لحب الحياة إلا حب دوام ما هو موجود أو يمكن في هذه الحياة فاذا رغب عنها لم يردا ولذلك لما كتب عليهم القتال - قالوا ربنا لم نكتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب - فقال تعالى - قل متاع الدنيا قليل - أي لستم تريدون البقاء لإلتئاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال الناقصين . أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص وانتظروا إحدى الحسين وكانوا إذا دعوا إلى القتال يستشفقون راحة الجنة ويبادرون إليه بمبادرة الظلمان إلى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله وأوئيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة حتى إن خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه لما احتضر الموت على فراشه كان يقول كم غرت بروحي وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة وأنا الآن أموت موت المجازي فلما مات عد على جسده ثمانية أثقب من آثار الجراحات هكذا كان حال الصادقين في الإيمان رضى الله تعالى عنهم أجمعين

واكتسب صفة أخرى
فصار تساعدا للنطق
والإلهام قال الله تعالى
- ونس وما سواها
فألمها فجسورها
وتقواها - فتسويتها
بوزود الروح الانساني
عليها واقتطاعها عن
جنس أرواح الحيوانات
فك تكونت النفس
بتكوين الله تعالى من
الروح العلوى وصار
تكوين النفس التي
هي الروح الحيوانية من
الآدمي من الروح
العلوى في عالم الأمر
كتكوين حواء من
آدم في عالم الخلق وصار
بينهما من التألف
والتماهي كما بين آدم
وحواء وصار كل واحد
منهما يندوق الموت

وأما للتناقض ففروا من الزحف خوفاً من الموت قليل لهم - إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملائكم - فإثارة البقاء على الشهادة استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير فأولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فارتفعت تجارتهم وما كانوا مهتدين - وأما المتخلصون فإن الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ففاروا أنهم تركوا مجتمع عشرين سنة مثلاً أو ثلاثين سنة بمتعة الأبد استبشروا بدينهم الذي يسعوا به فهذا بيان للزهد فيه ، وإذا فهمت هذا علمت أن ما ذكره للتكلمون في حدّ الزهد لم يشروا به إلا إلى بعض أقسامه فذكر كل واحد منهم ما رآه غالباً على نفسه أو على من كان يخاطبه فقال بشر رحمه الله تعالى الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس ، وهذا إشارة إلى الزهد في الجاه خاصة . وقال قاسم الجوعى الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبعدماتملك من بطنك كذلك تملك من الزهد ، وهذا إشارة إلى الزهد في شهوة واحدة ، ولعمري هي أغلب الشهوات على الأكثر وهي للبهجة لا أكثر الشهوات . وقال الفضيل الزهد في الدنيا هو القناعة وهذا إشارة إلى المال خاصة . وقال الثوري الزهد هو قصر الأمل وهو جامع لجميع الشهوات فإن من عيّل إلى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول أمله ومن قصر أمله فكأنه رغب عن الشهوات كلها . وقال أوس إذا خرج الزاهد يطلب ذهب الزهد عنه وما قصد بهذا حدّ الزهد ولكن جعل التوكل شرطاً في الزهد . وقال أوس أيضاً الزهد هو ترك الطلب للضمون وهو إشارة إلى الرزق . وقال أهل الحديث الدنيا هو العمل بالرأى وللعقول والزهد إنما هو اتباع العلم ولزوم السنة وهذا إن أريد به الرأى الفاسد وللعقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه إشارة إلى بعض أسباب الجاه خاصة أو إلى بعض ما هو من فضول الشهوات فإن من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة وقد دلّوا حتى يتقضى عمر الإنسان في الاشتغال بواحدة باضطرط الزاهد أن يكون الفضول أول مرغوب عنه عنده ، وقال الحسن الزاهد الذي إذا رأى أحداً قال هذا أفضل مني فذهب إلى أن الزهد هو التواضع وهذا إشارة إلى نفي الجاه والحجب وهو بعض أقسام الزهد وقال بعضهم الزهد هو طلب الحلال ، وأين هذا عن بقول الزهد هو ترك الطلب كما قال أوس ، ولا شك في أنه أراد به ترك طلب الحلال وقد كان يوسف بن أسباط يقول من صبر على الأدنى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال فقد أخذ بأصل الزهد ، وفي الزهد أقاويل ورأها تهللناه فلم نرى ثقلها فائدة فإن من طلب كشف حقائق الأمور من أقاويل الناس رأها مختلفة فلا يستفيد إلا الحيرة وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا يتلقف من سمعه فتدوّن الحق وأطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لاقتصوري البصرة لكنهم ذكرُوا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الأخبار عن الحالة الزهنية التي هي مقام البعد في نفسه والأحوال تختلف فلا جرم الأقوال المخيرة عنها تختلف ، وأما الحق في نفسه فلا يكون إلا واحداً ولا يتصور أن يختلف وإنما الجامع من هذه الأقاويل الكامل في نفسه وإن لم يكن فيه تفصيل ما قاله أبو سليمان الدراني إذ قال سمعنا في الزهد كلاماً كثيراً والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل وقد فصل مرة وقال من تزوج أوسافر في طلب العيشة أو كتب الحديث فقد ركن إلى الدنيا فجعل جميع ذلك ضدّاً للزهد ، وقد قرأ أبو سليمان قوله تعالى - لا من أرى الله بقلب سليم - فقال هو القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى وقال إنما تنزع قلوبهم من همومها للأخرة ، فهذا بيان أقسام الزهد بالإضافة إلى أصناف الزهود فيه ، فأما بالإضافة إلى أحكامه فينقسم إلى فرض وشغل وسلامة كما قاله إبراهيم بن آدم فالفرض هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات . وقد ذكرنا نماذج درجات الورع في كتاب الحلال

بفارقة صاحبه قال الله تعالى - وجعل منها زوجاً ليسكن إليها - فسكن آدم إلى حواء وسكن الروح الإنسانى العلوى إلى الروح الحيوانى وصيره نفساً وتكون من سكن الروح إلى النفس القلب وأعطى بهذا القلب البطنة التي عملها للصفة الاحمية فالصفة الاحمية من عالم الخلق وهندسة اللطيفة من عالم الأمر وكان تكون القلب من الروح والنفس في عالم الأمر كشكون الدنية من آدم وحواء في عالم الخلق ولولا الساكنة بين الزوجين الذين أحدهما النفس ماتكون القلب لمن

والحرام وذلك من الزهد إذ قيل لما لك بن أنس ما الزهد قال التقوى ، وأما بالاضافة إلى خفايا ما يتركه فلانهاية للزهد فيه إذ لانهاية لما تمتنع به النفس في الخطرات والخطوات وسائر الحالات لاسباب خفايا الرياء فان ذلك لا يطلع عليه إلا محاسنة العلماء بل الأموال الظاهرة أيضا درجات الزهد فيها لا تنهاه فمن أقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام إذ توسد حجرا في نومه فقال له الشيطان أما كنت تركت الدنيا فما الذي بدا لك قال وما الذي تجد قال توسدك الحجر . أى تمتعت برفع رأسك عن الأرض في النوم فرمى الحجر وقال خذ مع ما تركته لك ، وروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه لبس السوج حتى ثقب جلده تركا للتمتع بلبس اللباس واستراحة جس المس نسأته أنه أن يلبس مكان السج جبة من صوف فقبل فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أكثر على الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد إلى ما كان عليه ، وقال أحمد رحمه الله تعالى الزهد زهد أيسر بلغ من العري أن جلس في قوصرة وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط إنسان فأقامه صاحب الحائط فقال ما تقنى أنت إنما أتاني الذي لم يرش لي أن أتم بظل الحائط فأذن درجات الزهد مظاهر أو باطنا لا حصر لها وأقل درجاته الزهد في كل شعبة ومحظور ، وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحظور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم رأوا أنه لم يبق حلال في أموال الدنيا فلا يتصور الزهد إلا أن . فان قلت مهما كان الصحيح هو أن الزهد ترك ماسوى الله فكيف يتصور ذلك مع الأكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمهم وكل ذلك اشتغال بماسوى الله تعالى . فاعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا إلى الله تعالى هو الاقبال بكل القلب عليه ذكر أو فكري ولا يتصور ذلك إلا مع البقاء لا بقاء بالضروريات النفس فيها انحصرت من الدنيا على دفع اللهكات عن اليدين وكان غرضك الاستعانة باليد على العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله فان ما لا يتوصل إلى الشيء إلا به فهو منه فالمشتغل بلبس الناقه وسبقه في طريق الحليم ليس معرضا عن الحليم ولكن ينبغي أن يكون بدتك في طريق الله مثل : تفك في طريق الحليم ولا غرض لك في تتم نافتك بالفتن بل غرضك مقصور على دفع اللهكات عنها حتى تسير بك إلى مقصدك فكذلك ينبغي أن تكون في صيانة بدتك عن الجوع والعطش للهلك بالأكل والشرب وعن الحر والبرد للهلك باللباس والسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوى على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد . وإن قلت فلا بد وأن أتلذذ بالأكل عند الجوع . فاعلم أن ذلك لا يضرك إذا لم يكن قصدك التلذذ فان شارب الماء البارد قد يستلذ بالشرب ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش ومن يقضى حاجته قد يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصودا عند من يطلبوا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا إليه فالإنسان قد يستريح في قيام الليل ينسم الأسرار وصوت الأظفار ولكن إذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة لما يصيبه من ذلك بغير قصد لا يضره ولقد كان في الخائفين من طلب موضعا لا يصيبه فيه نسم الأسرار خيفة من الاستراحة به وأنس القلب معه فيكون فيه أنس بالدنيا وتقصان في الأنس بالله بقدر وقوع الأنس بغير الله ولذلك كان داود الطائي له جب مكشوف فيه مأوى فكان لا يرفه من الشمس وضرب الماء الحار ويقول من وجد لدن الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا ، فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وإن كان شاقا فشدته قريبة والاحتياج مدة يسيرة للتمتع على التأيد لا يتحمل على أهل للرفة القاهرة من لأتسم سياسة الشرع للتعصين بعبادة النبيين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

(بيان تفصيل الزهد فيها هو من ضروريات الحياة)

اعلم أن ما الناس منهم يكون فيه ينقسم إلى فضول وإلى مهم فالفضول كالحيل السوسنة لا يغالب الناس

القلوب قلب متطلع إلى الأب الذي هو الروح العلوي مبال إليه وهو القلب المؤيد الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها رواه حذيفة رضى الله عنه قال : القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهو فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصنوع فيه إيمان وثاق فذلك الإيمان فيه مثل البقلة بعدها الماء الطيب ومثل الثفاق فيه كئيل القرحة بعدها القيح والصديد فأى للمادتين

إنما يقتنيتها للترفة يركبها وهو قادر على الشئ ولهم كالأكل والشرب ولنا قدر على تفصيل أصناف الفضول فإن ذلك لا ينحصر وإنما ينحصر لهم الضروري ولهم أيضا يتطرق إليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته فلابد من بيان وجه الزهد فيه وللهامات ستة أمور : للمطمع ولللبس وللأسكن وأثائه وللتكسح والسال والجاه يطلب لأغراض وهذه الستة من جعلها وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الحلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب الرضاء من ربيع الهلكات ونحن الآن نتعصر على بيان هذه الهامات الستة [الأول للمطمع] ولا بد للإنسان من قوت حلال يحيم عليه ولكن لا طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به ازهدا فاطولوه فبالإضافة إلى جملة العمر فإن من يملك طعام يومه فلا يفتح به وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله وأما طوله فلا يقصر إلا بقصر الأمل وأقل درجات الزهد فيه الاقتصاد على قدر خضع الطبوع عند هذه الطبوع وخوف الرض ومن هذا حاله فإذا استقل بما تناوله لم يدخر من غذائه لشئته وهذه هي الدرجة العليا . بالدرجة الثانية : أن يدخر لشهر أو أربعين يوما . بالدرجة الثالثة : أن يدخر لسنة فقط وهذه درجة ضغفاء الزهاد ومن أخصر لأكثر من ذلك قسمته زاهدا حال لأن من أمل جاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جدا فلا يتم منه الزهد إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرش نفسه الأخذ من أيدي الناس كيدلود الطائي فإنه ورثه عشرين دينارا فأمسكها وأتقها في عشرين سنة فهذا لا يشاء أصل الزهد إلا اعتد من جعل التوكل شرط الزهد وأما عرضه فبالإضافة إلى القدر وأقل درجاته في اليوم واليلة نصف رجل وأوسطه رجل وأعلى مدته واحد وهو ما قدره الله تعالى على إعطاء المسكين في الكفاية وجاوز ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصاد على يد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب وأما بالإضافة إلى الجنس فأقله كل ما يقوت ولو الحزب من النخالة وأوسطه خبز الشعير والتمر وأعلىه خبز الغير مستعمل فإذا ميز من النخالة وصار حواري قد دخل في التتم وخرج من آخر أبواب الزهد فاضلا عن أوائله وأما الأكم فأقله الملح أو البقل أو الخل وأوسطه الزيت أو يسر من الأعنان أي دهن كان وأعلىه اللحم أي لحم كان وذلك الأسبوع مرة أو مرتين فإن صار دائما أو أكثر من مرتين في الأسبوع خرج عن آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن أصلا وأما بالإضافة إلى الوقت فأقله في اليوم واليلة قهورة وهو أن يكون صائما وأوسطه أن يصوم وضرب ليلة ولا يأكل ولا يشرب وأعلىه أن يتبى إلى أن يطوى ثلاثة أيام أو أسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرجه في ربيع الهلكات وينظر إلى أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وللصحابة رضوان الله عليهم في كيفية زهدهم في الطعام وتركهم الأكم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها « كانت تأتي علينا أرمون ليلة يوما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قبل لها فيم كنتم تعيشون قالت بالسودين التمر والنماء » (١) وهذا ترك اللحم واللبقة والأكم . فقال الحسن « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف ويتنمل المحصوف ويلحق أصابعه ويأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد أتأكل كما تأكل العبيد وأجلس كما تجلس العبيد » (٢) وقال المسيح عليه السلام « بحق أقول لكم إنه من طلب الفردوس غلب الشعير » والنوم على اللزائيل مع الكلاب كثير . وقاله للفضيل

غلبت عليه حكمة له
بها والقلب للنكوي
مبال إلى الأم التي هي
النفى الأمانة بالعروة
ومن للقلوب قلب
متبدد في ميسر إليها
وبحسب غلبة ميل
القلب يكون حكمه
من السعادة والشقاوة
والثقل بجوهر الروح
العالي ولسانه والبال
عليه وتديبه القلب
للويد والنفس الزكية
للطعنة تدبير الهالك
للهاد الجليل والزوج
للزوجة الصالحة
وتدبيره لقلب
النكوي والنفس
الأمانة بالسوء تدبير
الوالد الوليد العلي
والزوج الزوجة العيشة
لشكوى من وجه

(١) حديث عائشة كانت تأتي أرمون ليلة يوما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار الحديث ابن ماجه من حديث عائشة كان يأتي على آل محمد القمر ما يرى في بيت من بيوتهم دخان الحديث وفي رواية له ما يوقد فيه نار ولا يجد كان يمر بنا حلال وحلال فاستقروا في بيت من بيوتهم نار وفي رواية له ثلاثة أهلة : (٢) حديث الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار

ما شيع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر^(١). وكان للمسيح صلى الله عليه وسلم يقول: يا بني إسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير وإياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره وقد كرت أسيرة الأنبياء والسلف في المطعم والشرب في ربيع المهلكات فلانهم ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم أهل قباء أتوه بشربة من لبن مشوبة بصل فوضع القدح من يده وقال: وأما إني لست أكرمه ولكن آتاكمه تواضعا^(٢) تعالى^(٣) « وأتى عمر رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حجابها وقد قال يحيى بن معاذ الرازي الزاهد الصافي قوته ما وجد ولياسه ما ستر ومسكنه حيث أدرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه والحلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والله كرم رقيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياء شعاره والجوع إلهامه والحسكة كلامه والتراب فراشه والثقوى زاده والصمت غنيته والصبر معتمده والتوكل حسيبه والعقل دليله والعبادة خرقته والجنة مبلغه إن شاء الله تعالى [اللهم الثاني] اللبس وأقل درجته ما يدفع الحر والبرد ويستراة النورة وهو كسامة يغطيها وأوسطه قيص وقلنسوة ونعلان وأعلام أن يكون معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث للقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت ، فإذا صار صاحب قيصين وسراويلين ومنديلين فقد خرج من جميع أبواب الزهد من حيث القدار ، أما المجلس فأقله للسوح الخشنة وأوسطه الصوف الخشن. وأعلامه القطن التليظ ، وأما من حيث الوقت فأقصاه ما يترسنة وأقله ما يبقى يوما حتى رقع بهشم ثوبه يورق الشجر وإن كان يتسارع الجفاف إليه وأوسطه ما يمسك عليه شهرا وما يقاربه فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد إلا إذا كان المطلوب خشوته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يصدق به فإن أمسكه لم يكن زاهدا بل كان عبدا للدنيا ولينظر فيه إلى أحوال الأنبياء والصحابة كيف تركوا اللباس قال أبو ربة أخرجت لنا عائشة رضي الله تعالى عنها كساء ملبد وإزارا غليظا قالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالى ما لبس^(٥) » وقال عمرو بن الأسود المنسي لا لبس مشهورا أبدا ولا أنام بلبل على دثار أبدا ولا أركب على مأثور أبدا ولا أملأ جوف من طعام أبدا قال عمر من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود^(٦) وفي الخبر « ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا أعرض الله عنه حتى يترعه وإن كان عنده حبيبا^(٧) » واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم^(٨)

ومنجذب إلى تدبيرها من وجه إذ لا بد له منها وقول القائلين واختلافهم في محل القتل فمن قال إن محله السماع ومن قال إن محله القلب كلام القاصرين عن ذلك حقيقة ذلك واختلافهم في ذلك لعدم استقرار القلب على نسق واحد وانجذاب إلى الباتارة وإلى المآل أخرى وقلب والله ماغ نسبة إلى البار والمآل فإذا روى في تدبير المآل قيل مسكنه الله ماغ وإذا روى في تدبير البار قيل مسكنه القلب فالروح العلوي يتم بالارتضاع إلى مولاه خوفا وحسنا وتزهوا

الحديث تقدم دون قوله إنما أنا عبد فاته ليس من حديث الحسن إنما هو من حديث عائشة وقد تقدم (١) حديث ما شيع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر تقدم (٢) حديث لما أتى أهل قباء أتوه بشربة من لبن بصل فوضع القدح من يده الحديث تقدم (٣) حديث أخرجت عائشة كساء ملبد وإزارا غليظا قالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين الشيخان وقد تقدم في آداب المعيشة (٤) حديث إن الله يحب المتبذل الذي لا يبالى ما لبس لم أجده أصلا (٥) حديث عمر من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود رواه أحمد بإسناد جيد (٦) حديث ما من عبد لبس ثوب شهرة الحديث ابن ماجه من حديث أبي ذر بإسناد جيد دون قوله وإن كان عنده حبيبا (٧) حديث اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم أبو يعلى من حديث أبي هريرة قال

وكانت قيمة ثوبه عشرة (١). وكان إزاره أربعة أذرع ونصفا (٢). واشترى سراويل بثلاثة دراهم (٣). وكان بلبس فمهلين يضاوون من صوف (٤) وكانت تسمى حلة لأنها ثوبان من جنس واحد وربما كان بلبس بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاط وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قميص زيات (٥). وليس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا بسيرا من سندس قيمته ما ثا درهم (٦) فكان أصحابه يلبسونه ويقولون يا رسول الله أنزل عليك هذا من الجنة تعجبا وكان قد أهدها إليه المقوقس ملك الاسكندرية فأراد أن يكرمه بلبسه ثم نزع وأرسل به إلى رجل من الشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباغ وكأنه إنما لبسه أولا فأكد التحريم كما لبس خاتما من ذهب يوم مات ثم نزع (٧) فحرم لبس على الرجال وكما قال لما ثمة في شأن بريرة اشترط لأهلها الولاء (٨) فلما اشترطته سعد عليه السلام للثوب فحرمه وكما أباح للثمة ثلاثا ثم حرمها لتأكيد أمر النكاح (٩) وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيصة لها علم فلما سلم قال شغفني النظر إلى هذه انهبوا بها إلى أبي جهم واثتوني بأبيجانيته (١٠) يعني كساءه فاختر لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شر الكثرة قد خلق فأبدل بغير جديد فصلى فلما سلم قال أعيذوا الشراك الخاق وانزعوا هذه الجديد فاني نظرت إليه في الصلاة

دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إلى البرازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم الحديث وإسناده ضعيف (١) حديث كان قيمة ثوبه عشرة دراهم لم أجده (٢) حديث كان إزاره أربعة أذرع ونصفا أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عروة بن الزبير مرسلان رداه رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع ، وعرضه ذراعان ونصف الحديث وفيه ابن أبي ليحة . وفي طبقات ابن سعد من حديث أبي هريرة كان له إزار من نسج عمان طوله أربعة أذرع وشبر في ذراعين وشبر ، وفيه محمد بن عمر الواقدي (٣) حديث اشترى سراويل بثلاثة دراهم المعروف أنه اشتره بأربعة دراهم كما تقدم عند أبي يعلى وشراؤه السراويل عند أصحاب السنن من حديث سويد بن قيس إلا أنه لم يذكر فيه مقدار ثمنه قال الترمذي حسن صحيح (٤) حديث كان بلبس فمهلين يضاوون من صوف وكانت تسمى حلة لأنها ثوبان من جنس واحد وربما كان بلبس بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاط تقدم في آداب وأخلاق النبوة لبسه للشملة والبرد والحرية . وأما لبسه الحلة ففي الصحيحين من حديث البراء رأيت في حلة حمراء ولأبي داود من حديث ابن عباس حين خرج إلى الحرورية وعليه أحسن ما يكون من حلل اليمن وقال رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل وفي الصحيحين من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قبض في ثوبين أحدهما إزار غليظ يصنع باليمن وتقدم في آداب العيشة ولأبي داود والترمذي والنسائي من حديث أبي رمة وعليه بردان أخضران سكنت عليه أبو داود واستخر به الترمذي وللبزار من حديث قدماء الكلايين وعليه حلة جرد وفيه عريف بن إبراهيم لا يعرف قال الذهبي (٥) حديث كان قميصه كأنه قميص زيات الترمذي من حديث أنس بسند ضعيف كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحية حتى كان ثوبه ثوب زيات (٦) حديث لبس يوما واحدا ثوبا بسيرا من سندس قيمته ما ثا درهم أهدها له المقوقس ثم نزع الحديث (٧) حديث لبس يوما خاتما من ذهب [١] ثم نزع ستفقه عليه وقد تقدم (٨) حديث قال لما ثمة في شأن بريرة اشترط لأهلها الحديث متفق عليه من حديث (٩) حديث أباح للثمة ثلاثا ثم حرمها مسلم من حديث سلمة بن الأكوع (١٠) حديث صلى في خيصة لها علم الحديث متفق عليه وقد تقدم في الصلاة.

[١] قول العراقي ثم نزع الحديث هكذا في النسخ بغير ذكر راو ولم يتكلم عليه الشارح فلينظر اهـ .

من ألا يكون . ومن
الأحسوان القلب
والنفس فاذا ارتقى
الروح نحو القلب إليه
حنو الولد الحسين
البار إلى والدوهن
النفس إلى القلب الذي
هو الولد حين الولادة
الحنية إلى ولدها وإذا
حنن النفس ارتقت
من الأرض وارتوت
عرونها الضاربة في
العالم السفلى والظومي
هواها وانحسرت
مادته وهدت في الدنيا
وتجافت عن دار
الفرور وأثابت إلى دار
الخلود وقد تغلغل النفس
التي هي الأم لله
الأرض بوضعها الجليل
تسكنها من الروح
الجسواني الجنس

«وليس خاتما من ذهب ونظر إليه على للنبر نظرة فرمى به فقال شغلني هذا عنكم نظرة إليه ونظرة إليكم» (١). «وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى مرة ثمانين جديدين فأعجبه حسنهما فخر ساجدا وقال : أعجبني حسنهما فتواضعت لري خشية أن يعقني ثم خرج بهما فدفعهما إلى أولئك مسكين ركة» (٢). وعن سنان بن سعد قال حيك رسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف أعمار وجلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال : انظروا ما أحسنها وما أليها قال قام إليه أعرابي فقال يا رسول الله هيا لي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا لم يجعل به قال فدفعها إليه وأمر أن يحاك له واحدة أخرى فأتى صلى الله عليه وسلم وهي في الحاك» (٣). وعن جابر : قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضي الله تعالى عنها وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فلما نظر إليها بكى وقال يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لتبني الأبد فأذن الله عليه وسولف بعطيك ريك قرضي - (٤). وقال صلى الله عليه وسلم : «إن من خيار أمتي فيا أثباتي للآل الأئلي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله تعالى ويكون سرا من خوف عذابه مؤثمتهم على الناس خيفة وعلى أنفسهم تهيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسامهم في الأرض وأشدتهم عند العرش» (٥). فلهذا كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللابس : «وقد أوصى أمته عامة باتباعه إذا قال : «من أحبني فليست بسنتي» (٦). وقال : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بدى عضوا عليها بالخواجد» (٧). وقال تعالى : «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله - «وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها خاصة وقال إن أردت اللحوق بي فإياك ومحالة الأغنياء ولا تزعي ثوبا حتى ترقيه» (٨). وعد على قيس عمر رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم واشترى على بن أبي طالب كرم الله وجهه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلعة وقطع كيه من الرسغين وقال الحمد لله الذي كساني هذا من ريشه . وقال الثوري وغيره اليس من الثياب ما لا يضره عند العلماء ولا يهتكم عند الجهال وكان يقول إن الفقير لير في وأنا أصلي فأدعه يجوز ويمر بي واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البرة فأقتته ولأدعه يجوز . وقال بعضهم قومت ثوبى سفيان وتعليه بدرهم وأربعة دنانق . وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرا ما خدته . وقال بعض السلف : اليس من الثياب ما يهلكك بالسوقة ولا تلبس منها ما يهلكك فينظر إليك . وقال أبو سليمان الداراني : الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينة وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه . وقال بعضهم من رق ثوبه رقي دينه

(١) حديث لبس خاتما فنظر إليه على للنبر فرمى به وقال شغلني هذا عنكم الحديث تقدم (٢) حديث احتذى ثمانين جديدين فأعجبه حسنهما فخر سنان بن سعد حيك رسول الله صلى الله عليه وسلم جبة صوف من صوف أعمار الحديث أبو داود الطيالسي والطبراني من حديث سهل بن سعد دون قوله وأمر أن يحاك له أخرى فهي عند الطبراني قط وفي زمة بن ضاحك ضعيف وقع في كثير من نسخ الإحياء سيار بن سعد وهو غلط (٤) حديث جابر دخل على فاطمة وهي تطحن بالرحى الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق بإسناد ضعيف (٥) حديث إن من خيار أمتي فيا أثباتي للآل الأئلي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويكون سرا من خوف عذابه الحديث تقدم وهو عند الحاكم والبيهقي في الشعب وضعفه (٦) حديث من أحبني فليست بسنتي تقدم في التكاثر (٧) حديث عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين الحديث أبو داود الترمذي وصححه وابن ماجه من حديث العرياض بن ساريه (٨) حديث قال لعائشة إن أردت اللحوق بي فإياك ومحالة الأغنياء

ومسلتها في ركونها إلى الطبايع التي هي أركان العالم السفلي . قال الله تعالى - وتو عثا الرقعة بها ولكنته أخذه إلى الأرض وابتاع هواه - فاذا سكنت النفس التي هي الأمل إلى الأرض أعجب إليها القلب للسكون أعجاب الولد للآل إلى الوالد للموجة الناقصة دون الوالد الكامل المستقيم وتنجذب الروح إلى الولد الذي نحو القلب لما جبل عليه من أعجاب الوالد إلى ولده فلهذا ذلك يتخلف عن حقيقة القيام بحق مولاه وفي هذين الألفاظين يظهر حكم الحسنة والشقاوة

وكان جمهور العلماء من التابعين قيمة ثيابهم مابين العشرين إلى الثلاثين درهما وكان الخواص لا يلبس أكثر من قطعتين قيمتين ومزترجته وربما يعطف ذيل قميصه على رأسه . وقال بعض السلف أول النيك الذي وفي الخير « البذانة من الايمان » وفي الخير « من ترك ثوب جمال وهو بقدر عليه تواضعه لله تعالى وابتغاء لوجهه كان حقا على الله أن يدخر له من عبقرى الجنة في ثغث الباقوت » وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه قل لأوليائى لا يلبسوا ملابس أعدائى ولا يدخلوا مداخل أعدائى فيكونوا أعدائى كما هم أعدائى وأنظر رافع بن خديج إلى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو وسط فقال انظروا إلى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رفاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة إلى أبي ذر في برته فبذل يتكلم في الزهد فوضع أبو ذر راحته على فيه وجعل يضرب به فتعجب ابن عامر فشكاه إلى عمر فقال أنت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البرة وقال على كرم الله وجهه إن الله تعالى أخذ على أمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليتقدي بهم التقى ولا يزرى بالحقير فقره ولما عوب في خشونة لباسه قال هو أقرب إلى التواضع وأجدر أن يتقدي به للسلم ونهى صلى الله عليه وسلم عن التتم وقال « إن لله تعالى عبادا ليسوا بالمتتمين (١) » وروى فضالة بن عبيد وهو وإلى مصر أعتج جانيا قليل له أمت الأمير وفضل هذا قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإرفاء وأمرنا أن نختنق أحيانا (٢) . وقال على لعمر رضى الله عنهما إن أردت أن تلحق بصاحيك فارقع القميص ونكس الإزار واخضف النمل وكل دون الشبع وقال عمر اخشوعنوا وإياكم وزى السجم كسرى وقصر . وقال على كرم الله وجهه من زيا زى قوم فهو منهم وقال رسول الله ﷺ « إن من شرار أمى الدين غدا غدا بالنسيم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشددون في الكلام (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أزره للؤمن إلى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين السكبين وما أسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا (٤) » وقال أبو سليمان الداراني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يلبس الشعر من أمى إلا مراة أو أحق (٥) » وقال الأوزاعي لباس الصوف في السفرة وفي الحضر بدعة ودخل محمد بن واسع على قتبية بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتبية مادماك إلى بدرعة الصوف فسكت فقال أكلك ولا يجنبني فقال أكره أن أقول زهدا فأزكى نفسى أو قرا فأشكو ربى وقال أبو سليمان لما أخذ الله إبراهيم خلبا أوحى إليه أن وار عورتك من الأرض وكان لا يتخذ من كل شيء إلا واحدا سوى السراويل فإنه كان يتخذ سراويلين فإذا غسل أحدهما لبس

الترملذى وقال غريب والحاكم وصححه من حديث عائشة وقد تقدم (١) حديث نهى عن التتم وقال إن لله عبادا ليسوا بالمتتمين أحمد من حديث معاذ وقد تقدم (٢) حديث فضالة بن عبيد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإرفاء [١] وأمرنا أن نختنق أحيانا أبو داود باسناد جيد (٣) حديث إن من شرار أمى الدين غدا غدا بالنسيم الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة باسناد ضيف سيكون رجال من أمى يأكلون ألوان الطعام الحديث وآخره أولئك شرار أمى وقد تقدم (٤) حديث أزره للؤمن إلى أنصاف ساقيه الحديث مالك وأبو داود والنسائي وابن حبان من حديث أبي سعيد ورواه أيضا للنسائي من حديث أبي هريرة قال محمد بن يحيى الذهلى كلا الحديثين محفوظ (٥) حديث أبي سليمان لا يلبس الشعر من أمى إلا مراة أو أحق لم أجده له إسنادا .

[١] الإرفاء بكسر المعزة ثم راء ساكنة ثم فاء مقصورة ثم هاء وليست بجاء : التدهن والترجيل كل يوم . وقيل التوسع في الطعام والشرب برهان له .

- ذلك تقدير العزيز
العليم . . وقد ورد
في أخبار داود عليه
السلام أنه سأل ابنه
سليمان أين موضع العقل
منك قال القلب لأنه
قالب الروح والروح
قالب الحياة . وقال
أبو سعيد القرشي
الروح روحان روح
الحياة وروح اللبث فاذا
اجتمعا عقل الجسم
وروح اللبث هي التي إذا
خرجت من الجسد
يسير الحى ميتا وروح
الحياة ما به مجارى
الأفاس وقوة الأكل
والشرب وغسرها ،
وقال بعضهم : الروح
نسيم طيب يكون به
الحياة والنفس ريح
حارة تحكون بها

الآخر حتى لا يأتي عليه حال الإلوة مستورة ، وقبل لسان الفارسي رضى الله عنه مالك تلبس الجيد من الثياب فقال وما للعبد والثوب الحسن فاذا عتق قلبه والله ثياب لا تبلى أبدا ، وروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان له جبة شعر وكساء شعر يلبسهما من الليل إذا قام صلى ، وقال الحسن لقرقة السبيعي تحسب أن لك فضلا على الناس بكسائك بلخي أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية شافقا . وقال يحيى بن معين : رأيت أبا معاوية الأسود وهو يلتقط الحرق من الزايل ويضلعها ويلقها ويلبسها فقلت إنك تكسى خيرا من هذا فقال ما ضرهم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة قبل يحيى بن معين يحدث بها ويكسى [اللهم الثالث] للسكن ولزهد فيه أيضا ثلاث درجات : أعلاها أن لا يطلب موصفا خاصا لنفسه فيقتنع بزوايا الساجد كأصحاب الصفة وأوسمها أن يطلب موصفا خاصا لنفسه مثل كوخ مبنى من سفوف أو خض أو ما يشبهه وأدناها أن يطلب حجرة مبنية إما بشرها أو بإجارة فإن كان قدر سعة السكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرج هذا القدر عن آخر درجات الزهد فإن طلب التشديد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالكسوة حد الزهد في السكن فاختلاف جنس البناء بأن يكون من الجص أو القصب أو الطين أو بالأجر واختلاف قدره بالسعة والضيقة واختلاف طوله بالإضافة إلى الأوقات بأن يكون ممكوكا أو مستأجرا أو مستمرا وللزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة كل ما يراود للضرورة فلا ينبغي أن يهاوؤ حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والعرض من السكن دفع للطير والبرد ودفع الأعين والأذى وأقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا وطلب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جدا وقد قيل أول شيء ظهر من طول الأمل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدرج والتشديد بيني بالتدرج كفف دروز الثياب فاتها كانت تشل شلا والتشديد هو البنيان بالجص والأجر وإنما كانوا يبنون بالسقف والجريد (١) وقد جاء في الخبر « يأتي على الناس زمان يوشون نياهم كما توشى البرود الجمانية » وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يهزم علة كان قد علا بها (٢) « ومروا على السلام بمنزلة معلة فقال لمن هذه قالوا لفلان فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسال الرجل أصحابه عن تغير وجهه صلى الله عليه وسلم فأخبر فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فأخبر بأنه هدمها فدعا له بخير (٣) » وقال الحسن « مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة (٤) »

(١) حديث كانت الثياب تشل شلا وكأوا يبنون بالسقف والجريد أما شل الثياب من غير كفف فروى الطبراني والحاكم أن عمر قطع ما فضل عن الأصابع من غير كفف وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما البناء ففي الصحيحين من حديث أنس في قصة بناء مسجد المدينة فصفوا النخل قبله لاسجد وجعلوا عضادته الحجارة الحديث ولهما من حديث أبي سعيد كان للسجد على عرش فوكف للسجد (٢) حديث أمر الناس أن يهزم علة كان قد علاها الطبراني من روايات أبي المانية أن الناس بنى غرفة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هدمها الحديث وهو منقطع (٣) حديث مر بمنزلة معلة فقال لمن هذه ؟ فقالوا لفلان قد جاءه الرجل أعرض عنه الحديث أبو داود من حديث أنس باسناد جيد بلفظ فرأى قبة مشرفة الحديث والمنزلة القبة (٤) حديث الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة على لينة الحديث ابن حبان في الثقات وأبو نعيم في الحلية هكذا مرسل وللطبراني في الأوسط من حديث عائشة من سال عن أوسره أن ينظر إلى فينظر إلى أشعث صاحب مشعر لم يضع لينة على لينة الحديث وإسناده ضعيف .

الحركات للدمومة والشهوات ويقال فلان حار الرأس وفي الفصل الذي ذكرناه جمع التثنية بعامة النفس وإشارة للشايع بعامة النفس إلى ما يظهر من آثارها من الأفعال للدمومة والأخلاق للدمومة وهي التي تملج بحسن الرياضة إزالتها وبسببها والأفعال الرديئة زال والأخلاق الرديئة تبدل . أخبرنا الشيخ العلامة رحمه الله أحمد بن أحمد القزويني قال أنا إجازة أبو سعيد محمد بن أبي العباس الحلبي قال أنا القاضي محمد بن سعيد القرطبي قال أنا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله بعبده شرا أهلك ماله في الماء والطين»^(١) وقال عبد الله ابن عمر «مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا فقال ما هذا قلنا نحن لنا قدوهي فقال أرى الأمر أجمل من ذلك»^(٢) واتخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب قيل له لو بئيت فقال هذا كثير لمن يموت ، وقال الحسن دخلنا على صفوان بن يحيى وهو في بيت من قصب قد سجد على قصب له لو أوصلته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم «من بنى فوق ما يكتفيه كلف أن يحمله يوم القيامة»^(٣) وفي الخبر «كل ثقة للبعد يؤجر عليها إلا ما نطقه في الماء والطين»^(٤) وفي قوله تعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا - إنه الرابطة والتناول في البنيان . وقال صلى الله عليه وسلم «كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكن» من حر أوبرد^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكأ إليه ضيق منزله «اتسع في السماء» أي في الجنة ، ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام إلى صرح قد بنى بجس وأجر فسكبر وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الأمة من يبني ببناء هاما من لفرعون يبنى قول فرعون - فأوقد لي يا هاما من علي الطين - يعني به الأجر ويقال إن فرعون هو أول من بنى به بالجس والأجر وأول من عمله هاما من ثم تبهما الجبارة وهذا هو الزخرف ورأى بعض السلف جامعا في بعض الأمصار فقال أدركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رأته مبنيا من رهم ثم رأته الآن مبنيا بالطين فكان أصحاب السعف خيرا من أصحاب الرهم وكان أصحاب الرهم خيرا من أصحاب اللبن وكان في السلف من يبني داره مزارا في مدة عمره فضف بناءه وقصر ماله وزهده في أحكام البنيان وكان منهم من إذا حج أو غزاه عتقه أو وهبه لجيرانه فإذا رجع أعاده وكانت يومهم من الحشيش والجلود وهي عادة العرب الآن يملد الجن وكان ارتفاع بناء السقف قامة وبسطة قال الحسن كنت إذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت يدي إلى السقف ، وقال عمرو ابن دينار إذا أطل العبد البناء فوق ستة أذرع ناداه ملك إلى ابن يا فسق القاسقين ، وقد نهى سفيان عن النظر إلى بناء مشيد وقال لولا نظر الناس لما هيدوا فالنظر إليه معين عليه . وقال الفضيل إنى لا أحب بمن بنى وترك ولكني أحب من نظر إليه ولم يستبر . وقال ابن مسعود رضي الله عنه يأتي قوم يرفسون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون إلى قبلتك ويموتون على غير دينكم : [اللهم الرابع] أثاث البيت ولزهد فيه أيضا درجات أعلاها حال عيسى المسيح صاوات الله عليه وسلامه وحلى كل عبد مصطفى إذا كان لا يصحبه إلا المشط وكوز فرأى إنسانا يمشط لحيته بأصابعه فرمى بالمشط

(١) حديث إذا أراد الله بعبده شرا أهلك ماله في الماء والطين أبو داود من حديث عائشة بإسناد جيد خضره في الطين واللبن حتى يبني (٢) حديث عبد الله بن عمر مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا لنا قد وهى الحديث أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه (٣) حديث من بنى فوق ما يكتفيه كلف يوم القيامة أن يحمله الطيراني من حديث ابن مسعود بإسناد فيه لين وانقطاع (٤) حديث كل ثقة للبعد يؤجر عليها إلا ما نطقه في الماء والطين ابن ماجه من حديث خباب بن الارت بإسناد جيد بلفظ إلا في التراب أو قال في البناء (٥) حديث كل بناء وبال على صاحبه إلا ما أكن من حر أوبرد أبو داود من حديث أنس بإسناد جيد بلفظ إلا ما لا ينحى إلا ما لا بد منه . (٦) حديث قال للرجل الذي شكأ إليه ضيق منزله اتسع في السماء قال المصنف أي في الجنة أبو داود في الراميل من رواية اليسع بن المغيرة قال شكأ خاله بن الوليد فذكره وقد وصله الطبراني فقال عن اليسع بن المغيرة عن أبيه عن خاله بن الوليد إنه قال قال ارفع إلى السماء واسأل الله السعة وفي إسناده لين .

أبو اسحق أحمد بن محمد
ابن إبراهيم قال أنا
الحسين بن محمد بن
عبد الله السيفي
قال حدثنا محمد
ابن الحسن القطيبي
قال حدثنا أحمد بن
عبد الله بن يزيد
القبلي قال حدثنا
صفوان بن صالح قال
حدثنا الوليد بن مسلم
عن ابن لهيعة عن
خاله بن يزيد عن
سعيد بن أبي هلال
أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان إذا قرأ
هذه الآية - قد أفلح
من زكاه - وقف ثم
قال : اللهم آت نفسي
تقواها أنت ولها
ومولاه وزكها أنت
خير من زكاه ، وقيل

ورأى آخر يشرب من التمر بكفيه فرمى بالكوز وهذا حكم كل أثاث فانه إما يرمى أو يلقى أو يترك في الاستغنى عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخرف في كل ما يكتفي فيه الخرف ولا يبالى بأن يكون مكسور الطرف إذا كان للتقصود يحصل به أو وسطها أن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة يأكل فيها ويشرب فيها ويحفظ للتاع فيها وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء للتخفيف وأعلاما أن يكون له بعد كل حاجة آلة من الجلس النازل الحميمس فان زاد في العدد أوفى قامة المجلس خرج عن جميع أبواب الزهد وركن إلى طلب الفضول ولينظر إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، قد قالت عائشة رضي الله عنها : كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من أدم حشوها ليف^(١) ، وقال الفضيل ما كان فراش رسول الله ﷺ إلا عصابة مثنية ووسادة من أدم حشوها ليف ، وروى "أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشريط لجان فرأى أثر الشريط في جنبه عليه السلام فلمعت عيناه فقال ، التي صلى الله عليه وسلم ما الذي أبكاك يا ابن الخطاب قال ذكرت كسرى وقهر وماها فيه من اللذات وذكرتك وأنت حبيب الله وصديقه ورسوله نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه وسلم أما ترى يا عمر أن تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة قال يا رسول الله قال فذلك كذلك^(٢) ، ودخل رجل على أبي ذر فجعل يقب بصره في بيته فقال يا أباذر ما أرى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الأثاث فقال إن لنا بيتا نوجه إليه صالح متاعنا فقال إنه لا بد لك من متاع مادمت ههنا فقال إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه ، ولما قام عمر بن سعيد أمير حمص على عمر رضي الله عنهما قال له ما معك من الدنيا فقام معي عصى أتوا كاعليها وأقتل بها حية إن قتلها ومعى جرائ أحمل فيه طعامي ومعى قصعي أكل فيها وأغسل فيها رأسي وثوب وومي مطهرتي أحمل فيها شرابي وطهوري للصلاة لما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي قال عمر صدقت رحمك الله ، وقدم رسول الله ﷺ من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها فرأى على باب منزلها ستر وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها أبوراغ وهي تبكي فأخبرته برجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أبوراغ فقال من أجل الست والسوارين فأرسلت بهما بالآل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد صدقت بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب بهما وادفعه إلى أهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وصدق بهما عليهم فدخل عليها ﷺ قال باني أنت قد أحسنت^(٣) .

النفس لطيفة مودعة في القالب فيها الأخلاق والصفات للدمومة كما أن الروح لطيفة مودعة في القلب منها الأخلاق والصفات المحمودة كما أن العين هل الرؤية والأذن هل السمع والأنف هل الشم والتم هل اللسان هل الذوق وهكذا النفس هل الأوصاف للدمومة والروح هل الأوصاف الممونة وجميع أخلاق النفس وصفاتها من أصليين أحدها الطيب والثاني الشره وطيبها من جيلها وشرها من حرصها وشهوت النفس في طيبها بكرة مستديرة على مكان أمس

(١) حديث عائشة كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من أدم حشوها ليف أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه (٢) حديث ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عصابة مثنية ووسادة من أدم حشوها ليف الترمذي في التمهال من حديث حفصة بقصة الباءة وقد تقدم ومن حديث عائشة بقصة الوسادة وقد تقدم قبله بعض طرق (٣) حديث دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشريط فجلس فرأى أثر الشريط في جنبه الحديث متفق عليه من حديثه وقد تقدم (٤) حديث قدم من سفره فدخل على فاطمة فرأى على منزلها ستر وفي يديها قلبين من فضة فرجع الحديث لم أره مجموعا ولأبي داود وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عبيد أنه صلى الله عليه وسلم جاء فوضع يديه على عضاقي الباب فرأى القرام قد ضرب في ناحية البيت فرجع فقالت فاطمة قل لي انظر فارجه الحديث والنسائي من حديث ثوبان بإسناد جيد قال جاءت ابنة هيرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي يديها فتخرج من ذهب الحديث

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب عائشة سترًا فتهتكه وقال «كلارأيتكم كرت الدنيا أرسلني به إلى آل فلان (١)» وفرشت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدًا وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عبادة مثنية فإزال يتقلب ليلته فلما أصبح قال لها أعدي العباداة الخلقه ونحى هذا الفراش عن قد أسهرني الليلة (٢) وكذلك أتته دنائير خمسة أوسنة ليلا فيبيتها فسهر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل قالت عائشة رضى الله عنها فنام حينئذ حتى صمحت غيطه ثم قال «ماظن محمد بربه لولتي الله وهذه عنده (٣)» وقال الحسن أدركت سبعين من الأخيار بالأحدم لإثوبه وماوضع أحدم بينه وبين الأرض فواقط كان إذا أراد النوم يباشر الأرض بحمسه وجعل ثوبه فوقه [لهم الخامس] للنكح وقد قال قائلون لا معنى للزهد في أصل النكاح ولا في كثرة وإليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حجب إلى سيد الزهادين النساء فكيف زهد فيهن وواقعه هذا القول ابن عينة وقال كان أزهد الصحابة على بن أبي طالب رضى الله عنه وكان له أربع نسوة وبضع عشرة سرية والصحيح ما قاله أبو سليمان الداراني رحمه الله إذ قال كل ما شغلك عن الله من أهل و مال وولد فهو عليك مشغوم والمرأة قد تكون شاغلا عن الله وكشف الحق فيه أنه قد تكون المزوجة أفضل في بعض الأحوال كما سبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالية فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد وإن لم يكن عليه ففقر تركه ولا فله ولكن ترك النكاح احترازا عن ميل القلب إلى الهوى والأنس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله وترك ذلك من الزهد فإن علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا من لذة النظر واللفاضجة والواقعة فليس هذا من الزهد أصلا فإن الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير أمته محمد عليه السلام من القربات واللذة التي تلحق بالإنسان فيما هو من ضرورة الوجود لا قصره إلام تكن هي المقصد والمطلب وهذا كن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة الأكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء لأن في ترك ذلك قوأت بدنه فكذلك في ترك النكاح انقطاع

وفيه أنه وجد في يد فاطمة سلسلة من ذهب وفيه يقول الناس فاطمة بنت محمد في يدها سلسلة من نار وأنه خرج ولم يقعد فأمرت بالسلسلة فيبعت فأهترت بشمها عبدا فأعنتته فلما سمع قال الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار (١) حديث رأى على باب عائشة سترًا فتهتكه الحديث الترمذى وحسنه والنسائي في الكبرى من حديثها (٢) حديث فرشت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدًا وفيه كان ينام على عبادة مثنية الحديث ابن حبان في كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم من حديثها قالت دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فرائس رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة مثنية فأنطلقت فبشت إلى بفراش حشوه صوف فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الحديث وفيه أنه أمرها برده ثلاث مرات فردته وفيه بهاء بن سعيد يختلف فيه والمعروف حديث حفصة للتقدم ذكره من الشائل (٣) حديث أتته دنائير خمسة أو ستة مشاء فيبيتها فسهر ليله الحديث وفيه ماظن محمد بربه لولتي الله وهذه عنده أحمد من حديث عائشة بإسناد حسن أنه قال في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما ضلت بالذهب فجاء ما بين الحمى إلى الثمانية إلى التسعة فجعل يقلبها يده ويقول ماظن محمد الحديث وزاد أخفها وفي رواية سبعة أو تسعة دنائير وله من حديث أم سلمة بإسناد صحيح دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شام [١] الوجه قالت لحبست ذلك من وجع قلقت يا بني الله مالك شام الوجه فقال من أجل الدنائير السبعة التي ألتقنا أمس أمسينا وهي في خصم الفرائش وفي رواية أمسينا ولم تنفقا .

[١] شام بالمعجمة متغير يقال شهم تغير عن حاله لعارض اهـ .

مصوب لا تزال متحركة
بجلبها ووضعها وشبهت
في حرصها بالفراش
الذي يلقي نفسه على
شوة الصباح ولا يقنع
بالضوء اليسير دون
الهجوم على جرم الضوء
الذي فيه هلاكه فمن
الطيش توجد العجلة
وقلة الصبر والصبر
جوهر العقل والطيش
صفة النفس وهواها
وروحها لا يظله إلا
الصبر إذ العقل يقطع
الهوى ومن الشر
يظهر الطمع والحرص
وما اللذان ظهرا في
آدم حيث طمع في
الخاود غرس على أكل
الشجرة وصفات النفس
لها أصول من أصل
تكونها لأنها مخلوقة

نسله فلا يجوز أن يترك التسكح زهداً في الله من غير خوف آفة أخرى وهذا اعناقه سهل لا محالة ولأجله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا ثبت هذا فمن حاله حال رسول الله ﷺ في أنه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب بأصلاحيهن والافتقار عليهن^(١) فلامعنى الزهد فيه من حذر من مجردة الواقع والنظر ولكن آتى يتصور ذلك تغير الأتباء والأولياء فأكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبى أن يترك الأصل إن كان يشغله وإن لم يشغله وكان يخاف من أن تشغله الكثرة منهن أو جمال المرأة فلنكح واحدة غير جملة ويراع قلبه في ذلك قال أبو سليمان : الزهد في النساء أن يختار المرأة البدون أو القيمة على المرأة الجميلة والفرجة . وقال الحنيد رحمه الله أحب للمرء للبتى أن لا يشغل قلبه بثلاث وإلا تغير حاله : التسكب وطلب الحديث والزوج وقال أحب للصوفى أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع ثمه فإذا ظهر أن هذه التسكح كاذبة الأكل فما شغل عن الله فهو محذور فيهما جميعاً [اللهم السادس] ما يكون وسيلة إلى هذه الخمسة ، وهو المال والمجاهة ، أما المجاهة فعناء ملك القلوب بطلب عمل فيها يتوصل به إلى الاستماتة في الأغراض والأعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته واقتر إلى من يخدمه افتقر إلى جاهد لا محالة في قلب خاضع لأنه إن لم يكن له عنده محل وقدر لم يتم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو المجاهة وهذا له أول قريب ولكن يمدادى به إلى هاربة لا عمق لها ومن حام حول الحمى يوهك أن يقع فيه وإتسا محتاج إلى المحل في القلوب إما لجلب نفع أولدفع ضرر أو خلاص من ظلم فاما النفع فينبى عنه لئلا فأن من يخدم بأجرة يخدم وإن لم يكن عنده المستأجر قدر وإتسا محتاج إلى المجاهة في قلب من يخدم بغير أجرة وأما دفع الضرر فيحتاج لأجله إلى المجاهة في بلد لا بكل فيه العدل أو يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم إلا بعمل له في قلوبهم أو محل له عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضب لاسيما إذا انغمز إليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب المجاهة مالك طريق الهلاك بل حق الزاهد أن لا يسعى لطلب المحل في القلوب أصلاً فأن اغتناله بالدين والعبادة يمهده من المحل في القلوب ما يدفع به عنه الأذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين فاما التوهمات والتقديرية التي تخرج إلى زيادة في المجاهة على الحاصل بغير كسب فهي أوهام كاذبة إذ من طلب المجاهة أيضاً يخل عن أذى في بعض الأحوال فعلاج ذلك بالأحوال والصبر أولى من علاجه بطلب المجاهة ، فاذن طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلاً ولا يسير منه داع إلى الكثير وضارته أشد من ضراوة الفجر فليحترز من قليله وكثيره . وأما المال فهو ضرورى في للعيشة أعنى القليل منه فإن كان كسوبا فإذا اكتسب حاجة يومه فينبى أن يترك الكسب كان بعضهم إذا اكتسب حبتين رفع سقطة وقام . هذا شرط الزهد فإن جاوز ذلك إلى ما يكتفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حد ضفاف الزهاد وأقرباؤهم جميعا وإن كانت له ضئيلة ولم يكن له قوة يقين في التوكل فأمسك منها مقدار ما يكتفى به لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط أن يتصدق بكل ما غفل عن كفايته سنته ولكن يكون من ضفاف الزهاد فإن شرط التوكل في الزهد كما شرطه أبو إسحق القرني رحمه الله فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا إنه خرج من حد الزهاد تعنى به أن ما وعد للزاهد في الدار الآخرة من اللقائات المحمودة لا يتأله وإلا فاسم الزهد قد لا يفرقه بالإضافة إلى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وأمر للفرد في جميع ذلك أخف من أمر العبد وقد قال أبو سليمان لا ينبغي أن يرهق الرجل أهله إلى الزهد بل يدعوهم إليه فان أجابوا إلا تركهم وفعل بنفسه ما شاء ، معناه أن التضييق للشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عياله ، نعم لا ينبغي أن يجيهم إضافة يخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث كان لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب بأصلاحيهن والافتقار عليهن تقدم في التسكح .

من تراب ولها بحسه وصف وقيل وصف الضعف في آدمى من التراب ووصف البخل فيه من الطين ووصف الشهوة فيه من الخما السنون ووصف الجبل فيه من الصلصال وقيل قوله كالفخار فهذا الوصف فيه شيء من الشيطنة لدخول النار في الفخار فمن ذلك الخداع والحيل والحمد فمن عرف أصول النفس وجبلاتها عرف أن لا قدرة له عليها إلا بالاستعانة بإربابها وفطرها فلا يتحقق البسد بالإنسانية إلا بسد أن يدبر دواعي الحيوانية فيه بالعسل والعدل وهو

إذ انصرف من بيت فاطمة رضوان الله عليها بسبب ستر وقابين لأن ذلك من الزينة لامن الحاجة ، فإذا ما اضطر الإنسان إليه من جاه ومال ليس بمحذور ، بل الزائد على الحاجة سمّ قاتل وللقصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة ، فما يقرب من الزيادة وإن لم يكن سماً قاتلاً فهو مضرّ وما يقرب من الضرورة فهو وإن لم يكن دواءً نافعا ولكنه قليل الضرر والسمّ محظور شرهه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبّه أمره فمن احتاط فافما غتخط نفسه ومن تساهل فافما يتساهل على نفسه ، ومن استبرأ لدينه وترك ما يريه إلى ما يريه وردّ نفسه إلى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم ، وهو من القرقة الناجية لاحتالة ، وللقصر على قدر الضرورة وللهم لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة للشرط ، ويدل عليه ما روى أن إبراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئاً فلم يقرضه فرجع مهموماً فأوحى الله تعالى إليّ بلساآت خذلك لأعطاك فقال يارب عرفت مقتك للدنيا فخذت أن أسألك منها شيئاً فأوحى الله تعالى إليه ليس الحاجة من الدنيا ، فاذن قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال في الآخرة وهو في الدنيا أيضاً كذلك يعرفه من يهجر أحوال الأغنياء وما عليهم من الهنة في كسب المال وجهه وحفظه واحتمال الدل فيه ، وغاية سعادته به أن يسلم لورثته فياً كلوته ، وربما يكونون أعداء له وقد يستعينون به على اللصية فيكون هو معينا لهم عليها وذلك هبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لازال ينسج على نفسه حياثاً ثم يروم الخروج فلاجهد غلصاً فيموت وبهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فافما يحكم على قلبه بسلاسل عقيدته بما يشتهي حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيده للمال والجاه والأهل والولد وشجاعة الأعداء وصرا آة الأصدقاء وسائر حظوظ الدنيا ، فلو خطر له أنه قد أخطأ فيه قصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيداً بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها ولوترك محبوباً من محابه باختياره كاد أن يكون قاتلاً لنفسه وساعياً في هلاكه إلى أن يفرق ملك الموت بينه وبين جميعها دفعة واحدة فتبقى السلاسل في قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهي تجاذبه إلى الدنيا وعذاب ملك الموت قد عقلت بروق قلبه تجذبه إلى الآخرة فيكون أهون أحواله عند الموت أن يكون كشخص ينشر بالمشار ويفصل أحد جانبيه عن الآخر بالمجاذبة من الجانبين ، والذي ينشر بالمشار إنما ينزل اللؤلؤ يدينه ويؤلم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أثره فما ظنك بأن تسكن أولاً من صميم القلب محسوساً به لا بطريق السراية إليه من غيره فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوت النزول في أهل عليين وجوار رب العالمين ، فبالنزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تسلط عليه نار جهنم ، إذ النار غير مسالطة إلا على محبوب . قال الله تعالى - كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، ثم إنهم لصالوا الجحيم - فرب العذاب بالنار على ألم الحجاب وألم الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف إذا أضيفت العلاوة إليه ، ففسأل الله تعالى أن يقرر في أماعنا ما نشت في روع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له أجيب من أجبت فانك مفارقة (١) وفي معنى ما ذكرناه من اللال قول الشاعر :

رعاية طرفي الافراط
والفريط ثم بذلك
تقوى إنسانيته
ومناه وبدرك صفات
الشيطة فهو الأخلاق
للمدسومة وكال
إنسانيته ويقاضاه
أن لا يرضى نفسه
بذلك ثم تكشف له
الأخلاق التي تنازع
بها الربوبية من
الكبر والغرور ورؤية
النفس والعجب وغير
ذلك فيرى أن صرف
الصبودية في ترك
النازعة للربوبية
والله تعالى ذكر النفس
في كلامه القديم
بسلالة أوصاف :
بالطمانينة قال
- يا أيها النفس
لطمثت وسهاها الوامة

كودود كدود القز ينسج دائماً وبهلك غما وسط ماهو ناسجه
ولما انكشف لأولياء الله تعالى أن البید مهلك نفسه بأعماله واتباعه هوى نفسه إهلاك دود القز
نفسه رفضوا الدنيا بالسكينة حتى قال الحسن : رأيت سبعين يدربوا كانوا فيما أحل الله لهم زهد
منكم فيما حرم الله عليكم . وفي لفظ آخر : كانوا بالبلاء أشد فرحاً منكم بالحسب والرخاء لو
رأيتهم قلم بجانبين ، ولورأوا خياركم قالوا مالهؤلاء من خلاق ، ولورأوا شراركم قالوا ما يؤمن
هؤلاء يوم الحساب . وكان أحدهم يعرض له لال الحلال فلا يأخذه ويقول أخاف أن يفسد على
قلبي ، فمن كان له قلب فهو لأعماله يخاف من فساده والذين أمات حب الدنيا قلوبهم فقد أخبر الله
عنهم إذ قال تعالى - ورضوا بالحياة الدنيا واطعوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون - وقال عز
وجل - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً - . وقال تعالى
- فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبغضهم من العلم - فأحال ذلك كله
على الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل ليعسى عليه السلام احملي معك في سياحتك ، فقال أخرج
مالك والحقني . فقال لا أستطيع فقال عيسى عليه السلام يجب يدخل الغنى الجنة أوقال بشدة .
وقال بعضهم : ما من يوم ذر شارقه إلا أربعة أملاك ينادون في الآفاق بأربعة أصوات مملكان
بالمشرق ومملكان بالمغرب يقول أحدهم بالمشرق : يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر ، ويقول
الآخر : اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا ويقول اللذان بالمغرب أحدهما لدوا الموت وابنوا
لخزائب ، ويقول الآخر كلوا وتمتعوا بطول الحساب .

(بيان علامات الزهد)

اعلم أنه قد يظن أن تارك المال زاهد وليس كذلك فإن ترك المال وإظهار الحشونة سهل على
من أحب للدج بالزهد فكمن من الرهايين من ردوا أنفسهم كل يوم إلى قدر يسير من الطعام
ولازموا ديرا لا باب له وإنما مسرة أحدهم معرفة الناس حاله ونظرم إليه ومدحهم له فذلك لا يدل
على الزهد دلالة قاطعة بل لابد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ
النفس من الدنيا بل قد يدعى جماعة الزهد مع لبس الأصواف الفاخرة والثياب الرقيقة كما قال
الخواص في وصف للدين إذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس بهوون بذلك
على الناس ليهدي إليهم مثل لباسهم لئلا ينظر إليهم بالعين التي ينظر بها إلى الفقراء فيحتقروا
فيطوا كما تعطفى للساكنين ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وأنهم على السنة وأن الأشياء داخلة
إليهم وهم خارجون منها وإنما يأخذون بعلة غيرهم . هذا إذا طولبوا بالحقائق وأجلبوا إلى الصائيق
وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يمتوا بتصفية أسرارهم ولا بتبذير أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم
صفتهم فقلبتهم فادعوها حالا لهم فهم مائلون إلى الدنيا متبعون الهوى . فهذا كله كلام الخواص
رحمه الله . فاذن معرفة الزهد أمر مشكل بل حال الزهد على الزهد مشكل وينبغي أن يعول
في باطنه على ثلاث علامات : العلامة الأولى أن لا يفرح بوجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى
- لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - بل ينبغي أن يكون بالزهد من ذلك وهو أن
يحزن بوجود المال ويفرح بفقده . العلامة الثانية أن يستوى عنده ذامه ومادحه فالأول علامة
الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه . العلامة الثالثة أن يكون أنه بالله تعالى والقالب على قلبه
حلاوة الطاعة إذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة وإمجة الدنيا وإمجة الله وحامى القلب كالماء والهواء
في القدح فالماء إذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان وكل من أنس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره

قال - لأنفس يوم
القيامة ولا أنفس
بالنفس اللوامة -
وسماها أمارة ، وقال
- إن النفس لأمارة
بالسوء - وهي نفس
واحدة . ولها صفات
متغايرة ، فإذا امتلأ
القلب سكينة خلع
على النفس خلع
الطعام لئلا لأن السكينة
مزيد الإيمان وفيها
ارتقاء القلب إلى مقام
الروح لما منح من
حظ اليقين وعند
توجه القلب إلى محل
الروح تتوجه النفس
إلى محل القلب ، وفي
ذلك طمأنينتها وإذا
انزعجت من مقام
جبالها ودواعي
طمعها متطلعة إلى

ولذلك قيل لبعضهم إلى ماذا أفنى هم الزهد فقال إلى الأنس بالله . فأما الأنس بالدنيا وبالله فلا
يجتمعان وقد قال أهل المرفة إذا تعلق الإيمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جيما وعمل
لها وإذا بطن الإيمان في سويداء القلب وياشره أبصر الدنيا فلم ينظر إليها ولم يعمل لها ولهذا
ورد في دعاء آدم عليه السلام: اللهم إني أسألك إيمانيا يشر قلبي . وقال أبو سليمان من شغل نفسه
شغل عن الناس وهذا مقام المالمين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد
لا بد وأن يكون في أحد هذين المقامين . ومقامه الأول أن يشغل نفسه بنفسه وعند ذلك يستوى
عنده للدس والسم والوجود والعدم ولا يستدل بأمره قليلا من اللال على فقد زهده أصلا .
قال ابن أبي الحواري : قلت لأبي سليمان أكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت قد بلغني أنه ورث
عن أبيه عشرين ديناراً فنفقها في عشرين سنة فكيف كان زاهداً وهو يحسك الدنانير ، فقال أردت
منه أن يبلغ حقيقة الزهد وأراد بالحقيقة الغاية فإن الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس . ولا
يم الزهد إلا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئاً مع القدرة عليه خوفاً على قلبه وعلى
دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه وآخره أن يترك كل ما سوى الله حتى لا يتوسد حجراً كإفعله
للسبح عليه السلام ، ففسأل الله تعالى أن يرزقنا من مبادئ نصيبا وإن قل فإن أمثالنا لا يستجريء
على الطمع في غايته وإن كان قطع الرجاء عن فضل الله غير مأذون فيه . وإذا لاحظنا صحابا نعم
الله تعالى علينا علمنا أن الله تعالى لا يتعامله شيء . فلا بعد في أن ننظم السؤال اعتقاداً على الجود
المجاوز لكل كمال . فاذن علامة الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل واللح والدم وذلك لعلبة
الأنس بالله . ويتفرع عن هذه العلامات علامات أخرى لامحالة : مثل أن يترك الدنيا ولا يبالى من
أخذها . وقيل علامته أن يترك الدنيا كما هي فلا يقول أبني رباطاً أو أصبر مسجداً . وقال يحيى
ابن معاذ : علامة الزهد السخاء بالموجود . وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة في الخروج من
الملك . وقال أيضاً : الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف . وقال أبو سليمان : الصوف علم
من أعلام الزهد فلا ينبغي أن يلبس صوفاً بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم . وقال أحمد
ابن حنبل وسفيان رحمهما الله : علامة الزهد قصر الأمل . وقال سري : لا يطيب عيش الزاهد
إذا اشتغل عن نفسه . ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه . وقال الصراباذي : الزاهد
غريب في الدنيا والعارف غريب في الآخرة . وقال يحيى بن معاذ : علامة الزهد ثلاث عمل بلا علاقة
وقول بلا طمع وعز بلا رياسة . وقال أيضاً الزاهد أنه يستعطك الحبل والحرد والعارف يشمك السك
والعزير وقال له رجل متى أدخل حانوت التزكل وألبس رداء الزهد وأصدمع الزاهدين ، فقال إذا
صرت من رياضتك لنفسك في السرايى تحلوق قطع الله عنك الرزق ثلاثاً ثم لم تحضف في شمسك . فأما
ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح . وقال أيضاً:
الدنيا كالمرس ومن يطلبها ما هبطها والزاهد فيها يسبح وجهها ويتف شعرا ويغرق ثوبها ،
والعارف يشتغل بالله تعالى ولا يلتفت إليها . وقال النري مارس كل شيء من أمر الزهد فقلت منه
ما أريد إلا الزهد في الناس فاني لم أبلغه ولم أطلقه . وقال الفضيل رحمه الله نجل الله الشركه في بيت
وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا . فهذا ما أردنا
أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه وإذا كان الزهد لا يتم إلا بالتوكل فلنشرع في بيانه إن شاء
الله تعالى .

مقار الطمانينة فهمي
لواصة لأنها تعود
باللائمة على نفسها
لنظرها وعلها بحل
الطمانينة ثم انجذابها
إلى عملها التي كانت
فيه أماره بالسوء ،
وإذا أقامت في عملها
لا يشاها نور السلم
والسرقة فهمي على
ظلفتها أماره بالسوء
فالنفس والروح
يتطاردان ، فتارة
يملك القلب دواعي
الروح ، وتارة يملكه
دواعي النفس . وأما
السر فقد أشار
القوم إليه ووجدت
في كلام الصوم أن
منهم من جعله بعد
القلب وقبل الروح ،
ومنهم من جعله بعد

﴿ كتاب التوحيد والتوكل ﴾

(وهو الكتاب الخامس من ربيع للنجات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مدبر تلك ولللكوت للفرد والعزة والجبروت الرافع السماء بغير عمد القدر فيها أرزاق العباد الذي صرف أعين ذوي القلوب والألباب عن ملاحظة الوسائط والأسباب إلى مسبب الأسباب ورفعهم عن الالتفات إلى معاده والاعتدال على مدبره سواه فلم يبدوا إلا إياه علما بأنه الواحد الفرد الصمد الإله وتحقيا بأن جميع أصناف الخلق عباد أمثالهم لا يثنى عندهم الرزق وأنه ما من ذرة إلا إلى الله خلقها وما من دابة إلا إلى الله رزقها فلما تحققوا أنه لرزق عباده ضامن وبه كفيل توكلوا عليه تناولوا حسنا الله وتم الوكيل والصلاة على محمد قانع الأباطيل المهادي إلى سواء السبيل وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات اللوقين بل هو من معالي درجات التربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث الفهم أن ملاحظة الأسباب والاعتدال عليها شرك في التوحيد والتثاقل عنها بالكيفية طعن في السنة وقبح في الشرع والاعتدال على الأسباب من غير أن ترى أسبابا تثير في وجه العقل وانتماس في غمرة الجبل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والنقل والشرع في غابة الغموض والسر ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء إلا الممارسة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بأتوار الحقائق فأبصروا وتحققوا ثم نطقوا بالأعراب عما شاهدوه من حيث استطلعوا ونحن الآن نبدأ بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقديم ثم نردفه بالتوحيد في الشطر الأول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني .

(بيان فضيلة التوكل)

أما من الآيات فقد قال تعالى - وعلى الله توكلوا إن كنتم مؤمنين - وقال عز وجل - وعلى الله فليتوكل المتوكلون - وقال تعالى - ومن يتوكل على الله فهو حسبه - وقال سبحانه وتعالى - إن الله يحب للمتوكلين - وأعظم بتمام موسوم بحجة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله تعالى ملاسه فمن الله تعالى حسبه وكافيه وحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فإن المحبوب لا يندب ولا يبعد ولا يحب وقال تعالى - أليس الله بكاف عبده - فطالب الكفاية من غيره والتارك للتوكل هو للكذب لهذه الآية فانه سؤال في معرض استنطاق الحق كقوله تعالى - هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا - وقال عز وجل - ومن يتوكل على الله فإن الله عز وجل - أي عزز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجناحه والتجأ إلى ذمامه وحكمه لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال تعالى - إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم - بين أن كل ماسوى الله تعالى عبد مسخر حاجته مثل حاجتك فكيف يتوكل عليه وقال تعالى - إن الذين تمجدون من دون الله لا يملكون لهم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه - وقال عز وجل - والله خزائن السموات والأرض ولكن لناغيين لا يغفون - وقال عز وجل - يدبر الأمر مامن شفيق إلا مامن يبدؤ منه سوكل ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع للملاحظة عن الأغيار والتوكل على الواحد القهار . وأما الأخبار : فقد قال

﴿ كتاب التوحيد والتوكل ﴾

الروح وأعطى منها وأنطق وقالوا السر محمل للشاهدة والروح محمل الحجة . والقلب محمل المعرفة والسر الذي وقست إشارة القوم إليه غير مسكور في كتاب الله وإنما للذكور في كلام الله الروح والنفس وتوعد صفاتها والقلب والفؤاد والفعل وحيث لم نجد في كلام الله تعالى ذكر السر بالمعنى المشار إليه ورأينا الاختلاف في القول فيه وأشار قوم إلى أنه دون الروح وقوم إلى أنه ألطف من الروح فتقول والله أعلم : الذي محموم سرا ليس هو بشيء مستقل بنفسه

صلى الله عليه وسلم فيها رواه ابن مسعود وأريت الأمم في اللوسم فرأيت أمي قداماً والسهل والجليل فأعجبني كثرتهم وهبأتهم قتل في أرضيت قلت نعم قيل ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب قيل : من هم يارسول الله قال الذين لا يكتوبون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون قدام عكاشة وقال : يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعله منهم قدام آخر فقال : يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم : سبقك بها عكاشة ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم : «لأنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خصاصاً وتروح بطاناً ^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم : «من انقطع إلى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله اليها ^(٣)» وقال صلى الله عليه وسلم : «من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه ^(٤)» ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنه كان إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا إلى الصلاة ويقول : بهذا أمرني رب عز وجل قال عز وجل - وأمرأهلك بالصلاة واصطبر عليها - ^(٥)» الآية وقال ^(٦) : «لم يتوكل من استرقى واكتوى ^(٧)» وروى أنه لما قال جبريل لأبراهيم عليهما السلام وقد رمى إلى النار بالنجنيق أنك حاجة قال أما إليك فلا فاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل إذ قال ذلك حين أخذ ليرمي فأزل الله تعالى وسأبراهيم الذي وفى - وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ياد داود مامن عبيد يتصم في دون خلق فكفده السموات والأرض لإجاعت له عرجا . وأما الآثار فقد قال سعيد بن جبير لدهغتي عقرب فأقسمت لي أمي لتسترقين فنأوت الرائي بدى التي لم تبلغ قرأ الخواص قوله تعالى - توكل على الحى الذى لا يموت - إلى آخرها فقال ما ينبغي لأبعد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى . وقيل لبعض العلماء في مائة من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك الضمون لك من الرزق عن الفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك . وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد . وقال إبراهيم بن آدم سألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال لي ليس هذا العلم عندي ولكن سأل ربى من أين يطعمني . وقال هرم بن حبان لأويس القرني أين تأمرني أن أكون فأومأ إلى الشام قال هرم كيف العيشة قال أويس أف

(١) حديث ابن مسعود أريت الأمم في اللوسم فرأيت أمي قداماً والسهل والجليل الحديث رواه ابن منيع باسناد حسن وافق عليه الشيخان من حديث ابن عباس (٢) حديث لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير الحديث الترمذي والحاكم ومحمد بن حنبل في حديث عمر وقد تقدم (٣) حديث من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة الحديث الطبراني في الصغير وابن أبي الدنيا ومن طريقه البيهقي في الشعب من رواية الحسن بن عمران بن حصين ولم يسمع منه وفيه إبراهيم بن الأعمش تكلم فيه أبو حاتم (٤) حديث من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه الحاكم والبيهقي في التزهد من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٥) حديث كان إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا إلى الصلاة ويقول بهذا أمرني ربى قال تعالى - وأمرأهلك بالصلاة واصطبر عليها - الطبراني في الأوسط من حديث محمد بن حمزة عن عبد الله بن سلام قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل بأهله الضيق أمرهم بالصلاة ثم قرأ هذه الآية ومحمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام إنما ذكروا له روايته عن أبيه عن جده في جمعا معه جداً (٦) حديث لم يتوكل من استرقى واكتوى الترمذي وحسنه والنسائي في السكيد والطبراني واللفظ له إلا أنه قال أو من حديث الثوري بن شعبة وقال الترمذي من اكتوى أو استرقى قد برى من التوكل وقال النسائي ما توكل من اكتوى أو استرقى .

له وجود وذات كالروح
والنفس وإنما لما
صفت النفس وتزكت
الطلق الروح من وثاق
ظلمة النفس فأخذ في
المروج إلى أوطان
القرب وانترج القلب
عند ذلك عن مستقره
متطلعا إلى الروح
فأكتسب صفات إذا
على وصفه فأنجم على
الواجدين ذلك الوصف
حيث رآوه أصنى من
القلب فسموه سرا
ولما صار القلب وصف
زائد على وصفه يتعلمه
إلى الروح اكتسب
الروح وصفات إذا
في عروجه وأنجم
على الواجبين فسموه
سرا والذي زعموا أنه
الطيف من الروح روح

لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها للموعظة وقال بعضهم متى رصيت بالله وكلا وجدت إلى كل خير سبيلا ، نسأل الله تعالى حسن الأدب .

(بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل)

اعلم أن التوكل من أبواب الإيمان وجميع أبواب الإيمان لا ينتظم إلا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الأصل وعمل هو الثمرة وحاله هو المراد باسم التوكل . فليبدأ ببيان العلم الذي هو الأصل وهو للمسمى إيمانا في أصل اللسان إذ الإيمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم وإذا قوى معنى إيمانا ولكن أبواب اليقين كثيرة ونحن إنما نحتاج منها إلى ما ينفي عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك : لا إله إلا الله وحده لا شريك له والإيمان بالقدره التي يترجم عنها قولك : له الملك والإيمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك : وله الحمد فمن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ثم له الإيمان الذي هو أصل التوكل أعني أن يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فأما التوحيد فهو الأصل والقول فيه بطول وهو من علم للكشف ولكن بعض علوم للكشفات متعلق بالأعمال بواسطة الأحوال ولا يتم علم للعامة إلا بها فاذن لا تعرض إلا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والأفان التوحيد هو البحر الحضم الذي لا ساحل له فقول : للتوحيد أربع مراتب وينقسم إلى لب وإلى لب الب وإلى قشر وإلى قشر القشر ونمثل ذلك تهريرا إلى الأقسام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فإن له قشرين وله لب وللب دهن هو لب الب فالرتبة الأولى من التوحيد هي أن يقول الإنسان بلسانه لا إله إلا الله وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد للتأقين والثانية أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به موم للسلمين وهو اعتقاد العوام والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام للقرين وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار والرابعة أن لا يرى في الوجود إلا واحدا وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد لأنه من حيث لا يرى إلا واحدا فلا يرى نفسه أيضا وإذا لم يرتفع لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيد بمعنى أنه فني عن رؤية نفسه والخلق فالأول موحد بجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان والثاني موحد بمعنى أنه معتقد بقلبه بمفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما اعتقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انصراف وانقماش ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة إن توفي عليه ولم تضعف بالمصاحي عقده ولهذا القدر حيل يقصدها تضعف وتحيل له تسمى بدعة وله حيل يقصدها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصدها أيضا أحكام هذه العقدة وعدها على القلب وتسمى كلاما والعارف به يسمى متشككا وهو في مقابلة البتدع ومقصده دفع البتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص للتكلم باسم للوحد من حيث إنه يحصى بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تتحل عقده والثالث موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا أفعالا واحدا إذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى أفعالا بالحقيقة إلا واحدا وقد انكشف له الحقيقة كما هي عليه لأنه كلف قلبه أن يقدح على مفهوم لفظ الحقيقة فإن تلك رتبة العوام وللتكلمين إذ لم يفارقوا للتكلم العامي في الاعتقاد بل في صفة تفتيق الكلام الذي به حيل للبتدع عن تحليل هذه العقدة والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد وهذه هي الغاية التصوي في التوحيد ، فالأول كالقشرة العليا من الجوز ، والثاني كالقشرة السفلى ، والثالث كالباب ، والرابع كاللحم المستخرج من الباب وكما أن القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل إن أكل فهو مر للناق وإن نظرت إلى باطنه فهو كركبه للنظر وإن أخذ

متصفه بوصف أخص
بما عهدوه والذي حموه
قبل الروح سرا هو قلب
اتصف بوصف زائد
غير ما عهدوه وفي مثل
هذا الترقى من الروح
والقلب تترقى النفس
إلى محل القلب وتتخذ
من وصفها قصير فسا
منطشة ترتد كثيرا
من مردات القلب من
قبل إذا صار القلب يريد
ما يريد مولاه متبرئا
عن الحصول والقوة
والإرادة والاختيار
وعندها ذاق طعم
صرف البهوية حيث
صار حرا عن إرادته
واختياراته وأما العقل
فهو لسان الروح
وترجمان البصيرة
والبصيرة للروح بمثابة

حظيا اطفأ النار وأكثر الدخان وإن ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح إلا أن يترك مدة على الجوز
 الصون ثم يرمي به عنه فكذاك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر
 مذوم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدته في حفظ القشرة السفلى إلى وقت لوث والقشرة السفلى هي
 القلب والبدن وتوحيد للناس يصون بدنه عن سيف الغزاة فانه لم يؤمروا بشق القلوب والسيف
 إنما يصيب جسم البدن وهو القشرة وإنما يتجرد عنه بالوث فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما أن
 القشرة السفلى ظاهرة النفع بالإضافة إلى القشرة العليا فانها تصون القلب وتحميه عن الفساد عند
 الادخار وإذا فصلت أمكن أن يتفجع بها صاحب الكفا نازلة القدر بالإضافة إلى القلب وكذلك مجرد الاعتقاد
 من غير كشف كثير النفع بالإضافة إلى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالإضافة إلى الكشف والشهادة
 التي تحصل بانسراح الصدر وانسحاحه وإشراق نور الحق فيه إذ ذاك الشرح هو للراد بقوله تعالى
 - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - وبقوله عز وجل - أفمن شرح الله صدره للإسلام
 فهو على نور من ربه - وكان القلب شمس في نفسه بالإضافة إلى القشرة وكله للقصود ولكنه لا يغلو عن
 شوب عصارة بالإضافة إلى الدهن المستخرج منه فكذاك توحيد القلب مقصد عال للسالكين لكنه
 لا يغلو عن شوبه لاحظلة الغير والالتفات إلى الكثرة بالإضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق.
 فان قلت كيف يتصور أن لا يشاهد إلا واحدا وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي
 كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا . فاعلم أن هذه غاية علوم الكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز
 أن تسطر في كتاب فقد قال العارنون إفتاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم العاملة نعم ذكر
 ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو أن الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون
 واحدا بنوع آخر من للشهادة والاعتبار وهذا كما أن الانسان كثير إن التف إلى روحه وجسده
 وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد إذ يقول إنه إنسان واحد
 فهو بالإضافة إلى الإنسانية واحد ومن شخص يشاهد إنسانا ولا يخطر بباله كثرة أمعاله وعروقه
 وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه والفرق بينهما أنه في حالة الاستقرار والاستتار به مستغرق
 بواحد ليس فيه تفريق وكأنه في عين الجمع والملائكة إلى الكثرة في تفرقة فكذاك كل ما في الوجود من
 الخالق والمخلوق له اعتبارات وشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد
 واعتبارات أخرى سواء كثير وبعضها أشد كثرة من بعض ومثاله الانسان وإن كان لا يطابق الغرض
 ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم للشهادة واحدا ويستبين بهذا الكلام ترك
 الإنكار والوجود لقام لم يلبثه وتؤمن به إيمان تصديق فيكون لك من حيث إنك مؤمن بهذا
 التوحيد نصيب وإن لم يكن ما أمنت به مفتك كما أنك إذا أمنت بالنبوة وإن لم تكن نبياً كان لك
 نصيب منه بتدبر قوة إيمانك وهذه للشهادة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدبر وتارة تطرأ كالبرق
 الخاطف وهو ألا تكرر الدوام نادر عز يزول في هذا أواخر الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص
 يدور في الأسفار فقال فها أنت قال أدور في الأسفار لأصح حالي في التوكل وقد كان من التوكلين
 فقال الحسين قد أنقيت عمرك في عمر أن بطنك فأبى القنام في التوحيد فكان الخواص كان في تصحيح
 المقام الثالث في التوحيد حفظ له بالمقام الرابع فهذه مقامات للوحدين في التوحيد على سبيل الاجمال .
 فان قلت فلماذا لم يهدأ من شرح بتقدير ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه . فأقول أما الرابع فلا يجوز الخوض
 في بيانه وليس التوكل أيضا مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث وأما الأول وهو الاتفاق
 فواضح . وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم السالكين وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل

القلب والعقل بمثابة
 اللسان . وقد ورد في
 الخبر عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أنه
 قال « أول ما خلق
 الله العقل فقال له أقبل
 فأقبل ثم قال له أدبر
 فأدبر ثم قال له اقم
 فقام ثم قال له انطق
 فنطق ثم قال له اصمت
 فصمت فقال وعزني
 وجلسني وعظمتني
 وكبريائي وساطاني
 وجبروتي ما خلقت
 خلقا أحب إلي منك
 ولا أكرم علي منك
 بك أعزف وبك
 أحمد وبك أطلع
 وبك آخذ وبك
 أعطي وإليك أعائب
 ولك الثواب وعليك
 العقاب وما أكرمك

للتبعة فيمد كور في علم السلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر اللهم منه . وأما الثالث : فهو ائقى يبنى عليه التوكل إذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يربط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب . وحاصله أن ينكشف لك أن لا فاعل إلا الله تعالى وأن كل موجود من خالق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقير إلى غير ذلك مما ينطق عليه اسم فالنفرد بأبداعه واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره بل كان منه خوفك وإليه رجائك وبه تمتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على الاشراددون وغيره وماسواه مسخرون لاستقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والأرض وإذا اغتاحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا اتصاحا آتم من للشاهدة بالبر وإعما يصدق الشيطان عن هذا التوحيد في مقام يبتنى به أن يطرق إلى قلبك شائبة الشرك بسبيين : أحدهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات . والثاني الالتفات إلى الجمادات أما الالتفات إلى الجمادات فكأنك تدرك على للطرق خروج الزرع ونباته ونعائه وعلى النيم في نزول للطرور على البرد في اجتماع النيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بمقائق الأمور ، ولذلك قال تعالى - فاذا ركبو في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاكم إلى البر إذا هم يمشكون - قيل معناه أنهم يقولون لولا استواء الريح لما نجاونا ومن انكشف له أمر العالم كاهو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه مالم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل فالتفات العبد في النجاة إلى الريح يساهي التفتات من أخذ لشحن رقيقته فكسب للالك توقعا بالمعوق عنه وتخليته فأخذ يشغل بذكر الخير والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع يقول لولا القلم لما خلصت فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم أن القلم لا حكم له في نفسه وإعما هو مسخر في يد الكاتب لم ياتع إلى إليه ولم يشكر إلا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك والكاتب من أن يخطر بباله القلم والخبر والذوابة والشمس والقمر والنجوم والطرور والنيم والأرض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة كمنسخير القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقه لاعتقاده أن للالك الموقع هو الكاتب التوقيع والحق أن الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى - وما رميت إلا ذميت ولكن الله رمى - فاذا انكشف لك أن جميع مافي السموات والأرض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وأيسر عن مزج توحيدك بهذا الشرك فأناك في للهكة الثانية وهي الالتفات إلى اختيار الحيوانات في الأمثال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يطبقك رزقك باختياره فان شاء أعطاك وإن شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رزقك بسيفه وهو قادر عليك إن شاء حز رزقك وإن شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وأمرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول له أيضا ، نعم إن كنت لا ترى القلم لأنه مسخرف كيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو للسخر له وعند هذا زل أقدام الأكرين إلا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان العين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا عروفا أن غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فترى رأس القلم يسود الكاغد ولم يمتد بصرها إلى اليد والأصابع فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت أن القلم هو للسود لبياض وذلك تصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حديقته فكذلك من لم ينشع بنور الله تعالى صدره للإسلام قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والأرض ومشاهدة كونه قاهرا وراء الكل فوقه في الطريق

بهى أفضل من
الصبر « وقال عليه
السلام » لا يجزم
إسلام رجل حتى
تصلوا ما عنده عقله «
وسألت عائشة رضى
الله عنها النبي صلى الله
عليه وسلم قالت قلت
« يا رسول الله بأى شئ
يتفاضلون الناس » قال
بالفضل في الدنيا
والآخرة قالت قلت
أليس يجزى الناس
بأعمالهم ؟ قال يا عائشة
وهل يعمل بطاعة
الله إلا من قد عقل
فقدرو عقولهم يعملون
وعلى قدر ما يعملون
يجزون « وقال عليه
السلام » إن الرجل
ليطلق إلى المسجد
فيملى وصلاته

على الكاب وهو جهل محض بل أرباب القلوب والشاهدات قد أنطق الله تعالى في حقهم كل ذرة في السموات والأرض بقدرته التي بها نطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلتي تتكلم بالاحرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم من السمع معزولون ولست أعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الأصوات فإن الحمار شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه الهائم وإنما أريد به ممعا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي . فإن قلت فهذا أهجوية لا يقبلها العقل فصف لي كيفية نظمها وأنها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سمحت وقدست وكيف شهدت لي نفسها بالعجز . فاعلم أن لكل ذرة في السموات والأرض مع أرباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر وله بتمامها فاتها كانت تستعد من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر - الآية ثم إنها تتناجي بأسرار الملك وللكسوت وإفشاء السر لئلا يسلط الأحرار قبور الأسرار وهل رأيت قط أمينا على أسرار الملك قد نوحى بمخافاته فنادى بصره على ما من الحاقق ولو جاز إفشاء كل سر لنا لما قال صلى الله عليه وسلم «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» (١) ، كان يذكر ذلك لهم حتى يكون ولا يضحكون . ولما نهى عن إفشاء السر القدر (٢) . ولما قيل «لا تذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا» (٣) ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض الأسرار (٤) . فاذن عن حكايات مناجاة ذرات الملك وللكسوت لقلوب أرباب الشاهدات ما نال : أحدها استحالة إفشاء السر . والثاني خروج كلماتها عن الحصر والتأنيب ولكنها في المثال الذي كنفه وهي حركة القلم تحكي عن مناجاتها قدرا يسيرا فبهم على الأجمال كيفية إبقاء التوكل عليه ونرد كلماتها إلى الحروف والأصوات وإن باتكن هي حروفا وأصواتا ولكن هي ضرورة التفهيم فنقول : قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقدره أسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان أيضا مشرقا والآن قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال السكاغد ما أنصفتي في هذه اللقاة فاني ماسودت وجهي بنفسى ولكن سل الخبر فانه كان مجموعا في الهجرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلمة وعدوانا فقال صدقت فسأل الخبر عن ذلك فقال ما أنصفتي فاني كنت في الهجرة وإدعانا ساكننا عازما على أن لا أبرح منها فاعتدى على القلم بطعمه القاسد واخطفتي من وطني وأجلاني عن بلادى وفرق جمى وبدنى كآثري على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لاني فقال صدقت ثم سألت القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه وإخراج الخبر من أوطانه فقال سل اليد والأصابع فاني كنت قسبا ثابتا على شط الأنهار متزها بين خضرة الأشجار فجاءني اليد بسكين فتحت عني قشري ومزقت عني ثيابي واقتلعتني من أملى ووصلت بين أنائي ثم برمتي وشقت رأسي ثم خستني في سواد الخبر وممارته وهي تستخذي وتعمشى على قمة رأسي ولقد ثرت للبحر على جرحي بسؤالك وعناك فتتبع عني وسل من قهري فقال صدقت ثم سألت اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم واستخدامها له فالتت اليد ما أنا إلا لحم وعظم ودم وهل رأيت لحما يظلم أو جسما يتحرك بنفسه وإنما أنا مركب مسخر ركني فارس يقال له القدرة والعزة فهي التي تردني

(١) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا لحديث تقدم غير مرة (٢) حديث النبي عن إفشاء سر القدر ابن عدي وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر القدر سر الله فلا تفشوا الله عز وجل سره لنظ أي نعيم وقال ابن عدي لا تسكروا في القدر فانه سر الله الحديث وهو ضعيف وقد تقدم (٣) حديث إذا ذكر النجوم فأمسكوا إذا ذكر القدر فأمسكوا الحديث الطبراني وابن جابر في الضعفاء وقد تقدم في العلم (٤) حديث أنه خص حذيفة ببعض الأسرار تقدم .

لا تعدل جناح بعوضة
وإن الرجل يأتي
السجد فيسلي وصلاته
تعدل جبل أحد إذا
كان أحسنهما عقلا
فيل وكيف يكون
أحسنهما عقلا ؟ قال
أورعها عن عارم
الله وأحرصهما على
أسباب الخير وإن
كان دونه في الصل
والتطوع . وقال :
عليه الصلاة والسلام
«إن الله تعالى قسم
العقل بين عباده
أشتاتا فإن الرجلين
يستوى عليهما
وبرهما وموهما
وصلهما ولكنهما
يتفاوتان في العقل
كالقوة في جنب أحد»
وروى عن وهب بن

ونحول في في نواحي الأرض أما ترى للدر والحجر والشجر لا يتعدى شئ منها مكانه ولا يتحرك بنفسه إذ لم يركبه مثل هذا القارس القوى القاهر أما ترى أيدي اللوتى تساوين في صورة اللحم والعظم والدم ثم لامعاملة بينها وبين القلم فأنا أيضا من حيث أنا لامعاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شأنى فانى مركب أزهجنى من ركنى فقال صدقت ثم سألت القدرة عن شأنها في استعمالها اليد وكثرة استعمالها وترديدها فقالت دعه عنك لومى ومعاتيق فكلم من لأمى ملوم ومكمن ملوم لاذنب له وكيف خفى عليك أمرى وكيف ظننت أنى ظلمت اليد لما ركبها وقد كنت لها راية قبل التحريك وما كنت أحركها ولا أستسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الظانون فى أنى ميتة أو معدومة لأنى ما كنت أتحرك ولا أحرك حتى جاءنى موكل أزهجنى وأرهقنى إلى ما تراه منى فكانت لى قوة على مساعدته ولم تكن لى قوة على خالفته وهذا للوكل يسمى الارادة ولا أعرفه إلا باسمه وهو موصله إذ أزهجنى من غمرة النوم وأرهقنى إلى ما كان لى مندوحة عنه لو خلانى ورأى فقال صدقت ثم سألت الارادة ما الذى جرأك على هذه القدرة الساكنة الطمئنة حتى صرفتها إلى التحريك وأرهقتها إليه إرهابا لم تعبد عنه غلصا ولا مناصا فقالت الارادة لا تميل على قلعل لنا علدا وأنت تلوم فانى ما انتهضت بنفسى ولكن أنتهضت وما انبعث ولكنى بشت بحكم قاهر وأمر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئى ولكن ورد على من حضرة القلب رسول العلم على لسان القل بالإشخاص للقدرة فأشخصتها باضطراب فانى مسكنة مسخرة تحت قهر العلم والقل ولا أدرى بأى جرم وقعت عليه وسخرت له وألزمت طاعته لىكنى أدرى أنى فى دعة وسكون مالم يرد على هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد وقعت عليه وقفا وألزمت طاعته إثمًا بل لا يبق لى معه مهما جزم حكمه طاقة على الخافقة لعمري مادام هو فى التردد مع نفسه والتعير فى حكمه فأنا ساكنة لكن مع استعمار وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه أزهجت بطبع وقهر تحت طاعته وأشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شأنى ودعه عنى عتابك فانى كما قال القائل :

مق زحمت عن قوم وقد قدروا أن لا تقارهم فالراحلون هم

فقال صدقت وأقبل على العلم والقل والقلب مطالبا لهم ومعاتبا لإيام على استهزاء الارادة وتسخيرها لإشخاص القدرة فقال القل أما أنا فسراج ما اشتعلت بنفسى ولكن أشعلت وقال القلب أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسى ولكن بسطت وقال العلم أما أنا فنقش نقشت فى رياض لوح القلب لما أشرق سراج القل وما انبسطت بنفسى فكلم كان هذا اللوح قبل خاليا عنى فسل القلم عنى لأن الخط لا يكون إلا بالقلم فند ذلك تتمتع السائل ولم يفته جواب وقال قدامى فى هذا الطريق وكثرت منازل ولا يزال يحيلنى من طمعت فى معرفة هذا الأمر منه لى غيره ولكنى كنت أطيب نفسا بكثر التردد لما كنت أسمع كلاما مقبولا فى الفؤاد وعذرا ظاهرا فى دفع السؤال فأما قولك لى خط وهش وإنما خطنى قم فلمست أفهجه فانى لأعلم قما لإامن القصب ولالوحا لإامن الحديد وأوالخشب ولاخطا لإالخير ولاسراجا لإامن النار وإنى لأسمع فى هذا للزلل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولاشاهد من ذلك شيئا أسمع جعجعة ولاأرى طمنا فقال له القلم إن صدقت فبأقلت بفصاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف . واعلم أن للهاك فى الطريق التى توجهت إليها كثيرة فالصواب لك أن تصرف وتدع ماأنت فيه لما هذا يشك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له . وإن كنت راغبا فى استقام الطريق إلى للتصديق فأتى سمك وأنت شهيد . واعلم أن العالم فى طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة أولها وقد كان الكاغذ والخبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت

منه أنه قال لى أجد

فى سبعين كتابا أن

جميع ما أعطى

الناس من بدء الدنيا

إلى انقطاعها من القل

فى جنب عقل

رسول الله صلى الله

عليه وسلم كهيئة رملة

وقعت من بين جميع

ومال الدنيا . واختلف

الناس فى ماهية القل

والكلام فى ذلك يكثر

ولا يؤثر نقل الأقوال

وليس ذلك من غرضنا

فقال قوم : القل من

العلوم فلن الحالى من

جميع العلوم لا يوصف

بالقل وليس القل

جميع العلوم فان الحالى

عن معظم العلوم يوصف

بالقل وقالوا ليس من

العلوم النظرية فان من

تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت وهو ورأى فإذا جاوزتني انتهيت إلى منزله وفيه الهامة والفتح والجبال الشاهقة والبحار للفرقة ولا أدري كيف تسلم فيها والثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منها ثلاث منازل في أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والشهادة ولللكوت لأن عالم الملك أسهل منه طريقا وعالم الملكوت أوعر منه منهجا وإنما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الأرض وللا فلهي في حد اضطراب الماء ولاهي في حد سكون الأرض وبهاها وكل من يمشي على الأرض يمشي في عالم الملك والشهادة فإن جاوزت قوته إلى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فإن انتهى إلى أن يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تتمتع فإن كنت لا تهتد على اللقي على الماء فانصرف قد جاوزت الأرض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك إلا الماء الصافي وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم بلوح القلب وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام «لوازداد يقينا لشي على الهواء» (١) لما قيل له إنه كان يمشي على الماء فقال السالك السائل قد تحيرت في أمري واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست أدري أطبق قطع هذه المهامة التي وصفتها أم لا فهل لذلك من علامة؟ قال نعم اتبع بصرك واجمع ضوء عينك وحدقه نحوى فإن ظهر لك القلم الذي به أكتب في لوح القلب فيشبه أن تكون أهلا لهذا الطريق فإن كل من جاوز عالم الجبروت وقرع بابا من أبواب الملكوت كوشف بالقلم أماترى أن النبي صلى الله عليه وسلم في أول أمره كوشف بالقلم إذا نزل عليه - اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - فقال السالك لقد فتحت بصري وحدقته فو الله ما أرى قصبا ولا خشيا ولا أعلم قما إلا كذلك فقال العلم لقد أبعدت النجعة أما سمعت أن متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت أن الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده الأبدى ولا قلبه الأتنام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه أمور إلهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا بد له لحم وعظم ودم بخلاف الأبدى ولا قلبه من قصب ولالوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا جبره زاج وغصص فإن كنت لا تشاهد هذا هكذا فأراك إلا غشنا بين حولة التنزيه وأثوثة التشبيه مذنبيا بين هذا ولا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء فكيف نزهت ذاته وصفاته تعالى عن الأجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن معاني الحروف والأصوات وأخذت تتوقف في يده وقلبه ولوحه وخطه فإن كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق آدم على صورته» الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكأن مشبها مطلقا كما قيل كان ليهوديا صرفا وإلا فلا تلعب بالتوراة وإن فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالباطن لا بالأبصار فكأن منزعا صرفا ومقدسا غلا واطو الطريق فانك بالوادي المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلذلك نجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودى به موسى - إني أنا ربك - فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر حضور نفسه وأنه غشيت بين التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما رآها بين النقص ولقد كان زيته الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولولم تمسه نار قلما تنفع فيه العلم بمجده اشتعل زيته فأصبح نورا في نور فقال له العلم اغنم الآن هذه القرصة واتضح بصرك لملك تجدد على النار هدى فتفتح بصره فانكشف له القلم الإلهي

شرط ابتداء النظر
تقدم كمال العقل فهو
إذن من العلوم
الضرورية وليس هو
جميعها فإن صاحب
الحواس الخفية عاقل
وقد عسدم بعض
مدارك العلوم
الضرورية وقال بعضهم
العقل ليس من أقسام
العلوم لأنه لو كان منها
لوجب الحكم بأن
الذاهل عن ذكر
الاستحالة والجسور
لا يتصف بكونه عاقلا
ونحن نرى العاقل في
كثير من أوقاته ذاهلا
وقالوا هذا العقل صفة
يتبها بها درك العلوم .
ونقل عن الحرث بن
أسد المحاسي وهو من
أجل الشايع أنه قال

فأذا هو كإوصاف العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم أصناف العلوم وكان له في كل قلب رأس أو لآس له قضى منه العجب وقال نعم الرقيق العلم في إماماته تعالى عن خيرا إذا الآن ظهر لي صدق أنبائه عن أوصاف القلم فاني أراه فلما لا أكلام ضد هذا وضع العلم وعكسه وقال قد طلع مقامى عندك وراى لك وأنا عازم على أن أسافر إلى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فسافر إلي وقال له: ما بالك أيها القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الإرادات إلى أشخاص القدر وصرفها إلى القدورات فقال أوقد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة وصحبت من جواب القلم إذ سألته فأحالك على اليد قل أناس ذلك قال فجوابي مثل جوابه قال كيف وأنت لا تشبهه قال القلم أمانعت أن الله تعالى خالق آدم على صورته قل نعم قال فسل عن شأني الملقب بيمين الملك فاني قبضته وهو الذي رددني وأنا مقهور مسخر فلانرق بين القلم الإلهي وقلم الأدمي في معنى التفسير وإعنا الفرق في ظاهر الصورة فقال فن بين الملك فقال القلم أمانعت قوله تعالى - والسموات مطويات بيمينه - قال نعم قال والأقلام أيضا قبضة بيته هو الذي بردها فسافر السالك من عنده إلى اليمين حتى شاهده ورأى من عجايبه ما يزيد على عجائب القلم لا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا يخفى مجلدات كثيرة عشر عشر وصفه والجملة به أنه يمين لا كالأيمان ويد لا كالأيدي وأصبح لا كالأصابع فرأى القلم حركا في قبضته فظهر له عذر القلم فأن اليمين عن شأنه وتحررك القلم فقال جوابي مثل ما سمعته من اليمين التي رأيتها في عالم الشهادة وهي الحولة على القدرة إذ لا بد لا حكم لها في نفسها وإعنا عركها القدرة لاجتماعها فسافر السالك إلى عالم القدرة ورأى فيه من العجايب ما استعجز عنه ما قبله وسألها عن تحريك اليمين فقالت إعنا أنا صفة فأسأل القادر إذ العدة على الوصفات لاهل الصفات وعند هذا كافأ أن يزيع ويطلق بالجراءة لسان السؤال فثبت بالقول الثالث ونودي من وراء حجاب سرادات الحضرة - لا يسئل عما يسئل وهم يسئلون - ففتشته هبة الحضرة غفر صمعاضطرب في غشيتها فلما أفاق قال سبحانك ما أعظم شأنك تبت إليك وتوكلت عليك وآمنت بأنك للملك الجبار الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولا أرجو سواك ولا أعوذ إلا بك من عقابك ورضاك من سخطك ومالي إلا أن أسألك وأتضرع إليك وأبتل بين يدك فأقول : أشرح لي صدى لأعرفك واحلل عذمتي من لسانى لأثني عليك فتودى من وراء الحجاب إذا أن تطمع في البناء وتزيد على سيد الأنبياء بل أراجع إليه فأتاك غنمه ومناهاك عنه فافتته عنه ومألا لك قلله فانه ما زاد في هذه الحضرة على أن قال « سبحانك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (١) فقال إلهي إن لم يكن لسان جراءة على البناء عليك فهل القلب مطمع في معرفتك فتودى إليك أن تخطي رقاب الصديقين فأرجع إلى الصديق الأكبر فتدبه فان أصحاب سيد الأنبياء كالنجوم بأهم اقتديتم اهتديتم أمانعت يقول العجز عن ذلك الإبداع إذ أدركت فكيف نصيما من حضرة ما أن تعرف أنك محروم عن حشرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فنضد هذا رجع السالك واعتذر عن أسئلته ومناجاته وقال لليمين والقلم والعلم والإرادة والقدرة وما بهما إقبوا أعزدي فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان إنكارى عليكم إلا عن قصور وجهل والآن قد صبح عندي عذركم وانكشف لي أن للنفرد بالملك ولللكوت والعزوة والجبروت هو الواحد القهار فأتيت إلى المسخرين تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الأول والآخر والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل له كيف يكون هو الأول والآخر وما وصفان متناضيان وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالأول ليس بأخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الأول بالإضافة إلى الوجودات إذ صدر منه الكل على ترتيبه واحد أبدا وهو الآخر

العقل غرزة ينميا بها
درك العلوم وعلى هذا
يتبرر ما ذكرناه في
أول ذكر العقل : أنه
لسان الروح لأن
الروح من أمر الله
وهي التهمة للأمانة
التي آتت السموات
والأرضون أن يحملها
ومنها فيض نور
العقل وفي نور العقل
تشكل العلوم فالعقل
العلوم بمثابة السوح
البيكنوب وهو صفته
منكبوس مطلع إلى
النفس تارة ومنتصب
مستقيم تارة فن كان
العقل فيه منكوسا
إلى النفس فرقه في
أجزاء الكون وعدم
حسن الاعتدال
بذلك وأخطأ طريق

(١) حديث سبحانك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك تقدم .

بالإضافة إلى سير السائرين إليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل إلى منزل إلى أن يقع الالتئام إلى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في الشاهدة أول في الوجود وهو باطن بالإضافة إلى الماكفين في عالم الشهادة الطالبين لأدراكه بالحواس الخمس ظاهر بالإضافة إلى من يطلبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالصيرة الباطنة النافذة في عالم للمكوت فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل : أعني من انكشف له أن الفاعل واحد . فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد إلى أنه يمتد على الإيمان بعالم للمكوت فمن لم يفهم ذلك أو يصحده فطريقه ؟ فأقول : أما الجاحد فلا علاج له إلا أن يقال له إنكارك لعالم للمكوت كانكار السنية لعالم الجبروت ، وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فأنكروا القدرة والإرادة والعلم لأنها لا تدرك بالحواس الخمس فلازموا حضيض عالم الشهادة بالحواس الخمس ، فان قال وأنا منهم فاني لأهتدي إلا إلى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيئاً سواه ، فيقال إنكارك لما شاهدناه بأوراء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس فانهم قالوا ماتراه لا تلتقي به فقلنا نراه في المنام ، فان قال وأنا من جملتهم فاني أشاك أضافي المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فترك أياماً قلائل وما كل مريض يقوى على علاجه الأطباء هذا حكم الجاحد . وأما الذي لا يجمع ولكن لا يفهم طريق السالكين معه أن ينظر إلى عينه التي يشاهد بها عالم للمكوت فان وجدوها صحيحة في الأصل وقد نزل فيها ماء أسود قبل الأزالة والتفتية اشتغلوا بتفتيته اشتغال الكحال بالأيصار الظاهرة فاذا استوى بصره أرشد إلى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك صلى الله عليه وسلم بغواص أصمائه فان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك الطريق الذي ذكرناه في التوحيد . ولم يمكنه أن يسمع كلام ذرات اللك وللمكوت بشهادة التوحيد كلوه بحرف وصوت وردوا ذروة التوحيد إلى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة أيضاً توحيدا إذ يعلم كل أحد أن للزل يفسد بصابين والبل يفسد بأميرين فيقال له في حديقته إله العالم واحد وللدبر واحد إذ لو كان فيها آلهة إلا أنه أفسدتا فيكون ذلك على ذوق مارآه في عالم الشهادة فيفترس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الله الأنبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ، ولذلك نزل القرآن بلسان العرب على حد عاداتهم في المحاوره . فان قلت . فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عمادا للتوكل وأصلا فيه ؟ فأقول نعم فان الاعتقاد إذا قوى عمل حمل الكشف في إثارة الأحوال إلا أنه في الغالب يضعف ويتسارع إليه الاضطراب والترزول غالباً ولذلك يحتاج صاحبه إلى متكلم يهرسه بكلامه أو إلى أن يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقاها من أستاذه أو من أبويه أو من أهل بيته . وأما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وإن كان يزداد وضوحا كما أن الذي يرى إنسانا في وقت الإسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بأنه إنسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقته ومماثل الكاشفين والمصدقين إلا كسفرة فرعون مع أصحاب السامري فان سحرة فرعون لما كانوا مطمئنين على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم وتجزيتهم رأوا من موسى عليه السلام ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الأمر فلم يكتروا بقول فرعون لأتظن أن يديكم وأرجلكم من خلاف . بل - قالوا ان تؤثرك على مجاءنا من البنات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا - فان البيان والكشف يمنع التضرير . وأما أصحاب السامري لما كان إيمانهم عن النظر إلى ظاهر الثعبان فما نظروا إلى عمل السامري ومعموا خواره قنبروا ومعموا قوله - هذا إلهكم وإله موسى - ونسوا أنه لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم صرا ولا غما فكل من آمن بالنظر

الاهتداء ومن انتصب
العقل فيه واستقام
تأييد العقل بالصيرة
التي هي لروح بمثابة
القلب واهتدى إلى
المسكون ثم عرف
المسكون بالمسكون
مستوفيا أقسام العرف
بالمسكون والمسكون
فيكون هذا العقل
عقل الهداية فكما
أحب الله إتياله في أمر
دله على إتياله عليه
وما كرهه الله في أمر
دله على الادبار عنه
فلا يزال يتبع محاب الله
تعالى ويحتمل مسأخطة
وكما استقام العقل
وتأييد بالصيرة كانت
دلالته على الرشد
ونبيه عن النسي . قال
بضم : العقل على

إلى قسار : مر لا محالة ، إذا نظر إلى عجل لأن كلهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير . وأما عالم السموات فهو من عند الله تعالى فذلك لا يتجدد فيه اختلاف وتضاد أصلا . فان قلت ذكرته من الترحيد ظاهر مما ثبت أن الوسايط والأسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر في حركات الانسان فانه يتحرك إن شاء ويمكن إن شاء فكيف يكون مسخرا . فاعلم أنه لو كان مع هذا إرادة إن أراد أن يشاء ولا يشاء إن لم يرد أن يشاء لكان هذا مزلّة القدم وموقع الغلط ولكن علم أنه يفعل ما يشاء إذا شاء أن يشاء أم لم يشأ فليست للشيئة إليه إذ لو كانت إليه لاقتصر إلى مشيئة أخرى وتسلسل إلى غير نهاية وإذا لم تكن للشيئة إليه فلهما وجدت للشيئة التي تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل إلى مخالفة فالحر كذا لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عند انجزام الشيئة فالشيئة تحدث ضرورة في القلب فهذه ضرورات تقرب بعضها على بعض وليس للمبد أن يدفع وجود للشيئة ولا انصراف القدرة إلى القدور بعدها ولا وجود الحركة بعد شيئ للشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع . فان قلت فهذا جبر محض والجبر ناقض الاختيار وأنت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا . فأقول لو انكشف القطع لعرفت أنه في عين الاختيار مجبور فهو إذن مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار ، فنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا يليق بما ذكر متظفلا وتابا فان هذا الكتاب لم يقصد به إلا العلم العامة ، ولكني أقول لفظ الفعل في الانسان يطلق على ثلاثة أوجه : إذا قال الانسان يكتب بالأصابع ويتنفس بالأنف والحنجرة ويحرك اللسان إذا وقف عليه بحسبه فينسب إليه الحرق في اللسان والتنفس والكتابة ، وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطراب والجبر واحدة ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور فأعربك عنها بثلاث عبارات فنسمى خرقه للسان عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا ونسمى تنفسه فعلا إراديا ونسمى كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لأنه مسند وقوف على وجه اللسان أو تخطي من السطح له أو انحرق الهواء لا محالة فيكون الحرق بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فان نسبة حركة الحنجرة إلى إرادة التنفس كنسبة اغراق الماء إلى ثقل البدن فهما كان الثقل موجودا وجد الانحرق بعده وليس الثقل اليه وكذلك الإرادة ليست اليه ، ولذلك لو قصد عين الإنسان بإبرة طبق الأجفان اضطرابا ولو أراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع أن تغمض الأجفان اضطرابا فعلا إراديا ولكنه إذا تمثل ضرورة الإبرة في مشاهدته بالأدراك حدث الإرادة بالتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو أراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع أنه فعل بالقدرة والإرادة فقد التحق هذا الفعل الطبيعي في كونه ضروريا . وأما الثالث فهو الاختيارى فهو مظنة الالتباس كالكتابة والطق وهو الذي يقال فيه إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا أن الأمر اليه وهذا الجبر بمعنى الاختيار فكشف عنه ، ويأمنه أن الإرادة تبع العلم الذي يحكم بأن الشيء موافق أو لا . ونقسم إلى ما حكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بأنه يوافقك من غير تحير وتردد وإلى ما قد يتردد العقل فيه فالذي قطع به من غير تردد أن يقصد عينك مثلا بإبرة أو يدك بسيف فلا يكون في علمك تردد في أن دفع ذلك خبرك وموافق فلا جرم تثبت الإرادة والعلم والقدرة بالإرادة وتحصل حركة الأجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالإرادة ومن الأشياء ما يتوقف العجز والعجز فيه فلا يدري أنه موافق أم لا فيحتاج إلى روية وفكر حتى يضمن أن الخير في الفعل أو الترك فإذا حصل بالفكر والرؤية العلم بأن أحدهما - التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكر فانبثقت الإرادة هنا كما تثبت لدفع السيف واللسان فإذا انبثقت لفعل ما ظهر للعقل

ضرب ضرب يصير
به أمر دنياه وضرب
يصريه أمر آخرته ،
وذكر أن العقل الأول
من نور الروح والعقل
الثاني من نور الهداية
فالعقل الأول موجود
في عامة وأدوم العقل
الثاني موجود في
الوحيد مفقود من
المشركين . وقيل إنما
سمى العقل عقلا لأن
الجهل ظلة فاذا غلب
النور يصير في تلك
الظلة زالت الظلة
فأصغر قصار عقلا
لجهل ، وقيل عقل
الإيمان مسكنه في
القلب ومتعمله في
الفساد بين عيني
التوأم والذي ذكرناه
من كون العقل لسان

أنه خير سميت هذه الإرادة اختياراً مشتقاً من الخير أي هو انبثاق إلى ما ظهر للعقل أنه خير وهو عين تلك الإرادة ولم ينتظر في انبثاقها إلى ما انتظرت تلك الإرادة وهو ظهور خيرة العقل في حقه إلا أن الخيرة في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا اقتصر إلى الروية فالاختيار عبارة عن إرادة خاصة وهي التي انبثقت - شارة العقل فيها في إدراكه توقف وعن هذا قيل إن العقل يحتاج إليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يصور أن تنبثق الإرادة إلا بحكم الحس والتخييل أو بحكم جزم من العقل ولذلك لو أراد الإنسان أن يحزن ربة نفسه مثلاً لم يكن له القدرة في البدول لعدم السكين ولكن لفقد الإرادة الداعية للشخصية للذة - وإنما قدت الإرادة لأنها تنبثق بحكم العقل أو الحس يكون العقل مواقفاً وقته نفسه ليس، وواقعاً له فلا يمكنه مع قوة الأعضاء أن يقتل نفسه إلا إذا كان في عقوبة مؤلمة لا تطاق فإن العقل هنا يتوقف في الحكم ويتردد لأن رده بين شر الشرين فإن ترجع له بعد الروية أن تركه القتل أقل شراً لم يكنه قتل نفسه وإن حكم بأن القتل أقل شراً وكان حكمه جزماً لا ميل فيه ولا صراف منه انبثقت الإرادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف لا تتل فإنه يرمى بنفسه من السطح مثلاً وإن كان مهلكاً ولا يلاي ولا يمكنه أن لا يرمى نفسه فإن كان يتبع بضرب خفيف فإن انتهى إلى طرف السطح حكم العقل بأن الضرب أهون من الرمي فوقت أعضائه فلا يمكنه أن يرمى نفسه ولا نتم له داعية البتة لأن داعية الإرادة مسخرة بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكلمة مقدرة بالضرورة فيه من حيث لا يدري فأنما هو محل ومجرى لهذه الأمور فأما أن يكون منه كلاً ولا فأن معنى كونه مجبوراً أن جميع ذلك حاصل فيه من غيره لأمته ومعنى كونه مختاراً أنه محل لإرادة حدثت فيه جبراً بعد حكم العقل يكون العقل خيراً أعضاها واقعاً وحدث الحكم أيضاً جبراً فاداهو مجبور على الاختيار فعمل النار في الحراق مثلاً جبر محض وفعل الله تعالى اختيار بعض وفعل الإنسان على منزلة بين المنزلتين فإنه جبر على الاختيار فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لأنه لما كان ذلك ثابتاً واتموا فيه بكتب الله تعالى قسموه كتباً وليس مناقضاً للجبر ولا لا - تيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفعل الله تعالى يسمى اختياراً بشرط أن لا يفهم من الاختيار إرادة بعد تغير وتردد فان ذلك في حقه محال وجميع الألفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى إلا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه - فان قلت فهل تقول إن العلم وله الإرادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وأن كل متأخر حدث من التقدم فان قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شيء لامن قدرة الله تعالى وإن أبيت ذلك فامعني ترتب البعض من هذا على البعض - فاعلم أن القول بأن بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد أو بغيره بل حوالة جميع ذلك على الشيء الذي يعبر عنه بالقدرة الأزلية وهو الأصل الذي لم ينف كافة الخلق عليه إلا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنهه معناه واسكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق ويبان ذلك بطول ولكن بعض اللزومات مرتبة على البعض في الحدوث ترتب الشروط على الشروط فلا تصدر من القدرة الأزلية إرادة إلا بعد علم ولا علم إلا بعد حياة ولا حياة إلا بعد عمل الحياة وكما لا يجوز أن ية الحياة تحصل من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط ربما ظهرت العامة وبعضها لم يظهر إلا لخواص الكاشفين بنور الحق وإفلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر أحر إلا بالحق والضرورة وكذلك جميع أقوال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثاً يضاهي فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلین علواً كبيراً وإلى هذا أشار قوله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - وقوله تعالى - وما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما

الروح وهو عقل واحد ليس هو على ضربين ولكنه إذا انتصب واستقام تأيد بالبصرة واعتدل ووضع الأشياء في مواضعها وهذا العقل هو العقل للستقي بنور الشرع لأن انتصابه واعتداله هداه إلى الاستقامة بنور الشرع ليكون النبي المرسل وذلك لترب روحه من الحضرة الإلهية ومكاشفة بصيرته التي هي للروح بمثابة القلب بقسرة الله وإياد واستقامة عقله بتأييد البصرة فالبصرة تحيط بالسالم التي يستوعبها العقل والتي

لاعين . ماخفناهما إلا بالحق . - فكل ما بين السماء والأرض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون إلا كالحادث وعلى هذا الترتيب الذي وجد لما تأخر متأخر إلا لا تتطابق شرطه والشروط قبل الشرط بحال والمحال لا وصف بكونه مقدورا فلا يتأخر العلم عن النطفة إلا لنقد شرط الحياة ولا يتأخر عنها الإرادة بعد العلم إلا لنقد شرط العلم وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق كل بل ذلك بحكمة وتدبير وتضمين ذلك عسير ولكننا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثلا لا قرب مبادئ الحق من الأفهام الضعيفة وذلك بأن تقدر إنسانا محدثا قد انتمس في الماء إلى رقبته فالحادث لا يرتفع عن أعضائه وإن كان الماء هو الرافع وهو ملائق له قدر القدرة الأزلية حاضرة ملائمة للمقدورات متعلقة بها ملائمة الماء للأعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحادث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فإذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل للماء في سائر أعضائه وارتفع الحادث فربما يظن الجاهل أن الحادث ارتفع عن البدن برفعه عن الوجه لأنه حدث عقيبها إذ يقول كان للماء ملائمة ولكن رافعا للماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحادث عن البدن عند غسل الوجه، فاذن غسل الوجه هو الرافع للحادث عن البدن وهو جعل ضاهي ظن من يظن أن الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالإرادة والإرادة بالعلم وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحادث عن الوجه ارتفع الحادث عن اليد بالماء الملاق له بالنسب الوجه والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيها شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر أثر العلة فهكذا ينبغي أن تفهم صدور المقدرات عن القدرة الأزلية مع القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب آخر لعالم آخر من عوالم المكاشفات فلترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل فان الفاعل بالحقائق واحد فهو الخوف والرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم تقدر على أن تدرك من بحار التوحيد إلا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح بحال كاستيفاء ماء البحر بأخذ القطرات من عوالم ذلك ينطوي تحت قول لا اله إلا الله وما أخف مؤثته على اللسان وما أسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب وما أعز حقيقته وبله عند العلماء الراسخين في العلم فكيف عند غيرهم . فان قلت فكيفبا لجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد أن لا فاعل إلا الله تعالى ومعنى الشرع إثبات الأفعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله تعالى فاعلا وإن كان الله تعالى فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم . فأقول نعم ذلك غير مفهوم إذا كان للفاعل معنى واحد وإن كان له معنيين ويكون الاسم مجعلا مرددين بينهما يلتصقان كما يقال قتل الأمير فلانا ويقال قتلته الجلاذ ولكن الأمير قاتل بمعنى والجلاذ قاتل بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله عز وجل فاعل بمعنى آخر فنفى كون الله تعالى فاعلا أنه المتحترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا أنه المحل الذي خلق فيه القدرة ببدن خلق فيه الإرادة ببدن خلق فيه العلم فارتبطت القدرة بالإرادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالشرط وارتبطت القدرة بفعلها ارتباط المعلول بالعلل وارتبط المتحترع بالمتحترع وكل ماله ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا له كيفما كان الارتباط كما يسمى الجلاذ قاتلا والأمير قاتلا لأن القتل ارتباط بقدرة وهو لكن على وجهين مختلفين فذلك على معنى اتصالهما فكذلك ارتباط المقدورات بالقدريين ولأجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى للأفعال في القرآن مرة إلى الملائكة ومرة إلى العباد ونسبها بينهما مرة أخرى إلى نفسه فقال تعالى في الموت - فل يتوفاكم ملك الموت - ثم قال عز وجل - الله يوفى الأُنس حين موتها - وقال تعالى - أفرأيتم ما عُزفون - -ضاف إليهم قال تعالى - أنا صبينا الماء صبائهم فحقنا الأرض شققا فنبثنا فيها حيا وعينا - وقال عز وجل - فأرسلنا إليهم راحنا وتمثل لها بشر أسويا - ثم قال تعالى - ففجفنا فيها من روحنا وكان النافع جبريل عليه

يضيق عنها فطلق العقل لأنها تستمد من كالت الله التي ينفد البحر دون فادها والعقل ترجمان تؤدي البصرة إليه من ذلك شعرا كما يؤدي القلب إلى اللسان بعض ما فيه ويستأثر ببعضه دون اللسان ولهذا المعنى من جمد على مجرد العقل من غير الاستضاءة بنور الشرع حظي بعالم الكائنات التي هي من الملك والملك ظاهر الكائنات ومن استضاء عقله بنور الشرع تأيد بالبصيرة فاطلع على الملكوت والملكوت باطن الكائنات اختص بمكاشفته أرباب البصائر

السلام وكما قال تعالى - «فإذا قرأناه فاتبع قرآنه» - قيل في التفسير معناه إذا قرأه عليك جبريل . وقال تعالى - قالوا يوم يبعثهم الله بأيديكم - فأضاف القتل إليهم والتعذيب إلى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال تعالى - فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم - وقال تعالى - ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى - وهو جمع بين النفي والإثبات ظاهرا ولكن معناه ومارميت بالبعث الذي يكون الرب به راما إذ رميت بالبعث الذي يكون العبد به راما ، إذ هما معنيان مختلفان . وقال الله تعالى - الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - ثم قال - الرحمن علم القرآن - وقال - علمه البيان - وقال - ثم إن علينا بيانه - وقال - أفأنتم ماتعون أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون - ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الأرحام «إنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا ، فيقول يارب أذكر أم أنثى أسوى أم معوج فيقول الله تعالى ما شاء وخلق الملك (١) وفي لفظ آخر «ويصور الملك ثم ينضغ فيه الروح بالسعادة أو بالشقاوة» . وقد قال بعض السلف إن الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الأرواح في الأجساد ، وأنه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه روحا يلج في جسم . ولذلك سمى روحا وما ذكره في مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده أبواب القلوب يصاغرهم فأما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم إلا بالنقل والحكم به دون العقل تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الأدلة والآيات في الأرض والسموات ثم قال - أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - . وقال - شهد الله أنه لا إله إلا هو - فبين أنه الدال على نفسه وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله تعالى بالظواهر إلى الموجودات ، وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله تعالى كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي وهو معنى قوله تعالى - أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه الحي واللميت ثم فوض الموت والحياة إلى ملكين ففي الخبر «أن ملكي الموت والحياة تناظرا ، فقال ملك الموت أنا أميت الأحياء ، وقال ملك الحياة أنا أحيي الموتى فأوحى الله تعالى إليهما أن يكونا على عملكما وما سخرتكما له من الصنع وأنا الملميت والحي لا يميت ولا يحيي سواي (٢)» فأذن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تناقض هذه المعاني إذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذي ناوله النمرة «خذه» لولم تأتيا لأنتك (٣)» أضاف الاثبات إليه وإلى النمرة ، ومعلوم أن النمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الإنسان إليها وكذلك لما قال التائب أنوب إلى الله تعالى ولا أنوب إلى محمد فقال صلى الله عليه وسلم «عرف الحق لأهله (٤)»

(١) حديث وصف ملك الأرحام أنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة بيده ثم يصورها جسدا الحديث البرار وابن عدى من حديث عائشة إن الله تبارك وتعالى حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكا فيدخل الرحم فيقول يارب ماذا الحديث وفي آخره فإمن شيء الإلهو يخلق معه في الرحم وفي مسنده جهالة وقال ابن عدى إنه منكر ، وأصله متفق عليه من حديث ابن مسعود بنحوه (٢) حديث إن ملك الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا أميت الأحياء وقال ملك الحياة أنا أحيي الأموات فأوحى الله إليهما أن يكونا على عملكما الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث قال للذي ناوله النمرة خذها لولم تأتيا لأنتك ابن حبان في كتاب روضة العقلاء من رواية هذيل بن شرحبيل ووصله الطبراني عن هذيل عن ابن عمر ورجاله رجال الصحيح (٤) حديث إنه قال للذي قال أنوب إلى الله ولا أنوب إلى محمد عرف الحق لأهله تقدم في الزكاة .

والمقول دون الجامدين على مجرد القول دون البصائر وقد قال بعضهم إن العقل عقلان عقل للهداية مسكنة في القلب وذلك للمؤمنين للوقت ومنعملة في الصدر بين عيني القواد والعقل الآخر مسكنة في الدماغ ومنعملة في الصدر بين عيني القواد فبالأول يدبر أمر الآخرة ، وبالثاني يدبر أمر الدنيا والذي ذكرناه أنه عقل واحد إذا تأيد بالبصيرة دبر الأمرين وإذا تفرد دبر أمرا واحدا وهو أوضح وأبين ، وقد ذكرنا في أول الباب من تديره النفس للطنشة والأمارة

فكل من أصناف الكل إلى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة ومن أضائه إلى غيره فهو للتجوز وللتعير في كلامه وللتجوز وجه كما أن للحقيقة وجهاً واسم الفاعل وضنه واضح اللغة للمخترع ولكن ظن أن الانسان مخترع بقدرته فيها فاعلا بحركته وظن أنه تحقيق وتوهم أن نسبتة إلى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل إلى الأمير فانه مجاز بالاضافة إلى نسبتة إلى الجلاذفة انكشف الحق لأهله عرفوا أن الأمر بالمعكس وقالوا إن الفاعل قد وضعت أياها القنوى للمخترع فلا فاعل إلا الله فالاسم له بالحقيقة وتثيره بالمجازي تتجوز به مما وضعه القنوى له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الأعراب قصداً أو افتخاراً صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «أصدق بيت قاله الشاعر عرقل لبيد: * أأكل شيء ما خلا الله باطل *» (١) أى كل ما لا قول له بنفسه وإنما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وإنما حقيقته وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذن لا حق بالحقيقة إلا على القيوم الذي ليس كذلك شيء فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل: يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول أنا وأنا كن الآن كالم تسكن فانه اليوم كان. فان قلت قد ظهر الآن أن الكل جبر فامعنى الثواب والعقاب والنصب والرضا وكيف غضبه على ذنل نفسه. فاعلم أن معنى ذلك قد أشرنا إليه في كتاب الشكر فلا نطول بعادته فهذا هو القدر الذي رأينا الرمز إليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا إلا بالايان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر إلى مسبب الأسباب والايان بالرحمة وسعها هو الذي يورث الثقة بمسبب الأسباب ولا يتم حال التوكل كما سبأ في إلا بالافقة بالوكيل وطمأنينة القلب إلى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان أيضاً باب عظيم من أبواب الايمان وحكاية طريق المكافئين فيه فلتذكر حاصله ليعتد به الطالب مقام التوكل اعتقاداً قاطعاً لا يترتب فيه وهو أن يصدق تصديقاً يقيناً لا ضعف فيه ولا ريب أن الله عز وجل لو خلق الخلق كله على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما احتمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة ما انتهى لفسفهم ثم زاد مثل عدد جميعهم علماً وحكمة وعقلاً ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وأطلهم على أسرار اللسكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا المقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم أمرهم أن يدبروا للثلك واللسكوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزداد فيها دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بيوضة ولأن ينقص منها جناح بيوضة ولأن يرفع منها ذرة ولأن ينقص منها ذرة ولأن يدفع مرض أوعب أو قص أو قصر أو ضرر عمن يلى به ولا أن يزال همه أو كمال أو غنى أو وقع عمن أتم الله به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والأرض إن رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ماراً أو أفاها من تفاوت ولا فطور وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وهجز وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومصيبة فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي والقدر الذي ينبغي وليس في الامكان أصلاً أحسن منه ولا أتم ولا أكل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل بفعله لكان بخلاً يناقض الجود وظلماً يناقض العدل ولو لم يكن قادراً لكان مجزاً يناقض الألوية بل كل فقر وضرر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة في الآخرة وكل نقص في الآخرة بالاضافة إلى شخص فهو نعيم بالاضافة إلى غيره اذ لولا القليل لما عرف قدر النهار ولولا الأرض لما تمتم الأصحاب بالصحة ولولا النار

ما يتبته الانسان به إلى كونه عقلاً واحداً، ويبدأ بالصيرة تارة ومنفرداً بوصفه تارة والله للهم للصواب. [الأسباب السابعة] والجسور في معرفة الحواطر وتفصيلها وتمييزها]

أخبرنا هبشاً بنو النجب السهروردى قال أخبرنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو الباس الهوسى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال أنا هناد قال أنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الممدانى عن عبد الله بن مسعود

(١) حديث أصدق بيت قالته العرب بيت لبيد : * أأكل شيء ما خلا الله باطل *

متفق عليه من حديث ابن هريرة بلفظ قاله الشاعر وفي رواية لمسلم أشعر كلمة تسكمت بها العرب

لما عرف أهل الجنة قدر النعمة وكان قد فداء أرواح الانس بأرواح البهائم وتسليمهم على دجهمائيس
بظلم بل قدّم السكامل على الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على
أهل النيران وفداء أهل الإيمان بأهل الكفران عين العدل وما لم يخلق الناقص لا يعرف السكامل
ولو لا خلق البهائم لما ظهر شرف الإنس فان السكامل والناقص يظهر بالاضافة فتفتنى الجود والحسنة
خاق السكامل والناقص جميعا وكما أن قطع اليد إذا تأكلت إبقاء على الروح عدل لأنه فداء كامل
بناقص فكذلك الأمر في التفاضل الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لا جور
فيه وحق لائب فيه وهذا الآن بحر آخر عظيم العمق واسع الأطراف مضطرب الأمواج قريب في
البصرة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يفلحوا أن ذلك غامض لا يقبله إلا المألون
ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الأكثرون ومنع من إنشاء سره للكاشفون . والحاصل
أن الحير والسر مقضى به وقد كان مقضى به واجب الحصول بعد سبق للشيئة فلا راد لحكمه
ولامعقب لفضائه وأمره بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما أصابك لم يكن
ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك . ولتقتصر على هذه الرموز من علوم للكاشفة التي هي أصول
مقام التوكل ولترجع إلى علم العامة إن شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل .
الشرط الثاني من الكتاب : في أحوال التوكل وأعماله وفي بيان حال التوكل وبيان مقاله الشيوخ
في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للفرد وللليل وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل
في دفع المضار وبيان التوكل في إزالة الضرر بالتداوى وغيره والله للوفى برحمته .

بيان حال التوكل

قد ذكرنا أن مقام التوكل ينظم من علم وحال وعمل وذكرينا العلم فأما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة
عنه وإنما العلم أصله والعمل ثمرة وقد أكثر الخائفون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم
كل واحد عن مقام نفسه وأخبر عن حده كما جرت عادة أهل التصوف به ولا فائدة في النقل والاكتار
فلنكشف الغطاء عنه ونقول : التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل أمره إلى فلان أي فوضه إليه
واعتمد عليه فيه ويسمى للوكول إليه وكلا ويسمى للفوض إليه متوكلا عليه ومتوكلا عليه مهما
اطمأنّت إليه نفسه ووثق به ولم يهتمه فيه بتقصير ولم يتعد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن
اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب للوكيل في الخصومة مثلا فنقول : من ادعى عليه دعوى باطلة
تلبس فوقه للخصومة من يكشف ذلك التائبس لم يكن متوكلا عليه ولا واثقا به ولا مطمئن النفس
بتوكيله إلا إذا اعتقده أربعة أمور : منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة
أما الهداية فليعرف بها مواقع التلبس حتى لا يخفى عليه من غوامض الخيل شيء أصلا وأما القدرة
والقوة فليستجري على التصريح بالحق فلا يبداهن ولا يخاف ولا يستحي ولا يجبن فانه ربما يطلع على وجه
تلبس خصمه فيمنعه الخوف أو الجبن أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف الضعفة للقلب عن
التصريح به وأما الفصاحة فهي أيضا من القدرة إلا أنها قدرة في اللسان على الإفصاح عن كل
ما استجبر القلب عليه وأشار إليه فلا كل عالم بمواقع التلبس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة
التلبس . وأما منتهى الشفقة فيكون باعثا له على بذل كل ما يقدر عليه في حقه من الجهود فان قدرته
لا تفتى دون العناية فإذا كان لا يهيم أمره ولا يبالى به ظفر خصمه أو لم يظفر هلك به حقه أو لم يهلك فان
كان شاكا في هذه الأربعة أو في واحدة منها أو جواز أن يكون خصمه في هذه الأربعة أكل منه
إطمأنن نفسه إلى وكيله بل يثق بمنزج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليُدفع ما يجدره من قصور

رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم «إن للشيطان لمة
بابن آدم ولللك لمة
فألمة الشيطان فايصاد
بالسر وتكذب بالحق
وألمة لللك فايصاد
الحير وتصديق بالحق
فمن وجد ذلك فليعلم
أنه من الله فليحمد الله
ومن وجب الأخرى
فليتموّد بالله من
الشيطان عم قسراً
سالشيطان يبدّم الفقر
ويأمركم بالفحشاء - »
وإنما يتطلع إلى معرفة
اللعين ويميز الخواطر
طالب مريد يشوّف إلى
ذلك تشوّف العطشان
إلى الماء لما يلم من
وقع ذلك وخطره
وفلاحه وصلاحه

وكيله وسطوة خصمه ويكون ثابوت درجة أحواله في شدة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الحاصل فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتاً لا ينحصر فلاجزم منه ثبوت أحوال التوكلين في قوة الطمأنينة والثقة تفاوتاً لا ينحصر إلى أن ينتهي إلى اليقين الذي لا ضعف فيه كما لو كان الوكيل والدالوكل وهو الذي يسمى بجمع الحلال والحرام لأنه لا يحصل له يقين ينتهي الشفقة والعناية بتصير خصلة واحدة من الحاصل الأربعة قطعية وكذلك سائر الحاصل بتصور أن يحصل القطع به وذلك بطول للممارسة والتجربة وتواتر الأخبار بأنه أفصح الناس لساناً وأقوامهم بياناً وأقدرهم على نصرة الحق بل على تصور الحق بالباطل والباطل بالحق فإذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس عليه التوكل على الله تعالى فإن ثبت في نفسك بكشف أو باعتقاد جازم أنه لا فاعل إلا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بمجمله العباد والأحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة أتكمل لا محالة عليك وحده ولم يلتفت إلى غيره بوجه ولا إلى نفسه وحوله وقوته فانه لا حول ولا قوة إلا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فإن الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فإن كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسيب أحد أمرين إما ضعف اليقين بأحدى هذه الحاصل الأربعة وإما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الأوهام الغالبة عليه فإن القلب قد يزعج تبعاً للوهم وطاعة له عن غير قصصان في اليقين فإن من يتناول عسلاً فثبه بين يديه بالعنزة ربما شربطبه وتعدر عليه تتاوله ولو كلف العاقل أنه يبيت مع اللبث في قبر أو فراش أو بيت شربطبه عن ذلك وإن كان متيقناً بكونه ميتاً وأنه جمد في الحال وأن سنة الله تعالى مطردة بأنه لا يحشره الآن ولا يحيه وإن كان قادراً عليه كأنها مطردة بأن لا يقبل القلم الذي بيده حية ولا يقاب السنور أسداً وإن كان قادراً عليه ومع أنه لا يشك في هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة اللبث في فراش أو البيت معه في البيت ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضنف قلنا غلبوا الإنسان عن شيء منه وإن قل وقد يقوى فيصير مرضاً حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده مع إغلاق الباب وإحكامه فاذن لا يتم التوكل إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعاً إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كقائل تعالى لا إبراهيم عليه السلام - أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي - فالتمس أن يكون مشاهداً إحياء للبت بهتة لبثت في خياله فإن النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء أمرها إلى أن تبلغ بالآخرة إلى درجة النفس للطمئنة وذلك لا يكون في البداية أصلاً لوكم من مطمئن لا يقين له كسائر أرباب اللبث ولذلك قال البيهقي مطمئن القلب إلى يهوده وكذا النصراني ولا يقين لهم أصلاً وإنما يتبعون الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين إلا أنهم معرضون عنه فاذن الجبن والجرأة غرائز ولا ينفع اليقين معها في أحد الأسباب التي تضاد حال التوكل كأن ضعف اليقين بالحاصل الأربعة أحد الأسباب وإذا اجتمعت هذه الأسباب حصلت الثقة بالله تعالى وقد قيل مكتوب في التوراة ما عاون من فتته إنسان مثله وقد قال عليه السلام «من استعز بالعبد أذله الله تعالى» (١) وإذا انكشف لك معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلاً فاعلم أن تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات :

وفساده ويكون ذلك عبداً مراداً بالخطوة بصفو اليقين ومنع المؤمن من وأكبر التشوف إلى ذلك لليقين ومن أخذ به في طريقهم ومن أخذ في طريق الأبرار قد يتشوف إلى ذلك بعض التشوف لأن التشوف إليه يكون على قدر المهمة والطلب والارادة والحفظ ومن الله الكريم من هو في مقام عامة المؤمنين والمسلمين لا يتطاع إلى معرفة الدين ولا بهم تمييز الخواطر ومن الخواطر ما هي رسل الله تعالى إلى العبد كما قال بعضهم لي قلب إن عصيته

(١) حديث من اعتز بالعبد أذله الله العليل في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية من حديث عمر أورده العليل في ترجمة عبد الله بن عبد الله الأموي . وقال لا يتابع على حديثه وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال يخالف في روايته .

الدرجة الأولى : ما ذكرناه وهو أن يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالاته وعنايته كحالها في الثقة بالوكيل . الثانية : وهي أقوى أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فإنه لا يعرف غيرها ولا يفرغ إلى أحد سواها ولا يعتمد إلا إياها فإذا رآها تعلق في كل حال بذيها ولم يخلها وإن نابه أمر في غيبها كان أول سابق إلى لسانه وأمامه وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فإنها مغرمة فانه قد وثق بكفالاتها وكفالاتها وشقتها ثقة ليست خالية عن نوع إدراك بالخير الذي له ويظن أنه مطمع من حيث إن الصبي لو طوبى بتفصيل هذه الحاصل لم يقدر على تلقين لفظه ولا على إحضاره مفصلا فانه ولو لسكن كل ذلك وراء الإدراك فمن كان بالله إلى الله عز وجل ونظره إليه واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبي بأمه فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل على أمه والفرق بين هذا وبين الأول أن هذا متوكل وقد نفى في توكله عن توكله إذ ليس يلتفت قلبه إلى التوكل وحقيقته بل إلى التوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لتغير التوكل عليه . وأما الأول فيتوكل بالتكليف والكسب وليس فانيا عن توكله لأن له التفاتا إلى توكله وشعوره به وذلك شغل صارف عن ملاحظة التوكل عليه وحده وإلى هذه الدرجة أشار سهل حيث سئل عن التوكل ما أدناه قال ترك الأمانى قيل وأوسطه قال ترك الاختيار وهو إشارة إلى الدرجة الثانية . وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه إلا من بلغ أوسطه . الثالثة : وهي أعلاها أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل البيت بين يدي الناس لا يفارقه إلا في أنه يرى قسمه ميتا تحركه القدرة الأثرية كما تحرك يد النادل للبيت وهو الذي قوى يقينه بأنه مجرى للحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وأن كلا يحدث جبرا فيكون باتنا عن الانتظار لما يجري عليه وغارق في الصبي فإن الصبي يفرغ إلى أمه ويصيح ويتعلق بذيها ويدعو خلفها بل هو مثل صبي علم أنه وإن لم يزعق بأمه فالأم تطلبه وأنه وإن لم يتلق بذيها أمه فالأم تحمله وإن لم يسألها اللبن فالأم تغاضه وتسقيه وهذا اللقائهم في التوكل يثمر ترك الدماء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وأنه يعطى ابتداء أفضل مما يسأل فكم من نعمة ابتدأها قبل السؤال والدماء وبغير الاستحقاق واللقام الثاني لا يقتضى ترك الدماء والسؤال منه وإنما يقتضى ترك السؤال من غيره فقط . فان قلت فهذه الأحوال هل تصور وجودها . فاعلم أن ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر واللقام الثاني والثالث أعزها والأول أقرب إلى الامكان ثم إذا وجد الثالث والثاني قد واهمه أبعد منه بل يكاد لا يكون للقام الثالث في دوائه إلا كمفرة الوجع فان انبساط القلب إلى ملاحظة الحول والقوة والأسباب طبع وانقباضه عارض كما أن انبساط الدم إلى جميع الأطراف طبع وانقباضه عارض والوجع عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة إلى الباطن حتى تنمحي عن ظاهر البشرة والحمرة التي كانت ترى من وراء الرقيق من بتر البشرة فان البشرة ستر تريق تراءى من وراءه حمرة الدم وانقباضه يوجب الضمرة وذلك لا يدوم وكذا انقباض القلب بالسكينة عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الأسباب الظاهرة لا يدوم وأما اللقام الثاني فيشبه صفرة المحموم فانه قد يدوم يوما ويومين والأول يشبه صفرة مريض استحسك مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول . فان قلت فهل يبقى مع البعد تدبير وتعلق بالأسباب في هذه الأحوال ؟ فاعلم أن اللقام الثالث ينفي التدبير رأسا مادامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمهتوب واللقام الثاني ينفي كل تدبير إلا من حيث القزع إلى الله بالدعاء والابتهاال كتدبير الطفل في التعلق بأمه فقط واللقام الأول لا ينفي أصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كاللغو على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار إليه وكيله به أو التدبير الذي عرفه من عادته ومنته دون صريح إشارته فأما الذي يعرفه بإشارته بأن يقول لست أشككم إلا في حضورك فيشتغل بحالها بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا توكله عليه إذ ليس هو فزعامته

عصيت الله وهذا حال
عبد استقام قلبه
واستقامة القلب
لطمأنينة النفس وفي
طمأنينة النفس يأمن
الشیطان لأن النفس
كلما تحركت كدرت
صفو القلب وإذا
تكدر طمع الشيطان
وقرب منه لأن صفاء
القلب يحضو بالتذكر
والرعاية ولذا نور
بقيته الشيطان كاضاء
أحسدا النار . وقد
ورد في الخبر « إن
الشیطان جاثم على
قلب ابن آدم تولى
وخفى وإذا غسل
التم قلبه خذته ومناه »
وقال الله تعالى ومن
بعض عن ذكر

إلى حول نفسه وقوته في إظهار أخيه ولا إلى حول غيره بل من تمام توكله عليه أن يفعل ما رحمه له
إذ لو لم يكن متوكلاً عليه ولا مستمداً له في قوله لما حضر قوله وأما المعلوم من عاداته واطرادسته فهو
أن يعلم من عاداته أنه لا يحتاج الحزم إلا من السجل تمام توكله إن كان متوكلاً عليه أن يكون معولاً
على سنته وعاداته ووافياً بمقتضاها وهو أن يحمد السجل مع نفسه إليه عند خاصته فاذن لا يستغنى
عن التدبير في الحضور وعن التدبير في إحضار السجل ولو ترك شيئاً من ذلك كان قصاً في توكله
فكيف يكون فعله تصافيه ، ثم بعد أن حضر وفاء بأشارته وأحضر السجل وفاء بسنته وعاداته وقد
ناظرا إلى حاجته قد يتهى إلى اللقائ الثاني والثالث في حضوره حتى يتيق كالموت للنظر لا يفرغ
إلى حول وقوته إذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فرعه إلى حول وقوته في الحضور وإحضار السجل
بإشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق إلا إطمأنينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما جرى
وإذا تأملت هذا اندفع عنك كل إشكال في التوكل وفهمت أنه ليس من شرط التوكل ترك كل
تدبير وعمل وأن كل تدبير وعمل لا يجوز أيضاً مع التوكل بل هو على الأقسام وسائر تفصيله في
الأعمال فإذا فرغ التوكل إلى حول وقوته في الحضور والإحضار لا يناقض التوكل لأنه يعلم أنه لو لا الوكيل
لكان حضوره وإحضاره باطلاً وتعباً محضاً بلا جدوى فاذن لا يصير مفيداً من حيث إنه حول وقوته
بل من حيث إن الوكيل جعله مستمداً لحاجته وعرفه بذلك بأشارته وسنته فاذن لا حول ولا قوة إلا بالوكيل
إلا أن هذه الكلمة لا يكمل معناها في حق الوكيل لأنه ليس خالقاً حول وقوته بل هو جاعل لهما
مفيداً في أنفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فضل وإعما يصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى
إذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهما مفيدين إذ جعلهما شرطاً لما سيخلق
من بعدهما من القوائد وللتعاضد فاذن لا حول ولا قوة إلا بالله (١) وذلك قد يستبعد فيقال
كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بفهم لفظها
وهيات فأنما ذلك جزاء على هذه الشهادة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها إلى
كلمة لا إله إلا الله وثوابها كنسبة معنى إحداها إلى الأخرى إذ في هذه الكلمة إضافة شيتين إلى الله
تعالى قط وهما الحول والقوة ، وأما كلمة لا إله إلا الله فهو نسبة الكل إليه فأنظر إلى التفاوت بين
الكل وبين شيتين تعرف به ثواب لا إله إلا الله بالإضافة إلى هذا وكما ذكرنا من قبل أن لا توحيد
قشرين ولين فكذلك لهذه الكلمة ولسائر الكلمات وأكثر الخلق قبدوا بالقتربين واطرقوا
إلى اللين وإلى اللين الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «من قال لا إله إلا الله صادقا من قلبه غملا
وجبت له الجنة (٢)» وحيث أطلق من غير ذكر الصدق والإخلاص أراد بالطلق هذا التيقيد كما أضاف
للفترة إلى الإيمان والعمل الصالح في بعض المواضع وأضافها إلى مجرد الإيمان في بعض المواضع والرد
به التيقيد بالعمل الصالح فالملك لا يتأهل بالحديث وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضاً حديث ولكنه
حديث نفس وإعما الصدق والإخلاص وراهما ولا ينصب سرير الملك إلا للقرينين وهم المخلصون ، ثم
لمن يقرب منهم في الرتبة من أصحاب البين أيضاً درجات عند الله تعالى وإن كانت لا تنتهي إلى الملك
أما ترى أن الله سبحانه لما ذكر في سورة الواقعة للقرين السابقين تعرض لسرير الملك فقال - على

الرحمن قبيض له
شيطانا فهو له قرين -
وقال الله تعالى - إن
الذين اتقوا إذا مسهم
طائف من الشيطان
تذكروا فإذا هم
مبصرون - فبالقوى
وجود خالص الذكر
وبها يفتح باب ولا
يزال العبد يتقى حتى
يحمي الجوارح من
للكاره ثم يحمها من
الفتن والما لا يئنه
قصير أقواله وأفعاله
ضرورة ثم تتسقل
تقواه إلى باطنه ويظهر
الباطن ويقيده عن
للكاره ثم من الفضول
حتى يتقى حديث النفس
قال سهل بن عبد الله
أسوأ للعاصي حديث
النفس ويرى الإصغاء

سرر موضونة متكئين عليها متقابلين - ولما انتهى إلى أصحاب الجبلين مازد حتى ذكر للقاء والنظر والنواكد والأشجار والحوارمين وكل ذلك من لذات للنظر وللشروب وللأكل وللشكوح ويتصور ذلك البهائم على الفوام وأين لذات البهائم من قلة الملك والنزول في أعلى عليين في جوار رب العالمين ولو كان لهذه اللذات قدر لها وسعت على البهائم ولمارفت عليها درجة للملازمة أقرى أن أحوال البهائم وهي مسية في الرياض متمتعة بالماء والأشجار وأصناف للأكلات متمتعة بالنزوان والسفاد أعلى وأنواشرف وأجدر بأن تكون عند ذوى السكالم مغبوطة من أحوال للملازمة في سرورهم قرب من جوار رب العالمين في أعلى عليين هيئات هيئات ما يبعد عن التحصيل من إذاخير بين أن يكون حمار أو يكون في درجة جبريل عليه السلام فيختران درجة الحمار على درجة جبريل عليه السلام وليس يخفى أن شبه كل شيء منجذب إليه وأن النفس التي تزوعها إلى صنعة الأسماك أكثر من تزوعها إلى صنعة السكابة فهو بالأسماك أشبه في جوهره منه بالسكابة وكذلك من تزوع نفسه إلى نيل لذات البهائم أكثر من تزوعها إلى نيل لذات للملازمة فهو بالبهايم أشبه منه بالملازمة لاحتاجة هؤلاء هم الذين يقال فيهم - أولئك كالأنعام بل هم أضل - وإنما كانوا أضل لأن الأنعام ليس في قوتها طلب درجة للملازمة فتركها الطاب للعجز ، وأما الإنسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل السكالم أخرى بالذم وأجدر بالنسبة إلى الضلالتهما فتأخذ عن طلب السكالم. وإذا كان هذا كلاما معترضاً فليخرج إلى المقصود فقد بينا معنى قول لاه إله إلا الله ومعنى قول لا حول ولا قوة إلا بالله وأن من ليس قائلًا بهما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل . فان قلت ليس في قولك لا حول ولا قوة إلا بالله إلا نسبة شريين إلى الله فلو قال قائل انما هو الأرض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه ؟ فأقول لا، لأن الثواب على قدر درجة الثواب عليه ولا مساواة بين الدرجتين ولا ينظر إلى عظم الأرض وصغر الحول والقوة إن جاز وصفهما بالصغر تجوزا فليست الأمور بعظم الأشخاص بل كل حاشي يفهم أن الأرض والسماء ليستا من جهة الآدميين بل هما من خالق الله تعالى فأما الحول والقوة فقد أشكل أمرهما على المعزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعى أنه يصدق النظر في الرأي والمقول حتى يشق الشعر بعدة نظره فهي مهلكة عظيمة ومزلة عظيمة هلك فيها العاقلون إذ أثبتوا لأنفسهم أمرا وهو شرك في التوحيد وإثبات خالق سوى الله تعالى فمن جاوز هذا العقبة يتوفى الله تعالى إياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو الذي يصدق قول لا حول ولا قوة إلا بالله وقد ذكرنا أنه ليس في التوحيد إلا عقبتان. إحداهما: النظر إلى السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والقيم والمطر وسائر الجمادات. والثانية: النظر إلى اختيار الحيوانات وهي أعظم العقبتين وأخطرها وقبضتهما كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة أغنى ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجعها فأذرجع حال التوكل إلى التبري من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق وسيوضح عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل إن شاء الله تعالى .

بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل

ليتين أن عيشنا منا لا يخرج عما ذكرنا ولكن كل واحد يتشبه إلى بعض الأحوال فقد قال أبو موسى الدبلي قلت لأبي يزيد ما التوكل؟ قال ما تقول أنت قلت إن أصحابنا يقولون لو أن السباع والأفاعي عن عيناك وبسارك ما تحرك لذلك سررك قال أبو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتمتعون وأهل النار في النار يمتدبون ثم وقع بك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل فإذا ذكره أبو موسى فهو خير عن أجل أحوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذي هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة فإن ما قبله الله تعالى فيه بالواجب فلا تميز بين أهل النار

إلى ما تحدث به النفس
ذنباً فيتميه وينقد
القلب عند هذا الانقضاء
بالذكر افتاد الكواكب
في كبد السماء وبصير
القلب سماء عفو ظليزية
كواكب الله ذكر فادا
صار كذلك بسد
الشیطان ومثل هذا
العبد يسد في حقه
الخواطر الشيطانية
ولماته ويكون له
خواطر للنفس ويحتاج
إلى أن يتفهم ويميزها
بالم لأن منها خواطر
لا يضر إمتضاؤها
كطالبات النفس
بحاجاتها وحاجاتها
تنقسم إلى الحقوق
والحظوظ ويتمين
التمييز عند ذلك وإتمام
النفس بمطالبات

وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل العدل والحكمة وهذا أغمض أنواع العلم ووراءه سر القدر وأبو زيد قلنا يتكلم إلا عن أعلى المقامات وأقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحياة شرطاً في اللقائ الأول من التوكل قد احتراز أبو بكر رضي الله عنه في الغار إذ سجد منافذ الحيات (١) إلا أن يقال فعل ذلك برجله ولم يثير بسببه سره أو يقال إنما فعل ذلك شفقة في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في حق نفسه وإنما يزول التوكل بتحريك سره وخبره لأمر يرجع إلى نفسه ولتنظر في هذا العمل ولكن سيأتي بيان أن أمثال ذلك وأكثر منه لا يناقض التوكل فإن حركة السر من الحيات هو الخوف وحق التوكل أن يخاف مسلط الحيات إذ لا حول للحيات ولا قوة لها إلا بالله فإن احترازك يمكن إنكساره على تديره وحوله وتوتري الاحتراز على خالق الحول والقوة والتدبير . وسئل ذو النون المصري عن التوكل فقال خلع الأرباب وقطع الأسباب غلغ الأرباب إشارة إلى علم التوحيد وقطع الأسباب إشارة إلى الأعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وإن كان اللفظ يتضمنه قليل له زدنا فقال إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية وهذا إشارة إلى التبري من الحول والقوة قطع . وسئل حمدون القصار عن التوكل فقال إن كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دائق دين لم تأمن أن تموت دينك ويبقى دينك في عفتك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء لآتيا من الله تعالى أن يقضها عنك وهذا إشارة إلى مجرد الإيمان بسعة القدرة وأن في القدورات أسباباً خفية سوى هذه الأسباب الظاهرة وسئل أبو عبيد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله تعالى في كل حال قال السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو التوكل لذلك فالأول مقام للمقامات الثلاث والثاني إشارة إلى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل إبراهيم صلى الله عليه وسلم إذ قاله جبريل عليه السلام ألك حاجة فقال أما إليك فلا، إذ كان سؤاله سبباً يقضي إلى سبب وهو حفظ جبريل له ترك ذلك ثقة بأن الله تعالى إن أراد سخر جبريل لذلك فيكون هو للتوكل لذلك وهذا حال مبيوت غائب عن نفسه بالله تعالى قام برمه غيره وهو حال عزيز في نفسه ودوامه إن وجد أبعد منه وأعز . وقال أبو سعيد الخزاز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله يشير إلى المقام الثاني فسكونه بلا اضطراب إشارة إلى سكون القلب إلى الوكيل وحقته به واضطراب بلا سكون إشارة إلى فزعه إليه واجتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه إلى أمه وسكون قلبه إلى غم شفقتها . وقال أبو علي السائي التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالتوكل يسكن إلى وعده والسلم يكتفي بقلبه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذا إشارة إلى تفاوت درجات نظره بالإضافة إلى المنظور إليه فإن العلم هو الأصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد أن يكون الغالب على قلب التوكل ملاحظة شيء من ذلك وللشيوخ في التوكل آقاويل سوى ما ذكرناه فلا ننطوي بها فإن الكشف أضع من الرواية والنقل فهذا ما يتعلق بحال التوكل والله الموفق برحمته ولطفه .

بيان أعمال التوكلين

اعلم أن العلم بمرور الحال والحال يثمر الأعمال وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب باليد وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة وكالحم على الوضوء وهذا ظن الجهال فإن ذلك حرام في الشرع والشرع قد أمضى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل تكشف الغطاء عنه وتقول إنما يظهر تأثير التوكل في حركة اليد وسعيه بطله إلى مقاصده وسمى السبب باختياره إما أن يكون لأجل جلب نافع أو مفقود عنده كالسبب أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار أو دفع ضرر لم يزل به كدفع الصائل والسارق والسياع أو لإزالة ضرر قد زل به

(١) حديث إن أبا بكر سجد منافذ الحيات في الغار شفقة على النبي صلى الله عليه وسلم تقدم .

المحظوظ قال الله تعالى
- يا أيها الذين آمنوا
إن جاءكم فاسق بنبأ
فختبوا - أي فختبوا
وسبب زول الآية
الوليد بن عتبة حيث
بشه رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى بني
المصطلق فكذب عليهم
ونسبهم إلى الكفر
والصبيان حتى م
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقتلهم ثم
بش حاله إليهم فسمع
أفان المغرب والعشاء
ورأى ما بدّل على
كذب الوليد بن عتبة
فأنزل الله تعالى الآية
في ذلك فظاهر الآية
وسبب نزولها ظاهر
وصار ذلك تنبيه من
الله عباده على التثبت

كالتداوى من المرض فقصود حركات العبد لاتمدو هذه العنون الأربعة وهو جلب النافع أو حفظه أو دفع الضرر أو قطعه فانذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع .

[الفن الأول : في جلب النافع] فنقول فيه : الأسباب التي بها جلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وبها لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن إليه . الدرجة الأولى : التقطوع به ، وذلك مثل الأسباب التي ارتبطت السيئات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف كما أن الطعام إذا كان موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج ولكذك لست تمد اليد إليه وتقول أنا متوكل ، وشروط التوكل ترك السعي ومد اليد إلى السعي وحركة وكذلك مضغه بالأسنان وابتلاعه بإطباق أعالي الحنك على أسافله فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فانك إن انتظرت أن يخلق الله تعالى فيك شيئا دون الخبز أو خلق في الخبز حركة إليك أو يسخر ملكا ليضغه لك ويوصله إلى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزدع الأرض وطعنت في أن يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر أو تله زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل ذلك جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه فليس التوكل في هذا اللقاع بالعمل بل بالحال والعلم . أما العلم . فهو أن تعلم أن الله تعالى خالق الطعام واليد والأسنان وقوة الحركة وأنه هو الذي يطعمك ويسقيك . وأما الحال فهو أن يكون سكون قلبك واعتادك على فعل الله تعالى لاهل اليد والطعام وكيف تعتمد على محبة يدك وربما نجف في الحال وتفلج ، وكيف تعمل على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويطل قوة حركتك ، وكيف تعمل على حضور الطعام ، وربما يسلط الله تعالى من يهلكك عليه أوبعث حية تزحف عن مكانك وتفرق بينك وبين طعامك . وإذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج إلا بفضل الله تعالى فبذلك تلتفزع وعليه فلتعول فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل . الدرجة الثانية : الأسباب التي ليست متيقنة ولكن الغالب أن السيئات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يشارك الأمصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطررها الناس إلا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الأولين ، ولا يزول التوكل به بعد أن يكون الإعتاد على فضل الله تعالى لاهل الزاد كما سبق ولكن فصل ذلك جائز . وهو من أعلى مقامات التوكل ولذلك كان يعملها الخواص فان قلت : فهذا سعي في الهلاك وإلقاء النفس في التهلكة . فاعلم أن ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين : أحدهما أن يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام أسبوعا وما يقاربه بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشوش خاطر وتعد في ذكر الله تعالى . والثاني أن يكون بحيث يقوى على التقوى بالحشيش وما يتفق من الأشياء الحسية فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الأمر في البوادي في كل أسبوع عن أن يلقأ آدمي أو يتسبى إلى حلة أو قرية أو إلى حشيش يجترى به فيجيا به مجاهدا هسه . والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يقول الخواص ونظراؤه من للتوكلين . والدليل عليه أن الخواص كان لا تشاركه الإبرة وللقراض والحبل والركوة ويقول . هذا لا يتنجس في التوكل . وسببه أنه علم أن البوادي لا يكون للماء فيها على وجه الأرض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البرفير لدلو ولجل ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج إليه ولو شربه كل يوم مرات ولطشه في كل يوم أو يومين مرة فان السافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وإن صبر عن الطعام

في الأمور قال سهل في
هذه الآية الفاسق
الكذاب والكذب
صفة النفس لأنها
تمسك الأشياء وتناول
أشياء على غير حقائقها
فتمسك التثبت عند
خاطرها وإلزامها
فيجعل العبد خاطرا
النفس بسا يوجب
التثبت ولا يستغفزه
الطبع ولا يستعجله
الموى فقد قال بعضهم
أدنى الأدب أن تقف
عند الجهل . وآخر
الأدب أن تقف عند
الشبهة . ومن الأدب
عند الاشتباه . إنزال
الخاطر بحركة النفس
وخالفها وإبرئها
وقاطرها وإظهار التقوى
والعاقبة إليه والاعتفاف

وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق تتكشف عورته ولا يوجد القراض والبرقة في البوادي غالباً عند كل صلاة ولا يقوم مقامهما في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي فكل ما في معنى هذه الأربعة أيضاً يلتحق بالدرجة الثانية لأنه مظنون ظناً ليس مقطوعاً به لأنه يحتمل أن لا يتخرق الثوب أو يعطيه إنسان ثوباً أو يجد على رأس البئر من يسقيه ولا يحتمل أن يتحرك الطعام بمضغاً إلى فيه فينبئ الدرجتين فرقان ولكن الثاني في معنى الأول ولهذا أهولوا نوحاً إلى شعب من شعاب الجبال حيث لأماء ولا حشيش ولا بطرقة طارق فيه وجلس متوكلاً فهو آثم بمساع في هلاك نفسه كملوكي أن زاهداً من الزهاد فارق الأمصار وأقام في سفح جبل سبعا وقال لأسأل أحداً شيئاً حتى أتيني رب برزقي فبعد سبعا فكاد يموت ولم يأت رزق فقال يارب إن أحييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي ولا فاقضي إليك فأوحى الله جل ذكره إليه وعزى لأرزقك حتى تدخل الأمصار وتقدم بين الناس فدخل مصر وقد جاءه هذا بطعام وهذا شراب فأكل وشرب وأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أردت أن تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا أما علمت أني أن أرزق عبدي بأيدي عبادي أحب إلي من أن أرزقه بيد قدرتي فاذن التباعد عن الأسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الأسباب لا يناقض التوكل كما ضربناه مثلاً في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الأسباب تنقسم إلى ظاهرة وإلى خفية فمعنى التوكل الاكتفاء بالأسباب الخفية عن الأسباب الظاهرة مع سكون النفس إلى مسبب السبب لا إلى السبب. فان قلت فما قولك في القوم في البلد بغير كسب أهو حرام أو مباح أو مندوب. فاعلم أن ذلك ليس بحرام لأن صاحب السياحة في البادية إذا لم يكن مهلكاً نفسه فهذا كيف كان لم يكن مهلكاً نفسه حتى يكون قطعاً حراماً بل لا يبعد أن يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه والصبر يمكن أن لا يتفق ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لأحد إليه ففعله ذلك حرام وإن قسح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج أولى له ولكن ليس فعله حراماً إلا أن يشرف على اللوث ففعل ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وإن كان مشغول القلب بالله غير مستشرف إلى الناس ولا متطلع إلى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه بل تطلعه إلى فضل الله تعالى واشتغله بالله فهو أفضل وهو من مقامات التوكل وهو أن يشتغل بالله تعالى ولا يهتم برزقه فان الرزق يأتيه لا بمحالة وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء وهو أن البعد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من اللوث لأدركه وأنه لو سأل الله تعالى أن لا يرزقه لما استجاب وكان عاصياً وقال له يا جاهل كيف أخلقك ولا أرزقك، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما اختاف الناس في كل شيء إلا في الرزق والأجل فانهم أجمعوا على أن لا رازق ولا ميمت إلا الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم «لو تولوكم على الله حقاً توكله لرزقكم كما يرزق الطير تزدو خفاصاً وتروح بطاناً ولزالت بدعاكم الجبال»^(١) وقال عيسى عليه السلام: انظروا إلى الطير لا تزعم ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يومياً يومياً. فان قلتم نحن أكبر بطونا فانظروا إلى الأنعام كيف يقض الله تعالى لها هذا الحق الرزق. وقال أبو يعقوب السوسي للتوكلون تجري أرزاقهم على أيدي العباد بالاتباع منهم وغيرهم مشغولون مكمدودون. وقال بعضهم العبيد كلهم في رزق الله تعالى ولكن بعضهم يأكل

بالجمل وطلب للرفة والمونة منه فانه إذا أتى بهذا الأدب ينأى ويهان ويتبين له هل الحاضر لطلب حظاً أو طلب حق فان كان لحق أن مضاه وإن كان للحظ ففاه وهذا التوقف إذا لم يتبين له الحاضر بظاهر العلم لان الافتقار إلى إطن العلم عند فقد الدليل في ظاهر العلم ثم من الناس من لا يسمه في صحته إلا الوقوف على الحق دون الحظ وإن أمضى خاطر الحظ يصير ذلك ذنب حاله فيستغفر منه كما يستغفر من الذنوب ومن الناس من يدخل في تناول الحظ ويمضي خاطره

(١) حديث لو تولوكم على الله حق توكله الحديث وزاد في آخره ولزالت بدعاكم الجبال وقد تقدمنا قريباً دون هذه الزيادة فرواها الامام محمد بن نصر في كتاب تعظيم قدر الصلاة من حديث معاذ ابن جبل باسناد فيه لين لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعاكم الجبال ورواه البيهقي في الزهد من رواية وهيب الكلي مرسلاً دون قوله لمشيتم على البحور وقال هذا منقطع.

بذل كالسؤال ويضهم تبع وانتظار كالتجار ويضهم بائنان كالصانع ويضهم بمز كالسوفية يشهدون
 العزى فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الوسطة . الدرجة الثالثة : ملاسة الأسباب التي توهم
 إفضاؤها إلى للسيئات من غير قوة ظاهرة كالذي يستقى في التديرات الدقيقة في خصيل الاكتساب
 ووجوهه وذلك يخرج بالكسبة عن درجات التوكل كلها وهو الذي فيه الناس كلهم أعنى من يكتسب
 بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لمال مباح فأما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية
 الحرص على الدنيا والالتكال على الأسباب فلا يخفى أن ذلك يطل التوكل وهذا مثل الأسباب التي
 نسبتها إلى جلب النافع مثل نسبة الرقية والطيرة والحكي بالإضافة إلى إزالة الضار فإن النبي صلى الله عليه
 وسلم وصف للتوكلين بذلك ولم يفهم بأنهم لا يكتسبون ولا يسكنون الأمصار ولا يأخذون من أحد
 شيئا بل وصفهم بأنهم يتباطون هذه الأسباب وأمثال هذه الأسباب التي يوفق بها في للسيئات بما يكثر
 فلا يمكن إحصاؤها . وقال سهل في التوكل إنه ترك التدبير وقال إن الله خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه
 وإنما حجبهم بتدبيرهم ولله أراد به استنباط الأسباب البعيدة بالفكر فهي التي تحتاج إلى التدبير دون
 الأسباب الجلية لأن قد ظهر أن الأسباب منقسمة إلى ما يخرج التعلق بها عن التوكل وإلى ما لا
 يخرج وأن الذي يخرج ينقسم إلى مقطوع به وإلى مظنون وأن المقطوع به لا يخرج عن التوكل
 عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الأسباب فالنحوك فيها بالحال والعلم لا بالعمل.
 وأما المظنونات فالنحوك فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في ملاسة هذه الأسباب على
 ثلاثة مقامات : الأول : مقام الخواص ونظر أنه هو الذي يدور في البوادي يشير زادة فضل الله تعالى
 عليه في توفيقه على الصبر أسبوعا وما فوقه أو تيسير حديش له أو قوت أو تثبيت على الرضا بالموت إن
 لم يتيسر شيء من ذلك فإن الذي يحمل الزاد قد يفقد الزاد أو يصل بغيره ويموت جوعا فذلك يمكن مع
 الزاد كما يمكن بغيره مع فقده . المقام الثاني : أن يعد في بيته أو في مسجد ولكنه في القرى والأمصار وهذا
 أصنف من الأول ولكنه أيضا متوكل لأنه تارك للكسب والأسباب الظاهرة معمول على فضل الله
 تعالى في تدبير أمره من جهة الأسباب الخفية ولكنه بالقعود في الأمصار متعرض لأسباب الرزق فإن
 ذلك من الأسباب الجالبة إلا أن ذلك لا يطل توكله إذا كان نظره إلى الذي يسخر له سكان البلد
 لا يصل رزقه إليه لا إلى سكان البلد إذ تصور أن يغفل جميعهم عنه ويضيئهم لولا فضل الله تعالى
 بتصرفهم وتحريك دواعيهم . المقام الثالث : أن يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه
 في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب وهذا السعي لا يخرجها أيضا عن مقامات التوكل
 إذا لم يكن طمانينة نفسه إلى كفايته وقوته وجهه وبضاعته فإن ذلك ربما يهلكه الله تعالى جميعه في
 لحظة بل يكون نظره إلى الكفيل الحق يحفظ جميع ذلك وتيسر أسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته
 وكذايته بالإضافة إلى قدرة الله تعالى كإبراهيم في يد الملك الموقع فلا يكون نظره إلى القلم بل إلى قلب
 الملك أنه بماذا يتحرك وإلى ماذا يعمل وبم يحكم ثم إن كان هذا للكسب مكتسبا لغيره أو لغيره
 على السلكين فهو بيده مكتسب وقبله عنه منقطع خال هذا أشرف من حال القاعد في بيته . والدليل
 على أن الكسب لا ينافي حال التوكل إذا روعيت فيه الشروط وانضاف إليه الحال واللعرفة كاسبق أن
 الصديق رضي الله عنه لما بويج بالخلافة أصبح أخذًا الأبواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق
 ينادي حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف تفعل ذلك وقد آثمت خلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عمالي
 فاني إن أضعتهم كنت لحاسوام أضيع حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك رأى
 مساعدتهم ولطيب قلوبهم واستغرق الوقت بمصالح المسلمين أولى ويستحيل أن يقال لم يكن الصديق

بمزيد علم لديه من الله
 وهو علم السعة لعبد
 مأذون له في السعة عالم
 بالأذن فيمضي خاطر
 الحظ والمراد بذلك
 على بصيرة من أمره
 يحسن به ذلك ويليق
 به عالم بزيادته وتقصاته
 عالم بحاله محكم لحكم
 الحلال وعلم القيام
 لا يقاس على حاله ولا
 يدخل فيه بالتقليد
 لأنه أمر خاص لعبد
 خاص وإذا كان شأن
 العبد تميز خواطر
 النفس في مقام تخلصه
 من لمسات الشيطان
 تكثر لديه خواطر
 الحق وخواطر الملك
 وتصير الخواطر الأربعة
 في حقه ثلاثا ويسقط
 خاطر الشيطان إلا

في مقام التوكل فمن أولى هذا المقام منه فدل على أنه كان متوكلاً لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات إلى قوته وكفايته والعلم بأن الله هو ميسر الاكتساب ومدبر الأسراب وشروط كان يراعها في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير أن يكون درهمه أحب إليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرمه أحب إليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحِبُّ لها ولا يصح التوكل إلا مع الزهد في الدنيا، نعم يصح الزهد دون التوكل فإن التوكل مقام وراء الزهد . وقال أبو جعفر الحداد وهو شيخ الخنيزر :^{٢٧} عليهما وكان من التوكلين : أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت أكتسب في كل يوم ديناراً ولا أبيت منه دافقاً ولا أستريح منه إلى قيراط أدخل به الحمام بل أخرجه كله قبل الليل وكان الجند لا يتكلم في التوكل بحضرة وكان يقول أستحي أن تسلم في مقامه وهو حاضر عندي . واعلم أن الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل فإن لم يكن معلوم ووقتوا أمروا الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل إلا على ضعف ولكن قوى الحال والعلم كتوكل المكتسب وإن لم يسألوا بل قنعوا بما يحمد إليهم فهذا أقوى في توكلهم لكنه بعد اشتهار القوم بذلك فقد صار لهم سوقاً فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلاً إلا بشروط كثيرة كما سبق . فان قلت لما الأفضل أن يعمدني بيته أو يخرج ويكتسب ؟ فاعلم أنه إن كان يتفرغ بترك الكسب لفكر وذكر وإخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا تستشرف نفسه إلى الناس في انتظار من يدخل عليه فيحمل إليه شيئاً بل يكون قوى القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى فالعمود له أولى وإن كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف إلى الناس فالكسب أولى لأن استشراف القلب إلى الناس سؤال بالقلب وتركه أهم من ترك الكسب وما كان للتوكلون يأخذون ما لا يستشرف إليه نفوسهم . كان أحمد بن حنبل قد أمر أبا بكر المروزي أن يبطي بعض الفقراء شيئاً فضلاً عما كان استأجره عليه فردّه فلما ولى قال له أحمد الحق وأعطه فانه يقبل فليخه وأعطاه فأخذه فقال أحمد عن ذلك فقال كان قد استشرفت نفسه فرد فلما خرج انقطع طعمه وأيس فأخذ . وكان الخواص رحمه الله إذا نظر إلى عبد في البطالة أو خاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيئاً . وقال الخواص بعد أن سئل عن أعجب ما رآه في أسفاره رأيت الحضر ورضى بصحبتي ولكني فارقته خيفة أن تسكن نفسي إليه فيكون نقصاً في توكلتي فاذا كنت الكسب إذا راعى آداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب وهو أن لا يقصد به الاستكثار ولم يكن اعتياده على بضاعته وكفايته كان متوكلاً . فان قلت لما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية . فأقول علامته أنه إن سرقت بضاعته أو خسرت تجارتها أو توفق أمر من أموره كان راضياً به ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحداً فإن من لم يسكن إلى شيء لم يضطرب لفقده ومن اضطرب لفقده شيء فقد سكن إليه وكان بشر يعمل للمآزل فتركها وذلك لأن البعادي كاتبه قال بلقي أنك استعنت على رزقك بالمآزل أرايت إن أخذ الله سمكك وبصرك الرزق على من ؟ فوقع ذلك في قلبه فأخرج آلة المآزل من يده وتركها وقيل تركها لما نوهت باسمه وقصد لأجلها وقيل فعل ذلك لما مات عياله كما كان لسفان خمسون ديناراً يتجر فيها فلما مات عياله فرحها . فان قلت فكيف يتصور أن يكون له بضاعة ولا يسكن إليها وهو يعلم أن الكسب بغير بضاعة لا يمكن . فأقول بل بأن يعلم أن الدين يزقههم الله تعالى بغير بضاعة فيهم كثرة وأن الذين كثرت بضاعتهم فسرت وهلكت فيهم كثرة وأن يوطن نفسه على

نادراً لضيق مكانه من النفس لأن الشيطان يبدل بطريق اتساع النفس واتساع النفس باتباع الهوى والإخلاد إلى الأرض ومن ضائق النفس على التميز بين الحق والحظ ضائق نفسه وسقط عمل الشيطان إلا نادراً لم يتحول إلا ابتلاء عليه ثم من للرادين المتعلقين بمقام المقيمين من إذا صار قلبه سبباً مزينا بزيئة كوكب الذكر يصير قلبه سبباً يترقى ويخرج ياطنه ودهنه وحقيقته في طبقات السموات وكلما ترقى تضاد النفس للطمشة وتبعد عنه خواطرها حتى يجاوز السموات

أن الله لا يفعل به إلا ما فيه صلاحه فان أهلك بضاعته فهو خير له فقلعة لوركة كان سببا لنسباده
وقد لطف الله تعالى به وفاقته أن يموت جوعا فينبغي أن يستعد أن الموت جوعا غير له في الآخرة مهما
قضى الله تعالى عليه بذلك من غير تقصير من جهته فاذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود
البضاعة وعندها في الخبر «إن البعد لهم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو فقهه لكان فيه
هلاكة فينظر الله تعالى إليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجواره وابن عمه
من سبق من دهاني وماهي إلا رحمة رحمة الله بها (١) » ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا بالي أصبحت
غنيا أو فقيرا فاني لأدري أيهما خير لي ومن لم يتكامل يقينه بهذه الأمور لم يتصور منه التوكل
ولذلك قال أبو سليمان النخعي لأحمد بن أبي الحواري لي من كل مقام نصيب الإيمان هذا التوكل
البارك فاني ما جمعت منه راحة هذا كلامه مع علو قدره ولم ينكر كونه من اللقائات للمكة ولكنه
قال ما أدركته ولله أراد إدراك أقصاه وما لم يكمل الإيمان بأن لا فاعل إلا الله ولا رازق سواه وأن
كل ما يقدره على البعد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتعمده البعد لم يكمل حال التوكل
فبناء التوكل على قوة الإيمان بهذه الأمور كما سبق وكذا سائر مقامات الله من الأقوال والأعمال
تنبئ على أمورها من الإيمان . وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين
ولذلك قال سهل من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك التكسب فقد
طعن على التوحيد . فان قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون إلى الأسباب
الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تيسير الأسباب الحفية . فأقول نعم هو أن تعرف أن سوء الظن
تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله تعالى قال الله تعالى - الشيطان يمدك الفقر ويأمرك بالفحشاء
والله يمدك بغفرته منه فضلا - فان الانسان بطبعه مشغوف ببيع تخويف الشيطان ولذلك قيل
الشفيق يسوء الظن عليا غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الأسباب
الحفية أيضا تبطل التوكل فقد حكى عن عابد أنه عكف في مسجد ولم يكن له ملامح فقال له الامام
لوا اكتسبت لكان أفضل لك فلم يجبه حتى أعاد عليه ثلاثا فقال في الرابة يهودى في جوار للسجد
قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال إن كان صادقا في ضمانه فكوفك في للسجد خير لك فقال يا هذا
لولم تكن إماما تقف بين يدي الله وبين الصادق مع هذا النقص في التوحيد كان خيرا لك إذ فضلت
وعند يهودى على ضمان الله تعالى بالرزق . وقال إمام للسجد لبعض المصلين من أين تأكل؟ فقال يا شيخ
أصبر حتى أعيده الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيئك . وينفع في حسن الظن بجمعي الرزق من فضل
الله تعالى بواسطة الأسباب الحفية أن تسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله تعالى في وصول
الرزق إلى صاحبه وفيها عجائب قهر الله تعالى في إهلاك أموال التجار والأغنياء وقتلهم جوعا كما يرى
عن حذيفة الراعي وقد كان ختم إبراهيم بن آدم قيل له ما أذهب ما رأيت منه فقال بقينا في
طريق مكة أياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب فنظر إلى إبراهيم وقال
يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس لجفت به إليه فكتب :
بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه بكل حال والمشار إليه بكل معنى وكتب شعرا :

(١) حديث إن البعد لهم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو فقهه لكان فيه هلاكة فينظر الله
إليه من فوق عرشه فيصرفه عنه الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف
جدا نحوه إلا أنه قال إن البعد ليشرى على حاجة من حاجات الدنيا الحديث بنحوه .

بروح باطنه كما كان
ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم بظاهرة
وقلبه فاذا استكمل
الروح تقطع عنه
خاطر النفس لتسره
بأنوار القرب وبعد
النفس عنه وعند ذلك
تقطع عنه خواطر
الحق أيضا لأن الخاطر
رسول والرسالة إلى من
بعد وهذا قريب وهذا
الذي وصفناه نازل
ينزل به ولا يدوم بل
يعود في هبوطه إلى
منازل مطالبات النفس
وخاوطه فتعود إليه
خواطر الحق وخواطر
للك وذلك أن الخواطر
تستدعي وجودا وما
أشرنا إليه حال الفناء
ولا خاطر فيه وخواطر

أنا حامد أنا شاكر أنا ذا كر أنا جامع أنا ضائع أنا عارى
 هى سنة وأنا الضمين لنصفها فكأن الضمين لنصفها يابارى
 مدحى لثورك لخب نار خضتها فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع إلى الرقة فقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقة إلى أول من يملكك فخرجت فأول من تلقى كان رجلا على بئله فتناولته الرقة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقة قتلت هو في المسجد القلاني فدفع إلى صرة فيها ستائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن ركب البئلة فقال هذا نصراني فحنت إلى إبراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يحس الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني وأكب على رأس إبراهيم يقبله وأسلم . وقال أبو يعقوب الأقطع البصري : جئت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضيفا فحدثني قسى بالخروج فخرجت إلى الوادي لم أجد شيئا يسكن ضمني فرأيت ساجدة مطروحة فأخذتها فوجدت في قلبها منها وحشة وكان قائلا يقول لى جئت عشرة أيام وآخره يكون حظك سلجبة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد وقعدت فإذا أنا برجل أعجمي قد أقبل حتى جلس بين يدي ووضع قطرة وقال هذه لك قتلت كيف خصصتني بها قال أعلم أنا كنا في البحر منذ عشرة أيام وأشرقت السفينة على الفرق فنذرت إن خلصني الله تعالى أن أصدق بهذه على أول من يقع عليه بصرى من المجاورين وأنت أول من لقيتني فقلت اقتحمها ففتحها فإذا فيها ميمد مصرى ولوز مقشور وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقي إلى أصحابك هدية منى إليكم وقد قبلها ثم قلت في قسى رزقك يسر إليك من عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادي : وقال عمشاد الدينوى : كان على دين فاشتغل قلبى بسبيه فرأيت في النوم كأن قائلا يقول يا غيل أخلت علينا هذا القدار من الدين خذ عليك الأخذ علينا المطاء لما حاسبت بعد ذلك بقالا ولاصبا ولاغيرهما . وحكى عن بنان الجمال قال : كنت في طريق مكة أجيء من مصر ومعى زادفجاءته امرأة وقالت لى بإنان أنت حمال تحمل على ظهره الزادوتوهم أنه لا يرزقك قال فرميت زادى ثم أتى على ثلاث لم أكل فوجدت خاخالا في الطريق فقلت في قسى أحمله حتى يحس صاحب فرميا يعطيني شيئا فأرده عليه فإذا أنا بذلك المرأة فقلت لى أنت تاجر تقول عسى يحس صاحب فأخذ منه شيئا ثم رمت لى شيئا من الدراهم وقالت أتعقها فاكفيت بها لى قريب من مكة . وحكى أن بنانا احتاج إلى جارية تخدعه فانبسط إلى إخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا يحس الثغير فاشتري ما يوافق فلما ورد الثغير اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا إنها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه فقال إنها ليست للبيع فألقوا عليه فقال إنها لبنان الجمال أهدتها إليه امرأة من ممرقند فحملت إلى بنان وذكرت له القصة . وقيل كان في الزمان الأول رجل في سفر ومعه قرص فقال إن أكلته مت فوكل الله عز وجل به ملكا وقال إن أكله فارزقه وإن لم يأكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص معه إلى أن مات ولم يأكله وبقي القرص عنده . وقال أبو سعيد الخراز : دخلت البادية بغير زاد فأصابني فاقة فرأيت للرحلة من بيد فسررت بأن وصلت ثم فكرت في قسى أتى سكنت وانسكت على غيره وآليت أن لا أدخل للرحلة إلا أن أحمل إليها ففحرت لنفى في الرمل حفرة وواريت جسدى فيها إلى صدرى فسمعت صوتا في نصف الليل عاليا بأهل للرحلة إن لله تعالى وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فأخرجوني وحملوني إلى القرية . وروى أن رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه فإذا هو يقاتل يقول : يا هذا هاجرت إلى عمر أؤدى الله تعالى ذهاب ففعل القرآن فانه سيحك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب حتى افتقد عمر فاذا هو قد اعتزل

الحق اتسقى لمكان
 القرب وخاطر النفس
 بعد عنه بعد النفس
 وخاطر الملك تخلف عنه
 كنخلف جبريل في ليلة
 للعراج عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 حيث قال . لودنوت
 أنملة لا حترقت . قال
 محمد بن على الترمذى
 المحدث واللكم إذا
 تخففت في درجتهم لم يخافا
 من حديث النفس
 فكأن أن النبوة
 مخفوفة من لقاء
 الشيطان كذلك عمل
 للكملة والحادثة
 محفوظ من لقاء النفس
 وفتحها ومخروس بالحق
 والسكينة لأن السكينة
 حجاب للكم والمحدث
 مع نفسه . وصحت

واشتغل ، لعبادة فجاءه عمر فقال له : إني قد اشتقت إليك فما الذي شغلك عني فقال إني قرأت القرآن فأغتنى عن عمر وآل عمر فقال عمر رحمك الله - الذي وجدت فيه فقال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وماتوا عدون - فقلت رزقي في السماء : " طلبه في الأرض وبكى عمر وقال صدقت فكان عمر بعد ذلك يأتيه ويجلس إليه . وقال أبو حمزة الخراساني حجبت سنة من السنين فينا أنا أمشي في الطريق إذ وقفت في بئر فنازعتني نفسي أن أستغيث قنلت لا والله لا أستغيث فاستعصمت هذا الحمار حتى مر رأس البرجلان فقال أحدهما للآخر تعال حتى نسد رأس هذا البئر كدقيق فيه أحد فأتوا بقصب وبارية وطمور رأس البئر فعممت أن أمسح قنات في نفسي إلى من أصرح هو أقرب منهما وسكنت فينا أنا بعد ساعة إذ بان شيء جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكأه . يقول تلقى في مهمته كنت أعرف ذلك فعملت به فأخرجني فإذا وسيع ثم وهبني هاتفي بأحمزة ليس هذا أحسن نعيمك من التائب بالتائب فشيت وأنا أقول :

نهاني حيائي منك أن أكشف الهوى وأغنييتي بالهمم منك عن الكشف
تلطفت في أمري فأبدت عاهدي إلى غايي والطف يدرك بالطف
ترأيت لي بالتعب حتى صكأنا بيمرني بالتعب أنك في الكف
أراك وبني من هيق لك وحشة فتؤنسني بالطف منك وبالطف
وتحسي محبا أنت لي الحب حننه وإذا عجب كون الحياة مع الحنف

وأمثال هذه الوقائع مما يكثر وإذا قوى الإيمان به وانضم إليه القدرة على الجوع قدر أسبوع من غير ضيق صدر وقوى الإيمان بأنه إن لم يسق إليه رزقه في أسبوع فالموت خير له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه ، ثم التوكل بهذه الأحوال وللشاهدات وإلا فلا يتم أصلا .

بيان توكل الليل

اعلم أن من له عيال فحكه يشارك للتفرد لأن للتفرد لا يصح توكله إلا بأمرين : أحدهما قدرته على الجوع أسبوعا من غير استشراف وضيق نفس . والآخر أبواب من الإيمان ذكرناها من جعلتها أن يطيب نفسا بالموت إن لم يأت به رزقه علما بأن رزقه الموت والجوع وهو وإن كان قصا في الدنيا فهو زيادة في الآخرة فيرى أنه سرق إليه خير الرزقين له وهو رزق الآخرة وأن هذا هو اللرض الذي به يموت ويكون راضيا بذلك وأنه كذا قضى وندر له فهذا يتم التوكل للتفرد ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن أن يقرر عندهم الإيمان بالتوحيد وأن الموت على الجوع رزق مضبوط عليه في نفسه إن اتفق ذلك نادرا وكذا سائر أبواب الإيمان فاذن لا يمكنه في حقهم إلا توكل للكسب وهو اللقائم الثالث كتوكل أبي بكر الصديق رضي الله عنه إذ خرج للكسب فأما دخول البوادي وترك العيال توكل في حقهم أو القعود عن الاهتمام بأمرهم توكل في حقهم فهذا حرام وقد بفضي إلى هلاكهم ويكون هو مؤاخذا بهم بل التحقيق أنه لا فرق بينه وبين عياله فإنه إن ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة على الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنمة في الآخرة فله أن يتوكل في حقهم ونفسه أيضا عيال عنده ولا يجوز له أن يضعها إلا أن تساعده على الصبر على الجوع مدة فإن كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتشوش عليه عبادته لم يجز له التوكل . ولذلك روي أن أبا تراب النخعي نظر إلى سوق يمدد إلى قنبر بطيخا كله بعد ثلاثة أيام فقال له لا يصاح لك التصوف الزم السوق أي لا تصوف إلا مع التوكل ولا يصح التوكل إلا لمن يصبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام . وقال أبو علي الروضاري إذا قال الفتيير بعد خمسة أيام أنا جائع فأزموه السوق ومروه بالعمل والكسب فاذن بدنه عياله وتوكله فيما يضر يئده كتوكله في عياله وإعنا بما رهم في شيء واحد وهو أن له تكليف نفسه الصبر على الجوع

الشيخ أبو محمد بن
عبد الله البصري
بالصرة يقول الخواطر
أربعة : خاطر من
النفس وخطر من
الحق وخطر من
الشیطان وخطر من
الملك فأما الذي من
النفس فيحسن به من
أرض القلب والذي
من الحق من فوق
القلب والذي من الملك
عن بين القلب والذي
من الشيطان عن يسار
القلب والذي ذكره
إنما يصح لبيد أذاب
نفسه بالتقوى والزهد
وتصفى وجوده واستقام
ظاهره وباطنه
فيكون قلبه كالمرآة
المسحورة لا يأتيه
الشیطان من ناحية

وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا أن التوكل ليس انقطاعا عن الأسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة أو الرضا بالموت إن تأخر الرزق نادرا وملازمة البلاد والأمصار أو ملازمة البوادي التي لا تختلف عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الأذى إلا يمكن الاستمرار عليه إلا بالصبر والتوكل في الأمصار أقرب إلى الأسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الأسباب إلا أن الناس عدلوا إلى أسباب أظهر منها فلم يدركوا تلك أسبابا وذلك لضعف إيمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الأذى في الدنيا لأجل الآخرة واسقلاء الجبن على قلوبهم بسادة الظن وطول الأمل ومن نظروا في ملكوت السموات والأرض انكشف له تحقيقا أن الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يحاوز الصبر وقدره وإن ترك الاضطراب فإن العاجز عن الاضطراب لم يحاوزه رزقه أما ترى الجنين في بطن أمه لما أن كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالأم حتى تنتهي إلى فضلات غذاها الأم بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ثم لما انفصل سبط الحب والشفقة على الأم لتتكفل به شامت أمهأت اضطرابا من الله تعالى إليه بما أشعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يعض به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج إلى المضغ ولأنه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فأدره اللبن اللطيف في ندى الأم عند انفصاله على حسب حاجته فأسكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الأم فإذا صار بحيث يواظبه الغذاء الكثيف أنبت له أسنانا قواطع وطواحين لأجل المضغ فإذا كبر واستقل يسره أسباب التعلم وسلك سبيل الآخرة ، فيجئ به بعد البلوغ جهل محض لأنه ما نقصت أسباب معيشته ببلوغه به زادت فإنه لم يكن قادرا على الاكتساب فالآن قد قدر فزادت قدرته ، ثم كان الشفق عليه شخصاً واحداً وهي الأم والأب وكانت شفقتهم مفرطة جدا فكان يطعمه ويسقيه في اليوم مرة وأمرتين وكان إطعامه بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على قلبه فكذلك قد سلط الله الشفقة والولادة والرقق والرحمة على قلوب المسلمين بل أهل البلد كافة حتى إن كل واحد منهم إذا أحس بمحتاج تألم قلبه ورقى عليه وابشت له داعية إلى إزالة حاجته فقد كان للشفق عليه واحداً والآن الشفق عليه ألف وزيادة وقد كانوا لا يشفقون عليه لأنهم رأوه في كفاة الأم والأب وهو مشفق خاص لما رأوه محتاجاً ولو رأوه يتألم لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين أو على جماعة حتى يأخذونه ويكفلونه فمارؤى إلى الآن في سنى الحصب يقيم قدماء جوامع مع أنه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله تعالى كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي أن يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبا وقد كان للشفق واحداً وللشفق الآن ألف ، نعم كانت شفقة الأم أقوى وأحظى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وإن ضعف فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض فكأن من يقيم قد يسر الله تعالى له حالا هو أحسن من حال من له أب وأم فينجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين وبترك التمس والاعتصار على قدر الضرورة وقد أحسن الشاعر حيث يقول :

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون

جون منك أن تسعى لرزق ويرزق في غشاوته الجنين

فان قلت الناس يكتلون اليتيم لأنهم يرونه عاجزا بصباه وأما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون إليه ويقولون هو مثنا فليجهد نفسه . فأقول إن كان هذا القادر بطالا فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله تعالى فما لبطل والتوكل وإن كان مشتملا بالله ملازما لمسجد أو بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكفون ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقرر حبه

إلا يصبره فإذا السود
القاب وعسلاه الرين
لا يصبر الشيطان .
روى عن أبي هريرة
رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن العبد
إذا أذنب نكت في
قلبه نكتة سوداء
فان هو نزع واستغفر
وتاب صقل وإن عاد
زيد فيه حتى تملأ قلبه
قال الله تعالى - كلاب
ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون - »
سمعت بعض العارفين
يقول كلاما دقيقا
كوشف به قال الحديث
في باطن الانسان
والحال الذي تراه
لباطنه وتخيّل بين
القلب وصفاء الذكر

في قلوب الناس حتى يحملون إليه فوق كفايته وإنما عليه أن لا يفلق الباب ولا يهرب إلى جبل من بين الناس وما روى إلى الآن عالم أوعا بد استغرق الأوقات بالله تعالى وهو في الأمصار فاجوع ولا يرى قط بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس بقوله قد قدر عليه فإن من كان لله تعالى كان الله عز وجل له ومن اشتغل بالله عز وجل أتى الله حبه في قلوب الناس وسخره القلوب كاسخر قلب الأملولها قد تدبر الله تعالى للملك ولللكوت تدبيرا كافيا لأهل الملك ولللكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدير واشتغل به وآمن ونظر إلى مدير الأسباب لا إلى الأسباب ، نعم مدير تدبيره يصل إلى المشتغل به الحلو والطير السمان والطياب الرقيقة والحول النفيسة على الدوام لا محالة وقد يقع ذلك أيضا في بعض الأحوال لكن دبره تدبيرا يصل إلى كل مشتغل بعبادة الله تعالى في كل أسبوع قرص شعير أو حشيش يتناولها لا محالة والغالب أنه يصل أكثر منه بل يصل ما يزيد على قدر الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل إلا رغبة النفس في التمتع على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الأغذية اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة وذلك قد لا يحصل بفكر اضطراب وهو في الغالب أيضا ليس يحصل مع الاضطراب وإنما يحصل نادرا وفي النادر أيضا قد يحصل بفكر اضطراب فأثر الاضطراب ضعيف عند من اقتضت بصيرته فذلك لا يطمئن إلى اضطرابه بل إلى مدير الملك ولللكوت تدبيرا لا يهاوئ عبدا من عباده رزقه وإن سكن إلا نادرا تدورا عظيما يتصور مثله في حق المضطرب فإذا انكشفت هذه الأمور وكان معه قوة في القلب وشجاعة في النفس أضر ما قاله الحسن البصري رحمه الله إذ قال وحدث أن أهل البصرة في عيال وأن حبة بدنيار . وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء نحاسا والأرض رصاصا واهتممت برزقي لظننت أني مشرك فإذا فهمت هذه الأمور فهمت أن التوكل مقام مفهوم في نفسه ويمكن الوصول إليه لمن قهر نفسه وعلمت أن من أنكر أصل التوكل وإمكانه أنكره عن جهل فإياك أن تجمع بين الإفلاس عن وجود اللقمة خوفا والإفلاس عن الإيمان به عفا ، فاذن عليك بالفتنة بالزرزق القليل والرضا بالقوت فإنه يأتيك لا محالة وإن فررت منه وعند ذلك على الله أن يعث إليك رزقك في يدى من لا تحسب فإن اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - الآية ، لإنا لم يشكف له أن يرزقه لحم الطير ولذائد الأطعمة لما ضمن لإلارزق الذي تدوم به حياته وهذا للضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن واطمأن إلى ضمانه فإن الذي أحاط به تدبير الله من الأسباب الخفية للرزق أعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لأخص وجاريه لا يمتدى إليها وذلك لأن ظهوره على الأرض وسببه في السماء قال الله تعالى - وفي السماء رزقكم وما تعدون - وأسرار السماء لا يطلع عليها ولهذا دخل جماعة على الجنيد فقال ماذا تطلبون ؟ قالوا نطلب الرزق فقال إن علمت أى موضع هو فاطلبوه قالوا نسأل الله قال إن علمت أنه فيماكم فذكروه فقالوا ندخل البيت ونوكل وننتظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة ؟ قال ترك الحيلة . وقال أحمد بن عيسى الخراز كنت في البادية فتألى جوع شديد فضلبت نفسى أن أسأل الله تعالى طعاما فقلت ليس هذا من أفعال التوكلين فظالبتنى أن أسأل الله صبرا فما سمعت بذلك سمعت هاهنا يهتف بى ويقول :

ويرغم أنه منا قريب وأنا لأفزع من أمانا

ويسألنا على الإقتراج جدا كعأنا لآمره . ولا رانا

قد فهمت أن من انكسرت نفسه وقوى قلبه ولم يضعف بالجبن باطنه وقوى إيمانه بتدبير الله تعالى كان مطمئن النفس أبدا واتما بالله عز وجل فإن أسوأ حاله أن يموت ولا بد أن يأتيه الموت كما يأتي من

هو من القلب وليس هو من النفس وهذا بخلاف ما قرر فأنه عن ذلك فذكر أن بين القلب والنفس منافاة ومعادنات وتألها وتوددا وكأنا انطلقت النفس في شئ بهواها من القول والفعل تأثر القلب بذلك وتكدر فإذا عاد العبد من مواطن مطالبات النفس وأقبل على ذكره وعجل مناجاته وخدمته لله تعالى أقبل القلب بالمعابة للنفس وذكر النفس شيئا من فعلها وقولها كاللأن للنفس والمعاتب لها على ذلك فإذا كان الخاطر أول الفعل

ليس مطمئناً فأن تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالمضمون من جانب والذى ضمن رزق القانعين بهذه الأسباب التي دبرها صادق قاتن وجرب تشاهد صدق الوعد تحقيقاً بما بر عليك من الأرزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك وحسابك ولا تكن في توكلك منتظرا للأسباب بل بسبب الأسباب كالأنسكون منتظرا لعل الكاتب بل لعل الكاتب فانه أصل حركة القلم والحرك الأول واحد فلا ينبغي أن يكون النظر إلا إليه وهذا شرط توكل من مخوض البوادي بلا زاد أو بقدر في الأمصار وهو خامل وأما الذي له ذكر بالعبادة والعلم فإذا قنع في اليوم واليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان وإن لم يكن من اللذات وثوب خشن يليق بأهل الدين فهذا يأتيه من حيث يحتسب ولا يحتسب على الدوام بل يأتيه أخفافه فتركه التوكل وإهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور فان إشتاره بسبب ظاهره يحجب الرزق إليه أقوى من دخول الأمصار في حق الحامل مع الاكتساب فالإهتمام بالرزق قبيح بدوى الدين وهو بالعلم أتبع لأن شرطهم الناعة والعالم القانع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة وإن كانوا به إلا إذا أراد أن لا يأخذ من أيدي الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لا تقي بالعالم العامل الذي سلوكه يظهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب يمنع عن السير بالسكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الأخذ من يد من يتقرب إلى الله تعالى بما يعطيه أولى لأنه يضرغ لله عز وجل وإعانة للمعطي على نيل الثواب ومن نظر إلى مجارى سنة الله تعالى علم أن الرزق ليس على قدر الأسباب ولذلك سأل بعض الأكاسرة حكماً عن الأحق للرزق والعاقل المحروم فقال أراد الصانع أن يدل على نفسه إدلوزق كل عاقل وحرم كل أحق لظن أن العقل رزق صاحبه فلما رأوا خلافه علموا أن الرزق غيرهم ولا تعلق بالأسباب الظاهرة لهم ، قال الشاعر :

ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا هل يمكن إذن من جهلن البهائم

(بيان أحوال التوكلين في التعلق بالأسباب بضرب مثال)

اعلم أن مثال الخلق مع الله تعالى مثل طائفة من السؤل والوقوف في ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون إلى الطعام فأخرج إليهم غلماناً كثيرة ومعهم أرغفة من الخبز وأمرهم أن يبطوا بعضهم رغيفين رغيفين ويضعهم رغيفاً رغيفاً ويجهدوا في أن لا ينفخوا عن واحد منهم وأمر منادياً حتى نادى فيهم أن اسكنوا ولا تملقوا بفلماني إذا خرجوا إليكم بل ينبغي أن يطمئن كل واحد منكم في موضعه فان الغلمان مسخرون وهم مأمورون بأن يوصلوا إليكم طعامكم فن تعلق بالغلان وآذام وأخذر رغيفين فإذا فتش باب اللبان وخرج أتبعته بفلام يكون موكلاً به إلى أن أقدم لعقوبة في عماد معلوم عندي ولكن أخفيه ومن لم يؤذ الغلمان وقنع برغيف واحد أنه من يد الغلام وهو ساكن فاني أخضه بخلعة سنية في العباد المذكور لعقوبة الآخر ومن ثبت في مكانه ولكنه أخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلة له ومن أخطأ غلماناً فما أوصوا إليه شيئاً فبات الليلة جائعاً غير متخطط للغلمان ولا قلائته أوصل إلى رغيفاً فاني غدا أستوزره أو فوض ما سألني إليه فانقسم السؤل إلى أربعة أقسام : قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا إلى العقوبة للعودة وقالوا من اليوم إلى غد فرج ونحن الآن جائعون فيادروا إلى الغلمان فأقوم وأخذوا الرغيفين فسيقت العقوبة إليهم في العباد المذكور فندموا ولم ينفعهم الندم ، وقسم تركوا التعلق بالغلان خوف العقوبة ولكن أخذوا رغيفين لعل الجوع فسلوا من العقوبة وما فازوا بالخلعة وقسم قالوا إنا نجلس بمرأى من الغلمان حتى لا يخطئونا ولكن نأخذ إذ أعطونا رغيفاً واحداً ونحن به فقلنا نفوز بالخلعة ففازوا بالخلعة وقسم أربع أخفافوا في زوايا اللبان وأحرفوا عن مرأى عين الغلمان وقالوا إن أتبعونا وأعطينا قنعنا برغيف واحد وإن

ومفتحه لمرقة من
أهم شأن العبد لأن
الأفعال من الخواطر
نشأ حتى ذهب بعض
العلماء إلى أن العلم
للفترض طلبه يقول
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « طلب
العلم فريضة على
كل مسلم » هو علم
الخواطر قال لها أول
الفعل وبفسادها فساد
الفعل وهذا لعمري
لا يتوجه لأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
أوجب ذلك على كل
مسلم وليس كل المسلمين
عندهم من القرية
والعرفة ما يعرفون به
ذلك ولكن يعلم
الطالب أن الخواطر
بمثابة البذر فيها ما هو

أخطأونا فاسمنا شدة الجوع اليلية قللنا هوى على ترك التسخط فنال رتبة الوزارة وقد رجة القرب عند الملك فما فهم ذلك إذ اتهم القلماني في كل زاوية وأعطوا كل واحد غيغوا واحدوا جرى مثل ذلك أيما حتى أفاق على الندور أن اختفى ثلاثة في زاوية ولم تقع عليهم أبصار القلماني وشغلهم شغل صارف عن ماول التفتيش فباتوا في جوع شديد فقال اثنان منهم لينا نعرضنا للقلماني وأخذنا طاعمان قللنا نطيق الصبر وسكت الثالث إلى الصباح فقال درجة القرب والوزارة فهذا مثال الخلق والليدان هو الحياة في لدنيا وباب الليدان الموت والليداد المحيول يوم القيامة والوعد بالوزارة هو العبد الشهادة للمتوكل إذا مات جائئا راضيا من غير تأخير ذلك إلى معياد القيامة لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وللمتعلق بالقلماني هو للتندى في الأسباب والقلماني للسخر من الأسباب والجالس في ظاهر الليدان يرى القلماني هم المقيمون في الأمصار في الرباطات وللجاسد على هيئة السكون والمختفون في الروايات السائحون في البوادي على هيئة التوكل والأسباب تبهم والرزق يأتيهم إلا على سبيل الندور فمات واحد منهم جائئا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد أهدم الخلق إلى هذه الأقسام الأربعة ولعل من كل مائة تعلق بالأسباب تسعون وأقام سبعة من الشرة الباقية في الأمصار معرضين للسبب بمجرد حضورهم واشتغالهم وساح في البوادي ثلاثة وتسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد وله كان كذلك في الأمصار السالفة وأما الآن فالتارك للأسباب لا ينهي إلى واحد من عشرة آلاف .

[الفن الثاني في التمرض لأسباب الادخار] فمن حصل له مال يرث أو كسب أو سأل أو سبب من الأسباب فله في الادخار ثلاثة أحوال : الأولى أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فيأكل كل إن كان جائعا ويلبس إن كان عاريا ويشترى مسكنا مختصرا إن كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال ولا يأخذه ولا يدخره إلا بالقدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج إليه فيدخره في هذه النية فهذا هو الوافي بموجِب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا . الحالة الثانية للقابلية لهذه المخرجة له عن حدود التوكل أن يدخر لسنه فما فوقها فهذا ليس من التوكلين أصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات إلا ثلاثة : القارعة والغلة وابن آدم . الحالة الثالثة أن يدخر لأربعين يوما فما دونها فهذا هل يوجب حرمانه من اللقائم الحمد للوعود في الآخرة لامتوكلين اختلفوا فيه فذهب سهل إلى أنه يخرج عن حد التوكل وذهب الحواصم إلى أنه لا يخرج بأربعين يوما ويخرج بما يزيد على الأربعين وقال أبو طالب السكي لا يخرج عن حد التوكل بالزيادة على الأربعين أيضا وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز أصل الادخار ، نعم تجوز أن يظن ظان أن أصل الادخار يناقض التوكل فاما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود على رتبة فانه يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى أصحاب النهايات السابقين ، وأصحاب البدايات أصحاب اليمين ، ثم أصحاب اليمين أيضا على درجات وكذلك السابقون وأعلى درجات أصحاب اليمين تتلصق أسافل درجات السابقين فلا معنى للتشديد في مثل هذا بل التحقيق أن التوكل يترك الادخار لا يتم إلا بقصر الأمل وأما عدم آمال البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده أما الناس فمتفاوتون في طول الأمل وقصره وأقل درجات الأمل يوم وليلة فمادونه من الساعات وأقصاه ما يتصور أن يكون عمر الانسان وبينهما درجات لا حصر لها فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب إلى المقصود ممن يؤمل سنة وتقييده بأربعين لأجل معياد موسى عليه السلام بعد ذلك الواقعة ما قصد بها بيان مقدار ما رخص الأمل فيه ولكن استحقاق موسى لئيل الموعود كان لا يتم إلا بعد أربعين يوما لسر جرت به وبأمثاله سنة الله تعالى في تدريج الأمور كما قال عليه السلام «إن الله خريطنة آدم يدعه أربعين صباحا» (١) لأن استحقاق تلك الطينة التخمير كان موقوفا على متقبلها ما ذكر فإذا ما وراء

(١) حديث خير طينة آدم يده أربعين صباحا أبو منصور الدبلي في مسند الفردوس من حديث

بقدر السعادة ومنها
ما هو بذر الشقاوة .
وسبب اشتباه
الحواطر أحد أربعة
أشياء لا خامس لها إما
ضعف اليقين أو قلة العلم
بمعرفة صفات النفس
وأخلاقها أو متابعة
الهوى بخمير قواعد
التقوى أو محبة الدنيا
جاهها وما لها وطلب
الرفعة والازالة عند
الناس فمن عصم
عن هذه الأربعة
يفرق بين لمة الملك
ولمة الشيطان ومن
ابتلى بها لا يسلها
ولا يظلمها وانكشف
بعض الحواطر دون
البعض لوجود بعض
هذه الأربعة دون
البعض وأتوم الناس

السنة لا يدخر ، إلا بعلمك ضعف القلب والركون إلى ظاهر الأسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق بأحاطة التدبير من الوكيل الحق بخفايا الأسباب فان أسباب الدخل في الارزاعات والركوات تنكسر بتكرار السنين غالباً ومن اذخر أقل من سنة فله درجة بحسب قصر أمه ومن كان أمه شهرياً لم تكن درجته كدرجة من أمل شهراً ولا درجة من أمل ثلاثة أشهر بل هو بينهما في الرتبة ولا يمنع من الادخار إلا قصر الأمل فالأفضل أن لا يدخر أصلاً ، وإن ضعف قلبه فكلما نال ادخاره كان فضله أكثر ، وقد روى في الفقير الذي أمر صلى الله عليه وسلم علياً كرم الله وجهه وأسماءه أن يسلاقه فسلاه وكفناه يردته فلما دفعه قال لأصحابه « إنه يموت يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا صلة كانت فيه لموت ووجهه كالشمس الضاحية . قلنا وما هي يارب الله ؟ قال كان صوامقاً وما كثير الذي كرهه تعالى غير أنه كان إذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه وإذا جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ، ثم قال صلى الله عليه وسلم بل أقل ما أوتيتم وعزيمة الصبر ^(١) الحديث ، وليس الكوز والثفرة وما يحتاج إليه على الدوام في معنى ذلك فان ادخاره لا ينقص الدرجة وأما قوب الشتاء فلا يحتاج إليه في الصيف ، وهذا في حق من لا ينزعج قلبه بترك الادخار ولا يستشرف نفسه إلى أبدى الخلق بل لا يلتفت قلبه إلا إلى الوكيل الحق فان كان يستشعر في نفسه اضطراباً يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له أولى بل لو أمسك ضيعة يكون دخله وأيقا بقدر كفايته وكان لا يفرغ قلبه إلا به فذلك له أولى لأن للقصود إصلاح القلب ليتجرد للذكر الله ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والخذور ما يشغل عن الله عز وجل وإلا فالدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها ، ولذلك بث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون وأهل الحرف والصناعات فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل إلى الله تعالى وأرشدكم إلى أن فوزهم ونجاتهم في الصبر فقلوبهم عن الدنيا إلى الله تعالى وعمدة الاشتغال بالله عز وجل القلب فصواب الضمير ادخاره قدر حاجته كأن صواب القوى ترك الادخار ، وهذا كله حكم الفرد ، فأما الليل فلا يخرج عن حد التوكل باذخر قوت سنة ليعاله جبراً لضعفهم وتسكيناً لقلوبهم وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل لأن الأسباب تنكسر عند تكرار السنين فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالمتوكل عبارة عن مودقوى القلب مطمئن النفس إلى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الأسباب الظاهرة ، وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعاله قوت سنة ^(٢) ونهى أم أيمن وغيرها أن تدخر له شيئاً لئلا ^(٣) ونهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخارها ليفطر عليها فقال ^(٤) « أفنق بلالا ولا نخش من ذي العرش إقللاً » ^(٥)

ابن مسعود وسلمان الفارسي باسناد ضعيف جدا وهو باطل (١) حدث أنه قال في حق الفقير الذي أمر علياً وأسماءه فسلاه وكفناه يردته أنه يموت يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر الحديث وفي آخره من أقل ما أوتيتم عزيمة الصبر لم أجده أصلاً وتقدم آخر الحديث قبل هذا . (٢) حديث ادخر ليعاله قوت سنة متفق عليه وتقدم في الزكاة (٣) حديث نهى أم أيمن وغيرها أن تدخر شيئاً لئلا تقدم نهيه لأم أيمن وغيرها (٤) حديث نهى بلالا عن الادخار وقال أفنق بلالا ولا نخش من ذي العرش إقللاً البراز من حديث ابن مسعود وأبي هريرة وبلا دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده صبر من تمر فقال ذلك ، وروى أبو بصير والطبراني في الأوسط حديث أبي هريرة وكلها ضيفة وأما ما ذكره المصنف من أنه ادخر كسرة خبز فلم أره .

بتميز الخواطر وأقوهم بعرفة النفس ومعرفتها صبة النال لا تكاد تتيسر إلا بعد الاستعداد في الزهد والتسوى . واثق للشايع على أن من كان أحكاه من الحرام لا يفرق بين الإلهام والوسوسة . وقال أبو علي الدقاق من كان قوته معلوما لا يفرق بين الإلهام والوسوسة وهذا لا يصح على الإطلاق إلا بقدر وذلك أن من المعلوم ما قسمه الحق سبحانه وتعالى لعباده أن يسبق إليه في الأخذ منه والثبوت به ومثل هذا للمعلوم لا يحجب عن تميز الخواطر أعان ذلك

وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سئلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تمنحاً » (١) اقتداء بسيد للتوكلين صلى الله عليه وسلم وقد كان قصر أمه بحيث كان إذا بال يتيم مع قرب اللاء ويقول « ما يدري لى لأبلته » (٢) وقد كان صلى الله عليه وسلم لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله إذا كان لا يثق بما أخره ولكنه عليه السلام ترك ذلك تعلباً للأقوياء من أمته فان أقوياء أمته ضغفاء بالاضافة إلى قوته وادخر عليه السلام لئلا حسنة لا تضعف قلب فيه وفي عياله ولكن ليس ذلك للضعفاء من أمته بل أخبر « أن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزاً » (٣) تطليبا لقلوب الضغفاء حتى لا يقتضى بهم الضعف إلى اليأس والقنوط فيتركون اللبس من أخير عليهم بعجزهم عن منتهى الدرجات لما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإرحمة للعالمين كلهم على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم وإذا فهمت هذا علمت أن الادخار قد يضرب بعض الناس وقد لا يضرب ، ويدل عليه ما روى أبو أمامة الباهلي « أن بعض أصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال صلى الله عليه وسلم فقتلوا نوبه فوجدوا فيه دينارين في داخل إزاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان » (٤) وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالاً ولا يقول ذلك في حقّه وهذا يحتمل وجهين لأن حاله يحتمل الحالين : أحدهما أنه أراد كيتان من التاركا قال تعالى - تكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم - وذلك إذا كان حاله إظهار الزهد والفقر والتوكل مع الإفلاس عنه فهو نوع تلبس . والثاني أن لا يكون ذلك عن تلبس فيكون اللحن به التقصان عن درجة كماله كما ينقص من جمال الوجه أثر كيتان في الوجه وذلك لا يكون عن تلبس فان كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة إذ لا يؤتى أحداً من الدنيا شيئاً إلا لنقص قدره من الآخرة . وأما بيان أن الادخار مع فراغ القلب عن اللذخ ليس من ضرورته بطلان التوكل فيشبهه ما روى عن بشر قال الحسين للغازي من أصعابه كنت عنده ضجوة من التمار فدخل عليه رجل كهل أصغر خفيف العارضين قام إليه بشر قال وما رأيته قام لأحد غيره قال ودفع إلى كتمان دراهم وقال اشترا ثماناً أطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب وما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعت فأكل معه وما رأيته أكل مع غيره قال فأكلنا حاجتنا وبقى من الطعام شيء كثير فأخذ الرجل وجمعه في ثوبه وحمله معه وانصرف فجيئت من ذلك وكرهنه فقال لي بشر لملك أنكرت ضله فقلت نعم أخذ بقية الطعام من غير إذن فقال ذلك أخونا فتح الوصل زارنا اليوم من الموصل فانما أراد أن يسلنا أن التوكل إذا صبح لم يضرب مع الادخار [الله الثالث في مباشرة الأسباب الدافعة للضرر المرض بالخوف] اعلم أن الضرر قد يمرض بالخوف في نفس أو مال وليس من شروط التوكل ترك الأسباب الدافعة رأساً أمافي النفس فكالنوم في الأرض المسبعة أو في مجارى السيل من الوادي أو تحت الجدار المسائل والسقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه لهلاك بغير فائدة ، ثم تنقسم هذه الأسباب إلى مقطوع بها ومظنونة وإلى موهومة فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهي التي نسبتها إلى دفع الضرر نسبة السكي والرقية

(١) حديث قال لبلال إذا سئلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تمنحاً الطبراني والحاكم من حديث أبي سعيد هوذة . حديث الق الله قيرا [١] قد تقدم (٢) حديث أن صلى الله عليه وسلم قال وتيمم مع قرب اللاء ويقول ما يدري لى لأبلته ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث إن الله يحب أن تؤتى رخصه الحديث أحمد والطبراني والبيهقي من حديث أم عمرو وقد تقدم (٤) حديث أبي أمامة توفي بعض أصحاب الصفة فوجدوا دينارين في داخل إزاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان أحمد من رواية شهر بن حوشب عنه .

[١] قول الرافعي حديث الق الله قيرا الخ لم يكن هذا الحديث موجوداً بالأصل قلعه بنسخته تأمل .

بقال في حق من دخل في معلوم باختيار منه وإشاراً له ينحجب لموضع اختياره والذي أثرنا إليه منسلف من إرادته فلا يحجبه للعلوم وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان وقالوا إن النفس تطالب وتلح فلا تزال كذلك حتى تحصل إلى مرادها والشيطان إذا دعا إلى زلة ولم يجب يوسوس بأخرى إذا لا غرض له في تخصيص بل مراده الاغواء كيفما أمكنه وتسكلم الشيوخ في الحاطر إن إذا كانا من الحق أيهما يتبع قال الجنيذ الحاطر الأول

فإن السكينة والرفقة قد تقدم به على المخذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المخذور للآلة والقور رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف التوكلين إلا بترك السكينة والرفقة والطيرة ولم يصفهم بأنهم إذا خرجوا إلى موضع بارد لم يلبسوا جبة والحاجة تلبس دفعا للبرد للتوقع وكذلك كل مافي معناها من الأسباب ، نعم الاستظهار بأكل الثوم مثلا عند الخروج إلى السفر في الشتاء تهيجا لقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعملق في الأسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من السكينة بخلاف الحاجة وترك الأسباب الدافعة وإن كانت مقطوعة وجه إذا فاته الضرر من إنسان فإنه إذا أمكنه الصبر وأمكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى - فأغزنه وكبلا واصبر على ما يقولون - وقال تعالى - ولننصبرن على ما آتيناكموا وعلى الله فليتوكل التوكلون - وقال عز وجل - ودع أدام وتوكل على الله - وقال سبحانه وتعالى - فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل - وقال تعالى - نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون - وهذا في أذى الناس وأما الصبر على أذى الحيات والسباع والعقارب فترك دفعا ليس من التوكل في شيء إذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا يترك السعي لينتهى بل لإعانة على الدين وترتب الأسباب ههنا كترتها في الكسب وجلب للنافع فلا تغول بالأعادة وكذلك في الأسباب الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل بغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير لأن هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى إقامتها وإماظنا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للأعرابي لما أن أهل البعير وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل (١) وقال تعالى - خذوا حذركم - وقال في كيفية صلاة الخوف - وليأخذوا أسلحتهم - وقال سبحانه - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - وقال تعالى لموسى عليه السلام - فأسر بيادي ليلا - والتحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبب واختفاء رسول الله ﷺ في الغار اختفاء عن أعين الأعداء دفعا للضرر (٢) وأخذ السلاح في الصلاة ليس دافعا قطعيا كقتل الحية والعقرب فإنه دافع قطعيا ولكن أخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا أن المظنون كالقطوع وإعسا للوهوم هو الذي يقتضى التوكل تركه - فإن قلت فقد حكى عن جماعة أن منهم من وضع الأسديده على كتفه ولم يتحرك - فأقول وقد حكى عن جماعة أنهم ركبوا الأمد وسخروه فلا ينبغي أن يشرك ذلك القيام فانه وإن كان صحيحا في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطا في التوكل وفيه أسرار لا يفهمها إلا من علمته اليها - فإن قلت وهل من علامة أعلم بها أني قد وصلت اليها ؟ فأقول الواصل لا يحتاج إلى طلب العلامات ولكن من العلامات على ذلك القيام السابقة عليها أن يسخر لك كلب هو معك في إهابك يسمى الغضب فلا يزال يحسك ويعض غيرك فإن سخر لك هذا الكلب بحيث إذا هيج وأهلى لم يستقل إلا بإشارتك وكان مسخرا لك فربما ترضع درجتك إلى أن يسخر لك الأسد الذي هو لك السباع وكنب دارك أولى بأن يكون مسخرا لك من كلب البزادى وكنب إهابك أولى بأن يسخر من كلب دارك فإذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استئثار الكلب الظاهر - فإن قلت فإذا أخذ التوكل سلاحه حذرناه من العدو وأغلقت بابا حذرنا من اللص وعقل بعيره حذرنا من أن ينطاق فبأي اعتبار يكون متوكلا - فأقول يكون متوكلا بالعلم والحال فأما العلم فهو أن يعلم أن اللص إن اندفع لم يدفع بكفايته في إغلاق الباب بل لم يدفع إلا بدفع الله تعالى إياه فكيف من باب بطلق ولا يدفع وكف من بعير يسقل ويموت أو يفلت وكف من أخذ سلاحه يقتل

لأنه إذا بقي رجوع صاحبه إلى التأمل وهذا شرط العلم - وقال ابن عطاء الثاني أقوى لأنه إذا زاد قوة بالأول - وقال أبو عبيد الله بن خفيف هما سواء لأنهما من الحق فلا مزية لأحدهما على الآخر قالوا الواردات أعم من الخواطر لأن الخواطر تنقص بنوع خطاب أو مطالبة والواردات تكون تارة خواطر وتارة تكون وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد يسقط - وقيل بنور التوحيد يقبل الخاطر من الله تعالى وينور العرقة يقبل من الملك وبنور الإيمان

(١) حديث اعقلها وتوكل الترمذي من حديث أنس قال يحيى القطان منكر ورواه ابن خزيمة في التوكل والطبراني من حديث عمرو بن أمية الضمري بإسناد جيد قديها (٢) حديث اختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أعين الأعداء دفعا للضرر تقدم في قصة اختفائه في الغار عند إرادة الهجرة .

أو يغلب فلا تستل على هذه الأسباب أصلا بل على مسبب الأسباب كاضر بالتكفل في الوكيل في الحسومة فانه إن حضر وأحضر السجل فلا يستل على نفسه وسجله بل على كفاية الوكيل وقوته. وأما الحال فهو أن يكون راضيا بما يقضى الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم إن سلطت على مافي البيت من يأخذه فهو في سبيلك وأتراض بحكمك فاني لأدرى أن ما أعطيتني به فلا تسترجهما أو أراض وبودعة فتستردها ولأدرى أنه رزقي أو سبقت مشيتك في الأزل بأنه رزقي غيري وكيفما قضيت فأتأراض به وما أغلقت الباب تحصنا من قضاك وتخطأ له بل جريا على مقتضى سننك في ترتيب الأسباب فلا ثقة إلا بك يا مسبب الأسباب فإذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بمقل البعير وأخذ السلاح وإغلاق الباب ثم إذا عاد فوجد متاعه في البيت فبينى أن يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله تعالى وإن لم يجد به بل وجهه مسروقا نظرا إلى قلبه فإن وجد راضيا أو فرح بذلك عالما أنه ما أخذ الله تعالى ذلك منه إلا ليريد رزقه في الآخرة فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه. وإن تأمل قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان به أنه ما كان صادقا في دعوى التوكل لأن التوكل مقام بهد الزهد ولا يصح الزهد إلا لمن لا يتأسف على مفات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي بل يكون على العكس منه فكيف يصح له التوكل، نعم قد يصح له مقام الصبر إن أخاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر معي في الطلب والتجسس وإن لم يقدر على ذلك حتى تأذى قلبه وأظهر الشكوى لبسائه واستنصى الطلب يبدنه فقد كانت السرة مزيدا له في ذنبه من حيث إنه ظهر له قصوره عن جميع اللقائات وكذب في جميع الدعاوى فبهذا ينبغي أن يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعاؤها ولا يتبدل بجمل غرورها فانها خداعة أمارة بالسوء مدعية للخير. فان قلت فكيف يكون للتوكل مال حتى يؤخذ. فأقول للتوكل لا يخلو بينه من متاع كغصنة يأكل فيها وكوز يشرب منه وإنما يتوضأ منه وجراب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات العيشة من أثاث البيت وقد يدخل في به مال وهو بمسكه ليجد محتاجا فيصرفه إليه فلا يكون ادخاره على هذه التنية مبطلا لتوكله وليس من شرط التوكل إخراج السكوز الذي يشرب منه والجراب الذي فيه زاده وإنما ذلك في اللأكول وفي كل الزا: على قدر الضرورة لأن سنة الله جارية بوصول الخبر إلى الفقراء للتوكلين في زوايا الساجد وما جرت السنة بفرقة التكريزان والأمتعة في كل يوم ولا في كل أسبوع والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطا في التوكل ولذلك كان الخواص يأخذ في السفر الحبل والركوة والقرص والإبرة دون الزاد لكن سنة الله تعالى جارية بالفرق بين الأمرين. فان قلت فكيف يصور أن لا يهزأ إذا خدمتاع الذي هو محتاج إليه ولا يتأسف عليه فان كان لا يشبهه فم أمسكه وأغلق الباب عليه وإن كان أمسكه لأنه يشبهه لحاجته إليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يهزأ وقد جيل بينه وبين ما يشبهه. فأقول إنما كان يحفظه ليستعين به على دينه إذ كان يظن أن الحيرة له في أن يكون له ذلك للتاع ولولا أن الحيرة له في ما لمارزة الله تعالى ولما أعطاه إياه فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه أن ذلك سعين له على أسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به إذ يحتمل أن تكون خيرة تفي أن يتلى بفقده ذلك حتى ينضب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في التسبب والتب أكثر فلما أحده الله تعالى منه بتسليط اللبس تغير ظنه لأنه في جميع الأحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لو أن الله عز وجل علم أن الحيرة كانت في وجودها إلى الآن والحيرة في الآن في عدمها لما أخذها مني فبمثل هذا الظن يصور أن يدفع عنه الحزن إذ به يخرج عن أن يكون فرحة بأسباب من حيث إنها أسباب بل من حيث إنه يسرهما مسبب الأسباب عناية وتلطفا وهو كالريض بين يدي الطبيب الشفيق رضى بما يفعله فان قدم إليه النداء وفرح وقال لولا أنه

ينهى النفس ويثور
الاسلام يرد على العدو
ومن قصر عن درك
حقائق الزهد وتطلع
إلى تميز الخواطر يزن
الحاطر أولا يميز
الشرع فما كان من
ذلك غفلا وفرض عليه
وما كان من ذلك همرا
أو مكروها ينفيه فان
استوى الحاطران في
نظر العلم ينفذ أقربهما
إلى هـــــهــ هوى
النفس فان النفس قد
يكون لها هوى كامن
في أحدهما والغالب من
شان النفس ألا عوجاج
والركون إلى الدون
وقد يلم الحاطر بنشاط
النفس والعبد يظن أنه
يتروض القلب وقد
يكون من القلب نفاق

يسرق أن الغداء ينفعني وقد قويت على احتياله لما قربته إلى وإن أخر عنه الغداء بعد ذلك أيضا فرح وقال لولا أن الغداء يضرتني ويسوقني إلى اللوث لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتمد على لطف الله تعالى ما يستعد للربض في الوالد للشفق الحاذق لم الطب فلا يصح منه التوكل أملا . ومن عرف الله تعالى وعرف أفضاله وعرف سنته في إصلاح عباده لم يكن فرحه بالأسباب فانه لا يدري أي الأسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه : لا يأبى أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي فكدتك يبنخي أن لا يأبى للتوكل يسرق متاعه أو لا يسرق فانه لا يدري أيهما خير له في الدنيا أوفى الآخرة فكمن من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكمن غنى يتنلى بواقعة لأجل غناه يقول ياليتني كنت فقيرا .

(بيان آداب التوكلين إذا سرق متاعهم)

للتوكل آداب في متاع بيته إذا خرج عنه . الأول : أن يعلق الباب ولا يستقصي في أسباب الحفظ كالتماسه من الجيران الحفظ مع العلق وبكمه وأخلاقا كثيرة . فقد كان مالك بن دينار لا يعلق بابيه ولكن يشده شريط ويقول لولا الكلاب ما شدته أيضا . الثاني : أن لا يترك في البيت متاعا عرض عليه السارق فيكون هو سبب مصيبتهم أو إمساکه يكون سبب هيجان رقيبهم ولذلك لما أهدى الفقيرة إلى مالك بن دينار ركوة قال خذها لأحاجة لي إليها قال لم ؟ قال يوسوس إلى العدو أن الماس أخذها فساكنه احترز من أن يصيب السارق ؟ ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقته ولذلك قال أبو سليمان هذا من صنم قلوب الصوفية هذا قد زهد في الدنيا لما عليه من أخذها . الثالث : أن ما يضطر إلى تركه في البيت يبنخي أن ينوي عند خروجه الرضا بما يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما يأخذه السارق فهو منه في حل أو هو في سبيل الله تعالى وإن كان قريبا فهو عليه صدقة وإن لم يشترط الفقر فهو أولى فيكون له نبتان لو أخذه غنى أو فقير : أحدهما أن يكون ماله مائلا له من العصية فانه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة وبدوه قد زال عسانه بأكل الحرام لما أن جعله في حل . والثانية أن لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر ، ومهما بنو حراسة مال غيره بمال نفسه أو بنو دفع للعصية عن السارق أو تخفيفها عليه قد نصح للمسلمين وامتل قوله صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما »^(١) ونصر الظالم أن تتممه من الظلم وعفوه عنه إعدام للظلم ومنع له ولينحق أن هذه الآية لا تقره بوجه من الوجوه إذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الأزلي ولكن يتحقق بالزهد نيته فان أخذ ماله كان له بكل درهم سبعائة درهم لأنه نواه وقصده وإن لم يؤخذ حصل له الأجر أيضا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل فأقر النطفة قرارها أن له أجر غلام وله من ذلك الجماع وحاشي قتل في سبيل الله تعالى وإن لم يؤخذ له^(٢) لأنه ليس أمر الولد إلا الوقوع فأما الحق والحياة والرزق والبقاء فلا يس إلى فلو خاف لكان ثوابه على فعله وفضله لم ينعدم فكدك أمر السرقة . الرابع : أنه إذا وجد للمال مسروقا فينبغي أن لا يحزن بل يفرح إن أمكنه ويقول لولا أن الحيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى ثم إن لم يكن قد جعله في سبيل الله عز وجل فلا يبالغ في طلبه وفي إساءة الظن بالمسلمين ، وإن كان قد جعله في سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه إلى الآخرة فانه

بسكوته إلى النفس
يقول بعضهم منذ
عشرين سنة ما سكن
قلمي إلى نفسي ساعة
فيظهر من سكون
القلب إلى النفس
خواطر تشبه خواطر
الحق على من يكون
ضعيف العلم فلا يدرك
حقائق القلب والخواطر
المتولدة منه إلا العلماء
الراسخون . وأكثر
ما يدخل الآفات على
أرباب القلوب
والأخدين من اليقين
واليقظة والحال
بسم من هذا القبيل
وذلك لقلة العلم بالنفس
والقلب وبقاء نصيب
الهوى فيهم . وينبغي
أن يعلم العبد قطعا
أنه مهما بقى عليه أثر

(١) حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث من ترك

أعيد عليه فالأولي أن لا يقبله بعد أن كان قد جعله في سبيل الله عز وجل وإن قبله فهو في ملكه في ظاهر العلم لأن الملك لا يزول بمجرد تلك التية ولكنه غير محبوب عند التوكلين . وقد روى أن ابن عمر سرق ثاقبه فطلبها حتى أعيأ ثم قال في سبيل الله تعالى فدخل المسجد فصل في ركعتين فجاهد رجل ، فقال : يا أبا عبد الرحمن إن ناقتك في مكان كذا فليس لنه وقام ثم قال استغفر الله وجلس قليل له ألا تذهب فتأخذها فقال إني كنت قلت في سبيل الله . وقال بعض الشيوخ رأيت بعض إخواني في النوم بعد موته قلت ما فعل الله بك قال غفر لي وأدخلني الجنة وعرض علي منازل فيها فرأيته قال وهو مع ذلك كتيب حزين قلت قد غفر لك ودخلت الجنة وأنت حزين فتتفلس الصعداء ثم قال نعم إني لا أزال حزينا إلى يوم القيامة قلت ولم ؟ قال إني لما رأيت منازل في الجنة رفعت لي مقامات في عليين مارأت مثلي فيها رأيت فقرحت بها فلما همت بدخولها نادى مناد من فوقها اصرفوه عنها فليس هذه له إنما هي لمن أمضى السبيل ، قلت وما إمضاء السبيل ؟ قيل كنت تقول للشيء إنه في سبيل الله ثم رجعت فيه فلو كنت أمضيت السبيل لأمضيتها لك . وحكى عن بعض الباطنية أنه كان نائما إلى جنب رجل معه هيمانه فاتته الرجل فقعد هيمانه فقامه به فقال له كم كان في هيمانك فذكر له حلمه إلى البيت ووزنه من عنده ثم بعد ذلك أعلمه أصحابه أنهم كانوا أخذوا الهيمان من مخاضه فجاءه هو وأصحابه معه وردوا الذهب فأبى وقال خذوه حالا طيبا فساكنت لأعود في مال أخرجته في سبيل الله عز وجل فلم يقبل فألحوا عليه فدعا ابنا له وجعل يصره صريرا ويصحبها إلى الفقراء حتى لم يبق منه شيء فبهكذا كانت أخلاق السلف وكذلك من أخذ رغبيا ليعطيه فقيرا فغاب عنه كان يكره رده إلى البيت بعد إخراجها فيعطيه فقيرا آخر وكذلك يفعل في الدرهم والدنانير وسائر الصدقات . الخامس : وهو أقل الدرجات أن لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالأخذ ، فإن فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهته وتأسفه على ما فات وبطل زهده ولو بالغ فيه بطل أجره أيضا فبأصيب به ففي الخبر « من دعا على ظالمه فقد اتصر » . وحكى أن الربيع بن خيثم سرق فرس له وكان قيمته عشرين ألفا وكان قائما يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه قوم يزعمونه ، فقال أما إني قد كنت رأيته وهو يحمله قيل وما منعك أن تزجره . قال كنت فيها هو أحب إلي من ذلك يعني الصلاة فجعلوا يدعون عليه فقال لا تملأوا قلوبوا خيرا فإني قد جعلتها صدقة عليه . وقيل لبعضهم في شيء قد كان سرق له ألا تدعو على ظالمك قال ما أحب أن أكون عوناً للشيطان عليه قيل أرايت لو رد عليك قال لا أخذه ولا أنظر إليه لأنني كنت قد أحلته له . وقيل لآخر : ادع الله على ظالمك ، فقال ما ظلمني أحد ثم قال إنما ظلم نفسه ألا يكفيه للسكين ظم نفسه حتى أزيد شره . وأكثر بعضهم هتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه ، فقال لا تفرق في شتمه فإن الله تعالى ينتصف للحجاج ممن اتهمك عرضه كما ينتصف منه لمن أخذ ماله ودمه . وفي الخبر « إن العبد ليظلم للظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من الظلم » . السادس أن يتم لأجل السارق وعصيانهم تعرضه لعذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى إذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك تقصا في دنياه لا تقصا في دينه فقد شكيا بعض الناس إلى عالم أنه قطع عليه الطريق وأخذ ماله

من الهوى وإن دق
وقل يبق عليه بحسبه
بقية من اعتباه
الحواطر ثم قد ينط
في تميز الحواطر من
هو قليل العلم ولا
يؤاخذ بذلك ما لم يكن
عليه من الشرع
مطالبة وقد لا يسامح
بذلك بعض الدالين لما
كوشفوا به من دقي
الحفاء في التميز ثم
استعجالهم مع علمهم
وقلة التثبت . وذكر
بعض العلماء أن لمسة
للك ولمسة الشيطان
وجدتا حركة النفس
والروح وأن النفس
إذا تحركت اقتدح من
جوهرها ظلمة تنكت
في القلب همه سوء
فيظن الشيطان إلى

(١) حديث من دعا على من ظلمه فقد اتصر تقدم (٢) حديث إن العبد ليظلم للظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة الحديث تقدم .

فقال إن لم يكن لك غم أنه قد صار في المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بمالك فما نصحت للمسلمين. وسرق من علي بن الفضل دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه وهو يسكي ويحزن فقال أهل الدنانير تبكي؟ قال لا والله ولكن على للسكين أن يسئل يوم القيامة ولا تكون له حجة وتبيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال إني مشغول بالحزن عليه عن الدماء عليه فهذه أخلاق السلف رضى الله عنهم أجمعين .

[الفن الرابع في السعي في إزالة الضرر كدواوة الرض وأمثاله] اعلم أن الأسباب الزيلة للمرض أيضا تنقسم إلى مقطوع به كسواء للزيل لضرر العطش والحجر للزيل لضرر الجوع وإلى مظنون كالصد والحجامه وشرب الدواء لتسهيل وسائر أبواب الطب أغنى معالجة البرودة بالحرارة والحرارة بالبرودة وهي الأسباب الظاهرة في الطب وإلى موهوم كالسكي والرقية . أما للقطوع فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف اللوث. وأما للوهوم فشرط التوكل تركه إذا به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم للتوكلين وأتواها السكي وبيله الرقية والطيرة آخر درجاتها والاعتناء عليها والاسكال إليها غاية التعمق في ملاحظة الأسباب وأما الدرجة المتوسطة وهي الظنونة كالدواوة بالأسباب الظاهرة عند الأطباء فطمه ليس منافضا للتوكل بخلاف للوهوم وتركه ليس محظورا بخلاف للمقطوع بل قد يكون أفضل من فعله في بعض الأحوال وفي بعض الأشخاص فهي على درجة بين الدرجتين ويدل على أن التدأوى غير منافض للتوكل فعل رسول الله ﷺ وقوله وأمره به أما قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم « مامن داء إلا له دواء عرفة من عرفة وجهه من جهه إلا السام (١) » يعني الموت وقال عليه السلام « تدأوا عباد الله فإن الله خالق الداء والدواء (٢) » . « وسئل عن الداء والرق هل ترد من قدر الله شيئا قال: هي من قدر الله (٣) » وفي الخبر المشهور « ما ردت بلا من الملائكة إلا قالوا مر أمك بالحجامة (٤) » وفي الحديث أنه أمر بها وقال « احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين لا يتبيخ بك الدم فيقتلكم (٥) » فقد ذكر أن تبخج الدم سبب الموت وأنه قاتل بإذن الله تعالى وبين أن إخراج الدم خلاص منه إذ لا فرق بين إخراج الدم المهلك من الإهاب وبين إخراج القرب من تحت الثياب وإخراج الحية من البيت وليس من شرط أن توكل ترك ذلك بل

القلب فيقبل بالأغواء والوسوسة وذكر أن حركة النفس تكون إما هوى وهو عاجل حظ النفس أو أمنية وهي عن الجهل التريزي أو دعوى حركة أوسكون وهي آفة العقل ومحنة القلب ولا ترد هذه الثلاثة إلا بأحد ثلاثة جهل أو غفلة أو طلب فضول ثم يكون من هذه الثلاثة ما يجب فيه قاتها ثم بخلاف مأمور أو على وفق منهي ومنها ما يكون فيها فضيلة إذا ودمت بمباحات . وذكر أن الروح إذا تحركت انتقد من جوهرها نور سامع يظهر من

(١) حديث مامن داء إلا له دواء عرفة من عرفة وجهه من جهه إلا السام أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود دون قوله إلا السام وهو عند ابن ماجه مختصرا دون قوله عرفة إلى آخره وإسناده حسن وللترمذي وصححه من حديث أسامة بن شريك إلا الحرم للطبراني في الأوسط والبخاري من حديث أبي سعيد الخدري والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس وسندهما ضعيف والبخاري من حديث أبي هريرة ما أزل الله داء إلا أزل له شفاء وسلم من حديث جابر لكل داء دواء (٢) حديث تدأوا عباد الله الترمذي وصححه وابن ماجه واللفظ له من حديث أسامة بن شريك (٣) حديث سئل عن الداء والرق هل ترد من قدر الله قال: هي من قدر الله الترمذي وابن ماجه من حديث أبي خزيمة وقيل عن أبي خزيمة عن أبيه قال الترمذي وهذا أصح (٤) حديث ما مررت ببلا من الملائكة إلا قالوا مر أمك بالحجامة الترمذي من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب ورواه ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف (٥) حديث احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين الحديث البزار من حديث ابن عباس بسند حسن موقوفا ورواه الترمذي بلفظ إن خير ما تجمعون فيه سبع عشرة الحديث دون ذكر التبيخ وقال حسن غريب وقال البزار إن طريقه المتقدمة أحسن من هذا الطريق ولا بن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف من أراد الحجامة فليتحير سبعة عشر الحديث.

هو كسب الماء على النار لإطفائها ودفع ضررها عند وقوعها في البيت وليس من التوكل الحرج عن سنة الوكيل أصلاً وفي خبر مقطوع «من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة (١)» وأما أمره صلى الله عليه وسلم فقد أمر غير واحد من الصحابة بالتداوي بالحجارة (٢) وقطع لسعد بن معاذ عرقاً (٣) أي قصده وكوى سعد بن زرارة (٤) وقال لعلي رضي الله تعالى عنه وكان رمد العين «لأنا كل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فانه أوفق لك (٥)» يعني سلقاً قد طبخ بدقيق شير . وقال لصيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين «تأكل تمرًا وأنت أرمد قل إنني أكل من الجانب الآخر فبسم صلى الله عليه وسلم (٦)» . وأما فعله عليه الصلاة والسلام فقد روى في حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر وشرب الدواء كل سنة (٧) قيل السنة للمكي . وتداوى ^{بالحجارة} غير مرة من القرب وغيرها (٨) وروى أنه كان إذا نزل عليه الوحي صدم رأسه فكان ينفله بالخناء (٩) وفي خبر أنه كان إذا خرجت به فرحة جعل عليها خاء وقد جعل على فرحة خرجت به تراباً (١٠) وما روى في تداويه وأمره بذلك كثير خارج عن المحصر وقد صنف في ذلك كتاب وصي طبة النبي صلى الله عليه وسلم وذكر بعض العلماء في الأسرانيات أن موسى عليه السلام اعتل بيلة فدخل عليه بنو إسرائيل فصرفوا علة

(١) حديث من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة الطبراني من حديث معقل بن يسار وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس وإسنادهما واحد اختلف على رواه في الصحاح وكلاماً فيه زيد العمى وهو ضعيف (٢) حديث أمره بالتداوي لغير واحد من الصحابة الترمذي وابن ماجه من حديث أسامة بن شريك أنه قال للأعراب حين سألوه تداووا الحديث وسياق في قصة على وصيب في الحجية بعده (٣) حديث قطع عرقاً لسعد بن معاذ مسلم من حديث جابر قال رمى سعد في أكله خمسة النبي صلى الله عليه وسلم يده بمشقص الحديث (٤) حديث أنه كوى أسعدين زرارة الطبراني من حديث سهل بن حنيف بسند ضعيف ومن حديث أبي أسامة بن سهل بن حنيف دون ذكر سهل (٥) حديث قال لعلي وكان رمداً لائماً كل من هذا الحديث أبو داود والترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم للنضر (٦) حديث قال لصيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين تأكل تمرًا وأنت رمد الحديث تقدم في آفات اللسان (٧) حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر وشرب الدواء كل سنة ابن عدي من حديث عائشة وقال إنه منكر وفيه سيف بن محمد كذبه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين (٨) حديث أنه تداوى غير مرة من القرب وغيرها الطبراني بإسناد حسن من حديث جبلة بن الأزرقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبغته عرق بفضي عليه فراقه الناس الحديث وله في الأوسط من رواية سعيد بن مسيرة وهو ضعيف عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى قمح كفا من شونيز وشرب عليه ماء وعسلاً ولأبي يعلى والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن جعفر أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم بماء من فيه جابر الجعفي ضطه الجمهور (٩) حديث كان إذا نزل عليه الوحي صدم رأسه فنفله بالخناء البزار وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة وقد اختلف في إسناده على الأحوص بن حكيم كان إذا خرجت به فرحة جعل عليها خاء الترمذي وابن ماجه من حديث سلمى قال الترمذي غريب (١٠) حديث جبل على فرحة خرجت يده تراباً البخاري ومسلم من حديث عائشة كان إذا اشتكى اللسان التي منه أكانت فرحة أوجرح قال النبي صلى الله عليه وسلم يده هكذا ووضع سفيان بن عيينة الراوي سبابة بالأرض ثم رفسها وقال بسم الله تربة أرضنا ورقعة بضنا يشفي سقمنا.

ذلك النور في القلب همه
عالية بأحد معان ثلاثة
إما بفرض أمر به
أو بفعل نهب إليه
وإما بمباح يسود
صلاحه إليه وهذا
الكلام يدل على أن
حركة الروح والنفس
هما للوجبتان للمتين .
وعندى والله أعلم أن
المتين يتقدمان على
حركة الروح والنفس
فحركة الروح من لمة
الملك والهمة العالية من
حركة الروح وهذه
الحركة من الروح يركب
للملك وحركة النفس
من لمة الشيطان ومن
حركة النفس الهمة
الدينية وهي من شؤم لمة
الشيطان فإذا وردت
الامتنان ظهرت الحركة

قالوا له لو تدأوت بكذا لبرئت فقال لا تدأوى حتى يفاضى هو من غير دواء فطالت علته قالوا له إن دواء هذه الة معروف مجرب وإن اتدأوى به فبرأ فقال لا تدأوى وأقامت علته فأوحى الله تعالى إليه وعزى وجلالى لأبرأك حتى تدأوى بما ذكره لك فقال لهم داوونى بما ذكرتم فدأووه فبرأ فأوحى فى نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أردت أن تبطل حكمى بتوكلك على من أودع العقابر منافع الأشياء غيرى . وروى فى خبر آخر أن نبيا من الأنبياء عليهم السلام شكاه ليهجدها فأوحى الله تعالى إليه كل اليس . وشكا نبي آخر الضعف فأوحى الله تعالى إليه كل اللحم بالبن فان فيهما القوة قيل هو الضعف عن الجلع . وقد روى أن قوما شكوا إلى نبيهم قبح أولادهم فأوحى الله تعالى إليه مرهم أن يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه عمن الولد . وفعل ذلك فى الشهر الثالث والرابع إذ فيه يصور الله تعالى الولد . وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل والقصاء الرطب فهذا تبين أن مسبب الأسباب أجرى سنته بربط السببات بالأسباب بظواهر الحكمة والأدوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الأسباب فكأن الحزب دواء الجوع والشاء دواء العطش فالسكتجين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لإيثاره إلى أحد أمرين : أحدهما أن معالجة الجوع والعطش بالماء والحزب على واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكتجين يدركه بعض الخواص فمن أدرك ذلك بالتجربة التيق فى حقه بالول : والثانى أن الدواء يسهل والسكتجين يسكن الصفراء بشرط آخر فى الباطن وأسباب فى الزاج ربما يتعدى التوفى على جميع شروطها وربما يغوت بعض الشروط فيقاع الدواء عن الاستمال . وأما زوال العطش فلا يستدعى سوى للداء شروطا كثيرة وقد يتفق من العوارض ما يوجب داء العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلال الأسباب أبدا ينحصر فى هذين الشئين وإلا فالسبب يتلو السبب لاحالة لهما تحت شروط السبب وكل ذلك بتدبير مسبب الأسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر للتوكل استعماله مع النظر إلى مسبب الأسباب دون الطبيب والدواء فقد روى عن موسى عليه السلام أنه قال يارب من الهاء الدواء؟ فقال تعالى منى قال فما يصنع الأطباء؟ قال يا كلون أرزاقهم ويطيرون نفوس عبادى حتى يأتى شفاى أو قضائى فاذن معنى التوكل مع التدأوى التوكل بالعلم والحال كما سبق فى فنون الأعمال الله فاضة للضرر الجالبة للنعف فأما ترك التدأوى راسا فليس شرطا فيه . فان قلت فالسكى أيضا من الأسباب الظاهرة النفع . فأقول ليس كذلك إذ الأسباب الظاهرة مثل القصد والحجامة وشرب السهل وسقى للبردات للحرور وأما السكى فلو كان مثله فى الظهور لما حلت البلاد الكثيرة عنه ولما يتباد السكى فى أكثر البلاد بما لا عادة بعض الأتراك والأعراب فهذا من الأسباب الوهومة كالرقى إلا أنه يتميز عنها بأمر وهو أنه خرق النار فى الحال مع الاستغناء عنه فانه آمن وجع يصلح بالسكى إلا أنه دواء يفتى عنه ليس فيه إحراق فالأحراق بالنار جرح مخرب للبدن محذور السراية مع الاستغناء عنه بخلاف القصد والحجامة فإن سرابتهما بعيدة ولا يسد مسدهما غيرها وذلك . «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السكى دون الرقى» (١) وكل واحد منهما بعيد عن التوكل وروى أن عمران بن الحصين اعتل فأشربوا عليه بالسكى فامتنع فلم يز الواب وعرم عليه الأمر حتى أكتوى فكان يقول كنت أرى نورا وأسمع صوتا وتسلم لى اللانكة فلما أكتويت اقطع ذلك عنى وكان يقول أكتوينا كيات فوالله ما فلتحت ولا أنجحت ثم تاب من ذلك وأتاب إلى الله تعالى

وظهر سر المطاء والابتلاء من معط كريم ومبل حكيم وقد تسكون هاتان اللتان متداركتين ويشمعى أثر أحدهما بالأخرى ولتلفظن التيقظ يفتتح عليه بمطالبة وجود هذه الآثار فى ذاته باب ألى وبقى أبدأت فقد أحالة مطالعا آثار الامتين . وذكر خاطر خامس : وهو خاطر العقل متوسط بين الخواطر الأربعة يكون مع النفس والمدو لوجود التميز وإثبات الحجة على البعد ليدخل البعد فى الشئ بوجود عقل إذ لو فقد العقل سقط العقاب والعتاب وقد

(١) حدث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السكى دون الرقى البخارى من حديث ابن عباس وأنهى أمى عن السكى ، وفى الصحيحين من حديث عائشة رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرقية من كل ذى حمة .

فرد الله تعالى عليه ما كان يحد من أمر الملائكة وقال لطرف بن عبد الله ألم تر إلى الملائكة التي كان أكرمى الله بها قد ردها الله تعالى على بيد أن كان أخره بفتحها فاذن السك وما جرى مجراه هو الذي لا يليق بالتوكل لأنه يحتاج في استنباطه إلى تدبير ثم هو مسموم ويدل ذلك على شدة ملاحظة الأسباب وعلى التصق فيها والله أعلم .

(بيان أن ترك التداوى قد يحمى في بعض الأحوال ويدل على قوة التوكل)

وأن ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم)

اعلم أن الدين تداوى من السلف لا يهتدون ولكن قد ترك التداوى أيضا جماعة من الأكابر فرعا يظن أن ذلك قصص لأنه لو كان كالتوكل ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لا يكون حال غيره في التوكل أكمل من حاله ، وقدرى من أبي بكر رضى الله عنه أنه قيل له لو دعونا لك طبيا قال الطبيب قد نظر إلى وقال إني فعالم أريد . وقيل لأبي البراءة في مرضه ما تشكى قال ذنوبي قيل فأتشمتي قال مغفرة ربى قالوا ألا تدعوك طبيا قال الطبيب أمرضى . وقيل لأبي ذر وقد رمدت عيناه لوداوتها قال إني عنهما مغفول فقيل لوسألت الله تعالى أن يفايك قال أسأله فيها هوأم على منها . وكان الربيع ابن خيثم أصابها جمل فقيل له لو تداويت فقال قد همت ثم ذكرت عادا وعمودا وأصحاب الرس وقرونايين ذلك كثير أو كان فيهم الأطباء فهلك التداوى وللداوى ولم تكن الرقى شيئا . وكان أحمد بن حنبل يقول أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوى من شرب الدواء وغيره وكان به علل فلا يخبر للطبيب بها أيضا إذا أسأله . وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل قال إذا دخل عليه الضرر في جسمه والنفس في ماله فلم يلتفت إليه شغلا به . وينظر إلى قيام الله تعالى عليه فإذا منهم من ترك التداوى وراهم ومنهم من كرهه ولا يرضح وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لهم إلا يهتدون الصوارف من التداوى . فقول إن ترك التداوى أسبابا . السبب الأول : أن يكون المريض من الكسافين وقد كوشف بأنه انتهى أجله وأن الدواء لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده تارة رؤيا صادقة وتارة بحس وطن وتارة بكشف محقق ويضبط أن يكون ترك الصديق رضى الله عنه التداوى من هذا السبب فإنه كان من الكسافين فإنه قال لعائشة رضى الله عنها في أمر اليراث إنما هن أخذت وإنما كان لها أخت واحدة ولكن كانت امرأته حاملا فولدت أنثى فعلم أنه كان قد كوشف بأنها حامل بأنثى فلا يمد أن يكون قد كوشف أيضا بأنها أجه . وإلا فلا يظن به إنكار التداوى وقد شاهد رسول الله ﷺ تداوى وأمر به . السبب الثاني : أن يكون المريض مشغولا بماله وخوف قاطبة وإطلاع الله تعالى عليه فيفسد ذلك ألم المرض فلا يترغ قلبه للتداوى شغلا به . وعليه بدل كلام أبي ذر إذ قال إني عنهما مغفول . وكلام أبي البراءة إذ قال إنما تشكى ذنوبي فكان تأنيبه خوفا من ذنوبه أكثر من تأنيبه بالمرض ويكون هذا كالصواب بموت عزيز من أعزته أو كالخائف الذي يعمل إلى ملك من اللوك ليقول لا تأكل له لانا تأكل وأنت جائع فيقول أنا مشغول عن ألم الجوع فلا يكون ذلك إنكارا لسكون الأكل ناسا من الجوع ولا طمنا فيمن أكل وقرب من هذا اشتغال سهل حيث قيل له ما القوت فقال هوذا كراخى القيوم فقيل إنما سألتك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل سألتك عن التداوى قال التداوى هو الدكر قيل سألتك عن طعمة الجسد قال مالك وللجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخر إذا دخل عليه حلة فرده إلى صانعه أما رأيت الصنعة إذا عيت ردها إلى صانعها حتى يصلحها . السبب الثالث : أن تكون الصحة مزمنة والدواء الذى يؤمر به بالإضافة إلى علته موهوم الكف جار مجرى السك والرقية فيترك التوكل وإليه يشير قوله الربيع بن خيثم إذ قال ذكرت عادا

يكون مع الملك والروح
ليوقع القمل مختارا
ويستوجب به
الثواب . وذكر
خاطر سادس وهو خاطر
اليقين وهو روح
الإيمان ومزيد العلم
ولا يبعد أن يقال الخاطر
السادس وهو خاطر
اليقين حاصله راجع
إلى ما يريد من خاطر
الحق وخاطر العقل
أصله تارة من خاطر
للك وتارة من خاطر
النفس وليس من
العقل بخاطر على
الاستقلال لأن العقل
كأذكرنا غريزة يتبعها
بإدراك العلوم ويتبعها
بها الانجذاب إلى
دواعي النفس تارة
وإلى دواعي الملك تارة

وتعود وفيهم الأطباء فهلك التداوى وللدواى أى أن الدواى غير موقوف بهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عندل من كذلك لقلة عمارسته لطب وقلة تجربته له فلا ينقلب على ظنه كونه نافعا ولائك في أن الطبيب المحرب أشد اعتقادا في الأدوية من غيره فتكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة وأكثر من ترك التداوى من العباد والزهاد هذا مستندهم لأن يريق الدواى عنده شيئا موهوما لأصله وذلك صحيح في بعض الأدوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر إلى الكل نظرا واحدا فيرى التداوى تعبقا في الأسباب كالسكى والرقى فيتركه توكلا . السبب الرابع . أن يقصد الصيد بترك التداوى استيقا للرض لينال ثواب للرض يحسن الصبر على بلاد الله تعالى أولي جرب نفسه في القدرة على الصبر قد ورد في ثواب للرض ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على قدر إيمانه فإن كان صلب الإيمان هدد عليه البلاء وإن كان في إيمانه ضئيف خفف عنه البلاء ^(١) » وفي الخبر « إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب نحدك ذهبه بالنار فمن خرج كالذهب لا يبريز لا يردومهم دون ذلك ومنهم من خرج أسود حرقا ^(٢) » وفي حديث من طريق أهل البيت « إن الله تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه فإن صبر اجتبه فإن رضى اصطفاه ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « تحبون أن تكونوا كالحمر الضالة لا تعرضون ولا تقصمون ^(٤) » وقال ابن مسعود رضى الله عنه بعد للؤمن أصح شيء قلبا وأمرضه جسما ومجد للنافق أصح شيء جسما وأمرضه قلبا . فلما عظم ابتلاء على للرض والبلاء أحب قوم للرض واغتموه لينالوا ثواب الصبر عليه فكان منهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسى العلة ويرضى بحكم الله تعالى وسلم أن الحق أغلب على قلبه من أن يشغله للرض عنه وإنما يخفى للرض جوارحه وعلوا أن صلاحهم تعودا مثلا مع الصبر على قضاء الله تعالى أفضل من الصلاة قايما مع العافية والصحة في الخبر « إن الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا لعبدي صالح ما كان بعمله فإنه في وثاقى إن أطلقته أبدلته لحا خيرا من لحه وحما خيرا من دمه وإن توفيته توفيته إلى رحمتي ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس ^(٦) » قال معناه ما دخل عليه من الأمراض والمصائب وإليه الإشارة بقوله تعالى - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم - وكان سهل يقول ترك التداوى وإن ضعف عن الطاعات وقصر عن القرائن أفضل من التداوى لأجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يتداوى الناس منها وكان إذا رأى العبد يصلى من

(١) حديث نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل الحديث أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه على شرط مسلم نحوه مع اختلاف وقد تقدم مختصرا ورواه الحاكم أيضا من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب نحدك ذهبه بالنار الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضئيف (٣) حديث من طريق أهل البيت إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يخرج له ولده في مسنده والطبراني من حديث أبي عتبة إذا أراد الله بعبده خيرا ابتلاه وإذا ابتلاه اقتناه لا يترك له مالا ولا ولدا وسنده ضئيف (٤) حديث تحبون أن تكونوا كالحمر الضالة لا تعرضون ولا تقصمون ابن أبي عاصم في الأحاد والمثنى وأبو نعيم وابن عبد البر في الصحابة والبيهقي في الشعب من حديث أبي فاطمة وهو صدر حديث إن الرجل ليكون له المنزلة عند الله الحديث وقد تقدم (٥) حديث إن الله يقول للملائكة اكتبوا لعبدي صالح ما كان بعمله فإنه في وثاقى الحديث الطبراني من حديث عبد الله بن عمر وقد تقدم (٦) حديث أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس تقدم ولم أجده مرفوعا .

إلى دواعى الروح تارة
وإلى دواعى الشيطان
تارة فلي هذا لأزيد
الحواطر على أربعة
ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يذكر غير
المتين وهاتان المتان
هما الأصل والحواطران
الآخران فرع عليهما
لان لمة لللك إذا حركت
الروح واهتزت الروح
بالهمة الصالحة قربت
أن تهز بالهمة الصالحة
إلى حظ راقب فورد
عليه عند ذلك خواطر
من الحق وإذا تحقق
بالقرب بتحقيق بالقناء
فتثبت الخواطر الرابضة
عند ذلك كما ذكرناه
قبل لموضع قربه
فيكون أصل خواطر
الحق لمة لللك ولمة

فعود ولا يستطيع أعمال البر من الأمراض فيتدوى للقيام إلى الصلاة والتهوض إلى الطاعات يسحب
 من ذلك ويقول صلاته من قعود مع الرضا حاله أفضل من التدوى للقوة والصلاة قائما. وسئل عن
 شرب الدواء فقال كل من دخل في شيء من الدواء قائما هو سعة من الله تعالى لأهل الضعف، ومن لم
 يدخل في شيء فهو أفضل لأنه إن أخذ شيئا من الدواء ولو كان هو للساء البارد يسل عنه لم يأخذه ومن
 لم يأخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لمعلم
 بأن ذرة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح والرض
 لا يمنع من أعمال القلوب إلا إذا كان ألم غالبا مدهشا . وقال سهل رحمه الله علل الأجسام رحمة وعمل
 القلوب عقوبة ، السبب الخامس : أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خالفها عاجزا عن تكفيرها
 فبرى الرض إذا طال تكفيرا فترك التدوى خوفا من أن يسرع زوال الرض ففقد العمل ولا تزال
 الحى واللية بالعبد حتى يمضى على الأرض كالبردة ماعليه ذنب ولا خطيئة (١) وفي الخبر « حى يوم
 كفارة سنة (٢) قيل لأنها تهد قوة جنة وقيل للسان ثلثائة وستون مفصلا تدخل الحى في جميعها
 ويوجد من كل واحد أمنا فيكون كل ألم كفارة يوم ، ولما ذكر صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحى
 سأل زيد بن ثابت ربه عز وجل أن لا يزال محموا فترك الحى فخافه حتى مات رحمه الله وسأل ذلك
 طائفة من الأنصار فكانت الحى لا تزالهم (٣) ولما قال صلى الله عليه وسلم « من أذهب ألم كريهته
 لم يرض له ثوابا دون الجنة (٤) قال فقد كان من الأنصار من يتعمى العمى وقال عيسى عليه السلام :
 لا يكون عالما من لم يفرح بدخوله للصاب والأمراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من
 كفارة خطايا . وروى أن موسى عليه السلام نظر إلى عبد عظيم البلاء فقال يارب ارحمه فقال
 تعالى كيف أرحمه فيها به أرحمها به أكر ذنوبه وأزيد في درجاته . الحب السادس أن يستشعر
 العبد في نفسه مبادئ البطر والظن أن تطول مدة الصحة فيترك التدوى خوفا من أن يعاجله زوال
 الرض فتعاقده النفقة والبطر والظن أن يطول الأمل والتسويق في تدارك القات وتأخير الحرات
 فإن الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها يثبت الهوى وتحرك الشهوات وتدعو إلى المعاصي وأقلها
 أن تدعو إلى التمسك في اللباحث ، وهو تشجيع الأوقات وإهمال البرع العظيم في مخالفة النفس
 وملازمة الطاعات وإذا أراد له بعيد خيرا لم يحله عن التنبيه بالأمراض والصاب ولذلك قيل لا يخلو

(١) حديث لا تزال الحى واللية بالعبد حتى يمضى على الأرض كالبردة ماعليه خطيئة أبو يعلى وابن عدى
 من حديث أبي هريرة والطبراني من حديث أبي الدرداء نحوه وقال الصداع بدل الحى والطبراني في
 الأوسط من حديث أنس مثل المريض إذا صح وبرأ من مرضه كمثل البردة تقع من السماء تقع في صفاتها
 ولونها وأسايد ضعيفة (٢) حديث حى يوم كفارة سنة القضاء في مسند الشهاب من حديث ابن
 مسعود بسند ضعيف وقال ليلة بدل يوم (٣) حديث لما ذكر رسول الله ﷺ كفارة الذنوب بالحى
 سأل زيد بن ثابت أن لا يزال محموا الحديث وسأل ذلك طائفة من الأنصار أحمدوا أبو يعلى من حديث
 أبي سعيد الخدرى بإسناد جيد أن رجلا من المسلمين قال يا رسول الله أريت هذه الأمراض تصيننا مانا
 فيها قال كفارات قال إني وإن قلت قال فلو كفأ فوفها قال فدعا إني أن لا يفارقه العوك حتى يموت الحديث
 والطبراني في الأوسط من حديث أبي بن كعب أنه قال يا رسول الله ما جزاء الحى قال تجري الحسنات على
 صاحبها ما خلت عليه قدم أو ضرب عليه عرق فقال اللهم إني أسألك حى لا تمنى خروجا في سبيلك ولا
 خروجا إلى بيتك ولا لمسجد نبيك الحديث والاسناد مجهول قاله على بن اللديني (٤) حديث من أذهب الله
 كريهته لم يرض له ثوابا دون الجنة تقدم الرفوع منه دون قوله فقد كان من الأنصار من يتعمى العمى .

الشیطان اذا حركت
 النفس هوت بجلبتها
 الى مركزها من
 السرقة والطبع
 فظهر منها حركتها
 خواطر ملائمة لفرزتها
 وطبعها وهواها
 فصارت خواطر النفس
 نتيجة لمة الشيطان
 فأصلها لثان وينتجان
 آخرين وخواطر اليقين
 والقل مندرج فيها
 والله أعلم
 [الباب الثامن
 والخسون في شرح
 الحال والقام والقرى
 بينهما]

قد كثرت الاحتباء بين
 الحال والقام واختلفت
 إشارات الشيوخ في
 ذلك ووجود الاحتباء
 لمكان تشابهها

لأؤمن من علة أوفلة أوزلة وقد روى «أن الله تعالى يقول الفقر سجن وللرض قيدي أحبس بهمن أحب من خلقي» فإذا كان في الرض حبس عن الطيبان وركوب المعاصي فأى خير يزيد عليه ولم ينبغ أن يشتغل بصلاحه من بخاف ذلك على نفسه فالمعافية في ترك المعاصي قد قال بعض العارفين لإسان كيف كنت بعدى؟ قال في معافية قال إن كنت لم تمس الله عز وجل فأنت في معافية وإن كنت قد عصيته فأى داء أدوأ من اللصبة ماعوفى من عصي الله . وقال على كرم الله وجهه لما رأى زينة النبط بالعراق في يوم عيد ماهذا الذى أظهره ؟ قالوا يا أمير المؤمنين هذابوم عيدهم فقال كل يوم ليعصى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد . وقال تعالى - من بعد ما أراكم ماتحبون - قيل النوائى - إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى - وكذلك إذا استغنى بالمعافية . وقال بعضهم : إنما قال فرعون : أناربك الأئلى لطول المعافية لأنه لبث أربعمائة سنة لم يصدق له رأس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية لئنه الله ولواخذته الشقيقة يوما لشفلته عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية . وقال صلى الله عليه وسلم «أكثرنا من ذكر هادم اللذات (١)» وقيل الحى رائد اللوت فهو مذكرة له ودافع للتسويف ، وقال تعالى - أولابرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون - قيل يفتنون بأمراض يختبرون بها ، ويقال إن العبد إذا مرض مرضين ثم لم يقب قال له ملك اللوت يا فافل جارك منى رسول بدمرسول فلم يجيب ، وقد كان السلف لذلك يستوحشون إذا خرج عام ولم يصابوا فيه ينقص في نفس أو ماله وقالوا لا يخلو المؤمن في كل أربعين يوما أن يروع روعة أو يصاب بيلية حتى روى أن عمار بن ياسر تزوج امرأة فلم تمكن تحرض فطلقها وأن النبي صلى الله عليه وسلم «عرض عليه امرأة فسكى من وصفها حتى هم أن يتزوجها ، فقيل وأنها مامرنت قط ، فقال لاحاجة لى فيها (٢)» . و ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراض والأوجاع كالصداع وغيره ، فقال رجل وما الصداع ما أمره فقال صلى الله عليه وسلم : إليك عنى من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا وهذا (٣)» لأنه ورد في الخبر «الحى حظ كل مؤمن من النار (٤)» . وفي حديث أنس وعائشة رضى الله عنهما «قيل يارسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم ؟ فقال نعم من ذكر اللوت كل يوم عشرين مرة (٥)» وفي لفظ آخر «الذى يذكر ذنوبه فتحزنه» ولا شك في أن ذكر الموت على المريض أغلب فها أن كثرت فوائده المرض رأى جماعة ترك الحيلة في زوالها إذ رأوا أنفسهم مزيدا فيها لامن حيث رأوا التدوى نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم .

في شهما وتداخلهما
تقراءى لبعض الشيء
حالا وتراءى لبعض
مقاما وكلا الرقبتين
صحيح لوجود تداخلهما
ولا بد من ذكر ضابط
يفرق بينهما على أن
اللفظ والعبرة عنهما
مشعر بالرقق فالحال
سمى حال التحول وللقام
مقاما لثبوته واستقراره
وقد يكون الشيء
بينه حالا ثم يصير
مقاما مثل أن يثبت
من باطن العبد داعية
المحاسبة ثم تزول
الداعية بقلبة صفات
النفس ثم تعود ثم
تزول فلا يزال العبد
حال المحاسبة يتماهد
الحال ثم يحول الحال
بظهور صفات النفس

(١) حديث أكثرنا ذكر هادم اللذات الترمذى وقال حسن غريب والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٢) حديث عرضت عليه امرأة فذكر من وصفها حتى هم أن يتزوجها فقيل فاتها مامرنت قط فقال لاحاجة لى فيها أحمد من حديث أنس بنحوه بإسناد جيد (٣) حديث ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراض والأوجاع كالصداع وغيره ، فقال رجل وما الصداع ما أمره فقال إليك عنى الحديث أبوداود من حديث عامر البرام أخى الحضر [١] بنحوه وفى إسناده من لم يسم (٤) حديث الحى حظ كل مؤمن من النار للزائر من حديث عائشة وأحمد من حديث أبى أمامة والطبرائى فى الأوسط من حديث أنس وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وحديث أنس ضعيف وباقيها حسن (٥) حديث أنس وعائشة قيل يارسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم ؟

[١] الحضر : لطن من محارب بن خصفة .

(بيان الرد على من قال ترك التداوى أفضل بكل حال)

فلو قال قائل إنما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لغيره وإلا فهو حال الضعفاء، ودرجة الأقوياء توجب التوكل بترك الدواء، فيقال ينبغي أن يكون من شرط التوكل ترك الحمامة والقصد عند تبخيف الدم. فان قيل إن ذلك أيضا شرك فليكن من شرطه أن تلهغه العقرب أو الحية فلا ينحيا عن نفسه، إذ الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فأى فرق بينهما؟ فان قال وذلك أيضا شرط التوكل فيقال ينبغي أن لا يزيل لدغ العطش الماء ولدغ الجوع الخبز ولدغ البرد بالحية وهذا لا فائدة به، ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الأسباب سبحانه وتعالى وأجرى بها سنته، ويدل على أن ذلك ليس من شرط التوكل ما روى عن عمر رضى الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام واتوا إلى الحامية بنهم الخبر أن به موت عظيم وباء ذريعا فافترق الناس فرقتين، فقال بعضهم لا ندخل على الواء فقلنا بأيدينا إلى التهلكة، وقالت طائفة أخرى بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نهر من اللوت فنكون كمن قال الله تعالى فيهم - ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر اللوت - فرجعوا إلى عمر فسألوه عن رأيه، فقال ترجع ولا ندخل على الواء، فقال له الخائفون في رأيه: أضر من قدر الله تعالى؟ قال عمر نعم نعم فمن قدر الله إلى قدر الله، ثم ضرب لهم مثلا، قال: أرأيتم لو كان لأحدكم غنم فطمع وأدبها له حيتان: إحداها غصبة، والأخرى محبة أليس إن رعى الغصبة رعاها بقدر الله تعالى وإن رعى المحبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن ابن عوف ليسأله عن رأيه وكان غالبا فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك، قال: عندي فيه يأمر المؤمنين شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله أكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وإذا سمعتم بالواء في أرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع في أرض وأتم بها فلا تخرجوا فرارا منه (١) فخرج عمر رضى الله عنه بذلك وحده الله تعالى إذ وافق رأيه ورجع من الحامية بالناس، فاذن كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أطي المقامات إن كان أمثال هذا من شروط التوكل. فان قلت فلم ينهى عن الخروج من البلد الذى فيه الواء، وسبب الواء في الطب الهواء وأظهر طرق التداوى الفرار من الضر، والهواء هو للضر فلم يرخس فيه؟ فاعلم أنه لا خلاف في أن الفرار عن الضر غير منهي عنه، إذ الحمامة والقصد فرار من الضر وترك التوكل في أمثال هذا مباح وهذا لا يدل على القصد ولكن الذى يتقدح فيه والمعلم عند الله تعالى أن الهواء لا يضر من حيث إنه يلقى ظاهر البدن بل من حيث دواول الاستنشاق لانه إذا كان فيه عفونة ووصل إلى الرئة والقلب وباطن الأحشاء أثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الواء على الظاهر إلا بعد طول التأثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الأمر الذى استحك من قبل ولكن يؤخر الحلاص فيصير هذا من جنس اللوهومات كالرق والطيرة وغيرها، ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منياعه ولكن صار منها عنه لأنه انضاف إليه أمر آخر وهو أنه لو رخص للأصحاء في الخروج لما بقى في البلد إلا للرضى الذين أقدمهم الطاعون فانكسرت قلوبهم وقعدوا للتمهدين ولم يبق في البلد من يستقيم للاداء يطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتهما بأنفسهم فيكون ذلك سعيًا في إهلاكهم تحقيقًا وخلاصهم منتظر

فقال نعم من ذكر اللوت كل يوم عشرين مرة لم أظف له على إسناد (١) حديث عبد الرحمن بن عوف عن إذا سمعتم بالواء في أرض فلا تقدموا عليه الحديث وفي أوله قصة خروج عمر بالناس إلى الحامية أتوا بنهم بالشام وباء الحديث رواه البخارى.

إلى أن تتداركه
للعونة من الله الكريم
ويطلب حال الحامية
وتستقر النفس
وتتصبط وتماسكها
الحامية قصير الحامية
وطنه ومستقره ومقامه
قصير في مقام الحامية
بعد أن كان له حال
الحامية، ثم ينازله
حال الرابضة، فمن
كانت الحامية مقامه
يصير له من الرابضة
حال، ثم يحول حال
للابضة لتناوب السهو
والنفلة في بطن العبد
إلى أن ينقش ضباب
السهو والنفلة ويتدارك
الله عبده بالعونة
قصير للرابضة مقاما
بعد أن كانت حالولا
يستقر مقام الحامية

كا أن خلاص الأسماء منتظر فلو أقاموا لم تكن الإقامة قاطمة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع في إهلاك الباقيين والمسلمون كالبقيان يشد بعضه بعضا وللمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى إليه سائر أعضائه فهذا هو الذى يتقدح عندنا في قليل التهى وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد إلى البلد فانه لم يؤثر الهواء في باطنهم ولا بأهل البلد حاجة إليهم ، ثم لو لم يبق بالبلد إلا مطعونون وانفقوا إلى المنتهدين وقدم عليهم قوم فرما كان يتقدح استجاب الدخول ههنا لأجل الاعانة ولا يهين عن الدخول لأنه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين ، وبهذا عبه القرار من الطاعون في بعض الأخبار بالقرار من الزحف (١) لأن فيه كسرا لقلوب بقية المسلمين وسعيًا في إهلاكهم فهذه أمور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر إلى ظواهر الأخبار والآثار يتناقض عنده أكثر ما يحسنه وظط العباد والزهاد في مثل هذا كثير وإنما شرف العلم وفضيلته لأجل ذلك . فان قلت ففي ترك التدوى فضل كما ذكرت فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التدوى لينال الفضل ؟ - فنقول فيه فضل بالإضافة إلى من كثرت ذنوبه ليكفرها أو خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشرورات أو احتاج إلى ما يذكره اللوث لعلية النعمة أو احتاج إلى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين وللتوكلين أو نصرت بسيرة عن الاطلاع على ما ودع الله تعالى في الأدوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرقى أو كان شغله بهالة ينمعه عن التدوى وكان التدوى يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع فإلى هذه المآلى رجعت الصوارف في ترك التدوى وكل ذلك كالات بالإضافة إلى بعض الحائق وتقصان بالإضافة إلى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه أعلى من هذه المقامات كلها إذ كان حاله يقتضى أن تكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الأسباب وقدحاه فانه لم يكن له نظر في الأحوال إلا إلى مسبب الأسباب ومن كان هذا مقامه لم تعرضه الأسباب كما أن الرغبة في المال تقص الرغبة عن المال كراهية له وإن كانت كالأفسي أيضا قصص بالإضافة إلى من يستوى عنده وجود المال وعدمه فاستواء الحجر والذهب أكل من الحرجب من الذهب دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء للدر والذهب عنده وكان لا يمكنه تعلم الحلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لا حورفه على نفسه من إمساكه فانه كان أعلى رتبة من أن تعرضه الدنيا ، وقد عرضت عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبلها (٢) فكان ذلك يستوى عنده مباشرة الأسباب وتركها لمثل هذه المشاهدة وإنما لم يترك استعمال الدواء جريا على سنة الله تعالى وترخيصا لأمتة فيما تمس إليه حاجتهم مع أنه لا ضرر فيه بخلاف إدخال الأموال فان ذلك يعظم ضرره ، نعم التدوى لا بشر إلا من حيث رؤية الدواء نافعًا دون خالق الدواء وهذا قد نهى عنه ومن حيث إنه يقصده به الصحة ليستعان به على المعاصى وذلك منهى عنه والمؤمن في طالب الأمر لا يقصد ذلك وأحد من المؤمنين لا يرى الدواء نافعًا بنفسه بل من حيث إنه جلته الله تعالى سببا للنفع كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشعبا فحكم التدوى في مقصوده حكم الكسب فانه إن اكتسب للاستعانة على الطاعة أو على المعصية كان له حكمها وإن اكتسب للتنم المباح فله حكمه قد ظهر بالمآلى التى أوردناها أن ترك التدوى قد يكون أفضل في بعض الأحوال ، وأن التدوى قد يكون أفضل في بعض ، وأن ذلك يختلف باختلاف الأحوال

قراره لإبنازل حال المراقبة ولا يستقر مقام المراقبة قراره لإبنازل حال المشاهدة فإذا منع العبد بنازل حال المشاهدة استقرت مراقبته وصارت مقامه ونازل المشاهدة أيضا يصكون حالا يحول بالاستتار ويظهر بالتجلى ثم يصير مقاما وتتخلص نفسه عن كسوف الاستتار ثم مقام المشاهدة أحوال وزيادات وترقيات من حال الى حال أعلى منه كالنحقق بالبقاء والتخلص إلى البقاء والترقى من عين اليقين إلى حق اليقين نازل بحرق شغاف القلب وذلك أعلى فروع

(١) حديث تشبيه القرار من الطاعون بالقرار من الزحف رواه أحمد من حديث عائشة باسناد جيد ومن حديث جابر باسناد ضعيف وقد تقدم (٢) حديث أنه عرضت عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبلها فقدم ولفظه عرضت عليه مفاتيح خزائن السماء وكنوز الأرض فردها .

والأشخاص والنيات وأن واحدا من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل إلا ترك اللوهومات كالسكى والرقى فان ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالتوكلين .

(بيان أحوال التوكلين في إظهار المرض وكنهاته)

اعلم أن كنهان المرض وإخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر وهو من أعلى اللقائات لأن الرضا بحكم الله والصبر على بلاءه معاملة بينه وبين الله عز وجل فكنهاته أسلم عن الآفات ومع هذا فالإظهار لأبأس به إذا صحت فيه النية والقصد ومقاصد الإظهار ثلاثة : الأول أن يكون غرضه التداوى فيحتاج إلى ذكره الطبيب فيذكره لافي معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى ، فقد كان بشر يصف لجبد الرحمن المطيب أوجاعه وكان أحمد بن حنبل يخبر بأمراض يجدها ويقول إنما أصف قدرة الله تعالى في . الثاني : أن يصف لتبر الطبيب وكان عن يفتدى به وكان مكينا في المعرفة فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بأن يظهر أنه يرى أن المرض نعمة فيشكر عليها فيحدث بكاي يحدث بالنم . قال الحسن البصري : إذا حمد المريض لله تعالى وعسكرك ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى . الثالث أن يظهر بذلك مجزؤه وإخفاره إلى الله تعالى وذلك بحسن من تليق به القوة والشجاعة ويستبعد منه السجوا كما روى أنه قيل لملى في مرضه رضى الله عنه كيف أنت قال بشر فظن بعضهم إلى بعض كأنهم كرهوا ذلك وظنوا أنه شكاية فقال أتجد على شيء ؟ فأحب أن يظهر مجزؤه وإخفاره مع ما علم به من القوة والضراوة وتأدب فيه بأدب النبي صلى الله عليه وسلم إياه حيث مرض على كرم الله وجهه فسمعه عليه السلام وهو يقول : اللهم صبرنى على البلاء فقال له صلى الله عليه وسلم « لقد سألت الله تعالى البلاء فسل الله العافية (١) » فبهذه النيات يرخس في ذكر المرض وإنما يشترط ذلك لأن ذكره شكاية والشكوى من الله تعالى حرام كذا كرته في تحريم السؤال على الفقراء إلا بضرورة ويصير الإظهار شكاية بقرينة السخط وإظهار الكراهة لله تعالى فان خلا عن قرينة السخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بأن الأولى تركه لأنه ربما يوم الشكاية ولأنه ربما يكون فيه تمنع ومزيد في الوصف على الموجود من العلة ومن ترك التداوى توكلا فلاوجه في حقه للإظهار لأن الاستراحة إلى الدواء أفضل من الاستراحة إلى الأفتاء ، وقد قال بعضهم من بث لم يصبر ، وقيل في معنى قوله فصبر جميل - لا شكوى فيه ، وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذي أذهب بصرك ؟ قال مر الزمان وطول الأحزان فأوحى الله تعالى إليه : فخرت لشكوى إلى عبادي فقال يارب أيوب إليك ، وروى عن طائوس ومجاهد أنهما لا يكتب على المريض آتينه في مرضه وكانوا يكرهون آئين المرض لأنه إظهار معنى يقتضى الشكوى حتى قيل ما أصاب إيطيس لئنه الله من أيوب عليه السلام إلا آتينه في مرضه فجعل الأئين حظه منه ، وفي الخبر « إذا مرض العبد أوحى الله تعالى إلى الملكين انظرا ما يقول لواءه فان حمد الله وأثنى غير دعواه وإن شكا وذكر شرا فلا كذلك تكون (٢) » وإنما كره بعض العباد العبادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام فكان بعضهم إذا مرض أغلق بابا فليدخل عليه أحد حتى يرى فيخرج إليهم فضيل ووهيب وبشر ، وكان فضيل يقول أشهى أن أمرض بلا عواد وقال لا أكره العلة إلا لأجل العواد رضى الله عنه وعنه أجمعين .

(١) حديث مرض على فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول اللهم صبرنى على البلاء فقال لقد سألت الله البلاء فسل الله العافية تقدم مع اختلاف (٢) حديث إذا مرض العبد أوحى الله إلى الملكين انظرا ما يقول لواءه الحديث تقدم .

الشاهدة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أسألك إيمانا يشارى قلبي » قال سهل بن عبد الله للقلب تجوفان أحدهما باطن وفيه السمع والبصر وهو قلب القلب وسويداؤه والتجوف الثاني ظاهر القلب وفيه العقل ومثل العقل في القلب مثل النظر في العين وهو صقال لموضع مخصوص فيه بمنزلة الصقال الذي في سواد العين ومنه تنبعث الأشعة المحيطة بالمرئيات فهكذا تنبعث من نظر العقل أشعة العلوم المحيطة بالمعلومات وهذه الحالة التي خرفت شفاف

كل كتاب التوحيد والتوكل بمون الله وحسن توفيقه يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الحبة والشوق والأنس والرضا والله سبحانه وتعالى للوفيق .

﴿ كتاب الحبة والشوق والأنس والرضا ﴾

(وهو الكتاب السادس من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي زده قلوب أوليائه عن الالتفات إلى زخرف الدنيا ونضرتة ، وصنى أسرارهم من ملاحظة غير حضرته ، ثم استخلصها للمكوف على بساط عزته ، ثم جعل لهم بأسمائه وصفاته حتى أشرقت بأنوار معرفته ، ثم كشف لهم عن سبحات وجهه حتى احترقت بنار محبته ، ثم احتجب عنها بكنهه جلالة حتى تاهت في يدهاء كبريائه وعظمته ، فكلمنا اهتزت للملاحظة كنهه الجلال غشياً من الدهش ما أغبر في وجه العقل وبصيرته ، وكلمته بالنصراف آية نوديت من سرادقات الجلال صبراً بها الأيسر عن نيل الحق بجهله وعجزته ، فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقى في بحر معرفته ومحرقة بنار محبته . والصلابة على محمد خاتم الأنبياء بكامل نبوته ، وعلى آله وأصحابه سادة الخلق وأئمة ، وقادة الحق وأزمته وسلم كثيراً .

[أما بعد] فإن الحبة لله هي الغاية القصوى من اللقائات والدروة العليا من الدرجات فما بعد إدراك الحبة مقام الإلهو محرمة من ثمارها وتايغ من ثوابها كالشوق والأنس والرضا وأخوانها ولا قبل الحبة مقام الإلهو مقدمة من مقدماتها كالنوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر اللقائات إن عز وجودها فلم تخل القلوب عن الإيمان بإمكانها ، وأما حبة الله تعالى فقد عز الإيمان بها حتى أنكر بعض العلماء إمكانها ، وقال لا معنى لها إلا للواظبة على طاعة الله تعالى ، وأما حقيقة الحبة حال الإمعان في الجنس والمثال ولما أنكروا الحبة أنكروا الأنس والشوق ولذة النجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الأمر ، ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في الحبة ثم بيان حقيقتها وأسبابها ثم بيان أن لا مستحق للمحبة إلا الله تعالى ثم بيان أن أعظم اللذات لذة النظر إلى وجه الله تعالى ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الأسباب القوية لحب الله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الأنهم عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله تعالى للعبد ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى ثم بيان معنى الأنس بالله تعالى ثم بيان معنى الانبساط في الأنس ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان أن الدعاء وكرهه للعاصي لا تنافسه وكذا القرار من المعاصي ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة ، فهذه جميع بيانات هذا الكتاب .

(بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى)

اعلم أن الأمة مجمعة على أن الحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فرض وكيف يفرض ولا وجود له وكيف يفرض الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب ومحرمة فلا بد وأن تقدم الحب ثم بعد ذلك يطبع من أحب ويدل على إثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل - يحبهم ويحبونه - وقوله تعالى - والذين آمنوا أشد حبا لله - وهو دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الإيمان في أخبار كثيرة إذ قال أبو زر بنقيبى « يا رسول الله ما الإيمان قال أن يكون

القلب ووصلت إلى سويدائه وهي حق اليقين هي أسنى الطايا وأعز الأحوال وأشرها ونسبة هذه الحال من المشاهدة كنسبة الأجر من التراب إذ يكون تراباً ثم طيناً ثم لبناً ثم أجراً فالمشاهدة هي الأول والأصل يكون منها الفناء كالطين ثم البقاء كاللبن ثم هذه الحالة وهي آخر الفروع . ولما كان الأصل في الأحوال هذه الحالة وهي أشرف الأحوال وهي محض موهبة لا مكتسب سميت كل المواهب من النوازل بالبعد أحوالاً لأنها غير مقدورة

الله ورسوله أحب إليك مما سواهما^(١) وفي حديث آخر « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما^(٢) وفي حديث آخر « لا يؤمن العبد حتى يكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين^(٣) وفي رواية « ومن تشبهه كُفٌّ وقد قال تعالى - قل إن كان أبائكم أبناؤكم وإخوانكم - الآية. وإنما أجرى ذلك في معرض التهديد والإنكار وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحببة فقال «أحبوا الله لما ينذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله إياي^(٤) وروى «أن رجلاً قال يا رسول الله إني أحبك فقال ﷺ : استمدد لفقرك فقال إني أحب الله تعالى فقال استمدد للبلاء^(٥) »

وعن عمر رضي الله عنه قال «نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلاً عليه إهاب كبش قد تنطق به فقال النبي صلى الله عليه وسلم : انظروا إلى هذا الرجل الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يندوانه بأطبیب الطعام والشراب فدعا حب الله ورسوله إلى ماترون^(٦) وفي الخبر المشهور «إن إبراهيم عليه السلام قال للملك اللوث إذ جاءه ليقبض روحه : هل رأيت خليلاً يبعث خليفه فأوحى الله تعالى إليه هل رأيت محباً يكره لقاء حبيبه فقال ياملك اللوث الآن فأقبض^(٧) وهذا لا يجده إلا عبد يحب الله بكل قلبه . فإذا علم أن اللوث سبب اللقاء أنزعج قلبه إليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت إليه وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم ارزقني حيك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حيك واجعل حيك أحب إليّ من اللاء البارد^(٨) » وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال «يا رسول الله متى الساعة؟ قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم للزم مع من أحب^(٩) » قال أنس لما رأيت المسلمين فرحوا بشي بعد الاسلام فرحهم بذلك . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاتي من خالص محبة الله تعالى شغل ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر . وقال الحسن من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والؤمن لا يلهو حتى يغفل فإذا تفكر حزن . وقال أبو سليمان الداراني

(١) حديث أبي رزین القيلي أنه قال يا رسول الله ما الإيمان ؟ قال أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما أخرجه أحمد بزيادة في أوله (٢) حديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما متفق عليه من حديث أنس بلطف لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يكون أحب إليه من أهله وماله وذكره بزيادة (٣) حديث لا يؤمن العبد حتى يكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين وفي رواية ومن تشبهه كُفٌّ متفق عليه من حديث أنس واللفظ لمسلم دون قوله ومن تشبهه وقال البخاري من والده وولده وله من حديث عبد الله بن هشام قال عمر يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا نسي فقال لا والذي نفسي بيده حتى أكون إليك من تشك قال عمر فأتت الآن والله أحب إليّ من نسي فقال الآن يا عمر (٤) حديث أجوا الله لما ينذوكم به من نعمه الحديث الترمذي من حديث ابن عباس وقال حسن غريب (٥) حديث إن رجلاً قال يا رسول الله إني أحبك فقال استمدد لفقرك الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل بلطف فأعد لفقرك تخففاً دون آخر الحديث وقال حسن غريب (٦) حديث عمر قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلاً عليه إهاب كبش قد تنطق به الحديث أبو نعيم في الحلية بإسناد حسن (٧) حديث إن إبراهيم قال للملك اللوث إذ جاءه ليقبض روحه هل رأيت خليلاً يبعث خليفه الحديث لم أجده أصلاً (٨) حديث اللهم ارزقني حيك وحب من يحبك الحديث تقدم (٩) حديث قال أعرابي يا رسول الله متى الساعة قال ما أعددت لها الحديث متفق عليه من حديث أنس ومن حديث أبي موسى وابن مسعود نحوه .

للعبد يكسبه فأطلقوا القول وتداولت السنة الشيوع أن القامات مكسب والأحوال مواهب وعلى الترتيب الذي درجنا عليه كلها مساوئب إذا مكسب محسوفة بالمواهب والواهب محسوفة بالمكسب فالأحوال مواجيد والقامات طرق الواجيد ولكن في القامات ظهر العكس وبطنت اللواهب وفي الأحوال بطن الكسب وظهرت اللواهب فالأحوال مواهب علوية ومساوية والقامات طرقها وقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه سلوني عن طرق

إن من خلق الله خاقا ، يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا . وروى أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نخلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما أرى فقالوا الخوف . من النار فقال حق على الله أن يؤمن الخائف ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا الشوق إلى الجنة فقال حق على الله أن يعطيك ما ترجون ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فاذا هم أهد نحولا وتغيرا كأن على وجوههم للرائي من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا نحب الله عز وجل فقال أتمم للقربون أتمم للقربون . وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل قائم في الشارع قلت أما تجد البرد فقال من شغله حب الله لم يجد البرد . وعن سرى السقطي تدعى الأمم يوم القيامة بأبنائها عليهم السلام فقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد غير المحبين لله تعالى فاتهم ينادون يا أولياء الله هلموا إلى الله سبحانه نكسك قلوبهم فتخلع فرسا . وقال هرم ابن حيان المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه وإذا أحبه أقبل إليه وإذا وجد حلالة الاقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا وبين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة . وقال يحيى بن معاذ عنه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف جهوه وجه يدهش العقول فكيف ودهوده ينس مادونه فكيف لطفه . وفي بعض الكتب عبيد أنا وحقت لك عجب بحق عليك كن لي محبا . وقال يحيى بن معاذ إلهي إني مقم بضائك مشغول بضائك صغيرا أخذتني إليك وسر بلتي عرفتك وأمكننتني من لطفك وهاكنتني في الأحوال وقلبتني في الأعمال سترتني وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وجبا تسقيني من حياضك وتملأني في رياضك ملازما لأمرك ومشغولا بقولك ولما طر شارب ولاح طائر في فكيف أنصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك دندنه وبالضراعة إليك هممة لأني عجب وكل عجب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد في حب الله تعالى من الأخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك أمر ظاهر وإنما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به .

(بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى)

اعلم أن الطالب من هذا الفصل لا ينكشف إلا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها وأسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى : فأول ما ينبغي أن يتحقق أنه لا يتصور محبة إلا بمعرفة وإدراك إذ لا يجب الإنسان إلا ما يعرفه ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب جماديل هومن خاصية الحى للدركات ثم للدركات في انقسامها تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه وإلى ما ينافيه وينافره ويؤلمه وإلى ما لا يؤثر فيه . ثم وإذا فكل ما في إدراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استحقاق ألم ولذة لا يوصف بكونه محبوا ولا مكروها فاذا كل لذة محبوبة عند المدرك ومعنى كونه محبوبا أن في الطبع ميل إليه ومعنى كونه مبغوضا أن في الطبع قرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء . للذ فان تأكد ذلك الميل وقوى معنى عشقا والبغض عبارة عن قرة الطبع عن المؤلم المتب فإذا قوى معنى مقتان هذا أصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته . الأصل الثاني : أن الحب لما كان تابعا للإدراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فليكن حاسة إدراك لنوع من المدركات ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل إليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلهذا العين في الابصار وإدراك البصيرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة ولذة الأذن في النغمات الطيبة للموزون ولذة الشم في الروائح الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللس في اللين والنعومة

السماوات فإني أعرف بها من طرق الأرض إشارة إلى اللطافات والأحوال فطسرق السماوات التوبة والزهة وغير ذلك من اللطافات فان السالك لهذه الطرق يسير قلبه معاويا وهي طرق السماوات وتمتزل البرصكات وهذه الأحوال لا يتحقق بها إلا ذو قلب ساوي . قال بعضهم الحال هو الذكر الحق وهذا إشارة إلى شيء مما ذكرناه وصمت للشيخ بالعراق يقولون الحال ما من الله فكل ما كان من طريق الاكتساب والأعمال يقولون هذا ما من العبد فاذا لاح للريد

ولما كانت هذه الدركات بالحواس ملئنة كانت محبوبة ي كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعل قرعة عني في الصلاة» (١) فسمى الطيب محبوبا ومعانوم أنه لاحظ العين والسمع فيه بل للشم فقط ومعنى النساء محبوبات ولا حظ فحين إلا للبصر واللسان دون الشم والذوق والسمع ومعنى الصلاة قرعة عين وجعلها أبلغ المحبوبات ومعلم أنه ليس تحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس مظهره القلب لا يدركه إلا من كان له قلب ولقد اتاح الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الإنسان فإن كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال إن الله تعالى لا يدركه بالحواس ولا يتشبه في الخيال فلا يجب فاذن قد بطلت خاصية الإنسان وما يتميز به من الحس السادس الذي يبر عنه إما بالعقل أو بالثور أو بالقلب أو بما شئت من المبررات فلا مشاحة فيه وهيات فالصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر والقلب أشد إدراكا من العين وجمال العاني للدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار فتكون لامحالة لذة القلب بما يدركه من الأمور الشريفة الإلهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى ولا معنى للحب إلا للآل إلى ما في إدراكه لذة كما سيأتي تفصيله فلا ينسرك إذ حب الله تعالى إلا من يقرب به المقصور في درجة البهائم فلم يجاوز إدراك الحواس أصلا . الأصل الثالث : أن الإنسان لا يخفى أنه يحب نفسه ولا يخفى أنه قد يحب غيره لأجل نفسه وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لأجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون أنه لا يتصور أن يحب الإنسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ إلى المحب سوى إدراك ذاته والحق أن ذلك متصور وموجود فلهذا أسباب المحبة وتوابعها ويأتي أن المحبوب الأول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه أن في طعمه ميلا إلى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لأن المحبوب بالطبع هو للآتم للحب وأي شيء أتم ملامته من نفسه ودوام وجوده وأي شيء أعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فذلك يحب الإنسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل والجهد ما يخافه بعد الموت ولا الجهد الحذر من تكرار الموت بل لو احتفظ من غير ألم وأميت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان كارهها لذلك ولا يجب الموت والعدم المحض إلا لقاساة ألم في الحياة ومهما كان مبتلى بلاء فحجبه زوال البلاء فإن أحب العدم لم يحبه لأنه عدم بل لأن فيه زوال البلاء فالحلاك والعدم محموت ودوام الوجود محبوب وكان دوام الوجود محبوب فكأن الوجود أيضا محبوب لأن الناقص فاقد للسكالك والنقص عدم بالإضافة إلى القدر للفقود وهو هلاك بالنسبة إليه والهلاك والعدم محموت في الصفات وكأن الوجود كما أنه محموت في أصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما أن دوام أصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطبع بحكم سنة الله تعالى - ولن تجد لسنة الله تبديلا - فاذن المحبوب الأول للإنسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقائه فالأعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لأن كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لأنه أيضا آلة في دوام الوجود وكأله وكذا سائر الأسباب . فالإنسان يحب هذه الأشياء للأعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكأله بها حتى إنه يحب ولده وإن كان لإناله منه حظ بل يتحمل للشاق لأجله لأنه يغلقه في الوجود بدعته فيكون في قضاء نفسه نوع بقاء له فلا يفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لما عجز عن الطمع في بقاء نفسه أبدا . ثم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه ياقا على اعتدائه آخر بقاء نفسه على بقاء ولده

(١) حديث حب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء الحديث الثاني من حديث أنس دون قوله

ثلاث وقد تقدم

شيء من الواهب
والواجب قالوا هذا
مأمن الله وموهه حالا
إشارة منهم إلى أن
الحال موهبة . وقال
بعض مشايخ خراسان
الأحوال موارث
الأعمال . وقال بعضهم
الأحوال حكا البروق
فان بقي حديث النفس
وهذا لا يكاد يستقيم على
الاطلاق وإنما يكون
ذلك في بعض الأحوال
فاتها تسطرق ثم تستلبها
النفس فأما على الإطلاق
فلا والأحوال لا تخرج
بالنفس كالهسن
لا يستخرج بالماء .
وذهب بعضهم إلى
أن الأحوال لا تكون

إلا إذا دامت فأما إذا لم تدم غشى لوائح وطوالع وبوادروهي مقدمات الأحوال وليست بأحوال . واختلف الشايع في أن العبد هل يجوز له أن ينتقل إلى مقام غير مقامه الذي هو فيه قبل إحكام حكم مقامه . قال بعضهم : لا ينبغي أن ينتقل عن الذي هو فيه دون أن يحكم حكم مقامه . وقال بعضهم : لا يكمل اللقائم الذي هو فيه إلا بعد ترقيه إلى مقام فوقه فينظر من مقامه العالي إلى مادونه من اللقائم فيحكم أمر مقامه . والأولى أن يقال والله أعلم : الشخص في مقامه يسطع حالاً من

لأن بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه الحق وكذلك حبه لأقاربه وعشيرته يرجع إلى حبه لكمال نفسه فانه يرى نفسه كثيراً بهم قويا بسببهم متجسلاً بكاملهم فان العشرة والمال والأسباب الخارجية كالجناس الكمال للانسان وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لاحالة فاذن المحبوب الأول عند كل حي ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والسكر وعنده ضد ذلك فهذه أول الأسباب . السبب الثاني : الاحسان فان الانسان عبد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبضمن من أساء إليها وقال رسول الله ﷺ « اللهم لا تجعل لفاقر على يدا فيجبه قلبي » (١) إشارة إلى أن حب القلب للحسن اضطرار لا استطاع دفعه وهو جبهة وفطرة لاسيلاً إلى تميزها وبهذا السبب قد يحب الانسان الأجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا إذا حقق رجع إلى السبب الأول فان الحسن من أمد بالمال وللمونة وسائر الأسباب للوصول إلى دوام الوجود وكمال الوجود حصول الحظوظ التي بها يتبها الوجود إلا أن الفرق أن أعضاء الانسان محبوبة لأن بها كمال وجوده وهي عين الكمال للطلب فأما الحسن فليس هو عين الكمال للطلب ولكن قد يكون سبباً له كالطبيب الذي يكون سبباً في دوام صحة الأعضاء فترقى بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة إذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لآلذاته بل لأنه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والأستاذ محبوب ولكن العلم محبوب لذاته والأستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لأنها وسيلة إلى الطعام فاذن يرجع الفرق إلى تفاوت الرتبة والإفكاح واحد يرجع إلى محبة الانسان نفسه فكل من أحب الحسن لآلذاته فما أحب ذاته تحقيقاً بل أحب إحسانه وهو فضل من أمثاله لوزال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقاً ولو قصص قص الحب ولو زاد زاد ويتطرق إليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه . السبب الثالث أن يحب الشيء لذاته لا لظنه ينال منه وراء ذاته بل تكون ذاته عين حفظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لأن إدراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظن أن حب الصور الجميلة لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة أخرى قد تحب الصور الجميلة لأجلها وإدراك نفس الجمال أيضاً للذينة فيجوز أن يكون محبوباً لذاته وكيف ينسرك ذلك والحضرة والماء الجاري محبوب لا ليشرب الماء وتوكل الحضرة أو ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه الحضرة والماء الجاري (٢) والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر إلى الأنوار والأزهار والأطيار للمليحة الألوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى إن الانسان لتفرج عنه القوم والمومم بالنظر إليها لالطلب حظ وراء النظر فهذه الأسباب ملئة وكل للذينة محبوب وكل حسن وجمال فلا يخفى إدراكه عن لذة ولا أحد ينسركون الجمال محبوباً بالطبع فان ثبت أن الله جميل كان لاحالة محبوباً عند من انكشف به جماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله جميل يحب الجمال » (٣) .

[الأصل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال] اعلم أن المحبوس في مضيق الخيالات والمحموسات

(١) حديث اللهم لا تجعل لفاقر على يدا فيجبه قلبي أبو منصور الدبلي في مسند القردوس من حديث معاذ بن جبل بسند ضعيف منقطع وقد تقدم (٢) حديث كان يعجبه الحضرة والماء الجاري أبو نعيم في الطب النبوي من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لم كان يحب أن ينظر إلى الحضرة وإلى الماء الجاري وإسناده ضعيف (٣) حديث إن الله جميل يحب الجمال مسلم في أثناء حديث لابن مسعود.

ربما يظن أنه لا معنى للحسن والجمال إلا تناسب الخلق والشكل وحسن اللون وكون اليأس مشرباً بالحرارة وامتداد القامة إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الإنسان فإن الحسن الأغلب على الخلق حسن الإبصار وأكثر التفاتهم إلى صور الأشخاص فيظن أن ما ليس بمصر ولا متخيلاً ولا متشكلاً ولا تلوناً مقدر فلا يتصور حسنه وإذا لم يتصور حسنه لم يكن في إدراكه لثمة لم يكن محبوباً وهذا خطأ ظاهر فإن الحسن ليس مقصوراً على مدركات البصر ولا على تناسب الخلق وامتزاج اليأس بالحرارة فإنا نقول هذا خطئ حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا إناء حسن فأى معنى لحسن الصوت والخطوسائر الأشياء إن لم يكن الحسن إلا في الصورة ومعلوم أن العين تستدب بالنظر إلى الخط الحسن والأذن تستدق استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شيء من المدركات إلا وهو منقسم إلى حسن وقبيح فبمعنى الحسن الذى تشترك فيه هذه الأشياء فلا بد من البحث عنه وهذا البحث يطول ولا يليق به المأتملة الاطناب فيه فنصرح بالحق ونقول كل شيء مجفاه وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به للممكن له فإذا كان جميع كالاته للممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذى جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كركه وفر عليه والخط الحسن كل جامع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازنها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده حسن كل شيء في كماله الذى يليق به فلا يحسن الإنسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن الأواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الأشياء. فان قلت فهذه الأشياء وإن لم تدرك جميعها بحس البصر مثل الأصوات والطعوم فانها لا تفارق عن إدراك الحواس لم نفهم محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادر كحسنا أو إننا ينكر ذلك في غير اللذة بالحواس. فاعلم أن الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات إذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه أخلاق جميلة وإنما الأخلاق الجميلة برادها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والورع وسائر خصال الخير وشي من هذه الصفات لا يدرك بالحواس المحس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة والوصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ذلك وأن الأمر كذلك أن الطباع مجبولة على حب الأنبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضى الله تعالى عنهم مع أنهم لم يشاهدوا بل على حب أرباب المذاهب مثل الشافعى وأبى حنيفة ومالك وغيرهم حتى إن الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد المشق فيحمله ذلك على أن ينفي جميع ماله في نصرة مذهبه والذب عنه ومخاطر روحه في قتال من يظن في إمامته ومتبوعه فكيف دم أريق في نصرة أرباب المذاهب وليت شعري من عجب الشافعى مثلاً لم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهدته ربما لم يستحسن صورته فاستحسنه الذى حمله على إفراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد اقبلت تراباً مع التراب وإنما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وعزارة العلم والاحاطة بدارك الدين واتهامه لا فائدة علم الشريعة ولتشره هذه الحيزات في العالم وهذا أمر جميل لا يدرك جمالها إلا بنور البصيرة فأما الحواس قاصرة عنها وكذلك من عجب أبابكر الصديق رضى الله عنه وبفضله على غيره أو عجب علياً رضى الله تعالى عنه وفضله ويحبسه له فلا يحجم إلا لاستحسان صورته الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم أن من عجب الصديق رضى الله تعالى عنه مثلاً ليس عجب عظمه ولحمه وجله وأطرافه وشكله إذ كل ذلك زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان للصديق به صدقوا هي الصفات الحمودة التى هي مصادر السير الجميلة فكان الحب باقياً

مقامه الأعلى الذى سوف يرتقى إليه فيوجد أن ذلك الحال يستقيم أمر مقامه الذى هو فيه ويتصرف الحق فيه كذلك ولا يضاف الشيء إلى العبد أنه يرتقى أولاً يرتقى فإن البعد بالأحوال يرتقى إلى المقامات والأحوال مواهب ترقى إلى المقامات التى يستخرج فيها الكسب بالموهبة ولا يلوح للعبد حال من مقام أعلى مما هو فيه إلا وقد قرب ترقيه إليه فلا يزال العبد يرقى إلى المقامات بزيادة الأحوال فلي ما ذكرناه يتضح تداخل المقامات والأحوال حتى التوبة

يقام تلك الصفات مع زوال جميع الصور ، وتلك الصفات ترجع جعلها إلى العلم والقدرة إذا علم حقائق الأمور وقدر على حل نفسه عليها بغير شهواته بجميع خلال الخير . يتشعب على هذين الوصفين ، وهما غير مدركين بالحس وعلمهما من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوباً لأجله ، فاذن الجمال موجود في النور ولو صدرت البصرة الجلية من غير علم وبصرة لم يوجب ذلك حياً للمحبوب مصدر السير الجلية ، وهي الأخلاق الحميدة والفضائل الشريفة ، وترجع جعلها إلى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى إن الصبي الخلق وطيمه إذا أردنا أن نحب إليه غائباً أو حاضراً حياً أو ميتاً لم يكن لنا سبيل إلا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الحصول الحميدة فهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر أن لا يحبه فهل غلب حب الصحابة رضي الله تعالى عنهم وبغض أبي جهل وبغض إبليس لعنه الله إلا بالاطناب في وصف المحاسن وللتفاني التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتماً بالسخاء ووصفوا خالداً بالشجاعة أحبتهم القلوب حياً ضرورياً وليس ذلك عن نظر إلى صورة محسوسة ولا عن حفظ يناله الحب منهم بل إذا حكم من سيرة بعض اللوك في بعض أقطار الأرض العدل والإحسان وإفاضة الخير غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار إحسانه إلى المحبين بعد الزار ونأى الديار ، فاذن ليس حب الإنسان مقصوراً على من أحسن إليه بل المحسن في نفسه محبوب وإن كان لا يتنهي قط إحسانه إلى الحب لأن كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما ، وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصرة الباطنة ، فمن حرم البصرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل إليها ، ومن كانت البصرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للعاني الباطنة أكثر من حبه للعاني الظاهرة ففتان بين من يحب نقشة مصوراً على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الأنبياء لجمال صورته الباطنة . السبب الخامس : للناسبة الخفية بين الحب والمحبوب ، إذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال أو حظ ولكن بمجرد تناسب الأرواح كما قال صلى الله عليه وسلم « لما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » (١) وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لأنه أيضاً من محابب أسباب الحب ، فاذن ترجع أقسام الحب إلى خمسة أسباب ، وهو حب الإنسان وجود نفسه وكاله وبقائه وحبه من أحسن إليه فيما يرجع إلى دوام وجوده ويسمين على بقائه ودفع الهمم عنه وحبه من كان محسناً في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسناً إليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته ، سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فواجتمعت هذه الأسباب في شخص واحد فتضاعف الحب لاعتداله كالأول كان للإنسان وله جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن إلى الخلق ومحسن إلى الوالد كان محبوباً لاعتداله غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الجمال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها ، فإن كانت هذه الصفات في أقصى درجات الكمال كان الحب لا عمالة في أعلى الدرجات ، فليبين الآن أن هذه الأسباب كلها لا يتصور كلها واجتماعها إلا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة إلا الله سبحانه وتعالى .

ولا يعرف قضية إلا فيها حال ومقام وفي الزهد حال ومقام وفي التوكل حال ومقام وفي الرضا حال ومقام . قال أبو عثمان الحيري منذ أربعين سنة ما أقمته الله في حال فسكرته ، أعار إلى الرضا ويكون منه خلاصاً يسير مقام المحبة حال ومقام ولا يزال العبد يتقرب بطروق حال التوبة حتى يتوب وطروق حال التوبة بالانزجار أولاً ، قال بعضهم الزجر هيجان في القلب لا يسكنه إلا الانقياد من اليقظة فيرده إلى اليقظة فأذا . يستغنى . أبصر الصواب من الخطأ .

(١) حديث لما تعارف منها ائتلف من حديث أبي هريرة . وقد تقدم في آداب الصحبة .

(بيان أن للاستحقاق للمحبة هو الله وحده)

وأن من أحب غير الله لا من حيث نسبتته إلى الله لذلك لجعله وقصوره في معرفة الله تعالى واجب الرسول صلى الله عليه وسلم محمود لأنه عين حب الله تعالى وكذلك حب العلماء والأشياء لأن محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب وعجب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يتجاوز إلى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوى البصائر إلا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه . وإيضاحه بأن ترجع إلى الأسباب الخمسة التي ذكرناها وتبين أنها مجتمعة في حق الله تعالى بجملة ما ولا يوجد في غيره إلا أحادها وأنها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم تخيل ، وهو مجاز محض لا حقيقة له . ومما ثبت ذلك انكشف لكل ذى بصيرة عند ما تخيله ضغف العقول والقلوب من استحالة حب الله تعالى حقيقة وبأن أن التحقيق يقتضى أن لا تحب أحدا غير الله تعالى . فأما السبب الأول وهو حب الإنسان نفسه وبقائه وكاله وديموم وجوده وبضئ هلاكه وعدمه وتقاضه وقواطع كاله فهذه جيلة كل حى ، ولا يتصور أن يفك عنها وهذا يقتضى غاية المحبة لله تعالى فإن من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا أنه لا وجود له من ذاته وإنما وجود ذاته وديموم وجوده وكاله وجوده من الله وإلى الله وبالله فهو المتعبر للوجود له وهو للبقى له وهو للكل لوجوده بخلاف صفات الكمال وخلق الأسباب للوصول إليه وخلق الهداية إلى استعمال الأسباب والأفانيد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالإيجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالبقاء ، وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكبير خلقة . وبالجملة فليس في الوجود شيء له نفسه قوام إلا التوهم الحى الذى هو قائم بذاته وكل ماسواه قائم به فإن أحب المعارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره ، فبالضرورة يجب التمسك لوجوده والديموم له إن عرفه خالقا موجدا وعترتها بقيا وقوام بنفسه ومقوما لغيره فإن كان لا يحبها فهو لجهاه بنفسه وبربه والمحبة ثمرة للعرفة فتستمد بالهدايا وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها . ولذلك قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى من عرف ربه أحبه ومن عرف الله نازده فيها وكيف يتصور أن يحب الإنسان نفسه ولا يحب ربه الذى به قوام نفسه ، ومعلوم أن البتلى بحر الشمس لما كان يجب الظل فيجب بالضرورة الأشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالإضافة إلى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالإضافة إلى الشجر والنور بالإضافة إلى الشمس فإن الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما أن وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر بل هذا المثال صحيح بالإضافة إلى أوهام العوام إذ تغياها أن النور أثر الشمس وقاض منها وجودها وهو خطأ محض إذ انكشف لأرباب القلوب انكشافا أظهر من مشاهدة الأبصار أن النور حاصل من قدرة الله تعالى احتراغا عند وقوع المقابلة بين الشمس والأجسام الكثيفة كما أن نور الشمس وعينا وشكلها وصورتها أيضا حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الغرض من الأمثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق فاذن إن كان حب الإنسان نفسه ضروريا فإنه من به قوامه أولا وديمومه ثانيا في أصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره وأعراضه أيضا ضرورى إن عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلا اشتغال بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالفه فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم بالشهادة الذى يشاركه البهائم في التمتع به والانساع فيه دون عالم الملكوت الذى لا يطاق أرضه إلا من يقرب إلى شيء من الملكات فينظر فيه بقدر قربته في الصفات من الملكات ويقتصر عنه بقدر انحطاطه إلى حضيض عالم البهائم .

وقال بعضهم : الزجر
بنياء في القلب يصير
به خطأ قصده والزجر
في مقدمة التوبة على
ثلاثة أوجه زجر من
طريق السلم وزجر
من طريق العقاب
وزجر من طريق
الايان فينازل الشاب
حال الزجر وهى
موبة من الله تعالى
تقوده إلى التوبة ولا
يزال بالسيد ظهور
هوى النفس يحوه
آثار حال التوبة
والزجر حتى تستقر
وتصير مقاما وهكذا في
الزهد لا يزال يتزهد
بنازلة حال توبه لئلا
ترك الإعتبال ، بالدنيا
وتتبع له الإقبال عليها

وأما السبب الثاني وهو حبه من أحسن إليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وأمدّه بمعونته وانتدب
 لئصرته وقمع أعداءه، وقام بدفع شرّ الأشرار عنه وانتدب وسيلة إلى جميع حظوظه وأغراضه في
 نفسه وأولاده وأثره فانه محبوب لا محالة عنده وهذا بعينه يقتضي أن لا يحب إلا الله تعالى فانه
 لو عرف حق المعرفة لعلم أن المحسن إليه هو الله تعالى فقط فأما أنواع إحسانه إلى كل عبيده فليست
 أعدها إذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - وقد
 أشرنا إلى طرف منه في كتاب الشكر ولكننا نقتصر الآن على بيان أن الاحسان من الناس غير
 متصور إلا بالمجاز وإنما المحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فيمن أنعم عليك بجميع خزائنه وممكنك
 منها لتتصرف فيها كيف تشاء فانك تظن أن هذا الاحسان منه وهو غلب فانه إنما تم إحسانه به
 وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال إليك فمن الذي أنعم بخلقته وخلق
 ماله وخلق قدرته وخلق إرادته وداعيته ومن الذي حببك إليه وصرف وجهه إليك وألقى في نفسه
 أن صلاح دينه أو دنياه في الاحسان إليك ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله ومهما سلف الله
 عليه الدواعي وقرر في نفسه أن صلاح دينه أو دنياه في أن يسلم إليك ماله كان مقهوراً مضطراً
 في التسليم لا يستطيع مخالفتها فالمحسن هو الذي اضطره لك وسخره ووسط عليه الدواعي الباعثة
 للرغبة إلى الفعل وأما يده فواسطة يصل بها إحسان الله إليك وصاحب اليد مضطر في ذلك اضطراً
 مجبري الساء في جريان الساء فيه فان انتقدته محسناً أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لأمن
 حيث هو واسطة كنت جاهلاً بحقيقة الأمر فانه لا يتصور الاحسان من الإنسان إلا إلى نفسه أما
 الاحسان إلى غيره فحال من المخلوقين لأنه لا يبدل ماله إلا لغيره له في البذل إما أجل وهو الثواب
 وإما عاجل وهو اللذة والاسترخاء أو اللذة والصيت والاشتهار بالسعادة والكرم وأجذب قلوب الخلق
 إلى الطاعة والمحبة وكان الإنسان لا يلقى ماله في البحر إذ لا غرض له فيه فلا يلقى في يد إنسان
 إلا لغيره له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده وأما أنت فليست مقصوداً بل يدلك الله في القبض
 حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء أو الشكر أو الثواب بسبب قبضك المال فقد استسخرك في القبض
 للتوصل إلى غرض نفسه فهو إذن محسن إلى نفسه ومعتاض بما يبدله من ماله عوضاً هو أرحم عنده
 من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لأجل ذلك أصلاً البتة فاذن هو غيره - متحقق للشكر
 والحب من وجهين : أحدهما أنه مضطر بتسلط الله الدواعي عليه فلا قدرته على المخالفة فهو جاز مجزى
 خازن الأمر فانه لا يرى محسناً بتسليم خلة الأمر إلى من خلق عليه لأنه من جهة الأمر مضطر إلى الطاعة
 والامتثال لما يرضه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الأمر ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن
 لو خلاه الله ونفسه لم يبدل حبة من ماله حتى سلف الله الدواعي عليه وألقى في نفسه أن حظه دينا
 ودنيا في ذل فبذلك لذلك . والثاني أنه معتاض عما يبدله حظاً هو أوفى عنده وأحب مما يبدله فكما
 لا يجد البائع محسناً لأنه يبدل بعوض هو أحب عنده مما يبدله فكذلك الواهب اعتاض الثواب
 أو الحمد والثناء أو عوضاً آخر وليس من شرط العوض أن يكون عيناً متداولاً بل الحظوظ كلها
 أعوض تستقر الأموال والأعيان بالإضافة إليها فالاحسان في الجود والجود هو بذل المال من
 غير عوض وحظ يرجع إلى الباذل وذلك محال من غير الله سبحانه فهو الذي أنعم على العالمين إحساناً
 إليهم ولأجلهم لاحظ غرض يرجع إليه فانه تعالى عن الأغراض فليظ الجود والاحسان في حق
 غيره كذب أو مجاز ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد والياض فهو المنفرد
 بالجود والاحسان والطول والامتنان فإن كان في الطبع حب المحسن فينبغي أن لا يحب العارف إلا الله

فتدعو أثر حاله بذلالة
 شره النفس وحرصها
 على الدنيا ورؤية العاجلة
 حتى تدركه المنة
 من الله الكريم فيزهد
 ويستقر زهده ويصير
 الزهد مقامه ولا تزال
 نازلة حال التوكل تفرغ
 باب قلبه حتى يتوكل
 وهكذا حال الرضا حتى
 يعتدل على الرضا ويصير
 ذلك مقامه وههنا
 لطيفة وذلك أن مقام
 الرضا والتوكل يثبت
 ويحكم ببقائه مع وجود
 داعية الطبع ولا يحكم
 ببقاء حال الرضا مع
 وجود داعية الطبع
 وذلك مثل كراهية
 يحدوها الراضى بحكم
 الطبع ولكن عليه
 بمقام الرضا يفسر حكم

تمالى إذ الاحسان من غيره محول فهو المستحق لهذه الحجة وحده وأما غيره فيستحق الحجة على
الانسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته . وأما السبب الثالث وهو حبك الحسن في نفسه وإن
لم يصل إليك إحسانه وهذا أيضا ، وجوده في الطباع فانه إذا بلغك خبر ملك عابد عادل عالم رفيق
لناس ملطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من أقطار الأرض بيد عنك وبلغك خبر ملك آخر
ظالم متكبر فاسق مهتك شرير وهو أيضا بيد عنك فانك تجد في قلبك خفة بينهما إذ تجد
في القلب ميلا إلى الأول وهو الحب وخفة عن الثاني وهو البغض مع أنك آيس من خير الأول
وآمن من شر الثاني لاقطاع طمعك عن التوغل إلى بلادهما فهذا حب الحسن من حيث إنه محسن
فقط لامن حيث إنه محسن إليك وهذا أيضا يقتضى حب الله تعالى بل يقتضى أن لا يحب غيره أصلا
إلا من حيث يتعلق منه بسبب فان الله هو الحسن إلى الكافة وللفضل على جميع أصناف الخلائق
أولا بإيجادهم وثانيا بتكليفهم بالأعضاء والأسباب التي هي من ضروراتهم وثالثا بترتيبهم وتسميمهم
بخلق الأسباب التي هي في مظان حاجاتهم وإن لم تكن في مظان الضرورة ورابعا بتجميعهم بالمزايا
والروائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الأعضاء
الرأس وانقاب والسكبد ومثال المحتاج إليه العين واليد والرجل ومثال الرتبة استقواس الحاجبين
وحفرة الشفتين وتلوذ العينين إلى غير ذلك مما لو فات لم تنخرم بهساجة ولا ضرورة ومثال الضروري
من النعم الخارجة عن بدن الانسان الساء والغذاء ومثال الحاجة الهواء والحمم والقواكه وثل للزوايا
والروائد خضرة الأشجار وحسن أشكال الأنوار والأزهار ولذات القواكه والأطعمة التي لا تنخرم
بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الأقسام الثلاثة موجودة لسكل حيوان بل لسكل نبات بل لسكل
صنف من أصناف الخلق من ذروة العرش إلى منتهى القرش فاذا هو الحسن فكيف يكون غيره
محسنا وذلك الحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق الحسن وخالق الاحسان
وخالق أسباب الاحسان فالحب بهذه الملة لغيره أيضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه
الملة إلا الله تعالى . وأما السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لخصه ينال منوره إدراك
الجمال قد بينا أن ذلك مجبول في الطباع وأن الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة للدركة وبين
الرأس وإلى جمال الصورة الباطنة للدركة وبين القلب ونور البصيرة والأول يدركه الصبيان والبهائم
والثاني يختص بذكره أرباب القلوب ولا يشاركون فيه من لا يسل إلا ظاهرا من الحياة الدنيا وكل
جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فان كان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في الشاهدة
حب الأنبياء والعلماء وذوى للكلام السنية والأخلاق للرضية فان ذلك متصور مع نقوش صورة
الوجه وسائر الأعضاء وهو للراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه ، نعم يدرك بحسن آثاره
الصادرة منه الدالة عليه حتى إذا دل القلب عليه مال القلب إليه فأجبه فمن يحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم أو الصديق رضى الله تعالى عنه أو الشافى رحمة الله عليه فلا يجهم إلا الحسن مظهره
منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي
مصدر الأفعال إذ الأفعال آثار صادرة عنها ودالة عليها فمن رأى حسن تصنيف للصف وحسن
شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الأفعال صفاتها الجميلة الباطنة
التي يرجع حاصلها عند البحث إلى العلم والقدرة ثم كلا كان للملوم أشرف وأتم جمالا وعظما
كان العلم أشرف وأجل وكذا القدرور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل
رتبة وأشرف قدرا وأجل للملومات هو الله تعالى فلا جرم أحسن الملوم وأشرفها معرفة الله تعالى

الطبع وظهور حكم
الطبع في وجود
الكرامية الضمورة
بالعلم لا بخرجه عن
مقام الرضا ولكن يفقد
حال الرضا لأن الحال لما
تجردت موهبة أحرقت
داعية الطبع فيقال
كيف يكون صاحب
مقام في الرضا لا يكون
صاحب حال فيه والحال
مقدمة المقام والمقام
أثبت قول : لأن المقام
لما كان مشوبا بكسب
البعد احتمل وجود
الطبع فيه والحال لما
كانت موهبة من الله
زهت عن مزج الطبع
بالحال الرضا أصلف ومقام
الرضا ممكن ولا بد
للمقامات من زائد
الأحوال فلا مقام إلا

وكذلك ما يقاربه ويخص به شرفه على قدر تعلقه به فاذن جمال الصديقين الذين نجحهم القلوب طبعاً ترجع إلى ثلاثة أمور : أحدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه . والثاني قدرتهم على إصلاح أنفسهم وإصلاح عباد الله بالارشاد والسياسة . والثالث تنزههم عن الرذائل واخبات والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة إلى طريق الشر وبمثل هذا يحب الأنبياء والعلماء والخلفاء وللوك الذين هم أهل العدل والكرم فأنسب هذه الصفات إلى صفات الله تعالى . أما العلم فأين علم الأولين والآخرين من علم الله تعالى الذي محيط بكل إحاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وقد خاطب الخلق كلهم فقال عز وجل - وما أوتيت من العلم إلا قليلاً - بل لو اجتمع أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وسكنته في تفصيل خالق نعمة أو بعوضة لم يظلموا على عشر عشر ذلك - ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء - والقدر اليسير الذي علمه الخلاق كلهم فقتليمه علوه كما قال تعالى - خالق الإنسان علمه البيان - فإن كان جمال العلم وشرفه أمراً محبوباً وكان هو في نفسه زينة وكلاً للموصوف به فلا ينبغي أن يحب بهذا السبب إلا الله تعالى فاعلم العلماء جهل بالإضافة إلى علمه بل من عرف أعلم أهل زمانه وأجمل أهل زمانه استحال أن يحب بسبب العلم الأجل ويترك الأعمال وإن كان الأجل لا يخلو عن علم ما تتفاضله معيشته والتفاوت بين علم الله وبين علم الخلق أكثر من السدوت بين علم أعلم الخلق وأجملهم لأن الأعمال لا يفضل الأجل لا بعلم معدودة متناهية يتصور في الامكان أن ينالها الأجل بالكسب والاجتهاد وفصل علم الله تعالى على علوم الخلق كلهم خارج عن النهاية إذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية . وأما صفة القدرة : فهو أيضاً كمال والعجز قص فكل كمال وبهاء وعظمة وعبد واستيلاء فانه محبوب وإدراكه للذي حتى إن الإنسان ليسمع في الحكاية شجاعة على وخاله . رضى الله عنها وغيرها من الشجاعتين وقدرتهما واستيلاءهما على الأفران فيصادف في قلبه اهتزاز وفرحاً وارتياحاً ضرورياً بمجرد لقائه السباع فضلاً عن الشاهدة ويورث ذلك جبا في القلب ضرورياً للمتصف به فانه نوع كمال فأنسب الآن قدرة الخلق كلهم إلى قدرة الله تعالى فأعظم الأشخاص قوة وأوسعهم ملكاً وأقوام بطشاً وأقهرهم للشهوات وأقمهم لحبائث النفس وأجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره ما منتهى قدرته وإغنايته أن يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض أشخاص الناس في بعض الأمور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا ضراً ولا نفعاً بل لا يقدر على حفظ عنه من الممى ولسانه من الحرس وأذنه من السمم وبدنه من اللرض ولا يحتاج إلى عدا ما يسبح عنه في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق بقدرة فضلاً عما لا يتعلق به قدرته من ملكوت السموات وأفلاك الكواكبها والأرض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواتها جميع أجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وينفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق أسبابه وللممكن له من ذلك وأوسط بوضا على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لأهلكه فليس لعبد قدرة إلا بتمكين مولاه كما قال في أعظم ملوك الأرض ذي القرنين إذ قال - إنا مكننا له في الأرض - فلم يكن جميع ملكه وسلطته إلا بتمكين الله تعالى إياه في جزء من الأرض والارض كلها مدرة بالإضافة إلى أجسام العالم وجميع الولايات التي يحظى بها الناس من الأرض غير من تلك المديرة ثم تلك التبرية أيضاً من فضل الله تعالى وتمكينه فيستحيل أن يحب عبداً من عباده الله تعالى لقدرة وسياسته وتمكينه واستيلائه وكما قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهو الجبار

بعد سابقة حال ولا
تفرد المقامات دون
سابقة الأحوال . وأما
الأحوال فلها ما يصير
مقاماً ومنها ما لا يصير
مقاماً والسر فيه
ما ذكرناه أن الكسب
في التمام ظهر واللوه
بطنت وفي الحال ظهرت
اللوهبة والكسب
بطن فلما كان في
الأحوال اللوهبة غالبية
لم تتباعد وصارت
الأحوال إلى ما لا نهاية
لها ولطف سسنى
الأحوال أن يصير مقاماً
ومقدورات الحق غير
متناهية ومواهبه غير
متناهية ولهذا قال
بعضهم لو أعطيت
روحانية عيسى وكألة
موسى وخلعة إبراهيم

القاهر والعليم القادر السموات مطويات يمينه والأرض ومملكها وماعليها في قبضته وناصية جميع
المخلوقات في قبضة قدرته إن أهلكتهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه ومملكه ذرة وإن خلق
أمة لهم ألف مرة لم يعب خلقها ولا عبه لقوب ولا تقور في اختراعها فلا قدرة ولا قادر إلا هو أثبت من
آثار قدرته فله الجلال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فإن كان يتصور أن يجب قادر
للكمال قدرته فلا يستحق الحب بكامل القدرة سواء أصلا . وأما صفة التزهد عن العيون والقائس
والتقديس عن الرذائل والحجائب فهو أحد موجبات الحب، ومقتضيات المحسن والجلال في الصور الباطنة
والأنبياء والصدّيقون وإن كانوا منزّهين عن العيوب والحجائب فلا يتصور كمال التقديس والتزهد
إلا بالواحد الحق للكمال القدوس ذي الجلال والاكرام . وأما كل مخلوق فلا غلو عن قص وعن قائس
بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا هو عين العيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال
إلا بقدر ما أعطاه الله وليس في القدر أن يتم بمنتهى الكمال على غيره فإن منتهى الكمال أقل درجاته
أن لا يكون عبدا مسخرا لغيره قائما بغيره وذلك محال في حق غيره فهو المنفرد بالكمال التزهد عن
النقص القدوس عن العيوب وشرح وجوه التقديس والتزهد في حقه عن القائس بطول وهو من أسرار
علوم المكاشفات : فطول بذكره فهذا الوصف أيضا إن كان كالا وجمالا محبوا فلا تهم حقيقته إلا له
وكمال غيره وتزهد لا يكون مطاقا بل بالإضافة إلى ما هو أشد منه نقصا كما أن الفرس كالا بالإضافة
إلى الخمار ولا لإنسان كالا بالإضافة إلى الفرس وأصل النقص شامل للكل وإنما يتفاوتون في درجات
النقص ؛ فاذن الجليل وبوالجليل المطلق هو الواحد الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد الذي
لا منازع له النني الذي لا حجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه
العالم الذي لا يرب عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته
أعناق الجبابرة ولا ينفلت من سطوته ويطشه رقاب القياصرة الأزلى الذي لا أول لوجوده الأبدى
الذي لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا يحوم بكأن المعدم حول حضرته القوم الذي يقوم بنفسه
ويقوم كل موجود به جبار السموات والأرض خالق الجماد والحيوان والنبات للفرد بالعزة والجلل
المتوحد . ملك للسلوك ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي تتجر في معرفة
جلاله العقول وتخرس في وصفه الألسة الذي كمال معرفة المعارفين الاعتراف بالجزع عن معرفته ومنتهى
نبوة الأنبياء الاترار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين « لا أحصى
ثناء عليك أنت كما أنثيت على نفسك » (١) وقال سيد الصديقين رضى الله تعالى عنه : العجز عن درك
الادراك إدراك سبعان من لم يعمل للخلق طريقا إلى معرفته إلا بالجزع عن معرفته ، فليت شمرى
من يتنكر إمكان حب الله تعالى تحقيقا وبعمه مجازا أو ينكر أن هذه الأوصاف من أوصاف الجلال
والحامد ونعمت الكمال والالحسان أو ينكر كون الله تعالى ، ووصفا بها أو ينكر كون الكمال والجلال
والإباء والعظمة محبوا بالطبع عند من أدركه فسبحان من احتجب عن بصائر العيان غيره على
جماله وجلاله أن يطاع عليه إلا من مبيت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك
الحاسرين في ظلمات العمى يتبهون وفي مسارب المحسوسات وشهوات البهائم يترددون يسهون ظاهرا
من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . فالحب بهذا السبب أقوى
من الحب بالاحسان لأن الاحسان يزيد وينقص ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : إن
أود الأوداء إلى من عبتني بغير نوال لكن يعطى الربوبية حتها ، وفي الزور : من أعظم ممن

(١) حديث لأحصى ثناء عليك أنت كما أنثيت على نفسك تقدم .

عليه السلام لطليت
ما وراء ذلك لأن
مواهب الله لا تنحصر
وهذه أحوال الأنبياء
ولا تغطي الأولياء
ولكن هذه إشارة
من التائق إلى دوام
تطلع العبد وطلبه
وعدم قناعته بما هو
فيه من أمرا الحق تعالى
لأن سيد الرسل
صلوات الله عليه
وسلامه به على عدم
القناعة وقصر باب
الطلب واستئزال بركة
الزيد بقوله عليه
السلام « كل يوم لم أزد
فيه علما فلا يورك لي
في صبيحة ذاك اليوم »
وفي دعائه صلى الله
عليه وسلم « اللهم ما قصر
عنه رأيي وضعف فيه

عبدني لجنة أوتار لولم أخلق جنة ولا ناراً ألم أكن أهلاً أن أطاع . ومريم عيسى عليه السلام على طائفة من المباد قد عملوا فقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم مخلوقا خفتم وعملوا فارجعوا . ومريم يقوم آخرين كذلك فقالوا نبيده حباً له وتمتلياً لجلاله فقال أتم أولياء الله حوامعكم أمرت أن أقيم وقال أبو حازم إني لأستحي أن أعبد للثواب والعقاب فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل وكالآجير السوء إن لم يسط لم يعمل ، وفي الخبر «لا يكون أحدكم كالآجير السوء إن لم يسط أجراً لم يعمل ولا كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل» (١) وأما السبب الخامس للحب فهو للنسابة وللشأكة لأن شبه الشيء منجذب إليه والشكل إلى الشكل أميل ، ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه ويغفر من غير نوعه وأنس العالم بالعالم أكثر منه بالمحترف وأنس التجار بالتجار أكثر من أنسه بالفلاح ، وهذا أمر تشهد به التجربة وتشهده الأخبار والآثار كما استصفيناه في باب الأخوة في الله من كتاب آداب الصبغة فيطلب منه وإذا كانت للنسابة سبب المحبة فالنسابة قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي الصبي في معنى الصبا وقد يكون خفياً حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع في مال أو غيره كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال «الأرواح جنود مجنونة فما تعارفت منها اتلفت وماتت كره منها اختلفت» فالتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب أيضاً يقتضي حب الله تعالى للنسابة باطنية لا ترجع إلى التشابه في الصور والأشكال بل إلى معان باطنية يجوز أن يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز أن يسطر بل يترك تحت غطاء القبرة حتى يستر عليه السالكون للطريق إذا استكملوا شرط السلوك فالذي يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التي أمر فيها بالافتقار والتخلق بأخلاق الربوبية حتى قبل تخلقوا بأخلاق الله وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الإلهية من العلم والبر والاحسان والاطمئنان وإفانسة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وإرشادهم إلى الحق ومنعهم من الباطل إلى غير ذلك من مكارم التسمية فكل ذلك يقرب إلى الله سبحانه وتعالى لأجنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات ، وأما ما لا يجوز أن يسطر في الكتب من النسابة الخاصة التي اقتص بها آدمي فهي التي يوصى إليها قوله تعالى - وبسئلتك عن الروح قل الروح من أمر ربي - إذ بين أنه أمر رباني خارج عن حد عقول الخلق وأوضح من ذلك قوله تعالى - فإذا سويته وقيمت فيه من روعي - وذلك أسجد له ملائكته ويشير إليه قوله تعالى - إنا جعلناك خليفة في الأرض - إذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى إلا بتلك النسابة وإليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق آدم على صورته» (٢) حتى ظان القاصرون أن لا صورة إلا الصورة الظاهرة للدرجة بالحواس فشيروا وجسموا وصوروا ، تعالى القدر بالمالين عما يقول الجاهلون علواً كبيراً وإليه الإشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام «مرست فلم تعدني فقال يارب وكيف ذلك قال مرض عبيد فلان فلم تعده ولوعده وجدتي عنده» (٣) وهذه النسابة لا تظهر إلا بالموافقة على النوافل بعد أحكام القرآن كما قال الله تعالى «لا يزال يتقرب العبد إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به» (٤) وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد

عمل ولم تبلغه نيق وأمنيق من خبر وعده أحداً من عبادك أو خبرأت معطيه أحداً من خلقك فأنا أرغب إليك وأسألك إياه فاعلم أن مواهب الحق لا تحصر والأحوال مواهب وهي متصلة بكلمات الله التي تغدو البحر دون قادها وتنفد أعداد الرمال دون أعدادها والله للنعيم المعطى .

[الباب التاسع والخمسون في الإشارات إلى اللقائات على الاختصار والإيجاز] أخبرنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب السمرودي رحمه الله قال أنا أبو منصور بن

(١) حديث لا يكون أحدكم كالآجير السوء إن لم يسط أجراً لم يعمل لم أجده أصل (٢) حديث إن الله خلق آدم على صورته تقدم (٣) حديث قوله تعالى مرست فلم تعدني فقال وكيف ذلك قال مرض عبيد فلان الحديث تقدم (٤) حديث قوله تعالى لا يزال يتقرب العبد إلى بالنوافل حتى أحبه الحديث البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

تحرب الناس فيه إلى قاصرين ماوا إلى التشبيه الظاهر وإلى غالين مسرفين جاوزوا حد النسابة إلى الاتحاد وقالوا بالخلول حتى قال بعضهم أنا الحق ومنزل النصارى في عيسى عليه السلام فقالوا هو الإله وذلك آخرون منهم تدرع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به ، وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتجسيم واستحالة الاتحاد والخلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الأقول ، ولعل أبا الحسن النورى عن هذا المقام كان ينظر إذا غلبه الوجد في قول القائل :

لازلت أنزل من ودادك منزلا تتجبر الألباب عند نزوله

فلم يزل يبدو في وجهه على أجمة قد قطع قصبا وبقي أصوله حتى تشقت قدما وتور متاومات من ذلك وهذا هو أعظم أسباب الحب وأقواها وهو أعزها وأقبلها وأجودا ، فهذه هي الملوتمن أسباب الحب وجملة ذلك متظاهرة في حق الله تعالى تحقيقا لا جزا وفي أعلى الدرجات لا في أدناها فكان المقول للقول عند ذوى البصائر حب الله تعالى قط كما أن للقول للممكن عند العيان حب غير الله تعالى قط ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الأسباب يتصور أن يحب غير لما يشاء في السبب والشركة نقصان في الحب وغض من كماله ولا يتفرد أحد بوصف محبوب إلا وقد يوجد له شريك فيه فإن لم يوجد فيمكن أن يوجد إلا الله تعالى فإنه موصوف بهذه الصفات التي هي نهاية الجلال والكمال ولا شريك له في ذلك وجودا ولا يتصور أن يكون ذلك إمكانا فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان إلى حبه كما لا يتطرق الشركه إلى صفاته فهو المستحق إذا دل الملهبة ولكال الملهبة استحقا فالإسما فيه أصلا .

(بيان أن أجل الذات وأعلامها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم)

وأنة لا يتصور أن لا يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذة)

اعلم أن الذات تابعة للإدراكات والانسان جامع لجملة من القوى والفرائض لكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها مقتضى طبيعتها الذي خلقت له فإن هذه الفرائض ما ركبت في الانسان عشا بل ركبت كل قوة وغريزة لأمر من الأمور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت لتقتضي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبيعتها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبيعتها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الإبصار والاستماع والشم فلا تخاو غريزة من هذه الفرائض عن ألم ولذة بالإضافة إلى مدركتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الإلهي لقوله تعالى ... أفن شرع الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الإيمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالأسامي فإن الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظنون أن الاختلاف واقع في المعاني لأن الضعيف يطلب للمعاني من الألفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لساائر أجزاء البدن بصفته ما يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كما درك خلق العالم واقفا ره إلى خالق قديم مبدى حكيم موصوف بصفات إلهية ولنسم تلك الغريزة عقلا بشرط أن لا يهيم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجاداة والنظر فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا مذهب الصوفية وإلا فالصفة التي فارق الانسان بها الهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات فلا ينبغي أن تنم وهذه الغريزة خلقت ليحلم بها حقائق الأمور كلها فمقتضى طبيعتها للمعرفة والعلم وهي لذتها كما أن مقتضى سائر الفرائض هو لذتها وليس غنى أن في العلم والعرفه لذة حتى إن الذي ينسب إلى العلم والعرفه ولو في شيء خسيس يفرح به والذي ينسب إلى الجهل ولو في شيء حثير يغم به وحتى إن الانسان لا يكاد يصبر عن التعدى بالعلم والتدبر في الأشياء الحفيرة فالعلم بالأمم بالشرع على خسته لا يطبق السكوت فيه عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يمله وكل ذلك لقرط لذة العلم وما يستشعره

غيرون إجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري إجازة قال أنا أبو عمرو محمد بن العباس بن محمد قال أنا أبو محمد يحيى بن مصاد قال أنا الحسين بن الحسن البروزي قال أنا عبد الله ابن المبارك قال أنا الميثم بن جميل قال أنا كثير بن سليم المدائني قال سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله إنى رجل ذرب اللسان وأكثر ذلك على أهلى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أنت من لاستغفار فأتى استغفر الله

من كمال ذاته به فإن العلم من أخص صفات الربوبية وهي منتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع إذا انتهى عليه بالذكاء وغزارة العلم لأنه يستشعر عند جماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذبه ثم ليست لذة العلم بالخرافة والحجاجة كلذة العلم بسياسة الملك وتدير أمر الخلق ولأن لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملسكوت السموات والأرض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف العلوم حتى إن الذي يعلم بواطن أحوال الناس ويخبر بذلك مجده لئلا وإن جهله تقاضاه طبعه أن يخصص عنه فإن علم بواطن أحوال رئيس البلد وأسرار تديره في رياسته كان ذلك ألد عنده وأطيب من علمه بواطن حال فلاح أو حائك فإن اطلع على أسرار الوزير وتديره وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألذ من علمه بأسرار الرئيس كان كان خبيراً بواطن أحوال الملك والسلطان الذي هو السوتلى على الوزير كان ذلك أطيّب عنده وألذ من علمه بواطن أسرار الوزير وكان يمدح بذلك ويحرسه عليه وعلى البحث عنه أشد وجه له أكثر لأن لذته فيه أعظم فهذا استبان أن ألد للعارف أشرفها وأشرفها بحسب شرف العلوم فإن كان في العلوم ما هو الأجل والأكل والأشرف والأعظم فالعلم به ألد للعلوم لا محالة وأشرفها وأطيّبها وليت شعري هل في الوجود شيء أجمل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الأشياء كلها ومكملها ومزينها ومبدئها ومعيدها ومدبرها ومرتبها وهل يتصور أن تكون حضرة في الملك والكمال والجلال والنباهة والجلال أعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادئ جلالها ومحاسن أحوالها وصف الواصفين فإن كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي أن تشك في أن الإطلاع على أسرار الربوبية والملم بترتيب الأمور الالهية المحيطة بكل الوجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيّبها وأشبهها وأحرى ما تستشعر به النفوس عند الانصاف به كمالها وجمالها وأجدر ما يعظم به القرح والارتياح والاستبشار وهذا تبين أن العلم بالذوق أن ألد العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله وتديره في مملكته من منتهى عرشه إلى تخوم الأرضين فينبغي أن يعلم أن لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أمضى لذة الشهوة والغضب ولذة صائر الحواس الخمس فإن اللذات مختلفة بالنوع أولاً كمخالفة لذة الواقع لذة السماع ولذة المعرفة للذة الرياضة وهي مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق المختل من الجماع لذة الفاتر للشهوة كمخالفة لذة النظر إلى الوجه الجميل الفائق الجمال لذة النظر إلى مادونه في الجمال وإتمام تعرف أقوى اللذات بأن تكون مؤثرة على غيره فإن الخبيرين للنظر إلى صورة جميلة والتعجب بمشاهدتها وبين استنشاق روائح عطرية إذا اختار النظر إلى الصورة الجميلة علم أنها ألد عنده من الروائح الطيبة وكذلك إذا حضر الطعام وقت الأكل واستمر اللعب بالشطرنج على اللعب وترك الأكل فيعلم به أن لذة القلب في الشطرنج أقوى عنده من لذة الأكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فعند قول: اللذات تنقسم إلى ظاهرة كلذة الحواس الخمس وإلى باطنة كلذة الرياضة والقلب والكرامة والملم وغيرها إذ ليست هذه للذة العين ولا لذة الأنف ولا لذة الأذن ولا لللس ولا للذوق والمغنى الباطنة أغلب على ذوى الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجلين لذة اللهاج السمين والورزشي وبين لذة الرياضة وقهر الأعداء ونيل درجة الاستيلاء فإن كان الخير خسيس الهمة ميت القلب شديد الهمة اختار اللحم والحلاوة وإن كان على الهمة كامل العقل اختار الرياضة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياماً كثيرة فاختاره للرياسة يدل على أنها ألد عنده من المطعومات الطيبة، ثم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بمد كالمسي وأكادى ماتت قواه الباطنة كالموت لا يمد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياضة وكما أن لذة الرياضة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا والمته فلكل معرفة الله تعالى ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر إلى

في اليوم واللييلة
مائة مرة» وروى
أبوهريرة رضي الله عنه
في حديث آخر «فإن
لأستغفر الله وأتوب
إليه في كل يوم مائة
مرة» وروى أبو بريدة
قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «إنه
ليغان على قلبي فأستغفر
الله في اليوم مائة مرة»
وقال الله تعالى - وتوبوا
إلى الله جميعاً أي
للمؤمنين ولكم
ضلحون - وقال الله
عز وجل - إن الله يحب
التوابين - وقال الله
تعالى - يا أيها الذين
آمنوا توبوا إلى الله
توبة نصوحاً - التوبة
أصل كل مقام وقوام
كل مقام ومفتاح كل

أسرار الأمور الإلهية أقد من الرياسة التي هي أعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبادة عنه أن يقال - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين - وأنه أعد لهم. لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه إلا من ذاق اللذتين جميعاً فإنه لا محالة يؤثر التبتل والفرد والسكر والفكر والله كرم وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحق الخلق الذين يرأسهم لعله بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوباً بالكدورات التي لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعاً بالموت الذي لا بد من إتيانه مهما أخذت الأرض زخرفها وأزيت وظن أهلها أنهم قادرون عليها فيستعظم بالاضاعة إليها الذلة معرفة الله ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام مملكته من أعلى عليين إلى أسفل السافلين قائماً خالية عن الزاحمات والمكدرات متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكبرها وإما عرضها من حيث التقدير السموات والأرض وإذا خرج النظر عن القدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والأرض يرتفع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرج من حياضها وهو آمن من انقطاعها إذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي أبدية سرمدية لا يقطعها الموت إذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحله الروح الذي هو أمر رباني صماوي وإسمائيلوت يفرأحو الهاوي يقطع شواغلها وعوائقها ويخلصها من حبسها فأما أن يهدمها فلا ولا تحسين الدين تقوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم ياتوا بهم من قبلهم - الآية . ولا تظن أن هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فإن للعارف بكل نفس درجة ألف شيد وفي الخبر « إن الشهيد يمتحن في الآخرة أن يرد إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم مراه من ثواب الشهادة وإن الشهداء يمتنون لو كانوا علماء لما يرونهم علو درجة العلماء^(١) » فإذا ن جميع أقطار ملكوت السموات والأرض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بحمسه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والأرض وكل عارف فله منزلتها من غير أن يضيق بعضهم على بعض أصلاً إلا أنهم يتفاوتون في سعة منزلاتهم بتفاوتهم في اتساع فطرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر أن قوة الرياسة وهي باطنة أقوى في ذوي الكمال من لذات الحواس كلها وأن هذه القوة لا تكون لبسمة ولا لسي ولا لتعوه وأن قوة المحسوسات والشهوات تكون لدوي الكمال مع قوة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة فأما معنى كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأسرار ملكه أعظم لذته من الرياسة فهذا يختص بعرفته من نال درجة للعرفه وذوقها ولا يمكن إثبات ذلك عند من لا لب له لأن القلب معدن هذه القوة وكأنه لا يمكن إثبات رجحان لذته الوقوع على لذته السلب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذته شم البنفسج عند العنين لأنه قد السفة التي بها تدرك هذه القوة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة سمه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا ينفي إلا أن يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وإن لم يشغلوا بطلب معرفة الأمور الإلهية قد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف الشكوك والاحمال الشهات التي قوى حرصهم على طلبها قائماً أيضاً معارف وعلوم وإن كانت معلوماتها غير شرفة تشرق للعلومات الإلهية فأما من طالع فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشيء السير فإنه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من القرح ما يكاد يطير به ويستج من نفسه في ثباته واحتاله قوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك إلا بالدق والحكاية في قلبه الجدوي فهذا

حال وهى أول اللقائات
وهي بمثابة الأرض
البناء لمن لا أرض له
لبناء له ومن لا توبة
له لا حال له ولا مقام له
وفي يبلغ على وقد
وسعى وجهه اعتبرت
اللقائات والأحوال
ومعترفاتها يجمعها
ثلاثة أشياء بعد صحة
الإيمان وعقوده
وشروطه فصارت مع
الإيمان أربعة ثم رأيتها
في إفاة الولادة العنوية
الحقيقية بمثابة الطابع
الأربع التي جعلها الله
تعالى بأجراء سنته
مفيدة للولادة
الطبيعية ومن تحقق
بحقائق هذه الأربع
لم يملك ملكوت السموات

(١) حديث إن الشهيد يمتحن أن يرد في الآخرة إلى الدنيا ليقبل مرة أخرى الحديث متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم وليس فيه وإن الشهداء يمتنون أن يكونوا علماء الحديث .

القدر ينهك على أن معرفة الله سبحانه الله الأشياء وأنه لائقه فوقها ولهذا قال أبو سليمان الداراني إن الله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدواعي والله ولاك قال بعض إخوان معروف الكرخي له أخبرني يابا عفوطأي شيء هاجك إلى العبادة والانشغال عن الحق فسكت فقال ذكر الموت فقال وأي شيء الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال وأي شيء القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شيء هذا إن ملكا هذا كله بيده إن أحببته نساك جميع ذلك وإن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا . وفي أخبار عيسى عليه السلام : إذا رأيت الفقي مشغولا بطلب الرب تعالى فقد لهما ذلك عما سواه ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحرث في النوم فقال ما فعل أبو نصر اتجار وصيد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى بأكلان وبشر بان قلت فأنت قال علم الله قلة رغبت في الأكل والشرب فأعطاني النظر إلي يوم عن علي بن الوقوف قال رأيت في النوم كأنني أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله فلقمهما من جميع الطيبات وهويما كل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بضا ويرد بضا قال ثم جاوزتهما إلى حظيرة القدس فرأيت في سرادق العرش رجلا قد شخص يصبره ينظر إلى الله تعالى لا يطرף قلت لرؤوان من هذا فقال معروف الكرخي عبدالله لا خوفا من نار ولا خوفا إلى جنته بل حيا له فأباحه النظر إليه إلى يوم القيامة . وذكر أن الآخرين بشر بن الحرث وأحمد بن حنبل ولذلك قال أبو سليمان : من كان اليوم مشغولا بنفسه غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه . وقال الثوري لأربعة ماحققة إيمانك قالت ما عبدة خوفا من نار ولا حبا لجنته فأكون كالأجير السوء بل عبدة حيا له وعشوا إليه . وقالت في معنى المحبة نظما :

أحبك حين حبب الهوى وحبا لأنك أهل لها
فأما الذي هو حب الهوى فشئى بذكرك عن سواها
وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحب حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذاوذا

ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله لإحسانه إليها وإنعامه عليها بحفظها عما حلقه وبعبادته لها هو أهل الحب لجلاله وجلاله الذي انكشف لها وهو أعلى الحبين وأقوامها ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها رسول الله ﷺ حيث قال حاكيا عن ربه تعالى «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا ذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» (١) وقد تجعل بعض هذه الذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية ولذلك قال بعضهم إني أقول يارب يا الله فأجد ذلك على قلبي أقبل من الجبال لأن الندام يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادي جلسيه وقال إذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة أي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقولون جنونا أو كفرا فيقصده الدارفين كلهم وصله ولقاءه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما أخفى لهم منها وإذا حصلت المحققات المعلوم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بغيرها فلو ألقى في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لكمال نعمة وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية ولبت شمرى من لم يفهم إلا حب الشهوات كيف يؤمن بالله النظر إلى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل وأي معنى لوعده الله تعالى بعبادته كره أنه أعظم الم بل من عرف الله عرف أن الذات للفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللفة كقالت بعضهم :

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت الحديث البخاري من حديث أبي هريرة .

ويكشف بالقدر والآيات ويوسع له ذوق وفهم لكلمات الله تعالى الزلات وعظمى بجميع الأحوال والقامات فكلها من هذه الأربع ظهرت وبها تبيأت وتناكدت فأحد الثلاث بعد الإيمان التسوية النصح والثاني الزهد في الدنيا والثالث تحقيق مقام العبودية بدوام العمل لله تعالى ظاهرا وباطنا من الأعمال القلبية والقالية من غير تصور وقصور ثم يستعان على إتمام هذه الأربعة بأربعة أخرى بها تمامها وقوامها وهي

حكاه لقي أهواء مفرقة فاستجمعت مذ رأيتك العين أهوائ
فصار يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الوري مذ صرت مولاي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك ياديني ودنياي
ولذلك قال بعضهم : وهجره أنظم من تاره ووصله أطيب من جته

وما أرادوا بهذا إلا إثارة لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الأكل والشرب والنكاح فان
الجنة معدن تمتع الحواس . فأما القلب فلذاته في لقاء الله فقط ومثال أطوار الحاق في لذتهم ما نذكره
وهو أن الصبي في أوله حركته وتبجيره يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده
آلة من سائر الأشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها لذة
اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول إليها ثم تظهر لذة
لرياسة والعلو والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا وأعلاها وأقواها كما قال تعالى - اعلموا أنما الحياة
الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر - الآية ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها
لذة معرفة الله تعالى ومعرفة آفائه فيستحقر معها جميع ما قبلها فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو
الآخر إذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد
الشعرين وحب العلوم بقرب الأربعين وهي الثابتة العليا وكما أن الصبي يضحك على من يترك اللعب
ويشتغل بملعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة
ويشتغل بمعرفة الله تعالى . والعارفون يقولون - إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون
فسوف تعلمون - .

(بيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة على المعرفة في الدنيا)

اعلم أن للدركات تنقسم إلى ما يدخل في الخيال كالصور للتخيلة والأجسام للتأولة وللشككة من
أشخاص الحيوان والنبات وإلى مالا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالم والقدره
والارادة وغيرها ومن رأى إنساناً ثم غص بصره وجد صورته حاضرة في خياله كأنه ينظر إليها
ولكن إذا فتح العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة إلى اختلاف بين الصورتين
لأن الصورة للرؤية تكون مواهقة للتخيلة وإنما الاقتران بمزيد الوضوح والكشف فان صورة
الرؤى صارت بالرؤية أتم انكشافا ووضوحا وهو ك شخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء
النهار ثم رؤى عند تمام الضوء فانه لا تضارق إحدى الحالتين الأخرى إلا في مزيد الانكشاف، فاذن
الخيال أول الادراك والرؤية هو الاستكمال لادراك الخيال وهو غاية الكشف وهي ذلك رؤية لأنه
غاية الكشف لأنه في العين بل هو خلق الله هذا الادراك الكامل المكشوف في الجهة والصدر
مثلا استحق أن يسمى رؤية وإذا فهمت هذا في التخليلات فاعلم أن المعلومات التي لا تشكل أيضا
في الخيال لمعرفتها وإدراكها درجتان : إحداهما أولى والثانية استكمال لها وبين الأولى والثانية من
التفاوت في مزيد الكشف والايضاح ما بين التخييل والرؤى فيسمى الثاني أيضا بالاضافة إلى الأول
مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لأن الرؤية سميت رؤية لأنها غاية الكشف وكما أن منه
الله تعالى جارية بأن تطبيق الأجفان تمتع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر
والرؤى ، ولا بد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية ومالم ترتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخييل
فكذلك مقتضى سنة الله تعالى أن النفس مادامت محبوبة بموارض البدن ومقتضى الشهوات

قوة الكلام وقوة الطعام
وقوة للنام والاعتزال
عن الناس . وافق
العلاء الزاهدون
والشايخ على أن هذه
الأربع بها تستقر
القناعات وتستقيم
الأحوال وبها صار
الأبدال أبدا بتأييد
الله تعالى وحسن
توقيفه وتبين بالبيان
الواضح أن سائر
القناعات تندرج في
حصة هذه ومن ظفر
بها فقد ظفر بالمقامات
كلها ولها بعد الإيمان
التوبة وهي في مبدأ
صحتها تنظر إلى أحوال
وإذا صحت تشتمل
على مقامات وأحوال
ولا بد في ابتدائها
من وجود زاجر

وما غلب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي إلى المشاهدة واللقاء في الملوحة الخارجة عن الحيال بل هذه الحجة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الأجفان عن رؤية الأبصار والقول في سبب كونها حجاباً بطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام - لن تراني - وقال تعالى - لا تدركه الأبصار - أي في الدنيا ، والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة الميراج (١) . فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكبدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وإن كانت متفاوتة فيها ما تراكم عليه الحث والسدا فصار كالكرة التي فسد بطول تراكم الحث جوهرها فلا تقبل الإصلاح والتصفية وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبداً الأباد نمود بالله من ذلك . ومنها ما لم ينته إلى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصفية فيعرض على النار عرضاً يقطع منه الحث الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة إلى التزكية وأقلها لحظة خفيفة وأقصاها في حق اللومنين كما وردت به الأخبار سبعة آلاف سنة (٢) ولن ترتحل نفس عن هذا العالم إلا وبصحبها غيرة وكدورة ما وإن قلت . ولذلك قال الله تعالى - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حثاً مقضياً ثم تنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً - فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها فإذا أكل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب أجله ووقع الفراغ عن جملة ما وعد به الشرع من الحساب والعرض وغيره ووافى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه فانه واقع بعد اتيامة ووقت القيامة مجهول فسد ذلك يشغل بصغائه وقائه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه غيرة ولا قرة لأن فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجلياً يكون انكشاف تجليه بالاضافة إلى معامله كانكشاف تجلي للراة بالاضافة إلى ما تجليه ، وهذه شاهدة والتجلى هي التي نسمي رؤية ، فاذن الرؤية حق بشرط أن لا يفهم من الرؤية استكمال الحيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علواً كبيراً بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وصورة فتراه في الآخرة كذلك ، بل أقول للمعرفة الحاصلة في الدنيا بينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتتقلب ومشاهدة ، ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة ، والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا من المثال في استكمال الحيال بالرؤية ، فإذا لم يكن في معرفة الله تعالى إثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بينها وترقيتها في الوضوح إلى غاية

وجودان الزاجر حال لأنه موهبة من الله تعالى على ما تقرر أن الأحوال مواهب وحال الزجر مفتاح التوبة ومبدؤها ، قال رجل لبشر الحافي مالي أراك مهموماً . قال لأنني ضالٌّ ومطلوب ظللت الطريق وللقصد وأنا مطلوب به ، ولو تبينت كيف الطريق إلى المقصد لطلبت ولكن سنة الغفلة أدركني وليس لي منها خلاص إلا أن أزجر فأزجر . وقال الأصمعي : رأيت أعرايا بالبصرة يشتمكي عينيها ويسيل منها الماء فقلت ألا

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة الميراج على الصحيح هذا الذي صححه المصنف هو قول عائشة في الصحيحين أنها قالت من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب . ولمسلم من حديث أبي ذر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور أني أراه وذهب ابن عباس وأكثر العلماء إلى إثبات رؤيته له وعائشة لم ترو ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحديث أبي ذر قال فيه أحمد ما زلت له منكراً . وقال ابن خزيمة في القلب من صحة إسناده شيء مع أن في رواية لأحمد في حديث أبي ذر رأيت نوراً أني أراه ورجال إسناده رجال الصحيح (٢) حديث إن أقصى المكث في النار في حق المؤمنين سبعة آلاف سنة الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبار من أمم الحديث وفيه وأطولهم مكثاً فيها مثل الدنيا من يوم خلقت إلى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة وإسناده ضعيف .

الكشف أيضا جهة وصورة لأنها هي بعينها لا تتغير منها إلا في زيادة الكشف كأن الصورة للرؤية هي التخيّل بعينها إلا في زيادة الكشف وإليه الإشارة بقوله تعالى - يسى نورهم بين أيديهم وبأيمنهم يقولون ربنا آتّم لنا نورنا - إذ تمام النور لا يؤثر إلا في زيادة الكشف ولهذا لا فوز بدرجة النظر والرؤية إلا للعارفين في الدنيا لأن المعرفة هي البذر الذي يتقلب في الآخرة مشاهدة كالتقلب النواة شجرة والحلب زرعاً ومن لا نواة في أرضه كيف يحصل له نخل ومن لم زرع الحب فكيف يحصل له زرع فكذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالإنشافة إلى اختلاف المعارف باختلاف النبات بالإنشافة إلى اختلاف البذر إذ تختلف لهاملة بكثرها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام «إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة» (١) فلا ينبغي أن يظن أن غير أبي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده أبو بكر بل لا يجد إلا عشر عشرة إن كانت معرفته في الدنيا عشر عشرة ولما فضل الناس بسر وقر في صدره فضل لهاملة بتجلّي أقرب به وكأنك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على الطعوم والشكوك وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والأرض وسائر الأمور الإلهية على الرياسة وعلى الشكوك والطعوم والشروب جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر إلى وجه الله تعالى على نعيم الجنة إذ يرجع نعيمها إلى الطعوم والشكوك ه هؤلاء بينهم هم الذين حالمهم في الدنيا ما وصفنا من إشار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة الشكوك والطعوم والمشروب وسائر الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لرابعة ما تقولين في الجنة فقالت الجارثم الدار فينت أنه ليس في قلبها التفات إلى الجنة بل إلى رب الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الآخرة إذ ليس يستأنف لأحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا يحصل أحد إلا ما زرع ولا يحضر لله إلا على ما مات عليه ولا يموت إلا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينه فقط لأنه يتقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتتضاعف اللذة به كما تتضاعف لذة العاشق إذا استبدل خيال صورة الممشوق رؤية صورته فإن ذلك منتهى لذته وإنما طيبة الجنة أن لكل أحد فيها ما يشتهي فن لا يشتهي إلا لقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره بل ربما تأذى به فإذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فأصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالإيمان، فإن قامت فلهذا الرؤية إن كان لها نسبة إلى لذة المعرفة فهي قليلة وإن كان أعظمها لأن لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها إلى حد قريب لا ينتهي في القوة إلى أن يستحق سائر لذات الجنة فيها . فاعلم أن هذا الاستحقاق لذة المعرفة تصدر من الخلو عن المعرفة فن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها وإن انطوى على معرفة ضعيفة فقلبه مشغون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فللمعارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم تعالى لذات لوعرشت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها لذة الجنة ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها أصلا إلى لذة اللقاء وللشاهدة كالانسية للذة خيال الممشوق إلى رؤيته ولا لذة للاستنشاق ورائع الأطعمة الشهية إلى ذوقها ولا لذة للمس باليد إلى لذة الواقع وإظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن إلا بضرب مثال فنقول

(١) حديث إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة ابن عدى من حديث جابر . وقال باطل بهذا الاستناد وفي الميزان للنهي أن لدار قطي رواه عن المهاجرين عن علي بن عبد الله وقال الدارقطني إن علي بن عبد الله كان يضع الحديث ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق وابن الجوزي في الموضوعات من حديث جابر وأبي بردة وعائشة .

تسمع عينيك فقال لا لأن الطبيب زجرني ولا خير فيمن لا يزجر فالزاجر في الباطن حال يهبها الله تعالى ولا بد من وجودها للثواب ثم بعد الانزعاج يجد البعد حال الانتباه . قال بعضهم من ثم لم مطالعة الطوارق انتبه . وقال أبو يزيد : علامة الانتباه خمس إذا ذكر شيء افتقر وإذا ذكر شيء استغفر وإذا ذكر الدنيا اعتبر وإذا ذكر الآخرة استبشر وإذا ذكر المولى أقصر . وقال بعضهم : الانتباه أوائل دلالات الخير إذا انتبه البعد من رقدة غفلته أداه ذلك الانتباه إلى

لذة النظر إلى وجه المشرق في الدنيا تتفاوت بأسباب أحدها كمال جمال المشرق وتقصانه فإن اللذة في النظر إلى الأجل أكل لأعماله . والثاني كمال قوة الحب والشهوة والمشي فليس التذامن اشتد عشقه كالتذامن من ضعف شهيته وجهه . والثالث كمال الإدراك فليس التذامن برؤية المشرق في ظلمة أو من وراء ستر رقيق أو من بعد كالتذامن بإدراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا إدراك اللذة لضاجة مع ثوب حائل كإدراكها مع التجرد . والرابع اندفاع العوائق للشهوة والآلام الشاغلة للقلب فليس التذامن الصحيح الفارغ للتجرد للنظر إلى المشرق كالتذامن الخائف للدعور أو الرضا للتلذذ أو للشغول قلبه بهم من الهما قد قدر عاشقا ضعيف المشق ينظر إلى وجهه مشغولاً من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتماع عليه عقارب وزناير تؤذي بمرئيه وتشتغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يغلو عن لذة تامين مشاهدته مشغولة فلو طرأت على الفجأة حالة اهتاك بها الستر وأشرق بها الضوء واندفع عنه اللؤذيات وبقي سليماً فارها وهجمت عليه الشهوة القوية والمشق للقرط حتى بلغ أقصى العتاب فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للأولى إليها نسبة يعتد بها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر إلى لذة العرفة فالستر الرقيق مثال البدين والاشتغال به والمقارب والزاير مثال الشهوات للتسلطة على الإنسان من الجوع والعطش والنصب والحر والخن وضيق الشهوة والحب مثال لقصور النفس في الدنيا وخصائها عن الشوق إلى اللأ الأعلى والتأفاتها إلى أسفل السافلين وهو مثل قصور العبي عن ملاحظة لذة الرياسة والتأفاتها إلى السبب بالصغور والعارف وإن قويت في الدنيا معرفته فلا يغلو عن هذه للشوشات ولا يتصور أن يغلو عنها البتة ثم قد تضعف هذه العوائق في بعض الأحوال ولا تدوم فلا جرم يلوح من جمال العرفة ما يهت العقل وتعظم لذته حيث يكاد القلب يفطر لعظمتها ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقفا يدوم بل يمرض من الشواغل والأفكار والخواطر ما يشوشه وينصه وهذه ضرورة دائمة في هذه الحياة القانية فلا تزال هذه اللذة منغصة إلى اللوت وإغما الحياة الطبية بعد اللوت وإغما العيش عيش الآخرة - وإن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون - وكل من انتهى إلى هذه الرتبة فإنه يحب لقاء الله تعالى فيحب اللوت ولا يكرهه إلا من حيث ينتظر زيادة استكمال في العرفة فإن للعرفة كالبندر ومهر العرفة لاساحل له فلا حيلة بكنهه جلالة الله محال فكلمنا كثرت العرفة بالله وصفاته وأفضاله وبأسرار ملكه وقوت كثر التمتع في الآخرة وعظم كآته أنه كلما كثر البندر وحسن كثر الثمر وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البندر إلا في الدنيا ولا يزرع إلا في صعيد القلب ولا حصاد إلا في الآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله» (١) لأن المعرفة إنما تكمل وتكثر وتتمتع في العمر الطويل بمدومة التسكر والمواظبة على المجاهدة والاتقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب يستدعي ذلك زمناً لا محالة فمن أحب الموت أحب لأنه رأى نفسه واقفا في العرفة بالنار إلى منتهى ما يسر له ومن كره الموت كرهه لأنه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصر أعما تحمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وجهه عند أهل العرفة . وأما ما ألقى الخلق فنظروهم مقصور على شهوات الدنيا إن اتسمت

التيقظ فإذا تيقظ
أثره تيقظه الطلب
طريق الرشد فيطلب
وإذا طلب عرف
أنه على غير سبيل الحق
فيطلب الحق ويرجع
إلى باب توحيته يمشي
باتجاهه حال التيقظ.
قال فارس : أوفى
الأحوال التيقظ
والاعتبار . وقيل :
التيقظ تبيان خط
السلك بعد مشاهدة
سبيل النجاة . وقيل :
إذا سبغت اليقظة كان
صاحبها في أوائل
طريق التوبة . وقيل :
اليقظة خردة من
جبهة اللؤلؤ لقابول
الحافضين تدمل على
طلب التوبة فإذا تمت

(١) حديث أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله إبراهيم الحارثي في كتاب ذكر الموت من رواية ابن لهيعة عن ابن الهادي عن المطلب عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السعادة كل السعادة طول العمر في طاعة الله والله المطلب عبد الله بن حوط يختلف في محبته وأحمد من حديث جابر إن من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الانابة والترمذي من حديث أبي بكر أن رجلاً قال يارسول الله أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قال هذا حديث حسن صحيح وقد تقدم.

أحبوا البقاء وإن ضاقت تمنا الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والخفة فالجهل والمغفلة مفرس كل شقاوة والعلم والمعرفة أساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبوب ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة ومعنى الرؤية ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها اللذات سائر اللذات عند ذوى العقول والكمال وإن لم تكن كذلك عند ذوى النقصان كالممكن الرئاسة ألد من الطعومات عند الصبيان . فان قلت فهذه الرؤية عملها القلب أو العين في الآخرة فاعلم أن الناس قد اختلفوا في ذلك وأرباب البصائر لا يلتفتون إلى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن البقلة ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت إلى أن رؤيته تخلق في عينه أو في جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان ذلك بالعين أو غيرها فان العين محل وظرف لانظر إليه ولا حكم له والحق فيه أن القدرة الأزلية واسعة فلا يجوز أن تحكم عليها بالتصور عن أحد الأمرين ، هذا في حكم الجواز ، فأما الواقع في الآخرة من الجزئين فلا يدرك إلا بالسمع (١) والحق ماظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الألفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهره فلا يجوز إزالة الظواهر الضرورية والله تعالى أعلم .

(بيان الأسباب القوية لحب الله تعالى)

يقظته قل بذلك إلى مقام التوبة فهذه أسئلة ثلاثة تقدم التوبة ثم التوبة في استقامتها تحتاج إلى المحاسبة ولا تستقيم التوبة إلا بالمحاسبة . قل عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه أنه قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر على الله يومئذ تحسرون لا تحفى منكم خافية - فالمحاسبة بحفظ الأنفس وضبط الحواس ورعاية الأوقات وإتقان المهمات ويعلم البعد أن

اعلم أن أسعد الخلق حالا في الآخرة أقوام حبا لله تعالى فان الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقائه وما أعظم نعيم الحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته أبد الآباء من غير منقصة مكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف الله - الع لأن الله - الع النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازدادت المحبة ازدادت اللذة وإنما يكتب الحب لله تعالى في الدنيا وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لأنه لا ينفك عن أصل المعرفة وأما قوة الحب واستلواؤه حتى يبقى إلى الاستمرار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الأكثرون وإنما يحصل ذلك بسببين : أحدهما قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الإناء الذي لا يتسع للخل مثلا لما يخرج منه الماء - ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه - وكما الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه ومادام ياتفت إلى غيره فزأوة من قلبه مشغولة بغيره فيقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله ويقدر ما يبق من الماء في الإناء ينقص من الخل المصبوب فيه وإلى هذا التفريد والتجريد الإشارة بقوله تعالى - قل الله ثم ذرهم في خوضهم - وقوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - بل هو معنى قولك لا إله إلا الله أى لا معبود ولا محبوب سواه فكل محبوب فانه معبود فان البهوهو القيد والمعبود هو القيد به وكل يحب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال الله تعالى - أرايت من اتخذ إلهه هواه - وقال ﷺ « أبغض إله عبد في الأرض الهوى » ولذلك قال عليه السلام « من قال لا إله إلا الله غلظا دخل الجنة (٢) » ومعنى الاخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يقبل فيه شركاء فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله فالدينيا سجنه لأنها مائة له من مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدم على المحبوب فأما حال من ليس له إلا محبوبات واحد وقد طال إليه مشوقه وتعادى عنه حبسه غلى من السجن ويمكن من المحبوب وروح بالأمس أبدا بادأ أسباب ضعف حب الله في القلوب قوة حب الدين وانه حب الأهل والمال والولد والأقارب والمعار والدواب والبساتين والتزيهات

(١) حديث رؤية الله في الآخرة حقيقة متفق عليه من حديث أبي هريرة أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر الحديث (٢) حديث من قال لا إله إلا الله غلظا دخل الجنة تقدم .

حتى إن المنفرد بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الأشجار ملتفت إلى نعم الدنيا ويعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه فيقدر ماأنس بالدنيا فينقص أنسه بآفة ولا يؤتى أحد من الدنيا شيئاً إلا ويتقصى قدره من الآخرة بالضرورة كما أنه لا يقرب الإنسان من الشرق إلا ويعد بالضرورة من الغرب بقدره ولا يطيب قلب امرأته إلا ويضيق به قلب شرتها فالدنيا والآخرة ضربان وهما كالجيش والقلب وقدره انكشف ذلك لدى القلوب انكشافاً أوضح من الإبصار بالعين وسيل فتح حب الله تعالى من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والاعتقاد إليهما بزمام الخوف والرجاء فإذ ذكرناه من اللذات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليسكتب بها أحد ركني المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله وأوله الإيمان بآفة واليوم الآخر والجنة والبارئ ثم يتعقب منه الخوف والرجاء ويتعقب منهما التوبة والصبر عليهما ثم ينجر ذلك إلى الزهد في الدنيا وفي المال والجلاء وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميع طهارة القلب عن غير الله قطار حتى يتبع بهم لزولو معرفة الحق وجهه في فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحد ركني المحبة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام «الطهور شطر الإيمان (١)» كما ذكرناه في أول كتاب الطهارة . السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلاقتها يجرى مجرى وضع البذر في الأرض بعد تنقيتها من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والعرفة وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله بها ملاحيت قلبه بضرب إلهي مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وإليها الإشارة بقوله تعالى - إليه يصعد الكلم الطيب - أي المعرفة - والعمل الصالح يرفعه - فالعمل الصالح كالجبال لهذه المعرفة وكالخدم وإعمال العمل الصالح كله في تطهير القلب أولاً من الدنيا ثم إدامة طهارته فلا راد العمل إلا لهذه المعرفة وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الأول وهو الآخر وإعمال الأول علم للعامة وغرضه العمل وغرض الخاصة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه حلية الحق ويتزين بلم المعرفة وهو علم الكيفية ومهما حصلت هذه المعرفة تبينها المحبة بالضرورة كما أن من كان متبدلاً بالرجاء إلى البصيرة الجلية وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال إليه ومهما أحبه حصلت المودة فالتدبيع المحبة بالضرورة والمحبة تبين المعرفة بالضرورة ولا يوصل إلى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب إلا بالتفكير الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي صفاته وفي ملكوته وحوائثه وسائر خلقاته والواصلون إلى هذه الرتبة ينقسمون إلى الأقوياء ويكون أول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون غيره وإلى الضعفاء ويكون أول معرفتهم بالأفلاك ثم يترقون من تلك العلوم إلى الأول معرفة الإشارة بقوله تعالى - أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد وقوله تعالى - شهدنا الله أنه لا إله إلا هو - ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرف ربك قال عرف ربِّي ولو لا داري لما عرف ربِّي وإلى الثاني الإشارة بقوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنهم الحق - الآية وقوله عز وجل - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض - وقوله تعالى - قل انظروا إلى ما خلق السموات والأرض - وقوله تعالى - الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى فيها خلقاً الرحمن من فوقه فجعل بصرك هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليه البصر خاضعاً وهو حير - وهذا الطريق هو الأسهل على الأكثرين وهو الأوسع على السالكين وإليه أكثر دعوة القرآن عند الأمر بالتدبر والتفكير والاعتبار والنظر في آيات خارجة عن الحصر . فإن قلت كلاً الطريقين مشكل فأوضح لنا منهما

الله تعالى أوجب عليه هذه الصلوات الخمس في اليوم والليلة رحمة منه لعله سبحانه يبيده واستيلاء الفلقة عليه كي لا يستبدد الهوى وتسترق الدنيا فالصلوات الخمس سلسلة تجذب النفوس إلى مواطن العبودية لأداء حق الربوبية وراقب العبد نفسه بحسن المحاسبة من كل صلاة إلى صلاة أخرى ويسد مدخل الشيطان بحسن المحاسبة والرقابة ولا يدخل في الصلاة إلا بعد حل الفقدان القلب بحسن التوبة والاستغفار لأن كل كلمة وحركة على خلاف الشرع تسكت في

(١) حديث الطهور شطر الإيمان مسلم من حديث أبي مالك الأشعري وقوله تعالى

ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به إلى الحقبة . فاعلم أن الطريق الأعلى هو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن حد فهم أكثر الخلق فلا فائدة في إيرادهم في الكتب وأما الطريق الأسهل الأدنى فأكثره غير خارج عن حد الأنهم وإتصفت الأقدام عنه لإعراضها عن التدبر واشغالها بشهوات الدنيا وحفظ النفس واللذات من ذكر هذا اتساع وكثرته وانتساب أبوابه الخارجية عن الخصر والتهابة إزعاجاً من أعلى السموات إلى تخوم الأرضين إلا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا يتناهى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي فما لحوض فيه انتماس في غمار علوم الكاشفة ولا يمكن أن يتطاول به على علوم للعامة ولكن يمكن الرمز إلى مثال واحد على الإيجاز يقع التثنية بجنسه . فنقول : أسول الطريقين النظر إلى الأفعال فلتستكشف فيها ولترك الأذى ثم الأفعال الإلهية كثيرة فتطلب أمثلها وأحقرها وأسفرها ولننظر في عجائبها فأقل الحوادث هو الأرض ومما عليها أعنى بالإضافة إلى اللائكة وملوك السموات فانك إن نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشمس فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الأرض مائة ونيفا وستين مرة فانظر إلى صغر الأرض بالإضافة إليها ثم انظر إلى صغر الشمس بالإضافة إلى فلكها الذي هي مركزه فيمالة لانسبة لها إلى وجهي في السماء الرابعة وهي صغيرة بالإضافة إلى ما فوقها من السموات السبع ثم السموات السبع في الكروى كخفة في فلاة والكروى في العرش كذلك فهذا نظر إلى ظاهر الأشخاص من حيث القادير وما أقر الأرض كلها بالإضافة إليها بل ما أصغر الأرض بالإضافة إلى البحار قد قال رسول الله ﷺ «الأرض في البحر كالاصطبل في الأرض»^(١) ومصداق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم أن المكتشف من الأرض عن الماء بجزيرة صغيرة بالإضافة إلى كل الأرض ثم انظر إلى الأدمى المخلوق من التراب الذي هو جزء من الأرض وإلى سائر الحيوانات إلى صغره بالإضافة إلى الأرض ودع عنك جميع ذلك فأصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض والنحل وما يجري مجراه فانظر في البعوض على قدر صغر قدره وتأمله بقل حاضر وفكر صاف فانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل القليل الذي هو أعظم الحيوانات إذ خلق له خرطوما مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير سائر الأعضاء كما خلقه للقليل بزيادة جناحين وانظر كيف قسم أعضائه الظاهرة فأثبت جناحه وأخرج به ورجله وخلق سمعه وبصره ودبر في بطنه من أعضاء الغذاء وآلاته مادبره في سائر الحيوانات وركب فيها من القوى الناذية والجاذبة والدافعة والماسكة والماضية ما ركب في سائر الحيوانات هذا في شكله وصفاته ثم انظر إلى هديته كيف هداه الله تعالى إلى غذائه وعرفه أن غذاءه دم الإنسان ثم انظر كيف أبنت له آلاء الطيران إلى الإنسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو معد الرأس وكيف هداه إلى مصام شهرة الإنسان حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى يشر فيه الخرطوم وكيف علمه اللس والتجرج للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته عجوا حتى يجري فيه الدم الرقيق وينتهي إلى بطنه وينتشر في سائر أجزائه ويضيق ثم كيف عرفه أن الإنسان يقصده بيده فله حيلة الحرب واستعداد آتته وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بيد بيده فترك اللس وهرب ثم إذا سكنت اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حذقتين حتى يصير موضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه وانظر إلى أن حذقة كل حيوان صغير لما لم يحتمل حذقة الأجنان لصفه وكانت الأجنان مصقة لمرأة الحذقة عن القذى والتبار خلق للبعوض والذباب يدين فتنظر إلى الذباب

(١) حديث الأرض في البحر كالاصطبل في الأرض لم أجده أملا .

القلب نكتة سوداء
وتفقد عليه عقدة
والثقل المحاسب
الباطن لصلاة بضبط
الجوارح ويحقق مقام
المحاسبة فيكون عند
ذلك لصلاته نور يشرق
على أجزاء وقته إلى
الصلوة الأخرى فلا تزال
صلاته منورة تامة بنور
وقته ووقته منورا
معمورا بنور صلاته .
وكان بعض المحاسبين
يحسب الصلوات في
قرطاس ويدع بين كل
صلتين ياضا وكلما
ارتكب خطيئة من
كله خيبة أو أمر آخر
خط خطأ وكلما نكس
أو تحرك فيها لا يبينه
تقط نقطة ليتبين
ذنوبه وحركاته فيها

فقرأ على الدوام يمسح حديقته يديه وأما الإنسان والحيوان الكبير غفلق لحديقته الأجنان حتى ينطبق أحدهما على الآخر وأطرافهما حادة فيجمع الثبار الذي يلحق الحديقة ويرميه إلى أطراف الأهداب وحق الأهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الإصدار وتحسن صورة العين وتشكها عند هريان الثبار فينظر من وراء شبك الأهداب واشتباكها يمنع دخول الثبار ولا يمنع الإصدار وأما العوض غفلق لها حديقتين مصمتتين من غير أجنان وعليها كيفية التصقيل باليدن ولأجل ضعف أبصارها تراها تنهات على السراج لأن بصره ضعيف فهي تطلب ضوء النهار فإذا رأى للسكين ضوء السراج بالليل ظن أنه في بيت مظلم وأن السراج كوة من البيت للظلم إلى الوضع المضى فلا يزال يطلب الضوء ويرمي نفسه إليه فإذا جاوزه ورأى الظلام ظن أنه لم يصب الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود إليه مرة أخرى إلى أن يحترق ولعلك تظن أن هذا نقصانها وجهلها فاعلم أن جهل الإنسان أعظم من جهلها بل صورة الآدمي في الأكباب على الشهوات الدنيا صورة الفرائس في التهافت على النار إذ تلاحق للآدمي أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري أن تحبها إسم النافع القاتل فلا يزال يرى نفسه عليها إلى أن ينفس فيها ويتقيد بها وبها هلاكاً مؤبداً فليت كان جهل الآدمي كجهل الفرائس فأنها باعترارها بظاهر الضوء إن احترقت حصلت في الحال والآدمي يبقى في النار أبد الأبد أومدة مديدة ولذلك كان ينادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول «إني بمحك بحجركم عن النار وأنتم تنهاتون فيها تنهات الفرائس» (١) فهذه لمة عجيبة من عجائب صنع الله عز حقيقته ولم يطعموا على أمور جلية من ظاهر صورته بأما خفايا معاني ذلك فلا يبلغ عليها إلا الله تعالى ثم في كل حيوان ونبات أعجوبة وأعاجيب تخصه لا يشاكره فيها غيره فانظر إلى النحل وعجائبها وكيف أوحى الله تعالى إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرغون وكيف استخرج من لهايا الشمع والصل وجعل أحدها ضياء وحمل الآخر شفاء ثم لو تأتت عجائب أمرها في تناولها الأزهار والأنوار واحترازها عن التنجاس والأقذار وطاعتها لواحد من جعلتها وأكرها شخصاً وهو أميرها ثم ما سخر الله تعالى له أميرها من العدل والإنصاف بينها حتى إنه ليقفل على باب النفذ كل ما وقع منها على نجاسة قضيت منها عجبا آخر العجب إن كنت بصيراً في نفسك وأرأى من هم بطنك وفركك وشهوات نفسك في معادة أفرانك وموالاة إخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر إلى بناءها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الأشكال الشكل السادس فلان بيوتها مستديراً ولا مربعا ولا مائحا بل مسدساً خاصة في الشكل السادس يقصر فهم الهندسين عن دركها وهو أن أوسع الأشكال وأحوالها المستديرة وما يقرب منها فإن الربع يخرج منه زوايا ضائفة وحصل النحل مستدير مستطيل فترك الربع حتى لاتضح الزوايا فتبقى فارغة ثم لوبناها مستديرة بقيت خارج البيوت فرج ضائفة فإن الأشكال للمستديرة إذا جمعت لم تجتمع متراسة ولا شكل في الأشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تراس الجلمة منه بحيث لا يبق بعد اجتماعها فرجة إلا للسدس وهذه خاصة هذا الشكل فظهر كيف ألهم الله تعالى النحل على صغر جرمه ولطافة قده

(١) حدثت إني بمحك بحجركم عن النار وأنتم تنهاتون فيها تنهات الفرائس متفق عليه من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال رجل استوفد ناراً فحطت الدواب والفرائس بقين فأنا أخذ بحجركم وأنتم تنهاتون فيه لفظ مسلم واقتصر البخاري على أوله ولمسلم من حديث جابر وأنا أخذ بحجركم وأنتم تغفلون من يدي .

لا يمنع لتضييق المحاسبة
بحجاري الشيطان
والنفس الأمارة بالسوء
لموضع صدقه في حسن
الافتقاد وحرصه على
تحقيق مقام الباد وهذا
مقام المحاسبة والرعاية
يقع من ضرورة محبة
التوبة قال الجنيد: من
حسنت رعايته دامت
ولا يشبهه . وسئل
الواسطي: أي الأعمال
أفضل قال مراعاة السر
والمحاسبة في الظاهر
والمراسبة في الباطن
ويكمل أحدهما بالآخر
وهما تستقيم التوبة
والراية والرعاية حالان
شرهان ويصيران
مقامين شريفيين
صحان بصحة مقام
التوبة وتستقيم التوبة

لطما به وعناية بوجوده وما هو محتاج إليه لينها يمشه فسبحانه ما عظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه فاعتبر بهذه اللغة اليسيرة من محنرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الأرض والسماوات فإنَّ القدر الذي بلغه فهما القاصر منه تنقضي الأعمار دون إضاحه ولا نسبة لما أحاط به علما إلى ما أحاط به العلماء والأنبياء ولا نسبة لما أحاط به علم الخلائق كلهم إلى ما استأثر الله تعالى ببلده بل كل ما عرفه الخالق لا يستحق أن يسمى علما في جنب علم الله تعالى فبالنظر في هذا وأمثاله ترداد للعرفة الحاصلة بأسهل الطريقين وزيادة للفرقة ترداد المحبة فإن كنت طالبا لسعادة لقاء الله تعالى فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر الدائم والفكر اللازم فذاك تحظى منها بقدر يسير ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له .

(بيان السبب في تفاوت الناس في الحب)

اعلم أنَّ المؤمنين مشتركون في أصل الحب لاختراقهم في أصل المحبة ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا إذ الأشياء إنما تفاوتت بتفاوت أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء التي قرعت معهم فتلقتوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الأرباب وربما يظلموا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل آمنوا بها إيمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب الجنتين وللتخيلون هم الضالون والعارفون بالحق هم للقرَّبون وقد ذكر الله حال الأسماء الثلاثة في قوله تعالى - فأما إن كان من للقرَّبين فروح وربحان وجنة نعم - الآية فإن كنت لا تخف الأمور إلا بالأمثال فلنضرب لتفاوت الحب مثلا فنقول أصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي رحمه الله الفقهاء منهم والموال لأنهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحمد خصاله ولكن العامي يعرف علمه بمجمل والفقير يعرفه مفصلا فنكون معرفة الفقيه به أتم وإعجابه به وجه له أشد فنان رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أجه لاحالة ومال إليه قلبه فإن رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لاحالة حبه لأنه تضاعفت معرفته بملحه وكذلك يمتدح الرجل في الشاعر أنه حسن الشعر فيحبه فإذا سمع من غرائب شعره ما عظم فيه حلقه وصنعتة ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل والعامي قد يسمع أن فلانا مصنف وأنه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة بمجمل ويكون له بحسبه ميل بمجمل والبصير إذا قنن عن التصنيف وأطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لاحالة لأن عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والصنف والمالم بمجملته صنع الله تعالى وتصنيفه والعامي يعلم ذلك ويعتقده وأما البصير فإنه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البعوض مثلا من عجائب صنعه ما ينبر به عقله ويتعجب فيه له ويزداد بسببه لاحالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعا استدل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازداد به معرفة قوله حبا وبجر هذه المعرفة أعنى معرفة عجائب صنع الله تعالى عرجا لاساحل له فلا جرم تفاوت أهل المعرفة في الحب لاحصره وما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الأسباب المحسوسة التي ذكرناها للحب فإن من يحب الله مثلا لكونه حسنا إليه ، نعمنا عليه ولم يحبه لذاته ضقت به حبه إذ يتعجب بتعجب الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرضا والثناء وأما من يحبه لذاته لأنه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فإنه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاحسان إليه فهذا أو أمثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو السبب للتفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى - ولا تخزوا كبر درجات وأكبر فضائل -

على الكمال بهما
فصارت المحاسبة
والرعاية والرعاية من
ضرورة مقام التوبة .
أخبرنا أبو زرعة بإجازة
عن ابن خلف أبي بكر
الشيرازي قال سمعت
أبا عبد الرحمن السلمي
يقول سمعت الحسن
الفارسي يقول سمعت
الجريري يقول أمرنا
هذا مبني على فصلين
وهو أن تلم نفسك
لرأفة الله تعالى ويكون
العلم على ظاهره قائما .
وقال المرتضى : للرأفة
مراعاة السر للملاحظة
الحق في كل لحظة
ونقطة قال الله تعالى
- أفن هو قائم على
كل نفس بما كسبت -
وهذا هو علم القيام

(بيان السبب في تصور أهلام الخلق عن معرفة الله سبحانه)

اعلم أنَّ أظهر للوجودات وأجلها هو الله تعالى وكان هذا يقتضي أن تكون معرفته أوَّل المعارف وأسبقها إلى الأنعام وسهَّلها على العقول وتروى الأمر بالصدق من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وإنما قلنا إنه أظهر للوجودات وأجلها لمخ لا تفهمه إلا بمثال وهو أننا إذا رأينا إنسانا يكتب أو يخط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر للوجودات بحياته وعلمه وقدرته وإرادته للخطاطة أجل عددا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه ومحبته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبضيا نشك فيه كقدر طولهِ واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أمَّا حياته وقدرته وإرادته وكونه حيوانا فإنه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته فإن هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس الخمس ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بغيابته وحركته فالونظرنا إلى كل مافي العالم سواء لم نعرفه به صفته لضعفه لا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وتدركه الحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وساء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالقل والبصرة وكل واحد من هذه للدركات لم يدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع مافي العالم شواهدنا طاعة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والوجودات المدركة لا حصر لها فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس شهد لها إلا شاهد واحد وهو ما أحسنا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله إذ كل ذرة فأنها تتأدى بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وأنها تحتاج إلى موجد ومحرك لها يشهد بذلك ولا تركيب أعضائنا واتلاف عظامنا ولحمونا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة فانا نعلم أنها لم تأتلف بأنفسها كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن المالم يبقى في الوجود شيء مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب إلا وهو شاهد ومصرف عظم ظهوره فانبرت العقول ودهشت عن إدراكه فان ما قصر عن فهمه عتقوا فله سبيبان: أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثله . والآخر ما يقتضيه وضوحه وهذا كالحفاش يصير بالليل ولا يصير بالنهار لاختفاء النهار واستتاره لكن لشدة ظهوره فان بصير الحفاش ضئيف ببهرة نور الشمس إذا اشرفت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لا تمتنع إبصاره فلا يرى شيء إلا إذا امتزج الضوء بالظلام وضمف ظهوره فكذلك عتقوا ضعيفة وجمال الحضرة الإلهية في نهاية الإستراف والاستتارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشد عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره بسبب خفاؤه فسيحمان من احتجب بأشراق نوره واختفى عن البصائر والأبصار ظهوره ولا يتعجب من اخفاء ذلك بسبب الظهور فإن الأشياء تستبان بأضدادها وماعم وجوده حتى إنه لا شد له عسر إدراكه فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون بعض أحدك التفرقة على قرب ولما اشتركت في الالة على نسق واحد أشكل الأمر ومثاله نور الشمس للشرق على الأرض فانا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث في الأرض ويؤزل عند غيبه الشمس فلو كانت الشمس دأمة لا اشراق لا غروب لها لكانتظن أنه لا شيء في الأجسام إلا ألوانها وهي السواد والبياض وغيرها

وبذلك يتم علم الحال ومعسرة الزيادة والقصان وهو أن يعلم معيار حاله فيما بينه وبين الله وكل هذا ملازم لصحة التوبة وصحة التوبة ملازم لها لأن الحاطر مقدمات العزائم والعزائم مقدمات الأعمال لأن الحواطر تحقق إرادة القلب والقلب أمير الجوارح ولا تتحرك إلا بتحرك القلب بالإرادة والبراقبة حسم مواد الحواطر الرديئة فصار من تمام الراقبة تمام التوبة لأن من حصر الحواطر كفى مؤنة الجوارح لأن بالراقبة اصطلاح عروق إرادة السكره من

فانا لانشاهد في الأسود إلا السواد وفي الأبيض إلا البياض فأما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت للواضع أدركنا تفرقة بين الحالين فصلنا أن الأجسام كانت قد استغفمت بضوء واتصفت بصفة فأرقتها عند الغروب ففرقنا وجود النور بصدمة وما كنا نعلم على علو علاده إلا بصبر شديد وذلك لمشاهدة الأجسام متشابهة غير مختلفة والظلام والنور هذان مع أن النور أظهر المحسوسات إذ به تدرك سائر المحسوسات لما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف تصور استبصارهم بسبب ظهوره لولا طريقان مذه فأنه تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدمت السموات والأرض وبطلت تلك والسكوت ولأدرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الأشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لأدركت التفرقة بين الشئيين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الأشياء على نفس واحد ووجوده دائم في الأحوال يستحيل خلافه فلا جرم أوردت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الأفهام وأما من قويت بصيرته لم يتصف منته فانه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم أنه ليس في الوجود إلا الله وأما أثر من آثار قدرته فهي تامة له فلا وجود لها بالحقيقة ودونه وإنما الوجود هو الذي هو موجود الأفعال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث إنه معاد وأرض وجران وشجر بل ينظر فيه من حيث إنه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له إلى غيره كمن نظر في شعر إنسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيها الشاعر والصف ورمى آثاره من حيث أثره لأن حيث إنه جبر وعص وزاج ورمق على بياض فلا يكون قد نظر إلى غير الصف وكل العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر إليه من حيث إنه فعل الله وعرفه من حيث أنه فعل الله وأجبه من حيث إنه فعل الله لم يكن ناظرا إلا في الله ولا حارفا إلا بالله ولا عبدا إلا به وكان هو للوحد الحق الذي لا يرى إلا الله بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنه عبد الله فهذا الذي يقال فيه إنه فنى في التوحيد وأنه فنى عن نفسه وبالله الإشارة بقول من قال كنا بنا فطينا عنا فطينا بلا نحن بهذه أمور معلومة عند دوى أبحار أشكلت لضعف الأفهام عن دركها وقصور قدرة الفهماء عن إضاحها وبيانها بعبارة مفهومة موصلة للغرض إلى الأفهام أو باشتغالهم بأنفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يعينهم فهذا هو السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى ونفسه إلى أن المبركات كلها التي هي شاهدة على الله إنما يدركها الإنسان في الصبا عند قند العقل ثم يبدو فيه غرزة العقل فليقل قليلا وهو مستغرق لهم بشهوته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها فسطق وقها عن قلبه باهول الأنس ولذلك إذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله تعالى خارقا للمادة عجيبا انطلق لسانه بالمرعة طبعيا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضائه وسائر الحيوانات البالوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحس بشهادتها لطول الأس بها ولو فرض أنه يبلغ عاقلًا ثم انقضت غشاوة عينه فامتد بصره إلى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان فدهة واحدة على سبيل الفجأة لحيف على عقله أن يتبرر لعظم تحجبه من شهادة هذه الجباب الخلق فهدأ أمثاله من الأسباب مع الانهماك في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة فالتاس في طلبهم معرفة الله كالدهوش الذي يضرب به للث إذا كان راكبا لجماره وهو يطلب حماره والجليات إذا صارت مطوية صارت معتماة فهذا سر هذا الأمر فليحقق ولذلك قيل:

قد ظهرت فما تخفى على أحد إلا على أكه لا يصرف القصر
لكن بطلت بما أظهرت محتجبا فكيف يعرف من بالعرف قد ستر

القلب وبالحاسبة
استدراك ما أغفلت
من المراقبة . أخبرنا
أبو زرعة عن ابن
خلف عن السلي قال
صحت أبا عبد الله الغري
يقول أفضل ما يلزم
الإنسان في هذا
الطريق الحاسبة
والمراقبة وسياسة
العمل بالعلم وإذا صحت
التوبة صحت الانابة
قال إبراهيم بن آدم
إذا صدق البصير في
توبته صار منبيا لأن
الانابة تأتي درجة
التوبة وقال أبو سعيد
القرشي المنيب الراجع
عن كل شيء يشقه
عن الله إلى الله وقال
بعضهم الانابة الرجوع
منه إليه لا من شيء

(بيان معنى الشوق إلى الله تعالى)

اعلم أن من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد أن ينكر حقيقة الشوق إذ لا يتصور الشوق إلا إلى محبوب ونحن ثبت وجود الشوق إلى الله تعالى وكون المارف مضطرا إليه بطريق الاعتبار والنظر بأنوار البصائر وبطريق الأخبار والآثار أما الاعتبار فيكون في إثباته ماسبق في إثبات الحب فكل محبوب يشق إليه في غيبته لالهامة فأما الحاصل الحاضر فلا يشق إليه فإن الشوق طلب وتشوق إلى أمر وللوجود لا يطلب ولكن يياته أن الشوق لا يتصور إلا إلى شيء أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه فأما لا يدرك أصلا فلا يشق إليه فإن من لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور أن يشق إليه وما أدرك بكأله لا يشق إليه وكال الإدراك بالرؤية فإن كان في مشاهدة محبوبه مداوما للنظر إليه لا يتصور أن يكون له شوق ولكن الشوق إنما يتعلق بما أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه وهو من وجهين لا يكشف الباطل من المشاهدات . فقول مثلا من غاب عنه مشوقه ذوق في قلبه خياله فيشتاق إلى استكمال خياله بالرؤية فلو أنمى عن قلبه ذكره وخیاله ومعرفة حتى نسيه لم يتصور أن يشق إليه ولو رآه لم يتصور أن يشق في وقت الرؤية لمع شوقه تشوق نفسه إلى استكمال خياله فكذلك قد برآه في ظلمة بحيث لا يكشف له حقيقة صورته فيشتاق إلى استكمال رؤيته وتتمام الانكشاف في صورته بإشراق الضوء عليه . والثاني : أن يرى وجهه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته وإن لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضوا وأعضاء جملة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق إلى أن يكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لزمان بالضرورة لكل المارفين فإن ما توضح للمارفين من الأمور الإلهية وإن كان في غاية الوضوح فكأنه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضاعفاة الاضاح بل يكون مشوبا بأشواق التخيلات فإن الخيالات لا تفر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنصتات وكذلك ينضاف إليها شواغل الدنيا فأما كمال الوضوح بالمشاهدة وتتمام إشراق التجلي ولا يكون ذلك إلا في الآخرة وذلك بالضرورة وجوب الشوق فإنه منتهى محبوب المارفين فهذا أحد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيها اتضح أمثالا ما الثاني أن الأمور الإلهية لانهاية لها وأما ينكشف لكل عبدهم العباد بعضها وتبقى أمور لانهاية لها غامضة والمارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم أن ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حضر فلا يزال متشوقا إلى أن يحصل له أصل المعرفة فيها لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلا لا معرفة فواضحة لا معرفة غامضة والشوق الأول ينتهي في العار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور أن يسكن في الدنيا وقد كان إبراهيم بن آدم من اللشائق فقال قلت ذات يوم يارب ان أعطيت أحدا من المحبين لك ما يسكن به قلبه قبل لقاءك فأعطيت ذلك فقد أضر بي القلق قال فرأيت في النوم أنه أوفى بين يديه وقال يا إبراهيم أما استحييت من أن تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقاء وهل يسكن للشائق قبل لقاء حبيبه فقلت يارب تهت في حيك فلم أدر ما أقول فاغفر لي وعلى ما أقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك فإن هذا الشوق يسكن في الآخرة وأما الشوق الثاني فيشبه أن لا يكون له نهاية لافي الدنيا ولا في الآخرة إذ نهايته أن ينكشف العبد في الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وأنه الله ماهو معلوم لله تعالى وهو محال لأن ذلك لانهاية له ولا يزال العبد طالما بأنه في من الجمال والحلال ما لم يتشبع له فلا يسكن قط شوقه لاسيا من يرى فوق درجته درجات كثيرة إلا أنه تشوق إلى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصال فهو يجد لذلك شوقا لا يذني لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تكون

غيره فمن رجع من غيره إليه ضيق أحد طرفي الانابة والنيب على الحقيقة من لم يكن له مرجع سواه فيرجع إليه من رجوعه ثم يرجع من رجوع رجوعه فيبقى شبيها لا وصف له فأما بين يدي الحق مستغرقا في عين الجمع ومخالفة النفس ورؤية عيوب الأفعال والمجاهدة بتحقيق الرعاة والرافسة . قال أبو سليمان ما استحسن من نفسي عملا فأحسبه وقال أبو عبد الله السجزي من استحسن شيئا من أحواله في حال إرادته فندت عليه إرادته إلا أن يرجع

أنظار الكشف والظر متوالية إلى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا أبداً لا يذوقون لذة
 ما يجدون من لطائف النعيم شاغلة عن الاحساس بالشوق إلى ما لم يحصل وهذا شرط أن يمكن حصول
 الكشف فيها لم يحصل فيه كشف في الدنيا أصلاً لأن كان ذلك غير مبدول فيكون النعيم واقفاً على حد
 لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله سبحانه وتعالى - نورهم يسمى بين أيديهم بأيمانهم
 يقولون ربنا أتم لنا نورنا - محتمل لهذا المعنى وهو أن ينعم عليه بأتمام النور مهما تزود من الدنيا أصل
 النور ومحتمل أن يكون الرادبه إتمام النور في غير ما يستتار في الدنيا استتارة محتاجة إلى مزيد الاستكمال
 والاشراق فيكون هو الراد تمامه وقوله تعالى - انظرونا نتقن من نوركم قبل ارتجاعنا أو أركنا انظرونا
 نوراً - يدل على أن الأنوار لا بد وأن تزود أصلاً في الدنيا ثم يزداد في الآخرة إشراقاً تاماً ما لا يتجدد
 نور فلا الحكم في هذا برحم الظنون عطر ولم يكشف لنا فيه بسماويثيق به ففسأل الله تعالى أن يزدادنا
 علماً ورشداً ويزينا الحق حقاً فهذا التقدير من آثار البصائر ككشف لطائف الشوق ومعانيه. وأما شواهد
 الأخبار والآثار فأكثر من أن تحصى فما أشهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول:
 « اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء ورد الميعى بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى
 لقاءك » (١) وقال أبو البراء الكوفي أخبرني عن أخى آية يعني في التوراة فقال يقول الله تعالى: ط ل شوق
 الأبرار إلى لقاءى وإني إلى قائلهم لأشد شوقاً قال ومكتوب إلى جانبها من طلبنى وجدنى ومن طلب
 غيبرى لم يجدنى ، فقال أبو البراء أشهد أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا وفى أخبار داود عليه
 السلام إن الله تعالى قال ياد داود أبلغ أهل أرضى أى حبس لمن أحببى لمن جالسى ومن مؤمن لمن
 أنس بذكرى وصاحب لمن صاحبنى ومختار لمن اختارنى ومطيع لمن أطاعنى ما أحببى عبد أعلم ذلك
 يقينا من قلبه إلا قبلته نفسى أحببته جالساً لا يتقدمه أحد من خلقى من طلبنى بالحق وجدنى ومن طلب
 غيبرى لم يجدنى ، فارتضوا يا أهل الأرض ما تم عليهم من غرورها واهلوا إلى كرامتى ومصاحبى ومجالسنى
 والنسب إلى أواسمك وأسارع إلى محبتى فاني خلقت طينة أحبائى من طينة إبراهيم خليلى وموسى نبيى
 ومحمد صفى وخلق قلوب الشائنين من نورى ونعمتها بجلالى . وروى عن بعض السلف أن الله تعالى
 أوحى إلى بعض الصديقين إني إلى عبادى من عبادى محبوبى وأحبهم ونشاقون إني وأشتاق إليهم
 ويذكرونى وأذكركم وينظرون إني وأنظر إليهم فان حدثت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم
 ، فتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالهار كما يراعى الراعى الشقيق غنمه ويهتدون إلى
 غروب الشمس كما يهتدون الطائر إلى وكرة عند الغروب فإذا جهم الليل واخطط الظلام وغربت القرش
 وضربت الأسرة وخلال حبيب مجيئه فصرخ إلى أقدامهم واقتربوا إلى وجوههم وناجوا بى بكلامى وعلقوا
 إلى بائعهم فين صارخ وبك وبين متاوه وشاك وبين قائم وقاعدوين راكع وساجد بينى ما يتحملون
 من أشجى ويسمى ما يشكون من حبي أول ما أعطيت ثلاث : أقذف من نورى قلوبهم فيخبرون
 عنى كما أخبر عنهم . والثانية لو كانت السموات والأرض وما فيها فى موازينهم لاستقلت بهم لهم . والثالثة
 أقبل بوجهى عليهم فترى من أقبلت بوجهى عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه . وفى أخبار داود عليه
 السلام إن الله تعالى أوحى إليه ياد داود إلى كم تذكر الجنة ولا تنسأنى الشوق إلى قال يارب من للشقائق
 إليك قال ان للشائقين إلى الذين صفيتهم من كل كدر ونبتهم بالحذر وجرقت من قلوبهم إلى آخره
 ينظرون إلى واني لأحمل قلوبهم بيدي فأضعها على سماءى ثم أدعو لجناب ملائكتى فإذا اجتمعوا

(١) حديث أنه كان يقول فى دعائه اللهم انى أسألك الرضا بعد القضاء ورد الميعى بعد الموت
 الحديث أحمد والحاكم وتقدم فى المعونات .

إلى ابتداءه فيروض
 نفسه ثانياً ومن لم يزن
 نفسه بميزان الصدق
 فيها وعليه لا يبلغ
 مبلغ الرجال ورؤية
 عيوب الأنفال من
 ضرورة صحة الانابة
 وهو في تحقير مقام
 التوبة ولا تستقيم
 التوبة إلا بسدق
 المجاهدة ولا يسدق
 العبد في المجاهدة إلا
 بوجود الصبر . وروى
 فضالة بن عبيد قال
 سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول
 المجاهد من جاهد نفسه
 ولا يمت ذلك إلا بالصبر
 وأفضل الصبر الصبر
 على الله بكوف المم
 عليه وصدق للراقبة
 له بالقلب وجسم مواد

سجدوا لي فأقول إنى لم أدعكم لتسجدوا لي ولكن دعوتكم لأعرض عليكم قلوب الشواقين إلى
وأباهى بكم أهل الشوق إلىى فإن قلوبهم تنفى في سبلى للملكى كما تنفى الشمس لأهل الأرض.
يادادو إنى خلقت قلوب للشواقين من رضوانى ولعمتها بنور وجهى فاعتدتهم لنفسى محبى ،
وجعلت أبدانهم موضع نظرى إلى الأرض وقطعت من قلوبهم طريفا ينظرون به إلىى يزادون فى
كل يوم شوقا . قال داود يارب أرنى أهل محبتك ، قال يادادو أنت جبل لبنان فإن فيه أربعة
عشر تمسا فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول فإذا أنبتهم فأقرهم منى السلام وقل لهم إن ربكم
يقربكم السلام ويقول لكم الأسألون حاجة فانكم أحباى وأصفاى وأولياى أفرح لفرحكم
وأسارع إلى محبتكم فأتاكم داود عليه السلام نهضوا ليغزوا عنه ، قال داود إنى رسول الله
إليك عز وجل ، قلنا نظروا إلى داود عليه السلام نهضوا ليغزوا عنه ، قال داود إنى رسول الله
إليك جئتكم لأبلغكم رسالة ربكم فأقبلوا نحوه وألقوا أسباعهم نحو قوله وألقوا أسباعهم إلى
الأرض ، قال داود إنى رسول الله إليك بفرحكم السلام ويقول لكم الأسألون حاجة الأتادونى
أجمع صوتكم وكلامكم فانكم أحباى وأصفاى وأولياى أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم وأنظر
إليك فى كل ساعة أنظر الائمة الشفيعه الرفيعه . قال بفرح السموع على خدودهم ، قال شيخهم
سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من
أعمارنا . وقال الآخر : سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنى علينا بحسن النظر
فيا بيننا وبينك . وقال الآخر : سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك أنجبتى على
الدعاء وقد علمت أنه لا حاجة لنا فى شئ من أمورنا فأدع لنا لزوم الطريق إليك واتم بذلك للنة
علينا . وقال الآخر : نحن مقصرون فى طلب رضاك فأعنا علينا بحودك . وقال الآخر : من
نطقة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر فى عظمتك أنجبتى على الكلام من هو مشغل بعظمتك
متفكر فى جلالك وطلبنا الدنو من نورك . وقال الآخر : كلت ألسنتنا عن دهاك لعظم شأنك
وقربك من أولياك وكثرة منتك على أهل محبتك . وقال الآخر : أنت هديت قلوبنا لذكرك
وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا قصيرنا فى شكرك . وقال الآخر : قد عرفت حاجتنا إلىماهى
النظر إلى وجهك . وقال الآخر : كيف يجترى العبد على سيده إذ أمرتنا بالدعاء بحودك فهب
لنا نورا ننتدى به فى الظلمات من أطباق السموات . وقال آخر : ندعوك أن تقبل علينا
وتدعنا عندنا . وقال الآخر : نسألك تمام نعمتك فيا وهبت لنا وتفضلت به علينا . وقال
الآخر : لا حاجة لنا فى شئ من خلقك فامنى علينا بالنظر إلى جمال وجهك . وقال الآخر :
أألك من بينهم أن تسمى عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة . وقال
الآخر : قد عرفت تباركت وتعاليت أنك تحب أولياك فامنى علينا باشتغال القلب بك عن كل شئ
دونك . فأحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحبيتهم فليبارك
كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فأتى كاشف الحجاب فباينى وبينكم حتى تنظروا إلى نورى
وجلالى . فقال داود يارب بم نالوا هذا منك قال بحسن الظن والكشف عن الدنيا وأهلها والحلوات فى
ومناجاتهم إلى وإن هذا منزل لا يناله إلا من رضى الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشئ من ذكرها وفرغ قلبه لى
واختارنى على جميع خلقى فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ همه وأكشف الحجاب فباينى وبينه حتى
ينظر إلى نظر الناظر بينه إلى الشئ وأربه كرامتى فى كل ساعة وأقره من نور وجهى ، إن

الخواطر والصبر
ينقسم إلى فرس
وفضل فالفضل كالصبر
على أداء الفقرات،
والصبر عن المهرمات
ومن الصبر الذى هو
فضل الصبر على الفقر
والصبر عند الصدمة
الأولى وحسن
للسائب والأوجاع
وترك الشكوى
والصبر على إخفاء
الفقر، والصبر على كتم
النسج والكرامات
ورؤية المبر والآيات
ووجوه الصبر قرنا
وفضلا كثيرة وكثير
من الناس من يقوم
بهذه الأقسام من
الصبر ويضيق عن
الصبر على الله بلزوم
صحة الرابطة والربابة

مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشقيقة ولدها ، وإن عطش أرويته وأذيقه طعم ذكرى ، فإذا ضلّت ذلك به ياداد بحيث نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحبها إليه لا يتر عن الاشتغال بي . يستجاني القدوم وأنا أكره أن أميته لأنه موضع نظري من بين خلق لا يرى غيري ولا أرى غيره فلو رأيته ياداد وقد ذابت نفسه ونحسل جسمه وتشتت أعضاؤه وانفزع قلبه إذا سمع بك ذكرى أباهي به ملاسكتي وأهل ممواني بزاد خوفاً وعبادة ، وعزّي وجلالي ياداد لأصدنه في الفردوس ولأهني صدره من النظر إلى حق برضى وفوق الرضا . وفي أخبار داود أيضاً : قل لباضي التوجهين إلى عجب ما ضرمك إذا احتجبت عن خلقى ورفقت الحجاب فيا بيني وبينك حق تنظروا إلى بيوت فلوكم وما ضرمك ملاوت عنكم من الدنيا إذا بسطت ديني لكم وما ضرمك مسخطة الخلق إذا التستم رضائي . وفي أخبار داود أيضاً : إن الله تعالى أوحى إليه زعم أنك تحبني ، فإن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فإن حي وحبها لا يجتمعان في قلب . ياداد خالص حبيبي خالصة وأخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك قتلدينه ولا تهلل دينك الرجال ، أما ما استبان لك مما وافق عجبك فتمسك به ، وأما ما أشكل عليك فقله في حق أي أسارع إلى سياستك وتزويجك وأكن قائداً ودليلك أعطيك من غير أن تسألني وأعنيك على الدائد وإن قد حلفت على نفسي أني لأتيب إلا عيدا قد عرفت من طلبته وإرادته إلقاء كنفه بين يدي وأنه لا غنى به عني ، فإذا كنت كذلك نزعك الدالة والوحشة عنك وأمكن التي قلبك فاني قد حلفت على نفسي أنه لا يطمئن عبد لي إلى نفسه ينظر إلى ضالها إلا وكلته إليها أنصف الأعيان إلى لاصتاه عملك فتكون متنيا ولا يتنفع بك من يصحبك ولا تجد لمرق حدا فليس لها غاية ، وبعثي طلبتي من الزيادة أعطك ولا تجد للزيادة مني حدا ، ثم علم بي إسرائيل أنه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب فتعظم رغبتهم وإرادتهم عندي أعلمهم مالا عين رأّت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضمنني بين عينيك . وانظر إلى يصر قلبك ولا تنظر بينك التي في رأسك إلى الذين حجب عقولهم عني فأمرجوها وسخت بإقطع نواحي عنها فاني حلفت بزعمي وجلالي لا أفتح نواحي لمد دخل في طاعتي والتجربة والتسويب تواضع لمن علمه ولا تطاول على اللريدين ، فلو علم أهل عجبتي مفرقة اللريدين عندي لكانوا لهم أرضا يمشون عليها . ياداد لأن تخرج مریدا من سكرة هو فيها يستقدم فأكتبك عندي جهدا ، ومن كتبته عندي جهدا لا تكون عليه وحشة ولا فاقة إلى الخلقين . ياداد : تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا توثق منها فأحجب عنك عجبتي لا تقيس عبادي من ربحي أقطع شهوتك لي فأتما أحببت الشهوات لضعف خلقى ما بال الأقوياء أن يبالوا الشهوات فأتما تنقص حلاوة مناجاتي ، وإنما عتوبة الأقوياء عندي في موضع التناول أدنى ما يصل اليهم أن أحجب عقولهم عني فاني لم أرض الدنيا لحبيبي وزهته عنها . ياداد : لا تجلس بيني وبينك طالما يحجب بكركه عن عجبتي . أولئك قطع الطريق على عبادي اللريدين استعن على ترك الشهوات بإدمان الصوم ، وإياك والتجربة في الإنظار فإن عجبتي للصوم إدماجه . ياداد : تحب إلى بمداوة نفسك بمنع الشهوات أنظر إليك وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة إنما أدبريك بمداراة لتقوى على نواحي إذا مننت عليك به وإني أحبه عنك وأنت متحسبك بطاعتي . وأوحى الله تعالى إلى داود ياداد لو يعلم اللبرون عني كيف انتظاري لهم ورقى بهم وشوق إلى ترك مواصبتهم لما اتوا شوقا إلى وتقطع أوصالهم من عجبتي

وفي الخواطر ، فاذن حقيقة الصبر كائنة في التوبة ككينة التوبة في التوبة والصبر من أعز مقامات اللوقين وهو داخل في حقيقة التوبة . قال بعض العلماء : أي شيء أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى في كلامه في نيف وتسعين موضعا وما ذكر شيئا بهذا العدد وحصة التوبة تحتوي على مقام الصبر مع شرفه . ومن الصبر الصبر على النعمة ، وهو أن لا يصرفها في مصيبة الله تعالى وهذا أيضا داخل في حصة التوبة

يادود هذه إرادتي في الدين عن فكيف إرادتي في المقبلين علي يادود أحوج ما يكون العبد إلى إذا استغنى عن وأرحم ما أكون بعدى إذا أدبر عن وأجل ما يكون عندي إذا رجع إلى ، فهذه الأخبار ونظائرها مما لا يحصى تدل على إثبات المحبة والشوق والأنس ، وإنما تحقيق معناها ينكشف بما سبق .

(بيان حجة الله للعبد ومعناها)

اعلم أن شواهد القرآن متظاهرة على أن الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معنى ذلك. ولتقدم الشواهد على محبته ، فقد قال الله تعالى - يحرم ويجونه - وقال تعالى - إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا - وقال تعالى - إن الله يحب التوابين . وحج للتطهرين - ولذلك رديحجانه على من ادعى أنه حبيب الله فقال - قل فلم يذبحكم بذنوبكم - وقد روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أحب الله تعالى عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا - إن الله يحب التوابين - (١) » ومعناه أنه إذا أحببه تاب عليه قبل الموت فلم يضره الذنوب الماضية وإن كثرت كما لا يضر السكر الماضي بعد الإسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب . فقال - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبك الله ويغفر لكم ذنوبكم - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب (٢) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله (٣) » وقال عليه السلام « قال الله تعالى لا يزال العبد يقرب إلى الله بالتواضع حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به (٤) » الحديث . وقال زيد بن أسلم : إن الله يحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول : عمل ما شئت قد غفرت لك ، وما ورد من ألقاظ المحبة خارج عن الحصر ، وقد ذكرنا أن حجة العبد لله تعالى حقيقة وليست بجاز ، إذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى الشيء للوافق والشق عبارة عن الميل الغالب للمفرط ، وقد بينا أن الإحسان موافق للنفس والجمال موافق أيضا ، وأن الجمال ولا إحسان نارة يدرك بالبصر وتارة يدرك بالبصرة والحجب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر ، فأما حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا بل الأسمى كلها إذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم تنطلق عليهما بمعنى واحد أصلا حتى إن اسم الوجود الذي هو أعم الأسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود للتبوع ، وإنما الاستواء في إطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم ، إذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فيما من غير استحقاق أحدهما لأن يكون فيه أصلا فليست الجسمية لأحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا خلقه ، وهذا التابع على سائر الأسماء

(١) حديث أنس إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له في مسنده وروى ابن ماجه الشطر الثاني من حديث ابن مسعود وقدم في التوبة (٢) حديث إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب الحديث الحاكم ووضح استناده والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود (٣) حديث من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله ابن ماجه من حديث أبي سعيد بإسناد حسن دون قوله ومن أكثر إلى آخره ورواه أبو يعلى وأحمد بهذه الزيادة وفيه ابن لمية (٤) حديث قال الله تعالى لا يزال العبد يقرب إلى الله بالتواضع حتى أحبه الحديث البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

وكان سهل بن عبد الله يقول الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ، وروى عن بعض الصحابة بلينا بالضراء فصرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر ومن الصبر رعاية الاقتصاد في الرضا والتغلب والصبر عن محبة الناس والصبر على المحن والتواضع والتأدب داخل في الزهد وإن لم يكن دخلا في التوبة وكل ما فات من مقام التوبة من القامات السنية والأحوال وجد في الزهد وهو ثالث الأربعة التي ذكرنا وحقيقة الصبر تظهر من طمأنينة النفس وطمأنينتها من تركها وتركها بالثوبة

أظهر كالم والإرادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضح اللفظ إنما وضع هذه الأسماء أولاً للخلق فإن الخلق سبق إلى القول والأنهم من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل والحجة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملامم وهذا إنما يتصور في نفس ناقصة فاتها ما يوافقها فتستفيد بنيه كالأ فتلتد بنيه وهذا حال على الله تعالى فإن كل كمال وجهاء وجلال ممكن في حق الإلهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبداً وأزلاً ولا يتصور تجده ولا زواله فلا يكون له إلى غيره نظر من حيث إنه غيره بل نظر إلى ذاته وأفعاله فقط وليس في الوجود إلا ذاته وأفعاله ، ولذلك قال الشيخ أبو سعيد اللبني رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى - بحمهم ويعبونه - فقال بحق بحمهم فإنه ليس يجب إلا نفسه على معنى أنه السكل وأن ليس في الوجود غيره فمن لا يجب إلا نفسه وأفعاله نفسه وصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته فهو إذن لا يجب إلا نفسه ، وما ورع من الألفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ويرجع معناه إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه وإلى تمكنه إياه من القرب منه وإلى إرادته ذلك به في الأزل غيه لمن أحبه أزيل مهما أضيف إلى الإرادة الأزلية التي اقتضت تمكن هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب وإذا أضيف إلى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب للقتضى له كما قال تعالى ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فيكون تقربه بالنوافل سبباً لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه ، ولا يفهم هذا إلا بهتال وهو أن الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك إليه إما ليصره بقوة أو ليستريح بمشاهدته أو ليستشيره في رأيه أو ليهي أسباب طامه وشرائه فيقال إن الملك يحبه ويكون معناه ميله إليه لما فيه من للمنى للوائق للآلثم له وقد يقرب عبداً ولا يمنعه من الدخول عليه إلا لا لتنافع به ولا لاستجداد به ولكن لسكون العبد في نفسه موصوفاً من الأخلاق الرضية والحاصل الحميدة بما يليق به أن يكون قريباً من حضرة الملك واغرا الحظ من قربه مع أن الملك لا غرض له فيه أصلاً فإذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد أحبه وإذا اكتسب من الحاصل الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل وحبيب نفسه إلى الملك فحب الله للعبد إنما يكون بالمنى الثاني لا بالمنى الأول وإنما يصح تمثيله بالمنى الثاني بشرط أن لا يسبق إلى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فإن الحبيب هو القرب من الله تعالى والقرب من الله في البعد من صفات البهائم والسباع والشاطئين والتخلق بكمالك الأخلاق التي هي الأخلاق الإلهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريباً صار قريباً قد تغير فربما يظن بهذا أن القرب لما تجدد قد تغير وصف العبد والرب جميعاً إذا صار قريباً بعد أن لم يكن وهو محال في حق الله تعالى إذا تغير عليه محال بل لا يزال في نموت الكمال والجلال على ما كان عليه في أزل الأزال ولا يكشف هذا إلا بهتال في القرب بين الأشخاص فإن الشخصين قد يتقاربان بتمركهما جميعاً وقد يكون أحدهما ثابتاً فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر بل القرب في الصفات أيضاً كذلك فإن التليذ يطلب القرب من درجة أستاذة في كمال العلم وجهاله والأستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول إلى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل إلى ارتفاع العلم فلا يزال دائماً في التغير والترقى إلى أن يقرب من أستاذه والأستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي أن يفهم ترقى العبد في درجات القرب فكلها صاراً كل صفة وآتم علماً وإحاطة بمخالفات الأمور وأثبت قوة في قهر الشيطان وقهر الشهوات وأظهر نزاهة عن

فالنفس إذا تزكت
بالتوبة النصوح زالت
عنها الشراسة الطبيعية
وقلة الصبر من وجود
الشراسة للنفس وإبائها
واستعصائها والتوبة
النصوح تلين النفس
وتخرجها من طبيعتها
وشراستها إلى اللين
لأن النفس بالحاسبة
واللراقة تصفو وتطهر
نيراتها للتأججة
بتأية الهوى وتبلغ
بطمانيتها محل الرضا
ومقامه وتطمئن في
مجاري الأقدار قال
أبو عبد الله النجاشي
له عباد يستحيون
من الصبر ويتلقفون
مواضع أقداره بالرضا
تلقفاً ، وكان عمر بن
عبد العزيز يقول

الرائدائل صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله ، نعم قد يقدر التحديد على القرب من الأستاذ على مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الحال فإنه لا نهاية لكمال وسلوك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي إلا إلى حد محدود فلا مطلق له في المساواة ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتاً لا نهاية له أيضاً لأجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فإذا نعمة الله للعبد تقريته من نفسه بدفع الشواغل وللمصاحبة عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه . وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشاقق إلى مفاته وإذا أدرك منه شيئاً يلتذبه والشوق والمهبة بهذا المعنى حال على الله تعالى . فإن قلت محبة الله للعبد أمر متلبس فبم صرف العبد أنه حبيب الله ؟ فأقول يستدل عليه بعلاماته وقدر صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإذا أحب الله الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه ؟ قال لا يترك له أهلاً ولا مالاً (١)» فلامعة محبة الله للعبد أن يوحش من غيره ويحول بينه وبين غيره . قيل ليمسى عليه السلام لم لا تشتري حماراً تتركه فقال أنا أعز على الله تعالى من أن يشغلي عن نفسه بحمار ، وفي الخبر «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتبه فإن رضى اصطفاه (٢)» وقال بعض العلماء إذا رأيتك تحبه ورأيتك يبتليك فاعلم أنه يريد مصافك ، وقال بعض الريدن لأستاذة قد طولت بشي من المهبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فأثرت عليه إياه قال لا قال فلا تطمع في المهبة فإنه لا يعطيك عبداً حتى يلوه ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه (٣)» وقد قال «إذا أراد الله بعبده خيراً أصره بمحبوب نفسه (٤)» فأخص علاماته حبه لله فإن ذلك يدل على حب الله . وأما الفعل الدال على كونه محبوباً فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه سره وجهه فيكون هو الشير عليه وللدبر لأمره وللزبر لأخلاقه وللمستعمل لجوارحه وللمسد لظواهره وباطنه والجاعل همومه ما واحداً والبغض للدنيا في قلبه وللوحش له من غيره والمؤنس له بركة الناجاة في خاواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذه أماناته و علامة حب الله للعبد ، فلنذكر الآن علامة محبة العبد لله فإنها أيضاً علامات حب الله للعبد .

(القول في علامات محبة العبد لله تعالى)

اعلم أن المهبة يدعها كل واحد ومأصل الدغوى ومأعز للمنى فلا ينبغي أن ينتر الإنسان بتلبس الشيطان وخدع النفس معها ادعت محبة الله تعالى ما لم يتحها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والأدلة والمهبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ونماهاها تظهر في القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار القائمة منها على القلب والجوارح على المهبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الأشجار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والشاهدة في دار السلام فلا يتصور أن يحب القلب محبوباً إلا لرغب مشاهدته ولقاءه وإداعلم أنه لا وصول إلا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغي أن يكون محباً للموت غير قار منه فإن الحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه إلى مستقر محبوبه

- (١) حديث إذا أحب الله عبداً ابتلاه الحديث الطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني وقد تقدم .
- (٢) حديث إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتبه الحديث ذكره صاحب التردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرج له وفي مسنده (٣) حديث إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه الحديث أبو منصور الديلمي في مسنده التردوس من حديث أم سلمة بإسناد حسن بلفظ إذا أراد الله بعبده خيراً (٤) حديث إذا أراد الله بعبده خيراً أصره بمحبوب نفسه أبو منصور الديلمي في مسنده التردوس من حديث أنس زيادة فيه بإسناد ضعيف .

أصبحت ومالي سرور
إلا مواقع القضاء قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم لابن عباس
حين وصاه «اعمل لله
باليقين في الرضا فإن لم
يكن فإن في الصبر
خيراً كثيراً» وفي الخبر
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم «من خير
ما أعطى الرجل الرضا
بما قسم الله تعالى له»
فالأخبار والآثار
والحكايات في فضيلة
الرضا وشرفه أكثر
من أن تحصى والرضا
ثمرة التوبة النصوح
وما تخلف بعد عن
الرضا إلا ابتغافه عن
التوبة النصوح فإذا
تجمع التوبة النصوح
حال صبر ومقام الصبر
وحال الرضا ومقام

ليتمتع بشهادته والوفاة مفتاح اللقاء وباب الدخول إلى الشهادة . قال صلى الله عليه وسلم « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » (١) وقال حذيفة عند الموت حبیب جاء على لاقة فألقى من ندم . وقال بعض السلف : ما من خصلة أحب إلى الله أن تكون في العبد يحب لقاء الله من كثرة الوجود . قدم حب الله على السجود وقد شرط الله سبحانه لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا إنما نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطالب الشهادة علامته فقال - إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً - وقال عز وجل - يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون - وفي وصية أبي بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما : الحق قليل وهو مع قلة مريء . والباطل خفيف وهو مع خفته موبىء فإن حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من الموت وهو مدركك وإن ضيعت وصيتي لم يكن غائب أبغض إليك من الموت ولئن تجزئه ، وروى عن اسحق بن سعد بن أبي وقاص قال حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ألا ندعو الله نغلقوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يارب إني أتستعجلك إذا لقيت العدو غداً فلقني رجلاً شديداً بأسه شديداً حرده أقاته فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجذب أنفي وأذني ويقر بطني فإذا التيتك غداً قلت يا عبد الله من جدد أمك وأذكك فأقول فيك يارب وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد رأيته آخر النهار وإن أهواؤه لمقتان في خيط (٢) قال سعيد بن السيب أرجو أن يرى الله آخر قسمه كما أرى أوله ، وقد كان الثوري وبشر الحافي يقولان لا يكره الموت إلا مريب لأن الحبيب على كل حال لا يكره لقاء حبيبه . وقال البيهقي لبعض الزهاد أعجب الموت فكأنه توفى فقال لو كنت صادقاً لأحببته وتلا قوله تعالى - فتمنوا الموت إن كنتم صادقين - فقال الرجل قد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يمتنين أحدكم الموت » (٣) فقال إني أقاله لضر نزل به لأن الرضا بقضاء الله تعالى أفضل من طلب الفرار منه . فإن قامت من لا يحب للموت فهل يتصور أن يكون محباً ؟ فأقول كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الأهل وللنكاح والولد وهذا ينافي كمال حب الله تعالى لأن الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد أن يكون له مع حب الأهل والولد شائبة من حب الله تعالى متبعية فإن الناس متفاوتون في الحب ويدل على التفاوت ما روى أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما تزوج أخته فاطمة من سالم مولاه ماتته قريش في ذلك وقالوا أنكحت عتيبة من عقائل قريش لمولى فقال والله لقد أنكحته إياها وإنني لأعلم أنه خير منها فكان قوله ذلك أشد عليهم من فعله فقالوا كيف وهي أختك وهو مولدك فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فينظر إلى سالم » (٤) فهذا يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيجبه ويحب أيضاً غيره فلا جرم يكون نعيمه

(١) حديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه متفق عليه من حديث أبي هريرة وعائشة (٢) حديث اسحق بن سعد بن أبي وقاص قال حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال يارب إني أتستعجلك إذا لقيت العدو غداً فلقني رجلاً شديداً بأسه شديداً حرده أقاته فيك ويقاتلني ويجذب أنفي وأذني الحديث الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في الحلية واستاده جيد (٣) حديث لا يمتنين أحدكم الموت لضر نزل به الحديث متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم (٤) حديث أبي حذيفة بن عتبة أنه لما تزوج أخته فاطمة من سالم مولاه ماتته قريش في ذلك وفيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فينظر إلى سالم » لم أره من حديث حذيفة وروى أبو بصير في الحلية للرفع عن متين حديث عمر أن سالم أحب الله حقاً من قلبه وفي رواية له إن سالمًا شديد الحب لله عز وجل ولم يخف الله عز وجل ما عصاه وفيه عبد الله بن لهيعة .

الرضا والخوف والرجاء
مقامان شريفان من
مقامات أهل اليقين
وهما كائنان في صلب
التوبة النصوح لأن
خوفه حمله على التوبة
ولولا خوفه ما تاب
فالرجاء والخوف
يتلازمان في قلب المؤمن
ويتبدل الخوف
والرجاء أتاها بالستيم
في التوبة . دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم
على رجل وهو في
سبيل الموت فقال
« كيف تجد ذلك قال
أجدني أخاف ذنوبي
وأرجو رحمتك فقال
ما اجتماع في قلب عبد
في هذا الوطن إلا أعطاه
الله ما رجا وآمنه بما

بلقاء الله عند التقدم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند اللوت على قدر حبه لها .
وأما السبب الثاني للكرهية : فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره اللوت وإنما يكره
عملته قبل أن يستمد لقاء الله فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالحب الذي وصله الحبر بقدم
حبيه عليه فأحب أن يتأخر قدومه ساعة ليهيء له داره ويعد له أسباب فيلقاه كما بهواه فارغ القلب
عن الشواغل خفيف الظاهر عن العوائق فالكرهية بهذا السبب لا تنافي كمال الحب أصلا وعلامته
الدروب في الصل واستمرار في المهم في الاستعداد . ومنها أن يكون مؤثرا ما أحبه الله تعالى على ما يحبه
في ظاهره وباطنه فيأثم مشاق العمل ويحجب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال
مواظبا على طاعة الله ومتقربا إليه بالتواضع وطالبا عنده مزايا الدرجات كما يطلب الحب مزيدا القرب
في قلب محبوه وقد وصف الله المبين بالإتيار فقال - يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - ومن بقي مستمرا على متابعة الهوى
فمحبوه ما بهواه بل يترك الحب هوى نفسه لهوى محبوه كما قيل :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

بل الحب إذا غلب قبح الهوى فلم يبق له تتم بنير المحبوب كما روى أن زليخا لما آمنت وتزوج بها
يوسف عليه السلام أقردت عنه وتخلت للعبادة واقتطعت إلى الله تعالى فكان يدعوها إلى فراشه
نهارا فندافه إلى الليل فإذا دعاها ليل سوفت به إلى التهار وقالت يا يوسف إنما كنت أحبك قبل
أن أعرفه فأما إذ عرفته فما أبت محبة له لسواه وما أريد به بدلا حتى قال لها إن الله جل
ذكره أمرني بذلك وأخبرني أنه يخرج منك ولدين وجاعلهما نبين فقالت أما إذا كان الله تعالى
أمرك بذلك وجعلني طريقا إليه فقطاعة لأمر الله تعالى فندما سكنت إليه ؟ فأذن من أحب الله
لا يصيه ولذلك قال ابن المبارك فيه :

نصبي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى في القفال بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته إن الحب لمن يحب مطيع

وفي هذا المعنى قيل أيضا :

وأترك ما أهوى لما قد هوئته فأرضى بما ترضى وإن سخطت نفسي

وقال سهل رحمه الله تعالى علامة الحب إثارة على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله عز وجل
صار حبيبا وإنما الحبيب من اجتنب للنهي وهو كما قال لأن محبته لله تعالى سبب محبة الله له كما قال
تعالى - عجبهم ويحبونه - وإذا أحبه الله تولاوه ونصره على أعدائه وإنما عدوه نفسه وشهوته فلا
يخذه الله ولا يكله إلى هواه وشهوته ولذلك قال تعالى - والله أعلم بأعنادكم وكفى بالله
بائنا نصيرا - فاق قلت فالصيان هل يضاد أصل المحبة فأقول - إنه يضاد كمالها ولا يضاد أصلها فكيف
من إنسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة وبأكل مضره مع العلم بأنه ضره وذلك لا يدل على
عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روى
« أن نعيمان كان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قليل فيحده في مصيبة يرتكبها إلى أن
آتى به يوما فحده فلغته رجل وقال ما أكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه
وسلم لا تلغنه فانه يحب الله رسوله (١) » فلم يخرج به بالمصيبة عن المحبة ، نعم أخرجه للصيغة عن كمال الحب

(١) حديث آتى نعيمان يوما فحده فلغته رجل قال ما أكثر ما يؤتى به فقال لا تلغنه فانه يحب الله
ورسوله البخاري وقد تقدم .

يخافه وجاء في تفسير
قوله تعالى ولا تلقوا
بأيديكم إلى التهلكة
هو البند يذنب
الكبائر ثم يقول قد
هلكتم لا ينفع عمل
فالتائب خاف قتال
ورجال الغفرة ولا يكون
التائب تابيا إلا وهو راجع
خائف ثم إن التائب
حيث قيدا الجوارح عن
السكران واستعان بنعم
الله على طاعة الله فقد
شكر النعم لأن كل
جائحة من الجوارح
نعمة وشكرها قيدها
عن العصية واستمالها
في الطاعة وأي شاكر
لنعمته أكبر من التائب
الستيقم فإذا جمع مقام
التوبة هذه اللقائات
كلها فقد جمع مقام

وقد قال بعض المارفين إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب الله تعالى جاسوسا فإذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصي وبالجملة في دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضيل إذا قبل لك أحب الله تعالى فاسكت فانك إن قلت لا ، كثر وإن قلت نعم ، فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت . ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم أطى من نعيم أهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى للعرفه والمحبة ولم يتحقق بشئ من ذلك . ومنها أن يكون مستهترا يذكر الله تعالى لا يفتقر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن أحب شيئا أكثر بالضرورة من ذكره وذكر ما يتعاق به فعلامه حب الله حب ذكره وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب كل من ينسب إليه فان من يحب إنسانا يحب كلب محله فالحبة إذا قويت تعدت من المحبوب إلى كل ما يكتنف بالمحوب ومحيط به ويتعلق بأسبابه وذلك ليس شركة في الحب فان من أحب رسول المحبوب لأنه رسوله وكلامه لأنه كلامه فلم يجاوز حبه إلى غيره بل هو دليل على كمال حبه ومن غلب حب الله على قلبه أحب جميع خلق الله لأنهم خلقه فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الأخوة والصحة ولذلك قال تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أحبوا الله لما يذكركم به من نعمة وأحبوني لله تعالى» (١) وقال سفيان من أحب من يحب الله تعالى فاعما أحب الله ومن أكرم من يكرم الله تعالى فاعما يكرم الله تعالى . وحكي عن بعض للردين قال كنت قد وجدت حلالة للناجاة في سن الإراادة فأعمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتي قرة فانهضت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول في المنام إن كنت تزعم أنك تحبني فلم تجفوت كثنائي أما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد أشرب في قلبي محبة القرآن فصاودت إلى خالي . وقال ابن مسعود لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وإن لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله . وقال سهل رحمته الله تعالى عليه علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله حب القرآن حب النبي ﷺ وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة حب الدنيا وعلامة حب الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زادا وبلغه إلى الآخرة . ومنها أن يكون أنسه بالخلوة ومناجاته لله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجذ وينتظم هذه الليل وصفاء الوقت باقظاع المواقف وأقل درجات الحب التلاذ بالخلوة بالحبيب والتتم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث الله عنده وأطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته قيل لأبراهيم بن آدم وقد نزل من الجبل من أين أقبلت فقال من الأنس بالله وفي أخبار داود عليه السلام لا تناس إلى أحد من خلقي فاني إنما أقطع عن رجلين رجلا استبطأ ثوابي فاقطع ورجلا تسنى فرضي بحاله وعلامة ذلك أن أكله إلى نفسه وأن أدعه في الدنيا حيران ومهما أنس . بنير الله كان بقدر أنسه بنير الله مستوحشا من الله تعالى ساقطا عن درجة محبته وفي قصة برخ وهو البديل الأسود الذي استسقى به موسى عليه السلام إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام إن برخا نعم العبد هو لي إلا أن فيه عيا قال يارب وما عيه قال يعجبه نسيم الأسفار فيسكن إليه ومن أجنى لم يسكن إلى شيء . وروي أن عابدا عبد الله تعالى في غيضة دحرا طويلا فنظر إلى طائر وقد عشق في شجرة بأوى إليها ويصفى عندها فقال لو حولت مسجدي إلى تلك الشجرة فكنت أنس بصوت هذا الطائر

التوبة حال الزجر
وحال الانتباه وحال
التيقظ وعاملة النفس
والتقوى والمجاهدة
ورؤية عيوب الأفعال
والانابة والصبر والرضا
والمحاسبة والراقبة
والرعاية والشكر
والخوف والرجاء وإذا
صحت التوبة التصوح
وتزكت النفس انجبات
مراة القلب وبان قبح
الدنيا فيها فيحصل
الزهد والزهد تحقيق
فيه التوكل لأنه لا يزهده
في الوجود إلا لاعتباده
على الوعود والسكون
إلى وعد الله تعالى هو
عين التوكل وكما بقي
على البدئية في تحقيق
القامات كلها بسد
توبته يستدركه

قال فعمل فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان قل لفلان المابد استأنست بمخلوق لأحطتك درجة لا تتألم بشيء من عملك أبدا ، فاذن علامة المحبة كمال الأنس بمناجاة المحبوب وكال التمتع بالخلاوة . وكال الاستبحاش من كل ما ينص عليه الخلاوة ويوق عن فنة للمناجاة وعلامة الأنس مصير العقل والقلم كله مستغرقا بقلعة اللناجة كالذي يخاطب ممشوقة وبناجيه وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به وقطعت رجل بعضهم بسبب علة أصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب عليه الحب والأنس سارت الخلاوة وللناجاة قرة عينه يدفع بها جميع الحُموم بل يستغرق الأنس والحب قلبه حتى لا يفهم أمور الدنيا ما لم تكرر على معمه مرارا مثل العاشق والوهان فانه يكلم الناس بلسانه وأنسه في الباطن بذكر حبيب فالحب من لا يطمئن إلا بمحبوبه . وقال قتادة في قوله تعالى - الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب - قال هشت إليه واستأنست به . وقال الصديق رضي الله تعالى عنه من ذاق من خالص محبة الله غشقه ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر . وقال مطرف بن أبي بكر الحب لا يسأم من حديث حبيبه وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قد كذب من ادعى عبقري إذا جنة الليل نام عن أليس كل عجب يحب لقاء حبيبه فيها أناذا موجود لمن طلبني . وقال موسى عليه السلام : يارب أين أنت فأقصك فقال إذا قصدت قد وصلت . وقال يحيى بن معاذ من أحب الله أبغض نفسه . وقال أيضا من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب : يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق . ومنها أن لا يتأسف على ما يؤتاه مما سوى الله عز وجل ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستسقاط والاستعتاب والتوبة . قال بعض العارفين إن لله عبادا أحبوه وأطعنوا إليه فذهب عنهم التأفف على الغافاة فلم يتشاغوا بحظ أنفسهم إذ كان ملك ملوكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل إليهم وما فاتهم فبحسن تديره لهم وحق الحب إذا رجع من غفاته في لحظة أن يقبل على محبوه ويشغل بالكتاب وسأله ويقول رب بأي ذنب قطعت برك عني وأبعدتني عن حضرتك وشغلتنى بنفسي وبمناجاة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب بكفر عنه ماسبق من الغفلة وتكون هفوته سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير الحب إلا المحبوب ولم ير شيئا إلا منه لم يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا وعلم أن المحبوب لم يقدر له إلا ما فيه خيرته ويذكر قوله - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم - ومنها أن يتم بالطاعة ولا يستغفله ويستطع عنه تمها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة . وقال الجنيد علامة الحب دوام النشاط والدعوى بشهوة غتر بدنه ولا تفر قلبه . وقال بعضهم العمل على المحبة لا يدخله القنور . وقال بعض العلماء والله ما اشتاقى عجب لله من طاعته ولو حل عظيم الوسائل فكل هذا أو أمثاله موجود في المشاهدات فان العاشق لا يستقل السعي في هوى ممشوقة ويستلذ خدمته بقلبه وإن كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان أحب الأشياء إليه أن تعاوده القدرة وأن يفارقه العجز حتى يشتغل به فكذلك يكون حب الله تعالى فان كل حب صار غالبا قهرا لاعماله ما هو دونه فن كان محبوه أحب إليه من الكسل ترك الكسل في خدمته وإن كان أحب إليه من المال ترك المال في حبه ، وقيل لبعض المحبين وقد كان بذل نفسه وماله حتى لم يبق له شيء ما كان سبب حاله هذه في المحبة فقال صمت يوما محبا وقد خلا بمحبوه وهو يقول أنا والله أحبك بقلبي كله وأنت معرض عن بوجهك كله فقال له المحبوب إن كنت تحبني فائش تتفق على قال يا سيدي أملكك ما أملك

لهذه في الدنيا وهو ثالث الأربعة . أخبرنا شيخنا قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري إجازة قال أنا أبو عمرو محمد بن العباس قال أنا أبو محمد يحيى بن ساعدة قال حدثنا الحسين بن الحسن للسروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثنا الهيثم بن جميل قال أنا محمد بن سليمان عن عبد الله بن بريدة قال أقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فبدأ بغاطة رضي الله عنها فآهأهأ أحدث في البيت سترًا وزوائد في يدهم أ فلما رأى

ثم اتفق عليك روى حتى نهلك فقلت هذا خلق لحلق وعيد لعيد فكيف بعبد لمبود فكل هذا بسببه . ومنها أن يكون مشفقاً على جميع عباد الله رحماً بهم شديداً على جميع أعداء الله على كل من يقارف شيئاً عما يكرهه كما قال الله تعالى - أشد على الكفار رحماً بينهم - ولا تأخذهم لوملائهم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله أوليائه إذ قال الذين يكفون عني كما يكلف الصبي بالشيء وبأوون إلى ذكرى كما يأوى النسر إلى وكفه ويضنون لحارمه كما يفض النمر إذا حردفانه لا يبالى قتل الناس أو كثروا فانظر إلى هذا المثال فان الصبي إذا كف بالشيء لم يفارقه أصلاً وإن أخدمته لم يكن له شغل إلا البكاء والصياح حتى يرد إليه فإن نام أخذه معه في ثيابه فإذا انتبه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه أبغضه ومن أعطاه وجهه أو أماناً لم يفارقه لأنه يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه أنه يهلك نفسه فهذه علامات الحجة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت بحجته وخلص حبه فصلاً في الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تمت في الآخرة بقدر حبه إذ يمزج شرابه بقدر من شراب للقرين كما قال تعالى في الأبرار - إن الأبرار لفي نعم - ثم قال - يسقون من رحيق عذوق ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجهم من تسنيم عينا شرب بها المقربون - فإذا طاب شراب الأبرار لشوب الشراب الصريف الذي هو المقربون والشراب عبارة عن جملة نعم الجنان كما أن الكتاب عبر به عن جميع الأعمال فقال - إن كتاب الأبرار لفي عليين - ثم قال - يشهده المقربون - فكان أمانة علو كتابهم أنه ارتفع إلى حيث يشهده المقربون وكان الأبرار يحمدون للزبد في حلهم ومعرفتهم بقرينهم من القرين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حلهم في الآخرة - ما خلص ولا يشك إلا كنفس واحدة - كما بدأنا أول خلق نعيده - وكأنا تعالى - جزاء وفاقاً - أى وافق الأجزاء أعمالهم فقبول الخالص بالصراف من الشراب وقبول الشوب بالشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه وأعماله - فمن يحمل مثقال ذرة خيراً يرهومن يحمل مثقال ذرة شراً يره - وإن الله لا يخبر ما يقوم حتى يفروا ما بأنفسهم - وإن الله لا يظلم مثقال ذرة - وإن كانت حسنة يضاعفها - وإن كانت مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين - فمن كان حبه في الدنيا رجاءاً لنعم الجنة والحدور العين والصور مكن من الجنة ليتبوأ منها حيث يشاء فليحب مع الولدان ويشتمع بالنسوان فهناك تنتهي لذته في الآخر لأنه إنما يعطى كل إنسان في الجنة ما تشبهه نفسه وتولد عينه ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يلب عليه إلا حبه بالاخلاص والصدق أنزل في مقعد صدق عند مليك مقتدر - فالأبرار يرهون في البساتين ويتممون في الجنان مع الحدور العين والولدان والمقربون ملازمون للحضرة كما يكون بطرفهم عليها يستحقرون نعم الجنان بالإضافة إلى ذرة منها يقوم بقضاء شهوة البطن والفرج - شغلون والمجاسة أقوام آخرون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثر أهل الجنة البله وعليون لقوى الألباب » (١) ولما نصرت الأفهام عن ذلك معنى عليين عظم أمره فقال - وما أدراك ما عليون - كما قال تعالى - القارة ما القارة وما أدراك ما القارة - ومنها أن يكون في حبه خاتفا متضالاً تحت الحمية والتعظيم وقد يظن أن الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل إدراك العظمة يوجب الحمية كما أن إدراك الجمال يوجب الحب والخصوص المحبين مخاوف في مقام الحمية ليست لتعظيمهم وبعض مخاوفهم أشد من بعض فأولها خوف الإعراض وأشد منه خوف الحجاب وأشد منه خوف الإبعاد وهذا المعنى في سورة هود هو الذي شيب سيد

ذلك رجع ولم يدخل
ثم جلس لجلس ينسكت
في الأرض ويقول
مالى وللدنيا مالى
وللدنيا فرأت فاطمة
أنه إنما رجع من أجل
ذلك السر وأخذت
الستر والزوائد
وأرسلت بهما مع بلال
وقالت له اذهب إلى
النبي صلى الله عليه وسلم
قل له قد تصدقت به
فضعه حيث شئت فأتني
بلال إلى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال قالت
فاطمة قد تصدقت به
فضعه حيث شئت فقال
النبي صلى الله عليه وسلم
بأبي وأمي قد ضلت
بأبي وأمي قد ضلت
أحبب قبه « وقيل
في قوله تعالى - إنما
جعلنا ما على الأرض
زينة لها لنبلوهم أهيهم

(١) حديث أكثر أهل الجنة البله وعليون لقوى الألباب البزار من حديث أنس بن مالك ضعيف مقصراً على الشطر الأول وقد تقدم والشطر الثاني من كلام أحمد بن أبي الحواري وله أخرجه في .

الحسين (١) إذ سمع قوله تعالى - ألا بعدا لنود - ألا بعدا لمدين كما بدت نمود و إنما معظم حجة البعد وخوفه في قلب من ألف القرب وذاقه وتمتع به فحدث البعد في حق البعدين شيب سماعه أهل القرب في القرب ولا يحسن إلى القرب من ألف البعد ولا يسكن لحوف البعد من يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب اللزيد فانا قد علمنا أن درجات القرب لانهاية لها وحق البعد أن يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال رسول الله ﷺ « من استوى يومه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون (٢) » وكذلك قال عليه السلام « إنه ليغان على قلبي في اليوم والليله حتى أستغفر الله سبعين مرة (٣) » وإنما كان استغفاره من القدم الأول فانه كان بعدا بالإضافة إلى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على التور في الطريق والالتفات إلى غير المحبوب كما روى أن الله تعالى يقول إن أدنى ما صنع للعالم إذا آثر شهوات الدنيا على طاعتي أن أسلبه لئيد مناجاتي فسلب اللزيد بسبب الشهوات عقوبة للموم فأما الخصوص فيحبهم عن اللزيد مجرد الدعوى والمحب والركون إلى ماظهر من مبادئ اللطف وذلك هو السكر الحقي الذي لا يقد على الاحتراز منه إلا ذو الأقدام الراسخة ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته . مع إبراهيم بن آدم قال يقول وهو في سياحته وكان على جبل :

كل شيء منك مغفور وسوى الإعراض هنا
قد وهبنا لك ما فات فهب ما فات منا

فاضطرب وغشى عليه فلم يبق يوما وليلة وطرات عليه أحوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا إبراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت ثم خوف السلو عنه فان الحب يلزمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفر عن طلب اللزيد ولا يتلى إلا باطلف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه أو سبب رجسته والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات لها أسباب خفية معاوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها فاذا أراد الله للسكر به واستدرجه أخفى عنه ماورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء ويترجم النظر أو بنقلة الغفلة أو الهوى أو المنسيان فكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود اللاتسكة من العلم والعقل والدكر والبيان وكان من أوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضيه هيجان الحب وهي أو صاف اللطف والرحمة والحكمة فن أوصافه ما يلوح فيورث السلو كأوصاف الجبرية والمزة والاستغناء وذلك من مقدمات السكر والشقاء والحرمان ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه إلى حب غيره وذلك هو اللتق والسلو عنه مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو وضحى الصدر بالروايقاضه عن دوام الهم كرو ملاه لوطظ الصف الأوراد أسباب هذه المعاني ومقدماتها وظهور هذه الأسباب دليل على النقل عن مقام الحب إلى مقام اللتق نعوذ بالله منه وملازمة الحوف لهذه الأمور وشدة الحذر منها بصفاة الرابطة دليل صدق الحب فان من أحب شيئا خاف لأحالة تقدمه فلا يخلو الحب عن خوف إذا كان المحبوب ما يمكن فواته وقد قال بعض العارفين من عبد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هلك بالسلو والإدلال ومن عبده من طريق الحوف من غير حجة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف أحبه الله تعالى فقر به ومكنه وعله فالحب لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو عن حجة ولكن الذي غلبت عليه المحبة

(١) حديث شيعتي هود أخرجه الترمذي وقد تقدم غير مرة (٢) حديث من استوى يومه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون لا أعلم هذا إلا في منام لعبد العزيز بن أبي رواد قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقالت يارسول الله أوصني فقال ذلك بزيادة في آخره رواه البيهقي في الزهد (٣) حديث إنه ليغان على قلبي متفق عليه من حديث الأعر وقد تقدم .

أحسن عملا - قيل الزهد في الدنيا . سئل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه عن الزهد فقال هو أن لا يتألى بمن أكل الدنيا مؤمن أو كافر . وسئل الشبل عن الزهد قال دلو بسلك أى مقدر لجناح بموضة أن يزهديها . وقال أبو بكر الواسطي إلى مقى تصول بترك كنييف وإلى مقى تصول بإعراضك عما لا تزن عند الله جناح بموضة فاذا صبح زهد البعد صبح توكله أيضا لأن صدق توكله مكنه من زهده في الوجود فمن استقام في التوبة وزهد في الدنيا وحقق

حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف إلا يسير يقال هو في مقام المحبة ويمد من المحبة وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت للفرقة لم تثبت لذلك طاقة البشر فأتى الخوف يبدله ويخفف وقته على القلب فقد روي في بعض الأخبار أن بعض الصديقين سأله بعض الأبدال أن يسأل الله تعالى أن يرزقه ذرة من معرفته فقبل ذلك فهم في الجبال وحار عقله ووله قلبه وبقي شاخصا سبعة أيام لا ينفع شيء ولا ينفع به شيء فسال له الصديق ربه تعالى فقال يارب انتقم من الذرة بضعا فأوحى الله تعالى إليه إنما أعطيتاه جزءا من مائة ألف جزء من للفرقة وذلك أن مائة ألف عبد سألوني شيئا من المحبة في الوقت الذي سألتني هذا فأخبرت إجابتهم إلى أن شعفت أنت لهذا فلما أجبته فيا سألت أعطيتهم كما أعطيتهم ذرة من للفرقة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك فقال سبحانه يا حكيم الحاكمين انتقم مما أعطيت فأذهب الله عنه جملة الجزء وبقي معه عشر معشاره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وجهه ورجاؤه وسكن وصار كسائر المارفين ، وقد قيل في وصف حال المارف :

قريب الوجد ذو مرمى بعيد عن الأحرار منهم والبيد
غريب الوصف ذو علم غريب كان فؤاده زبر الحديد
قد عزت معانيه وجلت عن الأبصار إلا للشهيد
يرى الأعياد في الأوقات تجري له في كل يوم ألف عبيد
وللأنجاب أفرح بييد ولا يجد السرور له بييد

وقد كان الجنيد رحمه الله ينشد أياتا يشير بها إلى أسرار أحوال المارفين وإن كان ذلك لا يجوز إظهاره وهي هذه الأيات :

سرت بأناش في التيوب قلوبهم خلوا بقرب الحاجد للفضل
عراسا قرب الله في ظل قدسه تحسول بها أرواحهم وتقبل
موارد في الزوال والتهى ومصدرهم عنها لما هو آكل
روح جز مفرد من صفاته وفي حلل التوحيد يخفى وترقل
ومن يد هذا ماتدق صفاته وما كتمه أولى لديه وأعدل
سأكنم من على به ما يصونه وأبدل منه ما يرى الحق يبدل
وأعطى عباد الله منه حقوقهم وأنعم منه ما يرى للنعم يفضل
على أن لرحمن سرا يصونه إلى أهله في السر والعلن أجل

وأمثال هذه المارف التي إليها الإشارة لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا يجوز أن يظهرها من انكشف له شيء من ذلك لمن لم ينكشف له بل لو اشترك الناس فيها لحربت الدنيا بالحكمة تقتضي تحول الفعلة لعمارة الدنيا بل لو أكل الناس كلهم الحلال أربعين يوما حربت الدنيا هدم فيها وطلت الأسواق والمعايش بل لو أكل العلماء الحلال لاشتغلوا بأنفسهم ولو قفت الألسنة والأقدام عن كثير مما انتشر من العامر ولكن الله تعالى فيها هو شر في الظاهر أسرار وحكم كما أن له في الخبر أسراراً وحكماً ولا تنتهي لحكته كما لا غاية لقدرة . ومنها كتابان الحب واجتناب الدعوى والتوق من إظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب وإجلالا له وهية منه وغيره على سره فإن الحب سر من أسرار الحبيب ولأنه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الاقتراء وتعظم العقوبة عليه في المقبي وتسهل عليه البلوى في الدنيا ، ثم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله

هذين اللامبين استوفى
سائر اللقائات وتكون
فيها وتحقق بها ترتيب
التوبة مع المراقبة
وارتباط إحداها
بالأخرى أن يتوب
العبد ثم يستقيم في
التوبة حتى لا يكتب
عليه صاحب التمهال
شيئا ثم يرتضى من
تطهير الجوارح عن
للماضي إلى تطهير
الجوارح مما لا يبنى
فلا يسمح بكلمة فضول
ولا حركة فضول ثم
ينتقل للرعاية والمحاسبة
من الظاهر إلى
الباطن وتستولى
المراقبة على الباطن
وهو التحقق بسل
القيام بمحو خواطر
للصية عن باطنه

فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك من غير تحمل أو اكتساب فهو معذور لأنه مقهور وربما تشتمل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه فالتقدير على الكتابين يقول: وقالوا قريب قات ماأنا صانع بقرب شعاع الشمس لو كان في حجرى ثمالى منه غير ذكر غاطر يخرج نار الحب والشوق في صدرى والماجز عنه يقول :

يخفى فيسدى النعم أسرارها ويظهر الوجد عليه النفس

ويقول أيضا :

ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنه كيف بكم وقد قال بعض العارفين أكثر الناس من الله بدا أكثرهم إشارة به كأنه أراد من بكز التعريض به في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند كل أحد فهو محفوت عند المحبين والسماء بالله عز وجل ودخل ذو النون للصري على بعض إخوانه ممن كان يذكر الحبة قرأه مبتلى بيلاء فقال لا يجبه من وجد ألم ضره فقال الرجل لكنى أقول لا يجبه من لم يتم بضربه فقال ذو النون ولكنى أقول لا يجبه من شمر نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله وأتوب إليه فان قلت الحبة منتهى اللقمان وإظهارها إظهار للغير فلماذا يستنكر . فاعلم أن الحبة محمودة وظهورها محمود أيضا وإنما اللعوم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاعتكبار وحق الحب أن يتم حبه على الحفى أفضاله وأحواله دون أفعاله وأفعاله وينبى أن يظهر حبه من غير قصدته إلى إظهار الحب ولا إلى إظهار الفعل الدال على الحب بل ينبى أن يكون قصد الحب اطلاع الحبيب فقط فأما إرادته اطلاع غيره . فترك في الحب وقادح فيه كما ورد في الإنجيل إذا صدقت قصصك بحيث لاتعلم شمالك ما صنعت يمينك فالتى يرى الحفيات يحزن بك عناية وإذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك ثلاثين بذلك غير ربك فإظهار القول والفعل كله مذموم إلا إذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الأعضاء فلا يلزم فيه صاحبه . حتى أن رجلا رأى من بعض المجانين ما استجبه فيه فأخبر بذلك معروفا الكرخي رحمه الله فنبس ثم قال يا أخى له محبوب صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهنا الذى رأته من مجانينهم ومجايرك التظاهر بالحب بسبب أن الحب إن كان عارفا وعرف أحوال لللائكة في جهنم الدائم وشوقهم اللازم الذى يسيبسون الليل وانتشار لا يفترقون ولا يصرون الله ما همرم ويفعلون ما يؤمرون لاستسكف من نفسه ومن إظهار حبه وعلم قطعا أنه من أخس المحبين في مملكته وأن حبه أنقص من حب كل محب لله قال بعض السكاشرين من المحبين عبت الله تعالى ثلاثين سنة بأعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت أن لى عند الله شيئا فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات في قصة طويلة قال في آخرها بلغت صفا من اللائكة بمد جميع ما خلق الله من شيء قتلت من أتم فقالوا نحن المحبون لله عز وجل نبيده ههنا منذ ثمانية آلاف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواء ولا ذكرنا غيره قال فاستجيت من أعمالى فوهبتها لمن حق عليه العويد تخفيا عنه في جهنم فاذن من عرف نفسه وعرف ربه واستجابه حتى أحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى ، ثم شهد على حبه حركاته وسكناته وإقدامه وإحجامه وتردداته كاحكى عن الجنيد أنه قال مرض أستاذنا السرى رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها ميعا فوصف لنا طبيب حاذق فأخذنا قارورة مائه فنظر إليها الطبيب وجعل ينظر إليه مليا ثم قال لى أراه بول عاطق قال الجنيد ضمعت وغشى على وقت القارورة من يدي ثم رجعت إلى السرى فأخبرته فنبس ثم قال قاله الله ما أبصره قلت يا أستاذ وتبين الحبة في البول قال نعم وقد قال السرى مرة

ثم خواطر الفضول
فاذا تمكن من
رعاية الحظرات عصم
عن غفلة الأركان
والجوارح وتستقيم
توبته قال الله تعالى
لديه صلى الله عليه
وسلم - فاستقم كما
أمرت ومن تاب
معك - أمره الله
تعالى بالاستقامة في
التوبة أمره ولا تبعه
وأمنته وقيل لا يكون
للريد مریدا حتى
لا يكتب عليه صاحب
الشمال شيئا عشرين
سنة ولا يلزم من
هذا وجود الصمة
ولكن الصادق التائب
في النادر إذا ابتلى
بذنب ينمحي أثر الذنب
من باطنه في

لو شئت أقول ما ليس جلدى على عظمى ولا سل جسمى إلا حبه ثم غشى عليه وتدل الغشية على أنه
أوضح في غلبة الوجد ومقدمات الغشية فهذه علامات الحب وثمراته . ومنها الأنس والرضا كما
سيأتى . وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الأخلاق ثمرة الحب وما لا يشعره الحب فهو اتباع الهوى وهو
من رذائل الأخلاق ، نعم قد يجب الله لإحسانه إليه وقد يحبه لجلاله وجماله وإن لم يحسن إليه والمحبون
لا يخرجون عن هذين القسمين ولذلك قال الجليلي الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعالم تألوا
ذلك بمعرفتهم في دوام إحسانهم وكثرة نعمه فلم يتمالكوا أن أرضوه إلا أنهم تفلح عبتهم وتكثر
على قدر النعم والاحسان فأما الخاصة فتألوا المحبة بظلم القدر والقدرة والسلم والحكمة والتفرد
بالملك ولما عرفوا صفاته الكاملة وأسماء الحسن لم يتمتعوا أن أحيوه إذ امتنع عنهم المحبة بذلك
لأنه أهل لها ولو أزال عنهم جميع النعم نعم من الناس من يحب هواه وعدو الله إبليس وهو مع ذلك
يلبس على نفسه بحكم القصور والجهل فيظن أنه يحب الله عز وجل وهو الذي قدت فيه هذه
العلامات أو يلبس بها خافا ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف
ذلك ككلاء السوء وقراء السوء أولئك يفضأ الله في أرضه وكان سهل إذا تكلم مع إنسان قال
يادوست أى يا حبيب قليل قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا فقال في أذن القائل سرا: لا يخلو
إما أن يكون مؤمنا أو منافقا فإن كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل وإن كان منافقا فهو حبيب
إبليس وقد قال أبو تراب النخشي في علامات المحبة آياتا :

لا تخدعن فالجيب دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل
■ منها تتمه بحر بلائه وسروره في كل ما هو فاعسل
فالتنع منه عطية مقبولة والتقر إحكام وير عاجل
ومن الدلائل أن ترى من عزمه طوع الحبيب وإن ألح السائل
ومن الدلائل أن يرى متبعا والقلب فيه من الحبيب بلايل
ومن الدلائل أن يرى متنهما لكلام من يعطى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى متشفعا متحفزا من كل ما هو فاعسل

وقال يحيى بن معاذ :

ومن الدلائل أن تراه مشغرا في خرفتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه جوف الظلام فناءه من عاذل
ومن الدلائل أن تراه مسافرا نحو الجهاد وكل فصل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما يرى من دار ذل والنعم القائل
ومن الدلائل أن تراه باسكيا أن قد رآه على قبيح ضائل
ومن الدلائل أن تراه مسلما كل الأمور إلى للبيك العادل
ومن الدلائل أن تراه راضيا بملكه في كل حكم فازل
ومن الدلائل ضحكه بين الوري والقلب محزون كقلب التا كل

(بيان معنى الأنس بالله تعالى)

قد ذكرنا أن الأنس والخوف والشوق من آثار المحبة إلا أن هذه آثار مختلفة تختلف على الحب بحسب
نظره وما يغلب عليه في وقته فإذا غلب عليه الطالع من وراء حجب التيب إلى منتهى الجمال واستشعر
صوره عن الاطلاع على كنهه الجلال انبث القلب إلى الطلب وانزعج له وهاج إليه وتسمى هذه الحالة

الغلب ساعة لوجود
النعم في باطنه
على ذلك والنعم توبة
فلا يستكتب عليه
صاحب الشوق شيئا
فاذا تاب توبة نصوحا
ثم زهد في الدنيا
حتى لا يهتم في غذائه
لشائه ولا في عشائه
لذائه ولا يرى الاذخار
ولا يكون له تعلق
ثم يشد قد جمع
في هذا الزهد
والفقر والإهد أفضل
من الفقر وهو فقر
وزيادة لأن الفقر
عادم للشيء اضطرابا
والزاهد تارك للشيء
اختيارا وزهده
بحق توكله وتوكله
بحق رضاه ورضاه
بحق الصبر وصبره

في الاتجاع شوقا وهو بالإضافة إلى أمر غائب وإذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره متصورا على مطالعة الجلال الحاضر للكشف غير ملتفت إلى ما لم يدركه بعد استبصاره القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره أنسا وإن كان نظره إلى صفات العز والامتلاء وعدم البالاة وخطر إمكان الزوال والبعد تألم القلب بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفا وهذه الأحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لأسباب تختصها لا يمكن حصرها فالأنس منناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجلال حتى إنه إذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق إليه من خطر الزوال عظم نسيمة ولذته ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له أنت مشتاق فقال لا إنما الشوق إلى غائب فإذا كان الغائب حاضرا فإني من يشاق وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت إلى ما بقي في الامكان من مزايا الألفاظ ومن غلب عليه حال الأنس لم تكن شهيته إلا في الانفراد والخلوة كما حكى أن إبراهيم بن آدم نزل من الجبل فقيل له من أين أقبلت؟ فقال من الأنس بالله وذلك لأن الأنس بالله يلزمه التوحش من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من اتقى الأشياء على القلب كما روى أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرًا لا يسمع كلام أحد من الناس إلا أخته النشيان لأن الحب يوجب عنوبة كلام المحبوب وعنوبة ذكره فيخرج من القلب عنوبة ما سواه . ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه يا من أنسى بذكره وأوحشني من خلقه . وقال الله عز وجل لداود عليه السلام كن لي مشتاقا وبني مستأنا من سواي مستوحشا وقيل رابعهم نلت هذه للزلة قالت بركي مالا ينبغي وأنسى بمن لم يزل . وقال عبد الواحد بن زيد مرت براهب فقلت له ياراهب لقد أصبحتك الوحدة فقال يا هذا لوددت خلوة الوحدة لاستوحشت إليهم أن تسلك الوحدة رأس العبادة فقلت ياراهب ما أئمل بتجدي في الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم فقلت ياراهب متى يدنو العبد خلوة الأنس بالله تعالى قال إذا صفا الود وخلصت للعامة قلت ومتى يصفو الود قال إذا اجتمع لهم ضارها واحدا في الطاعة . وقال بعض الحكماء عجبا للخلائق كيف أرادوا بكل بدلا عجبا للقلوب كيف استأنست بسواك عنك . فان قلت لما علامة الأنس فاعلم أن علامته الخاصة ضيق الصدر من معايشة الخلق والتبرم بهم واستتارته بذنوبه الذكرك فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور ومخالط بالبدن منفرد بالقلب مستغرق بذنوبه الذكرك كما قال علي كرم الله وجهه في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشرنا روح اليقين واستأنوا ما استوعب الترفون وأنسوا بما استوحش منه المجاهلون حببوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالهلل الأملئ أولئك خلفاء الله في أرضه والدةاة إلى دينه فهذا معنى الأنس بالله وهذه علامته وهذه شواهد وقد ذهب بعض المتكلمين إلى إنكار الأنس والشوق والحب لظنه أن ذلك يدل على التشبيه وجهه بأن جمال الدركات بالصفات أكل من جمال للبصريات ولتة معرفتها أغلب على ذوى القلوب ومنهم أحمد بن غالب يعرف بسلام الحليل أنكر على الجنيد وعلى أبي الحسن النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى أنكر بعضهم مقام الرضا . وقال ليس إلا الصبر فأما الرضا فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين إلا على القشور فظن أنه لا وجود إلا للقشر فان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال من طريق الدين قشر مجرد ووراءه لب للطلوب فمن لم يصل من الجوز إلا إلى قشره يظن أن الجوز خشب كله ويستحيل عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مبنول وقد قيل :

يحقق حبس النفس
وصدق المجاهدة
وحبس النفس لله
يحقق خوفه وخوفه
يمحق رجاءه ويجمع
بالثوبة والزهد كل
المقامات والزهد
والتوبة إذا اجتمع
محة الإيمان وعقوده
وشروطه يوزن هذه
الثلاثة رابع بعمادها
وهو دوام العمل لأن
الأحوال السنية
يتكشف بعضها بهذه
الثلاثة وتيسر بعضها
متوقف على وجود
لرابع وهو دوام
العمل وكثير من
الفرهاد للتحققين بالزهد
للتقبيين في التوبة
تخلوا عن كثير من
سفي الأحوال لتخلفهم

الأنس بالله لا يحويه بطلال وليس يدركه بالحول عتال
والأنسون رجال كلهم نجب وكلهم صنفوة لله عمال
(بيان معنى الانبساط والادلال الذى تشره غلبة الأنس)

اعلم أن الأنس إذا دام وغلب واستحكّم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينقصه خوف الفقر والحجاب فانه شمر
نوعا من الانبساط فى الأقوال والأفعال وللانجاة مع الله تعالى وقد يكون منسكرا الصورة لما فيه
من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل عن أقيم فى مقام الأنس ومن لم يقم فى ذلك القام ويتشبههم
فى الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الأسود الذى أمر الله تعالى بكلمه موسى
عليه السلام أن يسأله ليستسقى لبنى إسرائيل بعد أن قحطوا سبع سنين وخرج موسى عليه السلام
ليستسقى لهم فى سبعين ألفا فأوحى الله عز وجل إليه كيف أستجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم
سرا ثم خبيثة يدعوهم على غير يقين ويأمنون مكرى أرجع إلى عبد من عبادى يقال له برخ فقل له
يخرج حتى أستجيب له فسأله عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينما موسى ذات يوم يمشى فى طريق
إذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود فى شملة قد عقدها على عنقه ففرقه موسى
عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له ما سمعك فقال اسمى برخ قال فأنت طلبت منى
أخرج فاستسقى لنا فخرج فقال فى كلامه ما هذا من فمالك ولا هذا من حلك وما الذى بدالك أقصت
عليك عيونك أم عاندت الرباع عن طاعتك أم قد ما عندك أم اشتد غضبك على الذين ألت كنت
غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وأمرت بالطف بأم تمرنا أنك مجتمع أم تخفى القوت فتجمل
بالمقوبة قال فارجع حتى اخضلت بنو إسرائيل بالقطر وأبنت الله تعالى العشب فى نصف يوم حتى بلغ
الركب قال فارجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال كيف رأيت حين خاضعت ربي كيف أنصفى
فهم موسى عليه السلام به فأوحى الله تعالى إليه أن برخا يشككنى كل يوم ثلاث مرات وعن الحسن
قال احترقت أشخاص بالبصرة فبقى فى وسطها خص لم يحترق وأبو موسى يومئذ أمير البصرة فأخبر
بذلك فبعث إلى صاحب الحص قال فأنى يشيع فقال يا شيخ ما بال خصك لم يحترق قال إني أقسمت على
ربي عز وجل أن لا يحرقه فقال أبو موسى رضى الله عنه إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
« يكون فى أمى قوم شعثا رهوسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لأبرهمن ^(١) » قال ووقع حريق بالبصرة
فجاء أبو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له أمير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال إني أقسمت على
ربي عز وجل أن لا يحرقنى بالنار قال فاعزم على النار أن تطلقا قال فزعم عليها فطلعت وكان أبو حص
يمشى ذات يوم فاستقبله رستاق مدهوش فقال له أبو حص ما أصابك فقال ضل حمارى ولا أملك غيره
قال فوقف أبو حص وقال وعزتك لا أخطو خطوة ما لم ترد على حمارى قال فظهر خناره فى الوقت ومر
أبو حص رحمه الله . فهذا وأمثاله يجرى لدى الأنس وليس لتغيرهم أن يتشبههم . قال الجيدير رحمه الله
أهل الأنس يقولون فى كلامهم ومناجاتهم فى خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة . وقال مرة لمسمعها
العموم لكفرهم وهم يمدون للزبد فى أحوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليقيهم وإليه أشار القائل:
قوم تخالجهم زهو . يسدّم . والبعد زهو على مقدار مولاة
تاهوا برؤيته عما سواه له . يا حسن رؤيتهم على عز ما تاهوا

ولا تستبعدون رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره معها اختلف . فقامها فى القرآن تنبيهات على

(١) حديث الحسن عن أبي موسى يكون فى أمى قوم شعثا رهوسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله
لأبرهمن ، ابن أبي الدنيا فى كتاب الأولياء وفيه انقطاع وجهالة .

عن هذا الرابع ولا
يراد الزهد فى الدنيا
إلا لكمال الفراغ
للسمتان به على . إدانة
العمل لله تعالى والعمل
فه أن يكون العبد
لا يزال ذا كرا أوتاليا
أو مصليا أومراقبا
لا يشغله عن هذه إلا
واجب شرعى أو مهم
لا بد منه طبعى فاذا
استولى العمل القلبي
على القلب مع وجود
الشغل الذى أداه إليه
حكم الشرع لا يفتتر
باطنه عن العمل
فاذا كان مع الزهد
والتقوى متمسكا
بدوام العمل فقد
أكل الفضل وما إلى
جهنم فى البودية

هذه المعاني لوفظت وفهمت فجميع قصص القرآن تنبيهات لأولى البصائر والأبصار حتى ينظروا إليها
بين الاعتبار فأنما هي عند ذوى الاعتبار من الأسماء . فأول القصص قصة آدم عليه السلام
وإبليس أماتراهما كيف اشتركا في اسم العصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتناب والصمة . أما إبليس
فأبلس عن رحمة . وقيل إنه من البعدين . وأما آدم عليه السلام فقتل فيه - وعصى آدم ربه
فتوى ثم اجتبه ربه قتال عليه وهدى - وقد عاتب الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراض
عن عبد والاقبال على عبد وهما في السودية سيان ولكن في الحال مختلفان ، فقال - وأما من
جارك يسمى وهو يخشى فأنت عنه تلهى - وقال في الآخر - أما من استغنى فأنت له تصدى -
وكذلك أمره بالعمود مع طاعة ، فقال عز وجل - وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قتل سلام
عليكم - وأمره بالإعراض عن غيرهم ، فقال - وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض
عنهم - حتى قال - فلا تضرب بيد الذكرى مع القوم الظالمين - وقال تعالى - واسبر نفسك مع
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي - فكذلك الانبساط والإدلال يحتمل من بعض العباد دون
بعض ، فمن انبساط الأنس قول موسى عليه السلام - إن هي إلا فتنتك ففضل بها من تشاء
وتهدى من تشاء - وقوله في التليل والاعتذار لما قيل له - اذهب إلى فرعون - فقال - ولهم
على ذنب - وقوله - إنى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى - وقوله - إننا
نخاف أن يفرط علينا أو أن يطفى - وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الأدب لأن الذى
أقيم مقام الأنس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس عليه السلام مادون هذا لما أقيم مقام القبض
والهية فسبق بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلاث ونودى عليه إلى يوم القيامة - لولا أن
تداركه نعمة من ربه لئذ بالراء وهو منموم - قال الحسن الراء هو القيامة ، ونهى نبينا
صلى الله عليه وسلم أن يقتدى به . وقيل له - فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ
نادى وهو مكظوم - وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الأحوال والمقامات وبعضها لما سبق في
الأزل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد ، وقد قال تعالى - ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض - وقد قال - منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات - فكان عيسى عليه السلام من
الفضلين ولإدلاله سلم على قمه ، فقال - والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا -
وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الأنس . وأمّا يحيى بن زكريا عليه السلام فإنه أقيم
مقام الهية والحياة فلم ينطق حتى أثنى عليه خالقه ، فقال - وسلام عليه - وانظر كيف احتمل
لإخوة يوسف ماضوه يوسف . وقد قال بعض العلماء : قد عدت من أول قوله تعالى - إذ قالوا
ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا - إلى رأس الشربين من أخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا
وأربعين خطبة بعضها أكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلاث والأربع ففقر
لهم وغفا عنهم ولم يحتمل العزير في مسألة واحدة سأل عنها في القدر حتى قيل عصى من ديوان النبوة
وكذلك كان بلعام بن باعوراء من أكبر العلماء فأكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك . وكان
آصف من السرفين وكانت مصيئته في الجوارح فضا عنه قد روى أن الله تعالى أوحى إلى سليمان
عليه السلام بإرأس العابدین وبإبن حجة الزاهدين إلى كم يصين ابن خالته آصف وأنا أحلم عليه
مرة بعد مرة فوعزنى وجلالى لأن أخذته عصفا من عصافى عليه لأتركه مثله لمن معه ونكالا
لن بعده . فلما دخل آصف على سليمان عليه السلام أخبره بما أوحى الله تعالى إليه فخرج حتى علا

قال أبو بكر الوراق :
من خرج من قالب
العبودية صنع به ما
يصنع بالآبق . وسئل
سهل بن عبد الله
التستري : أى منزلة إذا
قام العبد به مقام
العبودية قال إذا ترك
التدبير والاختيار فإذا
تحقق العبد بالتوبة
والزهد ودوام العمل
له يشغله وقته الحاضر
عن وقته الآتى ويصل
إلى مقام ترك التدبير
والاختيار ثم يصل إلى
أن يملك الاختيار ،
فيكون اختياره من
اختيار الله تعالى لروال
هواه ووفور علمه
واقطاع مادة الجهل
عن باطنه . قال يحيى
ابن معاذ : الرازى مادام

كثيما من رمل ثم رفع رأسه ويديه نحو السماء وقال إلهي وسيدى أنت أنت وأنا أنا فكيف أتوب إن لم تنب علي وكيف أستعصم إن لم تصنع لي أعودن فأوحى الله تعالى إليه صدقت يا أصفى أنت وأنا أنا استقبل التوبة وقد ثبت عليك وأنا التواب الرحيم ، وهذا كلام مدلل به عليه وهارب منه إليه ونافذ به إليه ، وفي الخبر « إن الله تعالى أوحى إلى عبد تدارك بعد أن كان أغنى على الملكة كم من ذنب واجهته في غفرت له قد أهلكت في دونه أمة من الأمم » فبذنه سنة الله تعالى في عباده بالفضل والتقديم والتأخير على ما يعقبه به للشيعة الأئمة وهذه القصص وردت في القرآن تصرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل فما في القرآن شيء إلا وهو هدى ونور وعرف من الله تعالى إلى خلقه فتارة يتعرف إليهم بالتقديس فيقول - قل هو الله أحد الله البصم له ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد - وتارة يتعرف إليهم بصفات جلاله فيقول - الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر - وتارة يتعرف إليهم في أفعاله الخوف والرجوة فيتلو عليهم سبته في أعدائه وفي أنبيائه فيقول - ألم تركب قبل ربك كرام ذات العباد - ألم تركب قبل ربك بأصحاب القبيل ولا يبدو القرآن هذه الأقسام الثلاثة وهي الارشاد إلى معرفة ذات الله وتقديسه أو معرفة صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله وسبته مع عباده ، ولما اشتملت سورة الاخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث القرآن فقال « من قرأ سورة الاخلاص قد قرأ ثلث القرآن » (١) لأن منتهى التقديس أن يكون واحدا في ثلاثة أمور : لا يكون حاصل منه من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله لم يولد ولم يكن له كفوا أحد - ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين - والله تعالى لا يسمودرضي الله عنه نوروا القرآن واتحوا خرائبه فقيه علم الأولين والآخرين وهو كما قال ولا يرفعه إلا من طالع في آحاد كتابه فكره وصفه له فقيه حتى تشهد له كل كلمة منه بأنه كلام جبار قاهر ملك قادر وأنه خارج عن حد استطاعة البشر وأكثر أسرار القرآن معبأة في طي القصص والأخبار فكمن حرس على استنباطها لينكشف لك فيه من العجائب ما تستعجز معه العلوم الزخرفة الخارجة عنه فهذا ما أردنا ذكره من معنى الأنس والانسياط الذي هو عمرته وبيان تفاوت عباد الله فيه والله سبحانه وتعالى أعلم .

(القول في معنى الرضا بقضاء الله وحقه وما ورد في فضيلته)

اعلم أن الرضا عمرة من ثمار المحبة وهو من أعلى مقامات القربين وحقيقته غلظة على الأكثرين وما يدخل عليه من التشابه والايام غير منكشف إلا لمن علمه الله تعالى التأويل وفهمه وقبه في الدين فقد أنكسر منكرون تصور الرضا بما يخالف الحق ثم قالوا إن أمكن الرضا بكل شيء لأنه فعل الله فينبغي أن يرضى بالكفر والمعاصي واخضع بذلك قوم فرأوا الرضا بالنجور والفسوق وترك الاعتراض والانكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى ، ولو انكشف هذه الأسرار لمن اتصع على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال « اللهم قبه في الدين وعلمه التأويل » (٢)

(١) حديث من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن أحمد من حديث أبي بن كعب باسناد صحيح ورواه البخاري من حديث أبي سعيد ومسلم من حديث أبي البرداء نحوه (٢) حديث دعاه لابن عباس اللهم قبه في الدين وعلمه التأويل متفق عليه دون قوله وعلمه التأويل ورواه أحمد بهذه الزيادة وتقدم في العلم .

العبد يتعرف يقال له لا تختر ولا تكن مع اختيارك حتى تعرف فاذا عرف وصار عارفا يقال له إن غلبت اختر وإن غلبت لا تختر لأنك إن اخترت فباختيارنا اخترت وإن عركت الاختيار فباختيارنا تركت الاختيار فانك بنا في الاختيار وفي ترك الاختيار والتباعد لا يتحقق بهذا المقام العالي والحال العزيز الذي هو النائية والنهاية وهو أن يملك الاختيار بعد ترك التدبير والخروج من الاختيار إلا بإحكامه هذه الأربعة التي ذكرناها لأن ترك التدبير فناء وتعليك التدبير

فانبدأ ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات أحوال الراضين ثم تذكر حقيقة الرضا وكيف تصور وفيها يخالف
الموى ثم تذكر ما يظن أنه من تمام الرضا وليس منه كترك السماء والسكوت على العاصي .

(بيان فضيلة الرضا)

أما من الآيات قوله تعالى - رضى الله عنهم ورضوا عنه - وقد قال تعالى - هل جزاء الإحسان
إلا الإحسان - ومنه الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى وقال تعالى
- ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر - فقد رضى الله الرضا فوق جنات عدن
كما رضى ذكره فوق الصلاة حيث قال - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر - فكما
أن مشاهدة للذكور في الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب
سكان الجنان ، وفي الحديث « إن الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاه » (١) فسلوهم
الرضا بعد النظر نهاية التفضيل . وأما رضا العبد فستذكر حقيقته وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو
بمعنى آخر يقرب عما ذكرناه في حب الله للعبد ولا يجوز أن يكشف عن حقيقته إذ تنصرف أفهام الخلق
عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بأدراكه من نفسه . وعلى الجلة فلا رتبة فوق النظر إليه فاعلموا
الرضا لأنه سبب دوام النظر فكأنهم رأوه غاية النيات وأقصى الأمنيات لما ظفروا بنعيم النظر فلما مروا
بالسؤال لم يسألوا إلا دوامه وعلوا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى - ولله يناسب
قال بعض القسرين فيه يأتي أهل الجنة في وقت الزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين : إحداها هدية
من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثله فذلك قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة
أعين - والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية فضلا وهو قوله تعالى - سلام قولنا من
رب رحيم - والثالثة يقول الله تعالى : إني عنكم راض . فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك
قوله تعالى - ورضوان من الله أكبر - أي من النعم الذي هم فيه فهذا فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا
العبد . وأما من الأخبار فقد روى « أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه ما أتم فقالوا
مؤمنون فقال معاوية لعائشة قالوا نعم قالوا نعم قالوا نعم قالوا نعم قالوا نعم قالوا نعم قالوا نعم
مؤمنون ورب السمكة » (٢) وفي خبر آخر أنه قال « حكاء علماء كادوا من قههم أن يكونوا أنبياء » (٣)
وفي الخبر « طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كفايا ورضى به » (٤) وقال عليه السلام « من رضى من الله
تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل » (٥) وقال أيضا « إذا أحب الله تعالى
عبدا ابتلاه فان صبر اجتبه فان رضى اصطفاه » وقال أيضا « إذا كان يوم القيامة أبنت الله تعالى لطائفة
من أمم أجنحة فيطرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاءوا فتقول لهم
(١) حديث إن الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاه والبراء والطيراني في الأوسط من حديث
أنس في حديث طويل بسند فيه لين وفيه فيجلى لهم يقول أنا الذي صدقتم وعدى وأتممت عليكم
فيقولون رضاه الحديث ورجاله رجال الصحيح (٢) حديث سأل طائفة من أصحابه ما أتم فقالوا
مؤمنون فقال معاوية لعائشة قالوا نعم قالوا نعم قالوا نعم قالوا نعم قالوا نعم قالوا نعم قالوا نعم
من قههم أن يكونوا أنبياء تقدم أيضا (٤) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كفايا ورضى
به الترمذي من حديث فضالة بن عبيد بلطف وقع وقال صحيح وقد تقدم (٥) حديث من رضى من
الله بالقليل من الرزق رضى من الله بالقليل من العمل رويته في أمالي الهاملي بإسناد ضعيف من حديث
طى بن أبي طالب ومن طريق الهاملي رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس .

والاختيار من الله
تعالى لعبده ورده إلى
الاختيار تصرف الحق
وهو مقام البقاء وهو
الانسلاخ عن وجود
كان بالبدن إلى وجود
يصير بالحق وهذا
العبد ما بقي عليه من
الأعوجاج ذرعة استقام
ظاهرة وباطنه في
العبودية وعمر السلم
والعمل ظاهره وباطنه
وتوطن حضرة القرب
بنفس يلى يدي الله
عز وجل متمسكة
بالاستكانة والافتقار
متحققة بقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« لا تنكفى إلى نفسى
طرفة عين فأهلك ولا
إلى أحد من خلقك
فأصبح كلاكى كلاءة

للالسكة هل رأيتم الحساب فيقولون مارأينا حسابا فتقول لهم هل جزئتم الصراط فيقولون مارأينا صراطا فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون مارأينا شيئا فتقول للانسكة من أمة من أمتهم فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتقول ناشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتنا كما كنا فينا فإفنا هذه للزلة بفضل رحمة الله فيقولون وماما ؟ فيقولون : كنا إذا خلونا نستحي أن نصيبه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول للانسكة بحق لكم هذا (١) وقال صلى الله عليه وسلم « يا معشر القراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب قتركم وإلا فلا » .

وفي أخبار موسى عليه السلام إن بني إسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا إذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام : إلهي قد سمعت ما قالوا فقال ياموسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم ، ويشهد لهذا ما روى عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب أن يعلم ماله عند الله عز وجل فلينظر ماله عز وجل عنده فإن الله تبارك وتعالى ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه » (٢) وفي أخبار داود عليه السلام المأولياني والهم بالدنيا إن الهم يذهب حلالة مناجاتي من قلوبهم . يادادو إن عبيق من أوليائي أن يكونوا روحانيين لا يشتمون . وروى أن موسى عليه السلام قال يارب دلي على أمر فيه رضاك حتى أعمله فأوحى الله تعالى إليه : إن رضاى فى كرهك وأنت لاتصبر على ماتكره . قال يارب دلي عليه ، قال فإن رضاى فى رضاك بقضائى . وفى مناجاة موسى عليه السلام أى رب أى خلقك أحب إليك ؟ قال من إذا أخذت منه المحبوب سألنى قال فأى خلقك أنت عليه ساخط . قال من يستخيرنى فى الأمر فاذا قضيت له سخط قضائى . وقد روى ما هو أشد من ذلك وهو أن الله تعالى قال « أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى ولم يرض بقضائى فليتخذ ربا سواى » (٣) ومثله فى الشدة قوله تعالى فبا أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال « قال الله تعالى قد قدرت للقاير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع ، فمن رضى فله الرضا منى حتى يلقائى ومن سخط فله السخط منى حتى يلقائى » (٤) وفى الخبر للشهيد « يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقت له الخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن خلقت له الشر وأجريت الشر على يديه وويل لمن قال لم وكيف » (٥) وفى الأخبار السالفة أن نبيا من الأنبياء شك إلى الله عز وجل الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما أجيب إلى ما أراد ثم أوحى الله تعالى إليه كم تشكوا هكذا كان بدوك عندى فى أم الكتاب قبل أن أخلق السموات والأرض

(١) حديث إذا كان يوم القيامة أنبت الله لطافة من أمقى أجنة فيطربون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها رواه ابن حبان فى الضعفاء وأبو عبد الرحمن السلى من حديث أنس مع اختلاف ، وفيه حميد بن على القيسى ساقط هالك والحديث منكر مخالف للقرآن ، وللأحاديث الصحيحة فى الورد وغيره (٢) حديث أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب قتركم وإلا فلا تقدم (٣) حديث من أحب أن يعلم ماله عند الله فلينظر ماله عنده الحديث الحاكم من حديث جابر ومحمد بنلقظ منزله ومنزلة الله (٤) حديث قال الله أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلائى الحديث الطبراني فى الكبير وابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى هند الهارمى مقتصر على قوله من لم يرض بقضائى ويصبر على بلائى فليتخس ربا سواى وإسناده ضعيف (٥) حديث قال الله تعالى قد قدرت للقاير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضى فله الرضا الحديث لم أجده بهذا اللفظ والطبراني فى الأوسط من حديث أبى أمامة خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين الحديث وإسناده ضعيف (٦) حديث يقول الله خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقت له الخير وأجريت الخير على يديه الحديث ابن شاهين فى شرح

الوليد ولا تخل عني .
[الباب الستون :
فى ذكر إشارات
لشايخ فى القسامات
على الترتيب]
قولهم فى التوبة قال
روى معنى التوبة أن
يتوب من التوبة قبل
معناه قول رابعة
استغفر الله العظيم
من قلة صدق فى قولى
استغفر الله . وسئل
الحسن الغزالى عن
التوبة ، قال تسألنى
عن توبة الانابة أو
عن توبة الاستجابة
فقال السائل ماتوبة
الانابة ؟ فقال : أن
تخاف من الله عز
وجل من أجل
قدره عليك . قال
لما توبة الاستجابة .

وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا أقترده أن أعيد خلق الدنيا من أجلك أم تريد أن أبدل ما قدرته عليك فيكون مأحب فوق مأحب ويكون ماتريد فوق ما أريد وعزتي وجلالي لأن تلجلج هذا في صدرك مرة أخرى لأعفوك من ديوان النبوة . وروى أن آدم عليه السلام كان بين أولاده الضغار يصعدون على بدنه وينزلون يحمل أحدهم رجله على أضلاعه كهيئة الدرج فيصعد إلى رأسه ثم ينزل على أضلاعه كذلك وهو مطرق إلى الأرض لا ينطق ولا يرفع رأسه ، قال له بعض ولده يابيت : أمارى ما يصنع هذا بك لو نهيت عن هذا فقال يابيت : إنى رأيت ما لم تروا ، وعلمت ما لم تعلموا إنى تحركت حركة واحدة فأهبطت من دار الكرامة إلى دار الخوان ومن دار النعم إلى دار الشقاء فأخاف أن أتحرك أخرى فيصيبني ما لا أعلم . وقال أنس بن مالك رضى الله عنه « خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين لما قال لي لشيء فقلته لم فقلته ولا لشيء لم أفعله لم لأقلته ولا لقال في شيء كان ليته لم يكن ولا في شيء لم يكن ليته كان وكان إذا خاصني غصاص من أهله يقول دعوه لوقضى شيء لكان لا شيء . وروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : يا داود إنك تريد وأريد وإنما يكون ما أريد فإن سلمت لما أريد كنتك ماتريد ، وإن لم تسلم لما أريد أجهتك فما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد . [وأما الآثاري] فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يخدمون الله تعالى على كل حال . وقال عمر بن عبد العزيز ما بقي لي سرور إلا في مواقع القدر . وقيل له ما تشتهي ، فقال ما يقضى الله تعالى . وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحقه دواء . وقال الفضيل : إن لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير نفسك . وقال عبد العزيز ابن أبي رواد : ليس الشأن في أكل خبز الشعير والحل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشأن في الرضا عن الله عز وجل . وقال عبد الله بن مسعود : لأن الحس حجرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلى من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أولى . لم يكن ليته كان . ونظر رجل إلى قرحة في رجل محمد بن واسع ، فقال إنى لأرحمك من هذه القرحة ، فقال : إنى لأشكرها منذ خرجت إذ لم تخرج في عيني . وروى في الاسريليات أن عابدا عبد الله دهرًا طويلا فأرى في المنام فلانة الرابية رفقتك في الجنة فسأل عنها إلى أن وجدها فاستضافها ثلاثا لينظر إلى عملها فكان بيت قائما وتبيت نائمة وبظل صائغا وتظل مغطاة ، فقال أمالك عمل غير ما رأيت ، فقالت ما هو والله إلا ما رأيت لأعرف غيره فلم يزل يقول تذكرى حتى قالت خصلة واحدة هي في إن كنت في شدة لم آعن أن أكون في رخاء وإن كنت في مرض لم آعن أن أكون في صحة وإن كنت في الشمس لم آعن أن أكون في الظل فوضع العابد يده على رأسه وقال أهدد خصلة هذه والله خصلة عظيمة يجزئ عنها العباد . وعن بعض السلف إن الله تعالى إذا قضى في السماء قضاء أحب من أهل الأرض أن يرضوا بقضائه . وقال أبو الدرداء ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر . وقال عمر رضى الله عنه ما أبالي على أى حال أصبحت وأمسيت من شدة أورشاء . وقال الثوري يوما عند رابعة : اللهم ارض عني فقالت أما تستحي من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راض فقال استغفر الله فقال جعفر ابن سليمان الضبيعى فبقي يكون البدر راضيا عن الله تعالى قالت إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة . وكان الفضيل يقول إذا استوى عنده النعم والعطاء فقد رضى عن الله تعالى . وقال أحمد بن أبي الحواري قال أبو سليمان الداراني إن الله عز وجل من كرمه قدر من عبيده ما يرضى العبيد من مواليهم السنة عن أبي أمامة بساند ضعيف (١) حديث أنس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي لشيء فقلته لم فقلته لساند ضعيف (١) حديث أنس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي لشيء فقلته لم فقلته لساند ضعيف .

قال أن تستحي من الله لقدره منك وهذا الذي ذكره من توبة الاستجابة إذا تحقق العبد بها ربما تاب في صلاته من كل خاطر يلم به سوى الله تعالى ويستغفر الله منه وهذه توبة الاستجابة لازمة لبواطن أهل القرب كما قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب . قال ذوالنون توبة الصوام من الذنوب ، وتوبة الخواص من الغفلة ، وتوبة الأنبياء من رؤية همجهم عن بلوغ ما ناله غيرهم . سئل أبو محمد سهل عن الرجل

قلت وكيف ذلك قال أليس مراد العبد من الخلق أن يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان عجة قمن عبيده أن يرضوا عنه . وقال سهل حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يحبكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل النهم والحزن في الشك والسخط (١) » .

(بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى)

اعلم أن من قال ليس فيما يخالف الهوى وأتواع البلاء إلا الصبر فأما الرضا فلا يتصور فاعلم أن من ناحية إنكار المحبة فأما إذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغرق القلب به فلا يخفى أن الحب يورث الرضا بأفعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين : أحدهما أن يطال الاحساس بالألم حتى يجرى عليه الألم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك ألما ومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه أو في حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى إذا رأى الهم استدل به على الجراحة بل الذي يندوف شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بألم ذلك لشغل قلبه بل الذي يحجم أو يحاق رأسه محبدة كالة يتألم به فان كان مشغول القلب بهم من مهماته فرغ الالتم والحجام وهو لا يشعر به وكل ذلك لأن القلب إذا صار مستغرقا بأمر من الأمور مستوفى به لم يدرك ماعناه فكذلك العاشق المستغرق الهم بعشادة معشوقه أو بحبه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يفتن له لولا عشقه ثم لا يدرك غمه وألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا إذا أصابه من غير حبيبه فكيف إذا أصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل وإذا تصور هذا في ألم يسير بسبب حب خفيف تصور في الألم العظيم بالحب العظيم فان الحب أيضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الألم وكما يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش ويدهش عليه فلا يحس بما يجري عليه . فقد روى أن امرأة فزع الوصل عثرت فاقطع ظفرها فضحك قيل لها أما تجدن الوجع ؟ قالت إن لثة ثوابه أزلت عن قلبي مرارة وجهه ، وكان سهل رحمه الله تعالى به علة يبالج غيره منها ولا يبالج نفسه قليل له في ذلك فقال يادوست ضرب الحبيب لا يوجع . وأما الوجه الثاني فهو أن يحس به ويدرك ألمه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مریدا له أعز بقله وإن كان كارهيا بطبعه كالذي يلتزم من القصد القصد والحجامة فانه يدرك ألم ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ويتنقل من القصد به منة بفعله فهذا حال الراضى بما يجري عليه من الألم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن جنبه لثمة سفره طيب عنده مشقة السفر وجهه راضيا بها ومهما أصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بأن ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضى به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه هذا إن كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي يجازى به عليه ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ الحب في مراد محبوه ورضاه لا لمخى آخر وراؤه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوا باعندهم ومطلوبوا كل ذلك موجود في الشهادات في حب الخلق وقد توأصنا للتواصفون في نظمهم ونثرهم ولا معنى له إلا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظر إلى الجمال المصهور والإجلال المحمود ومشغول بالآثار والأخلاق بدانيته من نظفة مدرة ونهايته جنة قلرة وهو إنما بين ذلك يحمل العبرة وإن نظر إلى المدرك

(١) حديث إن الله يحبكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل النهم والحزن في الشك والسخط (١) من حديث ابن مسعود إلا أنه قد بقسطه وقد تقدم .

يشوب من الشيء ويتركه ثم يخطر ذلك الشيء بقلبه أو يراه أو يسمع به فيجد حاله فقال الحلاوة طبع البشرية ولا بد من الطبع وليس له حيلة إلا أن يرفع قلبه إلى مولاه بالشكوى وينسكه بقلبه ويلتم نفسه الانكار ولا يغارقه ويدعو الله أن ينسبه ذلك ويشغله بنسبه من ذكره وطاعته ولأن غفل عن الانكار طرفة عين أخاف عليه أن لا يسلم وتمل الحلاوة في قلبه ولكن مع وجدان الحلاوة يلزم قلبه الانكار ويحزن فانه لا يضره . وهذا

لجمال فهي العين الحسيسة التي تطلعت فيما ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والصغير صغيرا والبعد قريبا والتباعد جيبا فإذا تصور استيلاء هذا الحب فمن أين يستحيل ذلك في حب الجمال الأزل الأبدي الذي لا منتهى لكأله للدرك بعين البصرة التي لا يتربها الفلظ ولا يدور بها الوت بل تبقى بعد اللوت حية عند الله فرحة برزق الله تعالى مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف فهذا أمر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار وشهد لذلك الوجود وحكايات أحوال المحبين وأقوالهم فقد قال شقيق البلخي من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها . وقال الجنيد سألت سريّا السقطي هل يجد الحب ألم البلاد ؟ قال لا قلت وإن ضرب بالسيف قال نعم وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة . وقال بعضهم أحببت كل شيء عجبته حتى لو أحب النار أحببت دخول النار . وقال بشر بن الحرث مررت برجل وقد ضرب ألف سوطي شربة فبغداد ولم يتكلم ثم حمل إلى الحبس فنبخته فقلت له لم ضربت ؟ فقال لأنني عاشق فقلت له ولم سكنت ؟ قال لأن مشوقي كان يخذاني ينظر إلى قتلتي فلو نظرت إلى المشوق الأكبر قال فزعت زعقة خرميتا . وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى إذا نظر أهل الجنة إلى الله تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر إلى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع إليهم لما عنك بقلوب وقت بين جماله وجلاله إذا لاحظت جلالة هابته وإذا لاحظت جماله تاهت . وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي فإذا برجل أعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل يأكل لحمه فرفست رأسه فوضعت في حجرى وأنا أردد السلام فلما أفاق قال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي لو قطعتي إربا إربا ما زددت له إلا حبا . قال بشر لما رأيت بعد ذلك قمة بين عبد وبين ربه فأنكرتها . قال أبو عمرو محمد بن الأشعث إن أهل مصر مكتوا أروجة أشهر لم يكن لهم غذاء إلا النظر إلى وجه يوسف الصديق عليه السلام كانوا إذا جاءوا انظروا إلى وجهه فشفطهم جماله عن الاحساس بألم الجوع بل في القرآن ما هو أبلغ من ذلك قطع النسوة أيديهن لا يستباهرن بملاحظة جماله حتى ما أحسن بذلك . وقال سعيد بن يحيى رأيت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم شابا وفي يده مديّة وهو ينادي بأعلى صوته والناس حولوه وهو يقول:

يوم القراق من القيامة أطول وللوت من ألم التفرق أجمل

قالوا الرحيل قتلست براحل ليصنن مهجتي التي ترحل

ثم بقر بالمديّة بطنه وخر ميتا فسألت عنه وعن أمره فقيل لي أنه كان يهوى فقي لبعض اللوك حجب عنه يوما واحدا ويروى أن يونس عليه السلام قال لجبريل دني على أعبد أهل الأرض فدلّه على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب يصصره فسمعه وهو يقول : إلهي متمتعي بهما ما شئت أنت وسليتي ما شئت أنت وأجيت لي فيك الأمل يارب يا وصول . ويروى عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه اشتكى له ابن فاشند وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشيتنا على هذا الشيخ إن حدث بهذا الغلام حدث فصات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجا له أحد سرورا أبدا منه فقيل له في ذلك فقال ابن عمر إنما كان حزني رحمة له فلما وقع أمر الله رضينا به . وقال مسروق : كان رجل بالبادية له كلب وديك فالديك يوقظهم للصلاة والجمار يتناولون عليه اللبأ ويعمل لهم خبأهم والكلب يحرسهم قال فجاء الصلح فأخذ الديك فخرنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى أن يكون خيرا ثم جاء ذئب غرق بطن الحمار فقتله فخرنوا عليه فقال الرجل عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فإذا قد سبي من حولهم ويقوأم قال وإنما أخذوا أولئك لما كان عندهم من أصوات الكلاب

الذي قاله سهل كاف بالغ لكل طالب صادق يريد همة توبته . والعارف القوى الحال يتمكن من إزالة الحلاوة عن باطنه ويسهل عليه ذلك . وأسباب سهولة ذلك متنوعة للعارف ومن تمكن من قلبه حلاوة حب الله الخاص عن صفاء مشاهدة وصرف يقين فأى حلاوة تبقى في قلبه وإعما حلاوة الموى لمدم حلاوة حب الله . وسئل السوسي عن التوبة فقال التوبة من كل شيء ذمه العلم إلى مامدحه العلم وهذا وصف يعم الظاهر والباطن لمن كوشف بصريح العلم لأنه لا يقاء

والخير والديكة فكانت الحيرة لمؤلا في هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى فاذن من عرف حق
 لعطف الله تعالى رضى بخله على كل حال . وروى أن عيسى عليه السلام مر برجل أعشى أبرص مقعد
 مضروب الجبين فاجل وقد تآثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذى عافاني مما ابتلى به كثيرا
 من خلقه فقال له عيسى يا هذا أى شيء من البلاء أراه مصروفا عنك فقال ياربوح الله أناخير من لي عمل
 الله في قلبه ما جعل لي قلب من معرفته فقال له صدقت هات يدك فوافقه يدهما فاذموا أحسن الناس وجها
 وأفضلهم هيئة وقد أذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى عليه السلام وتبعه وقطع عروة بن الزبير
 رجله من ركبته من أكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذى أخذ منى واحدا وبك لن كنت أخذت
 لقد أقيمت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة وكان ابن مسعود يقول الفقروا للفقير
 مطيتان ما نألى أيهما ركبتم إن كان الفقير فإن فيه الصبر وإن كان الغني فإن فيه البخل . وقال
 أبو سليمان الداراني قد نلت من كل مقام حالا إلا الأرض شألى منه إلا شام الرمح وعلى ذلك لو أدخل
 الخلاق كلهم الجنة وأدخلني النار كنت بذلك راضيا ، وقيل لعارف آخر هل نلت غاية الرضا عنه فقال
 أما الناية فلا ولكن مقام الرضا قد نلته لأوجعني جسرا على جهنم يبر الخلاق لي على الجنة ثم ملأني
 جهنم تحلة تقسمه وبدلا من خلقته لأحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وهذا الكلام من علم
 أن الحب قد استغرق همه حتى منه الاحساس بألم النار فإن بقي إحساس فيغمره ما يحصل من اللذة في
 استشهائه حصول رضا محبوبه بالقائه إياه في النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وإن كان
 بعيدا من أحوالنا الضعيفة ولكن لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الأقوياء ويظن أن
 ما هو عاجز عنه يحجز عنه الأولياء . وقال الروذباري قلت لأبي عبدالله بن الجلاء الدمشقي قول فلان
 وددت أن جسدي قرض بالمقاريض وأن هذا الخلق أطاعوه مامنه فقال يا هذا إن كان هذا من
 طريق التعميم والاجلال فلا أعرف وإن كان هذا من طريق الاشفاق والصبح للخلق فأعرف قال
 ثم فشئ عليه وقد كان عمران بن الحصين قد استسقى بطنه فيبقى ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم
 ولا يقعد قد هب له في سريره من جريد كان عليه موضع قضاء حاجته فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء
 فجعل يبكي لما يراه من حاله فقال لم تبكي ؟ قال لأني أراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فإن أخيه
 إلى الله تعالى أخيه إلى ثم قال أحدثك شيئا لله الله أن ينفعك به وأكنتم على حق أموت إن لا نك
 تزورني فأنس بها وتسلم على فأسمع تسليمها فأعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بمقوبة إلهو سبب هذه
 النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلاءه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن منبته
 نعوذه فرأينا ثوبا ملقى لنا ظننا أن تحت شيئا حتى كشف قالت له امرأته أهلى فدأوك ما نطعمك
 . ما نتيك فقال طالت الضجة ودرت الحرائف وأصبحت نضوا لأطعم طعاما ولا أسخ شربا منذ كذا
 فذكر أياما وما يبرئني أني قصت من هذا قلامة ظفر . ولما قدم سعد بن أبي وقاص إلى مكة وقد
 كان كف بصره جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعوه لهذا ولهذا وكان عجب
 الدعوة . قال عبدالله بن السائب فأتيته وأنا غلام فخرجت إليه فرفني وقال أنت قارى أهل مكة ؟
 قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها قتلته في يوم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك
 بصرك فبسم وقال يا بني قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصري . وسمع لبعض الصوفية ولد سدير
 ثلاثة أيام لم يبرف له خبر فقيل له لو سألت الله تعالى أن يرده عليك فقال اعترضني عليه فما قضى أشد
 على من ذهب ولدي . وعن بعض العباد أنه قال إني أذنبت ذنبا عظيما فأنا أبكي عليه منذ ستين سنة
 وكان قد اجتهد في العبادة لأجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما هو فقال قلت مرة لشيء كان ليته

لجعل مع العلم كالإبقاء
 ليل مع طلوع الشمس
 وهذا يستوعب جميع
 أقسام التوبة بالوصف
 الحاس والعام وهذا
 العلم يكون علم الظاهر
 والباطن بتطهير الظاهر
 والباطن بأخص
 أوصاف التوبة وأهم
 أوصافها . وقال
 أبو الحسن التورعي
 التوبة أن توب عن
 كل شيء سوى الله
 تعالى . قولهم في الورع
 قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « ملاك
 دينكم الورع » أخبرنا
 أبو زرعة إجازة عن
 أبي بكر بن خلف عن
 أبي عبد الرحمن السلمي
 إجازة قال أنا أبو سعيد
 الحلاله قال حدثني

لم يكن . وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض لكان أحب إلي من أن أقول لكى قضاء الله سبحانه ليته لم يقضه ، وقيل لميد الواحد بن زيد هبند رجل قد تعبد خمسين سنة تقصده فقال له يا حبيبي أخبرنى عنك هل قمت به ؟ قال لا ، قال أنست به ؟ قال لا ، قال فهل رضىت عنه ؟ قال لا ، قال فاعلم أن يذك منه الصوم والصلاة ؟ قال نعم ، قال لولأنى أستحي منك لأخبرتكم بأن معاملتك خمسين سنة مدخولة . وناه أنك لم يفتح لك باب القلب فتتقى إلى درجائنا تقرب بأعمال القلب وإنما أنت تعدى طبقات أصحاب الجن لأن مزدك منه فى أعمال الجوارح التى هى مبادئ أهل العموم . ودخل جماعة من الناس على الشبل رحمه الله تعالى فى مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من أتم ؟ قالوا عبيدك فأقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما بالكم ادعيت محبتي إن صدقتم فاصبروا على بلأى ، وللشبل رحمه الله تعالى :
 إن الحبة للرحمن أسكرنى وهل رأيت عبدا غير مكرنا

وقال بعض عباد أهل الشام كلكم يلقي الله عز وجل مصدقا وله قد كذبه وذلك أن أحدكم لو كان له أصعب من ذهب ظل يثير بها ولو كان بها شلل ظل يوارىها يعنى بذلك أن الذهب مدموم عند الله والناس يتفخرون به والبلاء زينة أهل الآخرة وهم يستبكون منه . وقيل إنه وقع الحرق فى السوق فقيل للسرى احترق السوق وما احترق فكان قال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون السلمين . فتاب من التجارة وترك الحانوت بجة عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد لله ، فإذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا أن الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا فى حب الحلق وحظوظهم كان ممكنا فى حق حب الله تعالى وحظوظ الآخرة قطعا . . . وإمكانه من وجهين : أحدهما الرضا بالألم لما يتوقع من الثواب للوجود كالرضا بالقصد والحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء . والثانى الرضا به لالحظ وراعه بل لسكونه مراد المحبوب ورضا له فقد يلبب الحب بحيث ينغم مراد الحب فى مراد المحبوب فيكون الدال الشاه عند سرور قلب محبوه ورضاه وتقوى إرادته ولو فى هلاك روحه كاقيل : فما لخرج إذا أرضاكم ألم ؟ وهذا يمكن مع الاحساس بالألم وقد يستولى الحب بحيث يذهب عن إدراك الألم فالقياس والتجربة وللشهادة دالة على وجوده فلا ينبغي أن ينكره من قدّمه من نفسه لأنه إنما قدّمه لفقد سببه وهو فرط حبه ومن لم يلق طعم الحب لم يعرف هوائيه فلمحبين هوائى أعظم مما وصفناه . وقد روى عن عمرو بن الحرث الرافى قال : كنت فى مجلس بالرقعة عند صديق لى وكان معنا فنى يتعشق جارية مغنية وكانت معنا فى المجلس ففريت بالقضيب وغنت :

علامة ذل الهوى على العاشقين البكا

ولاسيا عاشق إذا لم يجد مشكيا

فقال لها التقي أحسنت والله يا سيدتى أتأذنين لى أن أموت فقلت مت بإهدا قاله فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فيه وغمض عينيه فحركناه فإذا هو ميت . وقاله الجند رأيت رجلا متعلما بكم صبي وهو يتضرع إليه ويظهر له الحمة فالتفت إليه الصبي وقال له إلى متى هذا اتفاق الذى يظهر لى فقال قد علم الله أنى صادق فيما أوردته حتى لو قلت لى مت لمث فقال إن كنت صادقا فقلت قال فتضى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا . وقال ممنون الحب كان فى جراتنا رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاضت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيا فينما هو يحرك القدر إذ قالت الجارية أم قال فذهب الرجل وسقط للعنة من يدمو جعل يحرك مالى القدر يدم حتى سقطت أسابه فقالت الجارية ما هذا ؟ قال هذا مكان قولك آء . وخبرني عن محمد بن عبد الله البغدادي قال رأيت بالبصرة شاعرا على سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول :

ابن قتيبة قال ثلثا عمر بن عثمان قال حدثنا بقية عن ابن بكير بن أبي مرز عن حبيب بن عبيد عن أبي الدرداء رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نوحا على نهر فلما فرغ من وضوئه أفرغ فضله فى النهر وقال يلقه الله عز وجل يوما ينهمهم . قال عمر بن الخطاب لا ينبغي لمن أخذ بالقوى ووزن بالورع أن يلد صاحب دينيا قال معروف السكرى أحفظ لسانك من اللسع كما تحفظه من السم . نقل عن الحرث بن أسد الهامسى أنه كان على طرفة أصبعه الوسطى عرق إذا مديده إلى

من مات عشقا فليست هكذا لاخير في عشق بلا موت

ثم رمى نفسه إلى الأرض فملاؤه ميتا فهذا أو أمثاله قد يصدق به في حب الخالق والتصديق به في حب الخالق
أولى لأن البصرة الباطنة أصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربانية أو في من كل جمال بل كل جمالي
العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال، نعم الذي قد البصر ينكر جمال الصور والذي قد السمع ينكر لغة
الألحان والنفحات للوزونة فإذ قد القلب لا يدون أن ينكر أيضا هذه الذات التي لا مظنة لها سوى القلب.

(بيان أن الدعاء غير منافق للرضا)

طعام فيه شبهة ضرب
عليه ذلك السرق.

سئل العبد عن الورع

فقال الورع أن تتورع

أن تقتشت قلبك عن

الله طرفة عين. وقال

أبو سليمان النابلسي

الورع أول الزهد كما

أن القناعة طرف من

الرضا. وقال يحيى بن

معاذ الورع الوقوف

على حد العلم من غير

تأويل. سئل الخواص

عن الورع فقال أن

لا يتكلم البعد إلا بالحق

غضب أو رضى وأن

يكون اهتمامه بما

يرضى الله تعالى.

أخبرنا أبو زرعة بإجازة

عن أبي بكر بن خلف

إجازة عن السلي قال

صحت الحسن بن أحمد

ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة للعاصي ومقت أهلها ومقت أسبابها والسمي في إزالتها
بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه أيضا وقد غلط في ذلك بعض البطالين للثبوت وزعم أن
العاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره عز وجل فيجب الرضا به وهذا جهل بالتأويل وغفلة
عن أسرار الشريعة، فأما الدعاء فقد تصدق به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر
الأنبياء عليهم السلام على ما نقلناه في كتاب المغفوات تدل عليه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في
أعلى القامات من الرضا وقد أثبت الله تعالى في بعض عبادته قوله وسيدعوا ثارا فبادروا بالإنكار للعاصي
وكراهتها وعدم الرضا بها فقد حمى الله به عبادته وضمهم على الرضا به فقال المورضوا بالحاجة الله نيا واطمأنوا
بها - وقال تعالى - رضوا بأن يكونوا مع الخائف وطبع على قلوبهم - وفي الخبر للشهرستاني «من شهد
منكرا فرضى به فكأنه قد فعله» وفي الحديث «الدال على الشر كفاعله» (١) وعن ابن مسعود: إن العبد
ليقبل عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك؟ قال يلقنه فيرضى به وفي الخبر ولو
أن عبدا قتل بالشرق ورضى بقتله آخر بالمغرب كان شريكا في قتله (٢) وقد أمر الله تعالى بالحسد للنافقة
في الخيرات وتوفى الضرور فقال تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وقال النبي صلى الله عليه وسلم
«لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله حكمة فهو يبشئ في الناس ويسلمها ورجل آتاه الله مالا فسلطه على
هلكته في الحق» (٣) وفي لفظ آخر «ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به تأداه لليل والنهار فيقول للرجل
لو آتاني الله مثل ما آتاني هذا لقلت مثل ما يفعل». وأما بعض الكفار والتجار والانسكار عليهم ومقتهم
فما ورد فيه من هوانه القرآن والأخبار لا يخص مثل قوله تعالى - لا يستخذل المؤمنون الكافرين أولياء
من دون المؤمنين - وقال تعالى - يأبأ الدين آمنوا لا اتخذوا اليهود والنصارى أولياء - وقال تعالى
- وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا - وفي الخبر «إن الله تعالى أخذ للثاق على كل مؤمن أن
يفض كل منافق وكل منافق أن يفرض كل مؤمن» (٤) وقال عليه السلام «أوتق
أحب» (٥)

(١) حديث الدال على الشر كفاعله أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس باسناد
ضعيف جدا (٢) حديث لو أن رجلا قتل بالشرق ورضى بقتله آخر في المغرب كان شريكا في قتله
لم أجده أصلا بهذا اللفظ ولا بين عدى من حديث أبي هريرة من حضر معصية فكرها ففكأتما
غاب عنها ومن طلب عنها فأحبها ففكأتما حضرها وتقدم في كتاب الأمر بالمعروف (٣) حديث لا حسد
إلا في اثنتين الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث ابن مسعود وقد قدم في العلم
(٤) حديث إن الله أخذ للثاق على كل مؤمن أن يفرض كل منافق الحديث لم أجده أصلا
(٥) حديث اللز مع من أحب تقدم (٦) حديث من أحب قوما ووالاهم حشر معهم الطبراني من حديث
أبي قرصة وابن عدى من حديث جابر من أحب قوما على أعمالهم حشر في زمرة من زاد ابن عدى
يوم القيامة وفي طريقه إسماعيل بن يحيى التميمي ضيف.

عري الايمان الحب في الله والبغض في الله (١) وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله تعالى من كتاب آداب الصلوة وفي كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا نزيد. فان قلب قد وردت الآيات والأخبار بالرضا بقضاء الله تعالى (٢) فان كانت العاصي يرضى بقضاء الله تعالى فهو محال وهو ذاق في التوحيد وإن كانت بقضاء الله تعالى فكرهاها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى وكيف السبيل إلى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والسكراهة في شيء واحد. فاعلم أن هذا مما يلتبس على الضعفاء المتأخرين عن الوقوف على أسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت عن المنكر مقاماً من مقامات الرضا وهو حسن الخلق وهو جهل محض بل يقول الرضا والسكراهة تضادان إذا تورقا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد فليس من التضاد في شيء واحد أن يكره من وجه ويرضى به من وجه إذ قد يموت عدوك الذي هو أيضاً عدو بعض أعدائك وساع في إهلاكه فتكره موته من حيث إنه مات عدو وعدوك وترضاه من حيث إنه مات عدوك وكذلك المصيبة لها وجهان وجه إلى الله تعالى من حيث إنه فعله واختياره وإرادته فيرضى به من هذا الوجه تسامياً للملك إلى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه ووجه إلى البدن من حيث إنه كسبه ووصفه وعلامة كونه محموقاً عند الله وبغضاً عنده حيث سلط عليه أسباب البعد ولتقت فهو من هذا الوجه منكبر ومذموم ولا ينكشف هذا لك إلا بمثال فلنترض محبوا من الخلق قال بين يدي محبيه إلى أربابنا أمين بين من يحبني ويبغضني وأنصب فيه معياراً صادقاً وميزاناً نافعاً وهو أني أقصد إلى فلان فأؤذي وأضربه ضراباً يضطره ذلك إلى الشتم لي حتى إذا شتمني أبغضته وأخذته عدواً لي فكل من أبغضه أعلم أيضاً أنه عدوي وكل من أبغضه أعلم أنه صديقي ومحبي ثم قل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة خلق على كل من هو صادق في محبتهم على ضرب وطول المحبة أن يقول أما تدبريك في إيذاء هذا الشخص وضربه وإيماؤه وتعرضك إيائه للبغض والعداوة فأنا محبه له وراض به فانه رأيك وتدبريك وفعلك وإرادتك وأما شتمه إيائك فانه عدوان من جهته إذ كان حقاً أن يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استطلاقة بالشتم للوجب المقتضى من حيث إنه حصل على وفق مرادك وتدبريك الذي دبرته فأنا راض به ولو لم يحصل لك ذلك نقصاناً في تدبريك وتموفاً في مرادك وأنا كاره مرادك ولكنه من حيث إنه وصف لهذا الشخص وكسبه له وعدوان ونهجم منه عليك على خلاف ما تقتضيه جمالك إذ كان ذلك يقتضي أن يعتدل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فأنا كاره له من حيث نسبته إليه ومن حيث هو وصفه لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبريك وأما بغضك له بسبب شتمك فأنا راض به ومحبه له لأنه مرادك وأنا على موافقتك أيضاً بمبغض له لأن شرط المحب أن يكون لجيب المحبوب حبياً ولعدوه عدواً وأما بغضك لك فاني أرضاه من حيث إنك أردت أن يفضك إذ أبغضته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكني أبغضته من حيث إنه وصف ذلك للبغض وكسبه وفعله وأمته لذلك فهو محموق عندي لقمته إيائك وبغضه ومقته لك أيضاً عندى منكروه من حيث إنه وصفه وكل ذلك من حيث إنه مرادك فهو مرضى وإنما التناقض أن

ابن جعفر يقول سمعت محمد بن داود البتوري يقول سمعت ابن الجلاء يقول أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة ولم يشرب من ماء زمزم إلا من ماء استقاه بركوته ورشائه ولم يتناول من طعام جب من مصر شيئاً. وقال الخواص: الورع دليل الخوف والخوف دليل للفرقة والفرقة دليل القربة قولهم في الزهد: قال الجنيد: الزهد خلو الأيدي من الأملاك والقلوب من التلذذ. وسئل الشبلي عن الزهد فقال لا زهد في الحقيقة لأنه إما أن يزهد فيما ليس له فليس ذلك بزهد أو يزهد فيما هو له

(١) حديث أوتق عري الايمان الحب في الله والبغض في الله رواه أحمد وتقدم في آداب الصلوة (٢) الأخبار الواردة في الرضا بقضاء الله الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص من سعاد بن آدم رضاء بما قسم الله عز وجل الحديث وقال غريب وتقدم حديث ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وحديث إن الله يقسطه جعل الروح والفرح في الرضا وتقدم في حديث الاستخارة والقدري الحير حيث كان ثم رضى به وحديث من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى منه بالقليل من

يقول هو من حيث إنه مراد مرضى ومن حيث إنه مراد مكروه وأما إذا كان مكروها لامن حيث إنه فله ومراده بل من حيث إنه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذن تسليط الله دعوى الشهوة والعصية عليه حتى يجره ذلك إلى حب العصية ويجره الحب إلى فعل العصية يضاهى ضرب المحبوب للشخص الذي ضربناه مثلاً يجره الضرب إلى التنبؤ والتنبؤ إلى الشتم ومقت الله تعالى لمن عصاه وإن كانت معصيته بتدبيره يشبه بغض للشتم لمن شتمه وإن كان شتمه إنما حصل بتدبيره واختياره لأصابعه وفعل الله تعالى ذلك بكل عبد من عباده أفعى تسليط دعوى العصية عليه يدل على أنه سبقت مشيئته بإبعاده ومقتة فواجب على كل عبد محب لله أن ينض من أبغضه الله ويعتق من مقته الله ويأبى من أبغضه الله عن حضرته وإن اضطره بجهده وقدرته إلى معاداته ومخالفته فإنه يبيد مطرود وملعون عن الحضرة وإن كان بعيداً بإبعاده قهراً ومطروداً بطرده واضطراره للبعد عن درجات القرب ينبغي أن يكون مقبلاً بغيره إلى جميع المحبين موافقة للحبوب بإظهار التنبؤ على من أظهر المحبوب التنبؤ عليه بإبعاده وبهذا يقرر جميع ماوردت به الأخبار من البغض في الله والحب في الله والتقديد على الكفار والتخليط عليهم وللإبالة في مقامهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث إنه قضاء عز وجل وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لأرضه في إنشائه وهو أن الشر والخير كلاهما داخلان في لاشئ ولا إرادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضى به فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال إنهما جميعا منه من غير إقرار في الرضا والكراهة فهو أيضاً مقصر وكشف القضاء عنه غير مأذون فيه فالأولى السكوت والتأدب بأدب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم «القدر سر الله فلا تشوهه» (١) وذلك يتعلق بهلم للكشفه وغرضنا الآن بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى ومقت للعاصي مع أنها من قضاء الله تعالى وقد ظهر الغرض من غير حاجة إلى كشف السر فيه وهذا يعرف أيضاً أن الداء بالمنفرة والعصمة من العاصي وسائر الأسباب اللبنة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله تعالى فإن الله تعبد العباد بالداء لئلا يستخرج الداء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة الضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحاً لكشف وسبب لتواتر مزايا اللطف كما أن حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضاً للرضا بقضاء الله تعالى في العطش وشرب الماء طلباً لازالة العطش مباشرة سبب ربه مسبب الأسباب فكذلك الداء سبب ربه الله تعالى وأمر به وقد ذكرنا أن التحسك بالأسباب جري على منه الله تعالى لا يناقض التوكل واستقصيانه في كتاب التوكل فهو أيضاً لا يناقض الرضا لأن الرضا مقام لاسق للتوكل ويتصل به نعم إظهار البلاء في معرض الشكوى وإنكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا وإظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض . وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لا يقول هذا يوم حار أى في معرض الشكوى وذلك في الصيف فأما في الشتاء فهو شكر والشكوى تناقض الرضا بكل حال وذم الأطعمة وغيرها يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لأن مذمة الصنعة مذمة للصانع والكل من صنع الله تعالى وقول القائل الفقر بلاء وعنة واليأس هم وتعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قاطع في الرضا بل ينبغي أن يسلم التدبير لمدره وللملكة لما لكها ويقول ما قاله عمر رضى الله عنه : لا أبالي أصبحت غنياً أو فقيراً فاني لأدري أيهما خيرى .

العمل وحديث أسالك الرضا بالقضاء الحديث وغير ذلك (١) حديث القدر سر الله فلا تشوهه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر وابن عدى في الكمال من حديث عائشة وكلاهما ضيف :

فكيف يزهديهو
معه وعندة فليس
لإلظاف النفس وبذل
مواصلة ، يشير إلى
الأقسام التي سبقت بها
الأنام وهذا لواطره
هم قاعدة الاجتهاد
والكسب ولكن
مقصود الشئ أن يقلل
الزهد في عين للتد
بالزهد لئلا يفتقر به .
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «إذا
رأيت الرجل قد أوفى
زهداً في الدنيا ومنطقاً
فاقربوا منه فإنه يلقي
الحكمة» وقدمى الله
عز وجل الزاهد في
علماء في قصة قارون
قال تعالى - وقال
الذين أوتوا العلم ويلكم
ثواب الله خير - قيل

(بان أن القرار من البلاد التي هي مظان للماصي ومذمبتها لا يقدس في الرضا)

اعلم أن الضعيف قد يظن أن هي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بطنه
الطاعون (١) يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه الماصي لأن كل واحد منهما قرار من قضاء
الله تعالى وذلك محال بل الملة في النهي عن مفارقة البلد بظهره والطاعون أن يفتتح هذا الباب لا يدخل
عنه الأسماء وبقي فيه الرضى مهملين لا تمتنع لهم فيه تكون هزا وضرا ولذلك شبه رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأحبار بالقرار من الزحف (٢) ولو كان ذلك للقرار من القضاء لما أذن
لن قارب البلدة في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل وإذا عرف للمصطفى أن القرار
من البلاد التي هي مظان للماصي ليس قرارا من القضاء بل من القضاء القرار مما لا بد من القرار منه
وكذلك مذمة اللواضع التي تدعو إلى الماصي والأسباب التي تدعو إلى الأجل التنفير عن المصيبة ليست
مذمومة إنما زال السلف الصالح يتادون ذلك حتى انتفى جماعة على ذم بغداد وإظهارهم ذلك وطالب
القرار منها فقال ابن اللبوك قد طفت الشرق والغرب فما رأيت بلدا أشرا من بغداد قيل وكيف قال هو
له زدرى فيه نعمة الله وتستغفر فيه معصية الله ولما قدم خراسان قيل له كيف رأيت بغداد قال
رأيت بها الإشرطيا غضبان أوتاجرا لهفان أودرا حيران ولا ينبغي أن نظن أن ذلك من النية لأنه
لم يتعرض لشخص بينه حتى يستغفر ذلك الشخص به وإنما قصد بذلك تخذير الناس وكان يخرج
إلى مكة وقد كان مقامه بغداد يقرب استعداد القافلة ستة عشر يوما فكان يتصدق بستة عشر دينارا
لكل يوم دينار كفارة لقامه وقد ذم العراقي جماعة كعمر بن عبد العزيز وكعب الأحبار . وذلك ابن
عمر رضى الله عنهما لمولى له أين تسكن فقال العراقي قال فما تصنع به بلغي أنه ما من أحد يسكن العراق
بلا يقضى الله له قرينا من البلاد وذكر كعب الأحبار يوما العراقي قال فيه تسعة أعشار الترو وفيه الداء
الضال وقد قيل قسم أخير عشرة أجزاء فتسعة أعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الثمر عشرة
أجزاء على العكس من ذلك وقال بعض أصحاب الحديث كنا يوما عند الفضل بن عياض فجاءه صوفي
متدبر عبادة فأجلسه إلى جانبه وأقبل عليه ثم قال أين تسكن فقال بغداد فأعرض عنه وقال
يا تينا أحدهم في رضى الرهبان فإذا سأله أين تسكن قال في عفى الظلة وكان بشر بن الحرث يقول
مثال للبعد بغداد مثال للبعد في الحش وكان يقول لا تفتدوا في في القام بها من أراد أن يخرج فليخرج
وكان أحمد بن حنبل يقول لولا تلحق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد أثر في نفس
قيله وأين تختار السكى قال بالثور . وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بغداد أهدم زاهد وشريرم
شرب فهذا يدل على أن من يلى بيلة تكثر فيها الماصي ويقل فيها الخير فلا عذر له في القام بها بل
ينبغي أن يهاجر قال الله تعالى - ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها - فان منعه من ذلك عيال
أو علاقة فلا ينبغي أن يكون راضيا بمخالفة النفس إليه بل ينبغي أن يكون منزعج القلب منها قائلا
على الدوام - ربنا أخرنا من هذه القرية الظالم أهلها - وذلك لأن الظلم إذا عم نزل البلاد ودمر
الجميع وشمل الطمع قال الله تعالى - واتقوا فتنة لا تصيبن الدين ظفوا منكم خاصة - فادن ليس
في شيء من أسباب نقص الدين البتة رضا مطلق إلا من حيث إضاقها إلى فعل الله تعالى فأما هي
في نفسها فلا وجه للرضا بها محال وقد اختلف العلماء في الأفضل من أهل القامات الثلاث رجل
يحب الموت شوقا إلى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة اللوى ورجل قال لا يختار شيئا بل أرضى

هم الزاهدون . وقال
سول بن عبد الله المقل
ألف اسم ولكل اسم
منه ألف اسم وأول
كل اسم منه ترك
الدنيا . وقيل في قوله
تعالى - وجعلناهم
أئمة يهدون بأمرنا
لما صبروا - قيل عن
الدنيا . وفي الخبر
«الهداء أمناه الرسل
مالم يدخلوا في الدنيا
فإذا دخلوا في الدنيا
فاحذروهم على دينكم»
وجاء في الأثر لا تزال
لا إله إلا الله تدفع عن
البلاد سقط الله مالم
يألو ما نقص من
دينهم فإذا ضلوا ذلك
وقالوا لا إله إلا الله قال
الله تعالى : كذبتم
لستم بها صادقين .

(١) حديث النهي عن الخروج من بلد الطاعون تقدم في آداب السفر (٢) حديث لا تشبهوا الخروج
من بلد الطاعون . ١ من الزحف تقدم فيه .

بما اختاره الله تعالى ورفضت هذه للسألة إلى بعض العارفين فقال صاحب الرضا أفضلهم لأنه أفضلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن أمباط فقال الثوري كنت أكره موت النجاة قبل اليوم واليوم وددت أني مت فقال له يوسف لم ؟ قال لما أخوف من القننة فقال يوسف لكني لا أكره طول البقاء فقال سفيان لم ؟ قال لئلي أصادف يوما أتوب فيه وأعمل صالحا قبل لو هيب إيش تقول أنت ؟ فقال أنا لا أختر شيئا أحب ذلك إلى أحبه إلى الله سبحانه وتعالى قبله الثوري بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة .

(بيان جملة من حكايات الحسين وأقوالهم ومكاشفاتهم)

قيل لبعض العارفين إنك محب فقال لست محبا إنما أعجب وبالحب متعجب وقيل له أيضا الناس يقولون إنك واحد من السبعة فقال أنا كل السبعة وكان يقول إذا رأيتموني فقد رأيتم أربيعين بدلائل وكيف وأنت شخص واحد قال لأنني رأيت أربيعين بدلا وأخذت من كل بدل خلقا من أخلاقه وقيل له بلنا أنك ترى الحضر عليه السلام فتبسم وقال ليس المحب بمن يرى الحضر ولكن المحب بمن يريد الحضر أن يراه فيعتجب عنه وحكي عن الحضر عليه السلام أنه قال ما حدثت نفسي يوما قط أنه لم يبق ولي لله تعالى إلا عرفته إلا ورأيت في ذلك اليوم ولما لم أعرفه وقيل لأبي يزيد البسطامي مرة حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم أن تملوا ذلك قيل حدثنا بأحد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى فقال وهذا أيضا لا يجوز أن أطلعكم عليه قيل حدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي إلى الله فجمحت على فضمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك . ويحكى عن يحيى بن معاذ أنه رأى أبا يزيد في بعض مشاهداته من بدسالة المشاة إلى طابع الفجر مستوفزا على صدور قديميه رافعا أخصيه مع عقبيه عن الأرض ضاربا بذقنه على صدره مشاخصا بهيمة لا يظرف قال ثم سجد عند السحر فأطاعه ثم قد قال اللهم إن قوما طلبوك فأعطيتهم لكلى على الماء والكلى على الهواء فرضوا بذلك وإنى أعوذ بك من ذلك وإن قوما طلبوك فأعطيتهم على الأرض فرضوا بذلك وإنى أعوذ بك من ذلك وإن قوما طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فرضوا بذلك وإنى أعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقام من كرامات الأولياء ثم التفت فرآى فقال يحيى قلت نعم ياسيدي فقال مذقني أنت ههنا ؟ قلت منذ حين نسكت قلت ياسيدي حدثني بشيء قال أحدثك بما يصلح لك أدخلك في الفلك الأسفل فدورني في اللسكوت السفلى وأراني الأرضين وما تحتهما التي ترى ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال سلني أي شيء رأيت حتى أحبه لك ؟ قلت ياسيدي ما رأيت شيئا استحسنته فأسألك إياه فقال أنت عسدي حقا تصيدني لأجل صدق لأفان بك ولأضلل بك فذكر أشياء ، قال يحيى فهأنى ذلك وامتلأت به ومجبت . منه قلت ياسيدي لم لأسأته للعرفة به وقد قال لك ملك للوك سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت وملك غرت عليه مني حتى لأحب أن يعرفه سواه . وحكى أن أبا تراب النخشي كان معجبا ببعض الريدين فكان يدينه ويقوم بمصالحه والريدين مشغول بعبادته ومواجهته فقال له أبو تراب يوما لو رأيت أبا يزيد فقال لني عنه مشغول فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله لو رأيت أبا يزيد هاج وجد للريد فقال وبحك ما أسنع بأبي يزيد قد رأيت الله تعالى فأغثنى عن أبي يزيد قال أبو تراب فهاج طبعي ولم أملك نفسي فقلت وملك تغر بالله عز وجل لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أضع لك من أن ترى الله سبعين مرة قال فهت التقي من قوله وأنكره فقال وكيف ذلك قال له وملك أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدار له ترى أبا يزيد

وقال سهل : أعمال البر كلها في موازين الزهاد وثواب زهدهم زيادة لهم . وقيل من مسمى باسم الزهد في الدنيا فقد مسمى بألف اسم محمود ومن مسمى باسم الرغبة في الدنيا فقد مسمى بألف اسم مذموم . وقال السري الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ويجمع هذا الحظوظ المالية والجاهية وحسب للزلة عند الناس وحسب الحمدة والثناء وسئل الشيبلي عن الزهد فقال الزهد غفلة لأن الدنيا لا شيء والزهد في لا شيء وغفلة وقال بعضهم لما رأوا حجارة الدنيا زهدوا في

عند الله قد ظهر له على مقداره فصرف ما قلت فقال احملني إليه فذكر قصة قال في آخرها فوقعنا على تل ننظره
ليخرج إلينا من الغبشة وكان يأوي إلى غبشة فيها سباع قال فر بنا وقد قلب فروع على ظهره فقلت
اتفق هذا أبو زيد فانظر إليه فنظر إليه التقي فصق لمركناه فإذا هو ميت ضامونا على دفنه فقلت
لأبي يزيد ياسيدي نظره إليك قتله قال لا، ولكن كان صاحبكم صادقا واستكن في قلبه سر لم يكشف
له بوضعه فلما رأنا انكشف له سر قلبه فضاقت عن حمله لأنه في مقام الضعفاء اللريدين قتله ذلك.
ولما دخل الزنج البصرة قتلوا الأسي ونهبوا الأموال اجتمع إلى سهل إخوانه فقالوا لوسألت الله تعالى
دفعهم فكنت ثم قال إن لله عبادا في هذه البلدة لودعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم
إلا مات في ليلة واحدة ولكن لا يعلمون قيل له؟ قال لأنهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من إجابة الله
أشياء لا يستطيع ذكرها حتى قال ولوسأله أن لا يقيم الساعة لم يبقها وهذه أمور ممكنة في أنفسها
فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي أن يغلو عن التصديق والایمان بامكانها فإن القدرة واسعة والفضل
عظيم وعجاب الملك ولللكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها وفضله على عباده أن يصطفى
لأغاية له ولذلك كان أبو زيد يقول إن أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة إبراهيم فاطلب
ما وراء ذلك فإن عنده فوق ذلك أمنا فامضاعة فإن سكنت إلى ذلك حبيب به وهذا بلاد مثلهم
ومن هو في مثل حالهم لأنهم الأمثل فالأمثل. وقد قال بعض العارفين: كوشفت بأربعين حوراء
رأيتهن بقسعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهن يتشخصن ويتثنى منهن فنظرت
إلین نظرة فوقيت أربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجلال،
وقيل لي انظر إلین قال فسجدت وعمضت عيني في سجودي ثلاثا انظر إلین وقلت أعوذ بك
بمسأوك لأحاجة لي بهذا فلم أزل أنضرع حتى صرفهن الله عني. فأمثال هذه المكاشفات لا ينبغي
أن ينسكروا للؤمن لإفلاسه عن مثلها فاولم يؤمن كل واحد إلا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه
القاسم، لنصاق مجال الايمان عليه بل هذه أحوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة
أدناها الإخلاص وإخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الأعمال ظاهرا وباطنا، ثم
مكافحة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحسن المحول فهذه أوائل سلوكهم وأقل مقاماتهم
وهي أعز موجود في الأنبياء من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات إلى الخلق فيفيض
عليه نور اليقين وينكشف له مبادئ الحق وإنكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجري
يجري إنكار من أنكر إمكان انكشاف الصورة في الحديدة إذا شكلت وقيمت وصقلت وصورت
بصورة الرآة فنظر للنكر إلى ما في يده من زبرة حديد مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو
لا يحكي صورة من الصور فأنكر إمكان انكشاف المرئي فيها عند ظهور جوهرها وإنكار ذلك
غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من أنكر كرامات الأولياء إذ لا مستند له إلا قصوره عن ذلك
ووصور من رآه وبشئ المستند ذلك في إنكار قدرة الله تعالى بل إنما يشم روائح للكاشفة من
سلك شيئا ولو من مبادئ الطريق كما قيل لبشر بأى شيء بلغت هذه للزلة قال كنت أكره الله
تعالى حالي معناه أسأله أن يكتم على ويخفي أمرى. وروى أنه رأى الحضرة عليه السلام، فقال له
ادع الله تعالى لي، فقال يسر الله عليك طاعته. قلت: زدني قال وسترها عليك، فقبل معناه
سترها عن الخلق، وقيل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت أنت إليها. وعن بعضهم أنه قال ألقني
الشوق إلى الحضرة عليه السلام فسألت الله تعالى مرة أن يرزني إياه ليطفي شيئا كان أهم الأشياء
على. قال فرأيت فما غلب على همى ولا همى إلا أن قلت له يا أبا اللباس عفى شيئا إذا قلته حبيبته عن
قلوب الخليفة فلم يكن لي فيها قدر ولا يرفني أحد بصلاح ولا ديانة، فقال قل: اللهم أسبل على كشف

زهديهم في الدنيا
لهواتها عندهم وعندي
أن الزهد في الزهد
غير هذا وإنما الزهد
في الزهد بالخروج من
الاختيار في الزهد لأن
الزاهد اختار الزهد
وأرادته وإرادته تستند
إلى عمله وعمله قاصر
فاذا أقيم في مقام ترك
الإرادة والنسك من
اختياره كاشفه الله
تعالى بمراده فيترك
الدنيا بمراده الحق لإعرا
نفسه فيكون زهده
بالله تعالى حيثئذ أو
يعلم أن مراد الله منه
التلبس بشيء من
الدنيا فما يدخل بالله
في شيء من الدنيا
لا ينقص عليه زهده
فيكون دخوله في

سترك وحط على سرادقات حبيبك واجعلنى فى مكنون عينك واحجبنى عن قلوب خلقك قال ثم غاب فلم أراه ولم أشتق إليه بعد ذلك فلما زلت أقول هذه الكلمات فى كل يوم شكى أنه صار بحيث كان يستدل ويتهنئ حتى كان أهل التهمة يسخرون به ويستسخرونه فى الطرق بحمد الأشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به فكانت راحته ركود قلبه واستقامة حاله فى ذله وخوفه فهكذا حال أولياء الله تعالى فى أمثال هؤلاء يبتغى أن يطلبوا والفرورون إنما يطلبونهم تحت الرصات والظلمات وفى الشهور بين الخلق بالمع والورع والرياسة وغيره الله تعالى على أوليائه تأنى لإخفاهم كما قال تعالى : أوليائى تحت قبائى لا يفرهم غيرى ، وقال صل الله عليه وسلم « رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » (١) وبالجملة فأبعد القلوب عن مشاهد هذه المعانى القلوب المتكبرة للسجدة بأفهامها للتبصرة بملها وعلمها وأقرب القلوب إليها القلوب للتسكرة للتشعرة فلو نفسا استشعرا إذا ذلوا واحتشم لم يحس بالذل كما يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه فإذا لم يحس بالذل ولم يشعر أيضا بعدم التفاته إلى الذل بل كان عند نفسه أحسن منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذلا فى حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع لطبع صفة ذات فمثل هذا القلب يرجى له أن يستشقى مبادئ هذه الروائح فان قدنا مثل هذا القلب وحرمانا مثل هذا الروح فلا يبتغى أن يطرح الایمان بإمكان ذلك لأنه من لا يقدّر أن يكون من أولياء الله فليكن محبا لأولياء الله مؤمنا بهم ففى أن يحشر مع من أحب ويشهد لهذا ما روى أن عيسى عليه السلام قال لبنى إسرائيل أين ينبت الزرع قالوا فى التراب فقال حتى أقول لكم لا تنبت الحسكة إلا فى قلب مثل التراب ولقد انتهى للريدون لولاية الله تعالى فى طلب شروطها بادلال النفس إلى منتهى الضمة والحسة حتى روى أن ابن الكريب وهو أستاذ الجندى طاهر رجل إلى طعام ثلاث مرات ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع إليه بعد ذلك حتى أدخله فى المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضت نفسى على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فيطرد ثم يدعى فيرمى له عظام فيعود ولوردنى تحسين مرة ثم دعوتنى بعد ذلك لأجبت وعنه أيضا أنه قال نزلت فى حلة فصرقت فيها بالصالح فقتلت على قافى فدخلت الحمام وعدلت إلى ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعنى فوقها وخرجت وجملت أمشى قليلا قليلا فلحقونى فترعوا مرقعنى وأخذوا الثياب وصفعونى وأوجعوني ضربا فصررت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فصكت نفسى فهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخاصم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس فان التفتت إلى نفسه محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله حجاب بهد وتخال حائل وإنما بعد القلوب شغلها بشيرة أو بنفسها وأعظم الحجب شغل النفس ، ولذلك حكى أن شاهدا عظيم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يفرق مجلس أبى يزيد ، وقال له يوما أنا منذ ثلاثين سنة أسوم الدهر لأنظر وأقوم الليل لأنام ولا أجد فى قلبي من هذا العلم الذى تذكر شيئا وأنا أمدق به وأجبه ، قال أبو يزيد ولوصمت ثلاثمائة سنة وقت ليلى ما وجدت من هذا ذرة . قال ولم ؟ قال لأنك محجوب بنفسك قال فهذا دواء ؟ قال نعم قال قللى حتى أعمله قال لا تحبلى ، قال فاذكره لى حتى أعمل قال أذهب الساعة إلى الزين فاحلق رأسك ولحيتك واتزع هذا الالباس وأزرد بعبادة وعلق فى عنقك عملة مملوءة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعنى صفعه أعطيت جوزة وادخل السوق وطف الأسواق كلها عند اليهود وعند من يعرفك وأنت على ذلك فقال الرجل سبحان الله قول لى مثل هذا فقال أبو يزيد قولك سبحان الله شرك قال وكيف ؟ قال لأنك عظمت نفسك فسيحبها

(١) حديث رب أشعث أغبر ذى طمرين مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

التي من الدنيا باله
وباذن منه زهدا
فى الزهد والزاهد
فى الزهد استوى عنده
وجود الدنيا وعدمها
إن تركها تركها بالله
وإن أخذها أخذها
بالله وهذا هو الزهد فى
الزهد وقد رأينا من
المعارفين من أتى فى
هذا المقام . وفوق هذا
مقام آخر فى الزهد هو
لمن يرد الحق إليه
اختباره لسمة عليه
وطهارة نفسه فى مقام
البقاء فيزهد زهدا
ثالثا ويترك الدنيا بعد
أن مكن من ناصيتها
وأعيدت عليه
موهوبة ويكون تركه
الدنيا فى هذا المقام
باختياره واختياره

وما سبحت ربك فقال هذا لأفعله ولكن دلتني على غيره فقال ابتدء بهذا قبل كل شيء فقال لا يطيقه قال قد قلت لك إنك لا تطيق هذا الذي ذكره أبو يزيد هو دواء من اعتدل نظره إلى نفسه ومريض بنظر الناس إليه ولا ينجي من هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغي أن ينكر إمكان الشفاء في حق من دأوى نفسه بعد المرض أو لم يعرض بثقل هذا المرض أصلاً فقل درجيات الصحة الإيمان بإمكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل أيضاً وهذه أمور جليلة في الشرع واضحة وهي مع ذلك مستقيمة عند من يد نفسه من علماء الشرع فقد قال عليه السلام «لا يستكمل العبد الإيمان حتى تكون قلة الشيء أحب إليه من كثرتة وحتى يكون أن لا يعرف أحب من أن يعرف» (١) وقد قال عليه السلام «ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرى شيء من عمله وإذا عرض عليه أمران أحدهما لدنيا والآخرة والآخرة أثراً أمر الآخرة على الدنيا» (٢) وقال عليه السلام «لا يكمل إيمان عبد حتى يكون فيه ثلاث خصال إذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق وإذا رضى لم يبدخه رضاءه في باطل وإذا قدر لم يتناول ما ليس له» (٣) وفي حديث آخر «ثلاث من أوتيهن فقد أوتي مثل ما أوتي آل داود العدل في الرضا والغضب والقصد في التقي والفقر وخشية الله في السر والعلانية» (٤) فلهذه شروط ذكرها رسول الله ﷺ لأولي الإيمان فالعجب بمن يدعى علم الدين ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله أن يحسد ما لا يكون إلا بعد مجاوزة مقامات عظيمة عليه وراء الإيمان ، وفي الأخبار أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه إيماناً أخذ خلق من لا يفتر عن ذكرى ولا يكون له م غم غمى ولا يؤثر على شيء من خلق وإن حرق بالنار لم يجد لحرق النار وجما وإن قطع بالناشير لم يجد لس الحديد إلخ . فمن لم يبلغ إلى أن يرضيه الحب إلى هذا الحد فمن أين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والكشفات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الإيمان ومقامات الإيمان ونهايته في الزيادة والنقصان لا يحصر له ولذلك قال عليه السلام للصديق رضى الله عنه «إن الله تعالى قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن في من أمق وأعطاني مثل إيمان كل من آمن به من ولد آدم» (٥) وفي حديث آخر «إن لله تعالى ثلاثاً خلق من لقيه خلقاً منافع التوحيد دخل الجنة فقال أبو بكر يا رسول الله هل في منها خلق فقال كلها فيك يا أبا بكر وأحب إلى الله السخاء» (٦) وقال عليه السلام

من اختيار الحق قد
يختار تركها حيناً تأسياً
بالأنبياء والصالحين
ويرى أن أخذها في
مقام الزهد فرق أدخل
عليه لموضع ضيقه عن
درك شأو الأقوياء من
الأنبياء والصديقين
فترك الفرق من الحق
بالحق الحق وقد تناوله
باختياره رقا بالنفس
بشديير بسوسة فيه
صرخ الصلم وهذا
مقام التصرف لأقوياء
العارفين زهدوا ثالثاً
بالله كما رغبوا ثانياً بالله
كما زهدوا أولاً له .
[قولهم في الصبر]
قال سهل: الصبر انتظار
الفرج من الله وهو
أفضل الخدمة وأعلاها
وقال بعضهم : الصبر

(١) حديث لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرتة وحتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف ذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طلحة وعلى هذا فموضع فعل ابن أبي طلحة إنما مع من التابعين ولم أجده أصلاً (٢) حديث ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وفيه سالم الرازي ضعفه ابن ميثم والنسائي ووثقه ابن حبان واسم أبيه الواحد (٣) حديث لا يكمل إيمان العبد حتى يكون فيه ثلاث خصال إذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق الحديث الطبراني في الصغير بلفظ ثلاث من أخلاق الإيمان وإسناده ضيف (٤) حديث ثلاث من أوتيهن فقد أوتي مثل ما أوتي آل داود العدل في الرضا والغضب غريب بهذا اللفظ وللرؤف ثلاث منجيات فدكرهن بنحوه وقد تضمن (٥) حديث إنه قال للصديق إن الله قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن في من أمق الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية الحارث الأعور عن علي مع تهديم وتأخير والحارث ضيف (٦) حديث إن لله تعالى ثلاثاً خلق من لقيه خلقاً منها مع التوحيد دخل الجنة الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس مرفوعاً عن الله خلق بضعه عشر وثلاثاً خلق من جاء خلق منها مع شهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة ومن حديث ابن عباس الإسلام ثلاثاً شريعة وثلاث عشرة شريعة

« رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمقي في كفة فرجعت بهم ووضع أبو بكر في كفة وجيء بأمني فوضعت في كفة فرجع بهم (١) » ومع هذا كله قد كان استتراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال « لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لا اتخذت أباً بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله تعالى (٢) » بنى نفسه .

(خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالحبة ينتفع بها)

قال سفيان : الحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الله كرو وقال غيره إثارة المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله إشارة إلى ثمرات الحبة فأما نفس الحبة فلم يتعرضوا لها ، وقال بعضهم الحبة معنى من المحبوب قاهر لقلوب عن إدراكه وتمتع الألسن عن عبارته ، وقال الجليل حرم الله تعالى الحبة على صاحب العلاقة وقال كل حبة تكون بوض فاذا زال الغوض زالت الحبة وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله أحضر أن تدل لغير الله وقيل للشبي رحمه الله صب لنا العارف والحب فقال العارف إن تكلم هلك والحب إن سكنت هلك وقال الشبي رحمه الله :

يا أيها السيد الصبر
يا رافع النوم عن جفوني
هبت لمن يقول ذكرت إلى
أموت إذا ذكرت ثم أحيا
فأحيا بالني وأموت شوقاً
شرمت الحب كأساً بعد كأس
فليت خياله نصب لحيي
حبك بين الحشا مقيم
أنت بما مر في علم
وهل ألسي فأذكر ما نيت
ولولا حسن ظني ما حيت
فكم أحيا عليك وكم أموت
لما نذر الشراب وما رويت
فان قصرت في نظري عمت

وقالت رابعة الدروية يوماً من يذلنا على حبينا قتالت خادمة لها حبينا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى أوحى الله إلى عيسى عليه السلام إنى إذا اطلعت على سر عبيد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملائمة من حي وتوليت . يحفظي وقيل تكلم بمنون يوماً في الحبة فاذا بطائر زل بين يديه فلم يزل ينقر بمقاره الأرض حتى سال الدم منه فمات وقال إبراهيم بن آدم إلى إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندى جناح بعوضة في جنب ما أكرمتني من عبتك وأتسنى بك كرك وفرغني للتفكير في عظمتك . وقال السري رحمه الله من أحب الله عاش ومن مال إلى الدنيا طاش والأحق يقنو ويروح في لاش والمائل عن عوبه فناش وقيل لرابعة كيف حبك للرسول صلى الله عليه وسلم قتالت والله إنى لأحبه حباً شديداً ولكن حب الخالق شغلني عن حب الخالقين وسئل عيسى عليه السلام عن أفضل الأعمال فقال الرضا عن الله تعالى والحب له وقال أبو يزيد الحب لأحب الدنيا ولا الآخرة إنما يحب من مولاه مولاه وقال الشبي الحب دهش في التوجرة في تعظيم وقيل للجنة أنعمو أترك عنك حتى لا يبق فيك شيء راجع منك إليك وقيل الحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح وقال الخواص الحبة عو الارادات واحترق جميع الصفات والحاجات وسئل عن الحبة فقال

وفيه وفي الكبير من رواية المفيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده نحوه بلفظ الايمان وللبزار من حديث عثمان بن عفان إن قاله تعالى مائة وسبع عشرة ثمينة الحديث وليس فيها كلها تعرض لسؤال أبي بكر وجوابه وكلها ضعيفة (١) حديث رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمقي في كفة فرجعت بهم الحديث أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٢) حديث لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لا اتخذت أباً بكر خليلاً الحديث متفق عليه وقد تقدم .

أن تصبر في الصبر
أى لا تطالع فيه
الفرج . قال الله تعالى
والصابرين في البأساء
والضراء وحين البأس
أولئك الذين صدقوا
وأولئك هم المتقون .
وقيل : لكل شيء
جوهر وجوهر الانسان
العقل وجوهر العقل
الصبر فالصبر عرك
النفس وبالعرك تلحق
والصبر نجار في الضابر
يجرى الأنفاس لأنه
يحتاج إلى الصبر فن
كل دمي ومكروه
ومذموم ظاهر وأباطنا
والسلم يدل والصبر
يقول ولا تضع دلاله العبر
بغير قبول الصبر ومن
كان السلم سائسه في
الظاهر والباطن لا يم

عطف الله قلب عبده لمشاهدته بعد الفهم المراد منه وقيل بمعاملة الحب على أربع منازل على المحبة والمهبة والحياة والتظيم وأفضلها التظيم والمحبة لأن هاتين الترتيبين يقينان مع أهل الجنة في الجنة ويرفع عنهم غيرها وقال هرم بن حبان للؤمن إذا عرف به عز وجل أحبه وإذا أحبه أقبل عليه وإذا وجد حلاوة الإقبال عليه لم ينظر إلى الدنيا بين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بين الفترة وهي تحصر في الدنيا وتروحي في الآخرة . وقال عبد الله بن محمد سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول وهي باكية والدموع على خدها جارية والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت للوت يباع لا اشتريته شوقا إلى الله تعالى وحباله قال قلت لها فلي ثقة أنت من عمالك قالت لا ولكن لحبي إياه وحسن ظني به أقتره بغيري وأنا أحبه وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام لو يعلم اللدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لما توار شوقا إليّ وتقطعت أوصالهم من محبي إذا دونه إرادتي في الدبرين عني فكيف إرادتي في القلبين فلي إذا دأب أحوج ما يكون البعد إليّ إذا استغنى عني وأرحم ما يكون ببدي إذا أدير عني وأجل ما يكون عندي إذا رجع إليّ وقال أبو خالد الصفار لقي نبي من الأنبياء عابدا فقال له إنكم معاشرة العباد تعملون على أمر لسنا بمشتر الأنبياء نعمل عليه أتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق . وقال الشبلي رحمه الله أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود كزى لك من جنتي للمطيعين وزيارتى للمتقين وأنا خاصة للمحبين وأوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام يا آدم من أحب حبيبا صدق قوله ومن أنس بحبيبه رضى فله ومن اشتاق إليه جد في مسيره وكان الخواص رحمه الله يضرب على صدره ويقول واشوقه لمن برأى ولا أراه . وقال الجنيد رحمه الله بكى بولس عليه السلام حتى صمى وقام حتى انحنى وصل حتى أقصد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار لحضته إليك شوقا مني إليك وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال سألت رسول الله ﷺ عن سنته فقال للعروة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساس الشوق مركبي وذكر الله أنيس والثقة كنز والحزن رفيق والعلم سلاح والصبر رداء والرضا غنيمتي والعجز غفري وازهد حرقني واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حبي والجهد خلقى وقرة عيني في الصلاة (١) وقال ذواتون سبحان من جعل الأرواح جنودا مجتدة فأرواح المارفين جلالية فقسية فذلك اعتاقوا إلى الله تعالى وأرواح المؤمنين روحانية فذلك حنوا إلى الجنة وأرواح النافقين هوائية فذلك مالوا إلى الدنيا . وقال بعض السابغين رأيت في جبل السكام رجلا أسمر اللون ضئيف البدن وهو يحفز من حجر إلى حجر ويقول :

الشوق والهوى صيراني كما ترى

وقال الشوق ناز الله أشطها في قلوب أوليائه حتى حرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والآراء والعواض والحاجات فهذا القدر كاف في شرح المحبة والأنس والشوق والرضا فلنقتصر عليه والله لا وفق للصواب ثم كتاب المحبة والشوق والرضا والأنس يتلوه كتاب النية والاخلاص والصدق .

(كتاب النية والاخلاص والصدق)

(وهو الكتاب السابع من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمد الله حمد الشاكرين ونؤمن به إيمان اللواتين ونقر بوجدانيته إقرار الصادقين ونشهد أن لا إله

(١) حديث علي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال للعروة رأس مالي والعقل أصل ديني الحديث ذكره القاضي عياض من حديث علي بن أبي طالب ولم أجد له إسنادا .

(كتاب النية والاخلاص والصدق)

ذلك إلا إذا كان الصبر مستقرا وممكنه والعلم والصبر متلازمان كالروح والجسد لا يستقل أحدهما بدون الآخر ومصدرهما الفرقة القلبية وهما متقاربان لا ينفك مصدرهما والصبر يتعامل مع النفس والعلم يشرق الروح وهما البرزخ والفرقان بين الروح والنفس ليستقر كل واحد منهما في مستقره وفي ذلك صريح العدل وحجة الاستدلال واتصال أحدهما عن الآخر أعني العلم والصبر ميل أحدهما على الآخر أعني النفس والروح وبيان ذلك بدق ونهايك شرف

إلا الله رب العالمين وخالق السموات والأرضين ومكلف الجن والأنس والملائكة للقرآن أين يمدوه عبادة المخلصين فقال تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - فانه إلا الله المخلص للتين . فانه أغنى الأغنياء عن شركة للشاركين والصلاة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

[illegible]

(بيان فضيلة النية)

قال الله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والشئ يريدون وجهه والراد بتلك الإرادة هي النية وقال **عليه السلام** «إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة أو مال فليس بهجرة إلى الله» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «أكثر شهداء أمتي أحب القرش ورب قتيل بين الصفيين أفأعلم بنية؟» (٢) وقال تعالى - إن يريدوا إصلاحا يوفى الله بينهم - فجعل النية سبب التوفيق وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (٣) «وإنما نظر إلى القلوب لأنها مظنة النية» وقال صلى الله عليه وسلم «إن البذل يعمل أفعالا حسنة تصعد للآخرة في صحف عظمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول آتوا هذه الصحيفة فإنه لم يرد بها فيها وجهي ثم ينادي لللائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا وكذا فيقولون ياربنا إنه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول الله تعالى إنه نواه» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «الناس أربعة رجل آتاه الله عز وجل علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهماني الأجر سواء ورجل آتاه الله تعالى مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بعلمه في ماله فيقول رجل لو آتاني الله مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهماني الوزر سواء» (٥) «الآخرة كلف شركه بالنية في محاسن عمله

(١١) حديث إنما الأعمال بالنيات الحديث متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (٢) حديث أكثر شهداء أمي أصحاب القرش ورب قتيل بين الصفيين الله أعلم بنيته أحمد من حديث ابن مسعود فيه عبد الله بن لهيعة (٣) حديث إن الله لا ينظر إلى صوركم أموالكم الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث إن المبدل يعمل أعمالا حسنة فتصعد بها للجنة الحديث الدار قطن من حديث أنس باسناد حسن (٥) حديث الناس أربعة رجل آتاه الله علما ومالا الحديث ابن ماجه

الصبر قوله تعالى - إنما
يوفى الصابرون أجرهم
بغير حساب - كل أجور
أجره بحساب وأجر
الصابرين بغير حساب.
وقال الله تعالى لئن لم
- وأصبر وأصابرك
الإبالة - أضاف الصبر
إلى نفسه لشرف
مكانه وتكمل النعمة
به . قيل وقف رجل
على الشبل فقال أما
صبر أهدى الصابرين
فقال الصبر في الله قال
لا فقال الصبر فقال لا ،
فقال الصبر مع الله
فقال لا ، فغضب الشبل
وقال ويحك أي شيء
هو فقال الرجل الصبر
عن الله قال فصرخ
الشبل صرخة كاد أن
تلتف روحه . وعندي

ومساويه وكذلك في حديث أنس بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك دل
 «إن» بالمدينة أقواما ماطعنا وأديا ولاوطنا موطننا يغيظ الكفار ولا تفقنا ثقة ولا أماننا بخدمة إلا
 شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حسبهم العذر فسر كوا بحسن
 النية (١) وفي حديث ابن مسعود «من هاجر يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل تزوج امرأة منافكان
 يسمى مهاجرا مقيس (٢) وكذلك جاء في الخبر «إن رجلا قتل في سبيل الله وكان يدعى قتيلا الحمار (٣)»
 لأنه قاتل رجلا يأخذ سلبه وسحاره قتل على ذلك فأضيف إلى نيته وفي حديث عبادة عن النبي صلى
 الله عليه وسلم «من غزا وهو لا يبتغي إلا عقلا فله ما نوى (٤)» وقال أبي «استغنت رجلا يزومعي
 فقال لآحق تجعل لي جلا فجمعت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من أيام وأخرته
 إلا ما جمعت له (٥)» وروى في الأسر اثبات أن رجلا من كتيبان من رمل في جماعة فقال في نفسه لو كان
 هذا الرمل طعاما لتسحقه بين الناس فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن قله إن الله تعالى قد قبل صدرك و قد
 شكر حسن نيتك وأعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدق به ، وقد ورد في أخبار كثيرة «من هم بحسنة
 ولم يعملها كتبت له حسنة (٦)» وفي حديث عبدالله بن عمرو «من كانت الدنيا نيته جعل الله قفره
 بين عينيه وفارقها أرغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله تعالى غناه في قلبه وجمع عليه
 ضيقه وفارقها أزهى ما يكون فيها (٧)» وفي حديث أم سلمة «أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا
 يخشع بهم البيداء فقلت يا رسول الله يكون فيهم للسكره والأجبر فقال يحشرون على نياتهم (٨)»
 وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إنما يتل القاتلون على النيات (٩)»
 وقال عليه السلام «إذا اتقى الصفاق نزلت للملائكة تسكتب الحقائق على مراتبهم فلان يقال للدنيا
 فلان يقابل حمية فلان يقابل عصية ألا فلا تهلوا فلان قتل في سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله
 من حديث أبي كبشة الأنماري بسند جيد بلفظ مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر الحديث وقد تقدم
 ورواه الترمذي بزيادة وفيه وإثما الدنيا لأربعة نفر الحديث وقال حسن صحيح (١) حديث نس إن
 بالمدينة أقواما ماطعنا وأديا الحديث البخاري مختصرا وأبو داود (٢) حديث ابن مسعود من هاجر
 يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل تزوج امرأة منافكان يدعى قتيلا الحمار (٣) حديث
 إن رجلا قتل في سبيل الله فكان يدعى قتيلا الحمار (٤) حديث من غزا وهو لا يبتغي إلا عقلا فله ما نوى الحديث من حديث عبادة
 في السنن من وجه مرسل (٥) حديث أبي استغنت رجلا يزومعي فقال لآحق تجعل لي جلا فجمعت له
 فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه وأخرته إلا ما جمعت له الحديث في مسند الشاميين
 ولأبي داود من حديث بلي بن أمية أنه استأجر أعجرا للغزو وصحى له ثلاثة دنائير فقال النبي صلى الله
 عليه وسلم ما أجده في غزوته هذه في الدنيا والآخرة إلا دنائيره التي صحى (٦) حديث من هم بحسنة فلم
 يعملها كتبت له حسنة متفق عليه وقد تقدم (٧) حديث عبدالله بن عمرو «من كانت الدنيا نيته جعل
 الله قفره بين عينيه الحديث ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بإسناد جيد قوله وفارقها أرغب
 ما يكون فيها ودون قوله وفارقه أزهى ما يكون فيها وفيه زيادة ولم أجده من حديث عبدالله بن
 عمرو (٨) حديث أم سلمة في الجيش الذي يخشع بهم يحشرون على نياتهم مسلم وأبو داود وقد تقدم
 (٩) حديث إنما يقتل القاتلون على النيات إن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص والنية من حديث عمر
 إسناد ضعيف بلفظ إنما يبعث وروناه في فوائد تمام بلفظ إنما يبعث للسلوك على النيات ولأبي
 ماجه من حديث أبي هريرة إنما يبعث الناس على نياتهم وفيه إثبات أبي سليم مختلف فيه .

في معنى الصبر عن الله
 وجهه ولو كونه من أشد
 الصبر على الصابرين
 وجه وذلك أن الصبر
 عن الله يكون في أقصى
 مقامات المشاهدة يرجع
 العبد عن الله استحياء
 وإجلالا وتطوق
 بصيرته خج ذوبانا
 ويشيب في مفارقه
 استنكاته وتخفيه
 لإحساسه بعظيم أمر
 التجلي وهذا من أشد
 الصبر لأنه يود استدامة
 هذا الحال تأدية لحق
 الجلال والروح تود أن
 تسكن بصيرتها
 باستلحاق نور الجلال
 وكما أن النفس تنازع
 لمعوم حال الصبر
 فالروح في هذا الصبر
 تنازع فاشتد الصبر

هي العليا فهو في سبيل الله (١) وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «يمت كل عبد على مامات عليه (٢) وفي حديث الأنصف عن أبي بكره «إذا التقى المسلمان ببغيةما فالقاتل وللقاتول في النار قيل يا رسول الله هلنا القاتل لما بال القاتول ؟ قال لأنه أراد قتل صاحبه (٣) وفي حديث أبي هريرة «من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي أدائه فهو زان وعن أذان هينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «من تطيب قلبه تعالى جاد يوم القيامة وريحه أطيب من السك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنث من الجيفة (٥) » .

وأما الآثار : فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أفضل الأعمال أداما ما اقترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصديق النية فيما عهد الله تعالى ، وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز اعلم أن عون الله تعالى لأبيه على قدر النية فمن تحت نيته تم عون الله له وإن قصت نفس يقدره . وقال بعض السلف : رب عمل صغير تنظمه النية ورب عمل كبير تصنعه النية . وقال داود الطائي البرجمية الخوى فلو علمت جميع جوارحه بالنية لردته نيته يوما إلى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك . وقال الثوري : كانوا يعملون النية للعمل كل يعملون العمل . وقال بعض العلماء : اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فأنت بخير ، وكان بعض الزيديين يطوف على العلماء يقول من يدني على عمل لا أزال فيه عاملا لله تعالى فاني لأحب أن يأتي على ساعتي ليل أو نهار إلا وأنا عامل من عمال الله قليله قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فإذا قرت أو تركته فهم بعمله فإن الهام بعمل الخير كماله ، وكذلك قال بعض السلف : إن نعمة الله عليكم أن كنتم من أن تحسوها وإن ذنوبكم أخفى من أن تغفوها ولكن أصبحوا أتواين وأمسوا أتواين يخبر لكم ما بين ذلك . وقال عيسى عليه السلام : طوبى لمن نامت ولاهم بحسبوا انتهت إلى غير نية . وقال أبو هريرة : يمشون يوم القيامة على قدر نياتهم ، وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ سورة البقرة حتى يعلم المجاهدين منكم والصابرين ونيلو أخباركم - يعني ورددها ويقول : إنك إن يوتاهم فتنوا وتحتك أستأثرنا . وقال الحسن : إنما خلق أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيات . وقال أبو هريرة : مكتوب في التوراة ما أريد به وجهي قليله كثير وما أريد به غيري فكثيره قليل . وقال بلال بن سعد : إن العبد يقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله فإذا عمل لم يدعه الله حتى ينظر في ورعه فإن تورع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى فإن صلحت نيته فبالحرى أن يصلح عمله ذلك ، فاذن عماد الأعمال النيات فالصالح مفتقر إلى النية ليعبر بها خيرا والنية في نفسها خير وإن صدق العمل بالنية .

(بيان حقيقة النية)

اعلم أن النية والإرادة والتصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة القلب يكتنفها (١) حديث إذا التقى الصفان نزلت للأنكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان قاتل قاتل الدنيا الحديث ابن المبارك في الزهد موقوفا على ابن مسعود وآخر الحديث مرفوع في الصحيحين من حديث أبي موسى من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٢) حديث جابر يمت كل عبد على مامات عليه رواه مسلم (٣) حديث الأنصف عن أبي بكره «إذا التقى المسلمان ببغيةما فالقاتل وللقاتول في النار متفق عليه (٤) حديث أبي هريرة من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي أدائه فهو زان أحمد من حديث حبيب . ورواه ابن ماجه مقتصر على قصة الدين دون ذكر الصداق (٥) حديث من تطيب له جاء يوم القيامة وريحه أطيب من السك الحديث أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة من حديث إسحق بن أبي طلحة فريلا .

عن الله تعالى ذلك .
وقال أبو الحسن بن
سالم هم ثلاثة متصبر
وصابر وصابر فالمتصبر
من صبر في الله لفره
يسبر ومرة يهزج
والصابر من يصبر في
الله وقه ولا يهزج
ولكن تتوقع منه
الشكوى وقد يمكن
منه الجزع وأما الصابر
فذلك الذي صبره في
الله وقه وبالله فهذا لو
وقع عليه جميع البلايا
لا يهزج ولا يتغير من
جهة الوجود والحقيقة
لامن جهة الرسم
والحقيقة وإشارته في
هذا ظهور حكم العلم
فيه مع ظهور صفة
الطبيعة . وكان
الشبلي يمثل بهذين
البيتين :

أمران : علم وعمل العلم يقدمه لأنه أصله وشرطه والعمل يقبضه لأنه ثمرته وفرعه وذلك لأن كل عمل أعنى كل حركة وسكون اختياري فانه لا يتم إلا بثلاثة أمور : علم وإرادة وقدرة لأنه لا يريد الإنسان ما لا يملكه فلا بد وأن يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من إرادة ومعنى الإرادة انبعاث القلب إلى ما يراه موافقا للفرض إما في الحال أو في الآل قد خلق الإنسان بحيث يوافق بعض الأمور وبلائهم غرضه ويخالقه بعض الأمور فيحتاج إلى جلب للآل الموافق إلى نفسه ودفع الضار للناس عن نفسه فافترق بالضرورة إلى معرفة وإدراك الشيء الضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يصبر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه أن يتناول ومن لا يصبر النار لا يمكنه الحرب منها خلق الله الهداية والعرفة وجعل لها أسبابا وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو أبصر الغذاء وعرف المرض يرى الغذاء ويعلم أنه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والليل ولقد دعاة الحركة إليه خلق الله تعالى له الليل والرغبة والإرادة وأعنى به زوفا في نفسه إليه وتوجها في قلبه إليه ثم ذلك لا يمكنه فك من مشاهد طعاما راضب فيه يريد تناوله عاجز عنه لكونه زما خلقت له القدرة والأعضاء لتحركة حتى يتم به التناول والعوض لا يتحرك إلا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والعرفة أو الظن والاعتقاد وهو أن يقوى في نفسه كون الشيء موافقا له فاذا جزمتم المعرفة بأن الشيء موافق ولا بد وأن يفعل وسلبت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبثت الإرادة وتحقق الليل فاذا انبثت الإرادة انتهت القدرة لتحريك الأعضاء فالقدرة خادمة للإرادة والإرادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالتية عبارة عن الصفة التوسطية وهي الإرادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والليل إلى ما هو موافق للفرض إما في الحال وإما في الآل فالحركة الأولى هو الفرض المطلوب وهو الباعث والفرض الباعث هو المقصد النبوي والانبعاث هو الاقتصاد والنية والنباهة القدرة لخدمة الإرادة بتحريك الأعضاء هو العمل إلا أن انتباه القدرة للعمل قد يكون يباعث واحد وقد يكون يباعثين اجتماعا في فعل واحد وإذا كان يباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان مليا لينهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه إلا بالاجتماع وقد يكون أحدهما كافيا لولا الآخر لكن الآخر انتهى ضاذا له ومعاوننا فيخرج من هذا التقسيم أربعة أقسام فلنذكر لكل واحد مثالا وإسما . أما الأول . فهو أن يفرد الباعث الواحد ويتجرد كما إذا هجم على الإنسان سبع فكلما رآه قام من موضعه فلا مزعج له إلا غرض الحرب من السبع فانه رأى السبع وعرفه مشارا فانبعثت نفسه إلى الحرب ورضيت فيه فاتهت القدرة كاملة بتمتضي الانبعاث فيقال نية الفرار من السبع لانية له في القيام لغيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها إخلاصا بالإضافة إلى الفرض الباعث ومعناه أنه خلص عن مشاركة غيره وممازجته . وأما الثاني : فهو أن يجتمع باعثن كل واحد مستقل بالإنهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس أن يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوة كان كافيا في الجمل لو انفرد ومثاله في غرضنا أن يسأل قريه الفقير حاجته فيقضيها الفقير ومقرابته وعلم أنه لو لا قومه لكان يقضيها بمجرد القرابة وأنه لو لا قريته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بأنه يحضره قريب غنى فيرغب في قضاء حاجته وقدر أجني فيرغب أيضا فيه وكذلك من أمره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فقام وهو يعلم أنه لو لم يكن يوم عرفة لكان يترك الطعام حية ولو لا الحجة لكان يتركه لأجل أنه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فأقدم على الفعل وكان الباعث الثاني رفيق الأول فلنسم هذا مراقبة للباعث : والثالث : أن لا يستقل كل واحد لو انفرد

إن صوت الحب من
ألم الشو
في وخوف الفراق
يورث ضرا
صار الصبر فاستغاث
به الصبر
ر ناصح الحب للصبر
صبرا
قال جعفر الصادق
رحمه الله أمر الله تعالى
أنبياءه بالصبر وجعل
الحظ الأمل للرسول
صلى الله عليه وسلم
حيث جعل صبره بالله
لأنفسه فقال
وما صبرك إلا بالله -
وسئل السري عن
الصبر فتكلم فيه فذهب
على رجله عقرب فجعل
يضربه بإرته فقبل لهم
لأنه قد قال أستحي
من الله تعالى أن أتكلم

ولكن قوى مجموعهما على إتهاض القدرة ومثاله في المحسوس أن يتعاون ضعيفان على حمل ما لا يتفرد أحدهما به ومثاله في غرضنا أن يقصده قريبه النني فيطلب درهما فلا يسطيه ويقصده الأجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يسطيه ثم يقصده القريب الفقير فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقير وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لترض الثواب ولترض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يثمه مجرد قصد الثواب على السطاء ولو كان الطالب فاسقا لاثواب في التصديق عليه لكان لا يثمه مجرد الرياء على العطاء ولو اجتمعا أورتا بمجموعهما تحريك القلب ولتتم هذا الجنس مشاركة . والرابع : أن يكون أحد الباعثين مستقلا لو اتفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف إليه لم يفك عن تأثيره بالإعانة والتيسيل . ومثاله في المحسوس أن يماون الضيف الرجل التوى على الحل ولو اتفرد القوى لاستقل ولو اتفرد الضيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه . ومثاله في غرضنا أن يكون للإنسان ورد في الصلاة وعادة في الصدقات فانفق أن حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل أخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه أنه لو كان منفردا خاليا لم يفر عن عمله وعلم أن عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء بحمله عليه فهو حوب تطرق إلى الية ولتتم هذا الجنس للمعاونة فالباعث الثاني إما أن يكون رفيقا أو شريكا أو معينا وستذكر حكمها في باب الاخلاص والترض الآن بيان أقسام النيات فإن العمل تابع لباعث عليه فيكتب الحكم منه ولذلك قول إنما الأعمال بالنيات لأنها تابعة لحكم لها في نفسها وإنما الحكم للتبوع .

(بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم : نية المؤمن خير من عمله (١))

اعلم أنه قد بين أن حجب هذا الترجيع أن الية سر لا يطلع عليه إلا الله تعالى والعمل ظاهر ولعمل السر أفضل وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد لأنه لو توى أن يذكر الله قلبه أوتيه شكر في مصالح المسلمين فيقتضى عموم الحديث أن تكون نية التفكير خيرا من التفكير وقد بين أن سبب الترجيع أن الية تدوم إلى آخر العمل والأعمال لا تدوم وهو ضيف لأن ذلك يرجع معناه إلى أن العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية أعمال الصلاة قد لا تدوم إلا في لحظات معدودة والأعمال تدوم والمعموم يقتضى أن تكون نيته خيرا من عمله وقد يقال إن معناه أن الية بمجرد خيره من العمل بمجرد دون الية وهو كذلك ولكنه بعيد أن يكون هو المراد إذا العمل بالنية أو طي الثقة لآخر فيه أصلا والنية بمجرد خيره وظاهر الترجيع للمشاركين في أصل الخير بل المني به أن كل طاعة تنتظم بنية وعمل وكانت الية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن الية من جملة الطاعة خيره من العمل أي لكل واحد منهما أثر في القصد وأثر الية أكثر من أثر العمل لقضاء نية المؤمن من جملة طاعته خيره من عمله الذي هو من جملة طاعته والترض أن للبعد اختيارا في الية وفي العمل فهما إعلان والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه وأما سبب كونها خيرا ومترجحة على العمل فلا يفيته إلا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ الطرق في الاتصال إلى القصد وقاس بين الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الأرجح بالإضافة إلى القصد فحقن قال الخبز خير من الفاكهة قائما معنى به أنه غير بالإضافة إلى مقصود الثواب والاعتناء ولا يفيهم ذلك إلا من فهم أن للقاء مقصدا وهو الصفة والبقاء وأن الأغذية مختلفة الآثار فيها وفهم أثر كل واحد وقاس بعضها ببعض

(١) حديث نية المؤمن خيره من عمله الطبراني من حديث سهل بن سعد ومن حديث الثواس ابن صمان وكلاما ضعيف .

في حال ثم أخالف ما أمركم فيه . أخبرنا أوزعرة بإجازة أن يكرن خلف إجازة عن أبي عبد الرحمن قال سمعت محمد بن خالد يقول سمعت الفرغاني يقول سمعت الجنييد رحمه الله يقول إن الله تعالى أكرم المؤمنين بالإيمان وأكرم الأيمان بالعقل وأكرم العقل بالصبر فالإيمان زين للؤمن والعقل زين الإيمان والصبر زين العقل وأنشد عن إبراهيم الحفص رحمه الله :
صبرت على بعض
الأذى خوف كله
ودافعت عن نفسي
لنفسى ففرت

فالطاعات غذاء القلوب ، والقصود غمًاؤها وقاؤها وسلامتها في الآخرة ومسامحتها وتمتعها ببقاء الله تعالى . فالقصد لغة السعادة بقاء الله قطع ولن يتم بقاء الله إلا من مات بها لله تعالى عارفاً بالله ولن يحبه إلا من عرفه ولن يأمن به إلا من طال ذكره له ، فالأمن يحصل بدوام الذكر والعرفة تحصل بدوام الفكر ؛ والنية تتبع للعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الفكر والفكر إلا إذا فرغ من شواغل الدنيا ، ولن يتفرغ من شواغلها إلا إذا انقطع عنه شهاؤها حتى يصير مقللاً إلى الخير مريداً له نافراً عن الشر مبتغياً له وإعجاباً إلى الخيرات والطاعات إذا علم أن معادته في الآخرة منوط بها كما يعيل المائل إلى القصد والعجالة لعله بأن سلامته فيها ، وإذا حصل أصل الليل بالعرفة قائماً يقوى بالعمل بمقتضى الليل وللواظية عليه فإن الواظية على مقتضى خفات القلب وإرادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترسخ الصفة وتتقوى بسببها فالأمثال إلى طلب العلم أو طلب الرياسة لا يكون ميلة في الابتداء الإضعاف ، فإن اتبع مقتضى الليل واختنق بالعلم وتروية الرياسة والأعمال للطلوبة لذلك تأكد ميلة ورسخ وحسر عليه التزوع وإن خالف مقتضى ميلة ضعف ميلة وانكسر ودعا زال وانعقد بن الذي ينظر إلى وجه حسن مثلاً فيميل إليه طبعه ميلاً ضعيفاً لو تيممه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمخالطة تأكد ميلة حتى يخرج أمره عن اختياره فلا يشترط على التزوع منه ، ولو ظلم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميلة لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الليل ويكون ذلك ذنباً ودفعاً في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه ويقمع وينحى وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي تراد بها الآخرة والفرور كلها هي التي تراد بها الدنيا والآخرة ، ويميل النفس إلى الخيرات الأخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتأكد ذلك إلا بالواظية على أعمال الطاعة وترك للعاصي بالجوارح لأن بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى إنه يتأثر كل واحد منهما بالآخر فترى الضو إذا أصابته جراحة تألم بها القلب وترى القلب إذا تألم بلمحه يموت عزيز من أعزته أو بهجوم أمر غوف تأثرت به الأعضاء وارتعدت القرائض وتغير اللون إلا أن القلب هو الأصل للتبوع فكأنه الأمير والراعي والجوارح كالخدم والوعاء والاتباع ، فالجوارح خادمة للقلب بتأكيد صفاتها فيه فالقلب هو للقصود والأعضاء آلات موصلة إلى القصود ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد» (١) وقال عليه الصلاة والسلام «اللهم أصلح الراعي والريعية» (٢) وأراد بالراعي للقلب ، وقال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولدمائها ولكن يناله التقوى منك - وهي صفة القلب ، فمن هذا الوجه يجب لاهالة أن تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح ، ثم يجب أن تكون النية من جملة أفضل لأنها عبارة عن ميل القلب إلى الخير وإرادته له . وفرغنا من الأعمال بالجوارح أن يعود القلب إرادة الخير ويؤكد فيه الميل إليه ليفرغ من شهاوت الدنيا ويكسب على الذكر والفكر فيا بالضرورة يكون خيراً بالاضافة إلى الفرض لأنه متمكن من نفس المقصود ، وهذا كان للعدة إذا تأملت فقد تدادى بأن يوضع الطلاب على الصدر وتدأوى بالكرب والنواء الواصل إلى المعدة ، فالشرب خير من طلاء الصدر لأن طلاء الصدر أيضاً إنما أريد به أن يسري منه الأثر

وجرعها للكروه حتى تدرت ولولم أجرعها إذن لاشمأزت الأرب ذلساق للنفس عزة ويارب نفس بالتدال عزت إذا ما دودت الكف النفس التي إلى غير من قال أسألوني فقلت سأصبر جهدي إن في الصبر عزة وأرضى بدنياي وإن هي قلت قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله : ما أقدم الله على عبد من نعمة ثم انتزعها ففاضه مما انتزع منه الصبر إلا كان ماعاضه خيراً

(١) حديث إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد متفق عليه من حديث النعمان بن بشير وقد تقدم (٢) حديث اللهم أصلح الراعي والريعية تقدم ولم أجده .

إلى المدة ، فما يلاقى عين المدة فهو خير وأصح فهكذا ينبغي أن تفهم تأثير الطاعات كلها ، إذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها قسط دون الجوارح ، فلا تظن أن في وضع الجبهة على الأرض غرضاً من حيث إنه جمع بين الجبهة والأرض بل من حيث إنه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب لأن من يجد في نفسه تواضعاً ، فإذا استكان بأعضائه وصورها بصورة التواضع تأكد تواضعه ، ومن وجد في قلبه رقة على يقيم فإذا مسح رأسه وقبله تأكدت الرقة في قلبه ، ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيداً أصلاً لأن من مسح رأس يقيم وهو غافل بقلبه أو ظان أنه مسح قوباً لم ينتشر من أعضائه أثر إلى قلبه لتأكيد الرقة وكذلك من يسجد غافلاً وهو مشغول بغيره بأعراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعه على الأرض أثر إلى قلبه ، يتأكد به التواضع ، فكان وجود ذلك كدمنه وما سواه وجوده بغيره بالإنضافة إلى الغرض المطلوب منه يسمى باطلاً فيقال العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه إذا فصل عن غفلة ، فإذا قصد به رياء أو تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كدمنه بل زائده شراً فإنه لم يؤكد الصفة المطلوب تأكيدها حتى أكد الصفة المطلوب منها وهي صفة الرياء التي هي من لئيل إلى الدنيا فهذا وجه كون النية خيراً من العمل ، وبهذا أيضاً يبرهن معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من هم بحسنة فلم يصلها كتبت له حسنة » لأن هم القلب هو ميله إلى الخير وانصرافه عن الهوى وحسب الدنيا وهي غاية الحسنات وإنما الانتماء بالعمل بربها تأكيدها فليس التصود من إراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبطلانها بإثارة لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وإن عاقب عن العمل عاقب فإن قال الله الهوى ما ولا دعاؤها ولكن يناله التقوى منكم ، والتقوى ههنا أعني القلب وذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن قوماً بالغوا في قدس كونا في جهادنا » كما تقدم ذكره لأن قلوبهم في صدق إرادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة وإعلاء كلمة الله تعالى كقلوب الحارثيين في الجهاد وإنما ما تقوم به بالبدان لوائق تخص الأسباب الخارجية عن القلب وذلك غير مطلوب إلا لتأكيد هذه الصفات وبهذه المعاني تضم جميع الأحاديث التي أو ردها في فضيلة النية فأعرضنا عنها لينكشف لك أسرارها فلا تطول بالإعادة .

(بيان تفصيل الأعمال للطلقة بالنية)

اعلم أن الأعمال وإن انقسمت أقساماً كثيرة فمن قتل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك بما لا يحصى إحسانه واستقصاؤه فهي ثلاثة أقسام طاعات ومعاصي ومباحات . القسم الأول : المعاصي وهي لا تنتم عن موطنها بالنية فلا ينبغي أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام « إنما الأعمال بالنيات » فيظن أن للصية تغلب طاعة بالنية كاذبي ينتاب انساناً مراعاة لقلب غيره أو يطعم فقيراً من مال غيره أو يبنى مدرسة أو مسجداً أو رابطاً بمال حرام وقصد الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في إخراجها عن كونها ظاهراً وعدواناً ومحبة بل قصد الخير بالشر في خلاف مقتضى الشرع شر آخر ، فإن عرفه فهو معاند للشرع وإن جهه فهو حاس وجهه إذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات إنما يعرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن أن يكون الشر خيراً هيئات بل للروح لذلك على القلب حتى الشهوة وباطن الهوى فإن القلب إذا كان مائلاً إلى طلب الجاهل واستمالة القلوب الناس وسائر خطوط النفس توسل الشيطان به إلى التلبس على الجاهل ولذلك قال سهل رحمه الله تعالى : معاصي الله تعالى بتعصية أعظمهم الجهل . قيل يا أبا محمد هل تعرف شيئاً أشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لأن الجهل بالجهل يمد بالكلية باب التعمق فمن يظن بالكلية بنفسه أنه عالم فكيف يتعمق وكذلك أفضل ما أطيع الله تعالى به العلم ورأس العلم العلم بالعلم كما أن رأس الجهل الجهل بالجهل

بما انزعه منه وأنشد
لسنن :

تجبرعت من حاله
نعمي وأبوسا

زماناً إذا أجرى عزاليه
احتس

فكم غيرة قد جرعني
كؤوسا

فجرعته من هجر صبري
أكؤوسا

تدرعت صبري
والتحفت صروفه

وقلت لنفس الصبر أو
فاهلك أسى

خطوب لوان الشم
زاحن خطبها

لساخت ولم تدرك لها
الكف ملسا

[قولهم في الفقر] قال
ابن الجلاء : الفقر أن

لا يكون لك فإذا كان
لك لا يكون لك حق

فإن من لا يلمس النافع من العلم الضار اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم للزخرفة التي هي وسائلهم إلى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم وللقصود أن من قصد الخير محبسة عن جهل فهو غير معذور إلا إذا كان قريب العهد بالسلام ولم يجد مبدأ مهلة للتعلم ، وقد قال الله سبحانه - فاستلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يلدنر الجاهل على الجهل ولا يعل للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه » (١) » وتقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد وللدارس بالمال الحرام تقرب العلماء بالسوء بتعليم العلم للسفهاء والأشرار للشغول بالفسق والقجور القاصرين همهم على عمارة العلماء ومباراة السفهاء واستاة أوجوه الناس وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين واليتامى والسكاكين فان هؤلاء إذا تعلموا كانوا قاطع طريق الله وانهض كل واحد منهم في بلدته نالبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرى الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله ثم قد ينتشر ذلك العلم إلى مثله وأمثاله ويتخذونه أيضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووبال جميعه يرجع إلى العلم الذي عده العلم مع علمه فساد نيته وقصده ومشاهدته أنواع المعاصي من أقواله وأفعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة في العالم ألف سنة مثلا وألبي سنة وطوبى لمن إذا مات مات معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول « إنما الأعمال بالنيات » وقد صدقت بذلك نبر علم الدين « إن استعمله هو في الفساد فالخصية منه لافى وما قصدت به إلا أن يستعين به في الخير وإنما حب الرئاسة والاستتباع والتفاخر بصلو العلم بحسن ذلك في قلبه والشيطن بواسطة حب الرئاسة يلبس عليه وليت شعري ما جوابه ممن وهب سيفا من قاطع طريق وأعد له خيلا وأسيابا يستعين بها على مقصوده ويقول إنما أردت البذل والسخاء والتخلق بأخلاق الله الخلية وقصدت به أن يضرب هذا السيف والقرص في سبيل الله فإن إعداد الخيل والرباط والقوة فقرة من أفضل القربات فان هو صرفه إلى قطع الطريق فهو المعاصي وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك حرام مع أن السخاء هو أحب الأخلاق إلى الله تعالى حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله تعالى ثلثة خلق من تقرب إليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء » (٢) قلت شعري لم حرم هذا السخاء ولم يجب عليه أن ينظر إلى قرينة الحال من هذا الظالم فإذا لاح له من عاداته أنه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي أن يسعى في سلب سلاحه لا أن يمد به غيره والعلم سلاح يقاتل به الشيطان وأعداء الله وقد يعاون به أعداء الله عز وجل وهو الهوى فمن لا يزال مؤثرا لنهياه على دينه وهواه على آخرته وهو عاجز عنها فقله فضله فكيف يجوز إمداده بنوع علم يتمكن به من الوصول إلى شهواته بل لم يزل علماء السلف رحمهم الله يتفقدون أحوال من يتردد إليهم فلو رأوا منه نصيرا في نقل من التوافل أنسكروه وتركوا إكرامه وإذا رآوا منه فجورا واستحلال حرام هجره وقوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لهم بأن من تعلم مسألة ولم يعمل بها وجاوزهها إلى غيرها فليس يطلب إلا آلة الشر وقد تود جميع السلف بالله من العاجز العالم بالسنة واتخذوا من الفاجر الجاهل - حكى عن بعض أصحاب أحمد بن حنبل رحمه الله أنه كان يتردد إليه سنين ثم اتفق أن أعرض عنه أحمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تهميره عليه وهو

نؤثر . وقال السكاني إذا صح الافتقار إلى الله تعالى صح التقى بالله تعالى لأهم حالان لا يتم أحدهما إلا بالآخر . وقال النووي : نصت الفقهاء السكون عند العدم والبذل عند الوجود . وقال غيره : والاضطرار عند الوجود . وقال الدراج فقتت كنف أستاذي أريد محلة فوجدت فيها قطعة تحجرت ، فلما جاء قلت له : إني وجدت في كنفك هذه القطعة . قال قد رأيتها ردها ثم قال خذها واشتر بها شيئا فقلت : ما كان أمر هذه القطعة بحق معبودك فقال ما رزقني

(١) حديث لا يلدنر الجاهل على الجهل ولا يعل للجاهل أن يسكت على جهله الحديث الطبراني في الأوسط وابن السني وأبو نعيم في رياضة التلعدين من حديث جابر بسند ضعيف دون قوله لا يلدنر الجاهل على الجهل وقال لا يئيني بدل ولا يعل وقد تقدم في العلم (٢) حديث إن لله ثلثة خلق من تقرب إليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء تقدم في كتاب الحبة والشوق .

لا يذكره حتى قال بلفظ أنك طيئت حائط دارك من جانب الشارع وقد أخذت قدر سمك الطين وهو
 أمثلة من شارع للسلمين فلا يصلح لنقل العلم فيكم كما كانت مراقبة السلف لأحوال طلاب العلم وهذا
 وأمثاله مما يلبيس على الأغبياء وأتباع الشيطان وإن كانوا أبواب الطيالة والأكام الواسمة وأصحاب
 الألسنة الطويلة والفضل الكثير، أعنى الفضل من الصلوات التي لا تشمل على التحذير من الدنيا
 والزرع عنها والترغيب في الآخرة والمجاهدة إليها بل هي العلوم التي تتعلق بالحق ويتوصل بها إلى جمع
 الحطام واستتباع الناس والتقدم على الأقران فأذن قوله عليه السلام «إنما الأعمال بالنيات» يختص
 من الأقسام الثلاثة بالطاعات واللباحات دون لما سوى إذا الطاعة تنقلب معصية بالقصد واللباح ينقلب
 معصية وطاعة بالقصد فأما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد أصلاً، نعم لنية دخل فيها وهو أنه إذا انضاف
 إليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة. القسم الثاني الطاعات
 وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها وفي تضاعف فضلها. أما الأصل فهو أن ينوي بها عبادة الله تعالى
 لا غير فإن نوى الرياء صارت معصية وأما تضاعف الفضل فيكثرة النيات الحسنة فإن الطاعة الواحدة
 يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب إذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل
 حسنة عشر أمثالها (١) كما ورد به الخبر ومثاله الصدقات في المسجد فإنه طاعة ويمكن أن ينوي فيه نيات
 كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال التقيين ويبلغ به درجات للقرين أولها أن يعتقد أنه بيت الله
 وأن داخله زائر الله فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
 «من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على الزور إكرام زاره» (٢) وثانيها أن ينتظر الصلاة
 بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله تعالى - وربطوا - وثالثها الترهيب
 بكف السمع والبصر والأعضاء عن الحركات والترددات فإن الاعتكاف كعب وهو في معنى الصوم وهو
 نوع ترهب، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رهبانية أمتي القعود في المساجد» (٣) ورابعها
 عكوف الهم على الله والزم السر للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال إلى المسجد
 وخامسها التجرد فذكر الله أو الاحتياج ذكره وللتذكر به كما روى في الخبر «من غدا إلى المسجد ليذكر
 الله تعالى أو يذكره كان كالجاهد في سبيل الله تعالى» (٤) وسادسها أن يقصد إفادة العلم بالمرء يعرف
 ونهى عن منكر إذ المسجد لا يخلو عن يسر صلواته أو يتعاطى ما لا يحل له فيأمره بالمعروف وينهى
 إلى الدين فيكون شريكاً معه في خيره الذي يعلم منه فتضاعف خيراؤه. وسابعها أن يستفيد أخا
 في الله فإن ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة وللمسجد معشش أهل الدين المحبين لله وفي الله. وثامنها
 أن يترك الذنوب جياء من الله تعالى وحياء من أن يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمه،
 وقد قاله الحسن بن علي رضي الله عنهما: من أدين الاختلاف إلى المسجد رزقه الله إحدى سبع
 خصال أخا مستفاداً في الله أو راحة مستنزلة أو علماً مستظرفاً أو كلة تملأ على الهدى أو تصرفه

الله تعالى من الدنيا
 سفراء ولا يضيء
 غيرها فأردت أن
 أوصي أن تشد في كفي
 فأردتها إلى الله وقال
 إبراهيم الخواص الفقير
 رداء الشرف ولباس
 المرسلين وجلباب
 الصالحين. وسئل
 سهل بن عبد الله عن
 الفقير الصادق فقال
 لا يسأل ولا يرد ولا
 يحبس. وقال أبو علي
 الروذباري رحمه الله
 سألتني الزقاق فقال
 يا أبا علي لم ترك الفقراء
 أخذ البلية في وقت
 الحاجة قال قلت لأنهم
 مستنونون بالمعنى عن
 المطايا قال نعم ولكن
 وقع لي شيء آخر فقلت
 هات أفندي ما وقع لك

(١) حديث تضعيف الحسنه بشر أمثالها تقدم (٢) حديث من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى
 وحق على الزور إكرام زاره ابن حبان في الضعفاء من حديث سلمان والبيهقي في الشعب نحوه من
 رواية جماعة من الضعفاء لم يسموا بساند صحيح وقد تقدم ما في الصلاة (٣) حديث رهبانية أمتي القعود
 في المساجد لم أجده أصلاً (٤) حديث من غدا إلى المسجد يذكر الله أو يذكره كان كالجاهد في سبيل
 الله تعالى هو معروف من قول كعب الأحبار رويناه في جزء ابن طوق والطبراني في الكبير من حديث
 أبي أمامة من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعله كان له كأجر شيخ تامر بن جهم إنسانه جيد
 وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كأن غدا أو راح

عن رضى أوترك الذنوب حثية أوجاه بهذا طريق تشيير النيات وقس به سائر الطاعات واللباحات
إخامان طاعة وإلا يحتفل نيات كثيرة وإعما تحضر في قلب العبد للؤمن بقدر جده في طلب الخير
وتشمره له وتفكره فيه فهذا تزكو الأعمال وتتضاعف الحسنات [القسم الثالث للباحث] كومان شئ
من اللباحات إلا ويحتمل نية أوتيت يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات وأعظم
خسران من يضل عنها ويصطافها تطامى إلى الهمة عن سهو وغفلة ولا ينبغي أن يستحق العبد
شيئا من الخطرات والمحظوات والملاحظات فكل ذلك يستل عنه يوم القيامة أنه لم ضله والمال قد صده
هذا في مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «حلالها حساب وحرامها عقاب» (١)

وفي حديث معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: وإن العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شئ حتى
عن كل عينه وعن ثياب الطينة بإصبعه وعن لمسه ثوب أخيه (٢) وفي خبر آخر «ومن تطيب نفسه
حاد يوم القيامة وريحه أطيب من للسك ومن تطيب لثيئه الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنعم
الجيفة» فاستعمال اللطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية. فإن قلت لما الذي يمكن أن ينوي بالطيب
وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله. فاعلم أن من تطيب مثلاً يوم الجمعة وفي سائر الأوقات
يتصور أن يقصد التمتع بلبات الدنيا أو يقصد به إظهار التفاضل بكثرة اللبالات لجسده الأقران أو يقصد به
رياء الخلق يقوم له الجاه في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة أو يتودد به إلى قلوب النساء الأجنبية
إذا كان مستحلاً للنظر إليهن ولأمور آخر لا تحصى وكل هذا يجعل التطيب معصية فينكح يكون
أن من الجيفة في القيامة إلا القصد الأول وهو التلذذ والتتم فان ذلك ليس معصية إلا أنه يستل عنه
ومن نوى الحساب عذب ومن أتى شيئاً من مباح الدنيا لم يذب عليه في الآخرة ولكن ينقص
من نعم الآخرة له بقدره ونهايك خسراناً بأن يستحيل ما يفنى ويخسر زنة نعم لا يفنى وأما النيات
الحسنة فانه ينوي به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة (٣) وينوي بذلك أيضاً
تعظيم للسجد واحترام بيت الله فلا يرى أن يدخله زائراً لله إلا بطيب الرائحة وأن يقصد به ترويح
جبرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحهم وأن يقصد به دفع الرائحة الكريهة عن نفسه
التي تؤدي إلى إهداء محاطيه وأن يقصد بحسب باب النية عن الغنايين إذا اغتايوه بالرائحة الكريهة
فيحسون الله بعبه فمن تعرض لثنية وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كاقول:

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراجلون هم

وقال الله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - أشار به إلى أن
السبب إلى الشر شر وأن يقصد به معالجة دماغه لتزبد به فتتعد ذلك وسبل عليه ذلك مع ما يتدنه
بالسكرك قد قال الشافعي رحمه الله من طاب ريحه زاد عقله فهذا أو أمثاله من النيات لا يصير الفقيه عنها إذا
كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالباً على قلبه وإذا لم يلبط على قلبه إلا لنعم الدنيا لم تحضر هذه النيات

(١) حديث حلالها حساب وحرامها عقاب تقدم (٢) حديث معاذ إن العبد ليسأل يوم القيامة
عن كل شئ حتى عن كل عينه وعن ثياب الطين بإصبعه وعن لمسه ثوب أخيه لم أجده إلا إسناداً
(٣) حديث إن ليس الثياب الجمعة سنة أبوداود والحاكم ومحمه من حديث أبي هريرة
وأبي سعيد من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب إن كان عنده وليس أحسن ثيابه الحديث ولأبي
داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن سلام ما طي أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي
مهنته وفي إسناده اختلاف وفي الصحيحين أن عمر رأى حلة سيراء عند باب المسجد فقال رسول الله
لو اشتريت هذه ثوبين لربمتها يوم الجمعة الحديث.

قال لأنهم قوم لا يفهم
الوجود إذله فاتهم
ولا تفرم الفاقة إذله
وجودهم قال بعضهم
الفقر وقوف الحاجة
على القلب وهوها
هماسوى الرب وقال
للسوحي القبر الذي
لا تشبه الم ولا تفقره
الغن. وقال يحيى بن
معاذ حقيقة الفقر أن
لا يستغنى إلا بالله ورحمه
عدم الأسباب كلها
وقال أبو بكر الطوسي
بقيت مدة أسأل عن
معنى اختيار أصحابنا
لهذا الفقر على سائر
الأخياء فلم يجبه أحد
بجواب يقتضى حق
سألت نصر بن الحامى
فقال لى لأنه أول
منزل من منازل

وإن ذكرت له لم يثبت لها قلبه فلا يكون معه منها إلا حديث النفس وليس ذلك من النية في شيء والباحات كثيرة ولا يمكن إحصاء النيات فيها قص بهذا الواحد ماعدا ولهذا قال بعض العارفين من السلف إنى لأستحب أن يكون لى في كل شيء نية حتى في أكلى وشربى ونومى ودخولى إلى الخلاء وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن و فراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصد به الأكل التزوى على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطبيب قلب أهله والتوصل إلى نسل صالح يمد الله تعالى يده تكثر به أمة محمد صلى الله عليه وسلم كان طيباً بأكله ونسكاحه وأغلب حظوظ النفس الأكل والوقاع وقصد الخير بهما غير مختص لمن غلب على قلبه هم الآخرة ولذلك ينبغي أن يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو فى حيل الله وإذ بلغه اغتيا ب غيره له فليطيب قلبه بأنه سيحمل سيئاته وستقل إلى ديوانه حسنة ولو ذلك يسكوته عن الجواب فى الخير « إن العبد ليحاسب فيطلل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشتر له من الأعمال الصالحة ما يستوجب به الجنة فينجب ويقول يارب هذه أعمالى فاعملها فقط يقال هذه أعمال الدين اغنا بوك وآذوك وظلموك (١) » وفى الخير « إن العبد ليوافى القيامة بمحسانات أمثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فأتى وقد ظلم هذا وعثم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسنة ولهذا من حسنة حتى لا يلقى له حسنة فتقول لللائكة قد فئت حسنة وبقى طالبون يقول الله تعالى أتقوا على من ميتهم ثم مكوا له مكاً إلى النار (٢) » وبالجملة فإياكم ثم إياكم تستحق عيشاً من حركاتك فلا تحترز من غرورها وشروها ولا تمد جوابها يوم السؤال والحساب فإن الله تعالى مطلع عليك وشهيد بما لفظ من قول إلا لده رقيب عتيد وقال بعض السلف كتبت كتاباً وأردت أن أتر به من حائط جارلى فتخرجت ثم قلت تراب وما تراب فترته ففتفت فى هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غدام سوء الحساب وصلى رجل مع الثورى فرأه مقلوب الثوب فرقه لى يده ليصلحه ثم قبضها فلم يسوء فساء له عن ذلك فقال إنى لبسته فى تعالى ولا أريد أن أسويه لغيره وقد قال الحسن إن الرجل ليشقى بالرجل يوم القيامة فيقول بينى وبينك الله يقول والله ما أعرفك فيقول بلى أنت أخذت لبنتم من حائطى وأخذت خطام من ثوبى فهذا وأمثاله من الأخبار قطع قلوب الحائضين فإن كنت من أولى العزم والهي ولم تكن من للفرق فأنظر لنفسك الآن ودقق الحساب على قسك قبل أن يدقق عليك وراقب أحوالك ولا تسكن ولا تتعرك ما لم تأمل أولاً أنك لم تتحرك وماذا قصد وما الذى تال به من الدنيا وما الذى يؤمك من الآخرة وبعدا ترجع الدنيا على الآخرة فإذا علمت أنه لا باعث إلا الدين فأضغ عزمك وما خطر ببالك وإلا فأمسك ثم راقب أيضاً قلبك فى إمساكك وامتناعك فإن ترك الفعل فعل ولا بدله من نية صحيحة فلا يثني أن يكون الداعي هو حتى لا يطلع عليه ولا يفرتك ظواهر الأمور ومشهورات الخيرات رافطن للأغوار والأسرار تخرج من حيز أهل الاعتقاد وتهدى عن زكراً عليه السلام أنه كان يعمل فى حائط بالطين وكان أجيروا قوم قدمدوا له رغباً إذ كان لا يأكل إلا من كسب يده فدخل عليه قوم

(١) حديث إن العبد ليحاسب فيطلل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشتر له من الأعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة الحديث وفيه هذه أعمال الدين اغنا بوك وآذوك وظلموك أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم من حديث شيث بن سعد البلى مختصراً إن العبد ليلقى كتابه يوم القيامة منتقراً فينظر فيه فبى حسنة لم يعملها فيقول هذا لى ولم يعملها يقال بما اغتيا ب الناس وأنت لاتشعر وفيه ابن لبيعة (٢) حديث إن العبد ليوافى القيامة بمحسانات أمثال الجبال وفيه وأتى قد ظلم هذا وعثم هذا الحديث تنهم مع اختلاف.

التوحيد قنعت بذلك
وسئل ابن الجلاء عن
الفقر فسكت حتى صلى
ثم ذهب ورجع ثم قال
أنى لم أسكت إلا لدرهم
كان عندى فلهبت
فأخرجته واستجيت
من الله تعالى أن أنكم
فى الفقر وعندى ذلك
ثم جلس وتكلم
قال أبو بصير بن
طاهر عن حكم القفير
أن لا يكون له رغبة
فإن كان ولا بد لا تجاوز
رغبته كفافته . قال
فارس قلت لبعض
الفقراء مرة وعليه أثر
البجوع والضرر للإستاءة
فطمسوك ؟ فقال إنى
أخاف أن أسألهم
فيتمنوا فلا يملحون
وأشهد بعضهم :

فلم يدعهم إلى الطعام حتى فرغ فتجنبوا منه لما علوا من سخائه وزهده وظنوا أن الحير في طلب المساعدة في الطعام فقال إنى أعمل لقوم بالأجرة وقدموا إلى الرغيف لأشوي به على عملهم فلما كلمهم معي لم يكفهم ولم يكفى ومنعت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر في البواطن بنور الله فإن ضعفه عن العمل قص في فرض وترك الدعوة إلى الطعام قص في فضل ولا حكم للفضائل مع القرائن . وقال بعضهم دخلت على سفيان وهو يأكل لما كفى حتى لقي أبا عبد الله ثم قال لولائي أخذته بدین لأحببت أن تأكل منه . وقال سفيان من دعا رجلا إلى طعامه وليس له رغبة أن يأكل منه فإن أجابه فأكل فلي وزران وإن لم يأكل فلي وزر واحد وأراد بأحد الوزيرين النفاق والباطل في ترضيه أخاه لما يكره لوعله فكذلك ينبغي أن يتفقد العبد نيته في سائر الأعمال فلا يقدم ولا يهجم إلا بنية فإن لم تحضره النية توقف فإن النية لا تدخل تحت الاختيار .

(بيان أن النية غير داخلة تحت الاختيار)

اعلم أن الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحصين النية ويكتبرها مع قوله صلى الله عليه وسلم «إنما الأعمال بالنيات» فيقول في نفسه عند تدريسه أو تجارتها أو أكله نويت أن أدرس فلأؤكل كل شيء ويظن ذلك نية وهيئات فذلك حديث نفس وحديث لسان وفكر أو انتقال من خاطر إلى خاطر والنية بمنزلة من جميع ذلك وإنما النية انبثت النفس وتوجهها وميلها إلى مظهر لها في غرضها إما عاجلا وإما آجلا ولليل إذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الإرادة بل ذلك كقول الشبان نويت أن أشتى الطعام وأميل إليه أو قول الفارغ نويت أن أعشق فلانا وأحبه وأعظمه بقلبي فذلك محال بل لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى الشيء وميله إليه وتوجه نحوه إلا باكتساب أسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وإنما انبثت النفس إلى الفعل إما بالقهر أو بالاعتناء الموافق للنفس اللام لها وما لم يتفقد الإنسان أن غرضه منوط بفعل من الأفعال فلا توجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين وإذا اعتقد قائما يتوجه القلب إذا كان فارغا غير مصروف عنه بفرض شاغل أقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها أسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالأشخاص والأحوال والأعمال فإذا غلبت شهوة التكاثر مثلا ولم يستفد غرضا صحيحا في الولد دينا ولادنيا لا يمكنه أن يواقع على نية الولد بل لا يمكن إلا على نية قضاء الشهوة إذ النية هي إجابة الباعث ولا باعث إلا الشهوة فكيف ينوي الولد وإذا لم يلبس على قلبه أن إقامة سنة التكاثر (١) ابتاعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فليعلم أن نية الولد بالنكاح ابتاع السنة إلا أن يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض ليس بنية ، نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا أن يقوى أولا إيمانه بالسرعة ويقوى إيمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير أمته محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع اللغزات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التسب وغيره فإذا دخل ذلك ربما انبثت من قلبه رغبة إلى تحصيل الولد للثواب فتحرك تلك الرغبة وتتحرك أعضاؤه مباشرة العقد فإذا انبثت القدرة المحركة للسان يقول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان نوايا فإن لم يكن كذلك لما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات إذ لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرنا فيه حتى إن ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضرني نية ونادى بعضهم إسرائيل وكان يسبح شعره أن هات للدرى قالت أجبني بالمرأة فسكت ساعت ثم قال نعم قيل له في ذلك فقال كان لي في الدررى نية

(١) حديث إن النكاح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم في آداب النكاح .

قالوا غدا العيد ماذا

أنت لابسه

قلت خالصة ساق

عبد الجرحا

تبر وصبر هما ثوبان

تجتمعا

قلب يرى ربه الأعياد

والجمعا

أحرى للأبليس أن تلقى

الجنين به

يوم التزاور في الثوب

الذي خلعا

الدهر لي ما تم إن قبضت

بالملى

والجيد ما دبت لي

مرأى ومستعما

[قولهم في الشكر]

قال بعضهم الشكر

هو النية عن النعمة

برؤية النعم . وقال

يحيى بن معاذ الرازي

لست بشاكر مادمت

تشكر وغاية الشكر

ولم تحضرني في المراتبة التي توقفت حتى هيأها الله تعالى ومات حماد بن سليمان وكان أحد علماء أهل الكوفة قيل للثوري ألا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية فعلت وكان أحد من عمال من أعمال البر يقول إن رزقني الله تعالى نية فعلت وكان طاموس لا يحدث إلا بنية وكان يسئل أن يحدث فلا يحدث ولا يسئل فيتدعى فقيل له في ذلك قال أتصحبون أن أحدث بغير نية إذا حضرني نية فعلت. وحكي أن داود بن الحبر لما صنف كتاب العقل جاءه أحمد بن حنبل فطلبه منه ففطر فيه أحمد فصاعدا ورده فقال مالك قال فيه أسانيد ضفاف فقال له داود أنا لم أخرجه على الأسانيد فانظر فيه بين الخبرين ما نظرت فيه بين العمل فانتفعت قال أحمد فرده على حتى أنظر فيه بالعين التي نظرت فأخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاموس ادع لنا فقال حتى أجد له نية. وقال بعضهم أنا في طلب نية لقيادة رجل منذ شهر لما صحت في يمد. وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى إلى باب داره انصرفت فقال إنه أتكم عرض عليه المشاء قال ليس من نيتي وهذا لأن النية تتبع النظر فإذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون أن يعملوا عملا إلا بنية لهم بأن النية روح العمل وأن العمل بغير نية صادقة رياء ونكاف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلوا أن النية ليست هي قول القائل بلسانه نويت بل هو انفعال القلب يجري مجرى القنوح من الله تعالى فقد تيسر في بعض الأوقات وقد تتعدى في بعضها نعم من كان الطالب على قلبه أمر الدين تيسر عليه في أكثر الأحوال إحصاء النية للغيريات فإن قلبه مائل بالجملة إلى أصل الخير فينبعث إلى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه إلى الدنيا وغلبت عليه لم تيسر له ذلك بل لا تيسر له في القرض إلا بمجهود جهوده غاية أن يتذكر النار ويحذر نفسه عقابا أو نعم الجنة ويرغب نفسه فيها فرما تلبث له داعية ضيقة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته وأما الطاعة في نية لإجلال الله تعالى لاستحقاق الطاعة والعبودية فلا تيسر إلا رغب في الدنيا وهذه أعز النيات وأعلها ويمر على بساط الأرض من يتهمها فضلا عن يتعاطاها ونيات الناس في الطاعات أقسام إذ منهم من يكون عمله لإجابة لباعث الخوف فإنه يتقى النار ومنهم من يعمل لإجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة في الجنة وهذا وإن كان نازلا بالإضافة إلى قصد طاعة الله وتنظيمه لذاته ولجلاله لا لأمر سواء فهو من جملة النيات الصحيحة لأنه مبدل إلى اللوعة في الآخرة وإن كان من جنس المألوفات في الدنيا وأغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرها الجنة فلهامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالأجير السوء ودرجته درجة البله وإنه لينالها بعمله إذا كثرت أهل الجنة البله وأما عبادة ذوى الأبواب فإنها لا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيها بما له وجلا وسائر الأعمال تكون مؤكدات وروادف وهؤلاء أرفع درجة من الالتفات إلى التسكع والطعوم في الجنة فانهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالقدرة والشئ يريدون وجهه فقط ونواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يتعمدون بالنظر إلى وجهه الكريم ويسخرون عن يلفت إلى وجه الحور العين كإسخر التلثم بالنظر إلى الحور العين مما يتمم بالنظر إلى وجه الصور للصنوع من الطين بل أشد فإن التفاتوا بين جمال حضرة الربوبية وجمال الحور العين أهد وأعظم كثيرا من التفاتوا بين جمال الحور العين والصور للصنوع من الطين بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية قضاء الوطر من مخالطة الحسن وإعراضهم عن جمال وجه الله الكريم ينهاى استعظام الخنفساء لصاحبها وإقبالها وإعراضها عن النظر إلى جمال وجوه النساء فسمى أكثر القلوب عن إيسار جمال الله وجلاله ضاهي عبي الخنفساء عن إدراك جمال النساء فإنها لا تنشر به أصلا ولا تلتفت إليه ولو كان لها عقل وذكر لها لاستحسنت عقل من يلفت إلى البين ولا زالون مختلفين كل حزب بما لديهم فرحون وذلك خلقهم.

التحير وذلك أن
الشكر نعمة من
الله يجب الفكر
عليها. وفي أخبار داود
عليه السلام إلهي
كيف أشكرك وأنا
لا أستطيع. أن
أشكرك إلا بنعمة
تأتي من نبيك فأوحى
الله إليه إذا عرفت
بهذا فقد شكرتني
ومعنى الشكر في اللغة
هو الكشف والظهار
يقال شكر وكثير
إذا كشف عن ثغره
وأظهره فنشبر النعم
وذكرها وتعبدها
بالسان من الشكر
وباطن الشكر أن
تستعين بالنعم على
الطاعة ولا تستعين بها
على المعصية فهو شكر

حكى أن أحمد بن حنبل رأى ربه عز وجل في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الجنة إلا أريد
فأن يطلبوني ورأى أبو يزيد ربه في المنام فقال يارب كيف الطريق إليك فقال أترك نفسك وتعال إلي .
وروى الشيلي بمد موته في المنام قبيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني على الدعوى بالزهد إلا على قول
واحد قلت يوما أي خسارة أعظم من خسران الجنة فقال أي خسارة أعظم من خسران لقائي والغرض
أن هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها ربما لا ينسر له المدلول إلى غيرها
ومعرفة هذه الحقائق تورث أفعالا وأفعالا لا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء فانا نقول من حضرت
له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة الفلاح أولى وانتقلت القضية إليه وصارت القضية في حقه تيممة
لأن الأعمال والنيات وذلك مثل القوفاته أفضل من الانتصار في الظلم وربما تمهده نية في الانتصار
دون الفو فيكون ذلك أفضل ومثل أن يكون له نية في الأكل والشرب والنوم لم يرع نفسه وتقوى
على العبادات في المستقبل وليس تثبت نيته في الحالين الصوم والصلاة فالأكل والشرب والنوم هو الأفضل
بل لو مل الصادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعت رغبته وعلم أنه لو ترق ساعة بل هو حديث عاد
نشاطه فالله أفضل له من الصلاة . قال أبو البرداء إني لأستعجب نفسي بشيء من الله فيكون ذلك غونا
لي على الحق وقال علي كرم الله وجهه روحوا القلوب فانها إذا كرهت عمت وهذه دقائق لا يدركها
إلا حاضرة العلماء دون الحشوية منهم بل الحادق بالطلب قد يصلح المحرور بالجمع حراره ويستبدد
القاصر في الطلب وإنما يتنهي به أن يبعد أولا قوته ليحتمل للمعالجة بالهدوء والحادق في لعب الشرط
مثلا قد ينزل عن الرخ والفرس فجاءا ليتوصل بذلك إلى الغلبة والضعف البصر قد يضركم ويصعب
منه وكذلك الجبر بالقتال قد يضر بين بدى قرينه وبويله دبره حيلة منه ليستجره إلى مضيق فيسكر
عليه فيقره فكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصر اللوحي
يقف فيها على لطائف من الحيل يستبعد الضياء فلا ينبغي للمريد أن يضر أنكاره على ما يراه من شيخه
ولا فاحتمل أن يترضى على استأذنه بل ينبغي أن يقف عند حد بصيرته وما لا يهجم من أحوالها يسامه
لها إلى أن ينكشف له أسرار ذلك بأن يبلغ رتبتهما ويألف درجتهما ومن الله حسن التوفيق .
(الباب الثاني في الإخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته)

(فضيلة الإخلاص)

قال الله تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - وقال سألناه الذين الخالص - وقال تعالى
- إلا الذين تابوا وأصلحو واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله - وقال تعالى - فمن كان يرجوا لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - زلت قيمين يعمل لله ويجب أن يحمده عليه وقال
النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا يفلح عليهن قلب رجل مسلم إخلاص العمل لله (١) » وعن مصعب بن
سعد عن أبيه قال « ظن أبي أن له فضلا على من هو دونه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم إنما نصر الله عز وجل هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم (٢) » وعن الحسن
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من

(الباب الثاني في الإخلاص)

(١) حديث ثلاث لا يفلح عليهن قلب رجل مسلم إخلاص العمل لله الترمذي وصححه من حديث
النعمان بن بشير (٢) حديث مصعب بن سعد عن أبيه ظن أن له فضلا على من هو دونه من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما نصر الله هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم
وإخلاصهم رواه البخاري وهو عند البخاري بلفظ هل يتصورون وترزقون إلا بضعفائكم .

النعمة . وصحت شيخنا
رحمه الله ينشد عن
بعضهم :
أولئك نعمنا أبوح
بشكرها
وكنت في كل الأمور
بأسرها
فلا تحزنك ما حبيت
وإن أمت
فلا تشكرنك أعظمي
في قبرها .
قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« أول من يهدي إلى
الجنة يوم القيامة الذين
يهدون الله في السراء
والضراء » . وقال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « من ابتلى فسر
وأعطى فشكر وعظم
فغفر وعظم فاستغفر »
قيل فما باله قال وأولئك

أحببت من عبادي ^(١) » وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لاتبتموا لقلة السمل واهتموا لقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليعاذ بن جبل «أخلص العمل بحركته القليل ^(٢) » وقال عليه السلام «ما من عبد يخلص لله العمل أربعين يوما إلا ظهرت بنايح الحكمة من قلبه ^(٣) » وقال عليه السلام «أول من يسئل يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما صنعت فيأبعت فيقول يارب كنت أقوم به آتاه الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول لللائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ألا فقد قيل ذلك ورجل قيل في سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى ما صنعت فيقول يارب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول لللائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع ألا فقد قيل ذلك قال أبو هريرة ثم خط رسول الله ﷺ على غنم وقال يا هريرة عاوك أول خلق تسمر نار جهنم بهم يوم القيامة ^(٤) » فدخل راوى هذا الحديث على معاوية وروى له ذلك فبكي حتى كادت نفسه تهرق ثم قال صدق الله إذ قال - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها - ألا يقبلى الأسراليات أن عابدا كان يعبد الله دهرا طويلا فجاء قوم فقالوا إن ههنا قوم يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك وأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال أين تريد رحك الله قال أريد أن أقطع هذه الشجرة قال وما أنت وذالك شركت عبادة فك وبك نفسك وتغرخت ليرد ذلك فقال إن هذا من عبادي قال فاني لأتركك أن تقطعها فقاتله فأخذه العابد فطرحه إلى الأرض وقد على صدره فقال له إبليس أطلقي حتى آكلك فقام عنه فقال إبليس يا هذا إن الله تعالى قد استقطع عنك هذا ولم يرضه عليك وما تبدها أنت وما عليك من غيرك وفيه تعالى أنبياء في أقاليم الأرض ولو هاء لبعضهم إلى أهلها وأمرهم يقطعها فقال العابد لا بد لي من قطعها فاقابته لقتال فغلبه العابد وسره وقد على صدره فغضب إبليس فقال له لك في أمر فصل بيني وبينك وهو خير لك وأقمه قال وما هو قال أطلقي حتى أقول لك فأطلقه فقال إبليس أنت رجل فقير لاشيء لك إنما أنت كل على الناس يحولونك ولكك تحب أن تتفضل على إخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستغنى عن الناس قال نعم قال فارجم عن هذا الأمر ولك على أن أجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين إذا أصبحت أخذتهما فأتيت على نفسك وعيالك وتصدقت على إخوانك فيكون ذلك أقم لك وللسمين من قطع هذه الشجرة التي يفرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا يقع إخوانك للؤمنين قطعك إيهاا فتفكر العابد فيا قال وقال صدق الشيخ لست بفي فيأمرني قطع هذه الشجرة ولا أمرني الله أن أقطعها فأكون عاصيا بتركها

(١) حديث الحسن مرسل يقول الله تعالى الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادي رويته في جزء من مسلمات القزويني مسلسلا يقول كل واحد من رواته سألت فلانا عن الإخلاص فقال وهو من رواية أحمد بن عطاء المجبى عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله تعالى وأحمد بن عطاء وعبد الواحد كلاهما متروك وهما من الزهاد ورواه أبو القاسم القشيري في الرسالة من حديث علي بن أبي طالب بسند ضيف (٢) حديث أنه قال ليعاذ أخلص العمل بحركته القليل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ وإسناده منقطع (٣) حديث ما من عبد يخلص لله أربعين يوما ابن عدى ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات عن أبي موسى وقد تقدم (٤) حديث أول من يسئل يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم الحديث وقد تقدم -

لحم الأمن وم
يهتدون . وقال
الجيد فرض الشكر
الاعتراف بالعم بالقلب
واللسان . وفي الحديث
وأفضل الذكر لا اله
إلا الله وأفضل الدعاء
الحمد لله . وقال بعضهم
في قوله تعالى وسأخبر
عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة . وقال الظاهرة
التواقي والغي والباطنة
اليساوي والفر
فان هذه نعم أخرى
لما يستوجب بها من
الجسراء . وحقيقة
التشكر أن يرى جميع
للقصه به نعمه غير
ما يضره في ربه لأن
الله تعالى لا يشكر العبد
الؤمن شيئا إلا وهو
تتمنى حقه فلما جاع

وما ذكره أكثر من منفعة فباهده على الوفاء بذلك وحالف له فرجع العابد إلى متعبده فبات فلما أصبح رأى دينار بن عند رأسه فأخذهما وكذلك الغد ثم أصبح اليوم الثالث وما يمدده فلم ير شيئا فغضب وأخذ فأسه على عاتقه فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال له إلى أين ؟ قال أنقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سليل لك إليها قال فتناوله العابد ليفعل به كإفعل أول مرة فقال هربا فأنهه إبليس وصرعه فاذا هو كالصنوبر بين رجله وقعد إبليس على صدره وقال لتتبين عن هذا الأمر أولاد بعثتك فظفر العابد فاذا لا طاقة له به قال يا هذا غلبتني غلتي عني وأخبرني كيف غلبتك أولا وغلبتني الآن فقال لأنك غضبت أول مرة لله وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لك وهذه المرة غضبت لنفسك وللهذا فصرعك وهذه الحكايات تصديق قوله تعالى - لإعبادك منهم المخلصين - إذ لا يتخلص البدن من الشيطان إلا بالاخلاص ولذلك كان معروف الكرخي رحمه الله تعالى يضرب نفسه ويقول يا نفس أخلصي تخليسي . وقال يعقوب الكفوف : المخلص من يكتم حسنة كما يكتم سيئته . وقال سلمان : طوبى لمن سمعت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى ، وكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري : من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس ، وكتب بعض الأولياء إلى أخ له أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل . وقال أيوب السخيتي : تخلص النبات على المال أشد عليهم من جميع الأعمال ، وكان مطرف يقول من صفا صفى له ومن خلط خلط عليه . وروى بعضهم في اللام قليل له كيف وجدت أعمالك ؟ فقال كل شيء عملته لله وجدته حتى حبة رمان لقطها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رأيته في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرأيت في كفة السيئات وكان قد نفض حماري في قيمته مائة دينار فشاريت له ثوبا فقلت موت سنور في كفة الحسنات وموت حماري فيها فقيل لي إنه قد وجّه حيث يشت به فانه لما قيل لك قد مات قلت في لعنة الله فبطل أجره فيه ولوقلت في سبيل الله لوجدته في حسناتك . وفي رواية قال وكنت قد صدقت بصدقة بين الناس فأهينني فنظروا إلى فوجدت ذلك لاطي ولالي . قال سفيان لما سمع هذا ما أحسن حاله إذ لم يكن عليه فقد أحسن إليه . وقال يحيى بن معاذ : الاخلاص عزم العمل من العيوب كشمير اللين من القرب والدم ، وقيل كان رجل يخرج في زى النساء ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس أو بآتم فاتفق أن حضر يوما موضعا فيه جمع للنساء فسرقت درة فصاحوا أن أغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت التوبة إلى الرجل وإلى امرأة معه فدعا الله تعالى بالاخلاص وقال إن نجوت من هذه القضية لأعود إلى مثل هذا فوجدت الدرّة مع تلك المرأة فصاحوا أن أطلقوا الدرّة فقد وجدنا الدرّة . وقال بعض الصوفية : كنت قائما مع أبي عبيد التستري وهو يحرق أرضه بيد المصر من يوم عرفة فمر به بعض إخوانه من الأبدال فساره بشيء قال أبو عبيد لا ، فمر كالسحاب يمسح الأرض حتى غاب عن عيني فقلت لأبي عبيد ما قال لك ؟ فقال سألتني أن أحج معك قلت لا قلت فلما قلت ؟ قال ليس لي في الحج نية وقد توبت أن أتم هذه الأرض المشية فأخاف إن حججت معه لأجله تعرضت لقت الله تعالى لأنني أدخلت في عمل الله شيئا غيره فيكون ما أنا فيه أعظم عندي من سبعين حجة . وروى عن بعضهم قال : غزوت في البحر فعرض بضعا بحملة فقلت اشتريها فأنتفع بها في غزوي فاذا دخلت مدينة كذا بثتها فزحمت فيها فاشتريتها فرأيت تلك الليلة في النوم كأن شخصين قد نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه اكتب الغزاة فأملى عليه خرج فلان منزها وقلان وقلان مرانيا وقلان تاجرا وقلان في سبيل الله ثم نظر إلى وقال اكتب فلان خرج تاجرا فقلت

بهمها وبهمها وإما
أجله غنا يقصر له من
للكبر فاما أن يكون
درجة له أو محصيا أو
تكفيرا فاذا علم أن
مولاه أصح له من
نفسه وأعلم بمصالحه
وأن كل مانته نعم قد
شكر .

[قولهم في الخوف]
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « رأس
الحكمة مخافة الله »
وروى عنه عليه
السلام والسلام أنه قال
« كان داود النبي عليه
السلام يهوده الناس
يلتمسون أن به مرضا
وما به مرض إلا خوف
الله تعالى والحياء منه »
قال أبو حمير الدمشقي
الجاني من مخاف من

الله في أمرى ما خرجت آخى وما معى تجارة آخى فيها ما خرجت إلا للزوال فقال يا شيخ قد اشتريت أسس محلاة تريد أن تبيع فيها فبكيت وقلت لا تكتبونى تاجرا فظفر إلى صاحبه وقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا إلا أنه اشترى في طريقه محلاة لبيع فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه عايرى . وقال سرى السقطى رحمه الله تعالى : لأن تصلى ركعتين في خلوة مخلصهما خير لك من أن تكتب سبعين حديثا أو سبعائة صلوة . وقال بعضهم في إخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن الإخلاص عزيز ويقال العلم بذور والعمل زرع وماؤه الإخلاص . وقال بعضهم إذا أبغض الله عبدا أعطاه ثلاثا ومنه ثلاثا أعطاه محبة الصالحين ومنه القبول منهم وأعطاه الأعمال الصالحة ومنه الإخلاص فيها وأعطاه الحكمة ومنه الصدق فيها . وقال السوسى : مراد الله من عمل الخلاق الإخلاص فقط . وقال الجنيد : إن لله عبادا عقلوا ففعلوا عملا ففعلوا أخلصوا فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع . وقال محمد بن سعد للروزي : الأمر كله يرجع إلى أصليين فعل منه بك وفعل منك له فترضى فاضل وتخلص فيها فإذن أنت قد سمعت بهذين وفزت في الدارين .

(بيان حقيقة الإخلاص)

اعلم أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه حتى خالصا يسمى الفعل الصنى المحض إخلاصا قال الله تعالى - من بين قرث ودم لنا خالصا سائغا للشاربين - فإما خلوص اللب أن لا يكون فيه شوب من الدم والقرث ومن كل ما يمكن أن يمتزج به والإخلاص يضاده الاشتراك فمن ليس محضاً فهو مشترك إلا أن الشرك درجات فالإخلاص في التوحيد يضاده التشريك في الإلهية والشرك منه خفى ومنه جلى وكذا الإخلاص والإخلاص وضده ثواردان على القلب فدخله القلب وإنما يكون ذلك في التصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وأنها ترجع إلى إجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على التجرد حتى الفعل الصادر عنه إخلاصا بالإضافة إلى التوى فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو محض ومن كان غرضه محض التقرب إلى الله تعالى فهو محض ولكن العادة تجارية بتخصيص اسم الإخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب كما أن الاتحاد عبارة عن الليل ولكن خصصته العادة بالليل عن الحق ومن كان باعته مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ولنا تسلك فيه إذ قد ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربح للهلاكات وأقل أمور ماورد في الخبر من « إن الراى يدعى يوم القيامة بأربع أسام يمرأى يا مخادع يا بشرك يا كافر (١) » وإنما تسلك الآن فيمن انبث قصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر إيمان الرياء أو من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك أن يصوم ليتنفع بالجنية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب أو يمتق عبدا ليتخلص من مؤثته وسوء خلقه أو يحج لبصحه مزاجه بحركة السفر أو يتخلص من شر يعرض له في بلد أو ليهرب عن عدو له في منزله أو يتبرم بأهله وولده ويشفل هو فيه فأراد أن يستريح منه أياما أو ليتزو وليمارس الحرب ويستم أسبابه وقد ربه على تهينة الصاكر وجرحها أو صلى بالليل وله غرض في دفع الناس من نفسه به ليراق أهله أو رحله أو يتم العلم ليسهل عليه طلب ما يفي به من المال أو ليكون عزيزا بين العشرة أو ليكون عقاره أو ماله محروسا بمن العلم عن الأطماع أو اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويترفع ببله الحديث أو يتكفل بخدمة العلماء والصوفية لتكون حرمة وافرقة عندهم وعند الناس أو لينال برفق الدنيا

(١) حديث إن الراى يدعى يوم القيامة يامرأى يا مخادع الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب السنة والإخلاص وقد تقدم .

نفسه أكثر مما يخاف
من الشيطان . وقال
بعضهم ليس الخائف
من يئس . ويمسح
عينه ولكن الخائف
التارك ما يخاف أن
يجذب عليه . وقيل
الخائف الذى لا يخاف
غير الله قيل أى
لا يخاف نفسه إنما
خاف إجتماعه له
والخوف للنفس خوف
العقوبة . وقال سهل
الخوف ذكر والرجاء
أنى أى منها تتوكل
جفاقى الإيمان . قال
الله تعالى - ولقد
رضينا الذين أوتوا
الكتاب من قبلكم
وإياكم أن تخلصوا
الله - قيل هذه الآية
قطب القرآن لأن مذار

أو كتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتابة خطه أو حج ما شيا ليخفف عن نفسه الكراء أو نوماً ليتنظف أو يترو أو اغتسل لتطير رائحته أو روى الحديث ليعرف بها أو الاسناد أو اعتسكف للسجد ليخفف كراءه للسكن أو صام ليخفف عن نفسه التردد في طبع الطعام أو ليفرح لأشغاله فلا يشغله الأكل عنها أو تصدق على السائل ليقطع إرماه في السؤال عن نفسه أو يعود من رشا ليعاد إلى امرض أو يشيع جنازة ليشيع جناز أهله أو يفعل شيئا من ذلك ليعرف بالحير ويدكر به وينظر إليه بين الصلاح والوقار فهما كان باعثه هو التقرب إلى الله تعالى ولكن انضاف إليه خطرة من هذه الحطرات حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن أن يكون خالصا لوجه الله تعالى وتطرق إليه الشرك وقد قال تعالى «وَأَنَا أَخِي الشُّرَكَاءُ مِنَ الشَّرْكِ» وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تسترغ إلى النفس ويعيل إليه القلب قل أم كثر إذا تطرق إلى العمل تسكدر به صفوه وزال به إخلاصه والإنسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته قلما ينفك قل من أفضاله وعبادة من عباداته عن حظوظ وأغراض عاجلة من هذه الأجناس فذلك قيل من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله تعالى وبذلك لمة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا باعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ إن كانت هي الباعثة وحدها فلا يغني شدة الأمر على صاحبه فيها وإنما نظرنا فيها إذا كان قصد الأصل هو التقرب وانضافت إليه هذه الأمور ثم هذه الشوائب إما أن تكون في رتبة اللواقعة أو في رتبة المشاركة أو في رتبة المعاونة كما سبق في التبة ، وبالجملة فاما أن يكون الباعث النفس مثل الباعث الديني أو أقوى منه أو أضنف ولكل واحد حكم آخر كما سنذكره . وإنما الاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث - واه هذا لا يتصور إلا من محب لله مستهتر بالله مستغرق الهم بالآخرة بحيث لا يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب الأكل والشرب أيضا بل تكون رغبته فيه كرهته في قضاء الحاجة من حيث إنه ضرورة الجبلة فلا يشتهي الطعام لأنه طعام بل لأنه يقويه على عبادة الله ويشتهي أن لو كفى شر الجوع حتى لا يحتاج إلى الأكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوبوا باندته لأنه ضرورة دينه فلا يكون له هم إلا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا حتى يربح نفسه ليتقوى على العبادة بهذه كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن ليس كذلك فباب الاخلاص في الأعمال مسدود عليه إلا على التدور وكان أن من غلب عليه حب القوج بالآخرة فاكسبت حركاته الاعتبادية صفته هذه وصارت إخلاصا فالذي يطلب على نفسه الدنيا والمال والرياسة ، وبالجملة غير الله فقد اكسبت جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك إلا نادرا فإذا علاج الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذا ذاك تبسّر الاخلاص وكمن أعمال يتصب الإنسان فيها ويظن أنها خالصة لوجه الله ويكون فيها مغرورا لأنه لا يرى وجه الآفة فيها كما حكى عن بعضهم أنه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الأول لأنني تأخرت يوما لمدر فضليت في الصف الثاني فاعتزني خجلة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني ففرفت أن نظر الناس إلي في الصف الأول كان مسرني وسبب استراحة قلبي من حيث لا أشعر وهذا حقيق غامض قلما تسلم الأعمال من أمثاله وقل من تنبه له إلا من وقفه الله تعالى والنافلون عنه يرون حسناتهم كلها في الآخرة سيئاتهم ولم يراؤن بقوله تعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - وبدا لهم سيئاتهم كسيوات

الأمر كله على هذا .
وقيل إن الله تعالى جمع
للمؤمنين وهو الهدى
والرحمة والعلم
والزهد فقال تعالى
- هدى ورحمة للذين
هم لربهم يهتدون -
وقال - إنما يخشى الله
من عباده العلماء -
وقال - رضى الله عنهم
وورضوا عنه ذلك لمن
خشي ربه - . وقال
سبل: كالإيمان بالملم
وكالعلم بالخوف .
وقال أيضا: العلم كسب
الإيمان والخسوف
كسب المعرفة . وقال
فهراتون: لا يبقى الحب
كأس الحبة إلا من يهد
أن يضح الخوف قلبه .
وقال فضيل بن عياض

وبه تعالى - قل هل نبشكم بالأخسرين أمعالمال الدين صل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم
يعتصمون صنما - وأشد الخلق تمرضا لهذه الفتنة العلماء فان الباعث لكثيرين على نشر العلم لذة
الاستيلاء والفرح بالاستيلاء والاستبشار بالحد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم
نشر دين الله والنضال عن الشرع الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترى الواعظين على
الله تعالى نصيحة الخلق ووعظه للاطمين ويفرح يقول الناس قوله وإقبالهم عليه وهو يدعى أنه
يفرح بما يسره من نصرة الدين ولو ظهر من أفراده من هو أحسن منه وعظا وانصرف الناس عنه
وأقبلوا عليه ساءه ذلك وعنه ولو كان باعته الدين لشكر الله تعالى إذ كفاه الله تعالى هذا اللهم بغيره
ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويحول إغماضكم لانتقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك
إلى غيرك إذ لو انتظروا يقول لك كنت أنت للثواب وغايتكم لقوات الثواب محمود ولا يدري للسكين أن
اشياده للحق وتسليمه الأمر أفضل وأجزل ثوابا وأعود عليه في الآخرة من أفراده، وليت شعري
لو اعتمد عمر رضى الله عنه بصدقه، أي بكر رضى الله تعالى عنه للامانة أكان غمه محمودا ومنموما
ولا يستريب فؤدين أن لو كان ذلك لكان مذموما لأن اشياده للحق وتسليمه الأمر إلى من هو
أصلح منه أعود عليه في الدين من تكلفه بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر
رضي الله تعالى عنه باستقلال من هو أولى منه بالأمر، لما بال العلماء لا يرحون بمثل ذلك وقد
يخضع بعض أهل العلم بمرور الشيطان فيحدث نفسه بأنه لو ظهر من هو أولى منه بالأمر لفرح به
وإخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور فان النفس سهلة الفناء
في الوعد بأمثال ذلك قبل زوال الأمر، ثم إذا دهاه الأمر تغير ورجع ولم يبق بالوعد وذلك لا يعرفه
إلا من عرف مكايد الشيطان والنفس وطال اغتفاله بامتاحتها، فعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر
عميق يفرق فيه الجميع إلا الشاذ النادر والقرء القذ وهو المستثنى في قوله تعالى - لإعبادك منهم
الخاصين - فليكن العبد شديد التقوى والراقة لهذه الدقائق وإلا التحق بأفباع الشياطين وهو لا يشعر.

(بيان أقوال الشيوخ في الإخلاص)

قال البوسى : الإخلاص قد رؤية الاخلاص ، فان من شاهد في إخلاصه الاخلاص قد احتاج
إخلاصه إلى إخلاص ، وما ذكره إشارة إلى تصفية العمل عن العجب بالفعل فان الانفلات إلى
الاخلاص والنظر إليه عجب ؛ وهو من جملة الآفات . والخالص : ماصفا عن جميع الآفات فهذا
تمريض لأفة واحدة . وقال سهل رحمه الله تعالى : الاخلاص أن يكون سكون البد وحركاته قد
تعالى خاصة ، وهذه كلمة جامعة محيطه بالفرض وفي معناه قول إبراهيم بن آدم : الإخلاص صدق
النية مع الله تعالى . وقيل لسهل أى شيء أشد على النفس ، قال : الاخلاص إذ ليس لها فيه
نصيب . وقال روم : الاخلاص في العمل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين ، وهذا
إشارة إلى أن حظوظ النفس آفة أجلا وعاجلا والعايد لأجل تتم النفس بالشهوات في الجنة . قول
بل الحقيقة أن لا يراد بالعمل إلا وجه الله تعالى وهو إشارة إلى إخلاص الصديقين وهو الاخلاص
للطلق . فأما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخلص بالإضافة إلى الحظوظ العاجلة وإلا
فهو في طلب حظ البطن والفرج وإنما المطلوب الحق أقوى الأبواب وجه الله تعالى فقط ، وهو
القائل لا يتبرك الإنسان الا لحظ والبراءة من الحظوظ صفة الالهية ، ومن ادعى ذلك فهو كافر .
وقد قضى القاضي أبو بكر الباقلاني بتكفير من يدعى البراءة من الحظوظ وقال هذا من صفات

إذا قيل لك تخاف الله
اسكت فانك ان قلت لا
كفرت وان قلت نعم
كذبت فليس وصفك
وصف من يخاف .
[قولهم في الرجاء] أنال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم «يقول الله
عز وجل أخرجوا من
النار من كان في قلبه
مثقال حبة من خردل
من إيمان ثم يقول
وعزى وجسالى
لأجل من آمن بي
من ساعة من ليل
أونهار كن لا يؤمن
بي» . قيل «جاء أعرابي
إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال من لي
حساب الخلق ؟ فقال
الله تبارك وتعالى قال
هو بنفسه ؟ قال نعم

الإلهية وما ذكره حق ، ولكن القوم إنما أرادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا ، وهو الشهوات للصوفة في الجنة فقط . فأما التلذذ بمجرد المعرفة والنجاة والنظر إلى وجه الله تعالى . فهذا حظ هؤلاء وهذا لا يبعد الناس حظا بل يتسحبون منه . وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والنجاة وملزمة الشهود للحضرة الإلهية سرّا وجهرّا جميع نعم الجنة لاستحقروه ولم يلتفتوا إليه فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن عظمهم معبودهم فقط دون غيره . وذلك أبو عثمان : الاخلاص نسيان رؤية الخلق بنوام النظر إلى الخالق فقط وهذا إشارة إلى آفة الرياء فقط ولذلك قال بعضهم الاخلاص في العمل : أن لا يطالع عليه شيطان ففسده ولا ملك فيكتبه فانه إشارة إلى مجرد الاخفاء . وقد قيل الاخلاص : ما ستر عن الخلائق وصفا عن الملائق وهذا أجمع للمقاصد . وقال الهامبي : الاخلاص هو إخراج الخلق عن معاملة الرب وهذا إشارة إلى مجرد نفي الرياء وكذلك قول الحواصص : من شرب من كأس الرياسة قد خرج عن إخلاص الصودية . وقال الحواربيون لعيسى عليه السلام : ما الخالص من الأعمال فقال الذي يعمل لله تعالى لا يحب أن يحمده عليه أحد وهذا أيضا تعرض ترك الرياء وإنما خصه بالذكر لأنه أقوى الأسباب للشوشة للاخلاص . وقال الجنيد : الاخلاص تصفية العمل من السكدرات . وقال الفصيل : ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص أن يفايك الله منها . وقيل : الاخلاص دوام الراقية ونسيان الحفظ كلها وهذا هو البيان الكامل والأقوال في هذا كثيرة . ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وإنما البيان الشافي يان سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم « إذ سئل عن الاخلاص فقال : أن تقول ربّي الله ثم تستقيم كما أمرت (١) » أي لا تنبد هواك وتفسك ولا تنبد لإربك وتستقيم في عبادته كما أمرت وهذا إشارة إلى قطع ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا .

(يان درجات الشوائب والآفات للكثرة للاخلاص)

اعلم أن الآفات للشوشة للاخلاص بعضها جلي وبعضها خفي وبعضها ضيف مع الجلاء وبعضها قوى مع الحفاء ولا ينفهم اختلاف درجاتها في الحفاء والجلاء إلا بمثال . وأظهر مشوشات الاخلاص الرياء فلنذكر منه مثالا . فنقول : الشيطان يدخل الآفة على الصلّى منها : من خلاصا في صلاته ثم نظر إليه جماعة أو دخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حق ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يتباك فتخضع جوارحه وتسكن أطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على المتدبّين من الريدن . الدرجة الثانية يكون المرید قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت إليه ويستمر في صلاته كما كان فيأتي في معرض الخير ويقول أنت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وما تفعله يؤثر عنك ويتأسي بك غيرك فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت وعليك الوزر إن أسأت فأحسن عملك بين يديه ففساد يقتدي بك في الحشوع وتحسين العبادة وهذا أغصن من الأول وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأول وهو أيضا

(١) حديث سئل عن الاخلاص فقال أن تقول : ربّي الله ثم تستقيم كما أمرت لم أره بهذا اللفظ وللمنفذ وصححه وابن ماجه من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتمد به قال قل ربّي الله ثم استقم وهو عند مسلم بلفظ : قل لي في الاسلام قولاً لأسأل عنه أحدا بعدك قال قل أمنت بالله ثم استقم .

تقسم الأعرفي فقال
التي صلى الله عليه
وسلم م ضحككت
يا أعرابي ؟ فقال
إن الكريم إذا قدر
عفا وإذا حاسب
سامع . وقال شاه
الكرماني : سلامة
الرجاء حسن الطاعة .
وقيل : الرجاء رؤية
الجلال بين الجبال .
وقيل : قرب القلب
من ملاطفة الرب .
قال أبو طي الروذباري :
الحشوف والرجاء
يكسح الطائر اذا
استويا استوى الطائر
وتم في طيرانه . قال
أبو عبد الله بن خفيف :
الرجاء ابرياح القلوب
لرؤية كرم الرجو .
قال مطرف : لو

عين الرياء وميطال للإخلاص فانه إن كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لميره تركه لم يرتض لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن أن تكون نفس غيره أعز عليه من نفسه فهذا بعض التلبس بل للقدى به هو الذى استقام في نفسه واستدار قابله فانتشر نوره إلى غيره فيكون له ثواب عليه فأما نعدا فبعض التفاق والتلبس فمن اتقى به أثيب عليه . وأما هو فيطالب بتلبسه وساقب على إظهاره من نفسه ما ليس متصفا به . الدرجة الثالثة وهى أدق مما قبلها أن يجرب العبد نفسه في ذلك ويتبينه الكيد الشيطان ويعلم أن مخالفته بين الخلوة وللشهادة للغير محض الرياء ويعلم أن الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في اللأ ويستحي من نفسه ومن ربه أن يتخضع لمشاهدة خلقه تخسما زائدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذى رتب فيه في اللأ ويصلى في اللأ أيضا كذلك فهذا أيضا من الرياء التامض لأنه حسن صلاته في الخلوة لتحسن في اللأ فلا يكون قد فرق بينها فالتافته في الخلوة وللأ إلى الحلق بل الإخلاص أن تكون مشاهدة الهائم لصلاته ومشاهدة الحلق على وثيرة واحدة فكان نفس هذا ليست تسمح بإساءة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحي من نفسه أن يكون في صورة للرائين ويظن أن ذلك يزول بأن تستوى صلاته في الخلوة وللأ وهيات بل زوال ذلك بأن لا يلتفت إلى الحلق كما لا يلتفت إلى الجمادات في الخلوة وللأ جوامع هذا من شخص مشغول المهمل بالحلق في اللأ وللأ جميعا وهذا من للكيد الخفية للشيطان . الدرجة الرابعة أدق وأخفى أن ينظر إليه الناس وهو في صلاته فيحجز الشيطان عن أن يقوله أخشى لأجلهم أنه قد عرف أنه تفتن بذلك فيقول له الشيطان شكر في عظمة الله تعالى وجلاله ومن أنت واقف بين يديه واستحي من أن ينظر الله إلى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخضع جوارحه ويظن أن ذلك عين الإخلاص وهو عين للسكر والخذاع فان خشوعه لو كان لنظره إلى جلالة لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الأمن من هذه الآفة أن يكون هذا الحاضر مما يأنه في الخلوة كأيالته في اللأ لا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الحاضر كما لا يكون حضور البهيمة سببا لما دام يفرق في أحواله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الإخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفى من الرياء ، وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من ديب الخلة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء (١) كما ورد به الخبر ، ولا يسلم من الشيطان إلا من دق نظره وسعد بصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته وإلا فالشيطان ملازم للمتشرعن لمباداة الله تعالى لا يفلت عنهم لحظة حتى يجعلهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى في كل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن في أوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ حتى لا يرتبط نظر الخلق بها ولا يستئناس الطبع بها فيدعو الشيطان إلى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي أن تركها ويكون أنماث القلب باطنا لها لأجل تلك الشهوة الخفية أو مشوبة بها شوبا يخرج عن حد الإخلاص بسببه وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص بل من يتكف في مسجدهم ونظيف حسن العمارة يأمن إليه الطبع فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون الحرك الخفى في سره هو الأنس بحسن صورة للسجد واستراحة الطبع إليه ويتبين ذلك في ميله إلى أحد المسجدين أو أحد اللوضعين إذا كان أحسن من الآخر وكل ذلك امتزج بشوائب الطبع وكدورات

(١) حديث الشرك أخفى في قلب ابن آدم من ديب الخلة السوداء في الظلمة الظلماء على الصخرة تدم في العلم وفي دم الجاه والرياء .

وزن خوف للؤمن
ورحاه لا اعتدلا .
والخوف والرجاء
للإيمان كالجناحين
ولا يكون خافيا إلا
وهو راج ولا راجيا
إلا وهو خائف لأن
موجب الخوف الإيمان
وبالإيمان رجاء
وموجب الرجاء الإيمان
ومن الإيمان خوف
ولهذا القى روى
عن لقمان أنه قال
لأبنته خف الله تعالى
خوفا لا تأمن فيه
مكره وأرجه أشد من
خوفك ، قال فكيف
استطيع ذلك وإيما
لى قلب واحد ؟ قال
أما علمت أن للؤمن
قلوبين يخفاف
بأحدهما ويرجو

النفس ومبطل حقيقة الاخلاص لعمري العش الذي يمزج بغالض الذهب له درجات متفاوتة فيها ما يصاب ومنها ما يفل لكن يسهل دركه ومنها ما يدرك لا يدركه إلا الناقد البصير وغشى القلب ودغل الشيطان وخبث النفس أغضض من ذلك وأدق كثيرا ، ولهذا قيل ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الأعمال حتى يخلص عنها فان الجاهل نظره إلى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادى إلى حمرة الدنار للموه واستدارته وهو مشغوش زائف في نفسه وقباط من الخالص التي يرتضيها الناقد البصير خير من دينار يرتضيه الفريسي فهكنا يتفاوت أمر العبادات بل أشد وأعظم ومداخل الآفات المتطرفة إلى فنون الأعمال لا يمكن حصرها وإحصاؤها فليتنعم بما ذكرناه مثالا والفظن بضية القليل عن الكثير والبليد لا يضيئه التطويل أيضا فلا فائدة في التفصيل .

(بيان حكم العمل للشوب واستحقاق الثواب به)

اعلم أن العمل إذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء أو حظوظ النفس فقد اختلف الناس في أن ذلك هل يقتضى ثوابا أم يقتضى عقابا أم لا يقتضى شيئا أصلا فلا يكون له ولا عليه وأما الذي لم يرد به إلا الرياء فهو عليه تطعا وهو سبب للفت والعقاب . وأما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وإنما النظر في للشوب وظاهر الأخبار تدل على أنه لا ثواب له ^(١) وليس تخلو الأخبار عن تعارض فيه والذي يتقدح لما فيه والمعم عند الله أن ينظر إلى قدر قوة الباعث فان كان الباعث الذي مساويا للباعث النفس تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وإن كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس ينافع وهو مع ذلك مضر ومفض للعقاب فهم العقاب الذي فيه أخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء ولم يمزج به شائبة التقرب وإن كان قصد التقرب أغلب بالإضافة إلى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما مضى من قوة الباعث الذي وهذا لقوله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - ولقوله تعالى - إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها - فلا ينبغي أن يضيع قصد الخير بل إن كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وإن كان مغلوبا سقط بسببه شيء من عقوبة القصد القاسد وكشف القصد عن هذا الأعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها فداعية الرياء من للهلكات وإعما غذاء هذا الملك وقوته العمل على وقته وداعية الخير من للنجات وإعما قوتها بالعمل على وقتها فإذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فإذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة وإذا كان العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى أيضا تلك الصفة وأحدهما مهلك والآخر منج فان كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما فكان كالمستضر بالحرارة إذا تناول ما يضره ثم تناول من للبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناوله ما كأنه لم يتناوله ما وإن كان أحدهما غالبا لم يخل الغالب عن أثره فكلما لا يضيع مثقال ذرة

(١) الأخبار التي يدل ظاهرها على أن العمل للشوب لا ثواب له قال وليس تخلو الأخبار عن تعارض أبو داود من حديث أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله رجل يبتغي الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا من عرض الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أجر له الحديث والنسائي من حديث أبي أمامة باسناد حسن أرأيت رجلا غزا ياتمس الأجر والدكر ماله فقال لا شيء له فأعادها ثلاث مرات يقول لا شيء له ثم قال إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه ولترمذى وقال غريب وابن حبان من حديث أبي هريرة الرجل يعمل العمل فيفسره فإذا أطلع عليه أعجبته قال له أجزان أجر السر وأجر الصلاة وقد تقدم في فم الجاه والرياء .

بالآخر وهذا لأنهم
من حكم الإيمان .
[قولهم في التوكل]
قال السري : التوكل
الانخلاع من الحول
والقوة . وقال الجنيدي
التوكل أن تكون لله
كما لم تكن فيكون الله
لك كما لم يزل . وقال
سهل : كل اللقائات
لها وجه وقفا غير
التوكل فانه وجه بلا قفا
قال بعضهم يريد توكل
العناية لا توكل الكفاية
والله تعالى جعل التوكل
مقرونا بالإيمان فقال
- وعلى الله فتوكلا وإن
كنتم مؤمنين - وقال
- وعلى الله فليتوكل
الؤمنون - وقال تلبية
- وتوكل على الحى
الذى لا يموت - وقال

من الطعام والشراب والأدوية ولا ينفك عن أثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تأثير في إنارة القلوب وتسويد موى قفري من الله أو إبعاده فإذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد إلى ما كان فلم يكن له ولا عليه وإن كان الفعل بما يقربه شبرين والآخر يبعده شبرا واحدا فضل له لأحالة شبر وقد قال النبي ﷺ «أتبع السيئة الحسنة تمحها» (١) فإذا كان الرياء المحض يمحوه الإخلاص المحض عقيه فإذا اجتمعا جميعا فلا بد وأن يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا إجماع الأمة على أن من خرج حاجبا ومعه تجارة صح حجه وأنيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن أن يقال إنما يثاب على أعمال الحج عند انتهائه إلى مكه وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وإنما لا يشترك طول للساقه ولاتواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب أن يقال مهما كان الحج هو المترك الأصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب . وما عندي أن الغزاة لا يدركون في أنفسهم عترة بين غزو الكفار في جهة تسكر فيها الفئام وبين جهة لا غنمية فيها ويعد أن يقال إدراك هذه التفرقة يحبط بالسكينة ثواب جهادهم بل العدل أن يقال إذا كان الباعث الأصلي والزجع القوي هو إعلاله كلمة الله تعالى وإعلاء الرعية في الغنمية على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه إلى الغنمية أصلا فان هذا الالتفات قصار لأحالة . فان قلت فالآيات والأخبار تدل على أن شوب الرياء يحبط للثواب وفي معناه شوب طلب الغنمية والتجارة وسائر الحظوظ قد دروي طاوس وغيره من التابعين «أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمن يسطنع للعروف أوقال يتصدق فيجب أن محمد ويؤجر فلم يدر ما يقول له حتى زلت - فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - » (٢) وقد قصد الأجر والحمد جميعا وروى معاذ عن النبي ﷺ أنه قال «أدنى الرياء شرك» (٣) وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم «يقال لمن شرك في عمله خذ أجره ممن عملت له» (٤) وروى عن عبادة «أن الله عز وجل يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك من عمل عملا أشرك به فإني أجريه في شركه» (٥) وروى أبو موسى «أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حبة والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكنه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لشكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» (٦) وقال عمر رضي الله عنه تقولون فلان شهيد ولعله أن يكون قديما دفع راحته ورقا وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال رسول الله ﷺ «من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له» (٧) فنقول هذه الأحاديث لاتناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك إلا الدنيا كقولهم من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا وكان ذلك هو الأغلب على همه وقد ذكرنا أن ذلك عصيان وعدوان لأن طلب الدنيا حرام ولكن طلبها بأعمال الدين

(١) حديث أتبع السيئة الحسنة تمحها تقدم في رياضة النفس وفي التوبة (٢) حديث طاوس وعده من التابعين أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمن يسطنع للعروف أوقال يتصدق فيجب أن محمد ويؤجر فنزلت - فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - » (٣) حديث معاذ عن النبي ﷺ أنه قال «أدنى الرياء شرك» (٤) حديث أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم «يقال لمن شرك في عمله خذ أجره ممن عملت له» (٥) حديث أبي موسى «أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حبة والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكنه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لشكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» (٦) وقال عمر رضي الله تعالى عنه قال رسول الله ﷺ «من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له» (٧) فنقول هذه الأحاديث لاتناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك إلا الدنيا كقولهم من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا وكان ذلك هو الأغلب على همه وقد ذكرنا أن ذلك عصيان وعدوان لأن طلب الدنيا حرام ولكن طلبها بأعمال الدين

ذوالنون: التوكل ترك تدبير النفس والأخلاق من الحول والقوة . وقال أبو بكر الرقاعي: التوكل رد اليأس إلى يوم واحد وإسقاط هم خد . وقال أبو بكر الواسطي: أصل التوكل صدق الفاعل والافتقار وأن لا يغارق التوكل في أمانيه ولا يلتفت بسره إلى توكله لحظة في عمره . وقال بعضهم من أراد أن يقوم بحق التوكل فليحفر لنفسه قبراً يدفنها فيه ويسئ الدنيا وأهلها لأن حقيقة التوكل لا يقوم لها أحد من الخلق على كاله . وقال سهل أول مقامات التوكل أن يكون العبد بين يدي الله تعالى

حرام لما فيه من الرياء وتيسير العبادة عن موضعها وأما لفظ الشر كحديث وردة أطلق للتساوي وقد بينا أنه إذا تساوى القصدان تفاؤلا ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي أن يرجى عليه ثواب ثم إن الإنسان عند الشر كره أبدا في خطر فانه لا يدري أى الأمرين أغلب على قصده فربما يكون عليه وبالا وذلك قال تعالى - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - أى لا يرجى اللقاء مع الشر كالتى أحسن أحوالها التساقط ويجوز أن يقال أيضا منصب الشهادة لا ينال إلا بالاخلاص في الغزو وبعيد أن يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزججه إلى مجرد الغزو وإن لم يكن غنيمة وقدر على غزو وطاقتين من الكفار إحداها غنية والأخرى فقيرة فالإلى جهة الأغنياء لا علاء كلفة الله وللغنية لا ثواب له على غزوه ألينة ونسود بالله أن يكون الأمر كذلك فان هذا حرج في الدين ومدخل للباس على المسلمين لأن أمثال هذه الشوائب التابعة قط لا ينفك الإنسان عنها إلا على التدور فيكون تأخير هذا في قصان الثواب فأما أن يكون في إحباطه فلاء نعم الإنسان فيه على خطر عظيم لأنه ربما يظن أن الباعث الأقوى هو قصد التقرب إلى الله ويكون الأغلب على سره الحظ النفسى وذلك بما يخفى غاية الحفاء فلا يحصل الأجر إلا بالاخلاص والاخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وإن بالغ في الاحتياط فذلك ينبغي أن يكون أبدا بعد كمال الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خاضعا أن تكون في عبادته آفة فيكون وبالها أكثر من ثوابها وهكذا كان الخائفون من ذوى البصائر وهكذا ينبغي أن يكون كل ذى بصيرة ولذلك قال سفيان رحمه الله لا أعتد بما ظهر من عملى وقال عبد العزيز بن أبى رواد جاورت هذا البيت ستين سنة وحسبت ستين حجة فمادخلت في شيء من أعمال الله تعالى إلا وحاسبت نفسى فوجدت نصيب الشيطان أوفى من نصيب الله ليته لالى ولا لى ومع هذا فلا ينبغي أن يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فان ذلك منتهى بغية الشيطان منه إذ المقصود أن لا يغوى الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكى أن بعض الفقهاء كان يخدم بأسيعة الحرارز وخفف في أعماله فسلكهم أبو سعيد في الاخلاص يوما يريد إخلاص الحركات فأخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطلبه بالاخلاص فتعثر عليه قضاء الحوائج واستقر الشيخ بذلك فسأله عن أمره فأخبره بطلابته نفسه بحقيقة الاخلاص وأنه يعجز عنها في أكثر أعماله فتركها فقال أبو سعيد لا تفعل إذ الاخلاص لا يقطع للماملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص فمأملت لك أترك العمل وإنما قلت لك أحلص العمل وقد قال الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لأجل الخلق شرك.

(الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته)

(فضيلة الصدق)

قال الله تعالى - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه - وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يقود إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا» (١) ويكفى في فضيلة الصدق أن الصديق مشتق منه والله تعالى وصف الأنبياء به في معرض اللوح والثناء فقال - وأذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا - وقال تعالى - وأذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا وقال ابن عباس أربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر. وقال بشر بن الحرث من عامل الله بالصدق

(الباب الثالث في الصدق)

(١) حديث إن الصدق يهدي إلى البر الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

حكايه بين يدي
العامل بقلبه كيف أراد
ولا يكون له حركة
ولا تدبير وقال حمدون
القصار : التوكل هو
الاعتماد بالله . وقال
سهل أيضا : العلم كله باب
من التوكل والتبذير
باب من الورع والورع
كله باب من الزهد
والزهد كله باب من
التسوكل . وقال :
التقوى واليمين مثل
كفوى البرهان والتوكل
لسانه به يعرف الزيادة
والنقصان ويقع لى أن
التوكل على قدر العلم
بالوكل فكل من كان
أتم معرفة كان أتم
توكلا ومن كل توكله
غاب في رؤية الوكيل
عن رؤية توكله ثم إن

استوحش من الناس . وقال أبو عبد الله الرملي رأيت منصورا البزنطى فى المنام قتلته ما فعل الله بك قال غفرلى ورحمنى وأعطانى ما لم أؤمل قتلته أحسن ما توجه البعد به إلى الله ماذا قال الصدق وأصبح ماتوجه به الكذب . وقال أبو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك . وقال رجل لحكيم مارأيت صادقا فقال له لو كنت صادقا لعرفت الصادقين وعن محمد بن على السكتانى قال وجدنا دين الله تعالى مبينا على ثلاثة أركان على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على النقول . وقال الثورى فى قوله تعالى - ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة - قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا بها صادقين ، وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام بإدأود من صدقى فى سريره صدقة عند الخافقين فى علانيته وصالح رجل فى مجلس الشبلى ورمى نفسه فى دجلة فقال الشبلى إن كان صادقا فإله تعالى ينجيه كما نجى موسى عليه السلام وإن كان كاذبا فإله تعالى يرققه كما أغرق فرعون . وقال بعضهم أجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال أنها إذا صحت ففيها النجاة ولايم بضها إلا بعرض الإسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى فى الأعمال وطيب الطعم . وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بنى إسرائيل يجتمعون فيقرءونها ويتدارسونها . لاكثر أنفع من العلم ولأمال أربع من العلم ولا حسب أو ضنع من الغضب ولا قرن أزين من العمل ولا رفيق أشين من الجهل ولا شرف أعز من التقوى ولا كرم أوفى من ترك الهوى ولا عمل أفضل من السكر ولا حسنة أعل من الصبر ولا سيئة أخزى من السكر ولأدواء ألين من الرقيق ولأدواء أوجع من الحرق ولأرسل أعدل من الحق ولأدليل أنصح من الصدق ولا قرر أذل من الطمع ولا غنى أشقى من الجمع ولا حياة أطيب من الصحة ولا معيشة أهنأ من العفة ولا عبادة أحسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس أحفظ من الصمت ولا غائب أقرب من الموت . وقال محمد بن سعيد الروزى إذا طلبت الله بالصدق آتاك الله تعالى امرأة يديك حتى تبصر كل شئ من محجائب الدنيا والآخرة . وقال أبو بكر الوراق أحفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين الخلق وقيل لدى التون هل للعبد إلى صلاح أموره سبيل ؟ قال :

قد بقينا من الذنوب حيارى نطلب الصدق ما إليه سبيل

فدعواى الهوى تخف علينا وخلاف الهوى علينا تعيب

وقيل لسهل ما أصل هذا الأمر الذى نحن عليه فقال الصدق والسخاء والشجاعة قليل زندا فقال التقي والحياة وطيب القضاء . وعن ابن عباس رضى الله عنهما «أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال فقال : قول الحق والعمل بالصدق (١)» وعن الجندبى فى قوله تعالى - ليسأل الصادقين عن صدقهم - قال يسأل الصادقين عن أنفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا أمر على خطر .

(بيان حقيقة الصدق وممناه ومراتبه)

اعلم أن لفظ الصدق يستعمل فى ستة . ما من صدق فى القول وصدق فى النية والارادة وصدق فى العزم وصدق فى الوفاء بالعزم وصدق فى العمل وصدق فى تحقيق مقامات الدين كلها فمن أنصف بالصدق فى جميع ذلك فهو صدق لأنه مباينة فى الصدق ثم هم أيضا على درجات فمن كان له حظ فى الصدق فى شئ من الجملة فهو صادق بالإضافة إلى ما فيه صدقه . الصدق الأول : صدق اللسان وذلك لا يكون إلا فى الإخبار أوفيا يتضمن الإخبار وينبه عليه والخبر إيمان يتلقى بالماضى أو بالمستقبل

(١) حديث ابن عباس سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق لم أجبه بهذا اللفظ .

قوة المعرفة تصدق
العلم بالعدل فى القسمة
وإن الأقسام نصبت
بأزاء القسم لهم عدلا
وموازاة فان النظر
إلى غير الله لوجود
الجهل فى النفس وكل
ما أحس بشئ يقبح
فى توحيده يراه من
منبع النفس فنقصان
التوكل يظهر بظهور
النفس وكاله يثبت
بخية النفس وليس
لألقوا به اعتساده
بتصحيح توكلهم وإنما
شفهم فى تشييب
النفس بتقوية مواد
القلب فاذا غابت
النفس انصمت مادة
الجهل فصح التوكل
والعبد غدير ناظر
إليه وكلما تحرك من

وفيه يدخل الوفاء بالوعد والحلف فيه وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم إلا بالصدق وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها فمن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كالان : أحدهما الاحتراز عن العارضي قد قيل في العارضي مندوحة عن الكذب وذلك لأنها تقوم مقام الكذب إذ المندور من الكذب شهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه إلا أن ذلك مما عسى إليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الأحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجرىهما وفي الحذر عن الظلم وفي قتال الأعداء والاحتراز عن اطلاعهم على أسرار للكل فمن اضطر إلى شيء من ذلك فصدقه فيه أن يكون نطقه فيه لله فيما يأمرك الحق به يقتضيه الدين فإذا نطق به فهو صادق وإن كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لأن الصدق ما أريد لذاته بل للدلالة على الحق والله تعالى إليه فلا ينظر إلى صورته بل إلى معناه نعم في مثل هذا الوضع ينبغي أن يبعد إلى العارضي ما وجد إليه سبيلا ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توجه إلى سفروى بغيره ^(١) وذلك كي لا ينهى الخبر إلى الأعداء فيقصد وليس هذا من الكذب في شيء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس بكاذب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نحى خيرا ^(٢)» ورخص في النطق على وفق المصلحة في ثلاثة مواضع من أصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب ، والصدق ههنا يتحول إلى النية فلا يراعى فيه إلا صدق النية وإرادة الخير لهما مع قصد صدق نيته وتجردت للخير إرادته صار صادقا وصدقا كيفما كان لفظه ثم التعريض فيه أولى وطريقته ما يحكى عن بعضهم أنه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجته خلى بأصبعك دأرتوضي الأصبع على الدائرة وقولي ليس هو ههنا واحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وأفهم الظالم أنه ليس في الدار فالكمال الأول في اللفظ أن يحترز عن صريح اللفظ وعن العارضي أيضا لا عند الضرورة والكمال الثاني أن يراعى معنى الصدق في ألفاظه التي يناجي بها ربه كقوله - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - فإن قلبه إن كان نصرانيا لله تعالى مشغولا بأمان الدنيا وشهواته فهو كاذب وكقوله - إياك نعبد وإياك نستعين - فإنه إذا لم يصدق حقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ولو طوّل يوم القيامة بالصدق في قوله أنا عبد الله لعجز عن تحقيقه فإنه إن كان عبدا لنفسه أو عبدا الدنيا أو عبدا لشهواته لم يكن صادقا في قوله وكل ما نشيد العبد فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم «تس عبد الدينار تس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخيصة ^(٣)» فسمى كل من تقيد قلبه بشيء عبدا له وإنما العبد الحق لله عز وجل من أعتق أولا من غير الله تعالى فصار حرا مطلقا فإذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فخلت فيه العبودية لله فتشغله بالله وبعبادته وتعيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد إلا الله تعالى ثم يتجاوز هذا إلى مقام آخر أسنى منه يسمى الحرية وهو أن يتق أيضا عن إرادته لله من حيث هو بل يفتح بما يريد الله له من تقرب أو إبعاد فتقضي إرادته في إرادة الله تعالى وهذا عبق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعق عن نفسه فصار حرا وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه إن حركه تحرك وإن سكنه سكن وإن ابتلاه برضى لم يبق فيه متسع لطلب التماس واعتراض بل هو بين يدي الله كالبيت بين يدي الفاسل وهذا منتهى الصدق في العبودية

النفس بقية يرد على صغيرهم سر قوله تعالى - إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء - فيغلب وجود الحق الأعبان والأكوان ويرى الكون بالله من غير استقلال الكون في نفسه ويصير التوكل حينئذ اضطرابا ولا يقدح في توكل مثل هذا للتوكل ما يقدح في توكل الضفاء في التوكل من وجود الأسباب والوسائل لأنه يرى الأسباب موثقا لحياة لها إلا بالتوكل وهذا توكل خواص أهل المعرفة. [قولهم في الرضا] قال الحرث الرضا سكون

(١) حديث كان إذا أراد سفرا ورى بغيره متفق عليه من حديث كعب بن مالك (٢) حديث ليس بكاذب من أصلح بين الناس الحديث متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وقد تقدم (٣) حديث تس عبد الدينار الحديث البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

لله تعالى فالعبد الحق هو الذى وجوده لمولاه لآل نفسه وهذه درجة الصديقين . وأما الحرية عن غير الله فدرجات الصادقين وبمدها تتحقق البودية لله تعالى وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه أن يسمى صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق فى القول . الصدق الثانى : فى النية والارادة ويرجع ذلك إلى الاخلاص وهو أن لا يكون له باعث فى الحركات والسكنات إلا الله تعالى فان ما زجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز أن يسمى كاذبا كاريونا فى فضيلة الاخلاص من حديث الثلاثة حين يسئل العالم ما عملت فيها علمت ؟ فقال فعلت كذا وكذا ، فقال الله تعالى كذبت بل أثرت أن يقال فلان عالم (١) فانه لم يكذب ولم يقل له لم تعمل ولكنه كذبه فى إرادته ونيته ، وقد قال بعضهم : الصدق صحة التوحيد فى القصد وكذلك قول الله تعالى - والله يشهد إن المنافقين لكاذبون - وقد قالوا إنك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لامن حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرق إلى الخبر وهذا القول يتضمن إخبارا بقرينة الحال إذ صاحبه يظهر من نفسه أن يتقدم ما يقول فكذب فى دلالة بقرينة الحال على ما فى قلبه فانه كذب فى ذلك ولم يكذب فيما يلفظ به فيرجع أحد معانى الصدق إلى خلوص النية وهو الاخلاص فكل صادق فلا بد وأن يكون غلصا . الصدق الثالث : صدق العزم فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول فى نفسه إن رزقنى الله فالصدق قد جمعيه أو بشره أو إن لقيت عدوا فى سبيل الله تعالى قاتلت ولم أبال وإن قتل وإن أعطانى الله تعالى ولاية عدلت فيها ولم أعص الله تعالى بظلم وميل إلى خلق فهذه العزيمة قد صادفها من نفسه وهى عزيمة جازمة صادقة وقد يكون فى عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق فى العزيمة فكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال فلان شهوة صادقة ويقال لهذا المريض شهوة كاذبة مهمل لم تسكن شهوته عن سبب ثابت قوى أو كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى والصادق والصديق هو الذى تصادف عزمته فى الخبرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه أبدا بالعزم الصمم الجازم على الخبرات وهو كما قال عمر رضى الله عنه : لأن أقدم فتضرب عنق أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر رضى الله عنه : كذا كذا بما ذكره من القتل ، ومرتبة الصديقين فى العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا يتسنى به إلى أن رضى بالقتل فيه ولكن إذا دخل ورأيه لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه بل فى الصادقين وللؤمنين من لو خير بين أن يقتل هو أو أبو بكر كانت حياته أحب إليه من حياة أبى بكر الصديق . الصدق الرابع : فى الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم فى الحال إذا لامشت فى الوعد والعزم واللؤنة فيه خفية فإذا حقت الحقائق وحصل التحكك وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتحقق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه ، ولذلك قال الله تعالى - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه - قد روى عن أنس «أن عمه أنس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنق ذلك على قلبه وقال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه أما والله لئن أرأيت الله شهيدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما صنعت قال فهذه أحدا فى العالم القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا أباعمر إلى أين فقال وما لرجل الجنة إلى أجد ربيها دون أحد قتال حتى قتل فوجد فى جسده بضع وثمانون ما بين رمية وضربة وطعنة فقالت أخته بنت النضر ما عرفت أخى إلا بيناته ، قزلت هذه الآية - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه - (٢) . «وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب

القلب تحت جريان الحكم وقال ذوالنون الرضا سرور القلب بحر القضاء . وقال سفيان عند راحة اللهم ارض عنا فقالت له أما تستحي أن تطلب رضا من لست عنه براض فسالها بعض الحاضرين متى يكون العبد راضيا عن الله تعالى فقالت إذا سكن سروره بالمصيبة كسروره بالنعمة . وقال سهل إذا اتصل الرضا بالرضوان اتصلت الطمانينة - فطوبى لهم وحسن مآب - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا» وقال عليه السلام «إن الله

ابن عمر وقد سقط على وجهه يوم أحد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر - (١) وقال فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذى يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة هكذا ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته . قال الراوى : فلأدرى قلنسوة عمر أو قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجل جيد الإيمان إذا لقي العدو فكأنما يضرب وجهه بشوك الطلع أتاه سهم فارتقته فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة ورجل أسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة (٢) » وقال مجاهد رجلان خرجا على ملا من الناس قوموا قتالا إن رزقنا الله تعالى مالنا لنصدقن فيخوبا به فزلت - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين - وقال بعضهم إنما هو شيء نووه في أنفسهم لم يتكلموا به فقال - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله غلبوا به وتولوا وهم مع منون فأعقبتهم قنقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون - فجعل الزمعهما وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصدق أشد من الصدق الثالث فإن النفس قد تسخو بالزم ثم تكسب عند الوفاء لشدة عليها ولهيجان الشهوة عند التحمك وحصول الأسباب ، ولذلك استثنى عمر رضى الله عنه فقال لأن أقدم فتضرب عنق أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم إلا أن تسول في نفسي عند القتل شيئا لأجده الآن لأنى لا آمن أن يشغل عني ذلك فتضير عن زمها ، أشار بذلك إلى شدة الوفاء بالزم وقال أبو سعيد الخدري رأيت في المنام كأن ملكين زلما من السماء قتالا لي مالى صدق قلت الوفاء بالنهد قتالا صدقت وعرجا إلى السماء الصدق الخامس في الأعمال وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو به لا بأن يترك الأعمال ولكن بأن يستعير الباطن إلى تصديق الظاهر وهذا مخالف ما ذكرناه من ترك الرياء لأن الرأى هو الذى يقصد ذلك ورب واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن ينظر إليه يراه قائما بين يدي الله تعالى وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته فهذه أعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن إعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الأعمال وكذلك قد يمشى الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله وإن لم يكن ملتفتا إلى الخلق ولا مرايا إياهم ولا ينجو من هذا إلا باستواء السريرة والملاينة بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشوش الظاهر وليس ثياب الأشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر على الباطن فاذن مخالفة الظاهر للباطن إن كانت عن قصد سميت رياء ويفوت بها الاخلاص وإن كانت عن غير قصد فيفوت

تعالى بحكته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط وقال الجنيب الرضا هو صحة العلم الواصل إلى التسلوب فاذا باشر القلب حقيقة السلم أداه إلى الرضا وليس الرضا والمهبة حكما الخوف والرجاء فانهما حالان لا يشارقان العبد في الدنيا والآخرة لأنه في الحجة لا يستغنى عن الرضا والمهبة . وقال ابن عطاء الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد لأنه اختار له الأفضل فيرضى له وهو ترك السخط . وقال أبو تراب ليس ينال الرضا من الله من

النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في قتاله بأحد حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من بين رمية وضربة وطعنة ونزول - رجال صدقوا - الآية الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى في الكبرى وهو عند البخارى مختصرا إن هذه الآية نزلت في أنس بن النضر (١) حديث وقف على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم أحد وقرأ هذه الآية أبو نعيم في الحلية من رواية عبيد بن عمر مرسل (٢) حديث فضالة بن عبيد عن عمر بن الخطاب الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان الحديث الترمذى وقال حتن .

بها الصدق ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل سرى خير من علانيى واجعل علانيى صالحة » (١) وقال يزيد بن الحارث إذا امتوت سريرة العبد وعلانيته فذلك التصفى وإن كانت سريره أفضل من علانيته فذلك الفضل وإن كانت علانيته أفضل من سريره فذلك الجور وأنشدوا:

إذ السر والإعلان في اللؤمن استوى فقد عز في الدارين واستوجب الثنا

فان خالف الإعلان سرا فما له على سعيه فضل سوى الكد والعنا

فما خالص الدينار في السوق نافع ومغشوشه للردود لا يقتضى لنا

وقال عطية بن عبد الغافر : إذا واقفت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به اللائكة يقول هذا عبيدي

حقاً . وقال معاوية بن قرة من يدلى على بكاء بالليل بسام بالهارة ، وقال عبد الواحد بن زيد كان الحسن

إذا أمر بشيء كان من أحمّل الناس به وإذا نهى عن شيء كان من أترك الناس له ولم أر أحداً

أشبهه سريرة بعلاية منه ، وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول إلهي عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالأمانة

وعاملتك فيما بيني وبينك بالحيانة ويسكى ، وقال أبو يعقوب التهرجوري : الصديق موافقة الحق في السر

والعلانية فاذن مساواة السريّة للعلانية أحد أنواع الصدق . الصدق السادس : وهو أطيّ البرجاء

وأعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهو والرضا والتوكل والحب

وسائر هذه الأمور فإن هذه الأمور لها مبادي ينطلق الاسم بظهور هائم لها غايات وحقائق والصادق المحقق

من نال حقيقتها وإذا غلب الشيء وتمت حقيقته ممي صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال ،

ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة وقال الله تعالى - {عَالِمُونَ الَّذِينَ آمَنُوا

بأنه ورسوله ثم لم يرتابوا - إلى قوله - أولئك هم الصادقون - وقال تعالى - ولكن البر من آمن

بِاللهِ واليوم الآخر - إلى قوله - أولئك الذين صدقوا - وسئل أبو ذر عن الإيمان فقرأ هذه الآية فقيل له

سَأَلْنَاكَ عَنِ الْإِيمَانِ قَال « سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ (٢) وَلَنْضَرْبِ

أخوف مثلاً من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر إلا هو خائف من الله خوفاً ينطق عليه الاسم ولكنه

خوف غير صادق أى غير بالدرجة الحقيقة أما تراء إذا خاف سلطانا أو قاطع طريق فى سفره كيف

بصرف لونه وترتعد فرسه ويتنصص عليه عيشه ويتعلم عليه أكله ونومه ويتقسم عليه فكره حق

لا ينفع به أهله وولده وقد يزعم عن الوطن فيستبدل بالأنس الوحشة وبالراحة التعب والشفقة والتعرض

ولا خطر كل ذلك خوفا من درك الهلور ثم إنه يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان

معصية عليه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لم أر مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها »

فالتحقيق في هذه الأمور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال عساها ولكن لكل عبده

حظ بحسب حاله إما صعب وإما قوی فإذا قوی منی صاعدا فیه معرفة الله إلى وعظيمة والخوف منه

وَالْحَيَاةُ مَا وَدَّكَ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحَبُّ إِلَيْنَا وَأَرْكَأُ صُورَتِهِ إِلَى

هذه هي صورته كما لا يطبق ذلك بل ارضى قواعده البعيع في ليلة معمرة فاتاه فطر النبي صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم فإذا هو به قد سدا لقلبي جواب السماء فوضع أبي مسيا علي فاني وقد ناد

(١) حديث اللهم اجعل سريري خير من علانيق الحديث تقدم ولم أجده (٢) حديث أبي ذر سألته

عن الإيمان قهراً قوله تعالى - ولكن البر من آمن بالله اليوم الآخر - إلى قوله - أولئك الذين

صدقوا - رواه محمد بن نصر اللوزي في تعظيم قدر الصلاة بأسانيد متقطعة لم أجده إسنادا .

(۳) حدیث لم أر مثل النار نام ہاربا الحدیث تقدم .

جبريل لصورته الأولى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ظننت أن أحدا من خلق الله هكذا قال وكيف لو رأيت إسرافيل إن العرش لعل كاهله وإن رجله قد مرقتا تحت ثغور الأرض السفلى وإنه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوَصْعِ (١) يعني كالصغير الصغير، فانظر ما الذي يشاهد من العظمة والهيبة حتى يرجع إلى ذلك الحد ومائتة لللائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم . وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مرت ليلة أسرى بي وجبريل بالملأ الأعلى كالجلس البالي من خشية الله تعالى (٢) يعني الكساء الذي يليق على ظهر البعير وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا يبنوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما إن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تنتظر الناس كلهم حتى في دين الله . وقال مطرف ما من الناس أحد إلا وهو أحقق فيا بينه وبين ربه إلا أن بعض الحق أهون من بعض وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى ينظر إلى الناس كالأباعر في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيجدها أحقر حقير (٣) » فالصادق إذن في جميع هذه اللقائات عزز ثم درجات الصدق لانهما يتلها وقد يكون للبعد صدق في بعض الأمور دون بعض فان كان صادقا في الجميع فهو الصدق حقا قال سعد بن معاذ ثلاثة أنا فيهن قوى وفيها سواهن ضيف ما صليت صلاة منذ أسلمت حدثت نفسي حتى أفرغ منها ولا شيعت جنازة حدثت نفسي بغير ما عي قائله وما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها وما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولاً إلا علمت أنه حق فقال ابن السبب ما ظننت أن هذه الحاصل تجمعت إلا في النبي عليه السلام فهذا صدق في هذه الأمور وكل قوم من جلة الصحابة قد أدوا الصلاة وآتوا الجنازة ولم يبلغوا هذا البلوغ فهذه هي درجات الصدق ومعانيه والحكميات للأئمة عن الشايخ في حقيقة الصدق في الأغلب لا تعرض إلا لأحد هذه المعاني نعم قد قال أبو بكر الوراق الصدق ثلاثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لامة المؤمنين قال الله تعالى - والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون - وصدق الطاعة لأهل العلم والورع وصدق المعرفة لأهل الولاية الذين هم أولاد الأرض وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس ولكنه ذكر أقسام ما فيه الصدق وهو أيضا غير محبط بجميع الأقسام، وقال جعفر الصادق: الصدق هو المجاهدة وأن لا تختار على الله غيره كما لم يختار عليك غيره فقال تعالى - هو اجتباكم - وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن إذا أحببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الحيلال لأنظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وإن وجدته جزوا يشكوني إلى خلقي خذته ولا أبالي فاذن من علامات الصدق كتمان اللصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها . ثم كتاب الصدق والاخلاص ، يتاوه كتاب الرقابة والمحاسبة والحمد لله .

يقطعه عن الله . وقيل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما إن أبا ذر يقول الفقر أحب إلى من الغنى والسم أحب إلى من الصحة قال رحم الله أبا ذر ، أما أنا فأقول : من اتسكل على حسن اختيار الله له لم يتن أنه في غير الحالة التي اختار الله له وقال على رضي الله عنه من جلس على بساط الرضا لم يتلهم من الله مكروه أبدا ومن جلس على بساط السؤال لم يرض عن الله في كل حال . وقال يحيى بن جبرج الأمر كله إلى هذين الأصلين . فضل منه بك وفضل

(١) حديث قال لجبريل أحب أن أراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا تطبق ذلك الحديث تقدم في كتاب الرجاء والخوف أخسر من هذا الذي ثبت في الصحيح أنه رأى جبريل في صورته مرتين (٢) حديث مرت ليلة أسرى بي وجبريل بالملأ الأعلى كالجلس البالي من خشية الله الحديث محمد بن نصر في كتاب تعظيم قدر الصلاة والبيهقي في دلائل النبوة من حديث أنس وفيه الحارث بن عبيد الإباضي ضغفه الجمهور وقال البيهقي ورواه حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن عمير بن عطار وهذا مرسل (٣) حديث لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى ينظر إلى الناس كالأباعر في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيجدها أحقر حقير لم أجده له أصلا في حديث مرفوع .

﴿ كتاب المراقبة والمحاسبة ﴾

(وهو الكتاب الثامن من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارة بما جرتحرت المطلع على ضيائها القلوب
إذا هجست الحبيب على خواطر عباده إذا اختلجت الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات
والأرض تهزرت أوسكنت المحاسب على النقيير والقطمير والقليل والكثير من الأعمال وإن خفيت
للتفضل بقبول طاعات العباد وإن صغرت للتطول بالغو عن معاصيهم وإن كثرت وإنما يحاسبهم
لنعلم كل نفس ما أحضرت وتنتظر فيما قدمت وأخرت فعمل أنه لولا لزومها للمراقبة والمحاسبة في الدنيا
لشقيت في سعيد القيامة وهلكت وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضله بقبول بضاعتها للرجاء
لحابت وخسرت فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت واستغرقت رحمته الخلائق في الله الدنيا
والآخرة وغمرت فينبجات فضله اتسعت القلوب للإيمان واتسرحت ويمن توفيقه تعبدت الجوارح
بالبادات وتأدبت وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل واهتشت وتأييده ونصرت
اهطعت مكاييد الشيطان واندفعت وباطف عنايته ترجع كفة الحسنات إذا ثقلت وبقيسه
تيسرت من الطاعات ما تيسرت منه العطاء والجزاء والاباد والاداء والاسعاد والاشقاء والصلاة
والسلام على محمد سيد الأنبياء وعلى آله سادة الأصفياء وعلى أصحابه قادة الأتقياء .

[أما بعد] قد قال الله تعالى - ونضع للوازيين القسط يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال
حبة من خردل أثينا بها وكفى بنا حاسبين - وقال تعالى - ووضع الكتاب قرتي المجرمين مشفقين
مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يأخذ سفرته ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا معاملا
حاضرا ولا يظلم ريبك أحدا - وقال تعالى - يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه
والله على كل شيء شهيد - وقال تعالى - يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى - ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون -
وقال تعالى - يوم يحمد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود أن تكون بينها وبينه أمدا بعيدا
ويحذركم الله نفسه - وقال تعالى - واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروا - وفرف أرباب البصائر من
جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد وأنهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الأثام من الخطرات
واللحظات وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصديق المراقبة ومطالبة النفس
في الأتاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خفي في القيامة
حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن من قبله وما به ومن لم يحاسب نفسه دامت حسرتها وطالت في عرصات
القيامة وقفاته وقادته إلى الحزى ولقت سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه إلا طاعة الله
وقد أمرهم بالصبر والمراقبة فقال عز من قائل - يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وابطؤوا أبطؤوا
أنفسهم أولا بالمشاركة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاقبة فكانت لهم في الرابطة
مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الأعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة ولكن كل
حساب فبعد مشاركة ومراقبة ويتبعه عند الحشران المعاقبة وللمعاقبة فلذلك كثر شرح هذه المقامات وبالله
التوفيق .

(للقام الأول من الرابطة للمشاركة)

اعلم أن مطاب للتعاملين في التجارات المشتركة في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكان التاجر

منك له قرضي بما
عمل وتخلص فيما عمل
وقال بعضهم الراضى
من لم يندم على فالت
من الدنيا ولم يتأسف
عليها . وتيل ليحي
ابن معاذ في يبلغ العبد
إلى مقام الرضا قال إذا
أنام نفسه على أربعة
أصول فيها يعمل به يقول
إن أعطيتني قبلت
وإن منعتني رضيت
وإن تركتني عبت
وإن دعوتني أجبت
وقال الشبلي رحمه الله
بين يدى الجنيد لا حول
ولا قوة إلا بالله . قال
الجنيد قولك ذائق
صدر فقال صدقت قال
فضيق الصدر ترك
الرضا بالتضاء وهذا
إنما قاله الجنيد رحمه

يستعين بشريكه فيسلم إليه المال حتى يتجرّم بحسابه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وإنما
مطلبه ووجه تزيّة النفس لأن بذلك فلاحها قال الله تعالى - قد أفلح من زكّاه وقد خاب من
دساها - وإنما فلاحها بالأعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة إذ يستعملها ويستخرجها
فيها يزكّيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما أن الشريك يصير خصماً منازماً
يجاذبه في الربح فيحتاج إلى أن يشارطه أولاً ويراقبه ثانياً ويحاسبه ثالثاً ويحاسبه أحياناً بغيره كما يفك ذلك
العقل يحتاج إلى مشارطة النفس أولاً فيوظف عليها الوظائف ويشرط عليها الشروط ويرشدها إلى
طرق الفلاح ويجزم عليها الأمر يساوك تلك الطرق ثم لا يخلع عن مراقبتها لحظة فانه لو أهملها لم يرمها
إلا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن إذا خلا له الجو وانشرذ بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي أن
يحاسبها ويطلبها بالوفاء بما شرط عليها فان هذه تجارة ورجعها القردوس الأعلى وبولغ سدرة المنتهى
مع الأنبياء والشهداء قد تديق الحساب في هذا مع النفس أم كثيراً من تدقيقه في أرباح الدنيا مع أنها
عشقره بالإضافة إلى نعيم المقبي ثم كيفما كانت تفسيرها إلى التصرم والاقتضاء ولاخبر في خبر لا يدوم بل
شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لأن الثمر الذي لا يدوم إذا قطع بقي القرح باق طاعة دائماً وقد انقضى
الثمر والخير الذي لا يدوم يبقى الأسف على انقطاعه دائماً وقد انقضى الخير ولذلك قيل :

أشدّ الغم عندى في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

فظم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يخلع عن محاسبة نفسه والتدقيق عليها في حركاتها
وسكناتها وخطراتها وحظواتها فان كل نفس من أنفاس العمر جوهره شبيهة لا عوض لها يمكن أن
تشتري بها كثر من السكون لا يتناهي نعيمه أبد الأباد فاقضاء هذه الأنفاس ضائلة ومصرفة إلى
ما يجلب الملاك خسران عظيم هائل لا تسمع به نفس عاقل ، فإذا أصبح العبد وفرغ من فريضة
الصبح ينبغي أن يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما أن التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشريك
العادل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول لنفسه مالي بضاعة إلا للعمر ومهما فني فقد فني رأس المال
ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه وأنساني أجلي وأنعم على
به ولو توفاني لكنت أمتحن إلى الدنيا يوماً واحدا حتى أعمل فيه ما لحافسي أنك قد توفيت
ثم قد رددت فلماذا لم إياك أن تضعي هذا اليوم فان كل نفس من الأنفاس جوهره لا قيمة لها وعلى النفس
أن اليوم والليالي أربع وعشرون ساعة ، وقد ورد في الخير وأنه ينشر للعبد بكل يوم وليلة أربع
وعشرون خزانة مصقوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نوراً من حسناته التي عملها في تلك الساعة
فيأخذ من القرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار التي هي وسيلته عند الملك الجبار ما لو وزع
على أهل النار لأدهشهم ذلك القرح عند الاحساس بألم النار ويقتل له خزانة أخرى سوداء مظلمة
فخرج تلتها ويشاهد ظلامها وهي الساعة التي عصي الله فيها فيأخذ من المحول والقرع ما لو قسم على أهل
الجنة لتخص عليهم نعيمها ويختم له خزانة أخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه (١) وهي الساعة
التي نام فيها أو غفل أو اشتغل بشئ من مباحات الدنيا فيتجسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما يناله
التاجر على الربح الكبير وللملك الكبير إذا أهمله وتساهل فيه حتى فاتته وناهيك به حسرة وغنا
وهكذا تعرض عليه خزائن أو فاته طول عمره فيقول لنفسه ما جدى اليوم في أن تعمري خزانتك ولا تدعيها
فارغة عن كنوزك التي هي أسباب ملسكك ولا تعيل إلى الكسل والسعة والاستراحة فيفوتك من

(١) حديث ينشر للعبد كل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة مصقوفة فيفتح له منها خزانة فيراها

مملوءة من حسناته الحديث بطوله لم أجده أصلاً .

الله تنبيهاً منه على
أصل الرضا وذلك أن
الرضا يحصل لانتراح
القلب وانفساحه
وانشراح القلب من
نور اليقين قال الله تعالى
- أفن شرح الله صدره
للإسلام فهو على نور
من ربه - فإذا تمكن
النور من الباطن اتسع
الصدر وانفتحت عين
البصيرة وطاق حسن
تدبير الله تعالى فينتزع
السخط والضجر لأن
اتساع الصدر يتضمن
سلامة الحب وأهل
المحوب بموقع الرضا
عن المحب السابق لأن
المحب يرى أن الفعل
من المحسوب مراده
واختياره فيفنى في لذة
روية اختيار المحبوب

درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وإن دخلت الجنة فألم الذين وحسرتهم لا يطاق وإن كان دون ألم النار وقد قال بعضهم هب أن السوء قد عفى عنه أليس قد فاتت نوب الحسين أشار به إلى العين والحسرة وقال الله تعالى - يوم يحكمكم ليوم الجمع ذلك يوم التباين - فهدى وصيته لنفسه في أوقاته ثم ليستأنف لها وصية في أعضائه السبعة وهي العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وتسلمها إليها قائماً رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارء وبها تتم أعمال هذه التجارة وإن لجوهم سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وإنما تعين تلك الأبواب لمن عصى الله تعالى بهذه الأعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها أما العين فيحفظها عن النظر إلى وجه من ليس له بحرم أو إلى عورة مسلم أو النظر إلى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه فإن الله تعالى يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام ثم إذا صرفها عن هذا لم تضع به حق يشغلها بما فيه تجارتها وريحها وهو ما خلقت له من النظر إلى محائب صنع الله بعين الاعتبار والنظر إلى أعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله ومنة رسوله ومطالعة كتب الحكمة للتماط والاستفادة وهكذا ينبغي أن يفصل الأذن عليها في عضو عضولها للسان والبطن أما اللسان فلائنه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنابته عظيمة بالنية والكذب والخيمة وتركبة النفس ومذمة الحلق والأطعمة واللحن والدماء على الأعداء وللإشارة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في كتاب آفات اللسان فهو يصد ذلك كله مع أنه خلق لذلك والتذكروا تكرار العلم والتعليم وإرشاد عباد الله إلى طريق الله وإصلاح ذات البين وسائر خيراته فليشترط على نفسه أن لا يهرك اللسان طول النهار إلا في الذكر فخلق اللؤمن ذكر ونظرة عبرة وصمته فكرة - وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - وأما البطن فيكلفه ترك الشره وتقليل الأكل من الحلال واجتناب الشهوات ويمتنع من الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة ويشترط على نفسه أنها إن خالفت شيئاً من ذلك عاقبها بالنوع عن شهوات البطن ليقوتها أكثر مما تالته شهواتها وهكذا يشترط عليها في جميع الأعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصي الأعضاء وطاعاتها ثم يستأنف وصيتها في وظائف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفية الاستعداد لها بأسبابها وهذه شروط يفترض إليها في كل يوم ولكن إذا تمود الإنسان شرط ذلك على نفسه أياماً وطاوعته نفسه في الوفاء بحميمها استغنى عن للشارطة فيها وإن أطاع في بعضها بقيت الحاجة إلى تجديد للشارطة فيها بقي ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد وقف عليه في ذلك حق ويكثر هذا على من يشتغل بشيء من أعمال الدنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس إذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج إلى أن يقضى حق الله فيها فليعلم أن يشترط على نفسه الاستقامة فيها والاشياء للحق في مجارها ويحذر ما منة الإلهام ويحفظها كما يوعظ العبد الآتي للتمرد فإن النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها - وذكر فإن الذكرى تنفع اللؤميين - فهذا وما يجري مجراه هو أول مقام للرابطة مع النفس وهي محاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله لتحذير قال الله تعالى - واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروا - وهذا للستقبل وكل نظر في كثرة ومقدار لمحرفة زيادة ونقصان فإنه يسمى محاسبة فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليحرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فبينوا - وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق فنبأ فبينوا - وقال تعالى

عن اختيار نفسه كما قيل :

وكل ما يفعل المحبوب محبوب .

[الباب الحادى

والستون في ذكر

الأحوال وشرحها]

حدثنا شيخنا شيخ

الاسلام أبو النجيب

السهروردى رحمه الله

قال أنا أبو طالب الزينى

قال أخبرتنا كريمة

السرورية قالت أنا

أبو الهيثم الكشميرى

قال أنا أبو عبد الله

الفربرى قال أنا

أبو عبد الله البخارى

قال تأسلنا بن حرب

قال حدثنا شعبة عن

قتادة عن أنس بن

مالك رضى الله عنه

عن النبي صلى الله عليه

وسلم قال « ثلاث من

— ولقد خلقتنا الانسان ونعلم مათوسوس به نفسه — ذكر ذلك تحذيرا وتنبها لاحتراز منه في المستقبل . وروى عبادة بن الصامت أنه عليه السلام قال لرجل سأله أن يوصيه ويعظه «إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فأمضه وإن كان غيا فاقته عنه ^(١)» . وقال بعض الحكماء : إذا أردت أن يكون العقل غالبا للهوى فلا تصمد بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فإن مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة . وقال لقمان : إن للؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة . وروى شداد بن أوس عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله ^(٢)» دان نفسه أى حاسبها ويوم الدين يوم الحساب وقوله — أنا لمدنيون — أى لحاسبون . وقال عمر رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ونوزها قبل أن توزنوا وتيسوا للعرض الأكبر ، وكتب إلى أبى موسى الأشعرى حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة . وقال لكعب كيف تجدها في كتاب الله قال ويل لبيان الأرض من ديان السماء فلهذا بالدرة وقال لإمن حاسب نفسه قال كتب يأمر المؤمنين إنها إلى جنبها في التوراة ما بينهما حرف لإمن حاسب نفسه وهذا كله إشارة إلى المحاسبة للمستقبل إذ قال من دان نفسه يعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الأمور أولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها فإشراها . [لرابطة الثانية للرابطة] إذا أوصى الانسان نفسه وفكرط عليها ما ذكرناه فلا يبق إلا للرابطة لها عند الخوض في الأعمال وملاحظتها بالعين السكاكة فاتها إن تركت طفت وفسدت . ولندكر فضيلة الرابطة ثم درجاتها . أما الفضيلة : فقد سأل جبريل عليه السلام عن الاحسان فقال «أن تعبد الله كأنك تراه ^(٣)» وقال عليه السلام «اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه راءك ^(٤)» وقد قال تعالى — أفئن هو قائم على كل نفس بما كسبت — وقال تعالى — ألم يعلم بأن الله يرى — وقال الله تعالى — إن الله كان عليكم رقيبا — وقال تعالى — والذين هم بآياتهم قائلون — . وقال ابن المبارك لرجل : راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره فقال كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل . وقال عبد الواحد بن زيد : إذا كان سيدى رقيبا على فلا أبالي بغيره . وقال أبو عبيان اللخري : أفضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والرابطة وسياسة عمله بالم . وقال ابن عطاء : أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات . وقال الجريري : أمرنا هذا مبنى على أصلين أن تلم نفسك للرابطة لله عز وجل ويكون العلم على ظاهره كقائما . وقال أبو عبيان : قال لى أبو حفص إذا جلست للناس فكُن واعظا لنفسك وقلبك ولا يفرنك اجتماعهم عليك فاتهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك . ويحيى أنه كان لبعض الشايعين هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض أصحابه كيف تكسر هذا وهو شاب ونحن شيوخ فقدمه بطيور وتناول كل واحد منهم طائرا وسكتنا وقال لذيبح كل واحد منكم طائره في موضع لا يراه أحد ودفع إلى الشاب مثل ذلك وقال له كأنا لهم فرجع كل واحد بطائره مذبوحا ورجع الشاب والطائر حي في يده فقال مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك فقال لم أجد موضعا لا يرى فيه أحد إذ الله مطلع على كل مكان فاستحسنوا منه هذه للرابطة وقالوا حق لك أن تكسر .

كن فيه وجد حلاوة
الايمن : من كان الله
ورسوله أحب إليه مما
سواهما من أحب عبدا
لا يحب إلا الله ومن بكره
أن يعود في الكفر بعد
إذ أنه الله منه كما
يكفر أن يلتقى في النار .
وأخبرنا شيخنا
أبو زرعة طاهرين
أبى الفضل قال أنا
أبو بكر بن خاف قال
أنا أبو عبد الرحمن قال
أنا أبو عمر بن حيوة
قال حدثني أبو عبيد بن
مؤمل عن أبيه قال
حدثني بشر بن محمد
قال حدثنا عبد الملك
ابن وهب عن إبراهيم
ابن أبي عبيدة عن
الرباض بن سارية
قال «كان رسول الله

- (١) حديث عبادة بن الصامت إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته الحديث تقدم (٢) حديث السكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث تقدم (٣) حديث سأل جبريل عن الاحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه متفق عليه من حديث أبى هريرة ورواه مسلم من حديث عمر وقد تقدم (٤) حديث عبد الله كأنك تراه الحديث تقدم .

وحكى أن زليخا لما خات يوسف عليه السلام قامت فغطت وجهه صم كان لها فقال يوسف مالك أنتجحين من مراقبة حماد ولا أستحي من مراقبة الملك الجبار . وحكى عن بعض الأحداث أنه راود بارية عن نفسها فقالت له ألا تستحي فقال ممن أستحي ؟ وما رانا إلا الكواكب قالت فأين مكوكها . وقال رجل للجنيديهم أستعين على غض البصر فقال بعلك أن نظرك الناظر إليك أسبق من نظرك إلى التفتور إليه . وقال الجنيدي : إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف على قوت حظه من ربه عز وجل ، وعن مالك بن دينار قال : جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلق من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها ؟ قال يقول الله عز وجل إنما يسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمى فراقبوني والذين انشئت أصلاهم من خشيق وعزى وجلالى إلى لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والمطش من حقائق صرفت عنهم العذاب . وسئل الحاسبي عن المراقبة فقال : أولها علم القلب بقرب الرب تعالى . وقال للرمش : للمراقبة مراعاة السر على لحظة القلب مع كل لحظة ولقطة . ويروي أن الله تعالى قال لا تشكوا أنهم موكلون بالظاهر وأما الرقيب على الباطن . وقال محمد بن على الترمذى اجعل مراقبتك لمن لا تنبى عن نظره إليك واجعل شكرك لمن لا تتقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغنى عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه . وقال سهل : لم يترن القلب بشئ أفضل ولا أشرف من علم البدي بأن الله شاهده حيث كان . وسئل بعضهم عن قوله تعالى - رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه - قال معناه ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه وتزود لمهامه . وسئل ذوالنون بن ببال العبد الجنة ؟ فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان واجاد ليس معه سوء ومراقبة الله تعالى في السر والعلانيات وانتظار الموت بالأنه له وبخاصة نفسك قبل أن تحاسب وقد قيل :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يفتل ساعة ولا أن ما تخفيه عنه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذهاب وأن غدا لناظرين قريب

وقال حميد الطويل لسلمان بن على عظمى فقال : لئن كنت إذا عصيت الله خاليا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك فقد كفرت . وقال سفيان الثوري : عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية عليك بالرجاء ممن يملك الوفاء عليك بالخذل ممن يملك العقوبة . وقال فرقد السنجي : إن المنافق ينظر فإذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء وإنما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى . وقال عبد الله بن دينار : خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى مكة فرسنا في بعض الطريق فاعترض عليه راع من الجبل فقال له ياراعى بنى شاة من هذه النعم فقال إني مملوك فقال قل لكيدك أكلها الكذب قال فأين الله قال فيكبي عمر رضى الله عنه ثم غدا إلى المملوك فاعتراه من مولاه واعتقه وقال أعنتك في الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تمتك في الآخرة .

(بيان حقيقة الرقابة ودراجتها)

اعلم أن حقيقة الرقابة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه لمن أحزن من أمر من الأمور بسبب غيره يقال إنه يراقب فلانا ويراعى جانبه ويعنى بهن المراقبة حالة لقلب يشعرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب أما الحالة فهي مراعاة القلب لرقيب واستغاله به والتفاتة إليه وملاحظته إيابه وانصرافه إليه وأما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على أنفاس عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل قص بما كسبت وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشارة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك فهذه المعرفة إذا صارت يقينا

صلى الله عليه وسلم
يدعو « اللهم اجعل
جيك أحب إلى من
شئى وصمى وبصرى
وأهلى ومالى ومن
الماء البارد » فكان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم طلب
خالص الحب وخالص
الحب هو أن يحب الله
تعالى بكليته وذلك
أن البدي قد يكون في
حال قائما بشروط
حاله بحكم العلم والجيلة
تتقاضاه بشد العلم مثل
أن يكون راضيا
والجيلة قد تصحبه
ويكون النظر إلى
الانقياد بالعلم إلى
الاستصاء بالجيلة
قد يحب الله تعالى
ورسوله بحكم الإيمان

أغنى أنها خلت على الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته فربّ علم لاشك فيه لاينبغ
على القلب كالمعالم بالموت فإذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت
همه إليه والوقوف بهذه المعرفة ثم للقبرون ، وهم يتقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب الجبين ،
فراقبتهم على درجتين . الدرجة الأولى : مراقبة المقربين من الصديقين ، وهى مراقبة التعظيم
والاجلال ، وهو أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يلقى فيه
متسع للانثناء إلى الغير أصلا وهذه مراقبة لا تطول النظر في تفاصيل أعمالها فانها مقصورة على
القلب . أما الجوارح فانها تتعطل عن الالتفات إلى اللباحات فضلا عن المخطورات ، وإذا تحركت
بالطاعات كانت كالمتعممة بها فلا تحتاج إلى تدبير وتثبيت في حفظها على سنن السداد ، بل يسد
الرعية من ملك كلية الراعى والقلب هو الراعى فإذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح مستعملة
جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذى صار همه ما واحدا فكفاه الله سائر
الهموم ، ومن نال هذه الدرجة قد ينفل عن الخلق حتى لا يصير من يحضر عنده وهو قانع بعينه
ولا يسمع ما يقال له مع أنه لاصمم به وقد يمرّ على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجرى عليه
ذلك ، فقال لمن عاتبه إذا مررت بى فركبى ولا تستعبد هذا فانك تجد نظير هذا فى القلوب المظلمة
للملوك الأرض حتى إن خدم للملك قد لا يحسون بما يجرى عليهم فى مجالس الملوك لشدة استغراقهم
بهم بل قد يشغل القلب بهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل فى الفكر فيه وعشى فرجما
يجاوز الوضع الذى قصده وينسى الشغل الذى نهض له . وقد قيل لميد الواحد بن زيد هل تعرف
فى زمانك هذا رجلا قد اشتغل بماله عن الخلق ، فقال ما أعرف إلا رجلا سيدخل عليك الساعة
لما كان الأسرى حتى دخل عتبة الفلام ، فقال له عبد الواحد بن زيد من أين جئت يا عبته ،
قال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لبيت فى الطريق فقال ما رأيت أهدأ .
ويروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه مر بامرأة فدفعها فستطت على وجهها فقيل له لم
فعلت هذا ؟ فقال ما ظننتها إلا جدارا . وحتى عن بعضهم أنه قال مررت بجماعة يترامون وواحد
جالس يبيد منهم فتقدمت إليه فأرادت أن أكلمه فقال ذكر الله تعالى أشهى قلت أنت وحدك
قال معى ربى وملكاى قلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له قلت أين الطريق فأشار
نحو السماء وقام ومشى ، وقال أكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى
لا يتكلم بالإمته ولا يسمع إلا فيه فهذا لا يحتاج إلى مراقبة لسانه وجوارحه فانها لا تتحرك إلا بما
هو فيه . ودخل الثعلب على أبى الحسين النورى وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتناع
لا يتحرك من ظاهره شئ فقال له من أين أخذت هذه الرقابة والسكون ، فقال من سنور كانت
لنا فكانت إذا أرادت الصيد رابطت رأس البحر لا تتحرك لها شرة . وقال أبو عبد الله بن خفيف
خرجت من مصر أريد الرملة لاقاء أبى على الروذبارى فقال لى عيسى بن يونس الصرى المعروف
بأزاهد إن فى صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال للرابعة ، فلو نظرت إليهما انظرة لملك تستفيد منهما
فدخلت صور وأنا جامع عطشان وفى وسطى خرقة وليس على كفى شئ فدخلت المسجد فإذا بشخصين
قاعدين مستقبلى التبة فسلمت عليهما فما أجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب . قلت :
نشدتكما بالله إلا ردتما على السلام فرفع الشاب رأسه من مرقته فنظر إلى وقال يا ابن خفيف
الدنيا قليل ومابقى من القليل إلا القليل غد من القليل الكثير . يا ابن خفيف : ما أقل شغلك حتى
تفرغ إلى لقائنا . قال : فأخذ بكليتي ثم طأطأ رأسه فى اللسان فبقيت عندهما حتى صلبنا الظهر والمصر

وجب الأهل والولد
بحكم الطبع . وللمجة
وجوه وبواشع الهبة
فى الانسان متنوعة
لئلا يحسب الروح
وحبة القلب وحبة
النفس وحبة العقل
فقول رسول الله
سلى الله عليه وسلم
وقد ذهكر الأهل
وللك والماء البارد
معناه استئصال عروق
الهبة بمحبة الله تعالى
حتى يكون حب الله
تعالى غالبا فيحب الله
تعالى بقلبه وروحه
وكليته حتى يكون
حب الله تعالى أغلب
فى الطبع أيضا والجلبة
من حب الماء البارد
وهذا يكون جبا
صافيا لخواص تنفجر

فذهب جوعى وعطشى وعنائى . فلما كان وقت العصر قلت عظمى فرغ رأسه إلى : وقال : يا ابن خفيف نحن أصحاب الصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة أيام لا تأكل ولا تشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلا شيئا ولا شربا فلما كان اليوم الثالث قلت فى سرى أحلفنها أن يعطاني لعل أن أشفع بعظمتها فرغ الشاب رأسه وقال لى يا ابن خفيف عليك بصجة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيئته على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فبهذه درجة للراغبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك . الدرجة الثانية : مراقبة الورعين من أصحاب الجبين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهريهم وباطنيهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متمسكة للتفت إلى الأحوال والأعمال إلا أنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن الراقبة . نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجمون إلا بعد التثبت فيه ويعتصمون عن كل ما يفتضحون به فى القيامة فاتهم يرون الله فى الدنيا مطمعا عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمجاهدات فانك فى خلوتك قد تتعاطى أعمالا فيحضر لك صبي أو امرأة فتعلم أنه مطلع عليك فتستحي منه فتحسن جلوسك وترعى أحوالك لأعن إجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وإن كانت لا تدهشك ولا تستغفرك فانها تهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الأكابر فيستغفرك التعظيم حق ترك كل ما أنت فيه فضلا به لحياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد فى مراقبة الله تعالى ومن كان فى هذه الدرجة فيحتاج أن يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته ، وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر فى العمل . أمّا قبل العمل فلينظر أن مظهره وتحرك بفعله خاطره أهو لله خاصة أهو فى هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى يشكف له ذلك بنور الحق ، فان كان قد تعالى أمضاء ، وإن كان لغير الله استحي من الله وانكشف عنه ثم لم تفس على رغبته فيه وهمة به وميله إليه وعزفها سوء فقامها وسعيها فى فضيلتها وأنها عدوة نفسها إن لم يتداركها الله بعصمته وهذا التوقف فى بداية الأمور إلى حد البيان واجب محتوم لا يحصى لأحد عنه فان فى الخبر «إنه ينشر للعبد فى كل حركة من حركاته وإن صرفت ثلاثة دواوين : الدواوين الأول لم . والثانى كيف . والثالث لمن»^(١) ومعنى لم أى لم فعلت هذا أكان عليك أن تفعله لمولاك أوملت إليه بشهوتك وهواك فان سلم منه بأن كان عليه أن يعمل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثانى فقيل له كيف فعلت هذا فان فنى كل عمل شرطاً وحكماً لا يدرك قدره وموته وصفته إلا بعلم فقال له كيف فعلت أم لم عقق أم جهل وظن فان سلم من هذا الشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالاخلاص فقال له لمن عملت الوجه الله خالصاً وقام بقوله لا إله إلا الله فيكون أجره على الله أولم أآه خلق مثلك غداً أجره منه أم عملته لتلّال عاجل دنياك فقد وقيناك نصيبك من الدنيا أم عملته بسوء وغفلة فقد سقط أدرك وحبط عملك وخاب سعيك وإن عملت لغيري فقد استوجبت مقى وعقابي إذ كنت عبداً لى تأكل رزقى وترفع بنعمتى ثم تعمل لغيري أم معتنى أقول لى إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم - إن الذين يعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فاتبعوا عتداً الله الرزق واعبدوه ويحك أم معتنى أقول - أآله الذين الخالص - فادع عرف العبد أنه يصده هذه اللطالبات والتوبيخات طالب نفسه قبل أن تطالب وأعد للسؤال جواباً وليكن الجواب صواباً فلا يبدى ولا يبعد إلا بعد التثبت

(١) حديث ينشر للعبد فى كل حركة من حركاته وإن صرفت ثلاثة دواوين : الأول لم . والثانى كيف . والثالث لمن . لم أتف له على أصل .

به وبوره ثار الطبع
والجيلة وهذا يكون
حب الذات عن
مشاهدة يكوف
الروح وخالوصه إلى
موطن القرب . قال
الواسطى فى قوله تعالى
- محبهم ومحبونه -
كما أنه بذاته محبهم
كذلك يحبون ذاته
فالمقام راجعة إلى
الذات دون النعوت
والصفات . وقال بعضهم
الحب شرطه أن تلحقه
سكرات المحبة فاذا لم
يكن ذلك لم يكن حبه
فيه حقيقة فاذا لم يكن
حبا من حباب
خاص فالحب العام
مفسر بامتنال الأمر
وربما كان حبا من
معدن العلم بالألاء

ولا يحرك جفا ولا أكلة إلا بعد التأمل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم له: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْتَلْ عَنْ كَدِّ عَيْنِهِ وَعَنْ فَتَنِ الطَّيْنِ بِأَصْبَعِهِ وَعَنْ لَمَسِهِ ثَوْبَ أَخِيهِ» (١) وقال الحسن: «كَانَ أَحْمَدُ إِذَا رَأَى أَنَّ يَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ نَظَرَ وَثَبَّتَ فَإِنْ كَانَ قَدْ أَضَاهَا . وقال الحسن : رحم الله تعالى عبدا وقف عندهم فان كان الله مضى وإن كان لتبره تأخر وقال في حديث سعد حين أوصاه سلمان «اتق الله عندك إذا هممت» (٢) وقال محمد بن علي بن الزمان وقاف متأن يقف عند همه ليس كحاطب ليل فهذا هو النظر الأول في هذه الرقابة ولا يخلص من هذا إلا العلم للتين وللعرفة الحقيقية بأسرار الأعمال وأغوار النفس ومكاييد الشيطان فحق لم يعرف نفسه وربه وعدوه إبليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله ويرضاه في نيته وهمة وفكرته وسكوته وحركته فلا يسلم في هذه الرقابة بل الأكثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ولا تظن أن الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يبتدر هيبات بل طلب العلم فرصة على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من غير عالم لأنه يعلم آفات النفوس ومكاييد الشيطان ومواقع الضرور فينتقي ذلك والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وهمة فينفذ بالله من الجهل والتفلة فهو رأس كل شقاوة وأساس كل خسران لحكم الله تعالى على كل عبد أن يرأب نفسه عند همه بالعلم وسعيه بالجراحة فيتوقف عن العلم وعن السعي حتى ينكشف له بنور العلم أنه لله تعالى فيمضيه أو هو لهوى النفس فينتبه ويحذر القلب عن السكر فيه وعن العلم بفن الخطاة الأولى في الباطن إذا لم تدفع أو ثورت الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم القصد والتقصير يورث القمل والقمل يورث البوار ولتقتني أن تحسم مادة الشر من منبعه الأول وهو الخاطر فان جميع ما وراءه يتيمة وبهما أشكل على البعد ذلك وأظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيفسكر في ذلك بنور العلم ويستعين بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فان يجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضيء بنور علماء الدين ويلفر من العلماء الضالين للقلبين على الدنيا فرار من الشيطان بل أشد قدرا وحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : لا تسأل عنى علما أسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي أو تلك قطاع الطريق على عبادي ، فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها عجيبة عن نور الله تعالى فان مستضاء أنوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضيء بها من استبردها وأقبل على عدوها وعشق بغيضا ومقبتها وهى شهوات الدنيا فلتكن همه المريد أولا في أحكام العلم أو في طلب عالم معرض عن الدنيا أو ضيف الرغبة فيها إن لم يجد من هو عديم الرغبة فيها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْبَصَرَ النَّاقِدَ عِنْدَ وَرُودِ الشَّهَاتِ وَالْعَقْلَ السَّامِعَ عِنْدَ هُجُومِ الشَّهَوَاتِ» (٣) جمع بين الأمرين وهما متلازمان حقائق ليس له عقل ولا عقل ولا زرع عن الشهوات فليس له بصر ناقد في الشهوات ولذلك قال عليه السلام «مَنْ قَارَفَ ذُنْبًا قَارَفَهُ عَقْلٌ لَا يَبُودُ إِلَيْهِ أَبَدًا» (٤) فما قدر العقل الضعيف الذى سعد الآدمي به حتى يبعد إلى محوه ومحقه بمقارفة الذنوب ومعرفة آفات الأعمال قد اندرست في هذه الأعصار فان الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم واشتغلوا

واللهاء وهذا الحب عجزه من الصفات وقد ذكر جمع من المشايخ الحب في المقامات فيكون النظر إلى هذا الحب العام الذى يكون لكسب البعد فيه مدخل . وأما الحب الخاص فهو حب الذات عن مطالعة الروح وهو الحب الذى فيه البركات وهو الاصطناع من الله الكريم لبيده واسطفاؤه إياه وهذا الحب يصحكون من الأحوال لأنه محض موهبة ليس لكسب مدخل وهو مفهوم من قول النبي صلى الله عليه وسلم «أحب إلى من الماء البارد» لأنه

(١) حديث قال لمعاذ إن الرجل ليسأل عن كحل عينيه الحديث تقدم في الذى قبله (٢) حديث سعد حين أوصاه سلمان أن اتق الله عندك إذا هممت إذا هممت أحمد والحاكم وصححه وهذا القدر منه موقوف وأوله مرفوع تقدم (٣) حديث إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشهات الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث عمران بن حصين وفيه حفص بن عمر العدنى ضعفه الجهور (٤) حديث من قارف ذنبا قارقه عقل لا يبور إليه أبدا تقدم ولم أجده .

بالتوسط بين الخلق في الخصومات الثائرة في اتباع الشهوات ودلوا هذا هو الفقه وأخرجوا هذا العلم الذي هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا لفقه الدنيا الذي ماتصد به الإدفع الشواغل عن القلوب ليفرغ لفقه الدين فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه وفي الخبر «أنتم اليوم في زمان خيركم فيه للسارع وسبأني عليكم زمان خيركم فيه التثبت» (١) ولهذا تواف طائفة من الصحابة في القتال مع أهل العراق وأهل الشام لما أشكل عليهم الأمر كسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو وأسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متعبا لهو لمعجبا برأيه وكان بمن وصفر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال «فاذا رأيت شعا مطاعا وهوى متعبا وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن خاصة لنفسك» (٢) وكل من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى - ولا تخف ما ليس لك به علم - وقوله عليه السلام «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» (٣) وأراد به ظنا بغير دليل كما يستنق بعض الدوام قلبه فيما أشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الأمر وعظمته كان دعاء الصديق رضى الله تعالى عنه اللهم أرني الحق حقا وارزقني اتباعه وأرني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه ولا تجعله متشابها علي فأصبح الهوى . وقال عيسى عليه السلام «الأمور ثلاثة: أمر استبان وعنده فاقبته وأمر استبان غيبه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله إلى الله» (٤) وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم (٥) فأعظم نعمة الله على عباده هو العلم وكشف الحق والإيمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتننا على عبده - وكان فضل الله عليك عظيما - وأراد به العلم وقال تعالى - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم للاحملون - وقال تعالى - إن علينا الهدى - وقال - ثم إن علينا بيانه - وقال - وعلى الله قصد السبيل - وقال على كرم الله وجهه : للهوى شريك العبي ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم ما طرداهم القين وعاقبة السكذب الندم وفي الصديق السلامة رب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يهدمك من حبيب سوء ظن نعم الخلق التسكرم والحياء سبب إلى كل جميل وأوفى العرائق وأوفى سبب أخذت به سبب بينك وبين الله تعالى إنما لك من دنياك ما أصلحت بهمواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأت به أتاك وإن كنت جازعا على ما أصيب بحسبي يدك فلا تجزع على ما لم يصل إليك واستدل على ما لم يكن بما كان فأما الأمور أشباه والرد يسر درك ما لم يكن ليفوته ويسوء فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تسكن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفا وليسكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وشغلك لأخرتك وهلك فيما بعد الموت وغرضنا من نقل هذه الكلمات قوله ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ، فإذا نظر الأول للمراتب نظره في العلم والحركة أمهي لله أم الهوى وقد قال صلى الله عليه وسلم «ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرى بشيء من عمله وإذا عرض له أمر أن أحدهما للدنيا والآخر للأخرة أثر الأخرة على الدنيا» (٦) وأكثر ما ينكشف له في حركاته أن يكون مباحلا ولكن

(١) حديث أنتم اليوم في زمان خيركم فيه للسارع وسبأني عليكم زمان خيركم فيه التثبت لم أجده (٢) حديث فاذا رأيت شعا مطاعا وهوى متعبا الحديث تقدم (٣) حديث إياكم والظن الحديث تقدم (٤) حديث قال عيسى الأمور ثلاثة الحديث الطبراني من حديث ابن عباس بأسناد ضعيف (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم لم أجده (٦) حديث ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

كلام عن وجدان روح
تلتذ بحب الذات
وهذا الحب روح
والحب الذي يظهر عن
مطالعة الصفات ويطالع
من مطالع الإيمان
قلب هذا الروح ولما
صحت محبتهم هذه أخبر
الله تعالى عنهم بقوله
أذلة على المؤمنين - لأن
الحب يذل لهبوه
ولحبيب محبوه
وينشد :
لنن تفي ألف عين
وتنقى
ويكرم ألف الحبيب
للكرم
وهذا الحب الخالص
هو أصل الأحوال
السنية وموجبها وهو
في الأحوال كائنية
في القامات فن صحت

لا يعبئه فيتركه لقوله صلى الله عليه وسلم «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه^(١)». النظر الثاني للمراربة عند التبرع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله فيه ويحسن النية في إتباعه ويكمل صورته ويتعاطى على كل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع أحواله فإنه لا يخلو في جميع أحواله عن حركة وسكون فإذا راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الأدب فإن كان قاعدا مثلا فينبغي أن يعمد مستقبل القيلة لقوله ﷺ «خير المجالس ما مستقبل به القيلة^(٢)» ولا يجلس متربعا إذ لا مجالس للوكل كذلك وملك للوكل مطلع عليه قال إبراهيم بن آدم رحمه الله جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول هكذا تجالس للوكل فلم أجلس بعد ذلك متربعا وإن كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في مواضعها فكل ذلك داخل في للراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فراحته لأدائها وقاء بالراقبة فاذن لا يخلو البعد إما أن يكون في طاعة أو في معصية أو في مباح فراقبته في الطاعة بالاخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات وإن كان في معصية فراقبته بالتوبة والندم والقلاع والحياء والاشتغال بالتفكير وإن كان في مباح فمرآقته بمراعاة الأدب ثم يهود النعم في النعمة والشكر عليها ولا يخلو البعد في جملة أحواله عن ليلة لا بد له من الصبر عليها ولعملة لا بد له من الشكر عليها وكل ذلك من للراقبة بل لا يترك البعد في كل حال من فرض الله تعالى عليه إما فعل يلزمه مباشرة أو محذور يلزمه تركه أو ندي حث عليه ليسارع به إلى مغفرة الله تعالى ويسابق به عبادة الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام للراقبة ومن تعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغي أن يتفقد البعد نفسه في جميع أوقاته في هذه الأقسام الثلاثة فإذا كان فارضا من القرائن وقدر على الفضائل فينبغي أن يلتمس أفضل الأعمال ليستل بها فإن من فاته مزيد ربح وهو قادر على ذلك فهو مغبون والأرباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك يأخذ البعد من دنياه لآخرته كما قال تعالى «ولا تنس نصيحتك من الدنيا» وكل ذلك إنما يمكن بصبر ساعة واحدة فإن الساعات ثلاث ساعة مضت لاتبس فيها على البعد كيفما ائضت في مشقة أو رفاة ساعة مستقبل لم تأت بعد لا يدرى البعد أيسس إليها أم لا ولا يدرى ما يقضي الله فيها وساعة راهنة فينبغي أن يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فإن لم تأته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وإن أتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الأولى ولا يطول أمه خمسين سنة فيطول عليه العزم على الراقبة فيها بل يكون ابن وقته كأنه في آخر ألقاسه فله آخر أخاه وهو لا يدرى وإذا أمكن أن يكون آخر ألقاسه فينبغي أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحالة وتكون جميع أحواله مقصورة على ما رواه أبو ذر رضي الله تعالى عنه من قوله عليه السلام «لا يكون للمؤمن طاعنا إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو ولدة في غير محرم^(٣)» وما روى عنه أيضا في معناه «وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات ساعة يتاجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها بالمطعم والشرب^(٤)»

توبته على الكمال
تحقق بسائر اللقائات
من الزهد والرضا
والتوكل على ما شرعناه
أولا ومن صحت
عبته هذه تحقق
بسائر الأحوال من
الفناء والبقاء والصحو
والحو وغير ذلك
والتوبة لهذا الحب
أيضا بمثابة الجسد
لأنها مشتملة على الحب
العام الذي هو لهذا
الحب كالجسد ومن
أخذ في طريق
المهويين وهو طريق
خاص من طريق
الحبة يتشكل فيه
ويجتمع له روح الحب
الحاس مسع قالب
الحب الصام الذي
تشمعل عليه التوبة

(١) حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه تقدم (٢) حديث خير المجالس ما مستقبل به القبلة الحاكم من حديث ابن عباس وقد تقدم (٣) حديث أبي ذر لا يكون للمؤمن طاعنا إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو ولدة في غير محرم (٤) حديث وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يتاجى فيها ربه الحديث وهي بقية حديث أبي ذر الذي قبله .

فإن في هذه الساعة عوناً له على بقية الساعات ثم هذه الساعات التي هو فيها مشغول الجوارح بالمعظم والشرب لا ينبغي أن يغفل عن عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر فإن الطعام الذي يتناوله مثلاً فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح والناس فيه أقسام : قسم ينظرون إليه بين التبرير والاعتبار فينظرون في عجائب صناعته وكيفية ارتباط أقوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لأسبابه وخلق الشهوات الباعثة عليه وخلق الآلات للسفرة والسهولة فيه كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوى الألباب وقسم ينظرون فيه بين اللقطة والكرامة ويلاحظون وجه الاضطراب إليه ويودموا واستقنوا عنه ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهوته وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها إلى صفات الخالق فيكون مشاهدة ذلك سبباً لتذكر أبواب من الفكر تفتح عليهم بسببه وهو أعلى اللقاعات وهو من مقامات المعارف وعلامات الحبيب إذا ألحظ إذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وخصمه نسي الصنعة واشغل قلبه بالصانع وكل ما برده الصمد فيه صنع الله تعالى فله في النظر منه إلى الصانع مجال رحب إن فتحت له أبواب للسكوت وذلك عزز جداً . وقسم رابع ينظرون إليه بين الرغبة والحرس فيتأسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حصرهم من جلته ويذمونه منه ما لا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمونه فاعله فيذمونه الطيب والطباخ ولا يسمون أن القاعل للطيب والطباخ ولذهرته ولعلمه هو الله تعالى وأن من ذم شيئاً من خلق الله غير إذن الله فقد ذم الله ولذلك ذل الذي صلى الله عليه وسلم ولا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر (١) فلهذه للرابطة الثانية بمراقبة الأعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على الحاجب لمن أحكم الأصول .

(المراقبة الثالثة : محاسبة النفس بعد العمل . ولتذكر فضيلة الحاسبة ثم حقيقها)

أما فضيلة : فقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لنفسها هذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال ، ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تموتوا وحاسبوا وزوجكم قبل أن توتوا ، وفي الخبر أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصني فقال أمتوص أنت فقال نعم قال إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن كان رشداً فأمضه وإن كان غيماً فاته عنه ، وفي الخبر وينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه . وقال تعالى - وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون - والتوبة نظر في القمل بعد الفراغ منه بالندم عليه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «إني لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة» (٢) وقال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه كان يضرب قنميه بالدره إذا جنة الليل ويقول لنفسه ماذا فعلت اليوم وعن ميمون بن مهران أنه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أهد من محاسبة شريكه أو الشريك كان يتحاسبان بعد العمل ، وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن أبابكر رضي الله تعالى عنه قال لها عند الموت مائحة من الناس أحب إلي من عمر ثم قال لها كيف قلت فأعادت عليه ما قال فقال لا أحد أعز علي من عمر فأنظر كيف نظر بعد الفراغ من الكسحة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها «وحدث أبي طلحة حين شغله الطائر في صلاته فتدبر ذلك فجعل «لله صدقة لله تعالى ندما ورجاء للمؤمنين» فأنه (٣) »

(١) حديث لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة تقدم غير مرة (٣) حديث أبي طلحة حين شغله الطائر عن صلاته فجعل حديثه صدقة تقدم غير مرة .

النصوص وعند ذلك لا يتقلب في أطوار المقامات لأن التقابل في أطوار المقامات والترقي من شيء منها إلى شيء طريق الحبيب ومن أخذ في طريق المجاهدة من قوله تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - ومن قوله تعالى - ويهدي إليه من ينيب - أثبت كون الانابة سبباً للهداية في حق الحب وفي حق المحبوب صريح بالاجتماع غير معقل بالكسب فقال الله تعالى - يجتبي إليه من يشاء - فن أخذ في طريق المحبوبين يطوى بساط أطوار المقامات ويندرج فيه

وفي حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب ثقيل لها يا يوسف قد كان في بنيك وغلمانك ما يكتونك هذا فقال أردت أن أجرب نفسي هل تكبره . وقال الحسن : للؤمن قوام على نفسه محاسبته والله وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال إن للؤمن مضجؤه الشيء يجب عليه يقول والله إنك لتعجبني وإنك من حاجتي ولكن هيات حيل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويضر منته الذي يفرج إلى نفسه يقول ماذا أردت بهذا والله لا أعثر بهذا والله لا أعود لهذا أبدا إن شاء الله . وقال أنس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يوما وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطاً فسمعته يقول ويبي وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يخ يخ والله لتتقين الله أو ليمدنيك . وقال الحسن في قوله تعالى - ولا أقسم بالنفس اللوامة - قال لا يلقي المؤمن إلا يصاب نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بأكلتي ماذا أردت بشربتي والقاهر عصى فدمالاً يصاب نفسه . وقال مالك ابن دينار رحمه الله تعالى رحم الله عبداً قال لنفسه أأنت صاحبة كذا أأنت صاحبة كذا ثم ذهبا ثم خطمها ثم أزمها كتاب الله تعالى فكان له قائداً وهذا من معاتبة النفس كما سيأتي في موضعه ، وقال يمين بن مهران : التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح ، وقال إبراهيم التيمي : مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعاني أباكراها ثم مثلت نفسي في النار آكل من رقومها وأشرب من صيدها وأعاني سلاسلها وأغلها فقلت لنفسى يا نفس أى شيء تريدين فقالت أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحاً فقلت فأنت في الأمانة فأعمرى ، وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول : رحم الله امرأً حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره رحم الله امرأً أخذ بنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرأً نظر في مكابله رحم الله امرأً نظر في ميزانه لما زال يقول حتى أبكاني ، وحكى صاحب للأخفش بن قيس قال كنت أصبحته فسمكت من الرخية والتوكل يصفه عن قلة الاعتماد المتولد عن جهل النفس والرضا يصفه عن ضربان عرق المنازعة والمنازعة لبقاء جمود النفس ما شرب عليها خموس الحبة الخاصة بفسق ظلتها

(بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل)

اعلم أن العبد كما يكون له وقت في أول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوعية بالحق فيذني أن يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ومحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصاً منهم على الدنيا وخوفاً من أن يفوتهم منها المواقفهم فكانت الحجة لهم في فواته ولو حصل ذلك لهم فيبقى إلا ما قلائل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتبقى به خطر الشقاوة والسعادة أبداً لا يبادم هذه المسألة إلا عن التفقه والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسارة ليتبين له الزيادة من القصدان فإن كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وإن كان من خسران طالبه بفنائه وكلفه تداركه في المستقبل ، فكذلك رأس مال العبد في دينه القرائض ورجحه النوافل والفضائل وخسرانه المعصية وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعاملة نفسه الأمانة بالسوء فيحاسبها على القرائض أولاً فإن أداها على وجهها شكر الله تعالى عليه وورعها في مثلها وإن فوتها من أصلها طألتها بالقضاء وإن أداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وإن ارتكب معصية اشتغل بمقوتها وتعديها ومعاتبتها ليستوفي منها ما تدركه ما فارق كما يصنع التاجر بشريكه وكما أنه يفقش في حساب الدنيا عن الحبة والقرط فيحفظ مداخل الزيادة والتقصان حتى لا يفتن في شيء منها فيفتني أن يبقى غيبته النفس ومكرها فاتها خداعة ملبسة مكارة فليطأ لها أولاً لا يصحح الجواب عن جميع ما تسلك به طول نهاره وليشكل بنفسه

من الحساب ماستيولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته أنه لم سكت وعن سكوته لم سكن ؟ فإذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر آدمي الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على نفسه فليثبت عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وفي جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن أن يستوفي منه الدين . أما بعضها فالترامة والفضان وبعضها برد عينه وبعضها بالقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك إلا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه ، فإذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء ثم ينبغي أن يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة كما تفلن عن توبة ابن الصمة وكان بالرة وكان محاسباً لنفسه فحسب يوما فابا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هي وأحد عشرون ألف يوم وخمسة يوم فصرخ وقال : ياويلي ألقي لللك بأحد وعشرين ألف ذنب فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مشفيا عليه فإذا هومت فقصموا قاتلا يقول يا لك ركضة إلى الفردوس الأعلى فهكذا ينبغي أن يحاسب نفسه على الأنفاس وعلى مصعبته بالقلب والجوارح في كل ساعة ، ولو رمى البعد بكل مصيبة جبرا في داره لامتلات دابره في مدة يسيرة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظ الماضي واللسان يحفظان عليه ذلك أحصاه الله ونسوه .

(للرابطة الرابعة في مقابلة النفس على تصورها)

مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مفارقة مصيبة وارتكاب تصدير في حق الله تعالى فلا ينبغي أن يهملها فإنه إن أهملها سهل عليه مفارقة الماضي وأنت بها نفسه وعسر عليه فطامها ، وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي أن يعاقبها فإذا أكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي أن يعاقب البطان بالجوع وإذا نظر إلى غير محرم ينبغي أن يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف بدنهم بمنع عن شهواته هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة فقد روى عن منصور بن إبراهيم أن رجلا من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على خفيها ثم ندم فوضع يده على النار حتى يست . وروى أنه كان في بني إسرائيل رجل يتبذ في صومته فسكت كذلك زمانا طويلا فأشرف ذات يوم فإذا هو بامرأة فانت مني وهم بها فأخرج رجله لينزل إليها فأدركه الله بساقه فقال ما هذا الذي أريد أن أصنع فرجمت إليه نفسه وعصمه الله تعالى فقدم فلما أراد أن يجدره إلى الصومعة قال هيأت هيأت رجل خرجت تريد أن تعصى الله تعود مني في صومتي لا يكون والله ذلك أبد اتركها معلقة في الصومعة تصيدها الأمطار والرياح والتابع والشمس حتى تقطعت فسقطت فشكر الله له ذلك وأزل في بعض كتبه ذكره ويحكى عن الجنيد قال سمعت ابن السكيت يقول أصابني ليل جالبة فاحتجت أن أغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخرا وتصيرا لحدثني نفسي بالتأخير حتى أصبح وأصبح للماء وأدخل الحمام ولا أمني على نفسي فقلت وأجهد أنا أعامل الله في طول عمري فيجب له على حق فلا جدني للسرعة وأجد الوقوف والتأخر آليت أن لا أغتسل إلا في مرقعتي هذمه آليت أن لا أزعمها ولا أعصرها ولا أجففها في الشمس . ويحكى أن غزوان وأبا موسى كانا في بعض مغازيها متكشفين جارية فظفر إليها غزوان فرفع يده فطمع عينه حتى بقرت وقال إنك للحاظلة إلى ما يضرك ونظر بعضهم نظرة واحدة إلى امرأة فجعل على نفسه أن لا يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار لينص على نفسه العيش . ويحكى أن حسان بن أبي سنان مر برفقة فقال متى بنيت هذه ثم أقبل على نفسه فقال تسأين عما لا ينينك لأعاقبك بضوم سنة ضامها . وقال مالك بن نعيم جاء رباح القيس يسأل عن

وجودها فن تحقق
بالحب الخاص لانت
نفسه وذهب جمودها
فإذا يتزع الزهد منه
من الرغبة ورغبة
الحب أحرقه رغبته
وماذا يسنى منه التوكل
ومطالبة الوكيل حشو
بصيرته وماذا يسكن
فيه الرضا من عروق
اللزعة بمن لم تسلم
كليتة قال الروذباري
مالم تخرج من كليتك
لا تدخل في حد الهبة
وقال أبو يزيد من
قتله محبته فدينه
رؤيته ومن قتله عشقه
فدينه مذامته ، أخبرنا
بذلك أبو زرعة عن
ابن خلف عن أبي
عبد الرحمن قال سمعت
أحمد بن علي بن جعفر

أبي بعد العصر قتلنا إنه نائم فقال أنوم هذه الساعة هذا وقت نوم؟ ثم ولى منصرفاً فأتبعناه رسولاً وولنا له ألا نوقظه لك فجاء الرسول وقال هو أشغل من أن يفهم عني شيئاً أذكره وهو يدخل القمار وهو يعتاب نفسه ويقول أفلت وقت نوم هذه الساعة أفسكان هذا عليك بنام الرجل من شأه وما يدرك أن هذا ليس وقت نوم تسلمين بمالا تملين أما إن لله علي عهداً لأقضه أبداً لأوسد لك الأرض لنوم حولا إلا لمرض حائل أو لعل زائل سواة لك أما تستحين كم توغين وعن غيك لانتبين قال وجعل يبكي وهو لا يشعر بكافي فلما رأيت ذلك انصرفت وركنت . وبكى عن تيم الدارى أنه نام ليلة لم يقم فيها بتجدد قدام سنة لم يمت فيها عقوبة لذى صنع . وعن طلحة رضى الله تعالى عنه قال «انطلق رجل ذات يوم ففرغ ثيابه وترغى في الرمضاء فكان يقول لنفسه ذوقى ونار جهنم أشد حرا أجيفة بالليل بظالة البهار فبينما هو كذلك إذ أبصر النبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فأثابه فقال غلبتني نفسى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ألم يكن لك بد من الذى صنعت أما قد فتحت لك أبواب السماء وقد باهى الله بك الملائكة ثم قال لأصحابه تزودوا من أخيك لجعل الرجل يقول له يا فلان ادم لي يا فلان ادع لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم عنهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى أمرهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سددك فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مأبهم^(١) . وقال حذيفة بن قتادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شهورها قال ما على وجه الأرض نفس أبغض إلى منها فكيف أعطيها شهواتها ودخل ابن السكالك في داود الطائي حين مات وهو في بيته على التراب فقال يا داود سبحت نفسك قبل أن تسبحن وعذبت نفسك قبل أن تعذب فالיום ترى ثواب من كنت تعمل له . وعن وهب بن منبه أن رجلاً تعبد زماناً ثم بدت له إلى الله تعالى حاجة فقام سبعين سنة يأكل في كل سبت إحدى عشرة تمره ثم سأل حاجته فلم يعطها فرجع إلى نفسه وقال منك أثبت لو كان فيك خير لأعطيت حاجتك فزول إليه ملك وقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك . وقال عبد الله بن قيس كنا في غزاة لنا فحضر العدو فسيح في الناس فقاموا إلى المصاف في يوم شديد الريح وإذا رجل أمامى وهو يخاطب نفسه ويقول أى نفسى ألم أشهد مشهد كذا وكذا قتلتي لى أهلك وعيالك فأطعته ورجعت ألم أشهد مشهد كذا وكذا قتلتي لى أهلك وعيالك فأطعته ورجعت والله لأعرضنك اليوم على الله أخذك أو تركك قتلتي لأرمقته اليوم فرمقته فجعل الناس على عدوهم فكان في أوائهم ثم إن العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان في موضعه حتى انكشفوا امرأت وهو ثابت يقابل فوالله ما زال ذلك إذ به حتى رأيته صريماً فعدت به وبدائه ستين أو أكثر من ستين فلعنوه وقد ذكرنا حديثاً في طلحة لما اشتغل قلبه في الصلاة بطائر في حائله فتصدق بالحائط كفارة لذلك وإن عمر كان يضرب قدميه بالذرة كل ليلة ويقول ماذا عملت اليوم وعن مجمع أنه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه أن لا يرفع رأسه إلى السماء مادام في الدنيا . وكان الأنحرف بن قيس لا يغارقه الصباح بالليل فكان يضع أصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك على أن صنعت يوم كذا . وأنسكرو وهيب بن الورد شيئاً على نفسه فتنب شعرات على صدره حتى عظم ألمه ثم جعل يقول لنفسه وبكى إنما أريد بك الخير ورأى محمد ابن بشر داود الطائي وهو يأكل عند إفطاره خبزاً ينير عليه فقال له لو أكلته بيمينى فقال إن نفسى لتدعوني إلى اللع منذ سنة ولا ذاق داود ملحا مادام في الدنيا فهكذا كانت عقوبة أولي الحزم لأنفسهم والعجب

يقول سمعت الحسين ابن عوفيه يقول قال أبو يزيد ذلك فإذا التقلب في أطوار اللقائات لموام المحبين وطى بساط الأطوار لحواص المحبين ومحبوبون تخلفت عن همهم اللقائات وربما كانت اللقائات على مسدأرج طبقات السموات وهى مواطن من يثمر في أنيال بقاياه . قال بعض الحكماء لا يراهم الحواس إلى ماذا أدى بك التصوف فقال إلى التوكل فقال تسمى في صمران باطنك أين أنت من القناء في التوكل برؤية الوكيل فانفس إذا تحركت

(١) حديث طلحة انطلق رجل ذات يوم ففرغ ثيابه وترغى في الرمضاء فكان يقول لنفسه ونار جهنم أشد حرا الحديث بطوله ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس من رواية ليث بن أبي سليم عنه وهذا منقطع أو مرسل ولا أدري من طلحة هذا .

أنك تعاقب عبدك وأمتك وأهلك ولذلك على ما صدر منهم من سوء خاق وتقصير في أمر ونفاق أنك لو تجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار ويغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي أعظم عدوك وأشد طغياناً عليك وضربك من طغيانها أعظم من ضربك من طغيان أهلك فإن غايتهن أن يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلت أن العيش عيش الآخرة وأن فيه النعم للقيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنفس عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة أولى من غيرها .

[الرابطة الخامسة المجاهدة]

وهو أنه إذا حاسب نفسه فرأها قد عارفت مصيبتها فينبغي أن يعاقبها بالعقوبات التي مضت وإن رآها تتواني بحكم الكسل في شيء من الفضائل أو ورد من الأوراد فينبغي أن يؤديها بتثقل الأوراد عليها ويأمرها فتواتم من الوظائف جبراً لما فاتته وتدراكاً لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حين فاتته صلاة الصبر في جماعة بأن تصدق بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة في جماعة أحياتك الليلة وأخر ليلة صلاة للفجر حتى طلع كوكبان فأعق رقتين وفات ابن أبي ربيعة ركعتا الفجر فأعق رقية وكان بعضهم يعمل على نفسه صوم سنة أو الحج ماشياً أو التصديق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخلة لها بما فيه نجاتها . فإن قلت إن كانت نفسي لا تطاعوا على المجاهدة واللوغطة على الأوراد فأسبيل معالجتها . فأقول سيذك في ذلك أن تسمعها ما ورد في الأخبار من فضل المجتهدين ^(١) ومن أشجع أسباب العلاج أن تطلب صحبتة عبد من عباد الله يجتهد في العبادة فتلاحظ أحواله وتهتدي به وكان بعضهم يقول كنت إذا اغترت بفترة في العبادة نظرت إلى أحوال محمد بن واسع وإلى اجتياحه فعملت على ذلك أسبوعاً إلا أن هذا العلاج قد تعذر إذ قد قد في هذا الزمان من يجتهد في العبادة اجتهد الأولين فينبغي أن يعدل من الشاهدة إلى السماع فلا شيء أشجع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا في من الجهد الجيد وقد تفتى بعضهم بقي توابعهم ونسبهم أبدأ الأباد لا ينقطع فما أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدي بهم فيجتنب نفسه أياماً قلائل بشهوات مكذرة ثم يأتيه اللوث ويحال بينه وبين كل ما يشتهي أبدأ الأباد فهو ذاب الله تعالى من ذلك ونحن نورد من أوصاف المجتهدين وفضائلهم ما يحرك رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رحم الله أقواماً يحسبهم الناس مرضى ومأمى بمرضى ^(٢)» قال الحسن أجمعدهم العبادة قال الله تعالى - والذين يؤتون ما آتواوا قلوبهم وجلة قال الحسن يعملون ما عملوا من أعمال البر ونفاقون أن لا ينجم ذلك من عذاب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «طوبى لمن طالع عمره وحسن عمله ^(٣)» ويرى أن الله تعالى يقول للملائكة ما بال عباده يجتهدون

(١) الأخبار الواردة في حق المجتهدين أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص من قام بغير آيات لم يكتب من الثالوثين ومن قام بمائة آية كتب من القاتنين ومن قام بألف آية كتب من اللقنطرين وله والفساني وابن ماجه من حديث أبي هريرة بأسناد صحيح رحم الله رجلاً قام من الليل فضلى وأيقظ امرأته ولقنطري من حديث بلال عليه السلام بقيام الليل فانه ذاب السالحين قبلكم الحديث وقال غريب ولا يصح وقد تقدم في الأوراد مع غيره من الأخبار في ذلك (٢) حديث رحم الله أقواماً تحسبهم مرضى ومأمى بمرضى لم أجده له أصلاً في حديث مرفوع ولكن رواه أحمد في الزهد موقوفاً على علي في كلام له قال فيه ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض (٣) حديث طوبى لمن طالع عمره وحسن عمله الطبراني من حديث عبد الله بن بشر وفيه بقية رواه بصيغة عن وهو مدلى ولترمذى من حديث أبي بكره خير الناس من طالع عمره وحسن عمله وقال حسن صحيح وقد تقدم .

بصفتها متفكته من دائرة الزهد يردّها الزاهد إلى الدائرة يزهده والتوكل إذا تحركت نفسه يردّها بتوكله والراضى يردّها برضاه وهذه الحركة من النفس بقايا وجودية تنفّر إلى سياسة العلم وفي ذلك تنسم روح القرب من بعيد وهو أداء حقّ العبودية مبلغ العلم وبحسبه الاجتهاد والسكب ومن أخذ في طريق الخاصة عرف طريق التخاص من البقاي بالستر بأنوار فضل الحق ومن اكتسب ملابس نور القرب بروح دائمة الصكوف محبة عن

فيقولون إنما خوقهم شيئا غافوا وشوقهم إلى شيء فاشتاقوا إليه فيقول الله تبارك وتعالى فكيف لو رآني عبدي لكانوا أشد اجتهادا . وقال الحسن : أدركت أقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون شيء من الدنيا أقبل ولا يتأسفون على شيء منها أدبر ولهم كانت أهون في أعينهم من هذا التراب الذي تطؤونه بأرجلكم إن كان أحدهم يعيش عمره كله ماطوى له ثوب ولا أمر أهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الأرض شيئا قط وأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم إذا جهنم الليل قيام على أطرافهم يغتشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم ينجون ربهم في فسكالك رقابهم إذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله أن ينقلبها وإذا عملوا السيئة أحرزتهم وسألوا الله أن يضرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك والله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالخشعة . ويحك أن قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يودونه في مرضه وإذا بهم شاب ناضل الجسم فقال عمر له يا فتى ما بالذي بلغ بك ما أرى فقال يأمر للؤمنين استقام وأمراض فقال سألتك بالله إلا مددتني فقال يأمر للؤمنين دقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندي زهرتها وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها وكأني أنظر إلى عرش ربي والناس يساقون إلى الجنة والنار فأظلمات لذلك نهاري وأسهرت ليلي وقليل حقيرك ما أنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه . وقال أبو نعيم كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز قليل له في ذلك قال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية ودخل رجل عليه يوما فقال إن في مقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن أخي إن لي في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت إلى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام . وقال محمد بن عبد العزيز : جلسنا إلى أحمد بن رزيق من غدوة إلى المصير لما التفت بينة ولا يسرة قليل له في ذلك فقال إن الله عز وجل خلق العين لينظر بهما العبد إلى عظمة الله تعالى فكل من نظر بغير اعتبار كتب عليه خطيئة . وقالت امرأة مسروق : ما كان يوجد مسروق إلا وإساقاه منتفخان من طول الصلاة وقالت والله إن كنت لأجلس خلفه فأبكي رحمة له . وقال أبو الدرداء : لولا ثلاث ما أحببت العيش يوما واحدا الظلمة بالهواجر والسجود لله في جوف الليل ومجالسة أقوام ينتقون أطايب السلام كما ينتق أطايب الثمر ، وكان الأسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم في الحر حتى يخضر جسده ويصفر فكان عقيقة بن قيس يقول له لم تذهب نفسك فيقول كرامتها أريد وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلى حتى يسقط فدخل عليه أنس بن مالك والحسن فقالا له إن الله عز وجل لم يأمر بك بكل هذا فقال إنما أنا عبد لمولك لا أدع من الاستكانة شيئا إلا جئت به ، وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم ألف ركعة حتى أتته من رجله فكان يصلي جالساً ألف ركعة فإذا صلى العصر احتجى ثم قال هجيت للخلقة كيف أردت بك بدلائمك هجيت للخلقة كيف أنست بسواك بل هجيت للخلقة كيف استأذنت قلوبها بذكر سواك ، وكان ثابت البناني قد حببت إليه الصلاة فكان يقول اللهم إن كنت أذنت لأحد أن يصلي لك في قبره فآذن لي أن أصلي في قبري . وقال الجنيد : ما رأيت أعبد من السري أتمت عليه ثمان وتسعون سنة ما روى مضطجعا إلا في علة للوت . وقال الحرث بن سعد : مر قوم براهب فرأوا ما يصنع نفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقة الأهل وهم ظافون قد اعتكفوا على حفظ أنفسهم وسوا حظهم الأكبر من ربهم فيكي القوم عن آخرهم ، وعن أبي محمد اللغزالي قال جاور أبو محمد الجريري بمكة سنة فلم يلم يتكلم ولم يستند إلى عمود ولا إلى حائط ولم يمد رجله فصر عليه أبو بكر الكناني فسلم عليه وقال له يا أبا محمد هم قدرت على اعتكافك هذا فقال علم صدق باطن

الطوائف والصروف لا يزعجه طلب ولا يوحشه سلب فازهد والتوكل والرضا كأن فيه وهو غير كأن فيها على معنى أنه كيف تقلب كان زاهدا وان رغب لأنه بالحق لا بنفسه وإن روى منه الالتفات إلى الأسباب فهو متوكل وإن وجد منه الكراهة فهو راض لأن كراهته لنفسه ونفسه للحق وكراهته للحق أعيد إليه نفسه بدواعيها وصفتها مطهرة موهوبة مسموعة ملطوف بها صار عين الله دواءه وصار الاعلال شفاهه وناب طلب الله له مناب كل

فأعاني على ظاهري فأطرق السكاني ومشى مفكرا ، وعن بعضهم قال دخلت على فتح الوصلى
فأرأته قد مد كفيه يميني حتى رأيت الدموع تنحدر من بين أصابعه فدوت منه فإذا دموعه قد
خالطها صفرة فقلت ولم بالله يا فتاح بكيت الدم فقال لولا أنك أحلفتني بالله ما أخبرتك ، نعم بكيت دما
فقلت له على ماذا بكيت الدموع ؟ فقال على تخافني عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع
لئلا يكون ما صحت إلى الدموع قال فرأيته بعد موته في المنام فقلت ماضع الله بك ؟ قال غفرتي فقلت
له لماذا صنع في دموعك ؟ فقال قربني ربي عز وجل وقال لي يا فتاح الدمع على ماذا ؟ قلت يارب على
تخافني عن واجب حقت قال والدم على ماذا ؟ قلت على دموعي أن لا تصح لي فقال لي يا فتاح
ما أردت بهذا كله وعزتي وجلالي لقد سعد حافظك أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة ، وقيل
إن قوما أرادوا سفرا لحادوا عن الطريق فاتهموا إلى راهب مفرد عن الناس فنادوه فأشرف عليهم
من صومته فقالوا ياراهب إنا قد أخطأنا الطريق فكيف الطريق فأومأ برأسه إلى السماء فمطر القوم
ما أراد فقالوا ياراهب إنا سائلوك فهل أنت جيبنا ؟ فقال سلوا ولا تكثروا فإن الهاران يرجع والعمر
لا يموت والطالب حيث فجعب القوم من كلامه فقالوا ياراهب علام الخلق غذا عند مليككم فقال
على نياتهم فقالوا أوصنا فقال زدودوا على قدر سفركم فإن خير الزاد ما باع البغيتهم أرشدهم إلى الطريق
وأدخل رأسه في صومته . وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين
فناديته ياراهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني فناديته الثالثة فأشرف لي وقال يا هذا ما أنا
براهب إنما الراهب من رهب الله في سبائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضى بقضائه وحده
على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذلل لزمته واستسلم لقدرته وخضع لمباهته وفكر
في حسابه وعقابه فجاهر صائم وليه قائم قد أسهره ذكر التارومسألة الجبار فذلك هو الراهب وأما أنا
فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس لئلا أعقرهم فقلت ياراهب لما الذي قطع
الخلق عن الله بعد أن عرفوه ؟ فقال يا أخي لم يقطع الخلق عن الله إلا حب الدنيا وزينتها لأنها محل
المعاصي والدنوب والمال من رمى بها عن قلبه وتاب إلى الله تعالى من ذنبه وأقبل على ما يقرب به من
ربه . وقيل لداود الطائي لو سرحت لحيتك فقال إني إذن لفارغ ، وكان أويس القرني يقول هذه
ليلة الركوع فيحيي الليل كله في ركعة وإذا كانت الليلة الآتية قال هذه ليلة السجود فيحيي الليل
كله في سجدة ، وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لا يتهاى بالطعام والشراب فقالت له أمه لو رقت بنفسك
قال الفرق أطلب دعيني أتب قليلا وأتمتع طويلا وحج مسروق لما نام قط إلا ساجدا . وقال سفيان
الثوري عند الصباح يحمد القوم السرى وعند المات يحمد القوم التقى . وقال عبد الله بن داود :
كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه أي كان لا ينام طول الليل ، وكان كهمس بن الحسن
يصلي كل يوم ألف ركعة ثم يقول لنفسه قومي يا أموي كل شر فلما ضعف انصهر على خصالته ثم كان
يبيكي ويقول ذهب نصف عملي وكانت ابنة الريح بن خيم تقول له يا أبت مالي أرى الناس ينامون
وأنت لاتنام ؟ فيقول يا ابتاه إن أبالك يخاف البيات ولما رأت أم الريح ما يلقي الريح من البكاء
والسهر نادته يا بني لملك فقلت قتيل قال نعم يا أماه قالت فمن هو حق نطلب أهله فيعفو عنك فوالله
لو يعلمون ما أنت فيه لرحموك وعفوا عنك فيقول يا أماه هي نفسي ، وعن عمر ابن أخت بشر بن
الحارث قال سمعت خالي بشر بن الحارث يقول لأمي يا أختي جوفي وخواصري تغرب على قالت له
أمي يا أخي أناؤذن لي حتى أصلح لك قليل حساء بكف دقيق عندي تتحساه برم جوفك فقال لها
وبك أخاف أن يقول من أين لك هذا الدقيق فلا أدري إيش أقول له فكبت أُمي وبكى معها

طالب من زهد وتوكل
ورضا أو صار مطلوبه
من الله ينوب عن كل
مطلوب من زهد
وتوكل ورضا . قالت
راية : حب الله لا يسكن
أنيته وحبنيته حق
يسكن مع محبوبه .
وقال أبو عبد الله
القرشي حقيقة المحبة
أن تهب لمن أحببت
كلك ولا يبق لك منك
شيء . وقال أبو الحسن
الوراق : السرور بالله
من شدة المحبة له والمحبة
في القلب نار تحرق كل
دنس . وقال يحيى بن
معاذ صبر المهيبن أشد
من صبر الزاهد بن
وأعيا كيف يصبر
الإنسان عن حبيبته .
وقال بعضهم من ادعى

وكرت معهم . قال عمر ورأت أمي ما يبشر من شدة الجوع وجعل يتنفس تنفساً ضعيفاً قالت له أمي يا أخى ليت أمك لم تلدني فقد والله تقطعت كبدي مما أرى بك فسمعتة يقول لها وأنا فليت أمي لم تلدني وإذ ولدتني لم يدر ثديها على . قال عمر وكانت أمي تبكي عليه الليل والنهار . وقال الربيع : أنبت أويسا فوجده جالساً قد صلى القجر ثم جلس فجلست قفلة لا أشغله عن التسبيح فكشك مكانه حتى صلى الظهر ثم قام إلى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فقلبت عيانه فقال اللهم إني أعوذ بك من عين نومة ومن بطن لاتسبع قفلة حسبي هذا منه ثم رجعت ونظر رجل إلى أويسا فقال يا أبا عبد الله مالي أراك كأنك مريض فقال وما لأويسا أن لا يكون مريضاً يطعم المريض وأويسا غير طاعم وينام المريض وأويسا غير نائم . وقال أحمد بن حرب : يا عجبا لمن يعرف أن الجنة تزين فوقه وأن النار تسمر تحته كيف ينাম بينهما . وقال رجل من النساء أنبت إبراهيم بن آدم فوجده قد صلى العشاء فعمدت أرقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه فلم ينقلب من جنب إلى جنب الليل كله حتى طلع النجور وأذن للؤذن فوثب إلى الصلاة ولم يحدث وضوء الحالك ذلك في صدرى قفلة له رحمة الله قد نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجد وضوءه فقال كنت الليل كله جائلاً في رياض الجنة أحياناً وفي أودية النار أحياناً فهل في ذلك نوم . وقال ثابت البناني : أدركت رجلاً كان أحدهم يصلي فيعجز عن أن يأتي فراشه إلا جواً ، وقيل مكث أبو بكر بن عياش أربعين سنة لا يضع جنبه على فراش ونزل للنساء في إحدى عينيه فكشك عشرين سنة لا يلم به أهله وقيل كان ورد صمنون في كل يوم خمسين ركة ، وعن أبي بكر اللطوعي قال كان وردى في شبين كل يوم وليلة أنرا فيه : قل هو الله أحد إحدى وثلاثين ألف مرة أو أربعين ألف مرة شك الراوي ، وكان منصور بن العتير إذا رأيته قلت رجل أصيب بحصية منكسر الطرف من خفض الصوت رطب العينين إن حركته جاءت عيانه بأربع ولقد قالت له أمة ما هذا الذي تصنع بنفسك تبكي الليل هامة لا تسكت لملك يابني أصبت نفساً لملك قفلة قليلاً ؟ فيقول يا أمة أنا أعلم بما صنعت بنفسى ، وقيل لعامر بن عبد الله كيف صبرك على صبر الليل وظلماً المواجه فقال هل هو إلا أني صرفت طعام النار إلى الليل ونوم الليل إلى النهار وليس في ذلك خطير أمر وكان يقول ما رأيت مثل الجنة نام طالها ولا مثل النار نام هاربها وكان إذا جاء الليل قال أذهب حر النار النوم لها ينام حتى يصبح فإذا جاء النهار قال أذهب حر النار النوم لها ينام حتى يمسي فإذا جاء الليل قال من خاف أدجى وعند الصباح يحمد القوم السرى . وقال بعضهم : سمعت عامر بن عبد القيس أربعة أشهر لها رأيته نام بليل ولا نهار . ويروى عن رجل من أصحاب علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال : صليت خلف علي رضى الله تعالى عنه القجر فلما سلم اغتسل عن يمينه وعليه كآبة فكشك حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رأيته أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما أرى اليوم شيئاً يشبههم كانوا يصيحون شغلاً غيراً صفراً قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يراوون بين أقدامهم وجباههم . وكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما يمد الشجر في يوم الربح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين يعنى من كان حوله وكان أبو مسلم الخولاني قد علق سوطاً في مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه تومي فوالله لأزحف بك زحفاً حتى يكون السكل منك لأمي فإذا دخات الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول أنت أولى بالضرب من دابتي وكان يقول أياظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يستأثروا به دوننا كلا والله لأزاحمهم عليه زحاما حتى يسلوا أنهم قد خلفوا وراءهم رجلاً . وكان صفوان بن سليم قد تقدمت ساقاً من طول القيام وبلغ من الاجتهاد

عجة الله من غير تورع
عن عارمه فهو كذاب
ومن ادعى عجة الجنة
من غير إتيان ملكه
فهو كذاب ومن ادعى
حب رسول الله صلى
الله عليه وسلم من غير
حب الفقراء فهو كذاب
وكانت رابعة تمشد :
تعصى الإله وأنت
تظهر حبه

هذا لعمري في القفال
يدين
لو كان حبك صادقاً
لأعلمته
إن الحب لمن يحب
مطيع
وإذا كان الحب
للأحوال كالسوبة
للمقامات فمن ادعى
حالا يعتبر حبه ومن
ادعى عجة تعتبر توبته

.. لوقيل له القيامة غدا ما وجد مرأبدا ، وكان إذا جاء الشتاء اضطجع على السطح ليضربه البرد وإذا كان في الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحر فلا ينام وأنه مات وهو ساجد وأنه كان يقول : اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي . وقال القاسم بن محمد غدوت يوما وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة رضى الله عنها أسلم عليها فغدوت يوما إليها فإذا هي صلى صلاة الضحى ، وهي تقرأ - فمن الله علينا ووفانا عذاب السموم - وتبكي وتدعو وتردد الآية قصت حتى مللت وهي كاهي فها رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت أفرغ من حاجتي ثم أرجع ففرغت من حاجتي ثم رجعت وهي كاهي تردد الآية وتبكي وتدعو . وقال محمد بن إسحاق لما ورد علينا عبدالرحمن بن الأسود حاجا اعتلت إحدى قدميه فقام يصلي على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء . وقال بعضهم : ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل . وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سيما الصالحين سفرة الألوان من السرور وعمش الدون من البكاء وذبول الشفاء من الصوم عليهم غيرة الخاشعين . وقيل للحسن : ما بال للرجلين أحسن الناس وجوها فقال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره ، وكان عامر بن عبد القيس يقول : إلهي خلقتني ولم تؤامرني وعميتي ولا تملني وخلقنت معي عدوا وجعلته يجرى مني مجرى الدم وجعلته يراني ولا أراه ثم قلت لي استمسك إلهي كيف استمسك إن لم تمسكني إلهي في الدنيا المعلوم والأحزان وفي الآخرة العقاب والحساب فأين الراحة والفرح ، وقال جعفر بن محمد كان عتبة التلام يقطع الليل بثلاث صحبات كان إذا صلى العتمة وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا مضى الثلث الثاني صاح صيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد فحدث به بعض البصريين فقال لا تنتظر إلى صباحه ولكن انظر إلى ما كان فيه بين الصبحتين حتى صاح . وعن القاسم بن راشد الشيباني قال كان زمعة نازلا عندنا بالمهلب . وكان له أهل وبنات ، وكان يقول فيصلي ليلا طويلا فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته أيها الركب للمرسوق أكل هذا الليل ترقدون أفلا تنموني قرحا لو فتواثيوني فيسمع من ههنا بك ومن ههنا داع ومن ههنا قاري ومن ههنا متوضي ، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمّد القوم السرى . وقال بعض الحكماء : إن لله عبادا أتم عليهم فرفوه وشرح صدورهم فأطاعوه وتوكلوا عليه ففسدوا الخلق والأمر إليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوايتت العظيمة وخزائن القدرة فهم بين الخلق مقبليون ومدبرون وقوهم تجول في اللسوك وتلوذ بمحجوب النور ثم ترجع ومعه طوائف من لطائف القوائد وما لا يمكن واصفا أن يصفه فهم في باطن أمورهم كالدياج حسنا وهم في الظاهر مناديل مبدلون لمن أرادهم تواضعا ، وهذه طريقة لا يبلغ إليها بالتسكف وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء . وقال بعض الصالحين : بينا أنا أسير في بعض جبال بيت المقدس إذ هبطت إلى واد هناك فإذا أنا بصوت قد علا وإذا تلك الجبال تجميه لها دوى حال فابتعت الصوت فإذا أنا بروضة عليها شجر ملتف وإذا أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية - يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا - إلى قوله - وعذركم الله نفسه - قال فجعلت خلفه أسمع كلامه وهو يردد هذه الآية إذ صاح صيحة خرمشيا عليه فقلت والأسفاه هذا لفتاى ، ثم انتظرت إفاتته فأناقي بعد ساعة فسمعت وهو يقول أعوذ بك من مقام السكدين أعوذ بك من أعمال البطالين أعوذ بك من إعراض التفلين ثم قال لك خست قلوب الخاشعين وإليك فزعت آمال القصرين ولمظمتك ذلت قلوب العارفين ثم بقى نصد فقال مالي وللدنيا

فان التوبة قلب الروح
الحب وهذا الروح
قيامه بهذا القلب
والأحوال أعراض
قوامها بجوهر الروح.
وقال سمنون : ذهب
المحبون لله يشرف
الدنيا والآخرة لأن
النبي صلى الله عليه وسلم
قال «المرء مع من
أحب» فهم مع الله
تعالى وقال أبو يعقوب
السوسي لاصنع المحبة
حتى تخرج من رؤية
المحبة إلى رؤية
المحبوب بفناء علم
المحبة من حيث كان
له المحبوب في القلب
ولم يكن هذا بالمحبة
فإذا خرج الحب إلى
هذه النسبة كان
عجا من غير عجة .

ومال الدنيا ولى عليك يا دنيا بأبناء جنسك وآلاف نعيمك إلى محبيك فانهي وإياهم فاخذى ثم قال
 ابن القرون للناضية وأهل الدهور السالفة في التراب يباون وعلى الزمان يفتنون فناديته يا عبد الله أنا منذ
 اليوم خائفك أنتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يصادر الأوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت إلى نفسه
 أم كيف يفرغ من ذهب أيامه وبقيت آثامه ثم قال أنت لها ولكل شدة أتوقع نزولها ثم لها عني
 ساعة قرأ - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - ثم صاح صيحة أخرى أشد من الأولى وخر
 منفيها عليه قتلته قد خرجت روحه فدوت منه فاذا هو يضطرب ثم أفاق وهو يقول من أنا ما خاطري
 هب لي إساءتي من فضلك وجلاني بستره واعف عن ذنوبي بكرم وجهك إذا وقفت بين يديك قتلته
 له بالذي ترجوه لنفسك وتثق به إلا كتبتى فقال عليك بكلام من ينفكك كلامه ودع كلام من أوقته
 ذنوبه إني لفي هذا اللوعنة مذ شاء الله أجاهد إبليس ويجاهدني فلم يجد عوناً علي ليخرجني مما أنا فيه
 غيرك فالك عني ياخذوع فقد عطلت على لساني وميلت إلى حديثك شعبة من قلبي وأنا أعوذ بالله
 من شركه ثم أرجو أن يعذني من سخطه ويتفضل علي برحمته . قال قتلته هذا ولي الله أخاف أن أشغله
 فأعاقب في موضعي هذا فانصرفت وتركته . وقال بعض الصالحين بينا أنا أسير في مسيرتي إذ علمت إلى
 شجرة لأستريح تحتها فإذا أنا بشيخ قد أشرف علي فقال لي يا هذا قم فإن الموت لم يمت ثم هام على وجهه
 فانبته فسمعت وهو يقول - كل نفس ذائقة الموت - اللهم بارك لي في الموت قتلته وفيها بعد الموت
 فقال من أيقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت
 الرجوع بيض وجهي بالنظر إليك وإملاً قلبي من الهبة لك وأجرني من ذل التوسيع غدا عندك فقد
 آن لي الحياء منك وحن لي الرجوع عن الأعراض عنك ، ثم قال لولا حلمك لم يسعني أجل ولولا
 عفوك لم ينسط فبا عندك أمل ثم مضى وتركني ، وقد أنشدوا في هذا المعنى :

تحيل الجسم مكثب القواد تراه بقعة أو بطن وادي
 ينوح على معاص فاضحات يكدر قلبها صفو الرقاد
 فان هاجت مخاوفه وزادت فدعوه أعشى يا حمادي
 فأنت بما ألقىه عليم كثير الصفح عن زلل العباد
 وقيل أيضا : الله من التسلذ بالقواني إذا أقبل في حلل حسان
 منيب فر من أهل ومال يسبح إلى مكان من مكان
 ليخمل ذكره يعيش فردا ويظفر في العبادة بالأمان
 تلذذه التسلاوة أين ولي وذكر بالقواد وباللسان
 وعند الموت يأتيه بشير يبشر بالنسجة من الهوان
 فيسرك ما أراد وما تمنى من الراحة في غرف الجنان

مثل الجنيد عن
 الهبة قال : دخول
 صفات المحبوب على
 البذل من صفات
 الحب . قيل هذا على
 معنى قوله تعالى « فإذا
 أحببتهم كنتم فيهم »
 وبصراة وذلك أن
 الهبة إذا صفت وكثرت
 لا تزال تجذب بوصفها
 إلى محبوبها ، فإذا
 ارتبت إلى غاية مجردها
 وقفت والرابطة متأصلة
 متأكدة وكالوصف
 الهبة أزال للوانع من
 الحب وبكمال وصف
 الهبة تجذب صفات
 المحبوب تمطقا على
 المحب الخاص من
 موانع قادحة في سدد
 الحب ونظرا إلى
 قصوره بعد استفاد

وكان كرز بن وبرة يحتم القرآن في كل يوم ثلاث مرات ويجاهد نفسه في العبادات غاية المجاهدة قليله
 قد أجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا قليل سبعة آلاف سنة فقال كم مقدار يوم القيامة قليل فحسبون
 ألف سنة فقال كيف يسجز أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم يعني أنك لو عشت عمر الدنيا
 واجتهدت سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين ألف سنة لكان رجلك
 كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والآخرة لا غاية لها فهكذا كانت سيرة السلف
 الصالحين في مرابطة النفس ورأيتها فهما تجردت هسك عليك وامتنعت من اللواظبة على العبادة
 فطالع أحوال هؤلاء فانه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو أجمع

في القلب وأبث على الاقتداء فليس الخبر كالمانية وإذا حجزت عن هذا فتأمل عن سماع أحوال هؤلاء فان لم تكن إيل فمزي وخير نفسك بين الاقتداء بهم والسكون في زمرةهم وغمارهم وهم العقلاء والحكام وذوو البصائر في الدين وبين الاقتداء بالجملة المتأفين من أهل عصرك ولا ترض لما ن تتخبط في سلك الحق وتقع بالتشبه بالأغبياء وتؤثر عقاله القلاء فان حدثت نفسك بأن هؤلاء رجال أنوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع أحوال النساء المجتهدات وقل لها يا حسن لا تستكفي أن تكوني أقل من امرأة فأحسن رجل يقرر عن امرأة في أمر دينها ودينهاها ، ولذا ذكر الآن نبذة من أحوال المجتهدات قد دروي عن حبيبة العدوية أنها كانت إذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت إلهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبرابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامى بين يديك ثم قيل على صلاتها فإذا طلع الفجر قالت إلهي هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأنت أم رددتها على فأعزى وعزتك لهذا دأبى ودأبك ما أقيتني وعزتك لو اتزعتني عن بابك ما برحت لما وقع في نفسي من وجودك وكرمك . وبروي عن حجر أنها كانت تحيي الليل وكانت مكفوفة البصر فإذا كان في السحر نادت بصوت لها عززون ليك قطع العابدون دجى الليالي يسبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك فيك يا إلهي أسألك لا يعرف أن تحيى في أول زمرة السابقين وأن ترفق بك في عليين في درجة للقرين وأن تاحقني بعبادك الصالحين فأنت أرحم الرحماء وأعظم العظماء وأكرم الكرماء يا كريم ثم تفر ساجدة فيسمع لها وجة ثم لاتزال تدعو وتبكي إلى الفجر . وقال يحيى بن بسطام : كنت أشهد مجلس شعوانة فكنت أرى متاعص عن النياحة والبيكاء فقلت لصاحب لي لو أتيناها إذا دخلت فأمرناها بالرفق بنفسها فقال أنت وذلك قال فأتيناها فقلت لها لورقت بنفسك وأقصرت عن هذا البيكاء شيئا فكان لك أقوى على ما تريد بن قال فبكت ثم قالت والله لو ددت أنى أبكى حتى تنفد مدعى ثم أبكى دما حتى لا تبقى قطرة من دم في جرحه من جوارحه وأنى إلى البيكاء وأنى إلى البيكاء فلم تزل تردد دوائى إلى البيكاء حتى غشى عليها . وقال محمد بن معاذ حدثني امرأة من للمتجديات قالت رأيت في منامي كأنى دخلت الجنة فإذا أهل الجنة قيام على أبوابهم فقلت ما شأن أهل الجنة قيام فقال لي قائلى خرجوا ينظرون إلى هذه المرأة التي زخرقت الجنان لقدومها فقلت ومن هذه المرأة قليل أمسوداء من أهل الأبيكة الالهة المعوانة قالت فقلت أخفى والله قالت فينا أنا كذلك إذ أقبل بها على نجيعة تطير بها في الهواء فلما رأيتها ناديت يا أخفى أترى مكانى من مكانك فلو دعوت لي مولاء فأخفى بك قالت فتيسمت إلى وقالت إيان لقدومك ولكن احفظي عني اثنتين أترى الحزن قلبك وقدسى محبة الله في هو الكوا لا يضره شيء . وقال عبد الله بن الحسن كانت لي جارية رومية وكنيت بها معجبا فكانت في حبس الليالي نائمة إلى جنبى فالتفت فالتفتها فلم أجدها فقممت أطلبها فإذا هي ساجدة وهي تقول بحبك إلى الإلاما غفرت لي ذنوبى فقلت لها لا تقول بحبك لي ولكن قولى بحبي لك فقالت يا مولاي بحبي لي أخرجني من الشرك إلى الاسلام وبهجة لي أيقظ عيني وكثير من خلقه نيام . وقال أبو هاشم القرشي قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها سريفة فزلت في حبس ديارنا قال فكنت أجمع لها من الليل أنبؤا وشعرا فقلت يوما لحامد لي أشرف على هذه المرأة ماذا تصنع قال فأشرف عليها فلما رآها تصنع شيئا غير أنها لاترد طرفها عن السماء وهي مستقبلة القبلة تقول خلقت سريفة ثم غديتها بنعمتك من حال إلى حال وكل أحوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جبل وهي مع ذلك متعزة لسخطك بالترتب على معاصبك فلانة بعد فلتة أترأها تظن أنك لاترى سريفة لها وأنت عليم خبير وأنت على كل شيء قدير . وقال ذو النون المصري خرجت ليلة من وادى كتمان فلما علوت الوادى إذا سواد مقبل على وهو يقول

جده فيعود المحب
بفوائد اكتساب
الصفات من المحبوب
فيقول عند ذلك :
أنا من أهوى
ومن أهوى أنا
نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرنى أبصرته
وإذا أبصرته أبصرتنا
وهذا الذى عبرنا عنه
حقيقة قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« تخلفوا بأخلاق الله »
لأنه بزاهة النفس
وكمال الزكية يستعد
للحبة والمهبة موهبة
غير معللة بالتركية
ولكن سنة الله
جارية أن تزكى نفوس
أحبابه بحسن توفيقه
وتأييده وإذا منع
زاهة النفس وطهارتها

وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - وبكى فلما قرب من السواد إذا هي امرأة عليها جبة صوف
ويدها ركوة فقالت لي من أنت غير فرقة مني قلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع
الله غريبة قال فبكيت لهولها فقالت لي ما الذي أبكاك قلت قد وقع الدواء على داء قد قرع فأسرع
في نجاهه قالت فان كنت صادقا فلم يكبت قلت برحمتك الله والصادق لا يبيح قالت لا قلت ولمذاك قالت
لأن البكاء راحة القلب فسكت متعجبا من قولها . وقال أحد بن علي استأذناني عفيرة فحجبتنا فلازمننا
الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعتها وهي تقول اللهم إني أعوذ بك ممن جاء يشغلني
عن ذكرك ثم فحمت الباب ودخلنا عليها قلنا لها يا أمة الله ادعي لنا فقالت جعل الله قراكم في بيتي
للغفرة ثم قالت لنا مكث عطاء السلي أربعين سنة فكان لا ينظر إلى السماء فحانت منه نظرة فغمضها
عليه فأصابه فقي في بطنه فبالت عفيرة إذا رفعت رأسها لم تقص وباليها إذا عصمت لم تعد . وقال بعض
الصالحين خرجت يوما إلى السوق ومعى جارية حبشية فاحتسبتني في موضع بناحية السوق وذهبت في بعض
جوارحجي وقلت لا تبرحني حتى أنصرف إليك قال فانصرفت فلم أجدها في الوضع فانصرفت إلى
مغزلي وأنا عديد الغضب عليها فلما رأيته عرفت الغضب في وجهي فقالت يا مولاي لا تعجل على إنك
أجلسني في موضع من أرفيه ذاكر الله تعالى غفقت أن يخفف بذلك الوضع فصبرت لهولها وقلت لها
أنت حرة . فقالت ساء ما صنعت كنت أخذمك فيكون لي أجران وأما الآن فقد ذهب من أحدها .
وقال ابن الملاء السمدى كانت لي ابنة عم قال لها برودة تعبدت وكانت كثيرة القراءة في المصحف فكلمها
أنت على آية فيها ذكر النار بكيت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عنها من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا
إلى هذه المرأة حتى نعلمها في كثرة البكاء قال فدخلنا عليها قلنا يا بريرة كيف أصبحت قالت أصبحت
أضيافا منيخين بأرض غريبة تنتظر متى ندعى فضيب قلنا لها كم هذا البكاء قد ذهبت عنها كم قالت
إن يكن ليس عند الله خير لها يضرها ما ذهب منها في الدنيا وإن كان لها عند الله شر فيسريدها بكاء
أطول من هذا ثم أعرضت . قال فقال القوم قوموا بنا فهى والله في شيء غير ما نحن فيه . وكانت معاذة
العدوية إذا جاء النهار تقول هذا يومى الذى أموت فيه فما تنظم حتى تمسى فإذا جاء الليل تقول هذه الليلة التى
أموت فيها فبصلى حتى تصبح . وقال أبو سلمان الداراني ليلة عند ربعة قامت إلى عراب لها وقت أنا
إلى ناحية من البيت فلم تزل قاعة إلى السحر فلما كان السحر قلت ما جزاء من قواني على قيام هذه الليلة قالت
جزاؤه أن تصوم له غدا وكانت شوانة تقول في دعائها إلى ما أشوقني إلى لقاءك وأعظم رجائي لجزائك
وأنت الكريم الذى لا يخيب لديك أمل الأملين ولا يسل عندك شوق المشتاقين إلى منى إن كان دناءجلى
ولم يقربى منك عمل قد حطت الاعتراف بالذنب وسائل على فان عفوت فمن أولى منك بذلك
وإن عذبت فمن أعدك منك هنالك إلى قد جرت على نفسى في النظر لها وبق لها حسن نظرك
فالويل لها إن لم تسمعها إلى إنك لم تزل لي برا أيام حياتي فلا تقطع عني ركب يدعماني ولقد رجوت
من تولاني في حياتي أحاسنه أن يسعني عند مماتي بفرانه إلى كيف أياأس من حسن نظرك بعد
مماتي ولم تولني إلا الجليل في حياتي إلى إن كانت ذنوبي قد أخافني فان عجبني لك قد أجارتني تقول من
أمرى ما أنت أهله وعد فضلك على من غره جهله إلى لو أردت إهانتى لما هدبتني ولو أردت فضيحتي
لم تسترني فمتني بماله هديتي وأدم لي ما به سترتي إلى ما أظنك تردني في حاجة أنيت فيها عمري
إلى لولا ما قارفت من القنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك .
وقال الخواص دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عمت وصلت
حتى أضمدت وكانت على قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها شيئا من العفوليون عليها الأمر قال فشفت

جذب روحه بمجاذب
الحبة خلج عليه خلج
الصفات والأخلاق
ويكون ذلك هنده
رتبة في الوصول فتارة
ينبت الشوق من
باطنه إلى ما وراء ذلك
لكون عطاي الله
غير متناهية
وتارة يشلى بما يمنع
فيكون ذلك وصوله
الذى يسكن نيران
شوقه ويباع الشوق
تستقر الصفات للموهوبة
الحقيقة رتبة الوصول
عند الحب ولولا باع
الشوق رجعت القهقري
وظهرت صفات نفسه
الحائلة بين الرء وقلبه
ومن ظن من الوصول
غير ما ذكرناه أو تخايل
له غير هذا القدر فهو

ثم قالت على بنفى فرح فؤادى وكلم كبدى والله لوددت أن الله لم يخلفنى ولم أك شيئا مذكورا
ثم أثبتت على صلاتها . فليك إن كنت من الرابطين للراقيين لنفسك أن تطالع أحوال الرجال والنساء
من المجتهدين لينبثق فشاطك وزيد حرصك وإياك أن تنظر إلى أهل عصرك فانك إن تطع أكثر
من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبرين
أردت مزيدا فليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الأولياء فهو مشتمل على شرح أحوال الصحابة
والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك وبعد أهل عصرك من أهل الدين فان
حدثتك نفسك بالنظر إلى أهل زمانك وقالت إنما تيسر الخير فى ذلك الزمان لكثرة الأعوان
والآن فان خالفت أهل زمانك رأوك مجنونا وسخرها بك فواقهم فيما هم فيه وعليه فلا يجرى عليك
الإلما يجرى عليهم وللصية إذا عمت طابت فإياك أن تتدلى بجبل غرورها وتنخض بتزويرها وقل
لما رأيت لوهم سبل جارف يفرق أهل البلد وثبتوا على مواضعهم ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم
بعميقة الحال وقدرت أنت على أن تفارقهم وتركهم فى سفينة تتخلصين بها من الفرق فهل يخلج
فى نفسك أن للصية إذا عمت طابت أم تركين مواقفهم وتستجھلينهم فى صنيعهم وتأخذين حذر
عما دهاك فاذا كنت تركين مواقفهم خوفا من الفرق وعذاب الفرق لا تماندى إلا ساعة فكيف
لآخرين من عذاب الأبد وأنت مترعة له فى كل حال ومن أين تطيب للصية إذا عمت ولأهل
النار هشل شاغل عن الالتفات إلى السموم والحصوص ولم يهلك الكفار إلا بغواية أهل زمانهم
حيث قالوا - إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون - فليك إذا اغتفلت بمعاينة نفسك
وحملها على الاجتهاد فاستصحت أن لا تترك معانيها وتوبيخها وتقريرها وتقريرها سوء نظرها لنفسها
فصاها تخرج عن طيناتها .

(للرابطة السادسة فى توبيخ النفس ومعانيها)

اعلم أن أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك وقد خلقت بآمره بالسوء ميلة إلى الشر فرادة من الخير
وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلال القهر إلى عبادة ربها وخالقتها ومنعها عن شهواتها وقطاعها
عن لذاتها فان أهملتها جمحت وشردت ولم تنظر بها بعد ذلك وإن لازمتها بالتوبيخ وللماينة والذبل
وللأمة كانت نفسك هى النفس الوامة التى أقسم الله بها ورجوت أن تصير النفس للطمشة للدعوة
إلى أن تدخل فى زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تنفلت ساعة عن تذكرها ومعانيها ولا تنسغلن
بوعظ غيرك مالم تشتغل أولابوعظ نفسك أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام إياك مريم عظ
نفسك فان انتظت فظ الناس والإفاسحى منى وقال تعالى - وذكر فان الله كرى تغف للؤمنين -
وسيلك أن تقبل عليها فتقرر عندها جعلها وغاوتها وأنها أبدا تعزز بفطنتها وهدايتها ويستد أنفها
واستكانها إذا نسبت إلى الحق فتقول لها يا نفس ما أعظم جهلك تدعين الحكمة والكاء والطنة
وأنت أشد الناس غباوة وحماقا أما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وأنت صائرة إلى إحداها على
القرب فمالك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسم وعساك اليوم
تختطفين أوغدا فأراك تترين للوت بعيدا ويراه الله قريبا أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب وأن
البعيد ما ليس بآت أما تعلمين أن اللوت يأتى بئنة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطأة
وأنة لا يأتى فى شيء دون شيء ولا فى شتاء دون صيف ولا فى شتاء ولا فى نهار دون ليل ولا فى ليل
دون نهار ولا يأتى فى الصبا دون الشباب ولا فى الشباب دون الصبا بل كل نفس من الأناس يمكن أن يكون
فيه اللوت فجأة فان لم يكن اللوت فجأة فيكون للرض فجأة ثم يفضى إلى اللوت فجأة لا تستعدين للوت

متعرض للذهب
النصارى فى اللاهوت
والناسوت. وإشارات
السيوح فى الاسترقاق
والفناء كلها فائدة إلى
تحقيق مقام المحبة
بإستلاء نور اليقين
وخلاصة الذكر على
القلب وتحقيق حق
اليقين بزوال العوجاج
البقايا وأمنت اللوث
الوجودى من بقاء
صفات النفس وإذا
صحت المحبة ترتبت
عليها الأحوال وتبينها.
سئل الشبل عن المحبة
فقال كس لها وهج
إذا استقر فى الحواس
وسكن فى النفوس
تلاشت. وقيل للعبة
ظاهر وباطن ظاهرها
اتباع رضا المحسوب

وهو أقرب إليك من كل قريب أم تدبرين قوله تعالى - اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم - وبحك يا نفس إن كانت جراتك على مصية الله اعتقادك أن الله لا يراك إلا أعظم كفرتك وإن كان مع علك اطلاعه عليك فما أشد وقاحتك وأقل حيائك . وبحك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك بل أخ من إخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فبأي جسارة تتعرضين لغت الله وغضبه وشديد عقابه أفتظنين أنك تطيعين عذابه هيئات هيئات جبري نفسك إن أهلك البطر عن ألم عذابه فاحسب ساعة في الشمس أو في بيت الحمام أو قرب أصبعك من النار ليتبين لك قدر طاعتك أم تعترين بكرم الله وفضله واستغفاله عن طاعتك وعبادتك فمالك لاتولين على كرم الله تعالى في مهمات دينك فاذا قصدك عدو فلم تستطع الحيل في دفعه ولا تنكبه إلى كرم الله تعالى وإذا أرهنتك حاجة إلى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقض إلا بالدينار والدرهم فمالك تنزعين الروح في طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل فلم لاتولين على كرم الله تعالى حتى يعثر بك على كنز ويخرب عبدا من عبيده فيحمل إليك حاجتك من غير سعي منك ولا طلب أفتحسبن أن الله كريم في الآخرة دون الدنيا وقد عرفت أن سنة الله لا تبدل لها وأن رب الآخرة والدنيا واحد وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وبحك يا نفس ما أحب نقاقتك ودعواك الباطلة فانك تدعين الإيعان بلسانك وأثر النفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك ومولاك وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - وقال في أمر الآخرة وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - فقد تكفل لك بأمر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها فكذبته بأفمالك وأصبحت تكالبين على طلبها تنكالب للدهور والستتر ووكل أمر الآخرة إلى سعيك فأعرضت عنها إعراضا للفرور والستحق ما هذامن علامات الإيعان لو كان الإيعان باللسان فلم كان للناقون في الدرك الأسفل من النار . وبحك يا نفس كأنك لاتؤمنين بيوم الحساب وتظنين أنك إذا مت أفلتت وتخاصمت وهوت أعشى أنك ترى كين سدى أنك تكون نقطة من مقياسي ثم كنت علة خلق فسوى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الوقي فان كان هذامن إضمارك فما أكره وأجهلك أماتفكرين أنه ماذا خلقك من نقطة خلقك قد كرمك ثم السبيل يسرك ثم أمانك فأفكر أفتكذبينه في قوله ثم إذا شاء أشرك فان لم تكوني مكذبة فمالك لاتأخذين حذرَكَ ولو أن يهوديا أخبرك في أنه أطمعتك بأنه يضرك في مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه أفكان قول الأنبياء للتوידين بالمعجزات وقول الله تعالى في كتبه للزلة أقل عندك تأثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع قصان عقل وقصور علم والعجب أنه لو أخبرك طفل بأن في ثوبك خفرا لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة له بدليل وبرهان أفكان قول الأنبياء والعلماء والحكماء وكافة الأولياء أقل عندك من قول صبي من جملة الأغبياء أم صار حرجهم وأغلاهم وأنكأهم وزومهم ومقامهم وصديدهم ومومهم وأفاعيهم وغارهم أحقر عندك من عقرب لا تحسبن بأنهم لا يوبوا أو أقل منه ماهذه أفعال العقلاء بل لو انكشف لبيهم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك فان سكنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وأمنت به فمالك تسوفين العمل ولولت لك بالمرصاد والله يخطئك من غير مهلة فبأ إذا أمنت استعجال الأجل وهبك أنك وعدت بالامهال مائة سنة أفتظنين أن من يطعم الدابة في حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها إن ظننت ذلك فما أعظم جهلك أرايت لو سافر رجل لينفق في الزينة فأقام فيها سنين متعطلا لا يمد نفسه بالشفقة في السنة الأخيرة عند رجوعه إلى وطنه هل كنت تضحكين من عقله ووطنه أن تنفقه النفس بما يطعم فيه مدة قريبة أو حسانه أن مناسب الفقهاء تنال من غير حققة اعتقاد على كرم الله سبحانه وعالي

وباطنها أن يحسون مفتونا بالحبيب عن كل شيء ولا يلقى فيه بقية لغيره وللنفسه فمن الأحوال السنية في الهبة الشوق ولا يكون الحب إلا مشافا أبدا لأن أمر الحق تعالى لا نهاية له فما من حال ياتها الحب إلا يؤلم أن ما وراء ذلك أوفى منها وأتم : حزنك كسنتك لانا أميد .

يسمى إليه ولألا أميد ثم هذا الشوق الحادث عنده ليس كسبه وإنما هو موهبة خص الله تعالى بها المحبين . قال أبو أحمد ابن أبي الخوارى دخلت على أبي سليمان

ثم هي أن الجهد في آخر الصبر نافع وأنه موصل إلى الدرجات الملائم اليوم آخر عمرك فم لا تشغلين فيه بذلك فإن أوحى إليك بالأمال لما للناج من اللبادة وما الباعث لك على التسويف هل سبب إلا يهزك عن مخالقة شهواتك لما فيها من التعب والشقة أفنتظرن يوماً يأتيك للصبر فيه مخالقة الشهوات هذا يوم لم يخلق الله قط ولا يخلق فلا تكون الجنة قط إلا محفوفة بالمكاره ولا تكون للكاره قط خفيفة على النفوس وهذا محال وجوده أما تأملين مذكم تمدين نفسك وتقولين غدا غدا قد جاء القدر وصار يوماً فكيف وجدته أما علمت أن القدر الذي جاء وصار يوماً كان له حكم الأس لا بل تعجزين عنه اليوم فأنت غدا عنه أعجز وأعجز لأن الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد بقلعها فإذا عجز العبد عن قلعها للضعف وأخرها كان كمن هجر عن قلع شجرة وهو عاب قوياً فأخرها إلى سنة أخرى مع العلم بأن طول الدعة يزيد الشجرة قوة ورسوخاً ويزيد القاطع ضعفاً فإنا لا نغدر عليه في الشباب لا بقدر عليه قط في للشيب بل من الصناء رياضة المحرم ومن التعذيب تهذيب الديب والقضيب الرطب يقبل الانهواء فإذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك فإذا كنت أيها النفس لا تفهمين هذه الأمور الجليلة وتركين إلى التسويف فما بالك تدعين الحكمة وأية حكمة تزيد في هذه الحاجة ولكم تقولين ما يعني عن الاستقامة إلا حرصي على لغة الشهوات وقلة صبري على الآلام والمشقات فما أمد غياوتك وأقبح اعتذارك إن كنت صادقة في ذلك فأطلي التمتع بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة أبد الآباد ولا مطمع في ذلك إلا في الجنة فإن كنت ناظرة لشهواتك فانظر لها في مخالقتها قرب أكلة تمنع أكلات وما قولك في عقل مريض أثار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة أيام ليمسح وجهها بشر به طول عمره وأخبره أنه إن شرب ذلك مرض مرضاً مزمناً وامتنع عليه شربه به طول العمر فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة أيسر ثلاثة أيام ليتقم طول العمر أم يقضى شهوته في الحال خوفاً من ألم المخالفة ثلاثة أيام حتى يلزمه ألم المخالفة ثمانية يوم وثلاثة آلاف يوم وجميع عمره بالخلافة إلى الأبد الذي هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أقل من ثلاثة أيام بالاخافة إلى جميع العمر وإن طالت مدته ، وليت شعري ألم الصبر عن الشهوات أعظم شدة وأطول مدة أو ألم النار في دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على ألم المجاهدة كيف يطيق ألم عذاب الله ما أراكم تتوانين عن النظر لنفسك إلا لكفر حتى أو لحق جلي . أما الكفر الحق فهو ضعف إيمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب . وأما الحق الجلي فاعتادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفات إلى مكروه واستندراج واستغفارة عن عبادتك مع أنك لا تمتدنين على كرمه في لغة من الحز أو حبة من اللؤلؤ أو كلة واحدة تسمعها من الخلق بل توصلين إلى غرضك في ذلك بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحاجة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « الكسبي من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » ويحك يا نفس لا ينبغي أن تترك الحياة الدنيا ولا يتركك بالله الترويع فانظري لنفسك فما أراك بهم تترك ولا تضعي أو قاتك فالأفاس معدودة فإذا مضى منك نفس قد ذهب بضك فاعتننى الصحة قبل السقم والفرار قبل الشغل والفرار قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت واستمدي للآخرة على قدر جألك فيها يا نفس أما تستمدنين للشقاء بقدر طول مدته فتجمعين له القوت والسكوة والخطب وجميع الأسباب ولا تسكين في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبدوحط وغير ذلك فإنه قادر في ذلك أفنتظنين أيها النفس أن زمهرير جهنم أخف برداً وأقصر مدة من زمهرير الشتاء أم تظنين أن ذلك دون هذا كلاً أن يكون هذا كذلك أو أن يكون بينهما مناسبة

الداراني فرأته يسكن
قلبت ما ييكرك حرك
الله قال ويحك يا أحد
إذا جن هذا الليل
اقرشت أهل الحبة
أقد لهم وجرت
دموعهم على خدودهم
وأشرف الجليل
جلت جلالة عليهم
يقول « بمعنى نلذ
بكلامي واستراح إلى
مناجاني وإلى مطلع
عليهم في خلواتهم مع
أئنيهم وأرى بكاهم
يا جبريل ناد فيهم
ما هذا البكاء الذي
أراه فيكم هل خبركم
خبر أن حبياً يندب
أحبابه بالنار كيف
يجعل في أن أعذب
قوما إذا جن عليهم
الليل تملقوا إلى فهي

في الشدة والبرودة أنظنين أن العبد ينجو منها بغير سعي هيات كما لا يندفع برد الشتاء إلا بالجلبية والذئار
وسائر الأسباب فلا يندفع حر النار وبردھا إلا بحصن التوحيد وخذق الطاعات وإنما كرم الله تعالى
في أن عرفك طريق الحصن ويسر لك أسبابه لاني أن يندفع عنك العذاب دون حصنه كأن كرم
الله تعالى في دفع برد الشتاء أن خلق النار وهداك للطريق استخرأجها من بين حديدة وحجر حتى تدفع
بھا برد الشتاء عن نفسك وكما أن شراء الحطب والجلبية مما يستغني عنه خالقك ومولادك إنما تسترته
لنفسك إذ خلقه سبيلا لاستراحتك فطاعتك ومحامداتك أيضا هو مستغن عنها وإنما هي طريقك إلى
نجاتك فمن أحسن فلسفه ومن أساء قلبها والله غف عن العالمين . ويحك يا نفس انزعى عن جبهلك
وقبى آخرتك بدنياك لما خلقك ولا بشكك إلا كنفس واحدة وكما بدأنا أول خلق نعيده . وكما
بدأكم تمودون وسنة الله تعالى لا تتجدد لها تبديلا ولا تحويلا . ويحك يا نفس ما أراك إلا ألقت الدنيا
وأنتس بها فسر عليك مفارقتها وأنت مقبلة على مقاربتها وتؤكد في نفسك مودتها فاحسبي أنك
غافلة عن عقاب الله ونوابه وعن أهوال القيامة وأحوالها فأنتم مؤمنة بالموت للفرق بينك وبين عابك
أقترين أن من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر قد يبصره إلى وجهه مليح يعلم أنه يستغفر في ذلك
قلبه ثم يضطر لاهالة إلى مفارقتها أهو معدود من الفلأه أم من الحق . أما تعلمين أن الدنيا دار الملك
للكوك ومالك فيها إلا عجز وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ، ولذلك قال سيد البشر صلى الله
عليه وسلم « إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة فاعمل ما شئت فانك مجزى
به وعن ما شئت فانك ميت (١) » . ويحك يا نفس أتعلمين أن كل من يلتفت إلى ملاذ الدنيا يؤانس
بها مع أن الموت من ورائه فأنما يستكثر من الحسرة عند المفارقة وإنما يزود من السم الملك وهو لا يدري
أو ما تتظنين إلى الذين مضوا كيف ينو أو علو أو ذهو أو خلو أو كيف أورت الله أروهم وديارهم أعداءهم
أما تربنهم كيف يجمعون مالا يأكلون وبينون مالا يسكنون ويؤمنون مالا يدركون ينفى كل واحد
قصرا مرفوعا إلى جهة السماء ومقره قبر حفور تحت الأرض فهل في الدنيا حق وانكسار أعظم من
هذا يصر الواحد دنياه وهو مرئحل عنها يقينا ويغرب آخرته وهو سائر إليها قطعاء ، أما تستعجين يا نفس
من ، ساعدة هؤلاء الحق على حماقتهم واحسبي أنك لست ذات بصيرة تهتدي إلى هذه الأمور وإنما تبين
بالطبع إلى التشبه والافتداء فقبسى عقل الأنبياء والماء والحكماء بعقل هؤلاء الناكسين على الدنيا
واقتردى من القرابين بمن هو أعقل عندك إن كنت تعتقد في نفسك العقل والذكاء يا نفس ما أعجب
أمرك وأشد جمالك وأظهر طغيانك ، هجيا لك كيف تعين من هذه الأمور الواضحة الجلية وللك يا نفس
أسرك حب الجاه وأدهشك عن فهمها ، أو ما تتفكرين أن الجاه لاميته إلا ميل القلوب من بعض
الناس إليك فاحسبي أن كل من على وجه الأرض سجد لك وأطاعك ، أفما تترفين أنه بعد خمسين سنة
لا تبقي أنت ولا أحد من على وجه الأرض بمن عبدك وجعلك وسياق زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر
من ذكرك كما أتى على الكوك الذين كانوا من قبلك فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا
فكيف تبعين يا نفس ما يبقى أبد الأباد بما لا يبقى أكثر من خمسين سنة إن بقي هذا إن كنت ملكا
من ملك الأرض سلم لك الشرق والغرب حتى أذهنت لك الرقاب وانتظمت لك الأسباب كيف وأبى
إدبارك وعقابتك أن يعلم لك أمر محلتك بل أمر دارك فضلا عن محلتك فان كنت يا نفس لا تتركين
الدنيا رغبة في الآخرة لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركها ترضى عن خسة شركها وتزها عن
كثرة عناها وتوقيا من سرعة فائتها أم مالك لا تزهد في قليلها بعد أن زهد فيك كثيرها ومالك

حلفت إذا وردوا
القيامة على أن أسفر لهم
عن وجهي وأبيهم
رياض قدسى وهذه
أحوال قوم من المجدين
أقيموا مقام الشوق
والشوق من المحبة
كالزهد من التوبة
إذا استقرت التوبة
ظهر الزهد وإذا
استقرت المحبة ظهر
الشوق ، قال الواسطي
في قوله تعالى ووجهت
إليك رب ترضى قال
عوقا واستهانة بمن
وراءه - قال هم أولاء
على أثرى - من شوقه
إلى مكانة الله ورمى
بالأولاء لما فاته من
وقته . قال أبو عثمان
الشوق عمرة المحبة فمن
أحب الله اشتاق إلى

(١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة الحديث تقدم في العلم وغيرها .

تخرجين بدنيا إن ساعدتكم فلا تخلو بلك من جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها فأف هديا يسبقك بها هؤلاء الأخساء لها أجهلك وأخس همك وأسقط رأيك إذا رغبت عن أن تكوني في زمرة للقرّيين من النبيين والصديقين في جوارب العالمين أبد الآبدين لتسكوني في صف النعال من جهة الحق الجاهلين أياما قلائل يا حشرة عليك إن خسرت الدنيا والدين ، فبادري ومحك يا نفس قد أشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد النذر بمن ذابصك منك بعد اللوت ومن ذابصوم منك بعد اللوت ومن ذابترضى منك ربك بعد اللوت . ومحك يا نفس مالك إلا أيام معدودة هي بضاعتك إن انجرت فيها وقد ضيقت أكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيقت منها لكنك مقصرة في حق نفسك فكيف إذا ضيقت البقية وأصررت على عادتك . أما الملعين يا نفس أن اللوت موعدهك والقرير بيتك والقراب فراشك والدود أنيسك والفرع الأكبرين يديك ، أما علمت يا نفس أن عسكر اللوت عندك على باب البلب ينتظرونك وقد آلوا على أنفسهم كلهم بالأيمان للطفلة أنهم لا يرحون من مكانهم مالم يأخذوك معهم ، أما الملعين يا نفس أنهم يتصنون الرجعة إلى الدنيا يوما ليستنوا بتدارك ما فرط منهم وأنت في أمانتهم ويوم من عمرك لو يسع منهم الدنيا عند إفراها لاستروها لو قدروا عليه وأنت تضعين أيامك في التفلة والبطالة . ومحك يا نفس أما تستحيين تزئين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السرّ بالظنم أفتستحيين من الخالق ولا تستحيين من الخالق . ومحك أهو أهون الناظرين عليك أأمر من الناس بالخير وأنت متلطفة بالردائل تدعين إلى الله وأنت عنه فارة وتذكرين بالله وأنت له ناسية ، أما الملعين يا نفس أن اللذنب أنثى من المذرة وأن المذرة لا تظهر غيرها فلم تطعمين في تطهير غيرك وأنت غير طيبة في نفسك . ومحك يا نفس لو عرفت نفسك حق للرفة لظننت أن الناس ما يصيبهم بلاء إلا بشؤمك . ومحك يا نفس قد جئت نفسك حمارا إلى إبليس . يقولك إلى حيث يريد ويسخر بك ، ومع هذا تصعجين بملك وفيه من الآفات ما لو نجوت منه رأسا برأس لكان الرعب في يديك وكيف تصعجين بملك مع كثرة خطاياك وذلك وقد لمن الله إبليس بخطيئة واحدة بعد أن عبده مائتي ألف سنة وأخرج آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه . ومحك يا نفس ما أغدرك ومحك يا نفس ما أوقحك ومحك يا نفس ما أجهلك وما أجراك على اللعاصي ومحك كم تمقدين تنقضين ومحك كم تعبدن فتدبرين ومحك يا نفس أشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كأنك غير مرتحلة عنها أما تنظرين إلى أهل القبور كيف كانوا جمعوا كثيرا بنوا مشيدا وأملوا بعباد فأصبح جمعهم يورا وبنيتهم قبورا وأملهم غرورا ومحك يا نفس مالك هم عبدة مالك إليهم نظرة أنظنين أنهم دعوا إلى الآخرة وأنت من المخلدين ههنا ههنا ساء ما توهمين ما أنت إلا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فابقي على وجه الأرض قصرك فان بطنها عن قليل يكون قبرك أما تخافين إذا بلغت النفس منك التزاق أن تبدو وسل ربك ، تحذرة إليك بسواد الألوان وكلح الوجوه ويهري بالعداب فهل ينفعك حينئذ الندم أو يقبل منك الحزن أو يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك يا نفس أنك مع هذا تدعين البصيرة والطفلة ومن قطعتك أنك تخرجين كل يوم زيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك وما تقع مال يزيد وعمر ينقص . ومحك يا نفس تمرسين عن الآخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك ، فكمن مستقبل يوما لا يستكفه ومن كم ، وممل لند لا يبلغه فأنت تشاهدين ذلك في إخوانك وأقاربك وجيرانك قربين تحسرم عند اللوت ثم لاترجعين عن جهالك فاحذري أيها النفس السكينة يوما آلى الله فيه على نفسه أن لا يترك عبدا أمره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقة وجليه سره وعلايته

لقائه . وقال أيضا في قوله تعالى - فإن أجل الله لآت - بقسرية للمشتاقين معناه أتي أعلم أن هوئكم إلى غالب وأنا أجلت لقائكم أجلا وعن قريب يكون وصولكم إلى من تشتاقون إليه وقال ذوالنون: الشوق أعلى الدرجات وأعلى القامات إذا بلغها الإنسان استبطأ للووت شوقا إلى ربه ورجاء لقائه والنظر إليه . وعندى أن الشوق السكاكين في الحزين إلى رتب يتوقمونها في الدنيا غير الشوق الذي يتوقون به ما يعدلوت والله تعالى يكشف أهل وده بمطاييهم دونها

فانظري يا نفس بأي بدن تقفين بين يدي الله وبأي لسان تعجبين وأعدى للسؤال جوابا والجواب صوابا واحملي بقية عمرك في أيام قصار لأيام طواله وفي دار زوال دار مقام وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود احملي قبل أن لاتعمل اخرجي من الدنيا اختيارا خروج الأحرار قبل أن تخرجي منها على الاضطراب ولا تفرحي بما يساعذك من زهرات الدنيا قرب مسرور مغبور وبمغبور لا يشمر فويل لمن له الويل ثم لا يشمر بضحك ويفرح ويلهو ويمرح ويأكل ويشرب وقد حقه في كتاب الله أنه من وقود النار فليكن نظرك يا نفس إلى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرابا ورفضك لها اختيارا وطلبك للاتخرة ابتداء ولا تسكوني عن حجب عن فكر ما أوتيت وبنتي الزيادة في بقى وبنتي الناس ولا يتسنى واعلمي يا نفس أنه ليس للدين عوض ولا للآيمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يمار به وإن لم يسر قامت على يا نفس بهذه للوعظة واقبل هذه النصيحة فان من أعرض عن للوعظة قد رضى بالنار وما أراك بها راضية ولا لهذه للوعظة واعية فان كانت التساوة تمنحك عن قبول للوعظة فاستعيني عليها بدولم التبهيد والقيام فان لم تزل في الماوية على الصيام فان لم تزل فيقطة المخاطلة والكلام فان لم تزل فيصلة الأرحام والأطلف بالآتمام فان لم تزل فاعلمي أن الله قد طبع على قلبك وأقل عليه وأنه قد تراكت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطئي نفسك على النار فقد خاقي الله الجنة وخلق لها أهلا وخاقي النار وخلق لها أهلا فكل ميسر لما خلق له فان لم يبق فيك جماله لا وعظ فاقطعي من نفسك والقنوط كبيرة من الكبار لمعوذ بالله من ذلك فلا سبيل لك إلى القنوط ولا سبيل لك إلى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك فان ذلك اغترار وليس برجاء فانظري الآن هل يأخذك حزن على هذه النصيحة التي أثبتت بها وهل تسمع عينك بدعوة رحمة منك على نفسك فان صمحت لمستغنى الدمع من بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع الرجاء فواظبي على النياحة والبكاء واستمعيني بأرحم الراحمين واشتكي إلى أكرم الأكرمين وأدعني الاستغاثة ولا تحلمي طول الشكاية لعله أن يرحم ضعفك وينشك فان مصيبتك قد عظمت وبليتك قد غلغلت وعماديك قد طال وقد انقضت منك الحيل وراحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا مآج ولا منجا إلا إلى مولك فافزعي إليه بالتضرع واخشمي في تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لأنه يرحم المنزوع الذليل وينيث الطالب للتلف ويحب دعوة للضرر وقد أصبحت إليه اليوم مضطرة وإلى رحمته محتاجة وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقضت منك الحيل ولم تنجع فيك العظاات ولم يكرهك التوبيع فالطوب منه كرم وللستول جواد وللستاث به ردوف والرحمة واسعة والكرم قاض والفوشامل وقولي يا أرحم الراحمين يا رحمن يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم أنا الذليل للصبر أنا الجريء الذي لا ألق له أنا للتأدي الذي لا أمتحى هذا مقام للتضرع للسكين والبالس الفقير والضعيف الخفير والمالكا الفريق فجعل إغاثتي وفرجي وأراني آثار رحمته وأذقني برده عفوكم ومعزتك وارزقني قوة عظمتك يا أرحم الراحمين اقتداء بأبيك آدم عليه السلام قد قال وهب بن منبه لما هبط الله آدم من الجنة إلى الأرض مكث لا ترقأ له دمة فاطلع الله عز وجل عليه في اليوم السابع وهو عزون كتيب كظم منكس رأسه فأوحى الله تعالى إليه يا آدم ما هذا الجهد الذي أرى بك قال بارب عظمت مصيقتي وأحاطت بي خطيئتي وأخرجت من ملكوت ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقاء بعد السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلاء بعد العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار اللوت والفتنة بعد الخلود والبقاء فكيف لا أبكي على خطيئتي فأوحى الله تعالى إليه يا آدم ألم أسطقت نفسي وأحللتك داري وخصصتك بكرامي وحذرتك سخطي ألم أخلقك يدي ودفعت فيك

علما وطلبونها ذوقا
فكن ذلك يكون شوقهم
ليصير العلم ذوقا وليس
من ضرور مقام الشوق
استبطاء اللوت وربما
الأصحاء من المحبين
يتلذذون بالحياة لله
تعالى كما قال الجليل
لرسوله عليه الصلاة
والسلام - قل إن صلاتي
ونفسي وعيالي ومماتي
له رب المالمين - فمن
كانت حياته لله منحه
الكرام لذة للتناجاة
والهبة فتمتله عنه
من النقد ثم يكشفه من
النح والعطايا في الدنيا
ما يتحقق به مقام الشوق
من غير الشوق إلى
ما بعد اللوت وأنكر
بعضهم مقام الشوق
وقال إنما يكون الشوق

من روعي وأسجدت لك ملائكتي فصيت أمري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزني ووجلالي
لو ملأت الأرض رجالا كلهم مثلك يبدونني ويسبحونني ثم عصوني لأزلمهم منازل العاصين فيكي آدم
عليه السلام عند ذلك ثلثائة عام . وكان عبيد الله الجلي كثير البكاء يقول في بكائه طول ليلة: إلهي أنا
الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي أنا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت في شهوة أخرى واعبيده
خطيئة لم تبيل وصاحبها في طلب أخرى واعبيده إن كانت النار لك مقبلا ومأوى واعبيده إن كانت
للمقامع لرأسك تهباً واعبيده قضيت حوائج الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى . وقال منصور بن عمار سمعت
في بعض الليالي بالكوفة عابداً يناجي ربه وهو يقول يا رب وعزتك ما أردت بعصيتك مخالفتك ولا عصيتك
إذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سولت لي نفسي
وأعاني على ذلك شقوي وغرني سترك للرخي على فصيتك يحيل وخالفتك بفعل فمن عذابك
الآن من يستغفني أو يحيل من أعتصم إن قطعت حبلك عني واسوأته من الوقوف بين يديك غدا
إذا قيل له مخفيين جوزوا وقيل للمعتقلين خطوا أمع الحفيين أجوز أم مع اللقيين أخطو لي كلما كبرت سني كثرت
ذنوبي ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي قال مني أتوب وإلى متى أعود أما أني أن أستحي من ربي
فهذه طرق القوم في مناجاة مولا من في معابة توسمهم وإنما مطلبهم من اللجاة الاستراء ومقصدهم
من المعابة التنبيه والاستراء فمن أهمل المعابة وللجاة لم يكن نفسه مراعياً وبوشك أن لا يكون
الله تعالى عنه راضياً والسلام . ثم كتاب الحاسبة والراقبة . ويتلوه كتاب التفكير إن شاء الله تعالى
والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه .

(كتاب التفكير)

(وهو الكتاب التاسع من ربيع للنبيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي لم يقدر لانهاء عزته نقوا ولا قطرا ولم يجعل لمرأى أقدام الأوهام ومرمى سهام الأفهام
إلى حمى عظمته مجرى بل ترك قلوب الطالبين في يدهاء كبريائه والمسة حيرى كلما اهتزت لنيل
مطلوبها ردتها سبجات الجلال قسرا وإذا هممت بالانصراف آيسة توديت من سرادقات الجمال صبرا
صبرا ثم قيل لها أجيلي في ذل البودية منك فكرا لأنك لو تشكرت في جلال الربوبية لم تقدرى
له قدرا وإن طلبت وراء الفكر في صفاتك أمرا فانظري في نعم الله تعالى وإياديه كيف تواتت عليك
تترى وجددى لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتأملي في عمار للقادر كيف فاضت على المالمين خيرا
وشرا ونفعا وضرا وعسرا ويسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطبا ونشرا وإيمانا وكفرا وعرفانا
ونسكرا فان جاوزت النظر في الأفعال إلى النظر في الذات فقد حاولت أمرا إمرا وخاطرت بنفسك
بمجازرة حد طاقة البشر ظلما وجورا قد انهرت العقول دون مبادئ إشرافه وانتقصت على أعقابها
اضطرارا وقهرا والصلاة على محمد سيد ولد آدم وإن كان لم يمد سيادته غرا صلاة تبقى لنا في
عمرات القيامة عدة وذخرا وعلى آله وأصحابه الدين أصبح كل واحد منهم في مقام الدين بدرا
ولطوائف المسلمين صدرا وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فقد وردت السنة بأن «تفكر ساعة خير من عبادة سنة (١)» وكثر الحديث في كتاب

(كتاب التفكير)

(١) حديث تفكر ساعة خير من عبادة سنة ابن حبان في كتاب الظلمة من حديث أبي هريرة

لقالب ومقي يشيب
الحبيب عن الحبيب
حتى يشتاقي ولهذا سئل
الأنطاكي عن الشوق
قَالَ إنما يشتاقي إلى
القالب وما بقيت عنه
منذ وجدته وإنكار
الشوق على الإطلاق
لا أرى له وجهاً لأن
رب العطايا وللشح
من أنصبة القرب إذا
كانت غير متناهية
كيف يشكر الشوق
من الحب فهو غير غائب
وغير مشتاق بالنسبة
إلى ما وجد ولكن
يكون مشتاقاً إلى ما لم
يجد من أنصبة القرب
فكيف يمنع حال
الشوق والأمركذا .
وجه آخر أن الإنسان
لا بد له من أمور يردها

الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيد المعارف والتهوم وأكثر الناس قد عرفوا فضله وربته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلموا أنه كيف يفكر وفيماذا يفكر ولماذا يفكر وما الذي يطلب به أهو مراد ليعنه أم لثمرة تستفاد منه فإن كان لثمرة فما تلك الثمرة أهى من العلوم أو من الأحوال أو منهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر أولا فضيلة التفكير ثم حقيقة التفكير وثمرته ثم مجرى الفكر ومسارحه إن شاء الله تعالى.

(فضيلة التفكير)

قد أمر الله تعالى بالتفكير والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين فقال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا - وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما «إن قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدرُوا قدره^(١)» وعن النبي صلى الله عليه وسلم «أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالك لا تتكلمون؟ فقالوا تتفكر في خلق الله عز وجل قال فكذلك فاضلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فإن بهذا الغرب أرضا بيضاء نورها يابضها ويابضها نورها مسمرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يمضوا الله طريقة عين قالوا يارسول الله فأين الشيطان منهم؟ قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم؟ قال لا يدرون خلق آدم أم لا^(٢)» وعن عطاء قال «انطلقت يوما أنا وعبيد بن عمر إلى عائشة رضي الله عنها فكلمنا وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا؟ قال قول رسول الله صلى الله عليه وسلم زر غبا تردد حبا قال ابن عمر فأخبرنا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكيت وقالت كل أمره كان عجباً أتاني في ليل حتى مس جلده جلدي ثم قال ذري أتريد لربي عز وجل قدام إلى القبره تنوضاً منها ثم قام يصلي فسكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال به يحك يا بلال وما يعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى على في هذه الليلة - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار - ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها^(٣)» قيل

بلفظ ستين سنة بإسناد ضعيف ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بلفظ ثمانين سنة وإسناده ضعيف جدا ورواه أبو الشيخ من قول ابن عباس بلفظ خير من قيام ليلة^(١) حديث ابن عباس إن قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدرُوا قدره أبو نعيم في الحلية بالرفع منه بإسناد ضعيف ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه ورواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الذهب من حديث ابن عمر قال هذا إسناد فيه نظرات فيه الزايع بن نافع متروك^(٢) حديث خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالك لا تتكلمون فقالوا تفكروا في خلق الله الحديث ورواه في جزء من حديث عبد الله بن سلام^(٣) حديث عطاء انطلقت أنا وعبيد بن عمر إلى عائشة الحديث قال ابن عمر فأخبرنا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في نزول - إن في خلق السموات والأرض والآيات لمن قرأها ولم يتفكر فيها تقدم في الصبر والشكر وأنه في صحيح ابن حبان من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء.

حكم الحال لموضع
بشرته وطيبته
وعدم وقوفه على حد
العلم الذي يقضيه حكم
الحال ووجود هذه
الأمور مثيل لآثار الشوق
ولا نفي بالشوق إلا
مطالبة تنبعث من
الباطن إلى الأولى
والأعلى من أنفسه
القرب وهذه المطالبة
كاشفة في المحبين فالشوق
إذن كائن لأوجه
لأنكاره وقد قال قوم
شوق للشاهدة واللقاء
أشد من شوق البعد
والقيوبة فيكون في
حال الشبوبة مشتاقا
إلى اللقاء ويكون في
حال اللقاء وللشاهدة
مشتاقا إلى زواجره
ومبار من الحبيب

للأوزاعي ما غاية التفكير فحين قال يقرؤهن ويعقلهن . وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موت أبي ذر فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت كان نهاره أجمع في ناحية البيت بتفكير . وعن الحسن قال : تفكر ساعة خير من قيام ليلة . وعن الفضيل قال : التفكير امرأة تريك حسناتك وسيئاتك ، وقيل لأبراهيم إنك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل ، وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يمثل بقول القائل :

إذا للره كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة

وعن طاوس قال قال الحواريون ليسى بن مريم ياروح الله هل على الأرض اليوم مثلك ؟ فقال نعم . من كان منطق ذكرنا وصمته تفكرا ونظره عبرة فانه مثلي . وقال الحسن : من لم يكن كلامه حجة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لغو وفي قوله تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بشيء الحق - قال أمنع قلوبهم التفكير في أمري . وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطوا أعينكم حظها من العبادة فقالوا يارسول الله وما حظها من العبادة ؟ قال النظر في الصحف والتفكير فيه الاعتناء عند محاجة (١) » ، وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة أنها قالت . لو تطالعت قلوب لتقين بفكرها إلى ما قد ادخر لها في حجب القلب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تفر لهم في الدنيا عين . وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاة فيقول يا لقمان إنك تدمر الجلوس وحده فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان إن طول الوحدة فهم للتفكير وطول التفكير دليل على طريق الجنة . وقال وهب بن منبه : ما طالت فكرة امرئ قط إلا علم وما علم امرؤ قط إلا عمل . وقال عمر بن عبد العزيز : الفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العبادة . وقال عبد الله ابن المبارك يوما لسهل بن علي وراه ما كنا متفكرين أين بلغت ؟ قال الصراط . وقال بشر بن نويفر الناس في عظمة الله ما عسوا الله عز وجل . وعن ابن عباس ركنان مقصدتان في تفكير خير من قيام ليلة بلا قاب . وبينما أبو شريح يعشي إذ جلس فتفتح بكسائه فجعل يبكي قتيلا ليهيك ؟ قال تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب أجلي . وقال أبو سليمان عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكير . وقال أبو سليمان التفكير في الدنيا حجاب عن الآخرة وغوطة لأهل الولاية والتفكير في الآخرة يورث الحكمة ويهيئ القلوب . وقال حاتم من العبادة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكير يزيد الخوف . وقال ابن عباس : التفكير في الخير يدعو إلى العمل به والندم على الضرب يدعو إلى تركه . وروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه إني لست أقبل كلام كل حكيم ولكن أنظر إلى همه وهو ماذا كان همه وهو أهلى جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وإن لم يتكلم . وقال الحسن إن أهل العقل لم يزالوا يودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة . وقال اسحاق بن خاف كان داود الطائي رحمه الله تعالى على سطح في ليلة قراءته تفكر في ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويبيح حتى وقع في دار جارية قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا ويده مضمضة وظن أنه لئس فلما نظر إلى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحك من السطح قال ما شرفت بذلك . وقال الجنيد أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتفكير بنسيم للمعرفة والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن أنه عز وجل ثم قال بالهم من مجالس ما أجملها ومن شراب ما أدهم طوبى لمن رزقه

(١) حديث أبي سعيد الخدري أعطوا أعينكم حظها من العبادة الحديث ابن أبي الدنيا ومن طريقه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة بإسناد ضعيف .

وأفضله وهذا هو الذي أراه وأختاره . وقال فارس : قلوب للشتا تين منورة بنور الله فإذا تحركت اشتتبا أضاء النور ما بين الشرق والغرب فيرضهم الله على اللاتكة فيقول هؤلاء للشتا قون إلى أشهدكم أني إليهم أشوق . وقال أبو يزيد : لو أن الله حجب أهل الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار . مثل ابن عطاء الله عن الشوق فقال هو احتراق الحشا وتلهب القلوب وقطع الأكباد من البعد بعد القرب . سئل بعضهم هل الشوق

وفل الشافعي رحمه الله تعالى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر وقال أيضا صحة النظر في الأمور نجاة من التروير والعزم في الرأي سلامة من التفریط والندم والروبو الفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم وشاور قبل أن تقدم . وقال أيضا التفاضل أربع : إحداهما الحكمه وقوامها الفكرة . والثانية العفة وقوامها الشهوة . والثالثة القوة وقوامها في الغضب . والرابعة العدل وقوامها في اعتدال قوى النفس فهذه أقاويل العلماء في الفكرة وما شرع أحد منهم في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها .

(بيان حقيقة الفكر وعمره)

اعلم أن معنى الفكر هو إحضار مرتين في القلب ليستمر منهما معرفة ثالثة . ومثاله أن من مال إلى العاجلة وآثر الحياة الدنيا وأراد أن يعرف أن الآخرة أولى بالإيثار من العاجلة فله طريقان : أحدهما أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالإيثار من الدنيا فيقلبه ويصدق من غير بصيرة بحقيقة الأمر فيعدل بصله إلى إيثار الآخرة اعتقادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة . والطريق الثاني أن يعرف أن الأبي أولى بالإيثار ثم يعرف أن الآخرة أبقى فيحصل له من هاتين المرتين معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالإيثار ولا يمكن تحقيق المعرفة بأن الآخرة أولى بالإيثار إلا بالمرتتين السابقتين فاحضار المرتين السابقتين في القلب للتوصل به إلى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتدبرا ونظرا وتأملا وتدبرا . أما التدبر والتأمل والتفكير فعبارة مترادفة على معنى واحد ليس بينها معان مختلفة وأما اسم التدبر والاعتبار والنظر فهي مختلفة للعاني وإن كان أصل للسمي واحدا كما أن اسم الصائم والمهند والسيف يتوارد على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصائم يدل على السيف من حيث هو قاطع وللهند يدل عليه من حيث نسبت إلى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير إشعار بهذه الزوائد فكذلك الاعتبار ينطلق على إحضار للمرتين من حيث إنه يعبر منها إلى معرفة ثالثة وإن لم يقع العبور ولم يمكن إلا الوقوف على المرتين فينطلق عليه اسم التدبر كإسم الاعتبار . وأما النظر والتفكير فيقع عليه من حيث إن فيه طلب معرفة ثالثة فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكر ، وقاعدة التدبر كارتكاز المعارف على القلب لترسخ ولا تنحى عن القلب ، وفائدة التفكير تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التدبر والتفكير والمعارف إذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص أنعمت معرفة أخرى فالمعرفة تحتاج المعرفة فإذا حصلت معرفة أخرى وازدوجت مع معرفة أخرى حصل من ذلك نتاج آخر وهكذا يتسلسل النتاج وتتسلسل العلوم ويتسلسل الفكر إلى غير نهاية ، وإنما تصد طريق زيادة المعارف بالموت أو بالعوائق . هذا لمن يقدر على استئثار العلوم ويهتدى إلى طريق التفكير . وأما أكثر الناس فأعما منوا الزيادة في العلوم لتقدم رأس المال وهو المعارف التي بها تستمر العلوم كالذي لا بضاعة له فإنه لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح شيئا فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو رأس مال العلوم ولكن ليس يحسن استعمالها وتأييدها وإيقاع الازدواج للقضى إلى النتاج فيها ومعرفة طريق الاستعمال والاستئثار تارة تكون بنور إلهي في القلب يحصل بالقطرة كما كان للأنياء صلوات الله عليهم أجمعين وذلك عزيز جدا وقد تكون بالتعلم والممارسة وهو الأكثر ثم للتفكير قد تحضره هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير عنها لقلة ممارسته لصناعة التعبير في الإبراد فكم من إنسان يعلم أن الآخرة أولى بالإيثار علما حقيقيا ولسوء عن سبب معرفته لم يقدر على إبراده والتعبير عنه مع أنه لم يحصل معرفته إلا عن المرتين السابقتين وهو أن الأبي أولى

أطى أم الحبة ؟ فقال
الحبة لأن الشوق
يتولد منها فلا مشتاق
إلا من غلبه الحب فالحب
أصل والشوق فرع
وقال النصر اباضى :
للخاق كلهم مقام
الشوق لا مقام الاشتياق
ومن دخل في حال
الاشتياق هام فيه
حتى لا يرى له أثر ولا
فرا . ومنها الأنس
وقد مثل الجنيد عن
الأنس فقال : ارتفاع
الحشمة مع وجود
الهيبة . وسئل
ذو النون عن الأنس
فقال : هو انبساط
الحب إلى المبوب قيل
معناه قول الخليل -
أرني كيف تهيج للوني -
وقول موسى - أرني

بالإيمان وأن الآخرة أبقى من الدنيا فتحصل له معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالإيثارة فجمع حاصل حقيقة التفكير إلى إحضار معرفتين للتوصل بهما إلى معرفة ثالثة . وأما عمدة الفكر فهى العلوم والأحوال والأعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير ، نعم إذا حصل العلم فى القلب تغير حال القلب وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع للعلم والعلم تابع الفكر ، فالتفكير إذن هو للبدن والفتاح للخيرات كلها وهذا هو الذى يكشفك عن فضيلة التفكير وأنه خير من الذكر والتذكر لأن الفكر ذكر وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر ، فإذن التفكير أفضل من جملة الأعمال ولذلك قيل تشكر ساعة خير من عبادة سنة ، وقيل هو الذى ينقل من السكارة إلى الهباب ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة ، وقيل هو الذى يحدث شهادة وتقوى ولذلك قال تعالى - لهم يقون أو يحدث لهم ذكرا - وإن أردت أن تضحهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من أمر الآخرة فإن الفكر فيه يبرق أن الآخرة أولى بالإيثارة فإذا رسخت هذه المعرفة يقينا فى قلوبنا تغيرت القلوب إلى الرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال إذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والليل إليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت إرادته ورغبته ثم أثر تغير الإرادة أعمال الجوارح فى طراح الدنيا والآبائى على أعمال الآخرة فهنا خمس درجات : أولاهما التذكر وهو إحضار للمعرفتين فى القلب . وثانيتهما التفكير وهو طلب للمعرفة للتصودة منهما . والثالثة حصول للمعرفة للعلوم واستئثار القلب بها . والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور للمعرفة . والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستغنى بها للوضع نصير العين مبصرة بعد أن لم تكن مبصرة وتقتضى الأعضاء للعمل فكذلك زاد نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تأليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما ينبعث النار من الحديد ويغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل إلى ما لم يكن يميل إليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تقتضى الأعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينهض الحاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند إدراك البصر ما لم يكن يصبره ، فإذن عمدة الفكر العلوم والأحوال والعلوم لأنها يتلها والأحوال التى تتصور أن تتقلب على القلب لا يمكن حصرها ولهذا لو أراد مرید أن يحصر فنون التفكير ومجاريه وأنه في ذات الفكر لم يقدر عليه لأن مجارى الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية ، نعم نحن نبحث فى ضبط مجاريه بالإضافة إلى مهمات العلوم الدينية وبالإضافة إلى الأحوال التى هى مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جليا فان تفصيل ذلك يستدعى شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فاتها مشتقة على علوم تلك العلوم تستفاد من أفكار مخصوصة فلنشتر إلى ضبط الجامع فيها ليحصل الوقوف على مجارى الفكر .

(بيان مجارى الفكر)

اعلم أن الفكر قد يجرى فى أمر يتعلق بالدين وقد يجرى فيما يتعلق بغير الدين وإعناغ مننا ما يتعلق بالدين فلتترك القسم الآخر ونعنى بالدين المأماة التى بين العبد وبين الرب تعالى فجميع أفكار العبد إما أن تتعلق بالبعد وصفاته وأحواله وإما أن تتعلق بالمبود وصفاته وأفعاله لا يمكن أن نخرج عن هذين القسمين وما يتعلق بالبعد إما أن يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى أو فيما هو مكروه ولا حاجة إلى التفكير فى غير هذين القسمين ، وما يتعلق بالرب تعالى إما أن يكون نظرا فى ذاته وصفاته وأسبابه الحسنى وإما أن يكون فى أفعاله وملكوته وملكوته وجميع ما فى السموات والأرض وما بينهما وينكشف

أنظر إليك وأشد

لروم :

شفقت على عبادك فلا

ينفك طول الحياة

عن فكر

آسنى منك بالوداد قد

أوحشنى من جميع

ذا البشر

ذكرك لى مؤلى

بماضى

يوعدنى عنك منك

بالظفر

وحيثما كنت

يامدى همى

فأنت منى موضع النظر

وروى أن مطرف

ابن الشخير كتب إلى

عمر بن عبد العزيز

ليكن أنسك بالله

واشغاك إليه فان

له عبادا استأنسوا

بأنه وكانوا فى وحدتهم

لك انحصار الفكر في هذه الأقسام بمثل وهو أن حال السائرین إلى الله تعالى والمشتاقین إلى لقاءه يضاهی حال العاشق فالتخذ العاشق للسهر مثلاً ، فقول : العاشق المستغرق في مشقة لا يجد فكره من أن يتعلق بمشوقه أو يتعاقى بنفسه فإن تفكر في مشوقه فاما أن يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته ليقتم بالفكر فيه وبمشاهدته وإما أن يتفكر في أفعاله اللطيفة الحسنة الدالة على أخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضغاً لذته وقوى حاجته وإن تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه من عين محبوه حتى ينزه عنها أوفى الصفات التي تقربه منه وتجيبه إليه حتى يتصف بها فإن تفكر في شيء خارج عن هذه الأقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لأن العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستوفي القلب حتى لا يترك فيه مقعداً لغيره فحب الله تعالى ينبغي أن يكون كذلك فلا يدور نظره وتفكره محبوه ومهما كان تفكره محصوراً في هذه الأقسام الأربعة لم يكن خارجاً عن مقتضى المحبة أصلاً فلنبدأ بالقسم الأول وهو تفكره في صفات نفسه وأفعال نفسه ليجز المحبوب منها عن المكروه فإن هذا الفكر هو الذي يتعلق بعلم للعامة الذي هو المقصود بهذا الكتاب وأما القسم الآخر فيتعلق بعلم للكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله وعجوب ينقسم إلى ظاهر كالطاعات والمعاصي وإلى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات ومحمل القلب وذكر تفاصيلها في ربيع المهلكات والمنجيات والطاعات والمعاصي تنقسم إلى ما يتعلق بالأعضاء السبعة وإلى ما ينسب إلى جميع البدن كالفرار من الزحف وعقوق الوالدين والسكون في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكروهات التفكير في الأثر أو : الأول التفكير في أنه هل هو مكروه عند الله أم لا فرب شيء لا يظهر كونه مكروهاً بل يدرك بتدقيق النظر . والثاني التفكير في أنه إن كان مكروهاً فطريق الاحتراز عنه . والثالث أن هذا المكروه هل هو منتصف به في الحال فيتركه أو هو متعرض له في الاستقبال فيجتز عنه أوقافه فبمضي من الأحوال فيحتاج إلى تدبره وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم إلى هذه الانقسامات فإذا جمعت هذه الأقسام زادت مجاری الفكر في هذه الأقسام على مائة والعبد مدفوع إلى الفكر في ما في جميعها وفي أكثرها وتمرر أحاد هذه الانقسامات يطول ولكن انحصر هذا القسم في أربعة أنواع الطاعات والمعاصي والصفات المهلكات والصفات المنجيات فلنذكر في كل نوع مثلاً إقيس به المرید سائر ما هو مفتتح باب الفكر ويتسع عليه طريقه [النوع الأول المعاصي] ينبغي أن يفطن الإنسان صبيحة كل يوم بجميع أعضائه السبعة تفصيلاً ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لحصية بها فيتركها ولا يلبسها بالأس فيتداركها بالترك والندم أو هو متعرض لها في نهارة فيستعد للاحتراز والتباعد عنها فينظر في اللسان ويقول إنه متعرض للنسبة والكذب وتزكية النفس والاستزاء بالنبر والمارة والمعاذ حقاً فحوض فيها لا ينشئ إلى غير ذلك من المكروهات فيقرر أولاً في نفسه أنها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في أحواله أنه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر أنه كيف يجتز منه ويسلم أنه لا يتم له ذلك إلا بالزلة والانزلاق أو بأن لا مجال للاصالحات فينسكب عليه مهما تسلك مما يكرهه الله ولا يفضح حجراً في فيه إذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكراً لله فكذلك يكون الفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في همه أنه يصنى به إلى التيقن والكذب وفضول الكلام وإلى اللهو والبدعة وأن ذلك إنما يسمعه من زيد وعمرو وأنه ينبغي أن يجتز عنه بالاعتزال أو بالنهي عن الفكر فمهما كان ذلك فيتنفكر في بطنه أنه إنما يصي الله تعالى فيه بالأكل والشرب إما بكثره أو قل من الحلال فإن ذلك مكروه عند الله ومقو للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله وإماماً كل الحرام والأشبهة فينظر من أين مطعمه وملبسه ومسكنه ومكسبه وما مكسبه ويتفكر في طريق الحلال ومدخله ثم

أعد احتشاساً من الناس في كثرتهم وأوحش ما يكون الناس أنس ما يكونون وأنس ما يكون الناس أوحش ما يكونون . قال الواسطي : لا يصل إلى محل الأنس من لم يتوحش من الأكرام كلها . وقال أبو الحسين الوراق : لا يكون الأنس بالله إلا ومعه التعظيم لأن كل من استأنست به سقط عن قلبك تعظيمه إلا الله تعالى فانك لا تزايد به أنسا إلا ازددت منه هية وتعظيماً . قال تراجة : كل مطيع مستأنس وأنشدت : ولقد جعلت في القواد محدث

يتفكر في طريق الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه أن العبادات كلها ضالة مع أكل الحرام وأن أكل الحلال هو أساس العبادات كلها وأن الله تعالى لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام (١) كما ورد الخبر به فهكذا يتفكر في أعضائه في هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فهمه حصل بالتفكير حقيقة المعرفة بهذه الأحوال اشتغل بالمرآة طول النهار حتى يحفظ الأعضاء عنه [وأما النوع الثاني وهو الطاعات] فينظر أولاً في الفرائض المكتوبة عليها أنه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير أو كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع إلى عضو عضو فيتفكر في الأفعال التي تتعلق بها بما يحبه الله تعالى فيقول مثلاً إن العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والأرض عبرة ولتستعمل في طاعة الله تعالى وتطهر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأنا قادر على أن أغفل العين بمطالعة القرآن والسنة فلم لا أفعله وأنا قادر على أن أنظر إلى فلان للطبع بين التعظيم فأدخل السرور على قلبه وأنظر إلى فلان الفاسق بين الازدياد فأزجره بذلك عن مصيبته فلم لا أفعله وكذلك يقول في سمعه إنني قادر على استماع كلام مملووف أو استماع حكمة وعلم أو استماع قراءة ذكرى فإني أعطيه وقد أنعم الله عليّ به وأودعني أشكركه فما لي أكره نعمة الله فيه بتضييعه أو تعطيله وكذلك يتفكر في اللسان ويقول إنني قادر على أن أقرب إلى الله تعالى بالتعلم والوعظ والتودد إلى قلوب أهل الصلاح وبالحوال عن أحوال الفقراء وإدخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فلها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول أنا قادر على أن أتصدق بالمال الفلاني فإني مستغن عنه ومهما احتجت إليه رزقني الله تعالى مثله وإن كنت محتاجاً الآن فأنا إلى ثواب الأيثار أحوج مني إلى ذلك المال وهكذا يفتش عن جميع أعضائه وجملة بدنه وأموره بل عن دوابه وغلمان وأولاده فإن كل ذلك أدواته وأسبابه وقدر على أن يطبع الله تعالى بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيها برغبة في البدار إلى تلك الطاعات ويتفكر في إخلاص النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى يركو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات [وأما النوع الثالث فهي الصفات الملهكة التي يحملها القلب] فيعرفها بما ذكرناه في ربيع الملهكات وهي استيلاء الشهوة والنضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والنزور وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه الصفات فإن ظن أن قلبه منزّه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه والاستعداد بالعلامات عليه فإن النفس أبداً تعد بالحير من نفسها وتختلف فإذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي أن تجرب بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الأولون يجربون به أنفسهم وإذا ادعت الحلم تعرض لتضيق ناله من غيره ثم يجرب في كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات وهذا تفكر في إنهم هو موصوف بالصفة المذكورة ثم لا زالت تلك علامات ذكرناها في ربيع للملهكات فإذا دلت العلامة على وجودها ففكر في الأسباب التي تنبئ تلك الصفات عنده وتبين أن منشأها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة كالورأى في نفسه محباً بالعمل فيتفكر ويقول إنما عملي يدين وجار حتى وقدرتي وإرادتي وكل ذلك ليس مني ولا لي وإنما هو من خلق الله وفضله على قبه الذي خلقتي وخلق جاري حتى وخلق قدرتي وإرادتي وهو الذي حرك أعضائي بقدرته وكذلك قدرتي وإرادتي فكيف أحجب بسمي أو بنفسي ولا أقوم لنفسي بنفسى فإذا أحس في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الخفاة ويقول لها لم ترين نفسك أكبر والكبير من هو عند الله كبير وذلك ينكشف بعد الموت وكم من كافر في الحال يموت مقرباً إلى الله تعالى بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقياً

(١) حديث إن الله لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام أحمد من حديث ابن عمر بسند فيه

مجهول وقد تقدم .

وأبحث جسمي من
أراد جالوسي

فالجسم متى للجلبس
وأنس

وحبيب قلبي في القواد
أنيسى

وقال مالك بن دينار:
من لم يأنس بمحادثة

الله من محادثة الخواصين
قد قل عليه وعسى

قلبه وضيع عمره .
قل لبعضهم من معك

في الدار قال الله تعالى
معى ولا يستوحش من

أنس بربه . وقال
الحراز: الأنس بمحادثة

الأرواح مع المحبوب
في مجالس القرب .

ووصف بعض العارفين
صفة أهل المحبة .

الواصلين فقال: جدد
لهم الود في كل طرفة

بتغير حاله عند اللوت بسوء الحاقّة فاذا عرف أن الكبر مهلك وإن أصله الحاقّة فيتفكر في علاج إزالة ذلك بأن يتعاطى أفعالاً للتواضع وإذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشهره تفكر في أن هذه صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقوع كمال لكان ذلك من صفات الله وصفات الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره عليه أغلب كان بالبهائم أشبه وعن الملائكة للتقريب أبعد وكذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد أن يتسع له طريق التفكير فلا بد له من تحصيل ما في هذه الكتب [وأما النوع الرابع وهو للتبجيات] فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهّد في الدنيا والإخلاص والصدق في الطاعات وحبّة الله وتعظيمه والرضا بأفعله والشوق إليه والخشوع والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا أسبابه وعلاماته فليتفكر المبدكل يوم في قلبه ما الذي يورثه من هذه الصفات التي هي للقرية إلى الله تعالى فاذا افتقر إلى شيء منها فليعلم أنها أحوال لا يشمرها إلا علوم وأن العلوم لا يشمرها إلا أنكار فاذا أراد أن يكتب نفسه أحوال التوبة والندم فليفتش ذنوبه أولاً وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيها وليتحقق عند نفسه أنه متعرض لعقوبة الله تعالى حتى ينبت له حال الندم وإذا أراد أن يستبصر من قلبه حال الشكر فليتنظر في إحسان الله إليه وأباده عليه وفي إرضائه جميل مكره عليه على ما مرّ حنا بعضه في كتاب الشكر فليطالع ذلك وإذا أراد حال المحبة والشوق فليتفكر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب حكمته وبدايع صنعه كما سنشير إلى طرف منه في القسم الثاني من الفكر وإذا أراد حال الخوف فليتنظر أولاً في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في اللوت وسكراته ثم فيها يورثه من سؤال منكرو ونكير وعذاب القبر وحياته وعقابه وديبانه ثم في هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم في المناقشة في الحساب والمضاهة في التقدير والقطمير ثم في الصراط وحقه وحده ثم في خطر الأمر عنده أنه يصرف إلى الشمال فيكون من أصحاب النار أو يصرف إلى اليمين فينزل دار القرار ثم ليحضر بسد أحوال القيامة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامها وأهوالها وسلاسلها وأغلالها وزقومها وصديدها وأنواع العذاب فيها وقبح صور الزبانية للوكلائ بها وأنهم كانوا ضجعت جلودهم بدلوها جلوداً غيرها وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيديا فيها وأنهم إذا رأوها من مكان بعيد سمعوا لها تميطاً وزفيراً وهلم جرا إلى جميع ما ورد في القرآن من شرحها وإذا أراد أن يستجلب حال الرجاء فليتنظر إلى الجنة ونعيمها وأشجارها وأنهارها وحورها وولداتها ونعيمها المقيم وملسكها الدائم فهكذا طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تشر اجتلاب أحوال محبوبة أو التنزه عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الأحوال كتاباً مفرداً يستعان به على تفصيل الفكر أما بذكر مجامعها فلا يوجد فيه أحسن من قراءة القرآن بالتفكير فانه جامع لجميع اللقائات والأحوال وفيه غفاه للعالمين وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الأحوال وفيه ما يجر عن سائر الصفات للمذمومة فينبغي أن يقرأه العبد ويردد الآية التي هو محتاج إلى التفكير فيها مرة بعد أخرى ولو مائة مرة فقراءة آية يتفكر وفهم خير من ختمه بنير تدبر وفهم فليتوقف في التأمل فيها ولو ليلة واحدة فإن تحت كل كلمة منها أسراراً لا تتجصر ولا يوقف عليها إلا بديق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قد أوتي جوامع الكلم ^(١) وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة ولو تأملها

بدوام الاتصال بآوأم في سكنته بمقتضى السكون إليه حتى أنت قالوهم وحنت أرواحهم شوقاً وكان الحب والشوق منهم إشارة من الحق إليهم عن حقيقة التوحيد وهو الوجود بآله فذهبت عنهم واقطعت آيائهم عنده لما بان منه لهم ولو أن الحق تعالى أمر جميع الأنبياء بضائون لهم مسائلوه بعض ما أعد لهم من قديم وحدانيته ودوام أزليته وسابق علمه وكان نصيبهم معرقهم به وقرأهم همهم عليه واجتاحت أهوائهم فيه فصار يحسد من عبيده العموم أن

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم ففهم.

العالم حق التأمل لم يتقطع فيها نظره طول عمره وشرح أحاد الآيات والأخبار بطول فانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم «إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببك فانك مفارقة وعش ماشئت فانك ميت وإعمل ماشئت فانك مجزى به (١)» فان هذه الكلمات جامعة حكم الأولين والآخرين وهي كافية للتأملين فيها طول العمر إذلو وقفا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستمرتهم ولحال ذلك بينهم وبين التفت إلى الدنيا بالسكينة فهذا هو طريق الفكر في علوم العاملة وصفات المبدمن حيث هي محبوبة عند الله تعالى أو مكروهة وللبتدى ينبغي أن يكون مستغرق الوقت في هذه الأفكار حتى يعمر قلبه بالأخلاق الحمودة والصفات الشريفة ويبرز باطنه وظاهره عن السكارة ولعلم أن هذا مع أنه أفضل من مائر التبادات فليس هو له غاية للطلب بل للشغول به محبوب عن مطلب الصديقين وهو التمتع بالفكر في جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث يغنى عن نفسه أى ينسى نفسه وأحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الملم بالمحجوب كالماسق للشيء عند لقاء الحبيب فانه لا يفرغ للآخر في أحوال نفسه وأوصافها بل يبقى كالنبوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة المشاق . فأما ما ذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن ليصلح القرب والوصال فإذا ضيع جميع عمره في إصلاح نفسه فحق يتعمق بالقرب ولذلك كان الخواص يدور في البوادي فلقية الحسين بن منصور وقال فيم أنت قال أدور في البوادي أصلح حالى في التوكل قال الحسين أنفيت عمرى في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد فالفناء في الواحد الحق هو غاية قصد الطالبين ومنتهى نعم الصديقين . وأما التزهد عن الصفات للهلكات فيجربى على الخروج عن الله في النكاح . وأما الاتصاف بالصفات للنجيات وسائر الطاعات فيجربى مجرى هيئة المرأة جوازها وتطيئها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك لقاء زوجها فان استغرقت جميع عمرها في تربية الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب ، فهكذا ينبغي أن تفهم طريق الدين إن كنت من أهل المجالسة وإن كنت كالعبد السوء لا يتحرك إلا خوفا من الضرب وطعنا في الأجرة فتدوّنك وإتباب البدن بالأعمال الظاهرة فان يبتك وبين القلب حجابا كثيرا فاذا قضيت حق الأعمال كنت من أهل الجنة ولكن للمجالسة أقوام آخرون وإذا عرفت جمال الفكر في علوم العاملة اتق بين البدن وبين ربه فينبغى أن تتخذ ذلك عاتك ودينك صباحا ومساء فلا تنفل عن نفسك وعن صفاتك البعده من الله تعالى وأحوالك للقرية إليه سبحانه وتعالى بل كل مرید فينبغى أن يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات للهلكات وجملة الصفات للنجيات وجملة للمعاصى والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم ، ويكتفي من للهلكات النظر في عشرة فانه إن سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب وشدة الطعام وشدة الوقاع وحب المال وحب الجاه . ومن النجيات عشرة : التمسك على الذنوب ، والصبر على البلاء ، والرضا بالقضاء ، والشكر على النعماء ، واعتدال الخوف والرجاء ، والزهدي في الدنيا ، والإخلاص في الأعمال ، وحسن الخلق مع الخلق ، وحب الله تعالى ، والخشوع له . فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محمودة فمهما كنى من المذمومات واحدة فيخط عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته إيها وتزنيه قلبه عنها ويعلم أن ذلك لم يتم إلا بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكله إلى نفسه لم يقدر على نحو أنل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع ، وكذا يطالب نفسه بالاتصاف بالنجيات ، فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والتهم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي ، وهذا يحتاج إليه المرید للشعر :

(١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببك فانك مفارقة الحديث تقدم غيرة

رفع عن قلوبهم جميع

المهموم . وأنشد في

معناه :

كانت قلبي أهواء

مفرقة

فاستجتمت إذا رأتك

النفس أهوائي

فصار يحسدنى من

كنت أحسده

وصرت مولى الورى

لمصرت مولائى

تركت للناس دنياهم

ودينهم

هفلا بد كرك يادى

ودنياى

وقد يكون من الأنس

الأنس بطاعة الله

وذكره وتلاوة كلامه

وسائر أبواب القربات

وهذا القدر من الأنس

نعمة من الله تعالى

ومنحة منه ولكن

وأما أكثر الناس من الممدودين من الصالحين فينبغي أن يشتوا في جرائمهم المعاصي الظاهرة كآكل
 الشهة وإطلاق اللسان بالنية والهمة والراء والتناء على النفس والافراط في معاداة الأعداء، والالة
 الأولياء، وللداهنة مع الخلق في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن أكثر من يعد نفسه من
 وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه وما لم يظهر الجوارح عن الآثام لا يمكن
 الاشتغال بصيانة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يطلب عليهم نوع من الصبغة فينبغي أن يكون
 تقدم لها وتفكرهم فيها لافي معاصيهم بعمل عنها. مثاله العالم الورع فإنه لا يخلق غالب الأمر عن إظهار
 نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت إماماً للتدريس أو بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة
 لا ينجو منها إلا الصديقون فإنه إن كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الاستعجاب
 والحيلاء والتزين والتصنع وذلك من الهلكات وإن رد كلامه لم يغل عن غيظ وأفة وحقد على من
 يرده وهو أكثر من غيظه على من يرد كلامه غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول إن غيظك من
 حيث إنه رد الحق وأنكره فإن وجد تفرقة بين أن يرد عليه كلامه أو يرد على عالم آخر فهو مغرور
 وضئكة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالتناء واستكفاف من الرذائل والأعراض لم يخل
 عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والإيراد حرصاً على استعجاب التناء والله لا يحب للتكلفين والشيطان
 قد يلبس عليه ويقول إنما حرصك على تحسين الألفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه في
 القلب إعلاء لدين الله فإن كان فرحه بحسن ألقائه وتناء الناس عليه أكثر من فرحه بتناء الناس على
 واحد من أقرانه فهو غدوع وإعما يدورون حول طلب الجاه وهو يظن أن مطلبه الدين ومهما
 اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك حتى يكون للورع له للعقد لفضله أكثر احتراماً
 ويكون بقلائه أشد فرحاً واستبشاراً ممن يخالق في موالاته غيره وإن كان ذلك التبرع مستحقاً للواثور بما
 ينهى الأمر بأهل العلم إلى أن يتفاربوا تفارب النساء فيشقى على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته إلى غيره
 وإن كان يعلم أنه متفجع بغيره ومستفيد منه في دينه وكل ذلك رشح الصفات الهلكات المستكدة في سر
 القاب التي قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وإنما ينكشف ذلك بهذه العلامات فتنته العالم
 عظيمة وهو إماماً مالاً وإماماً هالكاً ولا مطعم له في سلامة العوام فمن أحس في نفسه بهذه الصفات فالواجب
 عليه العزلة والانفراد وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهما شئت فقد كان المسجد يحوي في زمن الصحابة
 رضى الله تعالى عنهم جمعا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتونون وكانوا يتدافعون
 الفتوى وكل من كان يغيب كان يود أن يكفيه غيره وعند هذا ينبغي أن يتقى شياطين الانس إذا قالوا
 لا تفضل هذا فإن هذا الباب لوقع لاندست العلوم من بين الخلق وليقل لهم إن دين الاسلام مستغن
 عنه فإنه قد كان معموراً قبلي وكذلك يكون بعدى ولومت لم تهتم أركان الاسلام فإن الدين مستغن
 عني وأما أنا فلست مستغنيا عن إصلاح قلبي ، وأما أداء ذلك إلى اندراس العلم غيالي يدل على غاية
 الجهل فإن الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب الرياسة
 والعلو يعملهم على كسر القيود وهم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطالب العلم فالعلم
 لا يتدرس مادام الشيطان يحجب إلى الخلق الرياسة والشيطان لا يفر عن عمله إلى يوم القيامة بل ينتهز
 لنشر العلم أقواماً لا نصيب لهم في الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أباة يؤيد هذا الدين
 بأقوام لا خلاق لهم^(١)» و «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الماجر^(٢)» فلا ينبغي أن يفتقر العالم بهذه
 التلبسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يترن في قلبه حب الجاه والتناء والتعظيم فإن ذلك بذور النفاق
 (١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم تقدم (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين
 بالرجل الفاجر تقدم أيضاً في العلم .

ليس هو حال الأنس
 الذي يكون للجهين
 والأنس حال شريف
 يكون عند طهارة
 الباطن وكنسه بصدق
 الزهد وكمال التقوى
 وقطع الأسباب
 والالتفات نحو الخواطر
 والمواجبي وحقيقته
 عند كس الوجود
 بقل لأع العظمة
 وانتشار الروح في
 ميادين الفتوح وله
 استقلال بنفسه يشتمل
 على القلب فيجمعه به
 عن الهبة وفي الهبة
 اجتماع الروح ورسوبه
 إلى محل النفس وهذا
 الذي وصفناه من
 أنس القات وهيبة
 القات يكون في مقام
 البقاء بعد العبور على

قال صلى الله عليه وسلم « حب الجاه يثبت التفاق في القلب كائنت للماء البقل ^(١) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ذئبان ضاريان أرسلاني في زريبة غنم بأكثر إفسادا فهما من حب الجاه والى الذي دين للرء للمسلم ^(٢) » ولا يتقلع حب الجاه من القلب إلا بالاعتزال عن الناس والحرب من مخالطهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم فليكن العالم في التنظف لحفايا هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منها وهذه وظيفة العالم للتيق فاما أمثالنا فينبغي أن يكون تصكركنا فيما يقوى إيماننا يوم الحساب إذ لو رأنا السلف الصالحون لقالوا قطعا إن هؤلاء لا يؤمنون يوم الحساب إذ أعمالنا أعمال من يؤمن بالجنة والنار فإن من خاف شيئا هرب منه ومن رجش شيئا طلبه وقد علمنا أن الحرب من النار تبرك الشبهات والحرام وبترك الامعاصي ونحن منهمكون فيها وأن طلب الجنة يتسكير نوافل الطاعات ونحن مقصرون في القرائن منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم إلا أنه يقتدى بنا في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء أحق وأولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعلوم إذ امتنا ماتت معنا ذنوبنا فما أعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تصكركنا فضائل الله تعالى أن يصلحنا ويصلح بنا ويوقننا لقوة قبل أن يتوكلنا إنه الكريم اللطيف بنا لنعم علينا فبه مجاري أفكار العلماء والصالحين في علم العامة فإن فرغوا منها انقطع التفاهم عن أنفسهم وارتقوا منها إلى التفكر في جلال الله وعظمته والتعجب من عبادته بين القلب ولا يتم ذلك إلا بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاصناف بجميع المنجيات وإن ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولا ماعولا مكدره مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمحشوقة ولكن تحت ثيابه حيات وعقارب تلدغهم مرة بعد أخرى فنقص عليه قوة الشهادة ولا طريق له في كمال التمتع إلا بإخراج العقارب والحيات من ثيابه وهذه الصفات الذمومة عقارب وحيات وهي مؤذيات ومشوهات وفي القبر يزيد ألم لدغها على لبغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة والكرهية عند ربه تعالى . القسم الثاني الفكر في جلال الله وعظمته وكبريائه ، وفيه مقنن اللام الأمل الفكر في ذاته وصفاته ومعاني أعماله وهذا مما منع منه حيث قيل تصكروا في خلق الله تعالى ولا تفكروا في ذات الله وذلك لأن القول بتحريمه فلا يطيق مد البصر إليه إلا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر بل سائر الخلق أحوال أبصارهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى كحال بصير الحفاح بالإضافة إلى نور الشمس فإنه لا يطيقه البتة بل يخفى نهارا وإنما يتردد ليلا ينظر في بقية نور الشمس إذ اوقع على الأرض وأحوال الصديقين كحال الإنسان في النظر إلى الشمس فإنه يقدر على النظر إليها ولا يطيق دوامه وغشى على بصره لو أدام النظر ونظيره المختطف إليها بورث المضي . ويفرق البصر وكذلك النظر إلى ذات الله تعالى بورث الخيرة والذهبي واضطراب العقل فالصواب إذن أن لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله سبحانه وصفاته فإن أكثر القول لأختمه بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو أن الله تعالى مقدس عن للكان ومزده عن الأقطار والحيايات وأنه ليس داخل العالم ولا خارجة ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه قد حير عقول أقوام حتى أنكروه إذ لم يطبقوا اسماءه ومعرفة بل ضعف طاقة عن احتمال أقل من هذا إذ قيل لهم إنه يتعظم ويتعالى عن أن يكون له رأس ورجل ويد وعين وعضو وأن يكون جسمًا مشخصًا له مقدار وحجم فأنكروا هذا وظنوا أن ذلك قسح في عظمة الله وجلاله حتى قال بعض الحق من العوام إن هذا وصف بطيخ هندي لا وصف لإله لظن المسكين أن الجلالة

(١) حديث حب المال والجاه يثبت التفاق في القلب الحديث تقدم (٢) حديث ما ذئبان جاثقان

أرسلاني في زريبة غنم الحديث تقدم .

مر القناء وما غير
الأنس والهيبة الذين
يلهبان بوجود القناء
لأن الهيبة والأنس
قبل القناء ظهرا من
مطالعة الصفات من
الجلال والجمال وذلك
مقام التأوين وما ذكرناه
بعد القناء في مقام
التحكين والبقاء من
مطالعة الذات ومن
الأنس خضوع النفس
للطمئة ومن الهيبة
خشوعها والخضوع
والخشوع يتقاربان
ويقتربان بفرق لطيف
يدرك بلعماء الروح .
ومنها القرب قال الله
تعالى لنبيه عليه الصلاة
والسلام - واسجد
واقرب - وقد ورد
« أقرب ما يكون العبد

من ربه في سجوده »
 فالساجد إذا ذيق طعم
 السجود يقرب لأنه
 يسجد ويطوى
 بسجوده بساط السكون
 ما كان وما يكون
 ويسجد على طرف
 رداء العظمة فيقرب.
 قال بعضهم إنى لأجد
 الحضور فأقول يا الله
 أو يارب فأجد ذلك
 على أثقل من الجبال
 قيل ولم قال لأن النداء
 يكون من وراء حجاب
 وهل رأيت جليسا
 ينادى جلسيه وإنما
 هي إشارات وملاحظات
 ومنافاة وملاطفات
 وهذا الذى وصفه مقام
 عزيز متحقق فيه
 القرب ولكنه مشعر
 بمحو ومؤذن بسكر

والعظمة في هذه الأعضاء وهذا لأن الانسان لا يعرف إلا نفسه فلا يستعظم إلا نفسه فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه ، ثم غايته أن يقدر نفسه جميل الصورة جالس على سريره وبين يديه غلغان يتناولون أمره فلا جرم غايته أن يقدر ذلك في حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقول له ليس لحافلك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لأنكر ذلك وقال كيف يكون خالقي أقصى منى أفيكون مقصوص الجناح أو يكون زمنا لا يقدر على الطيران أو يكون إلى آله وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقي ومصورى وعقول أكثر الخلق قريب من هذا العقل وإن الانسان لجهول غلوم كفار . ولذلك أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه لا تخبر عبادى بصفاى فينكرونى ولكن أخبرهم عنى بما يفهمون . ولما كان النظر في ذات الله تعالى وصفاته خطرا من هذا الوجه اقتضى أدب الشرع ومصلاح الخلق أن لا يتعرض لمجارى الفكر فيه لكننا نعدل إلى اللقائى الثانى وهو النظر فى أفعاله ومجارى قدره ومجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدهس وتعالى به وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نقاذ مشيئته وقدرته فينظر إلى صفاته من آثار صفاته فاننا لا نطيع النظر إلى صفاته كما أنا نطيع النظر إلى الأرض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالإضافة إلى نور القمر وسائر الكواكب لأن نور الأرض من آثار نور الشمس والنظر فى الآثار يدل على المؤثر دلالة ما وإن كان لا يقوم مقام النظر فى نفس المؤثر وجميع وجوداته . نياثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من أنوار ذاته بل لا ظلمة أشد من العدم ولا نور أظهر من الوجود ووجود الأشياء كلها نور من أنوار ذاته تعالى وتقدس إذ قوام وجود الأشياء بذاته القويم بنفسه كأن قوام نور الأجسام بنور الشمس للضئنة بنفسها ومهما انكشف بعض الشمس فقد جرت العادة بأن يوضع ملشت ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر إليها فيكون لها واسطة فيض قل الامن نور الشمس حتى يطاق النظر إليها فكذلك الأنفال واسطة لشاهد فيها صفات الفاعل ولا نهى بأوار الذات ببدان تباعدنا عنها بواسطة الأنفال فهذا سر قوله ﷺ « تشكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله تعالى » .

(بيان كيفية التشكر في خلق الله تعالى)

اعلم أن كل مافى الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلق وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف فيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته وإحصاء ذلك غير ممكن لأنه لو كان البحر مدادا لعد ذلك لعد البحر قبل أن ينفد عشر عشره ولكننا نشير إلى جمل منه ليكون ذلك كالمثل لما عداه . فنقول للوجودات الخلقوة منقسمة إلى مالا يعرف أصلها فلا يمكننا التفكير فيها وكمن للوجودات التى لا نعلمها كما قال الله تعالى - وخلق ما لا تعلمون - سبحانه الذى خلق الأزواج كلها ما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يملون - وقال - ونشكك فيها لا تعلمون - وإلى ما يعرف أصلها وجملتها ولا يعرف تفصيلها فيمكن أن تفكر فى تفصيلها وهي منقسمة إلى ما أدركناه بحس البصر وإلى ما لا ندركه بالبصر أما الذى لا ندركه بالبصر فكذلك الجن والشياطين والعرش والكرسى وغير ذلك ومجال الفكر فى هذه الأشياء مما يضيّق ويضعف فلتعد إلى الأقرب إلى الأنفهام وهي للدركات بحس البصر وذلك هو السموات السبع والأرض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وقمرها وحركتها ودوراتها فى طلوعها وغروبها والأرض مشاهدة بما فيها من جبالها وما أدناها وأنهارها ومجارها وحياتها ونباتها وما بين السماء والأرض وهو الجو مدرك بغيرها وأمطارها وثلولها ورعداها وبرقها وصورها وأصواتها وبقاها فهذه هي الأجناس المشاهدة من السموات والأرض وما بينهما وكل جنس منها ينقسم إلى أنواع وكل نوع ينقسم إلى أقسام ويتشعب كل قسم

إلى أصناف ولا نهاية لانشعب ذلك وانقسامه في اختلاف صفاته وهياته ومعانيه الظاهرة والباطنة
وجميع ذلك مجال الفكر فلا تتحرك ذرة في السموات والأرض من جاد ولا نبات ولا حيوان ولا
فلك ولا كوكب إلا والله تعالى هو محركها وفي حركتها حكمة وأحسنتان أو عشر أو ألف حكمة كل ذلك
شاهد لله تعالى بالوحدة والعدل على جلالة وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه ، وقد ورد القرآن بالحث
على التفكير في هذه الآيات كما قال الله تعالى - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار
آيات لأولي الأبصار - وكما قال تعالى - ومن آياته - من أول القرآن إلى آخره - فلذلك كيفية الفكر
في بعض الآيات ، فمن آياته الإنسان المخلوق من النطفة وأقرب شيء إليك نفسك وفيك من العجائب
الدالة على عظمة الله تعالى ماتنقضي الأعمار في التوفيق على عشر وعشرين وأنت غافل عنه ، فيا من هو غافل
عن نفسه وجاهل بما كيف تطمع في معرفة غيرك وقد أمرك الله تعالى بالتدبر في نفسك في كتابه
العزيز فقال - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وذكر أنك مخلوق من نطفة قدرة فقال - قلل الإنسان
ما كفره من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه قدره ، ثم السيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إذا أضاءه
أنشده - وقال تعالى - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون - وقال تعالى - ألم
يك نطفة من منى يعني ثم كان علقه خلق فسوى - وقال تعالى - ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه
في قرار مكين إلى قدر معلوم - وقال - أولم ير الإنسان أنا خلقنا من نطفة فإذا هو خصم مبين - وقال
- إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج - ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة وعلقته مضغة وللضمة عظاما
فقال تعالى - ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة
علقة - الآية ، فكرر ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس لسمع لفظه ويترك التفكير في معناه فانظر
الآن إلى النطفة وهي قطرة من الماء قد ركت ساعة ليضربها الهواء فسدت وأمنت كيف أخرجهما
رب الأرباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والأنثى وألقى الألفق والحب في قلوبهم وكيف
قدم بسلسلة الحب والشهوة إلى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الواقع وكيف
استجلب دم الحيض من أعماق المروق وجمعه في الرحم ، ثم كيف خلق الولود من النطفة وسقاها بماء
الحيض وغذاه حتى يماوربا وكبر ، وكيف جعل النطفة وهي يضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف جعلها
مضغة ثم كيف قسم أجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية إلى العظام والأعصاب والعروق والأوتار والحم
ثم كيف ركب من اللحم والأعصاب والعروق الأعضاء الظاهرة فدور الرأس وشق السمع والبصر
والأنف والتم وسائر المنافذ ثم المديد والرجل وقسم رءوسها بالأصابع وقسم الأصابع بالأظفار ثم كيف
ركب الأعضاء الباطنة من القلب واللمدة والكبد والطحال والرقبة والرحم والثلاثة والأعضاء كل واحد
على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ، ثم كيف قسم كل عضو من هذه الأعضاء
بأقسام أخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة
منها أوزالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الإبصار فلو ذهبنا إلى أن نصف ما في آحاد هذه الأعضاء
من العجائب والآيات لأقضى فيه الأعمار فانظر الآن إلى المظام وهي أجسام صلبة قوية كيف خلقها
من نطفة سخيصة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها بمقادير مختلفة وأشكال مختلفة
فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومخوف ومصمت وعريض ودقيق ، ولما كان الإنسان محتاجا
إلى الحركة بجملة بدنه وبعض أعضائه مفترا للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل
عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة وقد شكل كل واحدة منها على وفق الحركة
المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض بأوتار أنبتنا من أحد طرفي العظم والصلبة بالعظم

يكون ذلك لمن غابت
نفسه في نور روحه
لعلبه سكره وقوة عموه
فاذا انحأ وأفاق تتخلص
الروح من النفس
والنفس من الروح
ويعود كل من العبد
إلى محله ومقامه فيقول
يا الله ويارب بلسان
النفس للمطمئنة العائدة
إلى مقام حاجتها وحمل
عبوديتها والروح
تستقل فتوحه وبكمال
الحال عن الأقوال
وهذا أتم وأقرب من
الأول لأنه وفي حق
القرب باستقلال الروح
بالفتوح وأقام رسم
العبودية يعود حكم
النفس إلى محل الانقار
وحظ القرب لا يزال

الآخر كالرابط له ثم خالق في أحد طرفي العظم زوائد خارجة منه وفي الآخر حفران فاسدة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتطبق عليها فصار العبد إن أراد تحريك جزء من بدنه لم يتمتع عليه ولولا المفصل لتضرر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعها وربها وقدر كمها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الأشكال والصور فألف بعضها إلى بعض بحيث استوى به كرة الرأس كما تراه فيها ستة شخص التحف وأربعة عشر للحي الأعلى وأثنان للحي الأسفل والبقية هي الأسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهي الأنياب والأضراس والثنايا ثم جعل الرقبة من كبا للرأس وربها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تحريكات وزادات وتقصانات لينطبق بعضها على بعض ويطول ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وربك الظهر من أسفل الرقبة إلى منتهى عظم العجز من أربع وعشرين خزيمة وركب عظم العجز من ثلاثة أجزاء مختلفة فيصل به من أسفله عظم السهم وهو أيضا مؤلف من ثلاثة أجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام الياقوت وعظام العانة وعظام العجز وعظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين ، فلان طول بذكر عدد ذلك وجموع عدد العظام في بدن الانسان ما تناه عظم ثمانية وأربعون عظما سوى العظام الصغيرة التي حشى بها خلل للمفاصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نقطة سخيفة حقيقة ، وليس المقصود من ذكر أعداد العظام أن يعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الأطباء وللشرح وإنما الغرض أن ينظر منها في مدبرها وخالقها أنه كيف تدبرها ودبرها وخالف بين أشكالها وأقدارها خصصها بهذا العدد المخصوص لأنه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان يحتاج إلى قلمه ولو نقص منها واحدا لكان نقصانا يحتاج إلى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جرهم وأهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصورها فشتان بين النظرين ، ثم انظر كيف خلق الله تعالى آلات لتحريك العظام وهي العضلات خلق في بدن الانسان خمسمائة عضلة وتسعا وعشرين عضلة ، والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط وأغشية ، وهي عتانة القادير والأشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها فأربع وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدة العين وأجفائها لو قصت واحدة من جعلها اختل أمر العين وهكذا لكل عضو عضلات بدد مخصوص وقدر مخصوص وأمر الأعصاب والعروق والأوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانتهائاتها أحجب من هذا كله وشرحه يطول ، فلفكر مجال في آحاد هذه الأجزاء ثم في آحاد هذه الأعضاء ثم في جملة البدن فكل ذلك نظر إلى عجائب أجسام البدن وعجائب الماني والصفات التي لا تدرى بالحواس أعظم ، فانظر الآن إلى ظاهر الانسان وباطنه وإلى بدنه وصفاته قترى بمن العجائب والمنعم ما يقضى به العجب وكل ذلك صنع الله في قطرة ماء مقدرة قترى من هذا صنع في قطرة ماء فما صنع في ملكوت السموات وكواكبها وما حكته في أوضاعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظن أن ذرة من ملكوت السموات تفك عن حكمة وحكم بل هي أحكم خلقا وأقن صنعا وأجمع للعجائب من بدن الإنسان بل لانتسبة لجميع مافي الأرض إلى عجائب السموات ولذلك قال تعالى - أأتى أميد خلقكم السماء بناها رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليها وأخرج ضحاها - فارجع الآن إلى النطفة وتأمل حالها أولا وما صارت إليه فانيب تأمل أنه لو اجتمع الجن والانس على أن يخلقوا النطفة سمما وبصر أو عقلا أو قدرة أو علما أو روحا أو خلقا فبها عظماء أو عرقا أو عصباء أو جلد أو شعر أو هل يتدرون على ذلك بل لو أرادوا أن يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بمد أن خلق الله تعالى ذلك لعجز واعنه فالمعجب منك لو نظرت إلى صورة

يشوثر نصيب الروح
بالقلم رسم البودية
من النفس . وقال
الحنيذ إن الله تعالى
قسرب من قلوب
عباده على حسب
ما يرى من قرب قلوب
عباده منه فانظر ماذا
يقرب من قلبك .
وقال أبو يعقوب
السوسي مادام العبد
يكون بالقرب لم يكن
قريبا حتى يقبض عن
رؤية القرب بالقرب
فاذا ذهب عن رؤية
القرب بالقرب نذلك
قرب وقد قال قائلهم:
قد تحققتك في الله

و فاجاك لسان
فاجتمعنا لسان
واقرنا لسان

إنسان مصور على حائط تأتى النقاش في صورتها حتى قرب ذلك من صورة الإنسان وقال الناظر إليها كأنه إنسان عظم تعجبك من منعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمازج فطنته وعظم في قلبك محله مع أنك تعلم أن تلك الصورة إنما تمت بالصبغ والقلم واليد والحائط وبالقدرة والعلم والارادة وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وإنما انتهى فله الجمع بين الصبغ والحائط على ترتيب مخصوص فيكثر تعجبك منه وتستعظمه وأنت ترى النطفة القدرة كانت معدومة خلقها خالقها في الأصلاب والترائب ثم أخرجها منها وشكلها فأحسن شكلها وأودعها فأحسن تقديرها وتصويرها وقسم أجزائها للتشابه إلى أجزاء مختلفة فأحكم العظام في أركانها وحسن أشكال أعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها وأعصابها وجعلها تجري لتدائها ليكون ذلك صائب بقائها وجعلها مهيمة بصيرة عالمة ناطقة وخلق لها الظهر أساسا لبدنها والبطن حاويا لآلات غذائها والرأس جامعا لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها وأحسن شكلها ولونها وهياكلها ثم حمها بالأجفان لتسترها وتحفظها وتصفىها وتدفع الأتداء عنها ثم أظهر في مقدار عذسة منها صورة السموات مع اتساع أكفافها وتباعد أطرافها فهو ينظر إليها ثم شق أذنيه وأودعها ماء مرا ليحفظ معها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدقة الأذن لتجمع الصوت قترده إلى صياحها ولتحنن بدبيب الهوام إليها وجعل فيها محركات وأعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فيثبته من النوم صاحبها إذا قصدها دابة في حال النوم ثم رفع الأنف من وسط الوجه وأحسن شكله وفتح منخريه وأودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطامحه وأغذيته وليستنشق بمنفذ للنخريين روح الهواء غذاء لقلبه وتروها حرارة باطنه وقبح النعم وأودعها لسان ناطقا وترجمانا ومعبا بها في القلب وزين القم بالأسنان لتكون آلة الطحن والكسر والقطع فأحكم أصولها وحدد ردوسها ويض لونها ورتب صفوفها متساوية الرؤوس متناسقة الترتيب كأنها الدر للنظوم وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتتطبق على القم فتسد منفذه ولين بها حروف الكلام وخلق الحنجرة وهياكلها لخروج الصوت وخلق لسان قدرة للحركات والنقطيات لقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليقسح بها طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحنجرة مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والخشونة واللينة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والصرع اختلقت بسببها الأصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقا حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الرأس بالشعر والأصدغ وزين الوجه بالجلود والحاجبين وزين الحاجب برقة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين بالأهداب ثم خلق الأعضاء الباطنة وسخر كل واحد لعمل مخصوص فسخر المعدة لتضج الغذاء والكبد لإحالة الغذاء إلى الدم والطحال والمرارة والكلى لخدمة الكبد فالطحال يخدمها يجذب السوداء عنها والوردة تخدمها يجذب الصفراء عنها والكلى تخدمها يجذب للثاية عنها والثانة تخدم الكلى بقبول الماء عنها ثم تخرجه في طريق الإحليل والعروق تخدم الكبد في إيصال الدم إلى سائر أطراف البدن ثم خلق اليدين وطولهما لتمد إلى المقاصد وعرض الكف وقسم الأصابع الخمس وقسم كل أصبع بثلاث أنامل ووضع الأربعة في جانب والإبهام في جانب لتدور الإبهام على الجميع ولو اجتمع الأولون والآخرون على أن يستبطنوا بدقيق الفكر وجها آخر في وضع الأصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الإبهام عن الأربع وتفاوت الأربع في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه إذ بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض والإعطاء فإن بسطها كانت له طبقا يضع عليها ما يريد وإن جمعها كانت له آلة للضرب وإن ضمها

إن يكن غيبك التعظيم عن لحظ عيان فقد صيرك الوجع يد من الأشياء داني قال ذو النون ما زادنا أحد من الله قربة إلا ازداد هيبته . وقال سهل أدنى مقام من مقامات القرب الحياء وقال النصراني إذا تبع السنة تال للمسرفة وأداء القرائن تال القربة والمواظبة على التواضع الحياء والحياء على الوصف العام والوصف الخاص فأما الوصف العام فما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله «استحيوا من الله حق الحياء قالوا

ضبا غير تام كانت معرفة له وإن بسطها وضم أصابعها كانت معرفة له ثم خلق الأنفطار على رموسها
زينة للأنامل وعماد لها من ورائها حتى لا تنقطع وليتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تتناولها
الأنامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو أخس الأعضاء لو عدمه الإنسان وظهر به
حكة لكان أعجز الخلق وأضعفهم ولم يعم أحد مقامه في حكة بدنه ثم هدى اليد إلى موضع الحكة حتى
تتد إليه ولو في النوم والتفلة من غير حاجة إلى طلب ولو استعان بغيره لم يضر على موضع الحكة
إلا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله من النطفة وهي في داخل الرحم في ظلمات ثلاث ولو كشف
الغطاء والغشاء وامتد البصر إليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئا فشيئا ولا يرى
للصور ولا آتاه فهل رأيت مصورا أو فاعلا لا يمس آتاه ومصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه
فسيحانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه ، ثم انظر مع كل قدرته إلى تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم عن
الصبي لما كبر كيف هداه السبل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك الضيق وطلب للتذ كانه
ما قل بصير عما يحتاج إليه ثم لما خرج واحتاج إلى الغذاء كيف هداه إلى النعام الذي ثم لما كان
بدنه سخيلا لا يحتمل الأغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين
الثديين وألفه سائما خالسا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وأنت منها حلتين على قدر
ما ينطبق عليهما ثم الصبي ثم فضع في حمة الثدي ثوبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن منه إلا ببدل للسن
تدرجيا فان الطفل لا يطبق منه إلا القليل ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك اللب الضيق
اللبن الكثير عند شدة الجوع ثم انظر إلى عطفه ورحمته ورأفته كيف أخر خالق الأسنان إلى تمام
الحولين لأنه في الحولين لا يتنذى إلا باللبن فيستغنى عن السن وإذا كبر لم يواقه اللبن السخيف
ويحتاج إلى طعام غليظ ويحتاج الطعام إلى الضغ والطحن فأنت له الأسنان عند الحاجة لا قبلها
ولا بعدها فسيحانه كيف أخرج تلك العظام الصلبة في تلك اللثة اللينة ثم حنن قلوب الوالدين
عليه لقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما
لكان الطفل أعجز الخلق عن تدبير نفسه ، ثم انظر كيف رزقه القدرة والتجيز والعقل والمسدية
تدرجيا حتى بلغ وتكامل فصار مرافقا ثم شابا ثم كلالا ثم شيخا إما كفورا أو شكورا أمطما أو أصابيا
مؤمنا أو كافرا تصديقا لقوله تعالى - هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا
خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبثله فجعلناه ميما بصيرا إنا هدناه السبل إما شاكرا وإما
كفورا - فانظر إلى اللطف والكرم ثم إلى القدرة والحكمة تبرهن بحجائب الحضرة الربانية والعجب
كل العجب بمن يرى خطأ حسنا أو نقشا حسنا على حائط فيستحسنه فيصرف جميع همه إلى التفكير
في النقاش والخطاط وأنه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه في نفسه ويقول
ما أحذقه وما أكل صنعه وأحسن قدرته ثم ينظر إلى هذه الصناعات في نفسه وفي غيره ثم يفعل عن
صانه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته فيده نبذة من عجائب بدئك التي لا يمكن
استقصاؤها فهو أقرب مجال لتذكر وأجلى شاهد على عظمة خالقك وأنت غافل عن ذلك مشغول
بطنك وفرجك لا تفر من هسك إلا أن يجموع فتأكل وتشبع فتنام وتشتبه فتجتمع وتضرب
فتقاتل والهائم كلها تشاركك في معرفة ذلك وإنما خاصة الإنسان التي حجبته الهائم عنها معرفة
الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والأرض وعجائب الآفاق والأنفس إذ بها يدخل البعد في
زمرة الملائكة للقرين وعشر في زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين وليست
هذه الزمرة للهائم ولا لإنسان رضى من الدنيا بشهوات الهائم فانه شر من الهائم بكثير إذ لا قدرة

إننا نستحي بارسول الله
قال ليس ذلك ولكن
من استحيى من الله
حق الحياء فليحفظ
الرأس وما وعى والبطن
وما حوى وليذكر اللوت
والبلي ومن أراد آخره
ترك زينة الدنيا فمن
فعل ذلك قد استحيى
من الله حق الحياء
وهذا الحياء من
للصامات وأما الحياء
لخاص فمن الأحوال
وهو ما قل عن عثمان
رضي الله عنه أنه قال إني
لأغتسل في البيت للظلم
فأنظروى حياء من
الله . أخبرنا أبو زرعة
عن ابن خفاف عن
أبي عبد الرحمن قال
صعدت أبا العباس
البخسداى يقول
صعدت أحمد السقطي

للبيضة على ذلك وأما هو فقد خلق الله له القوة ثم عظمها وكفر نعمة الله فيها فأولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا . وإذا عرفت طريق الفكر في تفكير في الأرض التي هي مقركم ثم في أنهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها إلى ملكوت السموات . أما الأرض : فمن آياته أن خلق الأرض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاء وجعلها ذلولا لتمشوا في مناكبها وجعلها قارة لاتتحرك وأرسي فيها الجبال أوتادا لها تمنعها من أن تحمد ثم وسع أكنافها حتى يحزن الآدميون عن بولغ جميع جوانبها وإن طالت أعمارهم وكثر تطوافهم فقال تعالى - والياء بينناها بأيدي وإنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم للهادون - وقال تعالى هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها - وقال تعالى - الذي جعل لكم الأرض فراشا - وقد أكثر في كتابه العزيز من ذكر الأرض ليفكر في عجائبها فظهرها مقر للأحياء وبطنها مرقد للأموات قال الله تعالى - ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا - فالنظر إلى الأرض وهي مئة فاذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وأنبثت عجائب النبات وخرجت منها أصناف الحيوانات ثم انظر كيف أحكم جوانب الأرض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف أودع المياه تحتها فقصر البيون وأسأل الأنهار تجري على وجهها وأخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكندر ماء رقيقا عذبا يسافيا زلالا وجعل به كل شيء حتى فأخرج به فروع الأشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والصفات والأرياس بفضل بعضها على بعض في الأكل تسقى بماء واحد وتخرج من أرض واحدة . فان قلت إن اختلافها باختلاف بذورها . ر . سولها فمضى كان في النواة نحلة مطوقة بتعاقد الطرب ومتى كان في حبة واحدة تسقى سنا بل في كل سنبلة مائة حبة ثم انظر إلى أرض البوادي وقش ظاهرها وباطنها قراهرات رابما متشابهة فاذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبثت من كل زوج بهيج ألوانا مختلفة ونباتا متشابهة وغير متشابهة لكل واحد طعم وريح ولون وشكل بخالف الآخر فانظر إلى كثرتها واختلاف أصنافها وكثرة أشكالها ثم اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعه وكيف أودع الله تعالى العقابر النافع القريبة هذه النبات بغير هذا يقوى وهذا يحيى وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا إذا حصل في المعدن تقع الصفراء من أعماق المروق وهذا يستحيل إلى الصفراء وهذا يجمع البلغم والسوداء وهذا يستحيل إليهما وهذا يسقى السم وهذا يستحيل دما وهذا يفرح وهذا ينوم وهذا يقوى وهذا يضعف فأنفبت من الأرض ورقة ولا تبتة إلا وفيها منافع لا يتقوى البشر على الوقوف على كلها وكل واحد من هذا النبات يحتاج الفلاح في تربته إلى عمل مخصوص فالنخل تؤثر والسكرم يكسح والزرع ينقى عنه الحشيش والذلل وبس ذلك يستنبث بيت البدر في الأرض وبضه يفرس الأغصان وجسه يركب في الشجر ولو أردنا أن نذكر اختلاف أجناس النبات وأنواعه ومنافعه وأحواله وعجائبه لا تقصت الأيام في وصف ذلك فيمكنك من كل جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق الفكر فهذه عجائب النبات [ومن آياته الجواهر للودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الأرض] ففي الأرض قطع متجاورات مختلفة فانظر إلى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفروزم والذلل وغيرها بعضها منطبعة تحت الطارق كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا ينطبع كالقير وزج والذلل وكيف هدى الله الناس إلى استخراجها وتنقيتها وأخذ الأواني والآلات والنقود والحلى منها ثم انظر إلى معادن الأرض من النفط والكبريت والقار وغيرها وأقلها للتح والاحتياج إلى الإلانتطيب الطعام ولو خلقت عنه بئمة لتسارع الهلاك إليها فانظر إلى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الأراضي سبخة بجورها بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من اللط فيستحيل ملحها ملحاً محرراً لا يمكن تناوله مثقال منه

ابن صالح يقول سمعت
محمد بن عبدون يقول
سمعت أبا العباس
الثؤبد يقول قال لي
سرى : احفظ عني
ما أقول لك إن الحياء
والأنس بطوفان
لقب فاذا وجد فيه
الزهد والبورع حطا
والإرحلا والحياء
إطراق الروح إجلالا
لعظم الجلال والأنس
التسداد الروح بكال
الجمال فاذا اجتمعا
فهو الغاية في النى والنهاية
في العطاء وأنشد
شيخ الإسلام :
أشتاقه فاذا بدا
أطرقت من إجلاله
لاخيفة بل هية
وصيانة لجماله
لوث في إداره
والعيش في إقباله

ليكون ذلك تطييباً لطعامك إذا أكلته فيتها عيشك ومامن حجاج ولا حيوان ولا نبات إلا وفي حكمة
وحكم من هذا الجنس ما خلق شيء منها عبثاً ولا لعباً ولا هزل بل خلق السلك بالحق كايمنى وعلى الوجه
الذي ينبنى وكايلىق بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال تعالى - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما
إلا عين ما خلقناهما إلا بالحق . ومن آياته أصناف الحيوانات: واتسماءها إلى ما يطير وإلى ما يعيش واتسماء
ما يعيش إلى ما يعيش على رجلين وإلى ما يعيش على أربع وعلى عشرة على مائة كايشاهد في بعض الحشرات
ثم اتسماءها في النافع والصور والأشكال والأخلاق والطباع فانظر إلى طيور الجوارح وإلى وحوش البر
والبهائم الأهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك معه في عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها
وكيف يمكن أن يستقصى ذلك بل لو أردنا أن نذكر عجائب القفا والقلل والنحلة أو العنكبوت وهي من
صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي إلهائها زوجها وفي ادخارها لنفسها وفي حذقها في
هندسة بيتها وفي هدايتها إلى حاجاتها لم نهدر على ذلك قولى العنكبوت بين بيتها على طرف نهر فطلب
أولاً موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه أن يصل بالخط بين طرفيه ثم
يتدنى - وبقى اللامع الذي هو خطه على جانب لتصق به ثم ينفذ إلى الجانب الآخر فيحزم الطرف الآخر
من الخيط ثم كذلك يتردد ثانياً وثالثاً ويجعل بعد ما بينهما متساوياً تماماً هندسياً حتى إذا حكم معاقد
القمط وربت الخيوط كالسدى اشتغل باللمعة يضع الللمعة على السدى ويضيف به به إلى بعض
ومحكم القعد على موضع التقاء الللمعة بالسدى ويراعى في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك
شبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد في زاوية مترصداً لوقوع الصيد في الشبكة فإذا وقع الصيد بادى إلى
أخذه وأكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخط ثم
علق نفسه فيها بخط آخر وبقى منكسراً في الهواء ينتظر ذبابة تطير فإذا طارت رمى بنفسه إليها فخذها ولف
خطه على رجله وأحكمه ثم أكله ومامن حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من العجائب ما لا يحصى أفترى
أنه تعلم هذه الصنعة من قومه أو تكون بنفسه أو كونه آدمى أو علمه أو لا هادى له ولا معلم أو يشك ذو
بصرة في أنه ممكن ضعيف عاجز بل القليل العظيم شخسه الظاهرة قوته عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا
الحيوان الضعيف أقل يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعه لفاطره الحكيم
وخالقه القادر العليم فالصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق لا درج جلاله وكال قدرته
وحكمته ماتجبر فيه الأبواب والعقول فضلاً عن سائر الحيوانات وهذا الباب أيضاً لا حصر له فان
الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وإنما سقط تعجب القلوب منها لأنها أنسى أكثر
الشاهدة ، نعم إذا رأى حيواناً غريباً ولودوداً تجد تعجبه وقال سبحانه الله ما أعجبنا الإنسان أعجب
الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر إلى الأنعام إلى ألها ونظر إلى أشكالها وصورها ثم إلى منافعها
وفوائدها من جلوتها وأموافها وأوبارها وأشعارها التي جعلها الله لباساً لخلقها وكان لهم في ظلمتهم
وإفانهم وآية لأشربهم وأوعية لأغذيتهم وصواناً لأقدامهم وجعل ألبانها ولحومها أغذية لهم ثم جعل
بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للأثقال قاطعة للبوادى والقمارات العبيدة لأكثر الناظر التعجب
من حكمة خالقه ومصورها فانه ما خلقها إلا لاجل محيط بجميع منافعها سابق على خلقه إياها سبحانه
من الأمور مكشوفة في علمه من غير تفكير ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير أو مشير فهو
العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج بأقل القليل بما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين
بتوحيده فيما للخلق إلا الاذنان لغيره وقدرته والاعتراف برؤيته والقرار بالعجز عن معرفة جلاله
وعظمته فمن ذا الذي يحصى ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وإيماناً بما يعترفنا بالاعتراف بالعجز عن

وأصد عنه إذا بدا
وأروم طيف خياله
قال بعض الحكماء
من تكلم في الحياء
ولا يستحي من الله فيا
يتكلم به فهو مستدرج
وقال ذوالنون: الحياء
وجود الهيبة في القلب
مع حشمة ما سبق منك
إلى ربك . وقال ابن
عطاء . العلم الأكبر
الهيبة والحياء فإذا
ذهب عنه الهيبة
والحياء فلا خير فيه .
وقال أبو سليمان : إن
العباد عملوا على أربع
درجات على الخوف
والرجاء والتعظيم
والحياء وأشرفهم منزلة
من عمل على الحياء
لما أثبت أن الله تعالى
يراه على كل حال

معرفة فسأل الله تعالى أن يكرمنا بهديته منه ورأفته . ومن آياته البحار العميقة للسكنة لأقطار الأرض التي هي قطع من البحر الأعظم المحيط بجميع الأرض حتى إن جميع للكشوف من البوادي والجبال من الماء بالإضافة إلى الماء بجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبية الأرض مستوية بالماء قال النبي صلى الله عليه وسلم « الأرض في البحر كالإصطبل في الأرض »^(١) وانسب اصطبل إلى جميع الأرض . وأعلم أن الأرض بالإضافة إلى البحر مثله وقد شاهدت عجائب الأرض وما فيها تأمل الآن عجائب البحر فان عجائب ما فيه من الحيوان والجواهر أضفاف عجائب ما تشاهده على وجه الأرض كما أن سعة أضفاف سعة الأرض ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما ترى ظهورها في البحر فتظن أنها جزيرة فيزل الركاب عليها فرحاً بحس البتران إذا اشتملت فتتحرك ويعلم أنها حيوان وما من صنف من أصناف حيوان البر من فرس أو طير أو بشر أو إنسان إلا وفي البحار مثله وأضفافه وفيه أجناس لا يعدلها نظير في البر وقد ذكرت أو صافها في مجلدات وجميعها أقوام عنوا بركوب البحر وجميع عجائبه ثم انظر كيف خلق الله الأولو ودوره في صدفه تحت الماء وانظر كيف أنبت الرجان من صم الصخور تحت الماء وإنما هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر ثم تأمل ما عاده من العنبر وأصناف النفاس التي يقدنها البحر وتستخرج منه ثم انظر إلى عجائب السفن كيف أمسكها الله تعالى على وجه الماء وسيرها والتجار وطلاب الأموال وغيرهم وسخر لهم الفلك لتعمل أمتهم ثم أرسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف اللادين موارد الرياح ومواقبها ولا يستصفي على الجملة عجائب صنع الله في البحر في مجلدات وأعجب من ذلك كله ما هو أظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشفى متصل الأجزاء كأنه شيء واحد لطيف التركيب سريع القبول للتطبيع كأنه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والانصال به حياة كل ما على وجه الأرض من حيوان ونبات فلو احتاج البعد إلى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع خزان الأرض وملك الدنيا في تحصيلها لو ملك ذلك ثم لو شربها ومنع من إخراجها لبذل جميع خزان الأرض وملك الدنيا في إخراجها فالعجب من الآدمي كيف يستعظم الدنيا والدرهم ونفائس الجواهر وينفل عن نعمة الله في شربة ماء إذا احتج إلى شربها أو الاستغفار عنها بذل جميع الدنيا فيها فتأمل في عجائب المياه والأنهار والآبار والبحار فقامتسح للفسح وجمال ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفسحة عن جلال بارئها معربة عن كمال حكمته فيها مناداة أرباب النلوب بنعماتها قائلة لكل ذي لب أماراني وترى صورتي وركبي وصفاتي ومنافعي واختلاف حالتي وكثرة فوائدني أنظن أنني كونت نفسي أو خلقتي أحد من جنس أو ما تستحي أن تنظر في كلمة مر قومة من ثلاثة أحرف فتقطع بأنها من صنعة آدمي عالم قادر مريد متسكك ثم تنظر إلى عجائب الخطوط الإلهية للرقومة على صفحات وجهي بالقلم الإلهي الذي لا ندرلك الأبصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله يجعل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه ويقول النطفة لأرباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع معزولون توهم في ظلمة الأحشاء مغموسة في دم الحصى في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش حديق وأجفاني وجيقي وخدي وشفتي فترى القوس يظهر شيئاً فشيئاً على التدرج ولا ترى داخل النطفة تعالفاً ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجة ولا خير منها للألم ولا للأب ولا للنطفة ولا للرحم أفأهذا النقاش بأعجب مما تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت إليها مرة أو مرتين لتعلمته قبل تهدر على أن تعلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير

(١) حديث الأرض في البحر كالإصطبل في الأرض تقدم ولم أجده .

استحيا من حسنة
أكثر مما استحيا
العاصون من سيئاتهم .
وقال بعضهم : القلب
على قلوب المستحيين
الاجلال والتعظيم دائماً
عند نظر الله إليهم .
ومنها الاتصال . قال
النوري : الاتصال
مكاشفات القلوب
وشاهدات الأسرار .
وقال بعضهم الاتصال
وصول السر إلى مقام
الدول وقال بعضهم
الاتصال أن لا يشهد
العبد غير خالقه
ولا يتصل بغيره خاطر
لتسريح صانعه . وقال .
سبل بن عبد الله
حركوا بالء فتحركوا
ولو سكنوا اتصالوا .
وقال يحيى بن معاذ

اتصال بها لامن داخل ولا من خارج فان كنت لاتعجب من هذه العجائب ولا تفهم بها أن الذي صور
ونش وقد لانظيره ولا يساويه نقاش ولا مصور كما أن نقشه وصنعه لا يساويه نقش وصنع فبين
الفاعلين من البائية والتباعد ما بين الفاعلين فان كنت لاتعجب من هذا فتعجب من عدم إعجابك فانه
أعجب من كل عجب فان الذي أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنك من التبيين مع هذا البيان
جدير بأن تعجب منه فسيحان من هدى وأضل وأغوى وأرشد وأشقى وأسعد وفتح بصائر أحبابه
فشاهدوه في جميع ذرات العالم وأجزاله وأعمى قلوب أعدائه واحتجب عنهم بزمه وعلائقه الخلق
والأمر والامتنان والفضل والالطف والتهر لاراد لحكمه والماقبت لقضائه [ومن آياته الهواء اللطيف
المحبوس بين مقر السماء ومعدب الأرض] لا يدرك بحس المس عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى
بالعين غرضه وجملة مثل البحر الواحد والطيور حلقه في جو السماء ومستبقة سباحة فيه بأجنحتها
كما تسبح حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب أمواج
البحر فإذا حرك الله الهواء وجعله ريحاً ما به فان شاء جعله نيراناً يدي رحمة كما قال سبحانه - وأرسلنا
الرياح لواقع - فيصل يحر كنه روح الهواء إلى الحيوانات والنباتات فتستمد للثبات وإن شاء جعله عذاباً
على العصاة من خلقته كما قال تعالى - إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر ترتعز الناس
كأنهم أعجاز نخل منقعر - ثم انظر إلى لطف الهواء ثم شدته وقوته مهما منقط في الماء فالزق للنفوخ
بتعامل عليه الرجل القوي ليضمه في الماء فيجوز عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فير سب فيه
فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوة مع لطافته وبهذه الحكمة أمسك الله تعالى السفن على وجه
الماء وكذلك كل مجوف فيه هواء لا ينفوس في الماء لأن الهواء ينقبض عن القوس في الماء فلا ينفصل
عن السطح الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة في الهواء اللطيف
كالذي يقع في بحر فيتملق بذيل رجل قوى يتمتع عن الهوى في البرزخ السفينة بتقهرها تتشبت بأذيال
الهواء القوي حتى يتمتع من الهوى والقوس في الماء فسيحان من علق الركب الثقيل في الهواء اللطيف
من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد ثم انظر إلى عجائب الجواميظ فريه من القوم والرعود والبروق
والأمطار والثلوج والشهب والصواعق فهي عجائب ما بين السماء والأرض وقد أشار القرآن إلى جملة
ذلك في قوله تعالى - وما خاتنا السموات والأرض وما بينهما لآعين - وهذا هو الذي يبينها وأشار إلى
تفصيله في مواضع شتى حيث قال تعالى - والسحاب السخري بين السماء والأرض - وحيث تعرض للبرق
والبرق والسحاب والظلمة فإذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة إلا أن ترى للطر بينك وتسمع الرعد بأذنك
فالبيئة تشاركك في هذه المعرفة فارفع من حضيض عالم البهائم إلى عالم اللاأعلى فقد تحت عينك
وأدركت ظاهرها فقمض عينك الظاهرة وانظر بصيرتك الباطنة ترى عجائب باطنها وغرائب
أسرارها وهذا أيضاً باب يطول التفكر فيه إذ لا مطلق في استقصائه فتأمل السحاب الكثيف للظلم كيف
تراه يجمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلفه الله تعالى إذا شاء متى شاء وهو مع رعايته حامل
للماء الثقيل ويمسك له في جو السماء إلا أن أذن الله في إرسال الماء وتطبيع القطرات كل قطرة بالقدر
الذي أراد الله تعالى وعلى الشكل الذي شاءه ترى السحاب يرش للماء على الأرض ورسله قطرات
متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة بأخرى بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم
لها لاتعدل عنه فلا يتقدم التآخر ولا يتأخر التقدم حتى يسيل الأرض قطرة قطرة فلو اجتمع الأولون
والآخرون على أن يخلعوا منها قطرة أو يعرفوا عدد ما ينزل منها في بلدة واحدة أو قرية واحدة
لمجز حساب الجن والانس عن ذلك فلا يعلم عددها إلا الذي أو جدها ثم كل قطرة منها عينت

الرازي :العمال أربعة
تاب وزاهد ومشتاق
وواصل فالتائب
عجوب بتوبته
والزاهد محجوب بزهد
والمشتاق عجوب
بجاه والواصل لا يعجبه
عن الحق شيء . وقال
أبو سعيد القرشي :
الواصل الذي يصله الله
فلا يخشى عليه القطع
أبداً ولتصل الذي
بعده يصل وكلا دنا
القطع وكأن هذا
الذي ذمك حله حال
الريد والمراد لكون
أحدهما مباداً
بالكشوف وكون
الآخر مردوداً إلى
الاجتهاد . وقال
أبو يزيد : الواصلون
في ثلاثة أحرف همهم

لكل جزء من الأرض ولكل حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات والوداب مكتوب على تلك القطرة بخط إلهي لا يدرك بالبصر الظاهر أنها رزق الدودة الفلانية التي في ناحية الجبل الفلاني تصل إليها عند عطشها في الوقت الفلاني هذا مع ما في انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تأثر التلوج كالماء عند المنذوف من العجائب التي لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لأحد من الخلق فيه شرك ولا مدخل بل ليس للمؤمنين من خلقه إلا الاستكفاف والخضوع تحت جلاله وعظمته ولا لاعميان الجاحدين إلا الجهل بكيفيته ورجم القنوتون بذكر سيئه وعلمته فيقول الجاهل للفرور إنما ينزل الماء لأنه ثقيل بطبعه وإنما هذا سبب نزوله وظن أن هذه معرفة انكشفت له وبصرها ولولا قيل له مامعنى الطبع وما الذي خلقه ومن الذي خلق الماء الذي طبعه الثقل وما الذي رقى الماء للصوب في أسافل الشجر إلى أعالي الأغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف هو إلى أسفل ثم ارتفع إلى فوق في داخل تجاويف الأشجار شيئاً فشيئاً بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع أطراف الأوراق فيغذي كل جزء من كل ورقة ويجري إليها في تجاويف عروق شجرة صفار يروى منه العرق الذي هو أصل الورقة ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير العدودي في طول الورقة عروق صفار فكان الكبير نهروما الشيعب عنه جداول ثم ينشعب من الجداول سوق أصغر منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن إدراك البصر حتى تتبسط في جميع عرض الورقة فيصل للماء في أجوافها إلى سائر أجزاء الورقة ليغذيها وينميها ويزينها ويبقى طراوتها ونضارتها وكذلك إلى سائر أجزاء القواكف كان كان للماء يتحرك بطبعه إلى أسفل فكيف تحرك إلى فوق فان كان ذلك مجذب جاذب لما الذي سخر ذلك الجاذب وإن كان ينتهي بالآخرة إلى خالق السموات والأرض وجبار الملك والملكوت فلم لا يصل عليه من أول الأمر فنهاية الجاهل بداية العاقل [ومن آياته ملكوت السموات والأرض وما فيها من الكواكب] وهو الأمر كله ومن أدرك السكك وفاته عجايب السموات قد فاته السكك تحقفاً فالأرض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالإضافة إلى السموات قطرة في بحر وأصغر من أنظر كيف عظم الله أمر السموات والنجوم في كتابه فإمن سورة لإلا تشتمل على تفصيلها في مواضع وكمن قسم في القرآن بها كقوله تعالى - والسماء ذات البروج والسماء الطارق والسماء ذات الحيك والسماء وما بناها - وكقوله تعالى - والشمس وضحاها والقمر إذا اتلاها - وكقوله تعالى - فلا أقسم بالجنس الجوار الكائن - وقوله تعالى - والنجم إذا هوى ، فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسمتهم لو تعلمون عظيم - فقد علمت أن عجايب النطفة القدرة عجز عن معرفتها الأولون والآخرين وما أقسم الله بها لما ظنك بما أقسم الله تعالى به وأحال الرزاق عليه وأضاف إليه فقال تعالى - وفي السماء رزقكم وما أنعمت عليكم - وأثنى على المتفكرين فيه فقال - ويتفكرون في خلق السموات والأرض - ولا الرسول إلا الله صلى الله عليه وسلم [وإن لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبيلته] أي تجاوزها من غير فكر ومذموم للرضين عنها قال - وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون - فأى نسبة لجميع البحار والأرض إلى السماء وهي متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغير إلى أن يباغ الكتاب أجله والله سبحانه الله تعالى محفوظا فقال - وجعلنا السماء سقفا محفوظا - وقال سبحانه - وبينا فوقكم سبعا شدادا - وقال - أنتم أشد خلقا أم السماء بناها فما فيها من كواكب فأنظر إلى الملكوت لثرى عجايب العز والجبروت ولا تظن أن معنى النظر إلى الملكوت بأن تمد البصر إليه فتزى زرة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فان البهايم

(١) حديث وإن لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبيلته أى قوله تعالى - ويتفكرون في خلق السموات والأرض - فهم .

الله وشغلهم في الله ورجوعهم إلى الله . وقال السيارى الوصول مقام جليل وذلك أن الله تعالى إذا أحب عبداً أن يوصله اختصر عليه الطريق وقرب إليه البعد . وقال الجنيد الواصل هو الحاصل عند ربه وقال روم أهمل الوصول أوصل الله إليهم فلو بهم فهم محفوظو القوي بمنوعون من الخلق أبدا . وقال ذوالنون ما رجع من رجع إلا من الطريق وما وصل إليه أحد فرجع عنه . وأعلم أن الاتصال والواصل أشار إليه الشيوخ وكل من

تدرك في هذا النظر فإن كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى إبراهيم بقوله - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يبرهن الملك والشهادة وما غاب عن الأبصار فيبر عنه النيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجار الملك والملكوت ولا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء وهو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فأجل أيها العاقل فسكرك في الملكوت فمضى ففتح لك أبواب السماء فتجول بقلبك في قطارها إلى أن يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن فتدرك رجاير جيالك أن تبلغ رتبة صرحبرن الخطاب رضى الله عنه حيث قال : رأى قلبى ربى - وهذا لأن بلوغ الأسمى لا يكون إلا بعد مجاوزة الأدنى وأدنى شيء إليك نفسك ثم الأرض التي هي مقرك ثم الهواء المكتشف لك ثم النبات والحيوان وما على وجه الأرض ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والأرض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسي ثم العرش ثم الملك الذين هم حملة العرش ووزان السموات ثم منه تجاوز إلى النظر إلى رب العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما وبين هذه المقادير العظيمة والسموات الشاسعة والغياب الشاهقة وأنت بعد ما تفرغ من العقبة القريبة النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعى معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه ففما ذا أنسرك وإلى ماذا تطامع فأرفع الآن رأسك إلى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دوراتها وطلوعها وغروبها وقسمها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودورها في الحركة على الدوام من غير توقف في حركتها ومن غير توقف في سيرها بل تجري مجرى في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطويها الله تعالى طي السجل للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فبعضها يميل إلى الحمرة وبعضها إلى البياض وبعضها إلى اللون الرصاصي ثم انظر كيفية أشكالها فبعضها على صورة القرب وبعضها على صورة الحمل والثور والأسد والإنسان وما من صورة في الأرض إلا ولها مثال في السماء ثم انظر إلى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف الواقيت ولأطبق الظلام على الدوام أو الضياء على الدوام فكان لا يتميز وقت للماش عن وقت الاستراحة فلنظر كيف جعل الله تعالى الليل لباساً والنوم سباتاً والنهار معاشاً وانظر إلى إبلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وإدخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص وانظر إلى إمالاته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فإذا انخفضت الشمس من وسط السماء في مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء وإذا استوت في وسط السماء اشتد القيظ وإذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان وعجائب السموات لا مطلق في إحصاء عشر عشر جزء من أجزائها وإنما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على طريق الجملة أنه ما من كوكب من الكواكب إلا والله تعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي يجنبه وبعده وقس على ذلك ما ذكرناه من أعضاء بدنك إذ ما من جزء إلا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وأمر السماء أعظم بل لانسبة لعالم الأرض إلى عالم السماء لافي كبر جسم ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة اللذات بما بينهما من التفاوت في كبر الأرض فأنت تعرف من كبر الأرض واتساع أطرافها أنه لا يقدر آدمي على أن يدركها أو يدور بها أو أنها قد اتفق الناظرين على أن الشمس مثل الأرض مائة وثلاثين مرة وفي الأخبار ما يدل على عظمها (١) ثم الكواكب

وصل إلى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو من رتبة الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق الفضائل وهو رتبة في التجلي فينبغي فيه فضل غيره لو فوفيه مع فعل الله ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والأنس بما يكشف قلبه به من مطالعة الجمال والجلال وهذا تجلي طريق الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من ترقى لتمام الفناء مشتملاً على باطنه أنوار اليقين والشاهدة مفياً في

(١) الحديث الباقى على عظم الشمس أحمد من حديث عبد الله بن عمر رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشمس حين غربت. فقال « في نار الله الحامية لولا ما نزعها من أمر الله لأهلك

التي تراها أصفرها مثل الأرض ثمانى مرات وأكبرها ينتهى إلى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الأرض وبهذا تعرف ارتفاعها وببداها إذ البعد صارت ترى صفاراً ولذلك أشار الله تعالى إلى بداها فقال - رفع سمكها فسواها - وفي الأخبار أن ما بين كل سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام (١) فإذا كان مقدار كوكب واحد مثل الأرض أصغافاً فانظر إلى كثرة الكواكب ثم انظر إلى السماء التي الكواكب مركوزة فيها وإلى عظمها ثم انظر إلى سرعة حركتها وأنت لاتحس بحركتها فضلاً عن أن تدرك سرعتها لكن لاتشك أنها في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لأن الزمان من طواع أول جزء من كوكب إلى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الأرض مائة مرة وزيادة فمقدار الفلك في هذه اللحظة مثل الأرض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وأنت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم «هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لانهم فقال من حين قلت لا إلى أن قلت نعم سارت الشمس خمسمائة عام (٢) فانظر إلى عظم شخصها ثم إلى خفة حركتها ثم انظر إلى قدرة الفاطر الحكيم كيف أثبت صورتهما مع اتساع أكنافها في حدة العين مع صفرها حتى تجلس على الأرض وتفتح عينيك نحوها ترى حجمها بهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لاتنظر إليها بل انظر إلى بارئها كيف خلقها ثم أمسكها من غير عمد فرونها ومن غير علاقة من فوقها وكل عالم كبيت واحد والسماء سقفه والعجب منك أنك لاتدخل بيت غنى فتراه مزقاً بالصبغ مموها بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكروهم نصف حسنة طول عمره وأنت أبداً تنظر إلى هذا البيت العظيم وإلى أرضه وإلى سقفه وإلى عجايب أمتعه وغرائب حيواناته وبدائع قوته ثم لاتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك إليه فها هذا البيت دون ذلك البيت الذي تصفه بل ذلك البيت هو أيضاً جزء من الأرض التي هي أخس أجزاء هذا البيت ومع هذا لاتنظر إليه ليس له سبب إلا أنه بيت ربك هو الذي انقرد بيناه وترتيبه وأنت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت بطنك وفرجك ليس لك ثم إلا شهوتك أو حشمتك وغاية شهوتك أن تملأ بطنك ولا تفكر على أن تأكل عشر مائة كلة بهيمة فتكون البهيمة فوقك بشعر درجات وغاية حشمتك أن تقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فيناقون بالسلم بين يديك ويضمدون خبايا الاعتقادات عليك وإن صدقوك في مودتهم إياك فلا يملكون لك ولا لأنفسهم نقماً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً وقد يكون في بلدك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا الضرور وغلقت عن النظر في جمال ملكوت السموات والأرض ثم غفلت عن التمتع بالنظر إلى جلال مالك للملكوت ولللك وما مثلك ومثل عقلك إلا كمثل النملة تخرج من جحرها الذي حفرته في قصر مشيد من تصور لللك رفيع البنيان حصين الأركان مزين بالجواهر والغنان وأنواع اللذائخ

ما على الأرض ولقطراني في الكبير من حديث أبي أمامة وكل بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم لولا ذلك ما أنت على شيء إلا أحرقت (١) حديث بين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام الترمذي من رواية الحسن عن أبي هريرة وقال غريب قال يروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلى ابن زيد قالوا ولم يسمع الحسن من أبي هريرة ورواه أبو الشيخ في العظمة من رواية أبي نصر عن أبي ذر ورجاله قات إلا أنه لا جرف لأبي نصر سماع من أبي ذر (٢) حديث أنه قال لجبريل هل زالت الشمس فقال لانهم فقال كيف تقول لانهم فقال من حين قلت لا إلى أن قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام لم أجد له أصلاً.

شهوده عن وجوده
وهذا ضرب من
تعجب الذات لخواص
القرين وهذا للقام
ربة في الوصول وفوق
هذا حق اليقين
ويكون من ذلك في
الدنيا لخواص ما هو
سريان نور الشهادة
في كلية العبد حتى
يغطي به روحه وقلبه
ونفسه حتى قاله وهذا
من أعلى مراتب الوصول
قذا تحققت الحقائق يعلم
العبد مع هذه الأحوال
الشريفة أنه يبدى في
أول اللزول فآين الوصول
هيئات منازل طريق
الوصول لا تقطع أبداً
الآباد في عمر الآخرة
الأبدى فكيف في العمر
القصير الدنيوي ومنها

والنائص فانها اذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبها لم تتحدث لو قدرت على النطق إلا عن بينها
 وغذائها وكيفية ادخارها فانما حال القصر ولللك الذي في القصر فهمى بمنزل عنه وعن التفكير فيه
 بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذائها وبينها إلى غيره وكما غفلت الخلة عن القصر
 وعن أرضه وسقفه وحيطانه وسائر بنيانه وغفلت أيضا عن سكانه فأنت أيضا غافل عن بيت الله
 تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته فلا تعرف من السماء إلا ما تعرفه الخلة من ستف بيتك
 ولا تعرف من ملائكة السموات إلا ما تعرفه الخلة منك ومن سكان بيتك ، نعم ليس للخلة طريق إلى
 أن تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه وأما أنت فلك قدرة على أن تجول في
 للسكرت وتعرف من عجائب ما الخلق غافلون عنه ولتقبض عنان الكلام عن هذا الخط فانه مجال
 لا آخر له ولو استقصينا أعمارا طويلة لم ندر على شرح ما فضل الله تعالى علينا بعرفته وكل ما عرفناه
 قليل زرع حقيق بالإضافة إلى ما عرفه جملة العلماء والأولياء وما عرفوه قليل زرع حقيق بالإضافة إلى ما عرفه
 الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وجملة ما عرفوه قليل بالإضافة إلى ما عرفه محمد نبينا صلى الله عليه وسلم
 وما عرفه الأنبياء كلهم قليل بالإضافة إلى ما عرفه للملائكة للربوب كاسرافيل وجبريل وغيرهم
 جميع علوم للملائكة والجن والانس إذا أضيف إلى علم الله سبحانه وتعالى لم يستحق أن يسمى
 علما بل هو إلى أن يسمى ههنا وحيرة وقصورا وعجزا أقرب فسيحان من عرف عباده ما عرف
 ثم خاطب جميعهم فقال - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - فهذا بيان معاقبة الجمل التي تجول فيها فكر
 التفكير في خلق الله تعالى وليس فيها فكر في ذات الله تعالى ولكن يستفاد من التفكير في
 الخلق لعمالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكما استكثرت من معرفة عيوب صنع الله تعالى
 كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم ، وهذا كما أنك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطالع
 على غربة غريبة من تصنيفه أو شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسنه له توقيرا وتعظيما واحتراما
 حتى إن كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من أبيات شعره يزيد محلا من قلبك يستدعي التعظيم
 له في نفسك فكذلك تأمل في خلق الله تعالى وتصنيفه وتأليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه
 والنظر والفكر فيه لا ينتهي أبدا وإنما لكل عبد منهما بقدر ما رزق ، فلنقتصر على ما ذكرناه
 وننصف إلى هذا ما فصلناه في كتاب الشكر فاننا نظرنا في ذلك الكتاب في قول الله تعالى من حيث
 هو إحصان إلينا وإعظام علينا ، وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث إنه فعل الله قطوكل ما نظرنا
 فيه قال الطيبي ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلاله وشقاوته وللوقوف ينظر فيه فيكون سبب هدايته
 وسعادته وما من ذرة في السماء والأرض إلا والله سبحانه وتعالى يضل بها من يشاء ويهدي بها
 من يشاء ، فمن نظر في هذه الأمور من حيث إنها فعل الله تعالى وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال
 الله تعالى وعظمته واهتدى به ومن نظر فيها أقصرا للنظر عليها من حيث تأثير بعضها في بعض
 لامن حيث ارتباطها بسبب الأسباب قد شق وارتردى فعوذ بالله من الضلال ، وسألنا أن يجنبنا
 مزية أقدم الجبال بمنه وكرمه وفضله وجوده ورحمته .

(تم الكتاب التاسع من ربيع للتجيات والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وسلامه)

يتلو كتاب ذكر اللوت وما بعده وبه كل جميع الديوان بحمد الله تعالى وكرمه .

القبض والبسط وما
 حالان شريهان قال الله
 تعالى - والله يقبض
 ويبسط - وقد تكلم
 فيها المسيح وأشاروا
 لإشارات هي علامات
 القبض والبسط ولم
 أجد فكشفا عن
 حقيقة ما لا فهم كنتموا
 بالإشارة والإشارة
 تقع الأهل وأحببت
 أن أشيع الكلام فيهم
 لعله يشوق إلى ذلك
 طالب ويحب بسط
 القول فيه والله أعلم .
 وأعلم أن القبض
 والبسط لهما موسم
 بموسم ووقت محتم
 لا يكونان قبله ولا
 يكونان بعده ووقتهما
 وموسمهما في أوائل حال
 الحجة الخاصة لافيهايتها

(كتاب ذكر الموت وما بعده)

(وهو الكتاب المأثور من ربيع النجيات ، وبه اختتام كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي قسم بالموث رقاب الجبابرة ، وكسر به ظهور الأكاسرة ، وقصر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة ، حتى جاءهم الوعد الحق فأرداهم في الحافرة ، فقلوا من القصور إلى القبور ، ومن ضياء اليهود إلى ظلمة الملحود ، ومن ملاعبة الجوارى والفندان إلى مقاساة الهوام والابيدان ، ومن التمتع بالطعام والتراب إلى التفرغ في التراب ، ومن أنس الضربة إلى وحشة الوحدة ، ومن الشجع الوثير إلى الصرع الويل ، فانظر هل وجدوا من الموت حصنا وعزا ، واتخذوا من دونه حجابا وحرزا ، وانظر هل تحص منهم من أحد أو تمنع لهم ركز أفسحان من انقرد بالقر والاستيلاء ، واستأثر باستحقاق البقاء ، وأذله أصناف الخلق بما كتب عليهم من القضاء ، ثم جعل الموت مخلصا للأتقياء وموعدا في حقهم لقاء وجعل القبر سجنا للأشقياء وحسابا في علمهم إلى يوم الفصل والقضاء فله الانعام بالنعم للظاهرة ، وله الانتقام بالنقم للظاهرة ، وله الشكر في السموات والأرض وله الحمد في الأولى والآخرة ، والصلاة على محمد وآله المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا .

[أمابه] فديبر عن الموت مصرعه وبالتراب مضجعه ، والدود أنيسه ، ومنكر ونكير جليسه ، والقبر مقره وبطن الأرض مستقره ، والقيام بعده ، والجنة والنار مورده ، أن لا يكون له نكر إلى الموت ولا ذكر لإله ، ولا استعداد للأجله ، ولا تدبير لإليه ، ولا تطلع لإليه ، ولا تسرع لإليه ، ولا اهتمام لإياه ، ولا حول لإحوله ، ولا انتظار وترسب لإياه ، وحقيق بأن يدنس نفسه من اللوث ويرأها في أصحاب القبور ، فان كل ماهو آت قريب والجيد ما ليس بآت ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ^(١) » ولني تيسر الاستعداد لشيء إلا عند تجديد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره إلا عند التذكر بالأصناف إلى الذكريات له والنظر في النهايات عليه ونحن نذكر من أمرا لوت ومقدماته ولواحقه وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد للجيد من تذكره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ، ليكون ذلك مستحشا على الاستعداد فقد قرب لما بعد الموت الرجل لما بقي من العمر إلا القليل والخلق عنه غافلون - اقرب لناس حسابهم وهم في غفلة معرضون - ونحن نذكر ما يتعلق بالموث في شطرين :

(الشطر الأول في مقدماته وتوابعه إلى ضخة الصور وفيه ثمانية أبواب) :

الباب الأول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه . الباب الثاني في ذكر طول الأمل وقصره . الباب الثالث في سكرات الموت وشدة ما يستحب من الأحوال عند الموت . الباب الرابع في فائز رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده . الباب الخامس في كلام المتضرعين من الخلفاء والأمراء والصالحين . الباب السادس في أقاويل العارفين على الجنائز والقبور وحكم زيارة القبور . الباب السابع في حقيقة الموت وما يقامه للبث في القبر إلى ضخة الصور . الباب الثامن في ما عرف من أحوال اللوث بالمسكفة في اللثام .

(كتاب ذكر الموت وما بعده)

(١) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت تقدم غير مرة .

ولا قبل حال المحبة
الخاصة فمن هو
في مقام المحبة العامة
الثابتة بحكم الإيمان
لا يكون له قبض ولا
يسقط وإنما يكون له
خوف ورجاء وقد يجد
شبه حال القبض وشبه
حال البسط وبطن
ذلك قبضا وبسطا
وليس هو ذلك وإنما
هو ثم يعتريه فيظنه
قبضا وهتزازا فثاني
ولشاطط طبيعي يظنه
بسطا والهم والنشاط
يصدران من محل
النفس ومن جوهرها
لبقاء صفاتها ومادامت
صفة الأمانة فيها بقية
على النفس يكون منها
لاهتزاز والنشاط والهم
وهو ساجور النفس

(الباب الأول في ذكر الموت والتَّوْبَةُ فِي الْإِكْتِسَابِ مِنْ ذِكْرِهِ)

اعلم أن التَّوْبَةَ فِي الدُّنْيَا السَّكْبَةُ عَلَى غُرُورِهَا الْمَحْبُوبَةُ لِشَهَوَاتِهَا يَفْعَلُ قَلْبُهُ لِأَحَالَةٍ عَنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ فَلَا يَذْكُرُهُ وَإِذَا ذَكَرَهُ بِكَرْهِهِ وَهَرَمَ مِنْهُ أَوَّلُكَ هُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ - قُلْ إِنْ لِلَّهِ الَّذِي تَعْبُدُونَ مِنْهُ قَانَةٌ مَلَائِكَتُهُمْ ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَى عَالَمِ النَّارِ وَالتَّوْبَةُ فَيَنْبَشِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ - ثُمَّ النَّاسُ لِإِمَامَتِهِمْ وَإِمَامَاتِهِمْ مَبْتَدِئٌ أَوْ عَارِفٌ مِنْهُ أَمَا التَّوْبَةُ فَلَا يَذْكُرُ الْمَوْتَ وَإِنْ ذَكَرَهُ فَيَذْكُرُهُ لِلتَّوَسُّلِ إِلَى دُنْيَاهُ وَيَسْتَفِلُّ بِعَمَلِهِ وَهَذَا يَزِيدُهُ ذِكْرَ الْمَوْتِ مِنَ اللَّهِ بَعْدًا ، وَأَمَا النَّاسُ فَكَانَهُ يَكْتُمُ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ لِيَنْبَشِ بِهِ مِنْ قَلْبِهِ الْخَوْفُ وَالْحَشْيَةُ فَيَقْبِلُ بِتَمَامِ التَّوْبَةِ وَرَبِّمَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ خِيفَةً أَنْ يُخْطِئَ قَبْلَ تَمَامِ التَّوْبَةِ وَقَبْلَ إِصْلَاحِ الزَّادِ وَهُوَ مَعْدُورٌ فِي كَرَاهَةِ الْمَوْتِ وَلَا يَدْخُلُ هَذَا تَحْتَ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» (١) فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَلِقَاءَ اللَّهِ وَإِنَّمَا يَخَافُ فَوْتَ لِقَاءِ اللَّهِ لِقَصُورِهِ وَتَقْصِيرِهِ وَهُوَ كَالَّذِي يَتَأَخَّرُ عَنْ لِقَاءِ الْحَبِيبِ مُشْتَقِلًا بِالِاسْتِعْدَادِ لِلِقَائِهِ عَلَى وَجْهِ رِضَاهُ فَلَا يَرْضَى كَرَاهَتَهُ لِلِقَائِهِ ، وَعَلَامَةُ هَذَا أَنْ يَكُونَ دَائِمًا الْإِسْتِعْدَادُ لَهُ لِأَسْفَلِ لَهُ سَوَاءٌ وَإِلَّا التَّحَقُّقُ بِالْمَحْكَمِ فِي الدُّنْيَا وَأَمَا الْعَارِفُ فَكَانَ يَذْكُرُ الْمَوْتَ دَائِمًا لِأَنَّهُ مَوْعِدٌ لِلِقَائِهِ الْحَبِيبِ وَالتَّوْبَةُ وَالْحَبِيبُ قَطْ مَوْعِدٌ لِلِقَاءِ الْحَبِيبِ وَهَذَا فِي غَالِبِ الْأُمُورِ يَسْتَقْبَلُ بِحَيٍّ الْمَوْتَ وَيَحِبُّ عَمَلَهُ لِيَتَخَلَّصَ مِنْ دَارِ الْعَاصِينَ وَيَنْتَقِلَ إِلَى جَوَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كَمَا رَوَى عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ حَبِيبٌ جَاءَ عَلَى قَاتِلَةٍ لَا أُنْفِخُ مِنْ نَدَمِ الْهَمِّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْفَقْرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الثَّنَى وَالسُّعْمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الصَّحَّةِ وَالْمَوْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْعَيْشِ فَسَهِّلْ عَلَى الْمَوْتِ حَقِّي أَفْكَاهُ ، فَاذْنِ النَّاسُ مَعْدُورٌ فِي كَرَاهَتِهِ الْمَوْتَ وَهَذَا مَعْدُورٌ فِي حُبِّ الْمَوْتِ وَتَحْبِيهِ وَأَعْلَى مِنْهَا رَبِّيَّةٌ مِنْ فَوْضِ أَمْرِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَضَارَ لَا يَخْذَرُ لِنَفْسِهِ مَوْتَ وَلَا حَيَاةً بَلْ يَكُونُ أَحَبُّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ أَحَبُّهَا إِلَى مَوْلَاهُ فَهَذَا قَدْ انْتَهَى بِغُرُورِ الْحُبِّ وَالْوَلَاءِ إِلَى مَقَامِ التَّسْلِيمِ وَالرِّضَا وَهُوَ النَّبِيُّ الْمُنْتَهَى ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ ثَوَابٌ وَفَضْلٌ فَإِنَّ التَّوْبَةَ أَيْضًا يَسْتَفِيدُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ التَّجَانُّفَ عَنِ الدُّنْيَا لِإِنْ تَنَصَّ عَلَيْهِ نَعِيمُهُ وَيَكْبُرُ عَلَيْهِ صَفْوَتُهُ وَكُلُّ مَا يَكْبُرُ عَلَى الْإِنْسَانِ اللَّذَاتُ وَالشَّهَوَاتُ فَهُوَ مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاةِ .

(بيان فضل ذكر الموت كيفما كان)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَازِمِ اللَّذَاتِ» (٢) معناه انقصوا بذكره اللَّذَاتِ حَتَّى يَنْقَطِعَ رُكُونُكُمْ إِلَيْهَا فَتَقْبَلُوا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَوْ تَعْلَمُ الْبَهَائِمُ مِنَ الْمَوْتِ مَا يَعْلَمُ ابْنُ آدَمَ مَا أَكَلَتْ مِنْهَا مَحِينًا» (٣) وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ يَحْشُرُ مَعَ الشَّهَادَةِ أَحَدٌ ؟ قَالَ نَعَمْ مِنْ يَذْكُرُ الْمَوْتَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ عَشْرِينَ مَرَّةً» (٤) وَاتَّعَسَبَ هَذِهِ الْفَضِيلَةُ كُلُّهَا أَنْ يَذْكُرَ الْمَوْتَ يَوْجِبُ التَّجَانُّفَ عَنِ دَارِ الْغُرُورِ وَيَتَقَضَّى الْإِسْتِعْدَادُ لِلْآخِرَةِ وَالْفَضْلَةُ عَنِ الْمَوْتِ تَدْعُو إِلَى الْإِهْمَاكِ فِي شَهَوَاتِ الدُّنْيَا ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «تُخَفِّفُ الْمُؤْمِنَ الْمَوْتَ» (٥) وَاتَّعَسَبَ هَذَا

(الباب الأول في ذكر الموت والتَّوْبَةُ فِيهِ)

(١) حَدِيثٌ مِنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ (٢) حَدِيثٌ أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَازِمِ اللَّذَاتِ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَسَنٌ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَدْ تَقَدَّمَ (٣) حَدِيثٌ لَوْ تَعْلَمُ الْبَهَائِمُ مِنَ الْمَوْتِ مَا يَعْلَمُ ابْنُ آدَمَ مَا أَكَلَتْ مِنْهَا مَحِينًا الْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ حَبِيبَةَ الْجُهَنِيَّةِ وَقَدْ تَقَدَّمَ (٤) حَدِيثٌ قَالَتْ عَائِشَةُ هَلْ يَحْشُرُ مَعَ الشَّهَادَةِ أَحَدٌ قَالَ نَعَمْ مِنْ يَذْكُرُ الْمَوْتَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ عَشْرِينَ مَرَّةً تَقَدَّمَ (٥) حَدِيثٌ تُخَفِّفُ الْمُؤْمِنَ الْمَوْتَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ الْمَوْتِ وَالطَّبَرَانِيُّ وَالْحَاكِمِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْثُومٍ مَرْثُومٌ بَسْمٌ حَسَنٌ .

والتَّوْبَةُ ارْتِفَاعُ مَوْجِ النَّفْسِ عِنْدَ تَطَلُّعِهَا إِلَى الطَّبَعِ فَإِذَا ارْتَفَعَتْ مِنْ حَالِ الْمَحَبَّةِ الْعَامَةِ إِلَى أَوَائِلِ الْمَحَبَّةِ الْخَاصَّةِ بِصِرِّ ذَاكَ وَذَوَاتِهِ وَذَا شَيْءٍ لَوَامِسَةٍ وَتَبَنُوبِ الْقَبْضِ وَبِالسُّطَةِ فِيهِ عِنْدَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ ارْتَفَعَ مِنْ رُبِّيَّةِ الْإِيمَانِ إِلَى رُبِّيَّةِ الْإِقْبَانِ وَحَالِ الْمَحَبَّةِ الْخَاصَّةِ فَيَقْبِضُهُ الْحَقُّ تَارَةً وَيُسْطُهُ أُخْرَى فَهَذَا الْوَسْطَى يَقْبِضُكَ عَمَّا لَكَ وَيُسْطُكَ فَيَا لَوْ وَقَالَ النُّورِيُّ يَقْبِضُكَ بِأَيْدِيهِ وَيُسْطُكَ بِإِيَادِهِ وَاعْلَمْ أَنَّ وُجُودَ الْقَبْضِ لظُهُورِ صِفَةِ النَّفْسِ وَغَلْبَتِهَا وَظُهُورِ السُّطَةِ لظُهُورِ رُفْعَةِ الْقَابِ وَغَلْبَتِهَا

لأن الدنيا سجن المؤمن إذ لا يزال فيها في عناء من مقياس نفسه ورياضة شهواته ومداومة شيطانه فالوقت إطلاق له من هذا العذاب والإطلاق تحفة في حقه وقال صلى الله عليه وسلم «للموت كنزاة لكل مسلم» (١) «وأراد بهذا التسليم حقا المؤمن صدقا الذي يسلم للموت من لسانه وبه ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي إلا بالعمم والمصائر فالوقت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنبه الكبائر وإقامته الخرافة . قال عطاء الخراساني «مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس فاستأذن في الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكرم الذوات قالوا وما مكرم الذوات قال الموت» (٢) وقال أنس رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكثرنا من ذكر الموت فانه يحبس الذنوب ويذهب في الدنيا» (٣) «وقال صلى الله عليه وسلم «كني بالموت مفرقا» (٤) «وقال عليه السلام «كني بالموت واعظا» (٥) . «وخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون ، قال : اذكروا الموت أما والله نسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» (٦) . «وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فآحسنا التناء عليه ، قال : كيف ذكر صاحبكم للموت ؟ قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك» (٧) «وقال ابن عمر رضي الله عنهما «أثبت النبي صلى الله عليه وسلم حاشرة عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس الناس وأكرم الناس ؟ قال : أكرم الناس ؟ قال : أكرمهم ذكر الموت وأشدهم استعداده لأولئك هم الأكياس ذهبوا جرف الدنيا وكرامة الآخرة» (٨) «وأما الآثار : فقد قال الحسن رحمه الله تعالى فضح الموت الدنيا فلم يترك لدى لب فرحا . وقال الربيع ابن خنيتم ما غائب ينتظره للمؤمن خيرا له من الموت وكان يقول لا تشعروا بآحادنا وسأوني إلى ربى سلا وكتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه : يا أخي احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار . انتهى فيها الموت فلا تحمد . وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يكونون حتى كأن بين أيديهم حنازة . وقال إبراهيم التيمي شيئا قطعا عن لغة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل . وقال كعب

(١) حديث الموت كدرة لكل مسلم أبو عبيد في الحلية والبيهقي في الشعب والخطيب في التاريخ من حديث أنس قال ابن العربي في سراج المريدين إنه حسن صحيح وضعفه ابن الجوزي وقد جمعت طرقة في جزء (٢) حديث عطاء الخراساني مر النبي صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكرم الذوات الحديث ابن أبي الدنيا في الموت هكذا مرسل وروياه في أمالي الحلال من حديث أنس ولا يصح (٣) حديث أنس أكثرنا من ذكر الموت فانه يحبس الذنوب ويذهب في الدنيا ابن أبي الدنيا في الموت باستانضعف جدا (٤) حديث كني بالموت مفرقا الحديث ابن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس وعراك بن مالك بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في البر والصلة من رواية أبي عبد الرحمن الجبلي مرسل (٥) حديث كني بالموت واعظا الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف وهو مشهور من قول الفضيل بن عياض روى البيهقي في الزهد (٦) حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت الحديث ابن أبي الدنيا في الموت من حديث ابن عمر باستانضعف (٧) حديث ذكر عند رسول الله ﷺ رجل فآحسنا التناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت الحديث ابن أبي الدنيا في الموت من حديث أنس بسند ضعيف وابن المبارك في الزهد قال أنا مالك بن عوف فذكره بلا زيادة فيه (٨) حديث ابن عمر أثبت النبي صلى الله عليه وسلم عشرة عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس الناس الحديث ابن ماجه مختصرا وابن أبي الدنيا بكاهه باستان جيد .

والنفس مادامت لومة
فتارة مغلوقة وتارة
غالبية والقبض والبسط
باعتبار ذلك منها
وصاحب القلب تحت
حجاب توراني لوجود
قلبه كما أن صاحب
النفس تحت حجاب
ظلال لوجود نفسه
فإذا ارتقى من الغلب
وخرج من حجاب
لا يقبده الحلال ولا
يتصرف فيه ليخرج
من تصرف القبض
والبسط حيث لا
يقبض ولا يبسطه دام
متخلصا من الوجود
التوراني الذي هو الغلب
و.تحققا بالقرب من
غير حجاب النفس
والتلب فاذا عاد إلى

من عرف اللوت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها . وقد مطرف رأيت فيا يرى النائم كأن قال يقول في وسط مسجد البصرة : قطع ذكر اللوت قلوب الخائفين فوائده ما تزام إلاواهلين . وقال أعمش كنا ندخل على الحسن فاعلم هو النار وأمر الآخرة وذكر اللوت . وقالت صفية رضي الله تعالى عنها إن امرأة اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت أ كثرى ذكر اللوت يرق قلبك فعملت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها . وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر اللوت عنده يقطر جلده دما . وكان داود عليه السلام إذا ذكر اللوت والقبامة يبكي حتى تتخلع أوصاله فاذا ذكر الراحل حرجت إليه نفسه . وقال الحسن . ما رأيت عاقلا قط إلا أصبته من اللوت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز بعض السوء عظمي فقال ألسنت أول خليفة عوت قال زدني قال ليس من آياتك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فيكي عمر لذلك . وكان الربيع بن خثيم قد حضر قبرا في داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر اللوت وكان يقول لو فارقت ذكر اللوت قلبي ساعة واحدة لفسد . وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير إن هذا اللوت قد نقص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نصيا لأموت فيه . وقال عمر بن عبد العزيز لعنسة أ كثر ذكر اللوت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك . وقال أبو سليمان النخعي قلت لأم هرون : أ تحبين اللوت ؟ قالت لا قلت لم ؟ قالت لو عصيت آدميا ما أشتيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته

(بيان الطريق في تحقيق ذكر اللوت في القلب)

اعلم أن اللوت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكيرهم فيه وذكورهم ولم يذكروه ليس يذكروه بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا فلا ينجع ذكر اللوت في قلبه فاطريق فيه أن يفرغ البعد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر اللوت الذي هو بين يديه كالذي يريد أن يسافر إلى مغازة خطيرة أو يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا فيه فاذا بشر ذكر اللوت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وأنجح طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فينتدحروهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم ويتأمل كيف حال التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزاءهم في قبورهم وكيف أرموا لنساءهم وأيتموأولادهم وضعوا أمواهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم واضطربت آثارهم فهما تذكر رجل رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وتأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وتأخذ به عوادة الأسباب وركونه إلى القوة والشباب وميله إلى الضحك واللهاو وغفلته عما بين يديه من الموت والدرج والهلاك السريع وأنه كيف كان يتردد والآل قد تهدمت رجلاه ومفاصله وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحسبه فأنكشف له صورة الملك وقبح معه النداء إما بالجنة أو بالنار ففند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وغفلته كفلتهم وستكون عاقبته كما قبته . وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : إذا ذكرت الموتى فند نفسك كأحدم . وقال ابن مسعود رضي الله عنه السعيد من وعظ بغيره . وقال عمر بن عبد العزيز ألا ترون أنسكم تجهزون كل يوم غاديا أو راحيا إلى الله عز وجل تضعونه في صعد من الأرض قد توسد التراب وخلف الأحياء وقطع الأسباب فلازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول القابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يخلب عليه بحيث يصير نصب عينيه ضد ذلك يوشك أن يستعده ويتجافى عن دار الضرر والإفلال كزباهر القلب وعدة اللسان

الوجود من الفناء والبقاء يسود إلى الوجود والنوراني الذي هو القلب فيعود القبح والنسب إليه عند ذلك ومهما فخلص إلى الفناء والبقاء فلا يقين ولا بسط قال فارس أ ولا القبح ثم البسط ثم لا يقين ولا بسط لأن القبح والبسط يقع في الوجود فأما مع الفناء والبقاء فلا ثم إن القبح قد يكون عقوبة الإفراط في البسط وذلك أن الوارد من الله تعالى يرد على القلب فيمتلئ القلب منه وهو حلو فرحا واستبشارا فتنشق النفس السمع عند ذلك وتأخذ نصيبها فاذا وصل أثر الوارد

قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشئ من الدنيا ينبغي أن يتذكر في الحال أنه لا بد له من مفارقتها ، نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه - نهائم بكى وقال واقلوا لا الوت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقررت بالدنيا أعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته .
(الباب الثاني في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طوله وكيفية معالجته)

(فضيلة قصر الأمل)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر « إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن سمحتك لسمتك فانك يا عبد الله لا تدري ما منك غدا ^(١) » وروى علي كرم الله وجهه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن أعمدا ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا ثم قال : إلا أن الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ويمنع وإذا أحب عبدا أعطاه الإيمان إلا أن الدين أبناء والدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا إلا أن الدنيا قد ارحمت مولى إلا أن الآخرة قد ارحمت مقبلة ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ألا وإنكم توشكون في يوم حساب ليس فيه عمل ^(٢) » وقالت أم النضر « اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية إلى الناس فقال : أيها الناس أما تستحيون من الله قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال تجمعون ما لا ناكلون وتاملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون ^(٣) » وقال أبو سعيد الخدري « اشترى أسامة بن زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تتعجبون من أسامة للشرى إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل والذي قضى بيده ما طرقت عيناي إلا ظننت أن شفرى بالثقيان حتى يقبض الله روعي ولا رفت طرفي ظننت أني وائمة حتى أقبض ولا لمت لقمة إلا ظننت أني لا أسبغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم إن كنتم تعقلون ففسدوا أنفسكم من اللوق والذي قضى بيده - إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين - ^(٤) » وعن ابن عباس رضي الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهرق للماء فيتمسح بالثياب فأقول له يا رسول الله إن الماء منك قريب فيقول ما يدري لعل لا يابسه ^(٥) » وروى « أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد فقرر عودا

(الباب الثاني في طول الأمل)

(١) حديث قال لعبد الله بن عمر إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء الحديث ابن حبان ورواه البخاري من قول ابن عمر في آخر حديث كفي في الدنيا كأنك غريب (٢) حديث علي بن أحمد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل الحديث بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب قصر الأمل ورواه أيضا من حديث جابر بنحوه وكلاهما ضعيف (٣) حديث أم النضر أيها الناس أما تستحيون من الله تعالى قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا ناكلون الحديث ابن الدنيا ومن طريقه البيهقي في الشعب بإسناد ضعيف وقد تقدم (٤) حديث أبي سعيد اشترى ابن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تتعجبون من أسامة الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل والطبراني في مسند الشاميين وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب بإسناد ضعيف (٥) حديث ابن عباس كان يخرج يهرق للماء فيتمسح بالثياب فأقول للماء منك قريب فيقول ما يدري لعل لا يابسه الحديث ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في قصر الأمل والبراز بإسناد ضعيف .

إلى النفس ملئت بطيها
وأفرطت في البسط
حتى تشاكل البسط
نشاطا فتقابل بالقبض
عقوبة وكل القبض
إذا فتن لا يكون إلا
من حركة النفس
وظهورها بصفتها ولو
تأدبت النفس وعدلت
ولم تجر الطغيان تارة
والبصيان أخرى
ما وجد صاحب القلب
القبض وما دام روحه
وأنسه ورعاية
الاعتدال الذي يصد
باب القبض متلقى من
قوله تعالى - لكيلا
تأسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما
آتاكم - فوارد الفرح
مادام موقوفا على
الروح والقلب لا يكتف

بين يديه ولاخر إلى جنبه وأما الثالث فأبعد فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الانسان وهذا الأجل وذاك الأمل يتماطه ابن آدم ويغتر به الأجل دون الأمل (١) وقال عليه السلام «مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته الدنيا وقع في الحرم» (٢) قال ابن مسعود هذا الرء وهذه الختوف حوله شوارع إليه والحرم وراء الختوف والأمل وراء الحرم فهو يؤمل وهذه الختوف شوارع إليه فأبها أمر به أخسده فان أخطأته الختوف قتله الحرم وهو ينتظر الأمل قال عبدالله «خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطا وخط خطا إلى جنب الخط وخط خطا خارجا قالوا تدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا الانسان الخط الذي في الوسط وهذا الأجل محيط به وهذه الأعراض فخطوط التي حوله تهبه إن أخطأه هذا تهبه هذا وذاك الأمل بين الخط الخارج (٣) وقال أنس «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرم ابن آدم ويقيم معه اثنتان الخرص والأمل (٤) وفي رواية وتنبه منه اثنتان الخرص على المال والخرص على العمر وقال رسول الله ﷺ «نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد وبهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل (٥)» وقيل بينا عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الأرض فقال عيسى اللهم انزع منه الأمل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد إليه الأمل فقام فعمل بعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينا أنا أعمل إذ قالت لي نفسي إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير فألقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما جيت فقممت إلى مسحاتي وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أو كلكم يجب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصر وامن الأمل ويؤتى أجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حتى الحياء (٦)» وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه : اللهم إني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل (٧) قال أنس : قال مطرف بن عبدالله لو علمت متى أجلي لحشيت على ذهاب عقلي ولكن الله تعالى من على عباده بالنفقة عن الثروت ولولا النفقة ما تنهوا بعيش ولا مات بينهم الأموات وقال الحسن السهو والأمل نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولاهما ما شئ المسلمون في الطرق وقال الثوري يفتني أن الانسان خلق أحمق ولولا ذلك لم يهتأ العيش . وقال أبو سعيد بن عبد الرحمن إنما

ولا يستوجب صاحبه القبيض سببا إذا لطف بالفرح بالوارد بالايواء إلى الله وإذا لم يلجئ بالايواء إلى الله تعالى تطلعت النفس وأخذت حظها من الفرح وهو الفرح بما إلى المذوق منه فمن ذلك القبيض في بعض الأحيان وهذا من أنطف الذنوب الموجبة للقبيض وفي النفس من حركاتها وصفاتها وثبات متعددة موجبة للقبيض ثم الحشوف والرجاء لا يدمهما صاحب القبيض والبسط ولا صاحب الأنى والحمية لأتينا من ضرورة الإيمان فلا ينعمان وأما القبيض والبسط

(١) حديث أنه أخذ ثلاثة أعواد ففرز عودا بين يديه الحديث أحمد وابن أبي الدنيا في قصر الأمل واللفظ له الزاهر مزي في الأمثال من رواية أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري وإسناده حسن ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا أيضا من رواية أبي المتوكل مرسل (٢) حديث مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية الحديث الترمذي من حديث عبدالله بن الشخير وقال حسن (٣) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا الحديث رواه البخاري (٤) حديث أنس يرم ابن آدم ويقيم معه اثنتان الخرص والأمل وفي رواية وشبه معه اثنتان الخرص على المال والخرص على العمر ورواه مسلم بلفظ الثاني وابن أبي الدنيا في قصر الأمل باللفظ الأول بإسناد صحيح (٥) حديث نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد وبهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل ابن أبي الدنيا فيه من رواية ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٦) حديث الحسن أكلكم يجب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصر وامن الأمل الحديث ابن أبي الدنيا فيه هكذا من حديث الحسن مرسل (٧) حديث كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه اللهم إني أعوذ بك من أمل يمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل ابن أبي الدنيا فيه من رواية حوشب عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي إسناده ضعف وجهه لا أدري من حوشب.

عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها . وقال سلمان الفارسي رضى الله عنه ثلاث تنجي حتى ضحك من مؤمل الدنيا ولوئت يطلبه وغافل وليس يغفل عنه وصاحك له فيه ولا يدرى ما خاطب رب العالمين عليه أم راض وثلاث أحزن حتى أبتنى فرقى الأجداد محمد وحزبه وهول الطلع والوقوف بين يدي الله ولا أدرى إلى الجنة يؤمر بي أو إلى النار . وقال بعضهم رأيت زلزلة بن أبي أوفى بدموعه في المنام فقلت أى الأعمال أبلغ عندكم قال التوكل وقصر الأمل . وذلك التورى الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل القليظ ولا لبس العباءة وسأل الفضل بن فضالة ربه أن يرفع عنه الآل فذهبت عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه فرد عليه الأمل فرجع إلى الطعام والشراب . وقال الحسن بن أباسيد لا تنسل قبضك فقال الأمر أهمل من ذلك . وقال الحسن اللوث معتود بنو أصيكم والدنيا تطوى من وراءكم وقال بعضهم أنا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب عنقه . وقال داود الطائي لو أمأت أن أعيش شهرا لرأيتنى قد أنيت عظامي وكيف أوئل ذلك وأرى الفجائع تقش الحلائق في ساعات الليل والنهار . وحكى أنه جاء شقيق البلخي إلى أستاذة يقال أبو هاشم الرمانى في طرف كسائه شىء مصرور فقال له أستاذة إيش هذا معك فقال لوزات دفعا إلى أنح لى وقال أحب أن فطر عاريا فقال يا شقيق وأنت تحدث نفسك أنك تبقى إلى الليل لا تكلنك أبدا قدا غلقت في وجهى الباب ودخل . وقال عمر ابن عبد العزيز في خطبته إن لكل سفر زادا لا هالة فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى وكونوا كمن عابن ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترهبوا ولا يطلون عليكم الأمد فتفسو قلوبكم وتتقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط أمل من لا يدرى الله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسى بعد صباحه وربما كانت بين ذلك خطافات النيايا وكمرأيت ورأيت من كان بالله نيا مغترا وإعما قرع عين من وثق النجاة من عذاب الله تعالى وإعما يفرح من أمن أهوال القيامة فأما من لا يداوى كلها إلا بأصابع جرح من ناحية أخرى فكيف يفرح أعوذ بالله من أن آمركم بما لا ينهى عنه نفسى تخسر صفيق وتظهر عيبى وتبدو مسكنى في يوم يبدو فيه الفنى والفقر والوازين فيه منصوبة لقد عنيتم بأمر لو عنيتم به النجوم لانكدرت ولو عنيتم به الجبال لادت ولو عنيتم به الأرض لثشقت أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وأنكم صافرون إلى إحداها وكتب رجل إلى أخ له أما بعد فإن الدنيا حرام والآخرة بقطة والتوسط بينهما اللوث ونحن في فضائ أحلام والسلام وكتب آخر إلى أخ له إن الحزن على الدنيا طويل واللوث من الانسان قريب ولانقص في كل يوم منه نصيب وللبراء في جسمه ديب فبادر قبل أن تتادى بالرحيل والسلام . وقال الحسن كان آدم عليه السلام قبل أن يخطىء أهله خلف ظهره وأجله بين عينيه فلما أصاب الخطيئة حول فجعل أهله بين عينيه وأجله خلف ظهره . وقال عبد الله بن ميمون سمعت أنى يقول أنها لا تفر بطول محنته أما رأيت ميتا قط من غير سقم أيامه المتربط لله لالهة ما رأيت مأخوذ أطمعن غير عدة إنك لو فكرت في طول عمرك لتسيت ما قد تقدم من لذاتك أيا الصحة تترون أم بطول العافية تمرحون أم الموت تأمنون أم على ملك الموت تجترئون إن ملك الموت إذا جاء لا ينعم منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفرغ ثم يقال رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت رحم الله عبدا انظر لنفسه قبل نزول الموت ، وقال أبو بكر اليماني سايان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذا أتى بحجر منثور قطاب من يقرؤه فأتى بهوب من منبه فاذا فيه ابن آدم إنك لو رأيت قرب ما بين من أجلك لرحمت في طول أملك ولو غبت في الزيادة من عملك ولتصرت من حرمك وحيلك وإعما يلقاك غدا ندمك لو قد نزل بك قدك وأسلك أهلك وحشحك وفارقك الوالد والقريب ورفضك الولد والنسيب فلا أنت إلى دنياك عائد ولا في حسناك زائد فاعمل

فينعمان عند صاحب
الإيمان لنقصان الحفظ
من القلب وعند صاحب
الفناء والبقاء والقرب
لتخلصه من القلب
وقد يرد على الباطن
قبض وبسط ولا
يعرف سببهما ولا
يغنى سبب القبض
والبسط إلا على قليل
الحظ من العلم الذى
لم يحكم علم الحال ولا
علم المقام . ومن أحكم
علم الحال والمقام لا يخفى
عليه سبب القبض
والبسط وربما يشبهه
عليه سبب القبض
والبسط كما يشبهه عليه
الهم بالقبض والنشاط
والبسط وإعما علم
ذلك لمن استقام قلبه
ومن علم القبض
والبسط وارتقى منهما

ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فيسكن سليمان بكاء شديدا لوقال بعضهم رأيت كتابا من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك فأتى أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني أحذرك متحوكاً من دار مهلكة إلى دار إقامةك وجزاء أعمالك تقصير في قرار باطن الأرض بدفناها نياتك منسكرك ونسكير فيقعدانك ويتبرانك فإن يكن الله ملك فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة وإن يكن غير ذلك فأناذي الله وإياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تبليغك صيحة الحشر وفتح الصور وقيام الجبار لقصص القضاء والخلائق وخلاء الأرض من أهلها والسماوات من سكانها بحادث الأسرار وأسعرت النار ووضعت للوازيين وجيء بالنبیین والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكسركم مفتضح ومستور وكم من هلاك ونج وكم من معذب ومرحوم فيا ليت شعري ما حالى وحالك ومثدفي هذا ما هدم الذات وأسلم عن السموات وقصر عن الأمل وأيقظ النائمين وحذر الغافلين أما أنا الله وإياكم على هذا الخطر العظيم وأوقع الآخرة من قلبي وقلبك موقعهما من قلوب التقيين فأتممت به ولة والسلام . وخطب عمر بن عبد العزيز لحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس إنكم أنخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وإن لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والعدل فما بينكم غلاب وشقي غدا عبيد أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والأرض وإنما يكون الأمان غدا لمن خاف واتقى وناع قليلا بكثير وقانيا ياتي وشقوة بعبادة آل ترون أنكم في أساليب الهالكين وسيخلف بدمكم الباقون ألا ترون أنكم في كل يوم تسيحون فادباور أحوالكم إلى الله عز وجل قد قضى غيبوا شطع أمه قضعونه في بطن صنع من الأرض غير موسى ولا محمد قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب وإيه الله إنني لأقول مقاتلي هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما أعلم من تقى ولكنكسان من الله عادة أمر فيها بطاعته وأنهى فيها عن معصيته واستغفر الله ووضعه كلى وجهه وجعل يميني حتى بليت دموعه لحيتة وما عاد إلى مجلسه حتى مات وقال التقياع بن حكيم قد استمدت للديت منذ ثلاثين سنة فلو أناني ما أحببت تأخير شيء عن شيء وقال الثوري رأيت شيخا في مسجد الكوفة يقول أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن ينزل بي ولو أناني سأمرته بشيء ولا نهيت عنه شيء ولا لي على أحد شيء ولا لأحد عندي شيء وقال عبد الله بن ثعلبة فضحك ولعل كفاك قد خرجت من عند التصار ، وقال أبو محمد بن علي الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فهادود الطائي فارتد قد نحية وهي تدفن جثت قمعدت قريبا منه فتكلم فقال : من خاف الوعيد قصر عليه البعبد ومن طل أمه ضف عمله وكل ما هو آت قريب . واعلم أخي أن كل شيء يشكك عن ربك فهو عليك مشكوك واعلم أن أهل الدنيا جميعا من أهل القبور إنما يندمون على ما خلفون ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتلون وقية يتنافسون وعليه عند القضاة يخشعون . وروى أن معروفا السكرخي رحمه الله تعالى أقام الصلاة قال محمد بن أبي توبة فقال لي تقدم فقلت إني إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها فقال معروف وأنت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى نمود بالله من طول الأمل فانه ينزع من خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته إن الدنيا ليست بدار قرار كم دار كتب الله عليها القضاء وكتب على أهلها الظن منها فسك من هامر موقق عما قليل خرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظن فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما حضر تركم من الفتنة وتزودوا فان خير الزاد التقوى إنما الدنيا كئي ظلال قلص فذهب بينا ابن آدم في الدنيا نفاق وهو قرر العين إذ دعا الله بقدره ورماء يوم حقه فسلمه آثاره وديناه وصير لقوم آخرين مصانفهم ومغناه إن الدنيا لا تسمى بقدر ما تضر إنها تسر قليلا وتحزن طويلا . وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

ففسه مطمئة
لا تتقدح من جوهرها
نار توجب القبض ولا
يلاطم بحر طبعها من
أهوية الهوى حتى
يظهر منه البسطور بما
صار لثل هذا القبض
والبسط في نفسه لا من
نفسه فتكون شبه
للمطمئة بطبيع القلب
فيجسرى القبض
والبسط في نفسه
للمطمئة والمقلب قبض
ولا بسط لأن القلب
متحصن بشعاع نور
الروح . مستمر في دعة
القرب فلا قبض ولا
بسط (ومنها القضاء
والبقاء) قد قيل
القضاء أن ينفى عن
الخطوط فلا يكون له
في شيء حظ بل ينفى

أنه كان يقول في خطبته أين الوضوء الحسنه وجوهمهم للمجبون بشبابهم أين للوكة الذين بنوا للدائن وحسنوها بالحيطان أين الذين كانوا يملطون التلبه في مواطن الحرب تدفعهم بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا ثم التجا التجا .

(بيان السبب في طول الأمل وعلاجه)

اعلم أن طول الأمل له سببان : أحدهما الجهل والآخر حب الدنيا أما حب الدنيا فهو أنه إذا أنس بها وهبها وألهاها وعلاقتها تقل على قلبه فمفارقها فامتنع قلبه من التفكير في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه والإنسان مشغوف بالأمانى الباطلة فيخنى نفسه بادبا بما يوافق مراده وإنما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه وقدرة توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا فيصير قلبه كغزال هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت فلا يقدر قربها فان خطر له في بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب وإذا كبر فيقول إلى أن تصير شيخا فإذا صار شيخا قال إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة أو ترجع من هذه السفرة أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكنه أو تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشتبك بك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل إلا ويتعاقب بتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخرو وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم ويفضي به شغل إلى شغل بل إلى أشغال إلى أن تخطفه النية في وقت لا يحسبه فتطول عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار وصاحبهم من سوف يقولون واحزننا من سوف وللسوف السكين لا يدرى أن الذي يدعو إلى التسويف اليوم هو ، مع غدا أو إجماز داء بطول اللذة قوة ورسوخا ويظن أنه يتصور أن يكون للخائف في الدنيا والحافظ لما فرغ خطه وهيات ما يفرغ منها إلا من أطرحها .

لما قضى أحد منها لبائته وماتت إلى أرب

وأصل هذه الأمانى كلها حب الدنيا والأنس بها والغفلة عن معنى قوله **﴿عجب من أحببت فانك مفارقة﴾** (١) . وأما الجهل فهو أن الإنسان قد يهود على شيا به فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر السكين أن مشايخ بله لوعدا لسكانا أقل من عشر رجال البله وإنما قالوا لأن الموت في الشباب أكثر فإلى أن يموت شيخ يموت ألف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة ولا يدرى أن ذلك غير بعيد وإن كان ذلك بعيدا فالمرض فجأة غير بعيد وكل مرض فائما يقع فجأة وإذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا التأمل وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع من ليل ونهار لمعلم استشهاده واشتغال بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا دعواه إلى طول الأمل وإلى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو أبدا يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقعه فيه وهو أبدا يظن أنه يشيع الجنائز ولا يقدر أن تشيع جنازته لأن هذا قد تكرر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره فقام موت نفسه فلم يألفه ولم يتصور أن يألفه فانه لم يقع وإذا لم يقع دفعة أخرى بعد هذه فهو الأول وهو الآخر وسيله أن يقيس نفسه بغيره ويعلم أنه لا بد وأن تحمل جنازته ويدفن في قبره ولعل اللبن الذي ينطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدرى تقسوه جهل محض ، وإذا عرفت أن سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه أما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسبب الحكمة (١) حديث أحب من أحببت فانك مفارقة الحديث تقدم غير مرة .

الباقية من القلوب الطاهرة وأما حب الدنيا فالعلاج في إخراجها من القلب شديد وهو الداء المضال الذي أعا الأولين والآخرين علاجه ولا علاج له إلا الإيمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فإن حب الخطيئ هو الذي يبعث عن القلب حب الحفير فإذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف أن يلتفت إلى الدنيا كلها وإن أعطى ملك الأرض من للشرق إلى المغرب وكيف وليس عنه من الدنيا إلا قدر يسير مكدر منقص فكيف يفرح بها أو يترسخ في القلب حبها مع الإيمان بالآخرة فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقدير اللوت في القلب مثل النظر إلى من مات من الأقران والأشكال وأنهم كيف جاءهم اللوت في وقت لم يحتسبوا أما من كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما وأما من كان مغرورا بطول الأمل قد خسر خسرانا مبينا فلينظر الإنسان كل ساعة في أطرافه وأعضائه وليتدبر أنها كيف تأكلها الديدان لاهالة وكيف تنفتت عظامها ولتفسك أن الدود يبدأ بحدقته الجني أولادها ليسرى لها على بدنه شيء إلا وهو طعمة الدود وماله من نفسه إلا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنوره من عذاب القبر وسؤال المنكر ونكير ومن الحشر والنشر وأحوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الأكبر فأمثال هذه الأفكار هي التي تجرد ذكر اللوت على قلبه وتدعوه إلى الاستعداد له .

(بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره)

اعلم أن الناس في ذلك يتفاوتون فمنهم من يأمل البقاء ويشتهي ذلك أبدا قال الله تعالى - يود أحدكم لو يمر ألف سنة - ومنهم من يأمل البقاء إلى المموت وهو أقصى العمر الذي شاهده ورآه وهو الذي يحب الدنيا جدا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشيخ شاب في حب طلب الدنيا وإن التفت ترقواته من الكبر إلا الذين اتقوا وقليل مأم » (١) ومنهم من يأمل إلى سنة فلا يشغل بتدبير ما وراءها فلا يقدر لنفسه وجودا في عام قابل ولكن هذا يستمد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف فإذا جمع ما يكتفيه لستة اشغل بالعبادة ومنهم من يأمل مدة الصيف أو الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع أمه إلى يوم وليلة فلا يستعد لإلتهازه وأماله فلا قال - عيسى عليه السلام : لانهتموا برزق غد فان يكن غد من آجالكم فستأني فيه أرزاقكم مع آجالكم وإن لم يكن من آجالكم فلا نهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز أمه ساعة كما قال نبينا ﷺ « يا عبد الله إذا أصبحت فلا تتحدث فesk بالمساء وإذا أمسيت فلا تتحدث فesk بالصباح » ومنهم من لا يقدر البقاء أيضا ساعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول لعل لا أبلغه ومنهم من يكون اللوت نصب عينه كأنه واقع به فهو ينتظره وهذا الإنسان هو الذي يصلي صلاة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة إيمانه فقال ما خطوت خطوة إلا ظننت أني لأتبعها أخرى (٢) وكما نقل عن الأسود وهو حبشي أنه كان يصلي ليلا ويظننت مبينا وشيئا فقال له قائل ما هذا قال أنظر ملك اللوت من أي جهة يأتي فينهض مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من

مقام صفة النسوبة
النسوح وليس من
الفناء والبقاء في شيء
ومن الإشارة إلى الفناء
ماروي عن عبد الله
ابن عمر أنه سلم عليه
إنسان وهو في الطواف
فلم يرد عليه فشكاه
إلى بعض أصحابه فقالوا
له كتنا تراءى إلى الله في
ذلك المكان . وقيل :
الفناء هو التفتية عن
الاستيلاء كما كان فناء
موسى حين تجلى ربه
للجبل . وقال الحراز :
الفناء هو التلاشي
بالحق والبقاء هو
الغضور مع الحق .
وقال الجنيد : الفناء
استعجام الكل عن
أوصافك واستغفال
الكل منك بكنيته

(١) حديث الشيخ شاب في حب الدنيا وإن التفت ترقواته من الكبر إلا الذين اتقوا وقليل مأم لم أجده بهذا اللفظ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قلب الشيخ شاب على حب اثنتين طول الحياة وحب المال (٢) حديث سؤاله لهذا عن حقيقة إيمانه فقال ما خطوت خطوة إلا ظننت أني لأتبعها أخرى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وهو ضعيف .

أوله مقصور على شهر كفن أمه شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله فإن الله لا يظلم متقال ذرة - ومن يعمل متقال ذرة خيرا به - ثم يظهر أثره في الأمل في البادرة إلى العمل وكل إنسان يدعى أنه قصير الأمل وهو كاذب وإنما يظهر ذلك بأعماله فإنه يعنى بأسباب ربما لا يحتاج إليها في بقدر ذلك على طول أمه وإما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب العين لا يشغل عنه ساعة فلا يستعمل الموت الذي يرد عليه في الوقت فإن عاش إلى مساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بأنه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله إلى الصباح وهكذا إذا أصبح ولا يتيسر هذا إلا لمن فرغ القلب عن الفناء وما يكون فيه ثقل هذا إذا مات سعد وغم وإن عاش سرر بحسن الاستعداد ولذة النجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد فليكن الموت على بالك يا سكين فإن السير حاث بك وأنت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت للزلزل وقطعت للساعة ولا تكون كذلك إلا ببادرة العمل اغتناما لكل نفس أمهات فيه .

(بيان للبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير)

اعلم أن من له أخوان غائبان ويظهر قدم أحدهما في غد ويتنظر قدوم الآخر بمشهور أو سراً فلا يستعد للذي يقدم إلى شهر أو سنة وإنما يستمد للذي يتنظر قدومه غداً فلا يستعد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدلة ونسى ما وراء الدعة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكاملها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبداً فإنه أبداً يرى لنفسه مقصداً في تلك السنة فيؤخر العمل كما قال **عليه السلام** « ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطعياً وأقراً أمنياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً متيذاً أو موتاً مجهزاً أو دجالاً ذليلاً جالساً غائباً ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر (١) » وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يظله « اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ (٣) » أي أنه لا ينتظمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم « من خاف أدججاً ومن أدجج بلغ للزلزل ألا إن ساعة الله طالية ألا إن ساعة الله الحجة (٤) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاءت الراجفة تدهي الرادفة وجاء الموت بما فيه (٥) » « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نُس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أتستم المنية راتبة لازمة إما بشقاوة وإما بمسادة (٦) » وقال أبو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا النذير والموت المغير والساعة للواعد (٧) »

(١) حديث ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطعياً أو فقراً أمنياً الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة بانظر هل ينتظرون إلا غناء الحديث وقال حسن ورواه ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل بلفظ المتن وفيه من لم يسم (٢) حديث ابن عباس اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك الحديث ابن أبي الدنيا فيه باسناد حسن ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية عمرو بن ميمون الأزدي مرسل (٣) حديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ البخاري من حديث ابن عباس وقد تقدم (٤) حديث من خاف أدججاً ومن أدجج بلغ للزلزل الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن (٥) حديث جاءت الراجفة تدهي الرادفة الحديث الترمذي وحسنه من حديث أبي بن كعب (٦) حديث كان إذا نُس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أتستم المنية الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث زيد السلمي مرسل (٧) حديث أبي هريرة أنا النذير والموت المغير والساعة للواعد ابن أبي الدنيا في قصر الأمل وأبو القاسم البغوي استأنف فيه لين .

وقال إبراهيم بن
شيبان علم الفناء
والبقاء يدور على
إخلاص الوجدانية
وصحة العبودية وما
ذات غير هذا
فهو من المبالغة
والزندقية . وسئل
الحراز ما علامة
الفاني ؟ قال علامة من
ادعى الفناء ذهب
حظه من الدنيا
والآخرة إلا من الله
تعالى . وقال أبو سعيد
الحراز : أهل الفناء
في الفناء صحتهم أن
يصحهم علم البقاء
وأهل البقاء في البقاء
صحتهم أن يصحهم
علم الفناء .

واعلم أن أقاويل
الشيوخ في الفناء

وقال ابن عمر « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السعف فقال ما بقي من الدنيا إلا كما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع (٢) » وقال جابر كان رسول الله ﷺ إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومسيكم بشت أنا والساعة كهاتين وقرن بين أصبعيه (٣) » وقال ابن مسعود رضى الله عنه « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - فقال إن النور إذا دخل الصدر اتسع فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة تعرف قال نعم التجافي عن دار الغرور والاناة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله (٤) » وقال السدي - الذي خلق الموت والحياة ليولكم أكرم أحسن عملا - أي أيكم أكثر الموت ذكرا وأحسن له استعدادا وأهدى منه خوفا وحذرا وقال حذيفة ما من صباح ولا مساء إلا ومناد ينادي أيها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى - إنها لإحدى الكبر نذرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يسخر في الموت وقال سحيم مولى بني عجم جلست إلى عامر بن عبد الله وهو يصلي فأوجز في صلاته ثم أقبل عليّ فقال أرحنى بحاجتك فاني أبادر قلت وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال فقلت عنه وقام إلى صلاته ومرواد الطائي فسأله رجل عن حديث فقال دعني إنما أبادر خروج نفسي قال عمر رضى الله عنه التؤدة في كل شيء خير إلا في أعمال الخير للأخرة ، وقال للنذر محبت مالك بن دينار يقول لنفسه وعلمك بادري قبل أن يأتبك الأمر ويحك بادري قبل أن يأتبك الأمر حتى كثر ذلك ستين مرة أصمعه ولا يراني . وكان الحسن يقول في مواعظته للبادرة للبادرة قائما هي الأفاض لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تقرّبون بها إلى الله عز وجل رحم الله امرأ نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه ثم قرأ هذه الآية - إنما نعد لهم عذابا - يعني الأفاض آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر المدد دخولا في قبرك واجتباؤا يوم موسى الأشعري قبل موته اجتباا شديدا فقيل له لو أمسكت أو رقت بنفسك بعض الرفق فقال إن الحيل إذا رحلت تقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها والذي بقي من أجل أقل من ذلك قال فلزم علي ذلك حتى مات ، وكان يقول لا مرأته شدي رحلك فليس علي جهنم معبر وقال بعض الخلفاء على منبره : عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صريح بهم فانتبهوا وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت قدر أظالمكم وترحلوا قد جد بكم وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر للذة وإن غائبا يجد به الجديان الليل والثار لخرى بسرعة الأوبة وإن قادما يهل بالثور أو الشقوت لم تستحق لأفضل العدة فالتقى عند ربه من ناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فإن أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به عينة التوبة ليسوقها ويزين إليه العصية ليرتكبها حتى تهجم منيته عليه أغفل ما يكون عنها وإنه ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا اللوات أن يزل بها فيالها حاسرة على ذي غفلة

والبقاء كثيرة فيمضها إشارة إلى فناء الخالقات وبقاء اللواقط وهذا يقتضيه التوبة النصوح فهو ثابت بوصف التوبة وبعضها يشير إلى زوال الرغبه والحرص والأمل وهذا يقتضيه الزهد وبعضها إشارة إلى فناء الأوصاف المذمومة وبقاء الأوصاف الحمودة وهذا يقتضيه تزكية النفس وبعضها إشارة إلى حقيقة الفناء الطائق وكل هذه الاشارات فيها معنى الفناء من وجه ولكن الفناء المطلق هو ما يستولى من أمر الحق سبحانه وتعالى على العبد فيقلب كون

(١) حديث ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السعف فقال ما بقي من الدنيا إلا مثل ما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه ابن أبي الدنيا في باسناد حسن وللترمذي نحوه من حديث أبي سعيد وحسنه (٢) حديث مثل الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره الحديث ابن أبي الدنيا في من حديث أنس ولا يصح (٣) حديث جابر كان إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه الحديث مسلم وابن أبي الدنيا في قصر الأمل واللفظ له (٤) حديث ابن مسعود تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - فقال إن النور إذا دخل القلب اتسع الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل والحاكم في الاستدرك وقد تقدم .

أن يكون عمره عليه حجة وأن تردبه أيامه إلى شقوة جعلنا الله وإياكم عن لابتطوره نعمة ولا تقصر به عن طاعة الله معصية ولا يجل به بعد لآوت حسرة إنه مبيع الدعاء وأنه يده الخير دائما فالما شاء وقال بعض المفسرين في قوله تعالى - ففتنهم الله - ففتنهم الله قال بالشهوات والآفات وسور يصمم - قال الثوري - فتوربتهم - قال شكسكم - حتى جاء أمر الله - قال اللوت - وغركم بالله الغرور - قال الشيطان - وقال الحسن - تصبروا وتشددوا فأما هي أيام قلائل وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى الرجل منكم فيجب ولا يلتفت فانتدوا بأصالح ما حضرتكم وقال ابن مسعود ما منكم من أحد أصبح إلا وهو ضيف وماله عارية والضيف مر محل والعارية مؤداة وقال أبو عبيدة الباجي : دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات فيه قال مرحبا بكم وأهلحباكم الله بالسلام وأحلنا وإياكم دار للقام هذه علانية حسنة إن صبرتم وصدمت وافتتحت فلا يكن حظكم من هذا الخير رحمكم الله أن تسمعوه بهذه الأذن وتخرجوه من هذه الأذن فإن من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم قد رآه غاديا ورأى محمدا يمشي على القصب على قصبه ولكن رفع له علم فشمه إليه الواح النجا ليعلم ترجون أنتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معا رحم الله عبدا جعل الميث عيشا واحدا فأكل كسرة وليس خافا لوزق بالارض واجه في العبادة ويكي على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك ^(١) . وقال عاصم الأحوال قال في فضيل الرقاشي وأنا سائله بهذا لا يشغلنا كثرة الناس عن نفسك فإن الأمر يخص إليك دونهم ولا تزل أذهب ههنا وههنا فيقطع عنك التهار في لاشئ فإن الأمر محفوظ عليك ولم تر شيئا قط أحسن طلبا ولا أسرع إدراكا من حسنة حديثه لذنب قديم .

(الباب الثالث في سكرات الموت وشدة وما يستحب من الأحوال عند)

اعلم أنه لو لم يكن بين يدي المبدء السكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات لآوت عبدها لكان جدرا بأن يقتصر عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويخارقه سهوه وغفله حقيقة بأن يطول فيه فسكرة ويعظم له استعداده لاسبا وهو في كل نفس يصدده كإفاله بعض الحكماء كرب يدسوا لا تدرى متى يشاك . وقال لقمان لابنه يا بني أمر لا تدرى متى يلقاك استعد له قبل أن يضجأك والعجب أن الانسان لو كان في أعظم لذات وأطيب مجالس الله فانتظر أن يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتسكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو في كل نفس يصد أن يدخل عليه ملك اللوت بسكرات التزع وهو عنه غافل لهذا لهذا سبب الإلجل والغرور . واعلم أن شدة الألم في سكرات اللوت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها ومن لم يذوقها فاعلم يعرفها إن بالقياس إلى الآلام التي أدركها وإنما بالاستدلال بأحوال الناس في التزع على شدة ما هم فيه فأما القياس الذي يشهد له فهو أن كل عضو لأرواح فيه فلا يحس بالألم فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح فهما أصاب المضو جرح أو حرق سرى الأمر إلى الروح فيقدر ما يسرى إلى الروح يتألم وللؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء فلا يصيب الروح إلا بعض الألم فإن كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقى غيره فمأعظم ذلك الألم وما أشده . والتزع عبارة عن مؤلم تزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر في أعماق البدن إلا وقد حل به الألم فلو أصابته شوكة فالألم الذي يجده إنما يجري في جزء من الروح يلاقى ذلك الموضع الذي أصابته الشوكة وإنما يعظم أثر الاحتراق لأن أجزاء النار تنفوس في سائر أجزاء البدن فلا يبقى جزء من المضو المحترق ظاهرا

(١) حديث أبي عبيدة الباجي دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأول وابن حبان في الثقات وأبو نعيم في الحلية من هذا الوجه .

الحق سبحانه وتعالى
على كون العبد وهو
يتقسم إلى فناء ظاهر
وفناء باطن فأما الفناء
الظاهر فهو أن
يتجلى الحق سبحانه
وتعالى بطريق الأنفال
ويسلب عن العبد
اختياره وإرادته فلا
يرى لنفسه ولا غيره
فعلا إلا بالحق ثم
يأخذ في المعاملة
مع الله تعالى بحسبه
حتى سمحت أن بعض
من أقيم في هذا
المقام من الفناء كان
يبقى أياما لا يتناول
الطعام والشراب حتى
يتجرد له فصل
الحق فيه ويبقى
الله تعالى له من

وباطنا لإلوتيمية النار فتحته الأجزاء الروحانية للتفترة في سائر أجزاء اللحم . وأما الجراحة فالحما
تصيب للوضع الذي منه الحد يد . قط فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار فألم التزع بهم على نفس
الروح ويستغرق جميع أجزائه فانه للتزوع المجدوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب
وجزء من الأجزاء ومفصل من المفصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلى القدم فلا تسأل
عن كربته وألمه حتى قالوا إن اللوت لأشد من ضرب بالسيف وكثر بالمنشير وقرض بالمقاريض
لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان للتناول المباشر نفس الروح وانما
يستشيت للضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وانما انقطع صوت البيت وصباحه مع شدة
ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتصادر على قلبه وبلغ كل موضع منه فقد كل قوته وضعف كل جراحة
فلم يترك له قوة الاستغاثة . أما العقل فقد غشيه وغشوه وأما اللسان فقد أبكمه وأما الأطراف فقد
ضعفها ويود أن يود قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت
فيه قوة صمعت له عند زرع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقة ومرددة وقد تغير لونه وارتد
حتى كأنه ظهر منه التراب الذي هو أصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله فألأم منتشر
في داخله وخارجيه حتى ترشح الحدقتان إلى أعالي أجفانه وتنفصل الشفتان وتقلص اللسان إلى أصله
وترتفع الأشتان إلى أعالي موضعهما وتخضر أنامله فلا تلمس عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه
ولو كان المجدوب عرقا واحدا لكان ألمه عظيما فكيف والمجدوب نفس الروح التالفة من عرق واحد
بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا فتراها ولا قدماءه ثم ساقاه ثم خفاه ولكل
عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا
وأهلها ويشق دونه باب التوبة ويحيط به الحسرة والدماة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تقبل
توبة العبد ما لم يضرغ^(١)» وقال مجاهد في قوله تعالى - وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى
إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن - قال إذا جاء الرسل فعند ذلك تبدل وجهه ملك
للوت فلا تسأل عن طعم مرارة اللوت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول «اللهم هون على محمد سكرات اللوت^(٢)» والناس إنما يستعذون منه ولا يستعظمون له لجهلهم به فان
الأشياء قبل وقوعها إنما تدرك بنور النبوة والولا يقولون ذلك عظم خوف الأنبياء عليهم السلام والأولياء من
اللوت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الجوارين ادعوا الله تعالى أن يهون على هذه السكرة يعني اللوت
فقد خفت للوت عناية أوقفني خوفي من اللوت على اللوت . وروى أن نزارا من بني إسرائيل مر وأبغرة
فقال بعضهم لبعض لودعوني الله تعالى أن يخرج لكم من هذه القبرة ميتا تسألونه فدعوا الله تعالى
فأذا هم رجل قد قام وبين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما أردتم مني
لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة اللوت من قلبي وقالت عائشة رضي الله عنها لا أغبط
أحدًا يهون عليه اللوت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أنه
عليه السلام كان يقول «اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقلب والأنامل اللهم فأعني على
اللوت وهوته عني^(٣)» وعن الحسن «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر اللوت وغصته وألمه فقال

يطعمه ويسقيه كيف
شاء وأحب وهذا
لعمري فناء لأنه في
عن نفسه وعن الغير
نظرا إلى فعل الله تعالى
بفناء فعل غير الله
والقضاء الباطن أن
يكشف تارة بالصفات
وتارة بمشاهدة آثار
عظمة الذات فيستولي
على باطنه أمر الحقي
حتى لا يبقى له هاجس
ولا وسواس وليس من
ضرورة النساء أن
يغيب إحساسه وقد
يتفق غيبة الإحساس
لبعض الأشخاص
وليس ذلك من
ضرورة النساء على
الإحلاق وقد سألت
الشيخ أبا محمد بن
عبد الله البصري

(١) حديث إن الله يتقبل توبة العبد ما لم يضرغ الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عمر

(٢) حديث كان يقول اللهم هون على محمد سكرات اللوت تقدم (٣) حديث كان يقول اللهم إنك تأخذ

الروح من بين العصب والقلب والأنامل الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث صعبة

ابن غيلان الجبلي وهو محلل سقط منه الصحابي والتابعي .

هو قدر ثلثائة ضربة بالسيف^(١)». «وسئل صلى الله عليه وسلم عن اللوت وشدة فقال إن أهون اللوت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف^(٢)». «ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال إني أعلم مايلقي مامنه عرق إلا ويألم الموت على حدة^(٣)» وكان على كرم الله وجهه يحض على القتل ويقول إن لم تقتلوا تموتوا والذي قضى يده لألف ضربة بالسيف أهون على من موت على فراش وقال الأوزاعي بلغنا أن الليث يجد ألم اللوت ما يسهل من قبره وقال شداد بن أوس الموت أنقطع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالناشر وقرض بالمقارض وغلى في القدور ولوان الليث نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما اتصفوا بهيش ولا قدوا بنوم. وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يسهلها بعلمه شدد عليه الموت لينبغي سكرات اللوت وكره درجته في الجنة وإذا كان للكافر معروف لم يحز به هون عليه في اللوت ليستكمل ثواب معرفته فيصير إلى النار وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيرا من للرخص كيف تمجدون اللوت فلما مرض قيل له فانت كيف تمجده فقال كان السموات مطبقة على الأرض وكان شئ يخرج من قعب إبرة وقال صلى الله عليه وسلم «موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر^(٤)» وروى عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «لو أن شعرة من شعر الليث وضعت على أهل السموات والأرض لما اتوا بأذن الله تعالى لأن في كل شعرة اللوت ولا يقع للوت بشيء إلا مات^(٥)» وروى «لو أن قطرة من ألم اللوت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت^(٦)» وروى أن إبراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت اللوت يا خليلي قال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال أما إنا قد هونا عليك وروى عن موسى عليه السلام أن لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت اللوت قال وجدت نفسي كالفسفور حين يقلى على القلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير. وروى عنه أنه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلم يد التصاب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم «أنه كان عنده قنح من ماء عند اللوت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على سكرات اللوت^(٧)»

(١) حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر اللوت وغضته وألمه فقال هو قدر ثلثائة ضربة بالسيف ابن أبي الدنيا فيه هكذا مرسلا ورجاله ثقات (٢) حديث سئل عن اللوت وشدة فقال إن أهون اللوت بمنزلة حسكة الحديث ابن أبي الدنيا فيه من رواية شهر بن حوشب مرسلا (٣) حديث دخل على مريض فقال إني أعلم مايلقي مامنه عرق إلا ويألم الموت على حدة ابن أبي الدنيا فيه من حديث سلمان بسند ضعيف ورواه في الأرض والكنايات من رواية عبيد ابن عمير مرسلا مع اختلاف ورجاله ثقات (٤) حديث موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر أحمد من حديث عائشة باسناد صحيح قال وأخذة أسف ولأبي داود من حديث خالد السلي موت الفجأة أخذة أسف (٥) حديث مكحول لو أن شعرة من شعر الليث وضعت على أهل السموات والأرض لما اتوا الحديث ابن أبي الدنيا في اللوت من رواية أبي مسيرة رضعه وفيه لو أن ألم شعرة ، وزاد وإن في يوم القيامة لتسمين هولا أدناها هولا يضاعف على اللوت سبعين ألف ضعف وأبو مسيرة هو عمرو بن شرحبيل والحديث مرسل حسن الاسناد (٦) حديث لو أن قطرة من اللوت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت لم أجده أصلا ولعل الصنف لم يورده حديثا فانه قال وروى (٧) حديث إنه كان عنده قنح من ماء عند اللوت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على سكرات اللوت ، متفق عليه من حديث عائشة .

وقلت له هل يكون
بقاء التخيلات في السر
وجود الوساوس من
الشرك الخفي وكان
عندي أن ذلك من
الشرك الخفي فقال لي
هذا يكون في مقام
الفناء ولم يذكر أنه
هل هو من الشرك
الخفي أم لا ثم ذكر
حكاية مسلم بن يسار
أنه كان في الصلاة
فوقعت أسطوانة في
الجامع فأزعج لهدنها
أهل السوق فدخلوا
للسجد فقرأوه في
الصلاة ولم يحس
بالأسطوانة ووتوعها
فهذا هو الاسترقاق
والفناء باطنا ثم
قد يتسع عاؤه
حتى لعله يكون

وفاطمة رضى الله عنها تقول واكره لكرك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أهلك بعد اليوم^(١) وقال عمر رضى الله عنه لكعب الأحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين إن الموت كنعن كثير اشوك أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة برق ثم جذبته رجل شديدا لجذب فأخذ ما أخذ وأتى ما أتى . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن فاصله ليلم بضحا على بعض يقول عليك السلام تفارقني وأدركك إلى يوم القيامة^(٢) » فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه ، فما حالنا ونحن للتمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلاث . الأولى : شدة الزرع كاذكرناه . الثانية : المشاهدة الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروح والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التي قبض عليها روح العبد للذنب أعظم الرجال قوة لم يبق رويته ، فقد روى عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت هل تستطيع أن تري صورتي التي قبض عليها روح الفاجر ؟ قال لا تطيق ذلك . قال بلى . قال فأعرض عني فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو برجل أسود قدم الشعر من الزرع أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لميب الذار والدخان قضى على إبراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال يا ملك الموت لو لم يبق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه ، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن داود عليه السلام كان رجلا غورا وكان إذا خرج أغلق الأبواب فأغلق ذات يوم وخرج فأنشرفت امرأته فإذا هي برجل في الدار قالت من أدخل هذا الرجل لأن جاء داود ليلتين منه عناه فجاء داود فرآه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهاب للملوك ولا ينزع مني الحجاب فقال فأنت والله إذن ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه^(٣) » وروى أن عيسى عليه السلام مر بمجموعة فضر بها رجله فقال تسلمني بأذن الله قالت يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينما أنا جالس في مجلسي على حاجي وحولي جنودي وحشمي على سريري ملكي إذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي إليه فبالت ما كان من تلك الجموع كان فرقة وبالت ما كان من ذلك الأنس كان وحشة ، فهذه داهية يلقاها العاصاة ويكفاهها للطيعون ، فقد حكى الأنبياء عجز سكرة الزرع دون الروعة التي يدرکہا من يشاهده صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه ليله لتنفس عليه بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحال . وأما للطبع فانه يراه في أحسن صورة وأجملها ، فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام كان رجلا غورا وكان له بيت يتبع فيه فإذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فإذا برجل في جوف البيت فقال من أدخلك داري فقال أدخلنيها ربهما فقال أنا ربهما فقال أدخلنيها من هو أملك بها مني وملك قد من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن تري الصورة التي قبض فيها روح المؤمن ؟ قال نعم فأعرض عني فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يبق المؤمن عند الموت إلا صورتك لكان حسبه ، ومنها مشاهدة الماسكين الحافظين . قال وهيب : بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يترأى له ملكه .

متحققا بالقاء ومعناه
روحا وقلبا ولا يشيب
عن كل ما يجري عليه
من قول وفعل ويكون
من أقسام القناء أن
يكون في كل فصل
وقول مرجعه إلى الله
وينظر الإذن في
كليات أموره ليسكون
في الأشياء بالله لا بنفسه
فتارك الاختيار منظر
للسعمل الحق فان
وصاحب الانتظار لإذن
الحق في كليات أموره
راجع إلى الله يباطنه
في جزئياتها فان و
ملكه الله تعالى اختياره
وطلفه في التصرف
يختار كيف شاء
وأراد لا منتظرا للقول
ولا منتظرا الإذن
هو باقي الباقي في مقام

(١) حديث ابن فاطمة قالت واكره لكرك يا أبت الحديث البخاري . من حديث أنس بلفظ
وا كرب أبتاه وفي رواية لابن خزيمة واكره (٢) حديث إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات
الموت وإن فاصله ليلم بضحا على بعض الحديث رويناه في الأربعين لأبي هدية إبراهيم بن هدية
عن أنس وأبو هدية هالك (٣) حديث أبي هريرة إن داود كان رجلا غورا الحديث أحمد بإسناد
جيد نحوه وابن أبي الدنيا في كتاب الموت بلفظه .

الساكنين عمله لأن كان مطيعا قال له جزاك الله عنا خيرا فربّ مجلس صدق أجلسنا وعمل صالح أحضرنا ، وإن كان فاجرا قال له لا جزاك الله عنا خيرا فربّ مجلس سوء أجلسنا وعمل غير صالح أحضرنا وكلام قبيح أصمتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخص بصر الليث إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبدا . الداهية الثالثة : مشاهدة الصلاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل الشهادة فانهي حال السكرات قد تخالفت قوام واستسلمت للخروج أرواحهم ولن تخرج أرواحهم بالمسموعة ملك للوت بأحد البشريين إما أشر يا عدو الله بالنار أو أشر يا ولي الله بالجنة ، ومن هذا كان خوف أرباب الألباب ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحق يرى مقعده من الجنة أو النار» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من أحب لقاء الله أحب لقاء الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه فقالوا كلنا نكره اللوت قال ليس ذلك بذلك إن المؤمن إذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب لقاء الله لقاءه» (٢) وروى أن حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو لما به من آخر الليل قم فانظري ساعة هي قيام ابن مسعود ثم جاءه فقال قد طلت الحرام فقال حذيفة أعوذ بالله من صباح إلى النار ، ودخل مروان على أبي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال أبو هريرة اللهم اشد ثم بكى أبو هريرة وقال والله ما أبكي حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن أنتظر إحدى البشريين من ربي بجنة أم نار ، وروى في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إنا الله إذا رضى عن عبد قال يملك اللوت اذهب إلى فلان فأتني بروحه لأرهبه حسبي من محله . بولته فوجدته حيث أحب فينزل ملك اللوت ومعه خمالة من الملائكة ومعهم قضبان الرمحان وأصول العزفران كل واحد منهم يبشره بشارته سوى بشارته صاحبه وتقوم للملائكة صفين لخروج روحه معهم الرمحان فإذا نظر إليهم إليهم وضع يده على رأسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده مالك يا سيدنا فيقول أماترون ما أعطى هذا العبد من السكامة أين كنتم من هذا الواقعه جندنا به فسكان معصوما» (٣) وقال الحسن لأراحه للؤمن إلى لقاء الله ومن كانت راحته لقاء الله تعالى فوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه ، وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة إلى الحسن فلا دمل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه إليه ثم قال يا إخوتاه الساعة والله أفارقكم إلى النار أو إلى الجنة ، وقال محمد بن واسع عند الموت يا إخوتاه عليكم السلام إلى النار أو فوا الله وتخي بعضهم أن يبقى في الترع أبدا ولا يموت ثواب ولا عقاب . غلوف سوء الحاتمة قطع

(١) حديث لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحق يرى مقعده من الجنة أو النار ابن أبي الدنيا في الموت من رواية رجل لم يسم على موقوفا لا يخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره إلى الجنة أم إلى النار وفي رواية حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ما ينفذ ذلك إن المؤمن إذا حضر الموت يقر برضوان الله وكرامته وإن الكافر إذا حضر يشرب بذياب الله وغو يته الحديث (٢) حديث من أحب لقاء الله أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله كره لقاء الله الحديث متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت (٣) حديث إن الله إذا رضى عن عبد قال يملك الموت اذهب إلى فلان فأتني بروحه لأرهبه حسبي من محله . بولته فوجدته حيث أحب فينزل ملك اللوت ومعه خمالة من الملائكة ومعهم قضبان الرمحان وأصول العزفران كل واحد منهم يبشره بشارته سوى بشارته صاحبه وتقوم للملائكة صفين لخروج روحه معهم الرمحان فإذا نظر إليهم إليهم وضع يده على رأسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده مالك يا سيدنا فيقول أماترون ما أعطى هذا العبد من السكامة أين كنتم من هذا الواقعه جندنا به فسكان معصوما» (٣) وقال الحسن لأراحه للؤمن إلى لقاء الله ومن كانت راحته لقاء الله تعالى فوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه ، وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة إلى الحسن فلا دمل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه إليه ثم قال يا إخوتاه الساعة والله وأفارقكم إلى النار أو إلى الجنة ، وقال محمد بن واسع عند الموت يا إخوتاه عليكم السلام إلى النار أو فوا الله وتخي بعضهم أن يبقى في الترع أبدا ولا يموت ثواب ولا عقاب . غلوف سوء الحاتمة قطع

لا يحميه الحق . عن الخلق ولا الخلق عن الخلق والثاني محبوب بالحق عن الخلق والقضاء الظاهر لأرباب القلوب والأحوال والقضاء الباطن لمن أطلق عن الأحوال وصار بالله لا بالأحوال وخرج من القلب صار مع مقبله لابع قلبه . [الباب الثاني في الستون في شرح كتاب مشيرة إلى بعض الأحوال في اصطلاح الصوفية] أخبرنا الشيخ الفقه أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن سليمان إجازة قال أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو الحسن

قلوب العارفين وهو من الدواهي العظيمة عند اللوت وقد ذكرنا معنى سوء الحاشية وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لا تائق بهذا الوضع ، ولكننا لا نطول بذكره وإعادته .

(بيان ما يستحب من أحوال المختصر عند اللوت)

اعلم أن الم محبوب عند اللوت من صورة المختصر هو الهدوء والسكون ومن لسانه أن يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى . أما الصورة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه ودمعت عيناه وبيست شفتاه فهو من رحمة الله قد زلت به وإذا غط غطيته المنيق وأحمر لونه وأربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد زل به (١) » وأما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة الخير قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله (٢) » وفي رواية حذيفة « فاتها تهدي مقابله من الخطايا (٣) » وقال عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة (٤) » وقال عبيد الله وهو يشهد وقال عثمان إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله فإنه من عبد يحتمل بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة . وقال عمر رضي الله عنه : احتضر وموتاكم وكذروكم فاتهم يرون ما لا ترون ولقنوم لا إله إلا الله . وقال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا فتركه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكته يقول لا إله إلا الله فغفر له بكلمة الاخلاص (٥) » وينبغي للمتقين أن لا يبلغ طرف اللتين ولكن يتلطف فربما لا ينطق لسان المريض فيشقى عليه ذلك ويؤدي إلى استغفاله التلقين وكرهيته للكلمة وغنى أن يكون ذلك سبب سوء الحاشية ، وإنما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس في قلبه شيء غير الله فإذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وإن كان القلب مشغولا بالدينا ملتفتا إليها متأمرا على لذاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطق القلب على تحقيقها وقع الأمر في خط المشيئة فإن مجرد حركة اللسان قليل الجدوى إلا أن بفضل الله تعالى بالقبول . وأما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الأخبار بفضل حسن الظن بالله ، دخل واثلة بن الأسقع على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله قال أغرتني ذنوب لي وأشرفت على هلكة ولكني أرجو رحمة ربي فكبر واثلة وكبر أهل البيت بتكبيره ونال الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء (٦) » ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال : كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا

الأصفياء قال ثناء
ابن إبراهيم قال ثناء
أبو مسلم الكشي قال
ثناء مسور بن عيسى
قال ثناء القاسم بن
يحيى قال ثناء ياسين
الزيات عن أبي الزبير
عن جابر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال
« إن من معادن
التقوى تسلك إلى
ما قد علمت علم مالم
تسلم والتقص فيما
علمت قلة الزيادة فيه
وإتعا زهد الرجل في
علم مالم يعلم قلة الاستغفار
بما قد علمه فشاخ
الصوفية أحكموا أساس
التقوى وتعلموا العلم
لله تعالى وعملوا بما
علموا لموضع ترواح
فصلهم الله تعالى مالم

(١) حديث ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه وذرفت عيناه الحديث الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث سلمان ولا يصح (٢) حديث لقنوا موتاكم لا إله إلا الله تقدم (٣) حديث حذيفة فاتها تهدي مقابله تقدم (٤) حديث من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة تقدم . (٥) حديث أبي هريرة حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب المختصرين والطبراني والبيهقي في الشعب وإسناده جيد إلا أن في رواية البيهقي رجلا لم يسم وصفي في رواية الطبراني إسحق بن يحيى بن طامعة وهو ضعيف (٦) حديث دخل واثلة ابن الأسقع على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله وفيه يقول الله أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ابن حبان بالرفع منه وقد تقدم وأحمد والبيهقي في الشعب به جميعا .

الوطن إلا أعطاه الله الذي يرجو وأمنه من الذي يحف (١) هو: لما ثبت البنات كان شاباً محدداً وكان له أم تعظه كثيراً وتقول له يا بني إن لك يوماً فاذكر يومك فلما نزل به أمر الله تعالى أكتب عليه أمه وجمعت تقول له يا بني قد كنت أذكرك مصرعك هذا وأقول إن لك يوماً فقال يا أمه إن لي رباً كبيراً للمروف وإني لأرجو أن لا يعدمني اليوم بعض معروفه ، قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بربه . وقال جابر بن وداعة كان شاب به رهبى فاحتضر فقالت له أمه يا بني توصي بشي فقال نعم خاتمي لاسلبيني فإن فيه ذكر الله تعالى ففعل الله برحمتي فلما دفن رؤى في المنام فقال أخبروا أمي أن السكينة قد نمتني وأن الله قد غفر لي . ومريض أعرابي فقيل له إنك مت فقال يا بني يذهب في قالوا إلى الله قال لها كراهتي أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه . وقال أبو العثرين سأل ابن عباس عن امرأة ماتت عن زوجها قال يا بني ما كان الله عز وجل وأحسن الظن به وكانوا يستحبون أن يذكروا كعباً عن حسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه (بيان الحسرة عند لقاء ملك اللوت بمحادثات يعرب لسان الحال عنها)

قال أشعث بن أسلم سألت إبراهيم عليه السلام ملك اللوت واسمه عزرائيل وله عينان عيون في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك اللوت ما صنعت إذا كان نفس بالشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع ؟ قال أدعو الأرواح باذن الله فتكون بين أصبعي هاتين وقال قد حدثت به الأرض فتكرت مثل الطلث بين يديه يتناول منها ما يشاء قال وهو يبشره بأنه خليل الله عز وجل . وقال سليمان بن داود عليهما السلام الملك اللوت عليه السلام مالي لأراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا قال ما أنا بذلك بأعلم منك إنما هي محف أو كتب تلقى إلى فيها أسماء ، وقال يوهب بن منبجة كان ملكاً من الملوك أراد أن يركب إلى الأرض فقام شباباً ليس بها فلم تصبها فطلب غيرها حتى ليس ما أعجبه بعد ، رات وكذلك طلب دابة فأتى بها فلم تصبها حتى أتى بدواب فركب أحسنها فبعاه بليس فنفخ في منخره نفخة ففلاؤه كبراً ثم سار وسارتمه الجحود وهو لا ينظر إلى الناس كبراء فباعه رجل من الهبة فلم يدر عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد صابحت أمراً عظيماً قال إن لي إليك حاجة قال اصبر حتى أزل قال لا الآن فقهروه على بلجام دابته فقال أذكرها قال هو سر فأدنى لمرأسه فسارده وقال أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى أرجع إلى أهلي وأقضي حاجتي وأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك وتلك أبداً فقبض روحه فخر كأنه خشية ثم مضى فلقى عبداً ، ومنا في تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لي إليك حاجة أذكرها في أذنك فقال له فاهات فسارده وقال أنا ملك الموت فقال أهلاً ومرحباً بمن طالت غيبته على فو الله ما كان في الأرض غالب أحب إلى أن ألقاه منك فقال ملك الموت أقتض حاجتك التي خرجت لها فقال مالي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى قال فاختر على أي حال شئت أن أقبض روحك فقال تعذر على ذلك قال نعم إن أمرت بذلك قال فدعني حتى أنوضأ وأصل ثم أقبض روحي وأنا ساجد قبض روحه وهو ساجد . وقال أبو بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني إسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبيته أروني أصناف أموال فأبى بشي كثيراً من الخيل والابل والرقيق وغيره فلما نظر إليه بكى تحسراً عليه فرأه ملك الموت وهو يبكي فقال له ما يبكيك فوالله خولك ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى أفرة قال فهبات اقتطعت عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور أبلك قبض روحه . وروى أن رجلاً جاعاً بالافاوعى ولم يدع صنفاً من المال إلا اتخذ وابتي قصراً وجعل عليه بايين وثيقين وجمع عليه حرساً من غلمانهم جمع أهلهم وصنع لهم طعاماً وقبض على سريره ورفع إحدى رجله على الأخرى وهم يأكلون (١) حديث دخل على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك فقال أروا فو الله وأخاف ذنوبي الحديث تهم.

يعلموا من غرائب العلوم ودقيق الاشارات واستنبطوا من كلام الله تعالى غرائب العلوم وعجائب الأسرار وترسخ قدهم في العلم قال ابو سعيد الخزاز أول الفهم لكلام الله العمل به لأن فيه العلم والفهم والاستنباط وأول الفهم لقاء السمع والمساهمة لقوله تعالى - إن في ذلك لآية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . وقال أبو بكر الواسطي الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب وفي سر السر ففرهم ما عرفهم وأراد منهم من مقتضى الآيات

لما فرغوا ، قال يانس انمعي لسنين قد جمعت لك مايكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل إليه ملك اللوت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب وفي عنقه حذاة يتشبه بالساكنين قعرع الباب بشدة عظيمة فرما أفزعوه وهو على فراشه فوثب إليه الضلعان وقالوا ماشأناك فقال ادعوا إلى مولانا كم فقالوا وإلى مثلك يخرج مولانا قال نعم فأخبروه بذلك فقال هلا فسلم به وفسلم قعرع الباب قرعة أشد من الأولى فوثب إليه الحرس فقال أخبروه أني ملك اللوت فلما سمعوه أتى عليهم العرب ووقع على مولاهم الدل والتخضع فقال قولوا له قولنا لنا وقولوا هل تأخذ به أحدا فدخل عليه وقال اصنع في مالك ما أنت صانع فاني لست بخارج منها حتى أخرج روحك فأمر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال أنت شغلتي عن عبادة ربي ومنتبهي أن اتخلى لربي فأطلق الله المال فقال لم تسبني وقد كنت تدخل على السلاطين بي ورد التقي عن باهم وكنت تنسك للتنعمات بي ونجاس مجالس اللوك بي وتنفق في سبيل الثمر فلا أمتنع منك ولو اتفقت في سبيل الخير نعمتك خلقت وابن آدم من تراب لم تطلق يري ومنطلق بأثم ثم قبض ملك اللوت روحه فسقط.

وقال وهب بن منبه قبض ملك اللوت روح جبار من الجبارين في الأرض مثله ثم عرج إلى السماء فقالت لللائكة لمن كنت أشد رحمة بمن قبضت روحه قال أمرت قبض نفس امرأة في فلاة من الأرض فأثبتها وقد ولدت مولودا فرحبها لفرحتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا تمتد له بها فقالت لللائكة الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك الولود الذي رحمت فقال ملك اللوت سبحان الاطيف لما يشاء قال عطاء بن يسار إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك اللوت صحيفة فيل أقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة قال فان العبد ليرس القراس وينسك الأرواح ويؤتي البنيان وإن اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري . وقال الحسن مامن يوم إلا وملك اللوت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجد منه قد استوفى رزقه واغنى أجله قبض روحه فإذا قبض روحه أقبل أهله بنة وبكاء فيأخذ ملك اللوت بمضادتي الباب فيقول والله أنا كنت له رزقا ولا أنيت له عمرا ولا انتقصت له أجلا وإن لي فيكم لعودة بعد عودة حتى لا أبقي منكم أحدا قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلاما لهدلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم وقال يزيد الرقاشي بينا جبار من الجبابرة من بني اسرائيل جالس في منزله قد خلا بعض أهله إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب بيته فتار إليه فرقا فغضا فقال له من أنت ومن أدخلك على دارى فقال أما الذي أدخلني الدار فربها وأما أنا فالذي لا يمنع مني الحجاب ولا أستأذن على اللوك ولا أخاف مولاة للتسلطين ولا ينتع مني كل جبار عنيد ولا شيطان مريد قال فسقط في يد الجبار وارعد حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع رأسه إليه مستجديا متذلا له فقال له أنت إذن ملك اللوت قال أنا هو قال فأنطقوا به لا ينكره إلا أهل الأمرة بالله . أخبرنا أبو زرعة قال

مالم يرد من غيرهم
وخاضوا بحر الصلح
بالفهم لطلب الزادات
فانكشف لهم من
مدخور الحزن ان
والخسرون تحت كل
حرف وآية من الفهم
وهجائب النص
فاستخرجوا الدرر
والجوهر ونطقوا
بالحكمة . وقد ورد
في الخبر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فيا رواه سفيان بن
عيينة عن ابن جريج
عن عطاء عن أبي
هريرة أنه قال لمن
العلم كهشة المسكون
لا يلهه إلا العلماء بالله
فاذا انطقوا به لا ينكره
إلا أهل الأمرة بالله .
أخبرنا أبو زرعة قال

(الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده)
(وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

اعلم أن في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة حيا وميتا وفلاوقولا وجميع أحواله عبرة للناظرين وبصرة للتبصرين إذ لم يكن أحد أكرم على الله منه إذ كان خليل الله وحيه ونبيه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته وهل أخره لحظة بعد حضور منيته لا بل أرسل إليه الملائكة الكرام للوكيلين بقبض أرواح الأتام فجذبوا روحه تركبة الكربة لينقلوها وما لجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر إلى رحمة ورضوان وخيرات حسن بل إلى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في التزع كربه وظهر أثره وتراصف قلقه وارفع حزينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط فخاله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره واتحب لشدة حاله من شاهد منظره فهل رأيت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا وهل راقب الملائكة في أهلا وعشيرا وهل سامعه إذ كان لالحق نصيرا بالخلق بشيرا أو نذيرا هيات بل امتثل ما كان به مأمورا واتبع ما وجد في الوحي مسطورا فها كان ساله وهو عند الله ذو القام المحمود والحوض اللورود وهو أول من تشق عنه الأرض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض فالمجب أنا لانعتبر به واسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن أسراء الشهوات وقرباء المعاصي والسبيات فلما بالنا لانتظ بمصرع محمد سيد المرسلين وإمام المؤمنين وحبيب رب العالمين لعلنا نلظن أننا علهدون أو توتوم أنامع سوء أفضالنا عند الله مكرمون هيات هيات بل تيقن أنا جميعا على النار واردون ثم لانبجو منها إلا التيقن فنحن للورد مستيقنون وللمسدور عنها متوهمون لا بل ظننا أنفسنا إن كنا كذلك لئالب الظن منتظرين لما نحن واقه من التيقن وقد قال الله رب العالمين - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم تجزى الدين انقوا ونذر الظالمين فيها جثيا - فلينظر كل عبد إلى نفسه انه إلى الظالمين أقرب أم إلى المتقين فانظر إلى نفسك بعد أن تنظر إلى سيرة السلف الصالحين فاقد كانوا مع ما وقعوا له من الحالفين ثم انظر إلى سيد المرسلين فانه كان من أمهم على يقين إذ كان سيد النبيين وقائد المؤمنين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد أمره عند الانقلاب إلى جنة المأوى قال ابن مسعود رضي الله عنه «دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق فنظر إلينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آتاكم الله نصركم الله وأوصيكم بقوى الله وأوصى بكم الله إلى لكم منه نذير مبين ألا تعلموا على الله في بلاده وعباده وقد دنا الأجل والمنقلب إلى الله وإلى سدره المنتهى وإلى جنة المأوى وإلى السكاس الأوفى فاتروا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم جدي مني السلام ورحمة الله ^(١)». وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته «من لأمي بدي

(الباب الرابع في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم)

(١) حديث ابن مسعود دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أمنا عائشة حين دنا الفراق الحديث رواه البزار وقال هذا الكلام قد روى عن مرة عن عبد الله من غير وجهه وأسانيدها متفرقة قال وعبد الرحمن الأنصاري لم يسمع هذا من مرة وإنما هو عن أخبره عن مرة وقال ولا أعلم أحدا رواه عن عبد الله غير مرة . قلت وقد روى من غير ما رواه ابن سعد في الطبقات من رواية ابن عوف عن ابن مسعود ورويناه في مشيخة القاضي أبي بكر الأنصاري من رواية الحسن العربي عن ابن مسعود ولكنهما منقطعان وضعيفان والحسن العربي أعابرويه عن مرة كالأرواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الأوسط .

أنا أبو بكر بن خاف
قال ثنا أبو عبد الرحمن
قال سمعت النضر اباضي
يقول سمعت ابن عائشة
يقول سمعت القرشي
يقول هي أسرار الله تعالى
ييدها إلى أمنا وأبائه
وبادات النبلاء من
غير معاص ولا دراسة
وهي من الأسرار التي
لم يطلع عليها إلا
الخواص . وقال
أبو سعيد الخزاز
للعارفين خزائن
أودعها علوما غريبة
وأبناء عجيبة يتكلمون
فيها بلسان الأبدية
ويخبرون عنها بعبارة
الأزلية وهي من العلم
المجهول فقلوه بلسان
الأبدية بعبارة الأزلية
إشارة إلى أنهم بالله

أن تحسنوا إليهم ألم يخطر بكم النصار لم يوسعوا عليكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم ولم يخصوا
ألا فمن ولي أن يحكم بين رجائين فيقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تتأثروا عليهم
ألا وإن فرط لكم وأنتم لاحقون في ألا وإن موعدكم الخوض حوضي أعرض عما بين يديكم من الشام
وصنعاء الجن يسب فيه ميزاب السكوتر ماء أشد يابسا من اللبن وألين من الزبد وأعلى من الشهد
من شرب منه لم يظما أبدا حسبه الأولو وبطحاؤه للسك من حرمة في الوقف عاحدا لم يخبرك
ألا فمن أحب أن يرد علي غدا فليكنف لسانه ويده إلا بما يبينني فقال العباس ياني الله أوص بقرش
فقال إنما أوصي بهذا الأمر قرشا والناس تبع لقرش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا
آل قريش بالناس خيرا يا أيها الناس إن القنوب تغير النعم وتبدل القسم فإذا بر الناس برهم أنهم
وإذا فجر الناس عقوم قال الله تعالى - وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون- (١)
وروى ابن مسعود رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يكرهن الله عندهن إلا بأكبر
فقال يارسول الله دنا الأجل فقال قد دنا الأجل وتدلى فقال لهنك ياني الله ما عند الله فليت شعري
عن منقلبا فقال إلى الله وإلى سدة التنهي ثم إلى جنة اللاوى والفردوس الأعلى والكأس الأولى
والرفيق الأعلى والحظ والعيش الهنا فقال ياني الله من يلى غسلك قال رجال من أهل بيت الأدي فالأدي
قل فقيم نكفك ؟ فقال في ثاني هذه وفي حلة مجانية وفي يابض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا
وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا إذا غسلكموني وكفتموني فضعوني
على سريري في يني هذا على شفيع قبري ثم أخرجوا عن ساعة فإن أول من يصلي على الله عز وجل هو
الذي يصلي عليكم وملائكته - ثم يأذن للملائكة في الصلاة على فأول من يدخل على من خاق الله
ويصلي على جبريل ثم ميكايل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم للملائكة بأجمعها صلى
الله عليهم أجمعين ثم أتم فادخلوا على أفواجا فصولا على أفواجا زمرة زمرة وسفواتا وناوذا
بزيك ولا صيحة ولا رنة وليدأ منكم الإمام وأهل بيت الأدي فالأدي ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان
قال فمن يدخل القبر ؟ قال زمر من أهل بيت الأدي فالأدي مع ملائكة كثيرة لاترونها وهم يرونكم
قوموا فأدوا عنى إلى من يهدى (٢) « وقال عبد الله بن زمره جاء بلال في أول شهر ربيع الأول فآذن
بالصلاة فقال رسول الله ﷺ « مروا أب بكر يصلي بالناس فخرجت فلم أر بحضرة الباب إلا عمر
رجال ليس فهم أبو بكر فقلت ثم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير فقال أين أبو بكر بأني الله ذلك وللسمون قائل ثلاث
مرات مروا أب بكر فاصل بالناس فقالت عائشة رضي الله عنها يارسول الله إن أب بكر رجل رقيق
القلب إذا قام في مقامك عليه البكاء فقال إنكن صواحبات يوسف مروا أب بكر فصيل بالناس

(١) حديث سعد بن عبد الله عن أبيه قال لما رأيت الأنصار رسوك الله صلى الله عليه وسلم
يزداد ثقالا أطافوا بالمسجد فدخل العباس فأعلاه بكاهم وإشفاقهم فذكر الحديث في خروجه متوكئا
معصوب الرأس يخط رجله حتى جلس على أسفل مرقاة من اللبن فذكر خطبته بطولها هو حديث
مرسل ضعيف وفيه نكارة ولم أجد له أصلا وأبو عبد الله بن ضرار بن الأزور تابعي. روى عن
ابن مسعود قال أبو حاتم وفيه أنه سعيد ليس بالقوى (٢) حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا يلى بكر سل يا أب بكر فقال يارسول الله دنا الأجل فقال قد دنا الأجل الحديث في
سؤالهم له من يلى غسلك وفيهم نكفك وكيفية الصلاة عليه رواه ابن سعد في الطبقات عن محمد
ابن عمر وهو الواقدي بأسناد ضعيف إلى ابن عوف عن ابن مسعود وهو مرسل ضعيف كالتقدم.

فرع فكل جمع
بلا تفرقة زندقة
وكل خفوة بلا جمع
تعطيل . وقال الجنيد
القرب بالوجد جمع
وغيبته في البشرية
تفرقة وقيل جمعهم في
للمعرفة وفرقتهم في
الأحوال والجمع اتصال
لا يشاهد صاحبه إلا
الحق في شاهد غيره
فما جمع والتفرقة تشهد
لن شاء بالمباينة
وعباراتهم في ذلك
كثيرة والمقصود أنهم
أشاروا بالجمع إلى
تجريد التوحيد
وأشاروا بالتفرقة إلى
الاكتساب فكل هذا
لا يجمع إلا بتفرقة
ويقولون فلان في عين
الجمع ينون استيلاء

قال فضلى أبو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر فكان عمر يقول لعبد الله بن زمة بعد ذلك وحك ماذا صنعت بي والله لو لا أتى ظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك ماقلت فيقول عبد الله إنى لم أر أحدا أولى بذلك منك قالت عائشة رضى الله عنها وما قلت ذلك ولا صرفته عن أبي بكر إلا لرغبة به عن الدنيا ولما في الولاية من الله طرة والله سكة إلا من سلم الله وخشيت أيضا أن لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي أبدا إلا أن يشاء الله فيجسدونه ويغفون عليه ويتشاءون به فأذن الأمر أمر الله والقضاء قضاءه وعصمه الله من كل ما تخوف عليه من أمر الدنيا والدين (١) وقالت عائشة رضى الله عنها فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة في أول النهار فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحواسيهم مستبشرين وأخاوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثاء فبينما نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أخرجني عن هذا الملك يستأذن على » فخرج من في البيت غيى ورأسه في حجرى « فجلس وتعبت في جانب البيت فاجى الملك طويلا ثم إنه دعاني فأعاد رأسى في حجرى وقال للنسوة ادخلن فقلت ماهذا بحس جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجل يا عائشة هذا ملك اللوت جاءنى فقال إن الله عز وجل أرسلنى وأمرنى أن لا أدخل عليك إلا بأذن فان لم تأذن لى أرجع وإن أذنت لى دخلت وأمرنى أن لا أقيض حتى تأمرنى فهاذا أمرك فقلت أكف عني حتى يأتيئى جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل قالت عائشة رضى الله عنها فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجئنا وكأنا ضربنا بصاحبة ماخير إليه عينا ومايتسكلم أحد من أهل البيت إعظاما لذلك الأمر وهيبة ملأت أجوافنا قالت وجاء جبريل في ساعته فلم فرصت خسه خرج أهل البيت فدخل فقال إن الله عز وجل قرأ عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو أعلم بالذى تجد منك ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تسكون سنة في أمتك فقال أجدنى وجعا فقال أجزى الله تعالى أراد أن يملكك ما عدلك فقال بجبريل إن ملكك للوت استأذن على وأخبره الخبر فقال جبريل يا محمد إن ربك إليك مشتاق ألم يملك الذى يريدك لا والله ما استأذن ملك اللوت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا إلا أن ربك يمت شرفك وهو إليك مشتاق قال فذبح إذن حتى يحىء وأذن للنساء فقال ياقاطمة ادنى فأكبت عليه فاجاها فرغست رأسها وعباها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال أدنى منى رأسك فأكبت عايه فاجاها فرغست رأسها وهى تضحك وما تطيق الكلام فكان الذى رأينا منها عجبا فسألها بعد ذلك قالت أخبرنى وقال لى ميت اليوم فبكيت ثم قال لى دعوت الله أن يملكك بى في أول أهلى وأن يجلاى معى فضحكت وأدنت ابنيها منه فشعما قالت وجاء ملك اللوت فسلم واستأذن فأذن له فقال لك ما تأمرنا يا محمد فقال ألحقنى برى الآن فقال بلى من يومك هذا أما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد عن أحد ترده عنك

مرأية الحق على باطنه
فإذا عاد إلى شيء من
أعماله عاد إلى التفرقة
فصحة الجسد بالتفرقة
وحمة التفرقة بالجمع
فهذا يرجع حاصه
إلى أن الجمع من العلم
بالله والتفرقة من العلم
بأمر الله ولا بد منهما
جميعا قال للزمن
الجمع عين الفناء بالله
والتفرقة البسودية
متصل بعضها ببعض
وقد غلط قوم وادعوا
أهم في صين الجمع
وأشاروا إلى صرف
التوحيد وعطوا
الاكتساب فتردقوا
وإنما الجمع حكم الروح
والتفرقة حكم القالب
وما دلم هذا التركيب
باقيا فلا بد من الجمع

(١) حديث عبد الله بن زمة جاء بلاء في أول ربيع الأول فأذن بالصلاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر فليصل بالناس فخرجت فلم أر بمضرة الباب إلا عمر في رجال ليس بينهم أبو بكر الحديث أبو داود بإسناد جيد نحوه مختصرا دون قوله فقالت عائشة إن أبا بكر رجل رقيق إلى آخره ولم يقل في أول ربيع الأول وقال مروا من يصلى بالناس وقال يابى الله ذلك وللمؤمنون ربتين في رواية له فقال لا لا لا يصل للناس ابن أبي قحافة يقول ذلك مضطبا وأما ما في آخره من قول عائشة في الصحيحين من حديثها فقالت عائشة يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لمسمع الناس من البكاء فقال إنك نكس صواحبك يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس

ولم يبق عن الدخول على أحد إلا باذن غيرك ولكن ساعدك أمانك وخرج ولت وجاء جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما نزل فيه إلى الأرض أبدأطوى الوحي وطوى الدنيا وما كان لي في الأرض حاجة غيرك ومالي فيها حاجة إلا حضورك ثم لزوم موقي لا والله يثب محمد بالحق مافي البيت أحد يستطيع أن يغير إليه في ذلك كلة ولا يثبت إلى أحد من رجاله لعظم ما يسع من حديثه ووجدنا وإشفاقنا قلت قدمت إلى النبي ﷺ حتى أصنع رأسه بين يدي وأمسكت بصدروه وجل يرضي عليه حتى يلقب وجهه ترشح رشحاً ما رأيت من إنسان قط فجعلت أسأت ذلك العرق وما وجدت راحة شيء أطيب منه فكنت أقول له إذا أفاق بأني أنت وأمي وقسي وأهلي ماتلقى جبهتك من الرشح فقال يا عائشة إن قس المؤمن تخرج بالرشح وقس الكافر تخرج من شديقه كنفس الحمار فتند ذلك ارمنا وبشنا إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهد أخى يشه إلى أبي ثبات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يحيى أحد وإنما صدم الله عنه لأنه ولاء جبريل وميكائيل وجعل إذا أغشى عليه قال بل الرقيق الأمل كان الحيرة تمام عليه فإذا أطاق الكلام قال الصلاة الصلاة إنكم لا تزالون متماكين ماصليتم جميعاً الصلاة الصلاة كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة (١) قالت عائشة رضي الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى واتصاف النهار يوم الاثنين (٢) قالت فاطمة رضي الله عنها ما قبلت من يوم الاثنين والله لا تزال الأمة تصاب فيه بظجمة (٣) حديث عائشة لما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة في أول النهار فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائحهم مستبشرين وأخاوار رسول الله ﷺ بالنساء فبينما نحن على ذلك لم يكن على مثل حالنا في الرجاء والقرح بل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجن عنى هذا الملك يستأذن على الحديث يطوله في يحيى ملك الموت ثم فعاه ثم يحيى جبريل ثم يحيى ملك الموت ووفاء صلى الله عليه وسلم الطبراني في الكبير من حديث جابر وابن عباس مع اختلاف في حديث طول فيه فلما كان يوم الاثنين اشتد الأمر وأوحى الله إلى ملك الموت أن اهبط إلى حبيبي وصفي محمد صلى الله عليه وسلم في أحسن صورة وافرقة به في قبض روحه وفيه دخول ملك الموت واستئذانه في قبضه فقال يا ملك الموت أين خلفت حبيبي جبريل قال خلفته في سماء الدنيا وللا ملكة يزونه فيك لما كان بأسرع أن أتاه جبريل فقم عند رأسه وذكر بشارة جبريل له بما أعد الله له وفيه أذن بملك الموت فأتته إلى ما أمرت به الحديث وفيه فدنأ ملك الموت بعالج قبض روح النبي صلى الله عليه وسلم وذكر كربه لذلك إلى أن قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث طويل في ورقتين كبير وهو منكر وفيه عبد الله بن إدريس ابن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه قال أحمد كان يكذب على وهب بن منبه وأبوه إدريس أيضاً متروك قاله الدارقطني ورواه الطبراني أيضاً من حديث الحسين بن علي أن جبريل جاءه وألقاه له عن ربه كيف تمجد ثم جاءه جبريل اليوم الثالث ومعه ملك الموت وملك الهواء إسماعيل وأن جبريل دخل أولافسه ثم استأذن ملك الموت وقوله امض لما أمرت به وهو منكر أيضاً وفيه عبد الله بن ميمون القديح قال البخاري دأب الحديث ورواه أيضاً من حديث ابن عباس في يحيى ملك الموت أولاً واستئذانه قوله إن ربك يقرئك السلام فقال أين جبريل فقال هو قريب مني الآن يأتي فخرج ملك الموت حتى نزل عليه جبريل الحديث وفيه المختار بن نافع منكر الحديث. (٢) حديث عائشة مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى واتصاف النهار يوم الاثنين رواه ابن عبد البر.

والنفسرة . وقال
الواسطي إذا نظرت
إلى نفسك فرقت وإذا
نظرت إلى ربك
جمعت وإذا كنت
قائماً بشرك فأنت فان
بلا جمع ولا نفرة .
وقيل جمعهم بذاته
وفرهم في صفاته وقد
يريدون الجمع والتفرقة
أنه إذا أثبت لنفسه
حسباً ونظراً إلى
أعماله فهو في التفرقة
وإذا أثبت الأشياء
الحق فهو في الجمع
ومجموع الاشارات
بنبي أن الكون يفرق
ولكون يجمع فجمع
أفرد المكون جمع
ومن نظر إلى الكون
فرق فالتفرقة عبودية
والجمع توحيد فاذن

وقالت أم كلثوم يوم أصيب على كرم الله وجهه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فبرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل على وفيه قتل أبي فمالقيت من يوم الاثنين وقالت عائشة رضي الله عنها لما مات رسول الله ﷺ اتحم الناس حين ارتضت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم لللائكة بثوبه فاخذوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلموا إلا بعد البعد وخطأ آخرون فلاتوا الكلام بغير بيان وبقي آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلى فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يموت ولم ير جسده الله عز وجل وليقطعن أيدي وأرجل رجال من المنافقين يمتنعون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت إنما واعد الله عز وجل كما واعد موسى وهو آتيكم^(١) وفي رواية أنه قال : يا أيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يموت والله لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات إلا عاوت به سفي هذا . وأما على فإنه أقعد فلم يبرح في البيت وأما عثمان فحصل لايكلم أحدا يؤخذ بيده فجاء به ويذهب به ولم يكن أحدا من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فإن الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والسداد وإن كان الناس لم يرجعوا إلا بقول أبي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين أظهركم - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - وبلغ أبابكر الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحضر إليه ثم أكب عليه قبله ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله لينيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى الناس فقال أيها الناس من كان يبيد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يبيد رب محمد فإنه حي لا يموت قال الله تعالى - وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم -^(٢) الآية فكان الناس لم يسموا هذه الآية إلا يومئذ وفي رواية : أن أبابكر رضي الله عنه لما بلغ الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد القمل والله لا أكذب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول : بأبي أنت وأمي ونفسى وأهلى طبت

(١) حديث عائشة لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحم الناس حين ارتضت الرنة وسجى رسول الله ﷺ لللائكة بثوبه فاخذوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلموا إلا بعد البعد وخطأ آخرون ومهم عقولهم وأقعد آخرون وكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلى فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يموت ولم ير جسده الله عز وجل وليقطعن أيدي وأرجل رجال من المنافقين يمتنعون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت إنما واعد الله عز وجل كما واعد موسى وهو آتيكم^(١) وفي رواية أنه قال : يا أيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يموت والله لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات إلا عاوت به سفي هذا . وأما على فإنه أقعد فلم يبرح في البيت وأما عثمان فحصل لايكلم أحدا يؤخذ بيده فجاء به ويذهب به ولم يكن أحدا من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فإن الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والسداد وإن كان الناس لم يرجعوا إلا بقول أبي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين أظهركم - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - وبلغ أبابكر الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحضر إليه ثم أكب عليه قبله ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله لينيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى الناس فقال أيها الناس من كان يبيد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يبيد رب محمد فإنه حي لا يموت قال الله تعالى - وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم -^(٢) الآية فكان الناس لم يسموا هذه الآية إلا يومئذ وفي رواية : أن أبابكر رضي الله عنه لما بلغ الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد القمل والله لا أكذب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول : بأبي أنت وأمي ونفسى وأهلى طبت

أثبت طاعته نظرا الى كسبه فرق وإذا أثبتنا بالله جمع وإذا تحقق بالثناء فهو جمع الجمع ويمكن أن يقال رؤية الأفعال تفرقة ورؤية الصفات جمع ورؤية الذات جمع الجمع . سئل بعضهم عن حال موسى عليه السلام في وقت الكلام فقال : أفنى موسى عن موسى فلم يكن لموسى خبر من موسى ثم كان فكان للكلم والكلم هو وكيف كان يطبق موسى حمل الخطاب وردة الجواب لولا إيلاء جمع ومعنى هذا أن الله تعالى منحه قسوة بتلك

حيا وميتا انقطع موتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء والنبيوة فضطمت عن الصفة وجلت عن البكاء وخصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدا لحزنك بالنفوس ولولا أنك نهيت عن البكاء لأخذنا عليك ماء العيون فأما ما لا نستطيع نفيه منا فكمد وادكار محالفان لا يرحان اللهم فأبانه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنتكن من بالك فلولاً ما خلفت من السكنية لم يقم أحد لما خلفت من الوحشة اللهم أبغ نبيك عنا واحفظه فينا (١). وعن ابن عمر أنه لما دخل أبو بكر البيت وصلى وأثنى على أهل البيت جميعا معه أهل الصلي كلما ذكر شيئا ازدادوا لها سكن هيجهم إلا تسليم رجل على الباب صيت جلد قال السلام عليكم بأهل البيت - كل نفس ذاقته لآوت - الآية إن في الله خلقا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل عاقبة فالله فارجوا وبه فتقوا فاستمعوا له وأنكروه وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء قد صوته فاطلع أحدهم فلم ير أحدا ثم عادوا يفكروا فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته بأهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تسكونوا من المحاصين إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فأطيعوا وبأمره فأعملوا فقال أبو بكر هذا الحضر واليسع عليهما السلام حضرا النبي صلى الله عليه وسلم (٢) واستوفى التمتع بن عمرو حكاية خطبة أبي بكر رضي الله عنه فقال قام أبو بكر في الناس خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه

(١) حديث إن أبا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهلان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفل والقال فأكب عليه فكشف الثوب عن وجهه الحديث إلى قوله واحفظه فينا ابن أبي الدنيا في كتاب الغزاة من حديث ابن عمر باسناد ضعيف جاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى فكشف الثوب عن وجهه الحديث إلى آخره (٢) حديث ابن عمر في جماع التسمية به صلى الله عليه وسلم إن في الله خلقا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل عاقبة فالله فارجوا وبه فتقوا ثم سمعوا آخر بعدهم إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فأطيعوا وبأمره فأعملوا فقال أبو بكر هذا الحضر واليسع لم أجد فيه ذكر اليسع وأما ذكر الحضر في التسمية فأنكر النووي وجوده في كتب الحديث وقال إنما ذكره الأصحاب قلت بلي قد رواه الحاكم في المستدرک في حديث أنس ولم يصححه ولا يصح رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الغزاة من حديث أنس أيضا قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله ليكون فدخل عليهم رجل طويل شعر للتكبين في إزار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخذ يضادني باب البيت فبكي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على أصحابه فقال إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك فإلى الله تعالى فأنبيوا ونظروا إليكم في البلاء فانظروا فإن المصاب من لم يجره الثواب ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر على الرجل فظفروا بيننا وهما فلم يروا أحدا فقال أبو بكر لعل هذا الحضر أخونا بينا عليه السلام جاء يعزينا ورواه الطبراني في الأوسط وإسناده ضعيف جدا ورواه ابن أبي الدنيا أيضا من حديث علي بن أبي طالب لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء أن سمع حسه ولا ترضى خصه قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إن في الله عوضا من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فإليه فتقوا وإياه فارجوا فإن المحروم من حزم الثواب والسلام عليكم فقال علي تدرن من هذا هو الحضر وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه لقطع بين علي بن الحسين وبين جده علي والعرنوف عن علي بن الحسين مرسلا من غير ذكر علي كما رواه الشافعي في الأموري فيه ذكر الحضر.

القسوة مع ولولا
تلك القوة ما قدر
على السمع ثم أشد
القائل متشلا :

ويدا له من بعد
ما اندمل الهوى
برق تألق موهنا
لمعانه

يبدو كحاسبة الرءاء
ودونه
سحب القدرى متنع
أركانه
فبدا لينظر كيف لاج
فلم يطق
نظرا إليسه ورده
أشجانه

فالتار ما اشتملت عليه
ضلوعه
ولباه ما صمحت به
أجفانه
ومنها قوهم التحل
والاستتار قال الجنيد

على كل حال وقد أشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده والله
 الحمد وحده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وأشهد أن الكتاب كائلا وأن الدين كائلا
 وأن الحديث كالحديث وأن القول كالحديث وأن الله هو الحق البين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك
 ونبيك وحبيبك وأمينك وخيرتك وصفوتك بأفضل ما صليت به على أحد من خلقك اللهم واجعل
 صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وإمام المؤمنين محمد قاتل الأعداء
 وإمام الخير وزول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه واجتنبه مقاما محمودا يفيط به
 الأولون والآخرون واحضنا بمقامه المأمود يوم القيامة واخلفه غينا في الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة
 والوسيلة في الجنة اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وبارك على آل محمد كما صليت وباركت على
 إبراهيم إنك حميد مجيد أيها الناس إنه من كان يبعد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يبعد الله فإن
 الله حي لم يمت وإن الله قد تقدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعا فإن الله عز وجل قد اختار لنبيه صلى الله
 عليه وسلم ماعدته على ما عندكم وقضيه إلى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
 فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر - يا أيها الذين آمنوا كونوا قواديين بالقسط ولا تبتغوا
 الشيطان بموت نبيكم ولا تفتنكم عن دينكم وعلماؤا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستظفروا به فليحق
 بكم ويقتنكم . وقال ابن عباس لما فرغ أبو بكر من خطبته قال يا عمر أنت الذي بلغني أنك تقول
 ما مات نبي الله صلى الله عليه وسلم أما ترى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا وكذا وكذا يوم
 كذا : كذا وكذا وقال تعالى في كتابه - إنك ميت وإني ميتون . فقال والله لك أني لم أسمع بها في كتاب
 الله قبل الآن لما نزل بنا أشهد أن الكتاب كائلا وأن الحديث كالحديث وأن الله حي لا يموت
 - إنا لله وإنا إليه راجعون - وصلوات الله على رسوله وعند الله تحبب رسوله صلى الله عليه وسلم
 ثم جلس إلى أبي بكر . وقالت عائشة رضي الله عنها لما اجتمعوا لنفسه قالوا : والله ما ندري كيف
 نفسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره عن ثيابه كما نصنع بموتانا أو نفسله في ثيابه قالت فأرسل
 الله عليهم التوم حتى ما بقى منهم رجل إلا واضع لحية على صدره ناعما ثم قال لا يدري من هو عسوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فاقبلوا فاقبلوا ذلك فنفسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في قميصه حتى إذا فرغوا من غسله كفن وقال كل من كرم الله وجهه أردنا خلع قميصه فنودينا لا نقبلوا
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه فأقرئناه فنفسلناه في قميصه كما نفسل موتانا مستلقيا ما نشاء
 أن يقبل لنا منه عضو لم يبالغ فيه إلا قلب لنا حتى شرب منه وإن معنا لحفيقا في البيت كالريح الخار
 ويصوت بنا ارقعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم تستكفون فيكم كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ولم يترك شيئا ولا ليدا إلا دفن معه قال أبو جعفر فرش لحده بفرشه وقطيفته وشرقت ثيابه عليها التي كان
 يلبس يقظان على الطيفة وللقرش ثم وضع عليها في أكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بئ في حياته
 لبنة على لبنة ولا وضع قسبة على قسبة (١) ففي وفاته عبرة تامة وللمسلمين به أسوة حسنة .

(وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه)

لما احتضر أبو بكر رضي الله تعالى عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت :

(١) حديث أبي جعفر فرش لحده بفرشه وقطيفته وفيه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بئ في حياته لبنة
 على لبنة ولا وضع قسبة على قسبة أما وضع للفرشة والقطيفة قالوا وضع القطيفة شفران مولى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس ذكر ذلك من شرط كتابنا وأما كونه لم يترك مالا فقد تقدم
 من حديث عائشة وغيرها وأما كونه ما بقى في حياته فقد تقدم أيضا .

إنما هو تأديب
 وتهذيب وتدويب
 فالتأديب عمل الاستتار
 وهو اللوام والتهذيب
 للخواص وهو التجلي
 والتدويب للأولياء
 وهو الشاهدة وحاصل
 الاغارات في الاستتار
 والتجلى راجع إلى
 ظهور صفات النفس .
 (ومنها الاستتار) وهو
 إشارة إلى غيبة صفات
 النفس بكمال قوة
 صفات القلب (ومنها
 التجلي) ثم التجلي قد
 يكون بطريق الأفعال
 وقد يكون بطريق
 الصفات وقد يكون
 بطريق الذات والحق
 تعالى أي على
 الخواص موضع
 الاستتار رحمة منه

لمسرك ما يضى التراء عن القى إذ احسرت يوما وضاق بها الصدر
فكشف عن وجهه وقال ليس كذا ولكن قولى - وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه
تحيد - انظروا ثوبى هذين فاغسلوهما وكفونى فيما فان الحى إلى الجديد أحوج من الميت .
وقالت عائشة رضى الله عنها عند موته :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه - ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقال أبو بكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا عليه وقالوا ألا ندعوك طيبا ينظر إليك؟
قال قد نظر إلى طبيبي وقال إنى فقال لما أريد . ودخل عليه سلمان القارنى رضى الله تعالى عنه
يعوده فقال بأبى بكر أوصنا فقال : إن الله فاعل عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاغك « واعلم أن
من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا تخزن الله في ذمته فيبك في النار على وجهك، ولما قتل
أبو بكر رضى الله تعالى عنه وأراد الناس منه أن يستخاف فاستخلف عمر رضى الله عنه فقال الناس
له استخلفت علينا فظا غليظا لهذا تقول لربك فقال أقول استخلفت على خلقك خير خلقك ثم أرسل
إلى عمر رضى الله عنه فجاهد فقال إنى موصيك بوصية . اعلم أن الله حقا في النهار لا يقبله الليل وإن
الله حقا في الليل لا يقبله في النهار وأنه لا يقبل التافه حتى تؤدى الفريضتين ما قلت موازين من ثقلت
موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وقهله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن ينقل
وعما خفت موازين من خبت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع
فيه إلا الباطل أن يخف. وإن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل
أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء فان الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا
فيقول القائل أنا أفضل من هؤلاء وإن الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون للؤمن رغبته وأهبا
ولا يلقى يديه إلى التهلكة ولا يتقى على الله غير الحق فان حفظت وصيتى هذه فلا يكون غائب أحب
إليك من الموت ولا بذلك . منه وإن صحت وصيتى فلا يكون غائب أبغض إليك من الموت ولا بذلك
منه ولست بمعجزه ، وقاله سعيد بن المسيب لما احتضر أبو بكر رضى الله عنه أنه ناس من الصحابة
فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زودنا فاننا نراك لما بك . فقال أبو بكر من قال هؤلاء
الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الأفق للبين قالوا وما الأفق للبين ؟ قال قاع بين يدي العرش
فيه رياض الله وأثمار وأشجار يشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحه في هذا
السكان : اللهم إنك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا لتعذبهم وفريقا
للسير فاجعلنى للخير ولتجانبى للسير . اللهم إنك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل أن تخلقه فجعلت
منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيذا فلا تتقى بما صابك . اللهم إنك علمت ماتيكب كل شئ قبل
أن تخلقه فلا تعصم لها بما علمت فاجعلنى ممن تستعصم بطاعتك . اللهم إن أحدا لا يشاء حتى تشاء
فاجعل مشيتك أن أشاء ما يقربنى إليك . اللهم إنك قد قدرت حركات العباد فلا تتحرك شئ
إلا بأذنك فاجعل حركاتى في تقواك . اللهم إنك خلقت الخير والنشر وجعلت لكل واحد منكم عاملا
يعمل به فاجعلنى من خير القسعين . اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحد منهن أهلا
فاجعلنى من سكان جنتك . اللهم إنك أردت بقم الضلال وضقت به صدورهم فاشرح صدرى
للإيمان وزينه فى قلبى . اللهم إنك دبرت الأمور وجعلت مصيرها إليك فأعينى بعد الموت حياة
طيبة وقربنى إليك زلفى . اللهم من أصبح وأمسى تقته ورجاؤه غيرك فأمت تقى ورجاؤه ولا حول
ولا قوة إلا بالله قال أبو بكر هذا كله فى كتاب الله عز وجل .

لهم ولغيرهم فأما لهم
فلا تهم به يرجعون
إلى مصالح النفوس وأما
لغيرهم فلا تنهلوا مواضع
الاستقرار لم ينتفع بهم
لاستغراقهم فى جمع
الجمع وبروزهم لله الواحد
القهار . قال بعضهم
علامة تجبلى الحق
لأشراهم أن لا يشهد
النس ما يسلط عليه
التبشير ويحوى القهم
فمن عبر أوفهم فهو
صاحب استدلال لا ناظر
اجلال . وقال بعضهم
التسجلى رفع حجة
البشرية لأن يتلون
ذات الحق عز وجل
والاستقرار أن تكون
البشرية حالة بينك
وبين شهود القيب .
(ومنها التجريد والتفريد)

(وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه)

قال عمرو بن ميمون كنت قائماً غداة أصيب عمر مابني وبينه والإعباده بن عباس وكان إذا مر بين الصفيين قام يهزها فإذا رأى خلا قال استووا حتى إذا لم يرفههم خلا تقدم فكبر قال وبعافراً سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فها هو إلا أن كبر فسمته يقول قتلني أو أكلني السكاب حين طعنه أبو لؤلؤة وطار الملج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد عينا أو شمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برسا فلما ظن الملج أنه مأخوذ نحر نفسه ، وتناول عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه فأما من كان يلي عمر فقد رأى ما رأيت وأما نواحي السجدة ما يدرون ما الأمر غير أنهم قدموا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فضلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن العباس انظر ، قتلني قال فصاب ساعة ثم جاء فقال غلام للنيرة بن شعبة فقال عمر رضي الله عنه قاتله الله لقد كنت أمرت به معروفا ، ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل مني بيد رجل مسلم قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر الملوج بالمدينة وكان العباس أكرهم رفيقا فقال ابن عباس إن شئت فمات : أي إن شئت تلتام قال بعد ما تكلموا بلسانك وصلوا إلى قبلكم وجوا أحبكم فأحتمل إلى بيته فانطلقا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ قال فقال يقول أخاف عليه وقال يقول لا بأس فأني فبيد فشرب منه غريخ من جوفه ثم أتى بلبن فشرب منه فخرج من جوفه فمروا أنه ميت قال فدخلنا عليه وجاء الناس يشتون عليه وجاء رجل شاب فقال أشر يا أمير المؤمنين بيشري من الله عز وجل قد كان لك محبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمي في الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت أن ذلك كان كفافا لاهي والي فلما أدبر الرجل إذا بإزاره يحس الأرض فقال ردوا على الغلام فقال يا ابن أخي ارفع يديك فانه ألقى ثوبك وألقى ركبك ثم قال يا عبد الله انظر ما لي من الدين لحسبه فوجدوه سنة وسابحين الله أو نحوه فقال إن وفي به مال آل عمر فاده من أموالهم وإلّا فسل في بني عدي بن كعب فان تم تصبوا أموالهم فسل في قريش ولا تقدم إلى غيرهم وأد عني هذا المال انطلق إلى أم المؤمنين عائشة فقل عمر يقرأ عليك السلام ولاهل أمير المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين أميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه فذهب عبد الله فلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدتها قاعدة تبيكي فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبه فقالت كنت أريد أن أريه لنفسى ولأثرته اليوم على نفسي فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال ما لي بك قال الذي تصب يا أمير المؤمنين قد أذنت قال الحمد لله ما كان شيء أم إلى من ذلك فإذا أتيت فاحملوني ثم سلم وقل يستأذن ، ع فان أذنت في فأدخلوني وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسترنها فلما رأيناها فقلنا فوجئت عليه فبكيت عنده ساعة واستأذن الرجال فوجئت دخلا فقمنا بكاهن من داخل فقلوا أوص يا أمير المؤمنين واستخلف فقال ما أرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء الفتر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض قسمي عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس لهم الأمر شيء كهيئة التعزية له فان أصابت الامارة نعمدا فذاك وإلا فليستن به أيكم أسرفاني لم أعزله من عجز ولا خيأه وقال أوصي خليفتي من بعدي بالهاجر بن الأولين أن يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرمهم وأوصيه بالأمن خير الدين : ووالله الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يصفو عن مسيئهم وأوصيه بأهل الأمصار خير افانهم رده الاسلام

الإشارة منهم في التجريد والتفريد أن البصير يتجرد عن الأغراض فيما يفعله لا يأتي بما يأتي به نظرا إلى الأغراض في الدنيا والآخرة بل ما كوشف به من حق العظمة يؤديه حسب جهده عبودية وإتقانا والتفريد أن لا يرى نفسه فيما يأتي به بل يرى منة الله عليه فالتجريد بنفي الأغيار والتفريد بنفي نفسه واستغراقه في رؤية نعمة الله عليه وغيبته عن كسبه ومنها الوجد والتواجد والوجود فالوجد ما يرد على الباطن من الله يكسبه فرحا أو حزنا وينسره عن هيئته

وجباة الأموال وغيظ العدو وأن لا يأخذ منهم إلا فضله عن رضائهم وأوصيه بالأعراب خيرا فانهم أسلم العرب ومادة الاسلام وأن يأخذ من حوائى أموالهم ورد على قرائهم وأوصيه بدمه الله عز وجل وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بمهدم وأن يقاتلهم من وراءهم ولا يكتفهم إلا طاقهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نحشى فسلم عبد الله بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب فقلت أدخلوه فأدخلوه في موضع هنالك مع صاحبيه الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قال لي جبريل عليه السلام ليك الاسلام على موت عمر (١) » وعن ابن عباس قال « موضع عمر على سريره فكشفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيه فلم يرفعني إلا رجل قد أخذ عني في ثقت فاذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه فترحم على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب إلى أن أتى الله بمثل عمله منك وإيم الله إن كنت لأظن ليصلك الله مع صاحبك وذلك أني كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ذهب أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر وودخلت أنا وأبو بكر وعمر (٢) » فاني كنت لأرجو أو لأظن أن يصلك الله معهما .

(وفاة عثمان رضي الله عنه)

الحديث في قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام أتيت أخى عثمان لأسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال بمرحبا يا أخى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الحوطة وهى حوطة في البيت فقال يا عثمان حمروك فأتى بهم قال عطشوك قلت نعم فأدلى إلى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى إنى لأجد برده بين يدي وبين كفتي وقال لي إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنده فقتل ذلك اليوم رضي الله عنه . وقال عبد الله بن سلام لمن حضر : تخط عثمان في الوث حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشخط ؟ قالوا سمعاه يقول : اللهم اجع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا قال والذي نفسى بيده لو دعا الله أن لا يعتموا أبدا ما اجتمعوا إلى يوم القيامة وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال اتوني بصاحبك اللذين ألباكم على قال فجئى بهما كأنما هما حملان أو حماران فأشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بشر رومة فقال من يشتري رومة يجعل دوله مع دلاء المسلمين غير له منها في الجنة فاشترتها من صلب مالى فأتهم اليوم تمنون أن أشرب منها ومن ماء البحر ؟ قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أني جهزت جيش السيرة من مالى ؟ قالوا نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن السجد كان قد ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في السجد غير منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالى فأتهم اليوم تمنون أن أسلى فيها ركعتين ؟ قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتعزك الجبل حتى تساقطت حجراته بالحصى قال فركضته برجله فوال أسكن ثبير لما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان ؟ قالوا اللهم نعم قال الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة أتى شهيد (٣) . وروى عن شيخ من صبة أن عثمان حين

(١) حديث قال لي جبريل عليه السلام ليك الاسلام على موت عمر أبو بكر الأجرى في كتاب التريمة من حديث أبي بن كعب بسند ضعيف جدا وذكره ابن الجوزى في اللطائف (٢) حديث ابن عباس قال وضع عمر على سريره فكشفه الناس يدعون ويصلون فقد ذكر قول علي بن أبي طالب كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذهب أنا وأبو بكر وعمر الحديث متفق عليه (٣) حديث ثمامة ابن حزن القشيري شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان الحديث الترمذى وقال حسن والنسائى .

ويتطلع إلى الله تعالى وهو فرحة يجدها للغلوب عليه بصفات نفسه ينظر منها إلى الله تعالى والتواجد

استجلاب الوجد بالذكر والتفكير والوجود اتساع فرجة الوجد بالخروج إلى فضاء الوجدان فلا وجد مع الوجدان ولا خبر مع العيان فالوجد بمرضية الزوال والوجود ثابت بثبوت الجبال وقد قيل :

قد كان بطريقى وجدى فأقصدنى

عن رؤية الوجد من

في الوجد ، وجود

والوجد يطرب من في

الوجد راحته

والوجد عند حضور

الحق مفقود

ضرب والسماء تسيل على لحته جعل يقول لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين اللهم
إني أستعذك عليهم وأستعينك على جميع أمورى وأسألك للصبر على ما ابتليتنى .

(وفاة علي كرم الله وجهه)

قال الأصبغ الحنظلي لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي كرم الله وجهه أتاه ابن التياح حين طامع الفجر
يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع مثقال فناد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام على عشي وهو يقول :

اهدد حيا زعمك للموت فان الموت لا يكما

ولا يحجز من الموت إذا حل بواديكا

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضر به فخرجت أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه فجعلت تقول
مالي ولصلاة الفداء قتل زوجي أمير المؤمنين صلاة الفداء وقتل أبي صلاة الفداء وعن شيخ من قريش أن
علياً كرم الله وجهه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن علي أنه لما ضرب أوصي بنيه
ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض ولما قتل الحسن بن علي رضي الله عنهما دخل عليه الحسين رضي الله
عنه فقال يا أخى لأى شيء تجزع تقدم على رسول الله ﷺ وعلى بن أبي طالب وهما أبو الكو على خديجة
بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أمك وعلى حمزة وجعفر وهما عمك إذ يا بني أقدم على أمك أقدم على مثله
وعن محمد بن الحسن رضي الله عنهما قال لما نزل القوم بهلسين رضي الله عنهما فأنهم قاتلوه قام في أصحابه
خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد نزل من الأمر ما ترون وإن الله ياتد تغير وتكثر وتؤدبر معروفا
وانشمرت حتى لم يبق منها إلا كسابة الإثاء الأحسبي من عيش كالمري الويل لآل ترون الحق لا يعمل به
والباطل لا يتأذى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله تعالى وإنى لأكفى الموت لإسماعدة والخيرة تقع الظالمين بالإجماع .

(الباب الخامس في كلام المختصرين من الخلفاء والأمراء والصالحين)

لما حضرت معاوية بن أبي سفيان الوفاة قال أتدوني فأقعد فجعل يسبح الله تعالى ويدكره ثم بكى
وقال تذكر ربك يا معاوية بيد الهرم والانحطاط ألا كان هذا وغصن الشهاب فضرريان وبكى حتى
علا بكأوه وقال يارب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم أقل العثرة واغفر الزلة وعد جملتك
على من لم يرج غيرك ولم يثق بأحد سواك . وروى عن شيخ من قريش أنه دخل مع جماعة عليه
في مرضه فأروا في جلده غصونا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فهل الدنيا أجمع إلا ما جربنا ورأينا
أما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا واستقبلنا جديتنا لما لبثنا الدنيا أن تفضت ذلك منا حالا
بعد حال وعروة بعد عروة فأصبحت الدنيا وقد وترت وأخلفتنا واستلأمت . إلينا أقبه لدينا من
دار ثم أف لها من دار . وروى أن آخر خطبة خطبها معاوية بن قال : أيها الناس إن من زرع
قد استحصد وإنى قد وليتكم ولين يليكم أحد من بعدى إلا وهو ثم مفر كما كان . من قبل خير أمتي
ويا يزيد إذا وفى لأجل قوله غشى رجلا ليلى فان اللبيب من الله يمكن فليتم التسليم وليجزم بالتكبير
ثم أعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وسلم فراضه من شعره وأظفاره
فاستودع القراصة أنى ولهى وأذنى وعينى واجعل الثوب على جلدي دون أ كفاني ويا يزيد احفظ
وصية الله في الوالدين فإذا أدرجتموني في جديدي ووضعتوني في حفري فغلو معاوية وأرحم
الراحمين . وقال محمد بن عتبة لما نزل بمعاوية الموت قال يا ليتني كنت رجلا من قريش يذى طوى
وإنى لم آل من هذا الأمر شيئا . ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظرت إلى غسال يجانبني دمشق
يلوى ثوبا بيده ثم يضرب به الفلاة فقال عبد الملك ليتني كنت غسالا أكل من كسب يدي يوم يوم

(الباب الخامس في كلام جماعة من المختصرين)

(ومنها القلبية) القلبية
وجد متلاحق فالوحد
كالبرق يبدو والغلبة
كتلاحق السبق
وتواتره يتيب عن
التحيز فالوجد ينطفيء
سريعا والغلبة تبقى
للأمرار حرز أمنيا .
(ومنها السامرة) وهى
تفرد الأرواح بحسنى
مناجاتها ولطيف
مناقاتها في سر السر
بلطيف إدراكها
لقالب تفرد الروح بها
فتلتد بها دون القلب
(ومنها السكر والصحو)
فالمسكر استيلاء
سلطان الحال والصحو
العود إلى ترتيب الأفعال
وتهديب الأقوال
قال محمد بن خفيف

ولم أَل من أمر الدنيا شيئا فبلغ ذلك أباحزم فقال الحمد لله الذي جعلهم إذا حضروا للوثة يتعنون ما نحن فيه وإذا حضروا للوثة لم تمنع ما هم فيه . وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه الذي مات فيه كيف تجدك يا أمير المؤمنين ؟ قال أجدني كما قال الله تعالى - ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم - الآية ، ومات . وقالت لاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبد العزيز كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول : اللهم أخف عليهم موتى ولو ساعتم نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت آخر يفي وبينه باب وهو في قبعة له فسمعته يقول - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا نسادا والعافية للمتقين - ثم هذا فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاما قلت لوصيف له انظر أنا ثم هو فلما دخل صاح فوثبت فإذا هوميت وقيل له لما حضره اللوثة اعهد يا أمير المؤمنين قال أحذركم مثل مصرعي هذا فإنه لا بد لكم منه وروى أنه لما مثل عمر بن عبد العزيز دعى له طبيب فلما نظر إليه قال أرى الرجل قد سقى السم ولا آمن عليه اللوثة فرفع عمر بصره وقال ولأنا من اللوثة أيضا على من لم يسق السم قال الطبيب هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فتعالج يا أمير المؤمنين فاني أخاف أن تذهب فتسك قال ربى خير مذهوب إليه والله لو علمت أن شغافى عنده شحمة أذى مارفت يدي إلى أذنى فتناولته اللهم خر لعمري في ثنائك فلم يلبث إلا أياما حتى مات وقيل لما حضرته الوفاة بكى فبلى له ما يبكيك يا أمير المؤمنين أبصر فقد أحيا الله بك سننا وأظهر بك عدلا فبكى ثم قال أليس أوقف فأستل عن أمر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لحفت على نفسي أن لا تقوم بحجبتها بين يدي الله إلا أن يلقها الله حجبتها فكيف بكثير محاسنينا وفاضت عيناه فلم يلبث إلا يسيرا حتى مات ولما قرب وقت موته قال أجلسوني فأجلسوه فقال : أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فصيت ثلاث مرات ولكن لا إله إلا الله ثم رفع رأسه فأحد النظر فقبل له في ذلك فقال إنى لأرى خضرة مأمم بأني ولاجن ثم قبض رحمه الله . وحكى عن هرون الرشيد أنه انتهى أ كفاه يده عند اللوثة وكان ينظر إليها ويقول ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه وفرش المأمون رمادا واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه أرحم من قد زال ملكه وكان للتعصم يقول عند موته لو علمت أن عمري هكذا قصر ما فعلت وكان للتصير يضطرب على نفسه عند موته فقيل له لا بأس عليك يا أمير المؤمنين فقال ليس إلا هذا لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة . وقال عمرو بن العاص عند الوفاة وقد نظر إلى صناديق لبنيه من يأخذها بما فيها لبته كان يبرا . وقال الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يقولون إنك لا تتفر لي فكان عمر بن عبد العزيز تمجيحه هذه الكلمة منه ويضبط عليها ولما حكى ذلك الحسن قال أقالها ؟ قيل نعم قال عسى .

(بيان أقوال جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم)

(من أهل التصوف رضى الله عنهم أجمعين)

لما حضرت معاذ رضى الله عنه الوفاة قال اللهم إنى قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الأنهار ولا ترس الأشجار ولكن لظما للهو واجرو وما كبدة الساعات ومزاجمة العلماء بالركب عند خلق الذكر ولما افند به الترم وزرع زما لم ينزع أحد كان كلما أفاق من غمرة تسبح طرفه ثم قال رب ما أختفى خفك فتوزعك إنك تعلم أن قلبى عبك ولما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما أبكى جزعا على الدنيا ولكن عهد إلينا رسول الله

السكر خيلان القلب
عند معارضات ذكر
المحبوب وقال الواسطي
مقامات الوجد أربعة
الذهول ثم الحيرة ثم
السكر ثم الصحو ثم
سمح بالبحر ثم دنامنه
ثم دخل فيه ثم أخذته
الأمواج فمل هذا من
بقى عليه أثر من
سريان الحال فيه
فضله أثر من السكر
ومن عاد كل شيء منه
إلى مستقره فهو صالح
فالسكر لأرباب القلوب
والصحو للمحسناة
بمقائق الغيوب .
(ومنها الهو والإثبات)
الهو بإزالة أوصاف
النفس والإثبات بما
أدبر عليهم من آثار
الحب كؤوس أوهاو

صلى الله عليه وسلم أن تكون لبعة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب ^(١) قلما مات سلمان نظرت في جميع ماركه فإذا خيمته بضعة عشر درهما ولما حضر بلالا الوفاة قالت امرأته واحزناته فقال بل وإطرباه غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه وقيل فتح عبدالله بن المبارك عينه عند الوفاة وضحك وقال لئلا هذا فليعمل المؤمن - ولما حضر إبراهيم النخعي الوفاة بكى قفيل له ما يبكيك قال أنتظر من الله رسولا يبشرني بالجنة أو بالنار ولما حضر ابن النكدر الوفاة بكى قفيل له ما يبكيك فقال والله ما بكى لندب أعلم أني أميتة ولكن أخاف أني أميت شيئا حسبته هينا وهو عند الله عظيم ولما حضر عامر بن عبد القيس الوفاة بكى قفيل له ما يبكيك قال ما يبكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن أبكى على ما يفتوتني من ظمأ المواجه وعلى قيام الليل في الشتاء ولما حضرت فضيلا الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه وقال وإبعد سفراه وأقله زاده ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال نصير مولانا جمل رأسي على التراب فيكي نصير فقال له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هو ذا موت فقيرا غريبا قال اسكت فاني سألت الله تعالى أن يعطيني حياة الأبناء وأن يميتني موت الفقراء ثم قال له انفي ولا تلمد على ما لم أنكمم بكلام ثان . وقال عطاء بن يسار تبدي إليس لرجل عند الموت فقال له نجوت فقال ما أملك بسد وبكى بعضهم عند الموت قفيل له ما يبكيك قال آية في كتاب الله تعالى قوله عز وجل - إنما يتقبل الله من التائبين - ودخل الحسن رضي الله عنه على رجل يجود بنفسه فقال إن أمرا هذا أوله لجدير أن يبقى آخره وإن أمرا هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله . وقال الجريري كنت عند الجند في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم التبرؤ وهو يقرأ القرآن فتمت فقلت له في هذه الحالة يا أبا القاسم قال ومن أولى بذلك مني وهو ذا تطوى صحيفة . وقال ربيع حضرت وفاة أبي سعيد الخدري وهو يقول:

حين قلوب العارفين إلى الذكر وتذكروا هم وقت النجاة للسر
أدبرت كؤوس المنايا عليهم فأغفوا عن الدنيا كأغفاء ذي الشكر
هوهمو جوالا عسكروا به أهل ود الله كالأنجم الزهر
فأجسامهم في الأرض قتل بجبهه وأرواحهم في الحجب نحو الملاهي
فما عرسوا إلا قسرب حبيهم وما عرسوا من مس بؤس ولا ضر

وقيل للجند إن أبا سعيد الخدري كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن يجب أن تطير روحه اشتياقا وقيل لدى النون عند موته ما تشبهى قال أن أعرفه قبل موتى بلحظة وقيل لبعضهم وهو في النزاع قل الله فقال إلى متى تقولون الله وأنا عتري بالله . وقال بعضهم كنت عند محمد الدينوري قد قدم فقير وقال السلام عليكم هل هنا موضع نظيف يمكن للإنسان أن يموت فيه قال فأشاروا إليه بمكان وكان ثم عين ماء فجدد الفقير الوضوء وركع ماشاء الله ومضى إلى ذلك المكان ومدرج له ومات وكان أبو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت امرأة تواجدت فقال لها موتي فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت إليه وقالت قد مت ووقعت ميتة . ويحكى عن فاطمة أخت أبي علي الروذباري قالت لما قرب أجل أبي علي الروذباري وكان رأسه في حجرى فتح عينيه وقال هذا أبو ابى السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول يا أبا علي قد بلغناك الرغبة القصوى وإن لم ترد هائم أنشأ يقول:

وحقك لا نظرت إلى سواك بسين مودة حتى أراك
أراك معذبى بظنور لحظ وبالحمد اللورد من حياكا

(١) حديث لما حضرت سلمان الوفاة بكى وفيه عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون لبعة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب أحمد الحاكم وصححه وقد تقدم .

هو رسوم الأعمال
ينظر الفناء إلى نفسه
ومناسه والاثبات
إقبالها بما أنشأ الحق
له من الوجود به
فمؤ بالحق لانفسه
بأبواب الحق إياه
مستأثرا بسد أن
نجاه عن أوصافه .
قال ابن عطاء يحو
أوصالههم ويثبت
أسرارهم (ومنها علم
اليقين وعين اليقين
وحق اليقين) فلم
اليقين ما كان
من طريق النظر
والاستدلال وعين اليقين
ما كان من طريق
الكشف والنوا
وحق اليقين ما كان
بتحقيق الاتصال
عن لوث الصلصال

وقيل للجندى قل لا إله إلا الله فقال مانسته فأذكره وسأل جعفر بن نصير بكران الدينوري خادم الشبلي ما الذي رأيت منه فقال قال عليّ درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بألف فما عليّ شغل أعظم منه ثم قال وضئني للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك على لسانه فقبض على يدي وأدخلها في لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ماتوا في رجل لم يغته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة وقيل لبشر بن الحرث لما احتضر وكان يشق عليه كأنك تحب الحياة فقال القوم على الله شديداً وقيل لصالح بن مسافر ألا توصي بابنك وعيالك فقال إني لأستحي من الله أن أوصي بهم إلى غيرهم ولما احتضر أبو سلمان الداراني أثناء أصحابه فقالوا أبشر فانك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم ألا تقولون احذر فانك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويحاسبك بالكبير ولما احتضر أبو بكر الواسطي قيل له أو صناقال احفظوا أمراد الحق فيكم احتضر بعضهم فبكى امرأته فقال لها ما يبكيك قالت عليك أبكي فقال إن كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة وقال الجندى دخلت على سري السقطي أعوده في مرض موته فقلت كيف تهجدك فأثنأ يقول :

كيف أشكو إلى طبيبى مابى والذى بي أصابنى من طبيى
فأخذت الروححة لأروحه فقال كيف يجد ربح للروحة من جوفه يعترق ثم أثنأ يقول :
القلب يعترق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مفترق
سكنى القرار على من لا قرار له بما جاء الهوى واشوق والقلق
يأرب إن يك شيء فيه لى فرج فاستن على به مادام بي رفق

وحكى أن قوماً من أصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في اللوت فقالوا له قل لا إله إلا الله فأثنأ يقول :
إن بيننا أنت ساكنه خير محتاج إلى السرج وجهك للأموال حجتنا
يوم يأتي الناس بالحجيج لا أتبع الله لى فرجا يوم أدعو منك بالفرج
وحكى أن أبا العباس بن عطاء دخل على الجندى في وقت زعجه فلم عليه فلم يجبه ثم أجاب بدساعة وقال اعذرني فاني كنت في وردي ثم ولي وجهه إلى القبلة وكبر ومات وقيل للكتاني لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لو لم يقرب أجل ما أخبرتكم به وقتت على باب قاي أربعين سنة فكلاماً فيه غير الله حجبته عنه وحكى عن التمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات اللوت فانه كان وكان فذكرت محاسنه فأفاق فقال لمن التكم ؟ فقلت أنا فقال إن ملك اللوت عليه السلام يقول لى لى بكل سخي رفيق ثم طفي ولما حضر يوسف بن أسيباط الوفاة شهده حذيفة فوجدته قلقاً فقال يا أبا محمد هذا أو ان القلق والجزع فقال يا أبا عبد الله وكيف لأفنى ولا أجزع وإنى لا أعلم أى صدقت الله في شيء من عملي فقال حذيفة وأصحابه هذا الرجل الصالح يحلف عند موته أنه لا يعلم أنه صدق الله في شيء من عمله وعن المغازي قال دخلت على شيخ على من أصحاب هذه الصفة وهو عليل وهو يقول يمكنك أن تعمل ما تريد فارفق بي . ودخل بعض الشافعي على عماد الدينوري في وقت وفاته فقال له فضل الله تعالى ومنع من باب الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلاثين سنة تعرض على اللجنة بما فيها لما أعرتهم طرفي . وقيل لرويم عند اللوت قل لا إله إلا الله فقال لأحسن غيره ولما حضرت الثوري الوفاة قيل له قل لا إله إلا الله فقال أليس ثم أمر . ودخل الزني على الشافعي رحمه الله عليه لما في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال أصبحت من الدنيا راحلاً ولا أخوان مفارقاً ولسوء عملي ملثماً ولكأس لثية شارباً وعلى الله تعالى وارا ولا أدرى أروحي تصير إلى الجنة فأهنيأ أم إلى النار فأعزبها ثم أثنأ يقول :

بورود رائد الوصال
قال فارس : علم اليقين
لا اضطراب فيه
وعين اليقين هو
الصلم الذي أودعه
الله الأسرار والعلم
إذا انشرد عن نعت
اليقين كان علماً
بشيء فإذا انضم
إليه اليقين كان علماً
بلا شبهة وحق اليقين
هو حقيقة ما أشار
إليه علم اليقين وعين
اليقين . وقال الجندى
حق اليقين ما يتحقق
البعد بذلك وهو
أن يشاهد القريب
كما يشاهد البعيد
مشاهدة عيان
وعلم على القلب فيخبر
عنه بالصدق كما أخبر
الصديق حين قل لما

ولما قسا قلبى وصاتق مذاهبى
جملت رجائى نحو عفوك سلما
تعاظمى ذنبى فلما قرئته
بمغفوك ربي كان عفوك أعظما
لما زلت ذا عفوعن الذنب لم تزل
تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك لم ينوى إبليس عايد
فكيف وقد أغوى صفيك آدم

ولما حضر أحمد بن خضرويه الوفاة مثل عن مسئلة فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت أدقه خسا ونسعين سنة هوذا فتشع الساعة لى لأدرى أفتتح بالسعادة أو الشقاوة فأنى لى أو أن الجواب فيه أنه أقاويلهم وإنما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم فقلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب فحكم كل واحد منهم على مقتضى حاله والكل صحيح بالإضافة إلى أحوالهم.

(الباب السادس فى أقاويل العارفين على الجنائز واللقابر وحكم زيارة القبور)

اعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لأهل النفقة فإنها لا تزيدهم مشاهدتها إلا قساوة لأنهم يظنون أنهم أبدا إلى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لعمالة على الجنائز يحملون أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون أن الممولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون فبطل حسابهم واهترس على القرب زمانهم فلا ينظر عبد إلى جنازة إلا ويقدّر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكأن قد ولله فى غد أو بعد غد . وروى عن أبى هريرة أنه كان إذا رأى جنازة قال لمضوا فانا على الأثر . وكان مكحول الدمع شق إذا رأى جنازة قال اغدوا فإننا نحوم موعظة بلغة وغفة سرية يذهب الأول والآخر لا عقل له . وقال أسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثنى نفسى بشئ سوى ما هو مفعول به وما هو صائر إليه ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك فى جنازته يبكى ويقول والله لا تتر عفى حتى أعلم إلى ماذا صرت إليه ولا أعلم مادمت حيا وقال الأعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندرى من نغزى لحزن الجميع وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متعنا باكية فكذلك كان خوفهم من الموت والآن لا تنظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثروا يضحكون ويبلهون ولا يتسكمون إلا فى ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر أقرانوه أقر به إلا فى الحيلة التى بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد منهم إلا ما شاء الله فى جنازة نفسه وفى حاله إذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة الماصى والذنوب حتى تسبى الله تعالى واليوم الآخر والأحوال التى بين أيدينا فصرنا نلوه ونفعل ونشتغل بما لا ينينا فنسأل الله تعالى القطة من هذه الغفلة فان أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكادهم على الميت ولوعوا بالبكاء حتى أقسموا على الميت نظر إبراهيم الزيات إلى أناس يترحمون على الميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم إنه نجا من أهوال ثلاثة : وجه ملك الموت وقد رأى ، ومرارة الموت وقد ذاق ، وخوف الحاتمة وقد أمن . وقال أبو عمرو بن العلاء : جلست إلى جرير وهو يعلى على كتابه شعرا فأطلعت جنازة فأمسك وقال شيتنى والله هذه الجنائز وأنا شأ يقول :

تروعا الجنائز مقبلات وتلوه حين تنهب مدبرات

مكرورة ثلة لقار ذئب فلما غاب عادت راتعات

فإن آداب حضور الجنائز التفكير والتنبه والاستعداد والشئ أمامها على هيئة التواضع كما ذكرنا آدابها وسننه فى فن الفقه ومن آدابها حسن الظن بالميت وإن كان قاسما وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح فان الحاتمة خطيرة لا تدرى حقيقتها ، ولذلك روى عن عمر بن ذر أنه مات

(الباب السادس فى أقاويل العارفين على الجنائز واللقابر)

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماذا أتيت لعمالك » قال الله ورسوله وقال بعضهم : علم اليقين حال التفرقة وعين اليقين حال الجمع وحق اليقين جمع الجلب بلسان التوحيد وقيل لليقين اسم ورسم وعلم وعسين وحق فالاسم والرسم للوامة وعلم اليقين للأولياء وعين اليقين لخواص الأولياء وحق اليقين للأتباع عليهم الصلاة والسلام وحقيقة اليقين اختص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . (ومنها الوقت) وللرأد بالوقت ما هو غالب على البسد وأغلب

واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلى في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبت صهرك بالتوحيد وعرفت وجهك بالسجود وإن قالوا مذهب وذو خطايا فمن منا غير مذهب وغير ذي خطايا. ورغى أن رجلا من التمهكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امرأته من ينيها على حمل جنازته إذ لم يدر بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملتها إلى الصلي فاصلى عليه أحد فحملتها إلى الصحراء للدفن فكان على جبل قريب من اللوضع زاهد من الزهاد السكبار فرأته كالمنتظر للجنازة ثم قصد أن يصلى عليها فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد نزل ليصلى على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتسبب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام أنزل إلى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها أحد إلا امرأة فصل على فانه مغفوره فزادت تسبب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وأنه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في المأخور مشغولا يشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين منه شيئا من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء : كان كل يوم يغيث من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضأ ويصلى الصبح في جماعة ثم يعود إلى المأخور ويشتمل بالفسق ، والثاني أنه كان أبدا لا يخلو بيته من يقيم أو يمين وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده وكان شديد التقصد لهم ، والثالث أنه كان يفيق في أثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يارب أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الحديث يني نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع إشكاله من أمره . وعن صفة بن أشيم وقد دفن أخ له فقال على قبره :

فان تيج منها تيج من ذى عظمة وإلا فإني لإخالك ناجيا

(بيان حال القبر وأقوابهم عند القبور)

قال الضحاك قال رجل «يا رسول الله من أزهدهم الناس قال من لم يش القبور والبلد وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبق على ما بقى ولم يمت غدا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور (١) » . وقيل لم يكرم الله وجهه ما شأنا لك جاورت للقبرة قال إني أجد من خير جيران إني أجد من جيران صدق يكفون الألسنة ويذكرون الآخرة وقال رسول الله ﷺ «ما رأيت منظرا إلا والقبور أظف من (٢) » وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكوا فقال ما يبكيكم فلنا بكيانا لك قال هذا قبر أمي آمنة بنت وهب استأذنت ربى في زيارتها فأذن لي فاستأذنته أن أستغفر لها فأبى على فأدركني ما يدرك الولد من الرقة (٣) »

(١) حديث الضحاك : قال رجل يا رسول الله من أزهدهم الناس ؟ قال من لم يش القبور والبلد والحديث تقدم (٢) حديث : ما رأيت منظرا إلا والقبور أظف من تقدم في الباب الثالث من آداب الصلوة (٣) حديث عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القابر فجلس على قبر وكنت أدنى القوم الحديث وفيه هذا قبر أمينة بنت وهب استأذنت ربى في زيارتها فأذن لي الحديث وتقدم في آداب الصلوة أيضا ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث ابن مسعود وفيه ذكر لعمر بن الخطاب وآخره عند ابن ماجه مختصرا وفيه أيوب بن هاني صنفه ابن معين وقال أبو حاتم صالح .

ما على العبد وقتها
فانه كالسيف يعض
الوقت بحكه ويقطع
وقد يراد بالوقت
ما بهجم على العبد
لا يكسبه فيصرف
فيه فيكون بحكه
يقال فلان يحكم
الوقت يضي مأخوذا
عما منه بما للحق .
(ومنها النية والشهود)
فالشهود هو الحضور
وقتا بنت الرابطة
ووقتا بوصف
لشاهدة لهادام العبد
موصوفا بالشهود
والرأية فهو حاضر
فاذا قصد حال
الشاهدة وللرأية
خروج من دائرة
الحضور فهو غائب
وقد يمتنعون بالنية

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وبكى إذا وقت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه نجا بعده أبسر منه وإن لم ينج منه نجا بعده أشد» (١) وقيل إن عمرو بن العاص نظر إلى القبرة فنزل وصلى ركعتين فقبل له هذا شي لم تكن تصنعه فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأجبت أن أقرب إلى الله بهما وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحش وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعددت لك لما أعددت لي . وقال أبو ذر ألا أخبركم بيوم قسرى يوم أوضع في قبري وكان أبو ذر يردد إلى القبور فقبل له في ذلك فقال أجلس إلى قوم يذكرون معادي وإذ أنت لم يفتابوني وكان جعفر بن محمد يأتي القبور ليلا ويقول يا أهل القبور مالي إذا دعوتكم لا تجيبوني ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابي وكأنني أكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر . وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد أرتقت الليلة أنفكر في القبر وسأكنه إنك لو رأيت لبيت بعد ثلاثة أيامه قبره لاستوحشت من قربيه بعد طول الأنىس منك به ولأريت بيتا يحول فيه الهوام ويحرق فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب قال ثم شق شقة خرمغشا عليه وكان يزيد الرقاشي يقول أيتها القبور في حفرته والمتخلى في القبر هو حدثه للأناس في بطن الأرض بأعماه ليت شعري بأى أعمالك استبشرت وبأى أخوانك اغتبطت ثم يبكي حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر والله بأعماله الصالحة واغضب والله بأخوانه للتعاون على طاعة الله تعالى وكان إذا نظر إلى القبور خار كما خور الثور وقال حاتم الأصم من مر بالما فلم يشكر نفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخاتمهم وكان بكر العابد يقول يا أماء ليتك كنت بي عبقا إن لايتك في القبر حسبا طويلا ومن بعد ذلك منه رجلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم دعاك ربك إلى دار السلام فانظر من أين يجيه إن أجبتك من دنياك واشتغلت بالرحلة إليه دخلها وإن أجبتك من قبرك نعمتها وكان الحسن بن صالح إذا أشرى على القابر يقول ما أحسن ظواهرك إنما الدواهي في بواطنك وكان عطاء السلمي إذا جن عليه الليل خرج إلى القبرة ثم يقول يا أهل القبور من فوامواته وعايتم أعمالكم فواحملاه ثم يقول غدا عطاء في القبور غدا عطاء في القبور فلا يزال ذلك دأبه حتى يصبح وقال سفيان من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا فسكان إذا وجد في قلبه نساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ماشاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلني أعمل صالحا فيما تركت - بردها ثم يرد على نفسه ياربيع قد رجعتك فاعمل وقال أحمد بن حرب تستعجب الأرض من رجل يمجد مضجعه ويسوى فراشه للنوم فتقول يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك وما بين وبينك شيء وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى القبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل على فقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في دنائهم وعيشهم أمأراهم صرعى قد حانت بهم الثلاث واستحك ذرهم البلى وأصابهم الهوام مقيلا في أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنتم ممن صار إلى هذه القبور وقد آمن من عذاب الله وقاء ثابت البناني دخلت القابر فلما قصدت الخروج منها فإذا بصوت قائل يقول يا ثابت لا يفر منك صوت أهلها فاسك

التيسية عن الأشياء
بالحق فيكون على
هذا الحق حاصل ذلك
راجعا إلى مقام الفناء
(ومنها الذوق والشرب
والرى) فالذوق إيمان
والشرب علم والرى
حال فالذوق الأرباب
البوادة والشرب لأرباب
الطوائف والسواغ
والاوامع والرى لأرباب
الأحوال وذلك أن
الأحوال هي التي تستقر
لها لم يستقر فليس
بحال وإنما هي لوازم
وطوال وقيل الحال
لا تستقر لأنها تحسول
فاذا استقرت تكون
مقاما (ومنها المحاضرة
وللإكاشفة والمجاهدة)
فالحة محاضرة لأرباب
التسوين والشهادة

(١) حديث عثمان كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته وفيه إن القبر أول منازل الآخرة

الترمدى وحسنه وابن ماجه والحاكم ومصححه وتهتم في آداب الصحة .

من نفس مغنومة فيها ، ويروي أن فاطمة بنت الحسين نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسن فظفت وجهها وقالت :

وكانوا رجاء ثم أمسوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وقيل إنها ضربت على قبره فسطاها واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا القسطاها ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجدوا ما قصدوا فسمعوا من الجانب الآخر بل يشعروا فاقبلوا . وقال أبو موسى التميمي : توفيت امرأة الفرزدق غفرح في جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا إله إلا الله منلتين سنة فلما دفنت أقام الفرزدق على قبرها فقال :

أخاف وراء القبر إن لم تصافى أهد من القبر التهابا وأضيحا

إذا جادى يوم القيامة فائد عفيف وسواق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى إلى النار مغلول القلاعة أزرقا

وقد أنشدوا في أهل القبور :

قف بالقبور وقل على صاحبها من منكم للقبور في ظلماتها

ومن للسكر منكم في قبرها قد ذاق برد الأمن من روعاتها

أما السكون لدى العيون فواحد لا يستبين الفضل في درجاتها

لو جادوك لأخبروك بألسن نصف الحقائق بعد من حالاتها

أما للطبع فتازل في روضة يفضى إلى ماشاء من دوحاتها

والجهرم الطاغى بها متقلب في حفرة يأوى إلى حياتها

وعقارب تسعى إليه فروحه في شدة التعذيب من لدغاتها

ومر داود الطائي على امرأة تبكي على قبر وهي تقول :

عسمنت الحياة ولا نلتها إذا كنت في القبر قد ألدوكا

فكيف أذوق لعلم الكرى وأنت يمينك قد وسدوكا

ثم قالت يا ابنه بأى خديك بدأ اللود فصعق داود مكانه وخر مضطبا عليه . وقال مالك بن دينار ررت بالقبرة فأنشأت أقول :

أتميت القبور فناديتها فأين للظم والمحقر

وأين للبلد بسلطانه وأين للزكي إذا ما انتخر

قال فتوديت من بينها أصم صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول :

تفانوا جعما فما عجز وماتوا جعما ومات الخبر

تروح وتقدو بنات الترى فتمحو بحاسن ثلاث الصور

فياسألى عن أناس مضوا أما لك فما ترى مقبر

قال فرجعت وأنا بالك .

آيات وجدت مكتوبة على القبور

وجد مكتوبا على قبر :

تاجيك أجدات وهن صموت وسكانها تحت التراب خفوت

أيا جامع الدنيا لتسير بلاغه لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

لأرباب التحكين

وللكاشفة بينهما إلى

أن تستقر فالمشاهدة

والمحاضرة لأهل العلم

وللكاشفة لأهل الدين

وللمشاهدة لأهل الحق

أى حق اليقين (ومنها

الطوارق . واليوادى

والبساده والواقع

والقاح والطوالع

والقوامع والوائع

وهذه كلها ألقاظ

مقاربة المعنى ويمكن

بسط القول فيها

ويكون حاصل ذلك

راجعا إلى معنى واحد

يكثر بالعبارة فلا تامة

فيه وللقصود أن هذه

الأسماء كلها مبادئ

الحال ومقدماته وإذا

صح الحال استوعب

ووجد على قبر آخر مكتوبا :

أيا غام أما ذراك فواسع وقبرك معمور الجوانب عك
وما ينفع للقبور عمران قبره إذا كان فيه جسمه يتهم
وقال ابن الهالك مرت على القابر فإذا على قبر مكتوب :

يمر أقاربي جنات قبرى كأن أقاربي لم يرفوني
ذوو اليراث يتقسمون مالى وما يألون أن جحدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا فإله أسرع ما نسوني
ووجد على قبر مكتوبا :

إن الحبيب من الأحباب يختلس لا ينسج اللوت يواب ولا حرس
فكيف تفسح بالذبا ولذتها يأمن يد عليه اللفظ والنفس
أصبحت باغافلا في النفس منتعسا وأنت دهرك في اللذات منتعس
لا يرحم للوت فا جهل لفرته ولا الذى كان منه العلم يقتبس
كم أحرص للوت في قبر وقتت به عن الجواب لسانا ما به خرص
قد كان قصرك معمورا له شرف بقبرك اليوم فى الأجداث مندرس
ووجد على قبر آخر مكتوبا :

وقفت على الأحبة حين صفت قبورهم كأفراس الرهان
فلا أن بكيت وقاض دمي رأت عيناى ينهم مكان
ووجد على قبر طيب مكتوبا :

قد قلت لما قال فى قائل صار لقمان إلى رسمه
فأين ما يوصف من طبه وحذفه فى الساء مع جسمه
هيات لا يدفع عن غيره من كان لا يدفع عن نفسه
ووجد على قبر آخر مكتوبا :

يا أيها الناس كان لى أمل قصر بى عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجل أمكنه فى حياته العمل
ما أنا وحدى قلت حيث ترى كل إلى مثله سينقل

فهذه آيات كتبت على قبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل اللوت والبصير هو الذى ينظر إلى
قبر غيره فىرى مكانه بين أظهرهم فيستد للقوق بهم ويعلم أنهم لا يرحون من مكانهم ما لم يلحق
بهم وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذى هو مضى له لكان ذلك أحب إليهم من
الدنيا بخذا فيرها لأنهم عرفوا قدر الأعمار وانكشفت لهم حقائق الأمور فأعسا حسرتهم على يوم
من الصبر ليتدارك القصر به تقصيره فيخلص من العقاب وليستزيد اللوق به رتبته فيتضاعف له
الذواب فانهم إنما عرفوا قدر العمر بعد انقضاء عسرهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك
الساعة ولعلك تهذر على أمثالهم ثم أنت مضى لها فوطن نفسك على التحسر على نصيبها عند
خروج الأمر من الاختيار إذ لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الإيتدار فقد دل بعض الصالحين
رأيت أخا لى فى الله فىرى التام قهت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لأن أقدر على أن أقولها
بى الحمد لله رب العالمين أحب إلى من الدنيا وما فيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنونى فإن فلانا

هذه الأسماء كلها
ومعانيها
(ومنها التساوين
والتمكين)
فالتساوين لأرباب
القلوب لأنهم تحت
حجب القلوب والقلوب
تخلص إلى الصفات
والصفات تمدد بتعدد
جهاها فظهر لأرباب
القلوب بحسب تعدد
الصفات تلونيات ولا
تجاوز للقلوب وأربابها
من عالم الصفات وأما
أرباب التمكين
فخرجوا عن مشاهم
الأحوال وخرقوا
حجب القلوب
وباشرت أرواحهم
مسطوع نور الذات
فارتفع التلون لعدم

قد قام فصلى ركعتين لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إلى من الدنيا وما فيها .

(بيان أقاولهم عند موت الولد)

حق على من مات ولده أو قرب من أقاربه أن ينزل في تهنئته عليه في اللوت من تركه لهما وكان في سفر فسبقه الولد إلى البلد الذي هو مستقره ووطنه فإنه لا يظم عليه تأسفه لعلمه أنه لاحق به على القرب وليس بينهما إلا تقدم وتأخر وهكذا اللوت فإن معناه السبق إلى الوطن إلى أن يلحق بالتأخر وإذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لأسباب وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يزي به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأن أقدم سقطا أحب إلى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في حيل الله» (١) وإنما ذكر السقط تنبيها بالأذى على الأهل وإلا فالثواب على قدر عمل الولد من القلب وقال زيد بن أسلم توفي ابن لسواد عليه السلام لحزن عليه حزنا شديدا فقبل له ما كان عدله عندك قال ملء الأرض ذهباً قيل له فإن لك من الأجر في الآخرة مثل ذلك وقال رسول الله ﷺ «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار» قالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اثنتان قال أو اثنتان (٢) وليخلص الولد الدعاء لولده عند اللوت فإنه أرجى دعاء وأقرب إلى الإجابة . وقب محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم إني أصبحت أرجو لك وأخافك عليه خفي رجائي وأمن خوفي ووقت أبو سنان على قبر ابنه فقال اللهم إني قد غفرت له ما وجب عليه فغفر له ما وجب لك عليه فانك أجود وأكرم ، ووقت أعرابي على قبر ابنه فقال اللهم إني قد وهبت له ما قصر فيه من برى فهب له ما قصر فيه من طاعتك . ولما مات ذر بن عمر بن ذر قال أبوه عمر بن ذر بعد ما وضعه في الحدف فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم إن هذا ذر متعني به مامتني ووفيت أجه ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت أكرهه طاعتك وطاعتك اللهم وما وعدتني عليه من الأجر في مصيبي فقد وهبت له ذلك فهب لي عذابه ولا تمذه فأكبى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بمدك من خصاصة يا ذر وما بنا إلى إنسان مع الله حاجة فاقدم مضينا وتر كناك ولو أننا ما معناك . ونظر رجل إلى امرأة بالصرة فقال ما رأيت مثل هذه النضارة وماذا لك إلا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله إني لفي حزن ما يركني فيه أحد قال فكيف قالت إن زوجي ذبح شاة في يوم عبد الأضي وكان لي صبيان مليحان بابان فقال أكبرهما للآخر أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة قال نعم فأخذه وذبحه وما شعرنا به إلا متسحطا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب التلام فلقبا إلى جبل فرهقه ذنب فأكله وخرج أبوه يطلبه فبات عطشا من شدة الحر قالت فأرادني البحر كما ترى فأمثال هذه للصاب ينبغي أن تذكر عند موت الأولاد ليسلي بها عن شدة الجزع فإمام مصيبة إلا يتصور ما هو أعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو الأكثر .

(بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به)

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار بقبور الصالحين مستحبة لأجل التبركع والاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك بعد (٣) .

(١) حديث لأن أقدم سقطا أحب إلى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في حيل الله لم أجد فيه ذكر مائة فارس وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة لسقط أقدمه بين يدي أحب إلى من فارس أخلفه خافي (٢) حديث لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم الحديث تقدم في النكاح (٣) حديث نهى عن زيارة القبور ثم أذنه في ذلك مسلم من حديث بريدة وقد تقدم .

التبر في الذات إذ جلست ذاته عن حلول الحوادث والتغيرات فلما خلصوا إلى مواطن القرب من أنصبه تعلى الذات ارتفع عنهم التلويح فالتلويح حينئذ يسكن في نفوسهم لأنها في محل القلوب لموضع طهارتها وقدسها والتلويح الواقع في النفوس لا يخرج صاحبه عن حال التمكن لأن جريان التلويح في النفس لبقاء رسم الإنسانية وثبوت القسمة في التمكن كشف حق الحقيقة وليس للتمييز أن لا يكون للبعد تغير فانه بشر وإنما للتمييز به

روى عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزورها فانها تذكركم الآخرة غير أن لاثولوا هجرا ^(١) » وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه في ألف مقنع فلم يربا كيا أكثر من يومئذ ^(٢) وفي هذا اليوم قال أذن لي في الزيارة دون الاستغفار ^(٣) كما أوردنا من قبل وقال ابن أبي مليكة أقيمت عائشة رضي الله عنها يوما من اللقابر فقلت بأمر المؤمنين من أين أتيت قالت من قبر أخي عبد الرحمن فقلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم أمر بها ^(٤) ولا ينبغي أن تمسك بهذا يؤذن للنساء الخروج إلى اللقابر فانهم يكثر من الهجر على رؤس اللقابر فلا يني خير زيارتهم جسرهم ولا يخون في الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظام والزياره سنة فكيف يحتمل ذلك لأجلها ، نعم لأبأس بخروج المرأة في ثياب بذلك ترد أعين الرجال عنها وذلك بشرط الاختصار على الدماء وترك الحديث على رأس القبر وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « زرو القبور تذكر بها الآخرة واغسل للوحي فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فان الحزين في ظل الله ^(٥) » وقال ابن أبي مليكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « زوروا موتاكم وسلموا عليهم فان لكم فيهم عبرة ^(٦) » وعن نافع أن ابن عمر كان لا يرفق أبدا بالوقوف عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة في الأيام فصلى وتبكي عنده وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برأ ^(٧) » وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل لم يمت والداه وهو عاق لهما ف يدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارئ ^(٨) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم

أن ما كشف له من الحقيقة لا يتوارى عنه أبدا ولا ينقص بل يزيد وصاحب التلوين قد ينقص الشيء في حقه عند ظهور صفات نفسه وتغيب عنه الحقيقة في بعض الأحوال ويكون ثبوته على مستقر الإيمان وتلوينه في زوائد الأحوال (ومنها النفس) ويقال النفس له منتهى الوقت للمبتدى والحال لا متوسط فكأنه إشارة منهم إلى أن المبتدى بطريقه من الله تعالى طارق لا يستقر واللتوسط صاحب حال غالب حاله عليه والنتهى صاحب نفس

(١) حديث على كنت نهيتكم عن زيارة القبور فانها تذكركم الآخرة غير أن لاثولوا هجرا رواه أحمد وأبو يعلى في مسنده وابن أبي الدنيا في كتاب القبور واللفظ له وأبو يعلى غير أن لاثولوا هجرا وفيه على بن زيد بن جدعان عن ربيعة بن النابغة قال البخاري لم يسمع ربيعة ذكره ابن حبان في الثقات (٢) حديث زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه في ألف مقنع فلم يربا كيا أكثر من يومئذ ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث بريرة وشيخه أحمد بن عمر الأحنس . ترك رواه بنحوه من وجه آخر كناه مقريما من أفسد أكب وفيه أنه يأذن له في الاستغفار لها (٣) حديث وقال في هذا اليوم أذن لي في الزيارة دون الاستغفار تقدم في الحديث قبله من حديث بريرة أنه لم يؤذن له في الاستغفار لها ورواه مسلم من حديث أبي هريرة استأذنت ربي أن استغفر لأبي فلما أذن لي واستأذنت أن أزور قبرها فأذن لي (٤) حديث ابن أبي مليكة أقيمت عائشة يوم ما من اللقابر فقلت بأمر المؤمنين من أين أتيت قالت من قبر أخي عبد الرحمن قالت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم أمر بها ابن أبي الدنيا في القبور إسناده جيد (٥) حديث أبي ذر زار القبور تذكر الآخرة واغسل للوحي فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة الحديث ابن أبي الدنيا في القبور والحال كما إسناده جيد (٦) حديث ابن أبي مليكة زوروا موتاكم وسلموا عليهم وصلوا عليهم الحديث ابن أبي الدنيا في هكذا مرسل وإسناده حسن (٧) حديث من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برأ الطبراني في الصغير والأوسط من حديث أبي هريرة وابن أبي الدنيا في القبور من رواية محمد بن النعمان برفعه وهو معضل ومحمد بن النعمان مجهول وشيخه عند الطبراني يحيى بن العلاء البجلي متروك (٨) حديث ابن سيرين أن الرجل لم يمت والداه وهو عاق لهما ف يدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارئ ابن أبي الدنيا فيه وهو مرسل صحيح الإسناد ورواه ابن عدي من رواية يحيى بن عتبة بن أبي الزرار عن محمد بن جحادة

« من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من زارني بالمدينة محسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة ^(٢) » وقال كعب الأحبار: ما من جري يطلع إلا أنزل سبعون ألفا من اللاتكة حتى يغفوا بالقبور يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط منهم فضعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفا من اللاتكة يوقرونه. وللمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبرا القبلة مستقبلا بوجهه لليت وأن يسلم ولا يصيح بالقبور ولا يصيح ولا يقبله فإن ذلك من عادة النصارى. قال نافع كان ابن عمر رأيتهم مائة مرة أو أكثر يصيحون إلى القبور يقولون السلام على النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر السلام على أبي عيسى ومن قال رأيته أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه انتزع الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف. وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « ما من رجل زور قبر أخيه وجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم ^(٣) » وقال سليمان بن سعيد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأورد عليهم وقال أبو هريرة إذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه وإذا مر بقبر لا يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام وقال رجل من آل هاشم الجعدي رأيت صاحبني فمد يده بيدي فاستبنت فقلت أليس قد مت قال بلى فقلت أين أنت فقال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا وقرن من أمهاتي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى أبي بكر بن عبد الله للذي فتتلاقى أخباركم فقلت أجسامكم أم أرواحكم قال هيئات بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا إياكم قال نعم تعلمها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قالت وكيف ذلك دون الأيام كلها قال لفصل يوم الجمعة وعقله. وكان محمد بن واسع وزور يوم الجمعة فقيل له لو أخرت إلى يوم الاثنين قال بلغني أن الموتى يملكون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك: من زار قبر قبل طلوع الشمس يوم السبت علم الليت بزيارته قيل وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة. وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل مختلف إلى الحياطة فيشهد الصلاة على الجنائز فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم غريبتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه السكاحات قال الرجل فأسميت ذات ليلة فأنصرفت إلى أهلي ولم آت المقابر فأدعوا كما كنت أدعو فبينما أنا نائم إذا بمحاق كثير قد جاءوني فقلت ما أنتم وما حاجتكم قالوا نحن أهل المقابر قلت ما جاءكم بكم قالوا إنك قد عدت لنا منك هدية عندنا فنصرنا فإني أهلك قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو لنا بها قلت فاني أعوذ لذلك فما ركبتها بعد ذلك. وقال بشار بن غالب النجاشي رأيت رابعة العدوية العابدة في منامي وكنت كثير النداء لها فقالت لي يا بشار بن غالب هداياك تأتيها على أطباق من نور محمرة تتناوب الحرير قلت وكيف ذلك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للعوني فاستجيب لهم جمل ذلك النداء على أطباق النور وخمر بتناوب الحرير ثم أتى به الليت فقيل له هذه هدية فلان إليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما الليت في قبره إلا كالتريق للغوث ينتظر دعوة تخلصه من آية

عن أنس قال ورواه الصلت بن الحجاج عن ابن جعدة عن قتادة عن أنس وعبيد بن عتبة الصلت بن الحجاج كلاهما ضعيف (١) حديث من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي تقدم في أسرار الحج (٢) حديث من زارني بالمدينة محسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة تقدم فيه (٣) حديث عائشة ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم ابن أبي الدنيا في القبور وفيه عبد الله بن سيمان ولم أقف على حاله ورواه ابن نجيد البر في التمهيد من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبد الحق الأشيلي.

متمكن من الحال
لا يتناوب عليه الحال
بالنية والحضور بل
تكون الواجبة
مقرونة بأشياء مقبلة
لا تتناوب عليه وهذه
كلها أحوال لأربابها
ولهم منها ذوق وشرب
والله ينفع يركنهم
آمين

[الباب الثالث
والستون في ذكر
شئ من البدايات
والنهايات ومهجتها]
حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب
السهرودي قال أنا
الشريف أبو طالب
الحسين بن محمد الزيني
قال أخبرتنا كريمة
للرواية قالت أخبرنا
أبو الهيثم محمد بن مكي

أول أخيه أوصديق له فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن هدانا الأحياء للأموال
الدعاء والاستغفار (١). وقال بعضهم مات أخ لي فرأيتني في المنام قلت ما كان حالك حيث وضعت
في قبرك قال أثنى آت بشهاب من نار فقلوا أن داعيا دعائي لرأيت أنه سيضربني بهومن هذا يستحب
تأمين الميت بعد الدفن والدعاء له قال سعيد بن عبد الله الأزدي «شهدت بأمامة الباهلي وهو في
الترع فقال ياسعيد إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إذا مات أحدكم
فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان ابن فلانة فانه يسمع ولا يجيب
ثم يلق يا فلان ابن فلانة الثانية فانه يستوى قاعدا ثم يلق يا فلان ابن فلانة الثالثة فانه يقول أرشدنا
يرحمك الله ولكن لاسمعون فيقول له اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله
وأن محمدا رسول الله وأنتك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن
إماما فان منكرا ونكيرا تأخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا بما بقعدنا عندهذا وقد لقن حجة
ويكون الله عز وجل حبيبه دونهما فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم أمه قال فلينسبه إلى
حواء (٢) ولا بأس بقراءة القرآن على القبور روى عن علي بن موسى الحداد قال: كنت مع أحمد بن
حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضريحه أعتد القبر فقال له
أحمد يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من القابر قال محمد بن قدامة لأحمد بن أبي عبد الله
ما تقول في مبشر بن اسمعيل الحلي قال ثقة قال هل كتبت عنه شيئا قال نعم قال أخبرني مبشر بن
اسمعيل عن عبد الرحمن بن الملاء بن الجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة
البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال له أحمد فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ. وقال محمد
ابن أحمد اللوزي سمعت أحمد بن حنبل يقول إذا دخلتم للقابر فاقرأوا بأحق الكتب والمعوذتين وقل
هو الله أحدوا جعلوا ثواب ذلك لأهل القابر فانه يصل اليهم وقال أبو قلابة قلت من الشام إلى البصرة
فزلزل الخندق فطهرت وصليت ركعتين بابل ثم وضعت رأسي على قبر فسمعت ثم تلبثت فإذا صاحب القبر
يشكيني يقول لقد أذيتني منذ الليلة ثم قال إنكم لاتعلمون ونحن نعلم ولا تقدر على العمل ثم قال للركنان
اللتان ركعتما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزي الله عنا أهل الدنيا خير أقرهم السلام فانه قد دخل
علينا من دعائهم نور أمثال الجبال فالمقصود من زيارة القبور لزيارة الاعتبار بها وللزور الانتفاع بدعائه
فلا ينبغي أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولأعن الاعتبار به وإنما يحصل له الاعتبار بأن صور
في قابه الميت كيف تفرقت أجزاؤه وكيف يعيش من قبره وأنه على القبر سيلحق به كما روى
عن مطرف بن أبي بكر الهذلي قال كانت هجوز في عيد القيس متبعدة فكان إذا جاء الليل
تخزمت ثم قامت إلى الهرب وإذا جاء النهار خرجت إلى القبور فيلغني أنها عوتبت في كثرة آياتها للقابر

الكشميني قال أنا
أبو عبد الله محمد بن
يوسف القريشي قال
حدثنا أبو عبد الله محمد
ابن اسمعيل بن إبراهيم
البخاري قال حدثنا
الحسين بن علي بن أحمد
بن عيسى قال
حدثنا يحيى بن سعيد
الأنصاري قال أخبرني
محمد بن إبراهيم التيمي
أنه سمع علقمة بن
وقاص قال سمعت عمر
ابن الخطاب رضي الله
عنه يقول على التبر
سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
«إنما الأعمال بالنيات
وإنما لكل امرئ
ما نوى فمن كانت
هجرته إلى الله
ورسوله فهجرته إلى
الله ورسوله ومن

(١) حديث ما للميت في قبره إلا كالمريق للثوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو من أخيه وأصدققيه
الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس وفيه الحسن بن علي بن
عبد الواحد قال الذهبي حدث عن هشام بن عمار بحديث باطل (٢) حديث سعيد بن عبد الله الأزدي
قال شهدت بأمامة الباهلي وهو في الترع فقال ياسعيد إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول
يا فلان ابن فلانة الحديث في تلقين الميت في قبره الطبراني هكذا باسناد ضعيف .

قالت إن القلب القاسى إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البلى وإني لآتي القبور فسكنى أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها وكأني أنظر إلى تلك الوجوه للتحفة وإلى تلك الأجسام للتبرية وإلى تلك الأفغان الدمية فيألفها من نظرة لواتريرها العباد قلوبهم ما أنسكل مرارتها للأفقس وأعد تلقاها للأبدان بل ينبغى أن يخضر من صورة الليث ما ذكره عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه قبيح فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يافلان لورأيتى بعد ثلاث وقد أدخلت قبرى وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الحدين وتقلصت الشفتان عن الأسنان وخرج الصديد من القم واغشع القم وتأت البطن فلا الصدر وخرج الصلب من اللب وخرج البدود والصديد من اللناخر لآيت أعجب مما تراه الآن ويستحب الثناء على الليث والأيذكر لإيلاجيل قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقموا فيه» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تسبوا الأموات فأنهم قد أنضوا إلى ما قدموا» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تذكروا موتاكم إلا بخير فأنهم إن يكونوا من أهل الجنة تأموا وإن يكونوا من أهل النار تحسبهم مأم» فيه (٣) وقال أنس بن مالك «مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا عليها شرا فقال عليه السلام وجبت ومروا بأخرى فأتوا عليها خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت فسأله عمر عن ذلك فقال إن هذا أثبت عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أثبت عليه شرا فوجبت له النار وأتم شهادته في الأرض» (٤) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن البديل موت فيثي عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى للملائكة أشهدكم أنى قد قبلت شهادة عبيدى على عبيدى وتجاوزت عن عيسى على عبيدى» (٥)

(الباب السابع في حقيقة الموت وما يلحقه الليث في القبر إلى شخة الصور)

(بيان حقيقة اللوت)

اعلم أن الناس في حقيقة اللوت ظنوننا كاذبة قد أخطأوا فيها فظن بعضهم أن اللوت هو العدم وأنه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للغير والنشر وأن موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا رأى للمحدثين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر وظن قوم أنه ينعدم بالموت ولا يتألم ببقاب ولا يتنعم بثواب مادام في القبر إلى أن يعاد في وقت الحشر وقال آخرون إن الروح باقية لا تنعدم بالموت وإنما للثاب والمعاقب هى الأرواح دون الأجساد وإن الأجساد لا تبيث ولا تحشر أصلا

(١) حديث إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقموا فيه أبو داود من حديث عائشة بإسناد جيد (٢) حديث لا تسبوا الأموات فأنهم قد أنضوا إلى ما قدموا البخارى من حديث عائشة أيضا (٣) حديث لا تذكروا موتاكم إلا بخير الحديث ابن أبي الدنيا في الموت هكذا بإسناد ضعيف من حديث عائشة وهو عند النسائي من حديث عائشة جيد مقتصر على ما ذكر منه هنا بلفظ هلكا كما وذكره بالزيادة صاحب مسند الفردوس وعلم عليه علامة النسائي والطبراني (٤) حديث أنس مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا عليها شرا فقال وجبت الحديث متفق عليه (٥) حديث أبي هريرة إن البديل موت فيثي عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره ذلك الحديث أحمد من رواية شيخ من أهل البصرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل ما من عبد مسلم يموت فيشهد له ثلاث آيات من جبراته الأديين بخير إلا قال الله عز وجل قد قبلت شهادة عبيدى على ما عملوا وفقرت له ما أعلم.

(الباب السابع في حقيقة اللوت وما يلحقه الليث في القبر)

كانت هجرته إلى دنيا
يصيبها أو إلى امرأة
ينكحها فهجرت إلى
ماهاجر إليه «النية
أول العمل وبهسبها
يسكون العمل وأهم
ما ليريد في ابتداء
أمره في طريق القوم
أن يدخل طريق
الصوفية ويتزأ
بزيهم ويجالس طائفتهم
له تعالى فان دخوله
في طريقهم هجرة
حاله ووقته. وقد ورد
«للمهاجر من هجر
ما ناله الله عنه» وقد
قال الله تعالى - ومن
يخرج من بيته
مهاجرا إلى الله ورسوله
ثم يذكره اللوت فقد
وقع أجره على الله -
فالمريد ينبغي أن

وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل التي تشهد له طرق الاعتبار وتنطبق به الآيات والأخبار أن اللوت معناه تغير حال فقط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إما مذبة وإما منعمة ، ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الأعضاء آلات للروح تستعملها حتى أنها لتبطل باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد يتألم بنفسه بأنواع الحزن والغم والكمد وينتم بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد ولا يبعد أن تعاد الروح إلى الجسد في القبر ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث وأما علمها بحكمها على كل عبد من عباده وإنما تعطى للجسد لموت يضاهي تعطى لأعضاء الزمان فساد مزاج يقع فيو بشدة تقع في الأعصاب تمنع قوّة الروح فيها فتكون الروح العالمة العالمة للدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء وقد استعصى عليها بعضها وللوت عبارة عن استئصال الأعضاء كلها وكل الأعضاء آلات والروح هي المستعملة لها وأعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم وآلام الضموم ولذات الأفراح وهما بطل تصرفها في الأعضاء لم تبطل منها العلوم والإدراكات ولا بطل منها الأثرع والضموم ولا بطل منها قولها للآلام والذات والانسان بالحقيقة هو المعنى الذي يدرك للعلوم وللآلام والذات وذلك لا يموت أى لا يندم ومعنى للوت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له كما أن معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة فاللوت زمانة مطلقة في الأعضاء كلها وحقيقة الانسان نفسه وروحه وهي باقية ، ثم تفسير حاله من جهتين : إحداهما أنه سلب منه عينه وأذنه وأسانه ويده ورجله وجميع أعضائه وسلب منه أهله ولده وأقاربه وسائر معارفه وساب منه خيله ودوابه وغفائه ودوره وعقاره وسائر أملاكه ولا فرق بين أن تسلب هذه الأشياء من الانسان وبين أن يسلب الانسان من هذه الأشياء فإن اللؤلؤ هو الفراق والفراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرجل وتارة بأن يسي الرجل عن ذلك وللآلم والالم واحد في الحالتين ، وإتمام معنى اللوت سلب الانسان عن أمواله بأزواجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فإن كان له في الدنيا شيء يأنس به ويستريح إليه ويعتمد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد اللوت ويصعب شقاؤه في مفارقتها بل ياتفت قلبه إلى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى إلى قميص كان يلبسه مثلاً ويفرح به وإن لم يكن يفرح إلا يذكر الله ولم يأنس إلا به عظم نعيمه وتمت سماته إذ خلى بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل إذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله ، فهذا أحمد وجهي المخالفة بين حال اللوت وحال الحياة ، والثاني أنه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفاً له في الحياة كما قد ينكشف للمتيقظ ما لم يكن مكشوفاً له في النوم والبس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وأول ما ينكشف له ما يضرم وينفعه من حسنته وسيئاته وقد كان ذلك مسطوراً في كتاب مطوى في سرّ قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها تحسراً يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له - كفي بنفسك اليوم عليك حسيباً وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتمل فيه نيران الفراق أعني فراق ما كان يطمئن إليه من هذه الدنيا القانية دون ما أراد منها لأجل الزاد والبلغة فان من طلب الزاد للبلغة فاذا بلغ التصد فرح

يخرج إلى طريق القوم لله تعالى فإنه إن وصل إلى ثم لايت القوم فقد لحق بالقوم بالنزل وإن أدركه الموت قبل الوصول إلى نهايات القوم فأجره على الله وكل من كانت بدايته أحكم كانت نهايته أتم . أخيراً أبو زرعة إجازة عن ابن خلف عن أبي عبد الرحمن عن أبي العباس البغدادي عن جعفر الخدي قال سمعت الجنييد يقول أكثر العوائق والحواصل والأوانع من فساد الابتداء فالمرید في أول مسالك هذا الطريق يجتاج

بغارقته بقية الزاد إذ لم يكن يريد الزاد لئنه وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا إلا بقدر الضرورة وكان يود أن تنقطع ضرورته ليستغنى عنه فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه وهذه أنواع من العذاب والآلام بمطية تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه إلى الجسد لنوع آخر من العذاب وقد بقي عنه ويكون حال المتعم بالدنيا للطمأن إليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحرجه اعتمادا على أن للملك يتساهل في أمره أو على أن للملك ليس يدري ما يتعاطاه من قبض أفعاله فأخذه لذلك بقتة وعرض عليه جريدة قد دوخت فيها جميع فواحشه وجنائاته فذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغرور على حرمة ومنتم من الجنة على ملكه وغير ملتفت إلى من يتشفع إليه في العصاة عليه فانظر إلى هذا للأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والحيلة والحياء والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر للفرار بالدنيا للطمأن إليها قبل نزول عذاب القبر به بل عند موته فعوذ بالله منه فإن الحزى والافتضاع وهتك السترا عظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرها فهذه إشارة إلى حال الميت عند اللوت شاهدا أولها الصائر بمشاهدة باطنة أقوى من مشاهدة العين وشهد ذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف القطاء عن كنه حقيقة اللوت إذ لا يعرف للوت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وإدراك ماهية ذاتها « ولم يؤذن لرسول الله ﷺ أن يتكلم فيها ولا أن يزيد على أن يقول الروح من أمر ذي القدر » فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن اطلع عليه وإنما للأذون فيه ذكر حال الروح بعد اللوت ويدل على أن للوت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام إدراكها آيات وأخبار كثيرة : أما الآيات لما ورد في الشهداء إذ قال تعالى - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل عليه عند ربهم يرزقون فرحين - ولما قتل صناديد قريش يوم بدر نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فويل لهم عما وعد ربك حقاً فويل يا رسول الله أتناديهم وهم أموات فقال صلى الله عليه وسلم والقي نفسي بيده إنهم لأجمع لهذا الكلام منكم إلا أنهم لا يقدرتون على الجواب » (١) فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء إدراكها ومعرفة بقاء الآية نص في أرواح الشهداء ولا يخفى لأب من سعادة أو شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم « القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة » (٢) وهذا نص صريح على أن للوت معناه تغير حال فقط وأن ماسيكون من شقاوة لليت وسعادته يتجلى عند اللوت من غير تأخر وإنما يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أسفه . وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « اللوت القيامة فمن مات فقد قامت قيامته » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « إذ مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية إن كان من أهل الجنة فمن الجنة وإن كان من أهل النار فمن النار ويقال لهذا مقعده حتى تبعث إليه يوم القيامة وليس يخفى ما في مشاهدة للمتقين من عذاب ونعيم في الحال » (٤)

- (١) حديث إنه لم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم في الروح . متفق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود له عن الروح ونزول قوله تعالى - ويشتكونك عن الروح - وقد تقدم
- (٢) حديث ندائه من قبل من صناديد قريش يوم بدر يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقاً الحديث مسلم من حديث عمر بن الخطاب (٣) حديث القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة الترمذي من حديث أبي سعيد وتقدم في الرجا والخوف (٤) حديث أنس اللوت القيامة من مات فقد قامت قيامته ابن أبي الدنيا في اللوت بإسناد ضعيف وقد تقدم (٥) حديث إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالتداة والمشي الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر .

إلى إحكام النية وإحكام النية تزويجها من دواعي الهوى وكل ما كان للنفس فيه حظ عاجل حتى يكون خروجه خالصاً لله تعالى . وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز اعلم يا عمر أن عون الله للعبد بقدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له ومن قصرت عنه نيته قصر عنه عون الله بقدر ذلك . وكتب بعض الصالحين إلى أخيه أخلص النية في أعمالك بكفك قليل من العمل ومن لم يبتدئ إلى النية بنفسه صحب من يخلصه حسن النية : قال سهل بن عبد الله التستري أول ما يؤمر به

وعن أبي قيس قال كنا مع قلعة في جنازة فقال أما هذا فقد قامت قيامته . وقال علي كرم الله وجهه حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات غريبا مات شهيدا ووقى فئات القبر وغدى وريح عليه برزقه من الجنة (١) » وقال مسروق ما غبطت أحدا ما غبطت مؤمنا في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وأمن عذاب الله تعالى . وقال علي بن الوليد كنت أمشي يوما مع أبي الدرداء فقلت له ما غيب لمن تحب قال للموت قلت فإن لم يمت قال يقل ماله وولده وإنما أحب للموت لأنه لا يحبه إلا المؤمن والموت إطلاق المؤمن من السجن وإنما أحب قلة المال والولد لأنه فتنه وسبب للناس بالدنيا والأانس عن لا بد من فراقه غاية الشقاء فكل مأسوي الله وذكره والانس به فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال عبد الله بن عمرو : إنما مثل المؤمن حين يخرج نفسه أو روحه مثل رجل بات في سجن فأخرج منه فهو ينفسح في الأرض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من نجى عن الدنيا ويرحم بها ولم يكن له أنس إلا يذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تعسبه عن محبوه ومقاساة الشهوات تؤذيه فكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراجه بمحبوه الذي كان به أنسه من غير طائق ولا دافع وما أجدر ذلك بأن يكون منتهى التعم واللذات وأكل اللذات للشهداء الذين تناولوا في سبيل الله لأنهم ما أقدموا على القتال إلا قاطعين التفاهم عن علائق الدنيا مشتاقين إلى لقاء الله الراضين بالقتل في طلب مرضاته فإن نظر إلى الدنيا فقد باعها طوعا وبالخرة والبايع لا يأنفث قلبه إلى البيع وإن نظر إلى الآخرة فقد اشتراها وتشوق إليها فما أعظم فرحه بما اشتراه إذا رآه موأقلا الفناء إلى ما باعه إذا فارقته وتجرد القلب لحب الله تعالى قد يتفق في بعض الأحوال ولكن لا يدركه الموت عليه فيغير والقتال سبب للموت فكان سببا لإدراك الموت على مثل هذه الحالة فلم هذا عظم التعم إذ معني النعم أن ينال الإنسان ما يريد قال الله تعالى - ولهم ما يشتهون - فكان هذا أجمع عبارة لما في لذة الجنة وأعظم العذاب أن يمنع الإنسان عن مراده كما قال الله تعالى - وحيل بينهم وبين ما يشتهون - فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم وهذا التعم يدركه الشهيد كما غطع نفسه من غير تأخير وهذا أمر انكشف لأرباب القلوب بنور اليقين وإن أردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع أحاديث الشهداء تدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة أخرى فقد روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر « ألا أبشرك يا جابر وكان قد استشهد أبوه يوم أحد فقال بلى بشرك الله بالخير فقال إن الله عز وجل قد أحيا أباك وأقعد بين يديه وقال تمن على عبدى ما شئت أعطيك فقال يارب ما عبدتك حتى عبدتك آتني عليك أن تردني إلى الدنيا فأقول مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى قال له إنه قد سبق مني أنك إليها ترجع (٢) » وقال كعب يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له لم تبكي وأنت في الجنة قال أبكي لأني لم أقتل في الله إلا تلة واحدة فكنت أشتى أن أرد فأقتل فيه قتلات . واعلم أن المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن والضيق ويكون مثاله كالحبوس في بيت مظلم فتح له باب

للريد للبدن التبري
من الحركات للذمومة
ثم النقل إلى الحركات
الحمودة ثم التفرد
لأمر الله تعالى ثم
التوقف في الرشاد ثم
الثبات ثم البيان ثم
القرب ثم للتأجاة ثم
للمصافة ثم للوالة
ويكون الرضا والاسام
مراده والكفوف
والتوكل حاله ثم ين
الله تعالى بعد هذه
بالمعرفة فيكون مقامه
عند الله مقام للتبرين
من الحول والقوة
وهذا مقام حمة العرش
وليس بسعة مقام
هذا من كلام سهل
جمع فيه ما في البداية
والنهاية ومعنى تمسك
للريد بالصديق

(١) حديث أبي هريرة من مات غريبا مات شهيدا ووقى فئات القبر ابن ماجه بسند ضيف وقال
فئة القبر وقال ابن أبي الدنيا خان (٢) حديث عائشة ألا أبشرك يا جابر الحديث وفيه إن الله أحيا
أباك فأقعد بين يديه الحديث ابن أبي الدنيا في الموت باسناد فيه ضعف ولترمذى وحسنه وابن
ماجه من حديث جابر ألا أبشرك بما لي الله به أباك قال بلى يارسول الله الحديث وفيه فقال يا عبدى
تمن على أعطك قال يارب تحبني فأقتل فيك ثانية قال الرب سبحانه إنه سبق مني أنهم لا يرجون.

إلى بستان واسع الأكفاف لا يبلغ طوله أقصاه فيه أنواع الأشجار والأزهار والثمار والطيور فلا يشتهي العود إلى السجن المظلم وقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً للرجل مات «أصبح هذا مرثلاً عن الدنيا وتركها لأهلها فان كان قد دُفِنَ فلا يرجع إلى الدنيا كما لا يرجع أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه^(١)» فترك هذا أن نسبة سعة الآخرة إلى الدنيا كنسبة سعة الدنيا إلى ظلمة الرحم وقال صلى الله عليه وسلم «إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجها حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يصب أن يرجع إلى مكانه^(٢)» وكذلك المؤمن يخرج من اللوت فإذا أفضى إلى ربه لم يجب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يجب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «إن فلاناً قد مات فقال مستريح أو مستراح منه^(٣)» وأشار بالمستريح إلى المؤمن والمستراح منه إلى الفاجر إذ يستريح أهل الدنيا منه وقال أبو عمر صاحب الشيا مربنا ابن عمر ونحن صبيان فنظر إلى قبر فلاناً فجحمة بأدية فأمر رجلاً فواراهم قال إن هذه الأبدان ليس يضرها هذا الثرى شيئاً وإنما الأرواح التي تعاقب وتثاب إلى يوم القيامة وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وإنهم ليسوا به ويكفونوه وإنه لينظر إليهم وقال مالك بن أنس بلغني أن أرواح «ثمنين مرسلة تنهب حيث شاءت وقال النعمان بن بشير «سمعت رسول الله ﷺ على اللبر يقول إلا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الباب يعورني جوف الله في إخوانكم من أهل القبور فان أعمالكم تعرض عليهم^(٤)» وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا تفضحوا موتاكم ببيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور^(٥)» ولقد قال أبو الدرداء اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزى به عند عبد الله بن رواحة وكان قد مات وهو خاله وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن أرواح المؤمنين إذا ماتوا أين هي ؟ قال في حواصل طير يس في ظل العرش وأرواح الكافرين في الأرض السابعة . وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله

(١) حديث قال لرجل مات أصبح هذا قد خلا من الدنيا وتركها لأهلها فان كان قد دُفِنَ فلا يرجع أن يرجع إلى الدنيا كما لا يرجع أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه ابن أبي الدنيا من حديث عمرو بن دينار مرسلًا ورجاله ثقات (٢) حديث إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجها حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يجب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يجب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه ابن أبي الدنيا من رواية ثقة عن جابر بن غاتم السفي عن سليم بن عامر الجنازي مرسلًا هكذا (٣) حديث قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلاناً قد مات فقال مستريح أو مستراح منه متفق عليه من حديث أبي قتادة بافظ مر «عليه بمنزلة فقال ذلك وهو عند ابن أبي الدنيا في اللوت باللفظ الذي أورده للسنف (٤) حديث النعمان بن بشير إلا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الباب يعورني جوف الله في إخوانكم من أهل القبور فان أعمالكم تعرض عليهم ابن أبي الدنيا أبو بكر بن لال من رواية مالك بن أدّى عن النعمان من قوله الله الله ورواه بكاه الأزدى في الضمراء وقال لا يصح إسناده وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل بكاه في ترجمة أبي اسميل المكنى رواية عن مالك بن أدّى ونقل عن أبيه أن كلا منهما مجهول قال الأزدى لا يصح إسناده وذكر ابن حبان في الثقات مالك بن أدّى (٥) حديث أبي هريرة لا تفضحوا موتاكم ببيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور ابن أبي الدنيا والمجاهلي بإسناد ضعيف ولأحمد من رواية من سمع إنساناً عن أنس أن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات الحديث .

والإخلاص بلغ مبلغ
الرجال ولا يخفق صدقه
وإخلاصه شيء مثل
متابعة أمر الشرع
وقطع النظر عن الخلق
فكل الآفات التي دخلت
على أهل البدايات
لموضع نظركم إلى الخلق
وبلغنا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
أنه قال «لا يكلل إيمان
للره حتى يكون الناس
عنده كالأباعر ثم
يرجع إلى نفسه فيراها
أصغر صاغرة» إشارة إلى
قطع النظر عن الخلق
والخروج منهم وقوله
التقييد بما ذكروا .
قال أحمد بن
خضرية : من أحب
أن يكون الله تعالى
معه على كل حال فليترك

صلى الله عليه وسلم يقول «إن البت يعرف من يسهله ومن يحمله ومن يبدله في قبره» (١). وقال صالح المري بلغني أن الأرواح تتلاقى عند اللوت فتقول أرواح اللوت للروح التي تخرج إليهم كيف كان مأواك وفي أي الجسد كنت في طيب أو خبيث. وقال عبيد بن عمير أهل القبور يرتقبون الأخبار فإذا أتاهم البت قالوا ما فعل فلان؟ فيقول ألم تأتكم أو ما قدم عليكم فيقولون إن الله وإنا إليهم راجعون سلك به غير سبيلنا. وعن جعفر بن سعيد قال إذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب. وقال مجاهد: إن الرجل ليشر بصلاح ولده في قبره وروى أبو أيوب الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة عند الله كما يتلقى البشر في الدنيا يقولون أنظروا أحاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فإذا سألوه عن رجل مات قبله وقال مات قبل قالوا إن الله وإنا إليهم راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية» (٢).

(بيان كلام القبر للبت)

وكلام اللوت إلبسان اللقال أولبسان الحال التي هي أنصح في تفهم اللوت من لسان القال في تفهم الأحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول القبر للبت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك في ألم تعلم أي بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت البؤس ما غرك في إذ كنت تحبني فنبذا فان كان مسلحا أجاب عنه عجيب القبر فيقول أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر إني إذا أعول عليه خضرا ويسود جسده نورا وتصدر روحه إلى الله تعالى» (٣) والفاذ هو الذي يقدم رجلا ويؤخر أخرى هكذا فسر الراوي. وقال عبيد بن عمير الليث ليس من بيت موت إلا نادته حفرته التي يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والاغراد فان كنت في حياتك لله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة وإن كنت عاصيا فأنا اليوم عليك حمة أنا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثيرا. وقال محمد بن صبيح بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره فغذب أو عاصبه بعض مايكره ناداه جيرانه من اللوت أيها للتخلف في الدنيا بيد إخوانه وجيرانه أما كان لك فينا متبرما أما كان لك في متقدما إياك فكرة أما رأيت أفعالا عناوت في للهة فلا استدركت ما فات إخوانك وتناديه بقاع الأرض أيها للقبر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن الأرض بمن غرته الدنيا قل لك ثم سبق به أجله إلى القبور وأنت تراه محمولا لها داء أحبه إلى التزلزل الذي لا بد له منه. وقال يزيد الرقاشي بلغني أن البت إذا وضع في قبره احتوته أعماله ثم أنطقه الله؟ قالت أيها العبد للفر في حفرته اشطع عك الأخلاء والأهلون فلا أنيس لك اليوم عندنا. وقال كعب: إذا وضع العبد الصالح في القبر احتوته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال فتجى ملائكة المذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة إليك ثم فلا سبيل لك عليه فقد أطال في القيام فـ

(١) حديث أبي سعيد الخدري إن البت يعرف من يسهله ومن يحمله ومن يبدله في قبره ورواه أحمد من رواية رجل عنه اسمه معاوية أو ابن معاوية نسبة عبد الملك بن حسن (٢) حديث أبي أيوب إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشر يقولون أنظروا أحاكم حتى يستريح ابن أبي الدنيا في كتاب اللوت والطبراني في مسند الشاميين بأسناد ضعيف ورواه ابن المبارك في الزهد موقوفا على أبي أيوب بأسناد جيد ورفعه ابن ساعد في زوائد على الزهد وفيه سلام الطويل ضعيف وهو عند النسائي وابن حبان نحوه من حديث أبي هريرة بأسناد جيد (٣) حديث يقول القبر للبت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك في ألم تعلم أي بيت الفتنة الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والطبراني في مسند الشاميين وأبو حنيفة في الكافي من حديث أبي الحجاج النخعي بأسناد ضعيف.

الصدق فان الله تعالى مع الصادقين وقد ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «الصدق يهدي إلى البر» ولا بد للبريد من الخروج من اللات والجاه والخروج عن الخلق بقطع النظر عنهم إلى أن يحكم أساسه فيعلم دقائق الهوى وخفايا شهوات النفس وأقبح شيء للمريد معرفة النفس ولا يقوم بواجب حق معرفة النفس من له في الدنيا حاجة من طلب الفضول والزيادات أو عليه من الهوى بقية. قال زيد بن أسلم: خصلتان هما كمال أمرك تصبح

عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام : لاسبيل لكم عليه قد أطال ظمأه لله في داره لانيافلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد : إليكم عنه فقد أنصب أنفسنا وأنب بدنه وحج وجهه لله فلا سبيل لكم عليه قال فيأتونه من قبل يديه فيقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنا طبت حيا وطبت ميتا قال وتأتيه ملائكة الرحمة تغفر له فراشاه من الجنة وداراه من الجنة ويوسع له في قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء به يوم يبعث الله من قبره . وقال عبد الله بن عبيد بن عمير في جنازة بلقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الميت يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء إلا قبره يقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرتني وحذرتني ضيق وتقي وهولي ودودي فإذا أعددت لي (١) » .

(بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير)

قال البراء بن عازب : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال إن المؤمن إذا كان في قبر من الآخرة يبعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه قيل أي رب عبدك فلان فيقول أرجعوه فأروهم ما أعددت لهم من الكرامة فإن وعدتم منها خلقناكم وفيها نعيدكم - الآية وإنه ليسمع خلق تعاليم إذا ولوا مديريه حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول ربي الله ودينه الإسلام ونبي محمد ﷺ قال فيقتراته أشجارا شديدة وهي آخر فتنة تعرض على الميت فإذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت وهي معنى قوله تعالى - يبعث الله الذين آمنوا بالقول الثابت - الآية ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب فيقول أشر برحمة ربك وجات فيها نعيم مقيم فيقول وأنت قبضك الله بخير من أنت ؟ فيقول أنا عملك الصالح والله ما علمت إن كنت لسريسا إلى طاعة الله بطيئا عن مصيبة الله فجزاك الله خيرا قال ثم نادى مناد أن أفرشوا له من فرش الجنة واتصخوا له بابا إلى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح باب إلى الجنة فيقول اللهم حمل قيام الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي . قال وأما الكافر فإنه إذا كان في قبر من الآخرة واضطاع من الدنيا نزلت إليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسراويل من فطران فيحتوشونه فإذا خرجت نفسه لسه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكره أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه يذوق ويل أي رب عبدك فلان لم تقبله ساء ولا أرض فيقول الله عز وجل أرجعوه فأروهم ما أعددت له من النور إني وعدته - منها خلقناكم وفيها نعيدكم - الآية وإنه ليسمع خلق تعاليم إذا ولوا مديريه حتى يقال له يا هذا من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري فيقال لا دريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الرائحة قبيح الثياب فيقول أشر بسخط من الله وبمذاب أليم مقيم فيقول بשרك الله بشر من أنت فيقول أنا عملك الخبيث والله إن كنت لسريسا في مصيبة الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا

(١) حديث عبد الله بن عبيد بن عمير بلقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الميت يسمع وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه إلا قبره يقول ويحك يا ابن آدم الحديث ابن أبي الدنيا في القبور هكذا مرسلًا ورجاله ثقات ورواه ابن المبارك في الزهد إلا أنه قال بلقي ولم يرفعه .

لأنهم لله بمصيبة وتسمى ولا تهم لله بمصيبة فإذا أحكم الزهد والتقوى انكشفت له النفس وخرجت من حجبها وعلم طريق حركتها وخفي شهواتها ودسايسها وتلبساتها ومن تمسك بالصدق فقد تمسك بالبروة الوثيق . قال وذاتون الله تعالى في أرضه سيف ما وضع على شيء إلا قطع وهو الصدق وتقل في معنى الصدق أن عابدا من بني إسرائيل راودته ملكة عن نفسه ، فقال اجعلوا لي ماء في الخلاء أتتظف به ثم صعد على موضع في القصر فصرى بنفسه

فيقول وأنت جزاك الله شرا ثم يقضى له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يقلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تمود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعون من على الأرضين ليس الثقلين قال ثم ينادى مناد أن افرشوا له لوحين من نار واخفوا له بابا إلى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب إلى النار (١) وقال محمد بن علي مامن ميت يموت إلا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة قال فيشخص إلى حسنة ويترك عن سيئاته . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بجمرة فيها مسك وضباب الریحان فنسل روحه كأنسل الشعرة من الصبيح ويقال : أيتها النفس الطمعة اخرجي راضية ومرضا عنك إلى روح الله وكرامته فإذا أخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطوبت عليها الحريرة وبث بها إلى عليين وإن الكافر إذا احتضر أتته للملائكة بجمرة فيها مسك وضباب الریحان فنسل روحه وضعت على تلك الجمرة وإن لها نفيسا يطوى عليها للمسك ويذهب بها إلى سبعين (٢) » وعن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقرأ قوله تعالى - حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني لمى أعمل صالحا فإني تركت - قال أي شيء تريد في أي شيء ترغب أتريد أن ترجع لتجتمع لك وتقرس الغراس وتبنى البنيان وتنفق الأنهار قال لا لمى أعمل صالحا فإني تركت قال فيقول الجبار - كلا إنها كلمة هو قائلها سألني ليقولها عند الموت . وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيها ما أنزلت - فإن له معيشة ضحكا - قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره يسقط عليه تسعة وتسعون نفينا هل تدرون ما التين ؟ تسعة وتسعون حبة لكل حبة سبعة رموس يمدحشونه ويلجسونه ويغفخون في جسمه إلى يوم يبعثون ولا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص فإن أعداد هذه الحيات والعقارب بسدد الأخلاق للقصومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات فإن لها أصولا معدودة ثم تنشب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها إلى أقسام وتلك الصفات بأعيانها هي المهلكات وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحيات فالتقوى منها يلدغ لدغ التين والضغيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذى إيذاء الحية وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانساب فروعها إلا أن مقدار عددها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة (٣) فأما هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة فمن لم تكشف له حقائقها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الأيمان التصديق والتسليم . فإن قلت فتنشأ الكافر في قبره مدة وراقبه ولا نشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف للمشاهدة ؟ فاعلم إن لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا أحدها [وهو الأظهر والأصح

فأوحى الله تعالى إلى ملك الهواء أن ارم عيسى قال ففرسه ووضعته على الأرض وضعا رفيقا فقبيل لإبليس ألا أغويته فقال ليس لي سلطان على من خالف هواه وبذل نفسه لله تعالى وبني لله سريد أن تكون له في كل شيء نية لله تعالى حتى في أكله وشربه وما يوسه فلا يلبس إلا لله ولا يأكل إلا لله ولا يشرب إلا لله ولا ينام إلا لله لأن هذه كلها أرفاق أدخلها على النفس إذا كانت لله لاستعصى النفس وتوجب إلى ما يراد منها من المعاملة لله والإخلاص وإذا

(١) حديث البراء خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر الحديث بطوله أبو داود والحاكم بكأله وقال صحيح على شرط الشيخين ووضعه ابن حبان ورواه النسائي وابن ماجه مختصرا (٢) حديث أبي هريرة إن المؤمن إذا احتضر أتته للملائكة بجمرة فيها مسك وضباب الریحان الحديث ابن أبي الدنيا وابن حبان مع اختلاف واليزار باقظ للصنف (٣) حديث أبي هريرة المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا الحديث ورواه ابن حبان

والأصل أن تصدق بأنها موجودة وهي تلغ في الليث ولكك لا تشاهد ذلك فإن هذه العين لا تصلح لمشاهدة الأمور الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت أما ترى السحاب يقرض الله ضمهم كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بأنه عليه السلام يشاهده فإن كنت لا تؤمن بهذا فصحيح أصل الإيمان باللائكة والوحي أهم عليك وإن كنت أنت بتجويزت أن يشاهد النبي الملائكة الأئمة فكيف لا تجوز هذا في الليث وكان أن لللك لا يشبه الأديمين والحيوانات فالحيات والقارب التي تلغ في القبر ليست من جنس حيات علنا بل هي جنس آخر وقد تدرج بحاسة أخرى [لقام الثاني] أن تذكر أمر النائم وأنه قد يرى في نوم حية تلغ وهو يتألم بذلك حتى تراه يصيح في نومه ويرق جبينه وقد يزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وأنت ترى ظاهرها كما ولا ترى حوالها حية والحية موجودة في حقها والعذاب حاصل ولكنه في حق غير مشاهد وإذا كان العذاب في ألم اللغ فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهد [لقام الثالث] أنك تعلم أن الحية نفسها لا تؤلم بل التي يلقاها منها وهو السم ثم السم ليس هو إلا بل عذابك في الأثر الذي يحصل فيك من السم فالوحصل مثل ذلك الأثر من غير سم لكن العذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذي يفضي إليه في العادة فإنه لو خلق في الإنسان لغة الواقع مثلا من غير مباشرة صورة الواقع لم يمكن تعريفها إلا بالإضافة إلى التكون بالإضافة للتعريف بالسبب وتكون غمرة السبب حاصله وإن لم يحصل صورة السبب والسبب يراد فترت له لانه وهذه الصفات للمهلكات تتقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند اللوث فتكون آلامها كالآلام لغير الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة مؤذية يضاهي اهتلاب المشق مؤذيا عند موت المشوق فإنه كان لا يذيا فطرات حالة صار اللذيد بنفسه مؤلما حتى يرد بالقلب من أنواع العذاب ما يتفق معه إن لم يكن قد تدمر بالشق والوصال بل هذا بينه هو أحد أنواع عذاب الليث فإنه قد سلط المشق في الدنيا على نفسه فصار يشق ماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه ولو أخذ جميع ذلك في حياته من لا يرجو استرجاعه منه فإذا ترى يكون حاله أليس يعظم شقاؤه ويشدد عذابه ويتمنى ويقول ليت لم يكن لي مال قط ولا جاه قط فسكنت لأناذى بفراقه فالوث عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة:

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

لما حال من لا يفرض إلا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم إلى أعدائه ثم يضاف إلى هذا العذاب بحسره على مفاته من نعم الآخرة والحجاب عن الله عز وجل فإن حب غير الله يحبه عن لقاء الله والتمتع به فيؤال عليه ألم فراق جميع محبوباته وحسرتة على مفاته من نعم الآخرة أبدا لا يآد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى وذلك هو العذاب الذي يضرب به لإدبايق نار العراق لإتار جهنم كالفال قال تعالى - كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم - وأما من لم يأمن بالدنيا ولم يحب إلا الله وكان مشتاقا إلى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقد قدم على محبوه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الأمن من الزوال أبد الآباد ومثل ذلك فليعمل الماملون والمقصود أن الرجل قد يحب قرسه بحيث لو خير بين أن يؤخذ منه متروكين أن تلغغه عرق أثر الصبر على لدغ العقرب ، فإذا لم فراق القرس عنده أعظم من لدغ العقرب وجهه للقرس هو الذي يلغغه إذا أخذ منه قرسه فليستد لهذه اللدغات فإن اللوث يأخذ منه قرسه ومزجه وداره وعقاره وأهله وولده وأحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وقبوله بل يأخذ منه سمه وبصره وأعضائه ويأس من رجوع جميع ذلك إليه فإذا لم يحب سواه وقد أخذ جميع ذلك منه فذلك أعظم عليه

دخل في شيء من رفق
النفس لاله بغير نية
صالحة صار ذلك وبالاً
عليه وقد ورد في الخبر
«من تطيب لله تعالى
جاء يوم القيامة وريحه
أطيب من لسان الأوفر
ومن تطيب لغير الله
عز وجل جاء يوم
القيامة وريحه أثنى
من الحيفة». وقيل
كان أنس يقول طيبوا
كفى بكم فإن تابنا
بصالحى وقيل يدي
وقد كانوا يحسبون
اللباس للصلاة مقربين
بذلك إلى الله فيتهم
فالمريد يذم أن يتفقد
جميع أحواله وأعماله
وأشوائه ولا يصاح
فهم أن تتحرك
بحركة أو تسلك
بكلمة إلا لله تعالى

من العذاب والحجرات وكأ لو أخذ ذلك منه وهو حيّ فحظ عقابه فكذلك إذا مات لأننا قد بينا أن
 للنبي الذي هو الدرك للألام والشدات لم يمت بل عذابه بعد الموت أشد لأنه في الحياة يسأل بأسباب
 يشغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى برجاء العود إليه ويتسلى برجاء العوض منه ولا سواة
 بعد الموت إذ قد انسدت عليه طرق التسلى وحصل اليأس ، فاذن كل قبيح له ومندبل قد أحبه بحيث
 كان يثق عليه لو أخذ منه فانه يبقى متأسفا عليه ومعذبا به فان كان عذبا في الدنيا سلم وهو للنبي
 بقولهم نجما المحفون وإن كان مثقلا عظم عذابه وكأ أن حال من يسرق منه دينارا أخف من حال من
 يسرق منه عشرة دنانير فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين وهو النبي بقوله
 صلى الله عليه وسلم «صاحب الدرهم أخف حسبا من صاحب الدرهمين» (١) ومامن شيء من الدنيا
 يخاف عك عند الموت إلا وهو حسرة عليك بعد الموت فان شئت فاستكثر وإن شئت فاستقل
 فان استكثرت قلت بمسكرك لإلأمن الحسرة وإن استقلت قلت تخفف لإلأمن يظهر لك وإلأمن أكثر
 الحيات والعقارب في قبور الأغنياء الذين استمتعوا الحياة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها وأطمأنوا إليها
 فبهذه مقامات الإيمان في حيات القبر وعقابه وفي حائر أنواع عذابه . رأى أبو سعيد الخدري
 ابنا له قد مات في المنام فقال له يابني عظمي قال لا تخالف الله تعالى فيا يبريد قل يابني زدني قال يأبى
 لا تطيق قال قل لولا عظمي بينك وبين الله فيصا فبالبس فيصا ثلاثين سنة . فان قلت فبالصريح
 من هذه اللقائات الثلاث . فاعلم أن في الناس من لم يثبت إلا الأول وأنكر ما بعده ومنهم من أنكر
 الأول وأثبت الثاني ومنهم من لم يثبت إلا الثالث وإلأنا الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار
 أن كل ذلك في حيز الإمكان وأن من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله
 سبحانه وعجزه بديره فينكر من أقوال الله تعالى ما لم يأني به وبألفه وذلك جهل وقصور بل
 هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد يساقب شيوخ واحد من هذه
 الأنواع ورب عبد تجمع عليه هذه الأنواع الثلاثة نموذ بالله من عذاب الله قذبه وكثيره ، هذا
 هو الحق فصدق به تقليدا فبعض على بسيط الأرض من يعرف ذلك تحقيقا والذي أوصيك به أن
 لا تنكر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بعمره بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيما كان
 فان أهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن أخذه سلطان وجسه لقطع يده
 ويجمع أنفه فأخذ طول الليل يشكر في أنه هل يقطعه بسكين أو بسيف أو بموسى وأهمل طريق
 الحيلة في دفع أصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع أن العبد لا يخو بعد
 الموت من عذاب عظيم أو نعيم مقيم فينبغي أن يكون الاستعداد له . فأما البحث عن تفصيل
 العقاب والثواب فتشؤون وتضيع زمان .

(بيان سؤال منكر ونكير ووضغطة القبر ورجية القول في عذاب القبر)

قال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم «إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال
 لأحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي فان كان مؤمنا قال هو عبد الله
 ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فيقولان إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم نسمع له
 في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له ثم فيقول دعوني أرجع إلى أهلي
 فأخبرهم فيقال له ثم فيقام كنومة الروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعث الله من مضجعه
 ذلك وإن كان مناقها قال لا أدري كنت أسمع الناس يقولون شيئا وكنت أقوله فيقولان إن كنا لنعلم

(١) حديث . صاحب الدرهم أخف حسبا من صاحب الدرهمين لم أجده له أصلا .

ألك تقول ذلك ثم يقال للأرض التثني عليه فلتثني عليه حتى تختلف فيها أضلعه فلا يزال مذبذباً
يعنه الله من مضجعه ذلك (١) وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر
ابن الخطاب رضي الله عنه « يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك قاسوا لك ثلاثة أذرع
في ذراع وشبر ثم رجعوا إليك فسلوك وكفونوك وحطوك ثم احتمواك حتى يعضوك فيم يهلوا عليك
التراب ويدقونك فإذا انصرفوا عنك أنك فنانا القبر منكروا ونكروا أصواتها كالرعد القاصف
وبساتيرها كالبرق الحاطف يجران أشعارها ويبعثان القبر بأنبياء قتلتك وترتك كيف بك عند
ذلك يا عمر ؟ فقال عمر ويكون معي مثل عقل الآن ؟ قال نعم قال إذن أكنيكمها (٢) » وهذني صريح
في أن العقل لا يتغير بالموت إنما يتغير البدن والأعضاء فيكون الميت طاقلاً مدمراً كالألأم والذات كما
كان لا يتغير من عقله شيء وليس العقل للدرك هذه الأعضاء بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض
بل الذي لا ينقسم في نفسه هو للدرك للأشياء ولو تناثرت أعضاء الإنسان كلها لم يبق إلا الجزء للدرك
الذي لا يتجزأ ولا ينقسم لكان الإنسان العقل بكأله قائماً باقياً وهو كذلك بعد الموت شأن ذلك الجزء
لا يحل له الموت ولا يطرأ عليه العدم . وقال محمد بن النكدر يلقى أن الكافر يسقط عليه في قبره دابة
عجاء صماء في يدها سوط من حديد في رأسه مثل غرب الجمل تضربه به إلى يوم القيامة لارتاده تشفيه
ولا تسمع صوته قترحه . وقال أبو هريرة إذا وضع الميت في قبره جاءت أعماله الصالحة فاحتوشته فان
أناه من قبل رأسه جاء قراءته القرآن وإن أناه من قبل رجله جاء قيامه وإن أناه من قبل يده
قالت اليدين والله لقد كان يبسطني للصدقة والدعاء لاسبيل ليكم عليه وإن جاءه من قبل فيه جاذ كره
وصيامه وكذلك تقف الصلاة والصبر ناحية فيقول أما إني لو رأيت خلا لكت أنا صاحبه . قال
سفيان نجا حاشي عنه أعماله الصالحة كما يجا حاشي الرجل عن أخيه وأهله وولده ثم يقال له عند ذلك بارك
الله لك في مضجعك فتم الأضلاع أخلاؤك ونعم الأصحاب أمها بك . وعن حذيفة قال « كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال « يضبط لؤم في هذا
ضبطة ترد منه سمائه (٣) » وقالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن
للقبر ضبطة ولو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ (٤) » وعن أنس قال « توفي زينب بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقاة فبعضها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا
حاله ، فلما اثبتنا إلى القبر فدخله انتقع وجهه صفرة ، فلما خرج أسفر وجهه فقلنا يا رسول الله
رأينا منك شأنًا ثم ذلك ؟ قال ذكرت ضبطة ابقي وشدة عذاب القبر ، فأثبت فأخبرت أن الله

(١) حديث أبي هريرة إذا مات العبد أناه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكرو وللاخر
نكير الحديث الترمذي وحسنه وابن حبان مع اختلاف (٢) حديث عطاء بن يسار قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك قاسوا
لك ثلاثة أذرع في ذراع وشبر ، الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسلًا ورواه جالقات
قال البيهقي في الاعتقاد رويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلًا . قلت ووصله ابن بطه
في الابانة من حديث ابن عباس ورواه البيهقي في الاعتقاد من حديث عمر ولة الغريب هذا الاسناد
نفرد به بفضل . ولأحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمر فقال عمر أريد لنا عقولنا فقال ثم
كبريتكم اليوم فقال عمر فيه الحجر (٣) حديث حذيفة كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ، الحديث رواه أحمد بسند ضعيف (٤) حديث عائشة
إن للقبر ضبطة لو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ رواه أحمد بإسناد جيد .

قلت لها هات للمدى
بنية فلما قالت والمرأة
لم يكن لي في المرأة
فتوقفت حتى هبأ الله
تعالى لي نية فقلت
نعم وكل مبتدئ
لا يحكم أساس بدايته
بمهاجرة الألف
والأصدقاء والمعارف
وتمسك بالوحدة
لا تستقر بدايته ، وقد
قيل من قبل الصدق
كثرة الخطاء وأنفع
ماله لزوم الصمت وأن
لا يطرئ صممه كلام
الناس فإن باطنه يتغير
ويتأثر بالأقوال المختلفة
وكل من لا يعلم حال
زهده في الله نبا وعسكه
بحقائق التقوى
لا يعرفه أبدًا فان عدم

قد خفف عنها ولقد منقطعت صحتها ما بين الحاقين (١) .

(الباب الثامن فيما عرف من أحوال اللواتي بالكشفة في المنام)

اعلم أن أنوار البصائر المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج الاعتبار تعرفنا أحوال اللواتي على الجملة وانقسامهم إلى سعداء وأشقياء ولكن خالد زيد وعمر وبنيته فلا يكشف أصلاً فإنا إن عولنا على إيمان زيد وعمر فلا ندري على ماذا مات وكيف ختم له وإن عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى على القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى - إنما يقبل الله من التلقين - فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمر إلا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه وإذا مات قد تحول من عالم الملك والشفادة إلى عالم النيب ولللكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وإنما يرى بين أخرى خلقت تلك العين في قلب كل إنسان ولكن الإنسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته وأشغاله الدنيوية فصار لا يبصرها ولا يتصور أن يصر بها غيثاً من عالم الملكوت مالم تنشعب تلك الغشاوة عن عين قلبه، ولما كانت الغشاوة منقشة عن أعين الأنبياء عليهم السلام فلا جرم نظروا إلى الملكوت وشاهدوا بهجابه واللواتي في عالم الملكوت فشاهدوه وأخبروا ، ولذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منقطعة أنقر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته (٢) وكذلك حال أبي جابر لما استشهد إذ أخبره أن الله أقامه بين يديه ليس ينهجا ستر ، ومثل هذه المشاهدات لا مطمع فيها لتغير الأنبياء والأولياء الذين تقرب درجاتهم منهم وإنما للسكن من أمثالاتها مشاهدة أخرى ضعيفة إلا أنها أيضاً مشاهدة نبوية وأعلى بها للمشاهدة في المنام وهي من أنوار النبوة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة» (٣) وهو أيضاً انكشاف لا يحصل إلا بانقشاع الغشاوة عن القلب فذلك لا يوثق إلا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه ومن كثر فساده ومعاصيه أعظم قلبه فكان ما رآه أضغاث أحلام ، ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم ليأمن طاهراً (٤) وهو إشارة إلى طهارة الباطن أيضاً فهو الأصل وطهارة الظاهر بمنزلة التمسك بالتمسكة لها ومهما صفا الباطن انكشف في حدة القلب ما سيكون في السنتين كما انكشف دخول مكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم حتى نزل قوله تعالى - لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق - (٥) ولما غلوا الإنسان عن منامات دلت على أمور فوجدها محيية والرؤيا ومعرفة القلب في النوم من عجائب صنع الله تعالى وبديع فطرة الأدمى وهو من أوضح الأدلة على عالم الملكوت والحق غافلون عنه كفتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكشفة فلا يمكن ذكره (١) حديث أنس توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقاة الحديث وفيه قد منقطعت صحتها ما بين الحاقين ابن أبي الدنيا في الموت من رواة سليمان الأعمش عن أنس ولم يسمع منه .

(الباب الثامن فيما عرف من أحوال اللواتي بالكشفة)

(٢) حديث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منقطعة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك حال أبي جابر لما استشهد تقدمت الثلاثة أحاديث في الباب الذي قبله (٣) حديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة تقدم (٤) حديث أمره بالطهارة عند النوم متفق عليه من حديث البراء إذا أتيت مضجعتك فتوضأ وضوءك للصلاة الحديث (٥) حديث انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ابن أبي حاتم في تفسيره من رواية مجاهد مرسلاً .

معرفة لا يفتح عليه خيراً وبواطن أهل الابتداء كالشمع قبل كل شيء وربما استضر المبتدئ بمجرد النظر إلى الناس ويستضر بغضول النظر أيضاً وفصول المثني فيقف من الأغنياء كلها على الضرورة فينظر ضرورة حتى لو مشى في بعض الطريق يهتد أن يكون نظره إلى الطريق الذي يسلكه لا يلتفت بمنه ويساره ثم يتقن موضع فطر الناس إليه وإحسانهم منه بالرمزية والاحتراز فإن علم الناس منه بذلك أضر عليه من فعله ولا يستحق فضول

علاوة على علم العامة ولكن القدر الذي يمكن ذكره هنا مثال يفهمك للتصود وهو أن تلم أن القلب مثله مثال مرآة تراهي فيها الصور وحقائق الأمور وأن كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يبر عنه تارة بالروح وتارة بالكتاب البين وتارة بإمام مبين كما ورد في القرآن جميع ما جرى في العالم وما يجري مكتوب فيه منقوش عليه نقشا لا يشاهد بهذه العين ولا تظن أن ذلك اللوح من خشب أو حديد أو عظم وأن الكتاب من كاغذ أو ورق بل ينبغي أن تفهم قطعا أن لوح الله لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما أن ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل إن كنت تطالب له مثلا يقر به إلى فهمك فاعلم أن ثبوت للتأثير في اللوح ينشأ بثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه حتى كأنه حين يقرؤه ينظر إليه ولو قشقت دماغه جزءا جزءا لم تشاهد من ذلك الخط حرفا وإن كان ليس هناك خط يشاهد ولا حرف ينظر فمن هذا الخط ينبغي أن تفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله تعالى وقضاه واللوح في المثال كحركة تظهر فيها الصور فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة أخرى لسكنت صورة تلك المرآة تراهي في هذه إلا أن يكون بينهما حجاب فالقلب مرآة تقبل رسوم العلم واللوح مرآة رسوم العلم كلها موجودة فيها واغتفال القلب بشهوته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم للسكرات ، فإن هيئة ربح حركت هذا الحجاب ورفقته تلاحق في مرآة القاب شيء من عالم للسكرات كالبرق الخاطف وقد ثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو القاب ومادام متيقظ فهو مشغول بما توردته الحواس عليه من عالم للسكرات والشهادة وهو حجاب عن عالم للسكرات ، ومعنى النوم أن تمركد الحواس عليه فلا توردته على القلب فاذا غلص منه ومن الخيال وكان صافيا في جوهره ارضع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كاتنفع الصورة من مرآة في مرآة أخرى إذا ارتفع الحجاب بينهما إلا أن النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله وعن تحركه فما يقع في القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون التخيلات أثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فاذا اتقه لم يترك إلا الخيال فيحتاج العبر أن ينظر إلى هذا الخيال كحكاية أي معنى من المعاني ف يرجع إلى المعاني المناسبة التي بين التخيل والمعاني وأمثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير وكيفك مثال واحد وهو أن رجلا قال لابن سيرين رأيت كأن يدي خاتما اختتم به أفواه الرجال وفروج النساء قال أنت مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان قال صدقت فانظر أن روح الختم هو المانع ولأجله يراد الختم وإنما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعا للناس من الأكل والشراب ولكن الخيال ألهم المتبع عند الختم بالحاتم فتحمله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ إلا الصورة الخيالية ، فهذه بقية سيرة من بحر علم الرؤيا الذي لا تحصر عجائبه وكيف لا وهو أخو الموت وإنما الموت هو عجب من العجائب وهذا لأنه يشبهه من وجه متعيب أثري كشف الطلاء عن عالم النيب حتى صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل فإذا تراءى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الطلاء بالكلية حتى يرى الإنسان عند انقطاع النفس من غير تأخير نفسه إما محفوفة بالأنسكال والحمازي والنضام نموذجاته من ذلك وإمامك توفيا بينهم مقيم ومملك كبير لا آخره وعند هذا يقال للأشياء وقد انكشف الطلاء - لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - ويقال - أنفسهم هذا أم أتم لا يصرون لصاوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون - وإليه الإشارة بقوله تعالى - وبدلهم من الله ما لم يكونوا يحسبون -

المشي فإن كل شيء من قول وفعل ونظر وسامع خرج عن حد الضرورة جر إلى الفضول ثم يجر إلى تضيق الأصول . قال سفيان : إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول نكسل من لا يمسك بالضرورة في القول والفعل لا يقدر أن يقف على قدر الحاجة من الطعام والشراب والنوم ومضى تعسدى الضرورة دأعت عزائم قلبه وأعلنت شيئا بهدشي قال سهل بن عبد الله من لم يبد الله اختيارا يبد الخلق اضطارا وينفتح على البعد أبواب الرخص

فأعلم العلماء وأحكم الحكماء يتكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا يحتاج به ضميره فلو لم يكن للعامل ثم وغم إلا الفكرة في خطر تلك الحال أن الحجاب عماذا يرتفع وما لذي يتكشف عنه التطاء من شقاوة لازمة أم سعادة دأمة لكان ذلك كافياً في استغراق جميع الصبر والعجب من غفلتنا وهذه العظام بين أيدينا وأهبط من ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وأبنائنا وذرتنا بآعضائنا وممننا وبصرنا مع أننا لم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن أين من ينث روح القدس في روعه فيقول ما قال لسيد النبيين «أحب من أحببت فانك مفارقة وعنى عاشت فانك ميت واعمل عاشت فانك مجزي به (١)» فلا جرم لما كان ذلك مكشوفاً له بين اليقين كان في الدنيا كما برسيد لم يضع لينة في لينة ولا قصبة على قصبة (٢) ولم يخلف دينارا ولا درهما (٣) ولم يتخذ خبيلا ولا خيلا لانهم قال «لو كنت متخذنا خيلا لا تخذت أبابكر خيلا ولكن صاحب خليل الرحمن (٤)» فيبين أن خلة الرحمن تخلت باطن قلبه وأن حبه تمكن من حبه قلبه فلم يترك فيه مقسما خليل ولا حبيب وقد قال لأمتيه إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله - فاتمما أمتيه من اتبعه وماتبعه إلا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة فانه مادعا إلى الإلإى الله واليوم الآخر وما صرف إلا عن الدنيا والمخطوظ الماجة فيقصد ما عرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه ويقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته ويقدر ما اتبعته فقد صرت من أمتيه ويقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعتها والتحققت بالدين قال الله تعالى فيهم - فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى - فلو خرجت من مكن الغرور وأنصفت نفسك يارجل وكلنا ذلك الرجل لعلت أنك من حين تصبح إلى حين تمسى لانسمى إلى المخطوظ الماجة ولا تتحرك ولا تسكن إلا لما جعل الدنيا ثم قطع عن أن تكون غدا من أمتيه وأتباعه ما أبدطتك وما أبدطعك - أفنجل المسلمين كالهم من مالكم كيف تحكون - ولزج إلى ما كان فيه وبصده قد امتد عنان الكلام إلى غير مقصده ولذكر الآن من النامات الكاذبة لأحوال اللوثي ما يظم الانتفاع به إذ ذهبت النبوة وبقيت للبشرات وليس ذلك إلا للنامات (بيان منامات تكشف عن أحوال اللوثي والأعمال النافعة في الآخرة)

فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام «من رأى في المنام قد رأى في حقاً فان الشيطان لا يتقبل في (٥)» وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ في المنام فرأيت لا ينظر إلى قتلت يارسول الله ما شأني فالتفت إلى وقال ألسنت للقبل وأنت صائم قال والذي نفسي بيده لا أقول امرأة وأنا صائم أبداً . وقال العباس رضي الله عنه كنت وداعا فاشتيت أن أراه في المنام فما رأيت إلا عند رأس الحول فرأيت به مسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا أوان فراخي إن كان عرشي أبداً لولا أني لقيته رءوفا رحيا . وقال الحسن بن علي قال لي على رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنع لي الآية في منامي قتل يارسول الله ما لقيت من أمتك قال ادع عليهم قتل اللهم أبدي لي من هو خير لي منهم وأبدلهم لي من هو شرهم مني فخرج فصر به أن ملجهم وقال بعض الشيوخ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل يارسول الله استغفر لي فأعرض عني قتل يارسول الله إن

والانتماء وبهلك مع
الحالكين ولا ينبغي
للمبتدئ أن يعرف
أحد من أبواب
الدنيا فمن معرفته لهم
سم قاتل . وقد ورد
والدنيا مبسوطة الله
فمن يحسك يحل منها
قادته إلى النار وما
جبل من جبالها إلا
كأنها والطالين
لها والمجدين فغن
عرفهم انجذب إليها
شاه أو أبي وهترز
المبتدئ عن عجالة
الفقراء الذين لا يقولون
قيام الليل وصيام
التمار فانه يدخل عليه
منهم أكثر ما يدخل
عليه بعجالة أبناء
الدنيا وربما يشيرون
إلى أن الأعمال شغل

- (١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة الحديث تقدم .
- (٢) حديث لم يضع لينة في لينة ولا قصبة على قصبة تقدم أيضا (٣) حديث لم يخلف دينارا ولا درهما تقدم أيضا (٤) حديث لو كنت متخذنا خيلا لا تخذت أبابكر ولكن صاحب خليل الرحمن تقدم أيضا (٥) حديث من رأى في المنام قد رأى فان الشيطان لا يتقبل في متفق عليه من حديث أبي هريرة .

سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن النسكر عن جابر بن عبد الله إنك لم تسأل شيئا قط قلت لا فأقبل على فقال غفر الله لك (١) وروى عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لأبي لمب مصاحبا له فلما مات وأخبر الله عنه بما أجبر حزفت عليه وأهمني أمره فسألت الله تعالى حولاً أن يرزني إياه في المنام قال فرأيتني يلبس ثاراً فسألت عن حاله فقال صرت إلى النار في المذاب لا يخفف عني ولا يروح إلا ليلة الاثنين في كل الأيام والليالي قلت وكيف ذلك قال ولدت في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءني أمية فبشرتني بولادة آمنة إياه فحزبت به وأعفت ولدت لي فرحاً به فأثاني الله بذلك أن رفع عني المذاب في كل ليلة الاثنين . وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حاجاً فصبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن إلا صلى على النبي ﷺ فسألت عن ذلك فقال أخبرك عن ذلك خرجت أول مرة إلى مكة ومعى أبي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينما أنا نائم إذ أتاني آت فقال لي قم فقد أمانت الله أباك وسود وجهه قال قممت مذعوراً فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو ميت أسود الوجه فدخلت من ذلك رعب فبينما أنا في ذلك النعم إذ غلبتني عيني قممت فإذا على رأس أبي أربعة سودان معهم أعمدة حديد إذ أقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين أخضرين فقال لهم تتحوا فسح وجهه يده ثم أتاني فقال قم فقد رضى الله وجهه أباك قلت له من أنت يا بني أنت وأمي فقال أنا محمد قال قممت فكشفت الثوب عن وجه أبي فإذا هو أبيض لما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن عمر بن عبد العزيز قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهم جالسين عنده فسلمت وجلست فبينما أنا جالس إذ أتى بئى معاوية فأدخلنا بيتاً وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر لهما كان بأسرع من أن خرج على رضى الله عنه وهو يقول قفى ل ورب السكبة وما كان بأسرع من أن خرج معاوية على أثره وهو يقول غفر لي ورب السكبة واسمعت ابن عباس رضى الله عنهما مرة من نومه فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله فأسكركه أصحابه فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زوجة من دم فقال ألا تعلم ما صنعت أمقى بعدى تناولوا ابني الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفضها إلى الله تعالى فجاء الخبر بعد أربعة وعشرين يوماً بقتله في اليوم الذي رآه ورؤى الصديق رضى الله عنه فقيل له إنك كنت تقول أبدي لسانك هذا أوردني للوارد لماذا فعل الله بك قال قلت به لا إله إلا الله فأوردني الجنة .

(بيان منامات للشيخ رحمه الله عليهم أجمعين)

قال بعض الشايخ رأيت مناماً الدورقي في المنام فقامت بإسدي ماضل الله بك فقال ديرني في الجنان فقيل لي يا متم هل استحسنيت فيها شيئا قلت لا يا سيدى فقال لو استحسنيت منامها لثقلت اليوم وأوصلت إلى ورؤى يوسف بن الحسين في المنام فقيل له ماضل الله بك قال غفرتي قبل بما إذا قال ما خلطت جدا بهزل وعن منصور بن إسماعيل قال رأيت عبد الله البراز في النوم فقلت ماضل الله بك قال أو قفى بين يديه فغفر لي كل ذنب أقررت به إلا ذنباً واحداً فأتى استجيت أن أقربه فأوقفتني في المرقى حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك الذنب قال نظرت إلى غلام جميل فاستحسنيت فاستحسنيت من الله أن ذكره وقال أبو جعفر الصديقي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وحوله جماعة من الفقهاء فبينما نحن كذلك إذ انشقت السماء فزول ملكان أحدهما يده طشت ويده الآخر يريق فوضع الطشت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل يده ثم أمر حتى غسلوا ثم وضع الطشت بين يدي

(١) حديث ابن عينة عن محمد بن النسكر عن جابر ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا ، رواه مسلم وقد تقدم .

للتعبدين وأن أرباب الأحوال ارتقوا عن ذلك . ويلبني الفقير أن يقتصر على الفرائض وصوم رمضان غصب ولا يلبي أن يدخل هذا الكلام صممه رأساً فانا اخترنا ومارسنا الأمور كلها وجالسنا الفقهاء والصالحين ورأينا أن الدين يقولون هذا القول ورون الفسرافض دون الزيادات . والنوافل تحت القصور مع كونهم أوصافاً في أحوالهم فعل العبد التمسك بكل فريضة وفريضة فبذلك ثبت قدمه في بدايته وبراهى يوم الجمعة خاصة وبجعله لله تعالى خالصاً لا يمزجه بشيء

قتال أحدهما للآخر لا تصب على يده فانه ليس منهم قلت يارسول الله أليس قد روى عنك أنك
 قلت «لرو مع من أحب» قال بلى قلت يارسول الله فاني أحبك وأحب هؤلاء الفقراء قلت صلى الله
 عليه وسلم صب على يده فانه منهم وقال الجنيدي رأيت في المنام كأنني أتكم على الناس فوقف على
 ملك فقال أقرب ما تقرب به للفقراء إلى الله تعالى ماذا قلت عمل خفي بيزان وفي فؤلي الملك
 وهو يقول كلام موفق والله ورؤي جمع في النوم قليل له كيف رأيت الأمر فقال رأيت اترهدين
 في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة . وقال رجل من أهل الشام للملاء بن زياد رأيتك في النوم كأنك
 في الجنة فنزل عن مجلسه وأقبل عليه ثم قال لعل الشيطان أراد أمرا فصمت منه فأعصى رجلا
 يقتلني . وقال محمد بن واسع الرؤيا تسر للؤمن ولا تفره وقال صالح بن بشر رأيت عطاء السلي في النوم
 قلت له رحمت الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا قال أما والله لقد أعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا
 دائما قلت في أي الله رجات أنت - فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين - الآية . وسئل
 زرار بن أبي أوفى في المنام أي الأعمال أفضل عندكم فقال الرضا وقصر الأمل وقال يزيد بن مذعور
 رأيت الأوزاعي في المنام فقالت يا أبا عمرو دلني على عمل أتقرب به إلى الله تعالى قال ما رأيت هناك درجة
 أرفع من درجة السماء ثم درجة الحزوين قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يسكن حتى ظلمت عيناه
 وقال ابن عينة رأيت أخي في المنام قلت يا أخي ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفري
 وما لم استغفر منه لم يغفر لي وقال علي الطلعي رأيت في المنام امرأة لالشبه نساء الدنيا قلت من أنت
 فقالت حوراء فقالت زوجني نفسك قالت اخطني إلى سيدي وأمهرني قلت وما مهرك قالت حبس نفسك
 عن آفاتك وقال إبراهيم بن إسحق الحربي رأيت زيدة في المنام قلت ما فعل الله بك قالت غفر لي
 قلت لها بما أغفقت في طريق مكة قالت أما التفقات التي أنفقتها رجعت أجورها إلى أبيها وغفرت لي
 بنيت ولما مات سفيان الثوري رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال وضعت أول قدمي على الصراط
 والثاني في الجنة . وقال أحمد بن أبي الحواري رأيت في المنام جارية ما رأيت أحسن منها وكان
 يتلأأ وجهها نورا قلت لها ماذا تنوء وجهك قالت تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت
 أخذت دمعك فمسحت به وجهي فمن ثم تنوء وجهي كما ترى وقال السكتاني رأيت الجنيد في المنام
 قلت له ما فعل الله بك قال طاحت تلك الاشارات وذهبت تلك البارات وما حصلنا إلا على ركتين
 كنا نصلهما في الليل ورؤيت زيدة في المنام فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي بهذه الكلمات
 الأربع لا إله إلا الله أفنى بها عمري لا إله إلا الله أدخل بها قبري لا إله إلا الله أخلى بها وحدي لا إله إلا الله
 ألقي بها ربي ورؤي بشر في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني بعبودي وعز وجل وقال يا بشر أما استحييت
 مني كنت تخافني كل ذلك الخوف ورؤي أبو سلمان في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني وما كان
 شيء أضر علي من إشارات التوم إلى وقال أبو بكر السكتاني رأيت في المنام شابا لم أر أحسن منه قلت له
 من أنت قال التقوى قالت فأين تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فإذ امرأ سوداء قلت من أنت
 قالت أنا السقم قلت فأين تسكن قالت كل قلب فرح مرح قال فانتبهت وعما هدت أن لا أضحك إلا غيلة
 وقال أبو سعيد الخراز رأيت في المنام كأن إبليس وثب على فأخذت الصلأ لأضربه فلم يرفع منها
 فنهض بي هاتف إن هذا لا يخاف من هله وإنما يخاف من نور يكون في القلب وقال المسوحي رأيت
 إبليس في النوم يعشي عريانا قلت ألا تستحي من الناس فقال بالله هؤلاء ناس لو كانوا من الناس
 ما كنت ألبس بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة بل الناس قوم غير هؤلاء قد أسقموا
 جسمي وأشار بيده إلى أمهاتنا الصوفية وقال أبو سعيد الخراز كنت في دمشق فرأيت في المنام كأن للنبي

من أحوال نفسه
 ومآكرها ويسكر إلى
 الجامع قبل طلوع
 الشمس بعد الغسل
 للجمعة وإن اغتسل
 قريبا من وقت الصلاة
 إذا أمكنه ذلك فحسن
 قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم «يا أبا
 هريرة اغتسل للجمعة
 ولو اشتريت الماء
 بمشائك وما من
 نبي إلا وقد أمره
 الله تعالى أن يغتسل
 للجمعة فان غسل
 الجمعة كفارة للذنوب
 ما بين الجمعين» ويشغل
 بالصلاة والتضرع
 والدعاء والتلاوة وأنواع
 الأذكار من غير خور
 إلى أن يسلي الجمعة
 ويجلس مستكثرا في

صلى الله عليه وسلم جاءني متكئا على أبي بكر وعمر رضى الله عنهما فاجاء فوقف على وأنا أقول عيشا من
الأموات وذوق في صدري فقال شر هذا أكثر من خير. وعن ابن عينة قال رأيت صفيان الثوري في النوم
كأنه في الجنة بطير من شجرة إلى شجرة يقول للذي هذا فاعمل له ما لو ن قلت له أوصني قال أقلل من معرفة
الناس وروى أبو حاتم الرازي عن قيس بن عتبة قال رأيت صفيان الثوري قلت ما فعل الله بك فقال:

نظرت إلى ربي كففا فقال لي هنيئا وسأني عنك يا ابن سعيد
فقد كنت قواما إذا أعظم الدجى بصيرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختراي قصر أردته وزرني فاني منك غير بعيد

وروى الشبلبي بعد موته بثلاثة أيام قيل له ما فعل الله بك قال ناقض حتى أيسر فلما رأى بأسى ثم مدني
برحمته ورؤي مجنون بن عامر بعد موته في المنام قيل له ما فعل الله بك قال غفرت لي وجعلني حجة على
المحبين ورؤي الثوري في المنام قيل له ما فعل الله بك قال رحماني قيل له ما حال عبد الله بن المبارك فقال
هو بمن يلج في ربه في كل يوم مرتين ورؤي بعضهم فقتل عن حاله فقال: حاسبو نافذة قوتهم منوا
فأغتوا ورؤي مالك بن أنس قيل له ما فعل الله بك قال غفرت لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان
رضي الله عنه عند رؤية الجنة سبحان الحى الذى لا يموت ورؤي في الليلة التى مات فيها الحسن
البصرى كأن أبواب السماء مفتحة وكان مناديا ينادى ألا إن الحسن البصرى قدم على الله وهو
عنه راض ورؤي الجاحظ قيل له ما فعل الله بك فقال :

ولا تكتب بخطاك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

ورأى الجندب إلياس في المنام عريانا فقال الاستسجى من الناس فقال هؤلاء ناس الناس أقوام في
مسجد الشونيزية قد أمشوا جسدى وأحرقوا كبدى قال الجندب فلما انتهت غدت إلى المسجد
فرايت جماعة قد وضعوا رءوسهم على ركبهم يشكرون فلما رأوني قالوا لا يفرنك حديث الجندب
ورؤي النصر الباذي بمكة بعد وفاته في النوم قيل له ما فعل الله بك قال عوبت عتاب الأشراف ثم
نوديت يا أبا القاسم أريد الاتصال انشغال فقامت فإذا الجلال لما وضعت في اللحد حتى لحقت بربي ورأى
عتبة العالم حوراء في المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة أنا لك عاقبة فانظر لا تمهل من الأعمال شيئا
فيحالف بيني وبينك فقال عتبة طاعت الدنيا ثلاثا لا رجعة لي عليها حتى أتاك وقيل رأى أيوب
السجستاني جنازة عاص فدل الالهيل كيلا يصلى عليها فرأى لآيت بعضهم في المنام قيل له ما فعل
الله بك قال غفرت لي وقال قل لأيوب - قل لو أنتم تعلمون خزائن رحمتي إذ أنسكم خشية الاتفاق -
وقال بعضهم رأيت في الليلة التى مات فيها داود الطائي نورا وملائكة تزولوا وملائكة صعودا فقلت لى
ليلة هذه فقالوا إله مات فيها داود الطائي وقد زخرت الجنة لتقدم روحه وقال أبو سعيد الشحام
رأيت سهلا الملوكي في المنام قلت أيها الشيخ قل دع التشيخ فأت تلك الأحوال التى عاينتها
فقال لمن عانا قلت ما فعل الله بك قال غفرت لي بمائل كان يسأل عنها العجوز قال أبو بكر الشيدى
رأيت محمد الطوسي المعلم في النوم فقال لي قل لأبي سعيد الصغار المؤدب :

وكنا على أن لا نعمل عن الجوى فقد حياة الحب حلقم وما حلنا

قال فانتبهت فذكرت ذلك له فقال كنت أزور قبره كل جمعة فلم أزره هذه الجمعة وقال ابن راشد رأيت
ابن المبارك في النوم بعد موته فقالت أليس قد مات قال بلى فأت فاصنع الله بك لغفرت مغفرة أحاطت
بكل ذنب قلت صفيان الثوري قال يخرج ذلك - من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين - الآية
وقال الربيع بن سليمان رأيت الشافعي رحمه الله عليه بعد وفاته في المنام قلت يا أبا عبد الله ما صنع الله بك

الجامع إلى أن يصلى
فرض الصبر وبقية
النهار يشغله بالتدريج
والاستغفار والصلوة
على النبي صلى الله عليه
وسلم فانه يرى ركة
ذلك في جميع الأسبوع
حتى يرى ثمرة ذلك
يوم الجمعة وقد كان من
الصادقين من يضبط
أحواله وأقواله وأفعاله
جميع الأسبوع لأنه يوم
المزيد لكل صادق
ويكون ما يجده يوم
الجمعة معيارا يحتسب به
سائر الأسبوع الذى
مضى فانه إذا كان
الأسبوع سليما يكون
يوم الجمعة فيه مزيد
الأنوار والبركات وما يجده
في يوم الجمعة من الظلة
وسامة النفس وقلة

قال اجلس على كرسى من ذهب وشرطى الاؤاؤا الربورأى رجل من أصحاب الحسن البصرى ليلة مات الحسن كان مناديا ينادى - إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن البصرى على أهل زمانه وقال أبو يعقوب القارى الدقيقى رأيت فى منامى رجلا آدم طولا والناس يتبعونه قتل من هذا قالوا أويس القرنى فأنته قتل وأوصى رحلك الله فكلع فى وجهى قتل مسترشد فأرشدنى أرشدك الله فأقبل على وقال اتبع رحمة ربك عند حبه واحذر قتمته عند مصيبته ولا تقطع رجاءك منه فى خلال ذلك ثم ولى وتركنى وقال أبو بكر بن أبى صيرم رأيت ورقاء بن بشر الحضرى قتل ما فعلت يا ورقاء قال نبوت بعد كل جهد قتل فأى الأعمال وجدتموها أفضل قال البكاعم خشية الله وقال يزيد بن نعمة هلكت جارية فى الطاعون الجارف فرأها أبوها فى المنام فقال لها يا بنة أخبرينى عن الآخرة قالت يا بنة قد منا على أمر عظيم نعلم ولا نعلم ولنعلم ولنعلمون والله لتسيحبا أو تسيحبتان أو ركة أو ركتان فى فسحة عمل أحب إلى من الدنيا وما فيها وقال بعض أصحاب عتبة الغلام رأيت عتبة فى المنام قتل ما صنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوة السكونية فى بيتك قال فلما أصبحت جئت إلى بيتى فاذا خط عتبة الغلام فى حائط البيت يهاذى للضليين وباراحم للذنبين وباقبل عثرات العائرين أرحم عبدك ذا الحظ العظيم ولللمين كلهم أجمعين واجلنا مع الأحياء الرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين وقال موسى بن حماد رأيت سفيان الثورى فى الجنة يطير من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة فقلت يا أبا عبد الله ثم قلت هذا فقال بالورع قتل فما بال على بن عاصم قال ذلك لا يكاد يرى إلا كايبرى السكوكب ورأى رجلا من التابعين النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال يا رسول الله عظمى قال نعم من لم يتفقد نقصان فهو فى نقصان ومن كان فى نقصان فاموت خير له . وقال الشافى رحمه الله عليه هنى فى هذه الأيام أمر أمضى وآلى ولم يطلع عليه غير الله عز وجل فلما كان البارحة تمانى آت فى منامى فقال لى محمد بن إدريس قل اللهم إني لأملك لنفسى قوما ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا أستطيع أن أخذ إلا ما أعطيتى ولا أتى إلا ما وقتيتى اللهم فوقى لما تحب وترضى من القول والعمل فى عافية فلما أصبحت عدت ذلك فلما ترحل النهار أعطانى الله عز وجل طلبى وسهل لى الخلاص مما كنت فيه فليكن بهذه الدعوات لا تخفوا عنها فهذه جملة من السكاشفات تدل على أحوال اللوتى وعلى الأعمال القربة إلى الله زلفى ، فلنذكر بعدها ما بين يدي الوقي من ابتداء فتحة الصور إلى آخر القرار إما فى الجنة أوفى النار والحمد لله حمد الشاكرين .

[الشطر الثانى من كتاب ذكر اللوت فى أحوال اللبت من وقت فتحة الصور إلى آخر الاحتراق فى الجنة أوفى النار وتفصيل ما بين يديه من الأحوال والأخطار] كوفيه بان فتحة الصور ووصف أرض المحشر وأهلها وصفة عرق أهل المحشر وصفة طول يوم القيامة وصفة يوم القيمة ودورها وأسماء وصفة الساملة عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الحصى ورد للظالم وصفة الصراط وصفة الشفا عوصة الحوض وصفة جهنم وأهلها وأنكلها وحياتها وعقاربها وصفة الجنوة أصناف نعمها وعدد الجنان وأبوها وأغرفها وحيطانها وأثمارها وأشجارها ولباس أهلها وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم وصفة الحور العين والولدان وصفة النظر إلى وجه الله تعالى وباب فى سعة رحمة الله تعالى وبه ختم الكتاب إن شاء الله تعالى .

(صفة فتحة الصور)

قد عرفت فيما سبق شدة أحوال اللبت فى سكرات اللوت وخطرهم فى خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر

(الشطر الثانى من وقت فتحة الصور)

الانصراف فلما ضيع فى الأسبوع يعرف ذلك ويعتبره ويتنى جدا أن يلبس للناس اما للرفع من الثياب أو ثياب المتشفين ليرى بعين الزهد قفى لبس للرفع للناس هوى وفى لبس الحسن رياء فلا يلبس إلا لله . بلخنا أن سسفيان لبس القميص مقابا ولم يلبس بذلك حق ارتفع النهار ونبهه على ذلك بعض الناس فهم أن يخاع ويشتر ثم أمسك وقال لبسته بنية فلا غيره فالبسة بنية للناس فليعلم العبد ذلك وليعتبره ولا يبدل لبسدى أن يكون له عظم من تلاوة القرآن ومن حفظه فيسقط

وديدانه ثم لنسرك ونسكير وسؤلهمنا ثم لعذاب القبر وخطره إن كان مغضوبا عليه وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من شخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن التلبيذ والكثير ونصب الميزان لمعرفة التقدير ثم جواز الصراط مع دقة وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالاستعداد وإما بالاشقاء فهذه أحوال وأهوال لا بد لك من معرفتها من أعيانها على سبيل الحزم والتصديق ثم تطويل الفكر في ذلك لينبثق من قلبك دواعي الاستعداد لها أو أكثر الناس لم يدخلوا الإيمان باليوم الآخر صنيع قلوبهم ولم يتمكن من سويدها أفئدتهم ويدل على ذلك شدة شغفهم واستعدادهم لحرق الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جنهم وزمهرير هافع ما عكتفهم من الصاعب والأهوال بل إذا سألوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثم غفقت عنه قلوبهم ومن أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم قال لصاحبه الذي أخبره صدقت ثم مده لتناوله كان مدها قلسا به ومكذبا بعلمه وتكذيب العمل بأبلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي ﷺ « قال الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني أما شتمه أياي فيقول إن لي ولدا وأما تكذيبه فيقول لن يبعثني كما بعثني (١) » وإنما يقول المواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الله في هذا العالم لأن مثال تلك الأمور ولو لم يشاهد الإنسان توالد الحيوانات وقيل له إن صائنا يستع من النطفة القنبر تمثل هذا الأدمي للصور العاقل التكلم التصرف لا شئ غور باطنه من التصديق به ولذلك قال الله تعالى سأولم الإنسان أنا خلقنا من نطفة فإذا هو خصم مبين - وقال تعالى أحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مئى ينبغي ثم كان علقة خلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى - ففي خلق الأدمي مع كثرة عجايبه واختلاف تركيب أعضائه أعاجيب يزيد على الأعاجيب منه وإعادته في فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك في صنفته وقدرته فإن كان في إيمانك شخ صور الأعيان بالنظر في النشأة الأولى فإن الثانية مثناها وأسهل منها وإن كنت قوي الإيمان بها فأفغر قلبك تلك المخاوف والأخطار وأكثر فيها التفكير والاعتبار لتسلب عن قلبك الزاحوا القرائر فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار وتفكر أولا فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة طع الصور قائما صبيحا واحدة تنفجر بها القبور عن ردوس الموت فيثورون دفعة واحدة فتؤهم هسك وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا بدلك من فرقك إلى قدمك من راب قبرك مبهوتا من شدة الصمعة شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد أزعجهم القزع والزعج مضاف إلى ما كان عندهم من الهجوم والتموم وهذه الأتظار لعابية الأمر كما قال تعالى - ونفع في الصور نفع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفع فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون - وقال تعالى - فإذا قرأ في التاقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسر - وقال تعالى - ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلا الأصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجون ونفع في الصور فإذا هم الأجدات إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من أين هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون - فلو لم يكن بين يدي الموت إلا هول تلك النطفة لكان ذلك جندرا بأن يبقى قائما شخ وصيحة يصق بها من في السموات والأرض يعني يموتون بها إلا من شاء الله وهو بعض الملائكة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أتم وصاحب الصور قد أتمم القرن وحنى الجبهة

من القرآن من السبع إلى الجميع إلى أقل أو أكثر كيف أمكن ولا يصنى إلى قول من يقول ملازمة ذكر واحد أفضل من تلاوة القرآن فإنه يجد بتلاوة القرآن في الصلاة وفي غير الصلاة جميع ما ينبغي بتوفيق الله تعالى وإنما اختار بعض الشايع أن يديم الريد ذكرها واحدا ليجمع لهم فيه ومن لازم التلاوة في الخلوة وتمسك بالوحدة تفيد التلاوة والصلاة أو في ما يفيد الذكر الواحد فإذا مسس في بعض الأحيان يصانع النفس على الذكر مصانعة وينزل من التلاوة

(١) حديث قال الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني الحديث البخاري من حديث أبي هريرة .

وأصغى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينفع (١) قال مقاتل : الصور هو القرن وذلك أن إسرائيل عليه السلام واضع يده على القرن كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كعرض السموات والأرض وهو شاخص بصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفع النفخة الأولى فإذا نفع صعد من في السموات والأرض أي مات كل حيوان من شدة النزاع إلا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل وإسرائيل وملك اللوت ثم يأمر ملك اللوت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح إسرائيل ثم يأمر ملك اللوت فيموت ثم يابث الحلق بعد النفخة الأولى في البرزخ أربعين سنة ثم يحيي الله إسرائيل فيأمره أن ينفع الثانية ففعل ذلك قوله تعالى - ثم نفع فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون - على أرجلهم ينظرون إلى البعث وقال صلى الله عليه وسلم « حين يبعث الله إلى بئس إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وآخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفع ألا فاضوا النفخة (٢) » ففسر في الخلائق وذمهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبثاق خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من عبادة أو عقوبة وأمت فيهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل إن كنت في الدنيا من اللزقين والأغنياء للتصميم لملوك الأرض في ذلك اليوم أذل أهل أرض الجح وأصغروهم وأحقرهم يوطئون بالأقدام مثل الدرة وعند ذلك يقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة ردوسها مختلة بالخلاق بعد توحشها ذليلة ليوم التشور من غير خبطة تملست بها ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الحرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى - وإذا الوحوش حشرت - ثم أقبلت الشياطين للردة بعد تمردها وعقوها وأذعنت خاشعة من هبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى - فوبرك لنحشرهم والشياطين ثم لنحضرهم في جحيم جحيا - ففسر في حاله وحال قلبه هناك .

(صفة أرض المحشر وأهله)

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حة ذراعا غرا لا إلى أرض المحشر أرض يضاء قاع منصف لا ترى فيها عوجا ولا أمثا ولا ترى عليها بوءة عني الإنسان ورواهوا ولا وهدنة ينفض عن الأعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لاخاوت فيه يساقون إلى زمرة أفسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض لإدساقتهم بالراجة تبعها الرادفة والراجة هي النفخة الأولى والرادفة هي النفخة الثانية وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة وتلك الأبدان أن تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يحشر الناس يوم القيامة على أرض يضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها علم لأحد (٣) »

(١) حديث كيف أمهم وصاحب الصور قد التزم القرن وحق الحجة الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حسن ورواه ابن ماجه بلفظ إن صاحبي القرن بأيديهما وفي أيديهما قرنان يلاحظان النظر متى يؤمران وفي رواية ابن ماجه الحجاج بن أرطاة يختلف فيه (٢) حديث حين يبعث إلى بئس إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وآخر أخرى الحديث لم أجده هكذا بل قد ورد أن إسرائيل من حين ابتداء الخلق وهو كذلك كما رواه البخاري في التاريخ وأبو الشيخ في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة إن الله تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرائيل فهو واضع يده على القرن كهيئة البوق وهو شاخص بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر قال البخاري ولم يصح وفي رواية لأبي الشيخ ما طرف صاحب الصور مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرد إليه طرفه كأن عينه كوكبان دريان وإسنادها جيد (٣) حديث يحشر الناس يوم القيامة على أرض يضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها علم لأحد

إلى الله كره فانه أخف على النفس وينبغي أن يعلم أن الاعتبار بالقلب فكل عمل من تلاوة وصلاة وذكر لا يجمع فيه بين القلب واللسان لا يستد بالاعتداد فانه عمل ناقص ولا يحقر الوسواس وحديث النفس فانه مضروب عذاب فيطالب نفسه أن تصبر في تلاوته معنى القرآن مكان حديث النفس من باطنه فكما أن التلاوة على اللسان هو مشغول بها ولا يعجزها بكلام آخر هكذا يكون معنى القرآن في القلب لا يعجزه بحديث النفس وإن كان أهميا لا يعلم

قال الراوى : والصفرة يبيض ليس بالناسخ والنقى هو النقى عن القشر والنخلة ومعلم أى لابناء يستر ولا تخافون برد البصر ، ولا تظن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا بل لاتساويها إلا في الاسم قال تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات - . قال ابن عباس : يزداد فيها وينقص وتنهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتمدد الأديم المكافى أرض يضاء مثل القصة لمسك عليها دم ولم يسدل عليها خبطة والسماوات تنهب شمسا وقرها ونجومها فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدة فاته إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تأثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلمت الأرض فجود سراجها فبيناهم كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤسهم وانثقت مع غلظها وعدتها خبطة عام ولللائكة قيام على حافاتها وأرجائها فياهول صوت انشقاقها في مسك وباهية ليوم تلتقي فيه السماء مع صلابتها وعدتها ثم تنار وتسيل كالقصة للذابة تغالطها صفرة فصارت وردة كالدهان فصارت السماء كالملل وصارت الجبال كاللبن واشتبك الناس كالقراش للثبوت وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الأذان . قالت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رواية الحديث قلت يا رسول الله وأسوأناه ينظر بعضنا إلى بعض فقال شغل الناس عن ذلك بهم - لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه - (١) » فأعظم يوم تتكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والافتات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم وجوههم فلا قدرة لهم على الإغايات إلى غيرهم قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يعشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركباناً ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (٢) » في طبع الأديم إنكار كل مالم يأمن به ولولم يشاهد الإنسان الحجة وهى تمشي على بطنها كالبقر الخاطف لأنكر تصور الشئ على غير رجل وبالشئ بالرجل أيضاً مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فاباك أن تتكبر شيئاً من هجاب يوم القيامة لخافته قياس ما في الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت هجاب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أعبد إنكاراً لها فأحضر في قلبك صورتك وأنت واقف عار يامكشوفاً ذليلاً مدحوراً متعزباً مهزولاً منتظراً لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاوة وأعظم هذه الحال فانها عظيمة .

(صفة العرق)

ثم تنكر في ازدهام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على اللوتف أهل السماوات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وإنس وشيطان وحشى وسبع وطير فأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أنرها ثم أدنيت من رؤس العالمين كقاب قوسين فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به إلا للقرىون فمن بين مستظل بالعرش وبين مشيع لحر الشمس قد صهرت بهجرها واشتد كربه وغم من وهجها ثم تدافعت الخلائق ودفع

متخلى عليه من حديث سهل بن سعد وفصل البخارى قوله ليس فيها معلم لأحد فجعلنا من قول سهل أو غيره وأدجزها مسلم فيه (١) حديث يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الأذان قالت سودة رواية الحديث وأسوأناه الحديث الثعلبي والبقوى وهوى الصحيحين من حديث عائشة وهى القائلة وأسوأناه ورواه الطبرانى في الأوسط من حديث أم سلمة وهى القائلة وأسوأناه (٢) حديث أبى هريرة يعشر الناس يوم القيامة ركباناً ومشاة على وجوههم الحديث رواه الترمذى وحسنه بوى الصحيحين من حديث أنس أن رجلاً قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه قال أليس الذى أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة .

معنى القرآن يكون لمراقبة حلية باطنه فيشغل باطنه بمطالعة نظر الله إليه مكان حديث النفس فان بالدوام على ذلك يصير من أرباب للمشاهدة . قال مالك : قالوا بالصديقين إذا سمعت القرآن طربت إلى الآخرة فليتمسك للرب بهذه الأصول وليسستن بدوام الافتقار إلى الله بذلك ثبات قدمه . قال سهل : على قدر لزوم الانجاء والافتقار إلى الله تعالى يعرف البلاء وعلى قدر معرفته بالبلاء يكون افتقاره إلى الله فدوام الافتقار إلى الله أصل كل خير

بعضهم بعضاً لشدة الزحام واختلاف الأندام وانضاف إلى المشقة الحجلة والحياة من الانقضاح والاختراء عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الأتقاس واحترق القلوب بنار الحياة والحوف ففاض العرق من أصل كل شجرة حتى سال على صعيد القيامة ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبته وبعضهم حقويه وبعضهم إلى شحمة أذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه . قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يوم يقوم الناس لرب العالمين - حتى يغيب أحدهم في رشحته إلى أنصاف أذنيه» (١) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يرقى الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعاً وبلجهم ويبلغ أذانهم» (٢) كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي حديث آخر «قياما شاحصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب» (٣) وقال عتبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه، وأشار بيده فألجمها فاه، ومنهم من يغطيه العرق، وضرب بيده على رأسه هكذا» (٤) فتأمل يا مسكين في عرق أهل المحشر وشدة كربهم وفيهم من ينادى فيقول رب ارحمني من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار وكل ذلك ولم يلقوا بمد حساباً ولا عقاباً فانك واحد منهم ولا تدري إلى أين يبلغ بك العرق . وعلم أن كل عرق لم يخرج من سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر معروف ونهى عن منكر فيخرج به الحياة والحوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والترور لم أن تعب العرق في تحمل مصائب الطاعات أهون أمراً وأقصر زمناً من عرق الكرب والانتظار في القيامة فانه يوم عظيمة شدته طويلة مدته .

(صفة طول يوم القيامة)

يوم تنف في الخلاق شاحصة أبصارهم منطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في أمورهم يقفون ثلثمائة عام لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يجدون في دروح نسيم . قال كعب وقادة - يوم يقوم الناس لرب العالمين - قال يقومون مقدار ثلثمائة عام بل قال عبدالله بن عمر وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال «كيف بك إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم» (٥) وقال الحسن ما ظنك يوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة

(١) حديث ابن عمر يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحته إلى أنصاف أذنيه متفق عليه (٢) حديث أبي هريرة يرقى الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً الحديث أخرجه في الصحيحين كما ذكره اللفظ (٣) حديث قياما شاحصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء يلجمهم العرق من شدة الكرب ابن عدى من حديث ابن مسعود وفيه أبو طيبة عيسى ابن سلمان الجرجاني ضعفه ابن معين وقال ابن عدى لا ظن أنه كان يعتمد الكذب لكن له تشبه عليه (٤) حديث عتبة بن عامر تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمنهم من يبلغ عرقه عقبه الحديث رواه أحمد وفيه ابن لمبة (٥) حديث ابن عمر وتلا هذه الآية يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم قال كيف بك إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم قلت إنما هو عبدالله بن عمرو رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الرحمن بن ميسرة ولم يذكره ابن أبي حاتم رواه غير ابن وهب وطه عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي أربعة هذا أحمد مصري والثلاثة الآخرون شاميون .

ومفتاح كل علم دقيق في طريق الصوم وهذا الافتقار مع كل الأنفاس لا يثبت بحركة ولا يستقل بكلمة دون الافتقار إلى الله فيها وكل كلمة وحركة خلعت عن مراجعة الله والافتقار فيها لانتقب خسراً قطعاً علمنا ذلك ونحققناه . وقال سهل من انتقل من نفس إلى نفس من غير ذكر فقد ضيع حاله وأدنى ما يدخل على من ضيع حاله دخوله فيها لا ينسيه وتركه ما ينسيه . وبلغنا أن حسان بن سنان قال ذات يوم لمن هذه القدر ثم رجس إلى

لأباً كلون فيها أكلة ولا يسمرون فيها شربة حتى إذا انقضت أعناقهم عطشوا وحرقت أجوافهم جوعاً
انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آتية قد آن حرها واشتد لقمها فلما بلغ الجهد منهم الماطقة
لهم بكلم بضمهم بضاً في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم يتلقوا بني إلا ذمهم وقال
دعوني نفسي نفسي شغلي أمري عن أمر غيري واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى وقال
قد غضب اليوم ربنا غضباً لم يغضب فيه مثله ولا ينضب بعده مثله حتى يشفع نينا صلى الله عليه
وسلم لمن يؤذن له فيه - لا يمكن الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا - فتأمل في طول
هذا اليوم وعدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن الصابي في عمرك المختصر . واعلم
أن من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك
اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال والله نفسي يدهانه
ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة للكتوبة يصلها في الدنيا (١) فاجتهد أن تكون
من أولئك المؤمنين فإدام قلبك نفس من عمرك فالأمر إليك والاستعداد يدك فاعمل في أيام قصار
لأيام طوال ترجع رحماً لا منتهى لسروره واستحق عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة فانك
لو صبرت سبعة آلاف سنة مثلاً لتخلص من يوم مقداره خمسون ألفاً لكان روحك كثيراً تبكي يسيراً .

(صفة يوم القيامة ودواحيه وأساميه)

فاستعد بإمكانك لهذا اليوم العظيم شأنه للديد زمانه القاهرة سلطانه القريب أوانه ، يوم ترى السماء
فيه قد انقضت ، والكواكب من هولاء قد انثرت ، والنجوم الزواهر قد انكسرت ، والشمس
قد كورت ، والجبال قد سيرت ، والشار قد عطلت ، والوحوش قد حشرت ، والبحار قد تسجرت
والنفوس إلى الأبدان قد زوجت ، والجحيم قد سمرت ، والجنة قد أزلفت ، والجبال قد نسفت ،
والأرض قد مدت ، يوم ترى الأرض قد زلزلت فيزولها ، وأخرجت الأرض أقالها ، يومئذ يصدر
الناس أحماتاً ليروا أعمالهم ، يوم تحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة
وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ، ولللك على أرجائها ، ويحمل عرش بك فوقهم يومئذ ثمانية
يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ، يوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة ، يوم ترجع الأرض فيه
رجاً وتبس الجبال بساً فكانت هباء منبثاً ، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتمكون الجبال
كالهين للنفوس ، يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس
سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ، يوم تبدل لأرض غير الأرض والسموات تبرزوا
فه الواحد القهار ، يوم تنسف فيه الجبال نسفاً فتركها قاباً مضمضاً لا ترى فيها عرجاً ولا أمتاً ، يوم ترى
الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ، يوم تتشقق فيه السماء فتكون وردة كالدهان ، فيومئذ
لا يسئل عن ذنبه إله ولا جان ، يوم يمنع فيه الصابي من الكلام ولا يسئل فيه عن الإجمام بل يؤخذ
بالنواصي والأقدام ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها
وبينه أمداً بعيداً ، يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت وشهد ما قدمت وأخرت يوم تغرس فيه الألسن

(١) حديث سئل عن طول ذلك اليوم فقال والله نفسي يدهانه ليخفف على المؤمن حتى يكون
أهون عليه من الصلاة للكتوبة يصلها في الدنيا أبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أبي سعيد الخدري
وفيه ابن أبي عمير وقد رواه ابن وهب عن عمرو بن الحارث بندي ابن أبي عمير وهو حسن ولا يبي على من حديث
أبي هريرة بإسناد جيد يهون ذلك على المؤمن كتندي الشمس للغروب إلى أن تحرب ورواه البيهقي في
الشعب إلى أن قال أظنه رفعة بافظ إن الله ليخفف على من يشاء من عباده طوله كوقت صلاة مفروضة .

نفسه وقال مالي وهذا
السؤال وهل هذه
إلا كلمة لا تنفي وهل
هذا إلا لاستيلاء
نفسه وقلة أدها وإلى
على نفسه أن يسوم
سنة كفارة لهذه
الكلمة فياصدق نالوا
ما نالوا وبقوة الزائم
عزائم الرجال بلغوا
ما بلغوا . أخبرنا
أبو زرعة بإجازة قال
أنا أبو بكر بن خلف
قال أنا أبو عبد الرحمن
قال سمعت منصوراً
يقول سمعت أبا عمرو
الأنصاري يقول سمعت
الجنيد يقول لو أقبل
صادق على الله ألف سنة
ثم أعرض عنه لحظة
لكان ما فاتته من الله
أكثر مما ناله وهذه

وتنطق الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين إذ قال له الصديق رضى الله عنه : أراك قد شبت يا رسول الله قال «شيتنى هودوا خواها»^(١) وهى الواقعة والرسالات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت؛
فيا أيها القارىء العاجز إنما حطكت من قراءتك أن تجميع القرآن وتحركه باللسان ولو كنت متفكرا
فيا قرؤه لكنت جدرا بأن تنشق مراتك مما شاب منه شعريد المرسلين وإذا قنعت بمركة اللسان
تقد حرمت عمرة القرآن فالقيامة أحد مذكر فيه وقد وصف الله بعض دواهيها وأكثرها بأساميا
لتنف بكثره أساميا على كثرة معانيها فليس للتصود بكثره الأسامى تكرير الأسامى والألقاب بل
الفرض تنبيه أولى الألباب فتح كل اسم من أسماء القيامة سر وفى كل نعت من نعمها معنى فاحرص
على معرفة معانيها ونحن الآن نجمع لك أساميا . وهى : يوم القيامة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم
الحساب ويوم الساءة ويوم المسابة ويوم المناشة ويوم للنافسة ويوم الزلزلة ويوم الهدمة ويوم
الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الراجفة ويوم الرادفة ويوم الفاشية ويوم الداهية ويوم
الأزفة ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاخة ويوم التلاق ويوم الفراق ويوم الساق ويوم القصاص
ويوم التناد ويوم الحساب ويوم للآب ويوم العذاب ويوم القرار ويوم القرار ويوم اللقاء ويوم
البقاء ويوم القضاء ويوم الجزاء ويوم البلاء ويوم البكاء ويوم الحشر ويوم الوعيد ويوم العرض
ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم البعث ويوم النشع ويوم الخزى
ويوم عظيم ويوم عقيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم اليقين ويوم النشور ويوم الصير ويوم النفضة
ويوم الصيحة ويوم الرجفة ويوم الرجة ويوم الزجرة ويوم المسكرة ويوم التزعج ويوم الجزع
ويوم للتنهى ويوم المأوى ويوم اللقيات ويوم للعباد ويوم للرماد ويوم القلقى ويوم العرق ويوم
الافتقار ويوم الانكدار ويوم الانتشار ويوم الانشاق ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود
ويوم التناين ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم لا ريب فيه ويوم تبلى
السرائر ويوم لا يجزى نفس عن نفس شيئا ويوم تشخص فيه الأبصار ويوم لا ينفى مولى عن مولى
شيئا ويوم لأعلك نفس لنفس شيئا ويوم يدعون إلى نار جهنم دعا ويوم يسجدون فى النار على
وجوههم ويوم تقب وجوههم فى النار ويوم لا يجزى والد عن ولده ويوم يغفر للره من أخيه وأمه
وأبيه ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتدون يوم لا مرد له من الله يوم هم بارزون يوم هم على النار
يفتنون يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار يوم ردفه
للعاذر وتبلى السرائر وتظهر الضائر وتكشف الأستار يوم تخضع فيه الأبصار وتسكن الأصوات
ويقل فيه الالتفات وتبرز الخفيات وتظهر الحطيات يوم يساق العباد ومعهم الأشهاد ويشيب الصغير
ويسكر الكبير فيومئذ وضعت الموازين ونشرت الدواوين وبرزت الحجب وأغلى الحجب وزفرت
النار ويضى الكفار وسمرت النيران وتغيرت الألوان وخرس اللسان ونطقت جوارح الانسان
فيا أيها الانسان ما غرك ربك الكريم حيث أغلقت الأبواب وأرخت الستور واستترت عن
الخلق قفارت النجور فإذا فعل وقد شهدت عليك جوارحك قالويل كل الويل لنا معاشر
الغافلين يرسل الله لنا سيد المرسلين وينزل عليه الكتاب اللين ويخبرنا بهذه الصفات من نفوت
يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول - اقرب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر
من ربهم عدت إلا أسمموه وهم يلعبون لاهية قلوبهم - ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول اقرب الساعة

الجملة محتاج للبديء
أن يحكمها ولتنهى
حالم بها طامل بعقائنها
قالبتسدى - صادق
ولتنهى صديق قال
أبو سعيد القرشى
الصادق الذى ظاهره
مستقيم وباطنه يميل
أحيانا إلى حظ النفس
وعلامته أن يجحد
الحلاوة فى بعض
الطاعة ولا يجدها فى
بعض وإذا اشتغل
بالذكر نور الروح
وإذا اشتغل بهبوط
النفس يهجب عن
الأذكار والصديق
الذى استقام ظاهره
وباطنه يبد الله تعالى
بسلوون الأحوال
لا يهيبه عن الله
وهو الأذكار أكل

(١) حديث شيتنى هود والواقعة والرسالات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت للترمذى وحسنه

والحاكم وصححه وقد تقدم .

وانشق القمر - إثم يرونه بعيدا ونزاع قريبا - وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا - اسم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملا فلا تتدبر معانيه ولا تنظر في كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميها ولا نستمد لتفصيص من دواهيه فتعود بالله من هذه التفتة إن لم يدركنا الله بأوسع رحمته.

(صفة المسألة)

ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الأحوال فما يتوجه عليك من السؤال شفاه من غير ترجمان فتسأل عن القليل والكثير والفقير والغني فبينما أنت في كرب القيامة وعرقها وشدة عظامها إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا أن يأخذوا بنواصي المهجرين إلى موقف العرش على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله عز وجل ملكا ما بين شغرى عينيه مسيرة مائة عام ^(١) » فما ظنك بنفسك إذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة أرسلا إليك ليأخذوك إلى مقام العرش وترام على عظم أشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين مما بدا من غضب الجبار على عباده وعند نزولهم لا يبقى نبى ولا صديق ولا صالح إلا ويغرون لأفئدتهم خوفا من أن يكونوا هم المأخوذون فهذا حال القرين لما ظنك بالصلاة المهجرين وعند ذلك يبادر أقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة أفكم ربنا وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتفزع للملائكة من سؤالهم لإجلالها لقلوبهم عن أن يكون فيهم قتادوا بأصواتهم مزهين ليلبسهم عما توهم أهل الأرض وقالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم للملائكة صفائح تدين بالخلق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الدل والخضوع وهيئة الخوف والمهابة لشدة اليوم وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله - فلنسلأن الله بن أرسل إليهم ولنسلأن للرسائل فنلنسن عليهم بلو ما كنا غائبين - وقوله - فوريك لنسلأنهم أجمعين عما كانوا يعملون - فيبدأ سبحانه بالأنبياء - يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجيتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب - فيالشدة يوم تذهل فيه يقول الأنبياء وتدمى علومهم من شدة الهيبة إذ يقال لهم ماذا أجيتم وقد أرسلتم إلى الخلق وكانوا قد عملوا فتدهش عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادقون إذ طارت منهم العقول وانمعت العلوم إلى أن يقولهم الله تعالى فبدى نوح عليه السلام فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمته هل بلغتكم فيقولون ما أئانا من نذير ويؤتى يعيسى عليه السلام فيقول الله تعالى له أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله فيبقى متشظا تحت هيبة هذا السؤال سنين فيالمعظم يوم تقام فيه السياسة على الأنبياء مثل هذا السؤال ثم تجبل للملائكة فينادون واحدا واحدا يافلان بن فلانة هل إلى موقف العرش وعند ذلك ترتد القرائس وتضطرب الجوارح وتهتبع العقول ويتشأن أقوام أن ينهب بهم إلى النار ولا تعرض قبائح أعمالهم على الجبار ولا يكشف سترهم على ملائكة الخلق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش - وأشرقت الأرض بنور ربها - وأيقن قلب كل عبد باقبال الجبار لمسألة العباد وظن كل واحد أنه ما يراه أحد سواه وأنه للتصود بالأخذ والسؤال دون من عداه فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك يا جبريل اتقني بالنار فيجىء لها جبريل ويقول يا جبريل أجيبي خاتلك ومليكك فيصاذهما جبريل على غيظها وغضبها فلم يلبث بعد ندائه أن ثارت وغازت وزفرت إلى الخلق وشهت وسمع الخلق تنظيها وزفيرها وانتهت خزمتها متوجهة إلى الخلق غضبا على من عصى الله تعالى وخالف أمره فأخطر يالك وأحضر في قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلأت فزعا ورعبا فقسا قلوبا جاشيا على الركب

(١) حديث إن لله عز وجل ملكا ما بين شغرى عينيه مسيرة خمسمائة عام لم أره بهذا اللفظ.

ولا نوم ولا شرب
ولا طعام والصديق
يريد نفسه لله وأقرب
الأحوال إلى النبوة
الصديقية - وقال
أبو يزيد : آخر
نهايات الصديقين أول
درجة الأنبياء - وعلم
أن أبواب التهايات
استقامت بوطنهم
وظواهرهم لله
وأرواحهم خلصت
عن ظلمات النفوس
ووطئت بساط القرب
ونفوسهم متفاداة
مطوعة صالحة مع
القلوب حية إلى كل
ما تحب إليه القلوب
أرواحهم متعلقة
بالمقام الأعلى انطفات
فهم نيران الهوى
وتخفى في بوطنهم

وولوا مدبرين - يوم ترى كل أمة جاثية - وسقط بعضهم على الوجوه منسكين وينادي العصاة والظالمون بالويل واليبور وينادي الصديقون بنسى نسي قبينا هم كذلك إذ زفرت النار فزفرت الثانية فتضاعف خوفهم وتخاذلت قواهم وظنوا أنهم مأخوذون ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلاق على وجوههم وشخصوا بأبصارهم ينظرون من طرف حتى خلع وانهمضت عند ذلك قلوب الظالمين فبلسلت الخارجا كراطلين وذهلت العقول من السمداء والأشقياء أجمعين وبعد ذلك أقبل الله تعالى على الرسل وقال ماذا أجبت فإذا رأوا ما قد أقيم من السياسة على الأنبياء اشتد الفزع على العصاة ففر الوالد من ولده والأخ من أخيه والزوج من زوجته وبقي كل واحد منتظرا لأمره ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاه عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلايته وعن جميع جوارحه وأعضائه قال أبو هريرة « قالوا يا رسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة فقال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها سحب قالوا لا قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحب قالوا لا قال فما الذي ينسى يده لا تضارون في رؤية ربكم فيلقى العبد فيقول له ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأدرك رأس وتربع فيقول العبد بلى فيقول أظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول فانا أنساك كما نسيتي (١) فتوم نفسك يامسكين وقد أخذت للانسك بضدك وانت واقفين بدي الله تعالى يسألك شفاه فيقول لك ألم أنعم عليك بالشباب فقيا ذا ألبنت ألم أمهل لك في العمر فقيا ذا أفتيت ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته وفيما ذا أفقت ألم أكرمك بالملم فاذا عملت فباعلت فكيف ترى حيالك وخجلتك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك فان أنكرت شهدت عليك جوارحك . قال أنس رضى الله عنه « كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال أتدرون من أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تحرنى من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فاني لا أجيز على نسي إلا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيوا بالكرام الساكين شيوذا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى قال فتتطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين السلام فيقول لأعضائه بسدا لكن وسحقا فضعكن كنت أنا ضل (٢) فتعذبانه من الاقصاح على ملائحتي بشهادة الأعضاء إلا أن الله تعالى وعد المؤمنين بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره . سأل ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في التجوى فقال قال رسول الله ﷺ « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كفته عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول إني سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم (٣) » وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة (٤) » فهذا إنما يرجي للعبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تصغيرهم ولم يحرك لسانه بك ذكر مساوئهم ولم يذكرهم في غيبتهم عما يكرهون لو سمعوه فهذا جدير بأن يجازى بمثله في القيامة وهب أنه قد ستره عن غيره ليس قد فرج جمعك النداء إلى العرض فيكفك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك إذ يؤخذ بناصيتك فتقادو فؤادك مضطرب ولبك طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من هدة الهول مظلم تقدر

صرح الباب وانكشفت لهم الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق أبي بكر رضى الله عنه « من أراد أن ينظر إلى ميت يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر » إشارة منه عليه الصلاة والسلام إلى ما كشف به من صريح السلم الذي لا يصل إليه عوام المؤمنين إلا بدلولوت حيث يقال - فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - فأرباب النهايات ماتت أهويتهم وخلصت أرواحهم . قال يحيى بن معاذ وقد سئل عن وصف العارف فقال رجل

- (١) حديث أبي هريرة هل ترى ربنا يوم القيامة قال هل تضارن في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها سحب الحديث متفق عليه دون قوله فيلقى العبد الخ فانفرد به مسلم (٢) حديث أنس أتدرون من أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه الحديث رواه مسلم (٣) حديث سأل ابن عمر رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في التجوى الحديث رواه مسلم (٤) حديث من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة تقدم .

نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتحرق الصفوف وتقاد كما تقاد القرس المجنوب وقد رفع الخلاق إليك أبصارهم فتوهم نفسك أنك في أيدي اللوكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه يا ابن آدم أنت مني قد نوت به قلب خائف محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر وأعطيت كتابك الذي لا ينادى بصغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها وكم من طاعة غفلت عن آفاتنا فكشف لك عن مساوئها فكم لك من خجل وجبن وكم لك من حصر وحجز فليت شعري بأي قدم تقف بين يديه وبأي لسان تجيب وبأي قلب تفعل ما تقول ثم تفكر في عظم حياثك إذا ذكرك ذنوبك شفاها إذا يقول يا عبدي أما استحييت مني فأبرزتني بالقيح واستحييت من خلق فأظهرت لهم الجليل أ كنت أهون عليك من سائر عبادي استخففت بنظري إليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيبي ألم أنعم عليك لماذا غرك في أغننتني لا أراك وأنت لا تلقاني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما منكم من أحد إلا ويسأله الله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان» (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليفتن أحدكم بين يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له ألم أنعم عليك ألم أوتك مالا فيقول بلى فيقول ألم أرسل إليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليقل أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فلكمة طيبة» (٢) وقال ابن مسعود ما منكم من أحد إلا يسئله الله عز وجل به كما يغلو أحدكم بالقرمزية البدر ثم يقول يا ابن آدم ما غرك في يا ابن آدم ما عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت الرسلين يا ابن آدم ألم أكن رقيقا على عينك وأنت تنظر بها إلى مالا يحل لك ألم أكن رقيقا على أذنك وهكذا حتى عد سائر أعضائه وقال عجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال عن عمره فيما أفناه وعن عمله ما عمل فيه وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفماذا تفقه فأعظم يأمنكم بحياتك عند ذلك وبخطر لك فانك حين أن يقال لك سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فندد ذلك يعظم سرورك وفرحك وينطق الأولون والآخرون وإيمان يقال له لا تسكنوا هذا العبد السوء فخلوه ثم الجحيم صلوه وعند ذلك لو بكت السموات والأرض عليك لكان ذلك جديرا بعظم مصيبتك وشدته حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله وعلى ما بست آخرتك من دنيا نيتهم ببق معك.

(صفة اليزان)

ثم لا تغفل عن التكرار في اليزان وتطير الكتب إلى الأيمان والتشاكل فإن الناس يبدلون السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوى عليهم ويلقيهم في النار فتبتلهم النار وينادي عليهم شقاوة لا سعادة بعدها وقسم آخر لا سعة لهم فينادى مناد ليقيم المداودن لله على كل حال فيقومون ويسرحون إلى الجنة ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل ثم يعلم تشغله تجارة الدنيا ولا يبعها عن ذكر الله تعالى وينادي عليهم سعادة لا شقاوة بدهاويهم قسم ثالث وهم الأكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد ضلوا عن الله تعالى أن الغالب حسناتهم أو مساوئهم ولكن يأني الله إلا أن يرفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعده عند العقاب فتطير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب اليزان وتشخص الأبصار إلى الكتب أ تقع في الجين أو في الشمال ثم إلى لسان اليزان أيميل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات

(١) حديث ما منكم من أحد إلا ويسأله رب العالمين الحديث متفق عليه من حديث ابن عدى عن أبي حاتم بلفظ إلا سيكلمه الحديث (٢) حديث ليقتن أحدكم بين يدي الله تعالى ليس بينه وبينه ترجمان الحديث البخاري من حديث عدى بن حاتم.

معهم بأن منهم وقال مرة عبد كان فبان فأرباب التهايات هم عند الله بحقيقتهم معوقين بتوقيت الأجل جعلهم الله تعالى من جنوده في خلقه بهم يهدي وهم يرشد بهم يهذب أهل الإرادة كلامهم دواء ونظرم دواء ظاهرهم محفوف بالحكم وباطنهم معمور بالعلم قال ذو النون علامة الغارف ثلاثة لا يظني نور معرفته نور ورعه ولا يتقده باطن من العلم ينقض عليه ظاهرا من الحكم ولا يحمله كثرة نعم الله وكرامته على هتك أستار عارم الله فأرباب التهايات

وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق . وروى الحسن « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه في حجر عائشة رضى الله عنها فنفس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال مدعها ففقط على خد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتته فقال ما يبكيك يا عائشة ؟ قالت ذكرت الآخرة هل تدكرون أهلكم يوم القيامة قال والذي نفسي بيده في ثلاثة مواطن فإن أحدا لا يدكر إلا نفسه : إذ اوضعت اللوازم ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أين خف ميزانه أم يثقل ، وعند الصحف حتى ينظر أين خف ما أخذ كتابه أو بهماله ، وعند الصراط (١) » . وعن أنس « يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويؤكل به ملك فإن ثقل ميزانه نادى للملك بصوت يسمع الخلائق سمع فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقي فلان عساة لا يسعد بعدها أبدا وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة « إنه يوم ينادى الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له قم يا آدم فابتث النار فيقول وكم بئس النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك أباسوا حتى ما وضحووا بأصاحتهم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عند أصحابه قال اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده إن معكم لحطيقتين ما كانتا مع أحد قط إلا كثرتا مع من هلك من بني آدم وبني إيليس قالوا وما هما يا رسول الله ؟ قال أبجوج وأجج قال فسرى عن القوم فقال اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أتم في الناس يوم القيامة إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقعة في ذراع الدابة (٢) »

(صفة الحياء ورد للظالم)

قد عرفت هول الميزان وخطره وأن العين شاحسة إلى لسان الميزان - فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هي نار حامية - وإعلم أنه لا ينجو من خطر الميزان إلا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته كما دل عمر رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تموتوا وحاسبوا وزنوها قبل أن تموتوا وإنما حساب لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة تصحها ويستدرك ما فرط من تقصيره في فرائض الله تعالى ويرد للظالم حبة بعد حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطلب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وإن مات قبل رد للظالم أحاط به خصاؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بلبيه هذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزأت بي وهذا يقول ذكرتني في النية بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فأصأت جوارى وهذا يقول طامنتني فشتقتني وهذا يقول يائمتني فقبضتني وأخفيت عني عيب سلكتك وهذا يقول كذبت في سمر

- (١) حديث الحسن أن عائشة ذكرت الآخرة فبكت الحديث وفيه فقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الآخرة هل تدكرين أهلكم يوم القيامة الحديث أبو داود من رواية الحسن أنها ذكرت النار فبكت فقال ما يبكيك دون كون رأسه صلى الله عليه وسلم في حجرها وأنه نفس وإسناده جيد
- (٢) حديث يقول الله يا آدم قم فابتث النار فيقول وكم بئس النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري ورواه البخاري من حديث أبي هريرة نحوه وقد تقدم .

كلما ازدادوا لعمه
ازدادوا عبودية وكلما
ازدادوا دنيا ازدادوا
قربا وكلما ازدادوا
جها ورفسة ازدادوا
تواضعا وذلك أدلة على
للمؤمنين أعزة على
الكافرين وكلما تناولوا
شهوة من شهوات
النفس استخرجت
منهم شكرا صافيا
يتناولون الشهوات تارة
رقها بالنفس لأنها
معهم كالظفر الذي
يلطف بالشيء ويهدي
له شيء لأنه مقهور
تحت السياسة مرحوم
ملطوف به وتارة
يتعنون قوسهم
الشهوات تأسيما بالأنبياء
واختيارهم التقليل من
الشهوات الدنيوية قال

متاعك وهذا يقول رأيته محتاجا وكنت غنيا لما أطعنتي وهذا يقول وجدتي مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم عنى فدهانت الظالم وما راعيتى ، فبينا أنت كذلك وقد أنشب الحياء بك عظامهم وأحكوا في تلايك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم حق لم يبق في عمرك أحد حاملته على درم أو جالنته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة قبيصة أو خيانة أو نظر بين امتحار وقد ضمنت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاه لعله يخلصك من أيديهم إذ قرع معك نداء الجبار جل جلاله - اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم - ففقد ذلك ينخلع قلبك من الحمية وتوقن نفسك باليأس وتتذكر ما أنذرك الله تعالى على لسان رسوله حيث قال - ولا تحسبن الله فاقلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعين رءوسهم لا يرجعون إليهم طرفهم وأقذبتهم هو أو أندر الناس - ألا فما أشد فرحك اليوم بتمضيك بأعراض الناس وتناولك أموالهم وما أشد حسراتك في ذلك اليوم إذا وقب ربك على بساط العدل وهو فته بخطاب السياسة وأنت مفلس فقير حاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقا أو تظهر عدرا ففقد ذلك تؤخذ حسناتك التي تبت فيها عمرك وتقل إلى خصالك عوضا عن حقوقهم . قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تدرون من للفلس قلنا للفلس فينا يارسول الله من لا درم له ولا دينار ولا متاع قال للفلس من أتى من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد غم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته . فإن فئت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار (١) » ، فانظر إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس يملك حسنة من آفات الزمان ومكابد الشيطان ، فان سلكت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدأ بها خصالك وأخذوها ، ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام التهار وقيام الليل لملت أنه لا ينقض عنك يوم إلا ويجزى على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفى جميع حسناتك فكيف يبقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجوا الخلاص من الظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القراء ، فقد روى أبو ذر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين ينتطحان فقال يا أبا ذر أدرى فيم ينتطحان قلت لا قال ولكن الله يدرى وسيقضى بينهما يوم القيامة (٢) » . وقال أبو هريرة في قوله عز وجل - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحه إلا آمن أمثالك - إنه يحضر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماء من القراء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر ياليتني كنت ترابا فكنت أنت يامسكين في يوم ترى محيبتك خالية عن حسنات طال فيها تسبك فقول أين حسناتي فيقال قلت إلى محيبتك وتمرى محيبتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبتك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فقول إرب هذه سيئات ما قارفها قط فيقال هذه حيئات القوم الذين اغتبتهم وشتتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في الباسة والمجاورة والمخاطبة والنائرة وللذاكرة وللدارسة وسائر أصناف العاملة .

(١) حديث أبي هريرة : هل تدرون من للفلس ؟ قالوا للفلس يارسول الله من لا درم له ولا متاع الحديث بقدم . (٢) حديث : يا أبا ذر أدرى فيم ينتطحان قلت لا قال ولكن ربك يدرى وسيقضى بينهما أحمد من رواية أشياخ لم يسموا عن أبي ذر .

يحيى بن معاذ الدنيا عروس تطلبها ما شطتها والزاهد فيها يسقم وجهها ويتصف شعرها ويغرق قلوبها والعارف بالله مشغول ببيده ولا يلتفت إليها . واعلم أن اللتتهى مع كماله لا يستغنى أيضا عن سياسة النفس ومنهها الشهوات وأخذ الحظ من زيادة الصيام والقيام وأنواع البر وقد غلط في هذا خلق وظنوا أن التتهى استغنى عن الزاداة والتواضع ولا على قلبه من الاسترسال في تناول اللذات والشهوات وهذا خطأ لأن حيث إنه يجب العارف عن معرفته ولكن

قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان قد بش أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سري منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي اللوقات فأتقوا الظلم واستطعمتم فان العبد ليجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فيرى أنهم سينجيها فما يزال عبد يحيى فقول رب إن فلانا ظفني بمظلة فيقول امسح من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء وإن مثل ذلك مثل سفر زلوا بخلة من الأرض ليس معهم حطب فتفرق التوم فخطبوا فلم يلبثوا أن أعطوا نارهم وصنعوا ما أرادوا (١) » وكذلك الذنوب « ولما نزل قوله تعالى - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - قال الزبير : يا رسول الله أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال : نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا إلى كل ذي حق حقه (٢) » قال الزبير والله إن الأمر لشديد فأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطة ولا عن كلمة حتى ينقم للمظلوم من الظالم قال أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر الله العباد عراة غبرا بما قال : قلنا ما بها قال ليس معهم شيء ثم ينادهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا لك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا أحد من أهل النار عليه مظلة حتى أتقصه منه ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولا أحد من أهل الجنة عنده مظلة حتى أتقصه منه حتى اللطة قلنا وكيف وإنما نأى الله عز وجل عراة غبرا بما قال بالحسنات والسيئات (٣) » فأتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في معاشرتهم فإن ما بين البدويين الله خاصة بالخلة إليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استعجال أرباب الظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليس بعض الحسنات بينه وبين الله بكال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله فسادا يقر بذلك إلى الله تعالى فيدال به لطفه الذي ادخره لأحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روى عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأته يضحك حتى بدت ثيابه فقال عمر ما يضحك يا رسول الله أبأنت وأمي قال رجلان من أمي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يارب خذ لي مطلق من أخى فقال الله تعالى أعطاك مظلمة فقال يارب لم يسق من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء قال يارب يتحمل عني من أوزاري قال وقاضيت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكاء ثم قال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع رأسك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال يارب أرى مدائن من فضة

(١) حديث ابن مسعود إن الشيطان قد أبس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سري منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي اللوقات الحديث وفي آخره إياكم ومحقرات الذنوب فاتهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكته وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا الحديث وإسناده جيد فأما أول الحديث فرواه مسلم مختصرا من حديث جابر إن الشيطان قد أبس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله أكرر علينا ما كان بيننا الحديث أحمد واللفظ له والترمذي من حديث الزبير وقال حسن صحيح (٣) حديث أنس يحشر العباد عراة غبرا بما قال بها قال ليس معهم شيء الحديث قلت ليس من حديث أنس وإنما هو عيب الله ابن أنيس رواه أحمد بإسناد حسن وقال غرلا مكان غبرا .

يوقف عن مقام الزيد
وقوم لما رأوا أن هذه
الأشياء لا تؤثر فيهم
قسوة ولا نور ثم حجة
ركنوا إليها واسترسلوا
فيها وقتعوا بأداء
الفرائض واتسعوا في
لأكل والشرب وهذا
الانبطاس منهم بقية
من مسكر الأحوال
وتقييد بنور الحال
وعسدم التخلص
بالكلية إلى نور الحق
ومن تخلص من نور

مررتة وقصورا من ذهب مكاله بالؤلؤلأى نى هذا؟ أولأى صدق هذا أولأى شهيد هذا؟ قال بن اعطاني
الثنى قال يارب ومن يملك منه قال أنت تملكه قال وما هو قال عفوك عن أخيك قال يارب إنى قد عفوت
عنه قال الله تعالى خذ يد أخيك فأدخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله
وأسلعوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين^(١) وهذا تفيه على أن ذلك إنما ينال بالخلق بأخلاق
الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق فتفكر الآن فى نفسك إن خلت بحيفتك عن اللظام أو لتطف
لك حتى عفائك وعنك وأيقنت بسعادة الأبد كيف يكون سرورك فى منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع
عليك خلعة الرضا وعدت بمسادة ليس بعدها شقاء ونعيم لا يدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار
قلبك سرورا وفرحا وابتس وجهك واستنار وأشرق كإشراق القمر ليلة البدر فتوهم بتبخر بين الخلائق
رائها رأسك خاليا عن الأوزار وظهرك ونفرت نسيم الريح وبرد الرضا تلاحم لأن جبينك وخلق الأوتلين
والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك ويقطونك فى حسنك وجمالك وللانكاسة عيون بين يدك ومن
خالك وينادون على رءوس الأنهاد هذا فلان بن فلان رضى الله عنه وأرضاه وقد سمد مسعدة لا يشقى
بعدها أبدا أقرى أن هذا النصب ليس بأعظم من اللكاسة التى تتالها فى قلوب الخلق فى الدنيا بربائك
ومداهنتك ولعنتك وتزينك فإن كنت تعلم أنه خير منه بل لانبية له إله فقول إلى إنداك هذه
الربة بالاخلاص الصافي والنية الصادقة فى معاملتك مع الله قلن تترك ذلك إلا وبإن تكن الأخرى
والصاها بالله بأن خرج من محيفتك جرعة كنت تحسبها هبة وهى عند الله عظيمة فتفتك لأجلها قال
عليك لعنى يا عبد السوء لا تقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء إلا ويسود وجهك ثم تفضب
للالنكاسة لعن الله تعالى فيقولون عليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجمعين وعند ذلك تتنال إليك الزبانية
وقد غضبت لعنك خالقها فأدمنت عليك بفظافتها وزعارتها وصورها للتسكرة فأخذوا بناصيتك
يسحبونك على وجهك على ملائ الخلق وهم ينظرون إلى اسوداد وجهك وإلى ظهور خزيك وأنت
تنادى بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تبع اليوم ثبوروا وحدا وادع ثبورا كثيرا تنادى اللالكاسة
ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه وعنازه ولعنه بقباع مساويه فشقى شقاوة لا يسد
بعدها أبدا وربما يكون ذلك بذنب أدنبتة خفية من عباد الله أو طلبا للمسكانة فى قلوبهم أو خوفا من
الافتضاح عندهم فما أعظم جهلك إذ تخرز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله فى الدنيا
للتفرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم فى ذلك اللأ العظيم مع الترض لسطط الله وعقابه الأليم والسباق
بأبدى الزبانية إلى سواء الجميع فهذه أحوالك وأنت لم تشمر بالخطر الأعظم وهو خطر الصراط .

(صفة الصراط)

ثم تفكر بعد هذه الأحوال فى قول الله تعالى - يوم نحشر للتقين إلى الرحمن وقدنا ونسوق المجرمين
إلى جهنم وردا - وفى قوله تعالى - فاهدوهم إلى صراط الجحيم . وقومهم إنهم مسئولون - قالنا س بعد هذه
الأحوال يساقون إلى الصراط وهو جسر ممدود على متن النار أحد من السيف وأدق من الشعر فى
استقام فى هذا العالم على الصراط للمستقيم خف على صراط الآخرة ونجا من عدل عن الاستقامة فى الدنيا
وأتمل ظهرك بالأوزار وعصى متعزى أول قدم من الصراط وتردى فتفكر الآن فيما عمل من القرع فؤادك
إذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحت ثم قرع بملك شريق النار وتنيظها

(١) حديث أنس نبيا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأينا ضحك حتى بدت ثناياه فقال
عمر ما ضحكك يا رسول الله أبى وأمى قال رجلا من أمى جيا بين يدى رب العالمين الحديث بطوله
إن ابن الدنيا فى حسن التظن بالله والحاكم فى اللسترك وقد تقدم .

الحال إلى نور الحق
ينهب عنه بقايا
السكر ويوقف نفسه
مقام المبيد كأحد
عوام المؤمنين يقرب
بالصلاة والصوم وأنواع
البر حتى يماطلة الأذى
عن الطريق ولا
يستكبر ولا يمتكف
أن يسود فى صور
عوام المؤمنين من
إظهار الإرادة بكل
بر وصلة فيتناول
الشهوات وقتا رفقا

وقد كافت أن تسمى على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وتقل ظهورك بالأوزار
للأثمنة لك عن الشيء على بساط الأرض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك إذا وضعت عليه
إحدى رجليك فأحسست بجدته واضطرت إلى أن ترفع القدم الثانية والحلاق بين يديك يزولون
ويتعرون وتناولهم زبابة النار بالخطاطيف والكلايب وأنت تنظر إليهم كيف يتكسون فتسفل
إلى جهة النار ردوسهم وتقول أرجلهم فياله من منظر ما أنظله ومررتي ما أصعبه فوجاز ما أضيقه فانظر
إلى حالك وأنت ترحف عليه وتصعد إليه وأنت مثقل الظهر بأوزارك تلقت بيننا وشمالا إلى الخلق
وم يهاضون في النار والرسول عليه السلام يقول «يارب سلم سلم» والزعقات بالويل والثبور قد
ارتفعت إليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الحلاق فكيف بك لو زلت قدمك
ولم ينفعك ندمك فناديت بالويل والثبور وقلت هذا ما كنت أخافه فياليتني قدمت حياتي باليتني
أخذت مع الرسول سيلا ياولنا ليتني لم آخذ فلانا خليلا ياليتني كنت ترابا ياليتني كنت نسياما نسيا
يألت أمي لتلني ، وعند ذلك تخطفك النيران والعباد بالله وينادي المادي اخشوا الله ولا تسكفون
فلا يبقى سبيل إلا الصياح والأنين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن عقلك وهذه الأخطار
بين يديك فإن كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وإن كنت
به مؤمنا وعنه غافلا بالاستعداد له متهاونا فما أعظم خسارتك وطفانك وماذا تفعلك إيمانك إذا
لم يمشك على السعي في طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه فلم يكن بين يديك إلا هول الصراط
وارتياح قلبك من خطر الجواز عليه وإن سلمت فهايك به هولا وفزعوا رعبا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم «يضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أول من يخرج بأمتي من الرسل ولا يشككم يومئذ
إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلايب مثل شوك السعدان هل رأيتم
شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى
تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوق بسمه ومنهم من يغردل ثم ينجو^(١) وقال أبو سعيد الخدري
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يعر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلايب وخطاطيف
تخطف الناس بيننا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق
ومنهم من يمر كالزجج ومنهم من يمر كالفرس المجري ومنهم من يسعى سعيًا ومنهم من يسعى مشيًا ومنهم من
يجو بجوا ومنهم من زحف زحفا فاما أهل النار الذين هم أهلها فلا عوتون ولا يحيون واما ناس
فيؤخفون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكوتون فخما ثم يؤذن في الشفاعة^(٢) وذكر إلى آخر
الحديث . وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «يجمع الله الأولين والآخرين
ليقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاحصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء وذكر الحديث
إلى أن ذكر وقت سجود المؤمنين قال «ثم يقول للمؤمنين ارفعوا رؤسكم فترفعون رؤوسهم فيعطهم
نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسمى بين يديه ومنهم من
يعطى نوره أصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة ومنهم من يعطى نوره أصغر من
ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على إبهام قدمه فيضي مرة ونحو مرة فاذا أضاء
قدم قدمه فمشى وإذا أظلم قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من

بالنفس المظلمة للزكاة
للقناعة للطوعة لأنها
أسيرته ويعتمها
التهوات وقتا لأن
في ذلك صلاحها
واعتبر هذا سواء
بحال الصبي فإنه إن
جاوز حد الاعتدال
من إعطاء للراد
وقتا ومنه وقتا
انفس طبعه لأن
الجبلة لا بد من لها
بسياسة العلم ومادامت
الجبلة باقية لا بد من

(١) حديث ينصب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أول من يخرج بأمتي من حديث أبي هريرة
في أثناء حديث طويل (٢) حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
وخطاطيف الحديث متفق عليه مع اختلاف ألقاظ .

ير كطرف العين ومنهم من ير كالبرق ومنهم من ير كالحجاب ومنهم من ير كاقضاض الكواكب ومنهم من ير كشد الفرس ومنهم من ير كشد الرجل حتى ير الذي أعطى نوره على إمام قدمه مجبو على وجهه ويديه ورجليه يجر منه يد وتعلق أخرى وتعلق رجل وتجر أخرى وتصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطاني الله ما لم يسط أحدا إذ نجاني منها بعد إذ رأيته فينطلق به إلى غدبر عند باب الجنة فيقتل (١) وقال أنس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة وإن لللائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وإن جبريل عليه السلام يأخذ بحجرتي وإن لأقرب يارب سلم سلم قال اللون والالاب يومئذ كثير (٢) » فهذه أهوال الصراط وعظائم فطوره في فكر كركان أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من طالع فيها فكره في الدنيا فإن الله لا يجمع بين خوفين على عبد من خاف هذه الأهوال في الدنيا أمنا في الآخرة ولست أعي بالخوف رقة كرامة النساء تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود إلى الهوك ولعلك فإذا من الخوف في شيء بل من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك إلا خوف يملك عن معاصي الله تعالى ويحكم على طاعته وأبدمن رقة النساء خوف الحق إذا سمعوا الأهوال سبق إلى ألسنتهم الاستعاذة فقال أحدهم استغث بالله تعوذ بالله اللهم سلم سلم ومع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم فالشیطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصد سبع ضار في صحراء ووراء حصن فاذا رأى أن باب السبع وصولته من بعد قال بلسانه أعوذ بهذا الحصن الحصين وأستعين بشدة بنيانه وإحكام أركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فأني يضي عنه ذلك من السبع وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا تقول لا إله إلا الله صادقا ومعنى صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود وغيره ومن أخذ إلهه هو الله فهو بعيد من الصدق في توحيد وأمره خطر في نفسه فإن هجرت عن ذلك كله فكأن هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصا على تعظيم سنته ومشوقا إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمتهم تبركا بأدعيتهم فمساك أن تنال من شفاعته أو شفاعتهم فتنبج بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة .

(صفة الشفاعة)

اعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى يفضل قبل فيهم شفاعا بالأنبياء والصديقين بل شفاعا العلماء والصالحين وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فإن له شفاعا في أهله وقربائه وأصدقائه ومعارفه فكن حرصا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بأن لا تحقر آدميا أصلا فإن الله تعالى خبا ولايته في عباد فاعل الذي يزدريه عينك هو ولي الله ولا تستعصر معصية أصلا فإن الله تعالى خبا غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه ولا تستحقر أصلا طاعة فإن الله تعالى خبا رضاه في طاعته فلعل رضاه فيه ولو الكلمة الطيبة أو اللقمة أو التوبة الحسنة أو ما يجري مجراه وشوهد الشفاعة في القرآن والأخبار كثيرة : قال الله تعالى - ولسوف يطبقك ربك قرصى -

(١) حديث ابن مسعود يجمع الله الأولين والآخرين ليقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاحصة أهبناهم إلى الديار ينتظرون فصل القضاء قال وذكر الحديث إلى ذكر سجد المؤمنين الحديث بطوله رواه ابن عدى والحاكم وقد تقدم بعضه مختصرا (٢) حديث أنس الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة الحديث البيهقي في الشعب وقال هذا إسناد ضعيف قال وروى عن زياد النخعي عن أنس مرفوعا الصراط كحد الشعرة أو كحد السيف قال وهي رواية صحيحة انتهى ورواه أحمد من حديث عائشة وفيه ابن لهيعة .

سياسة السلم وهذا باب غامض دخل في التباينات على المنتهين من ذلك ودخل ووقع الركون وانسد به باب الزيد فالمنتهى ملك ناصية الاختيار في الأخذ والترك ولا بد له من أخذ وترك في الأعمال والحظوظ في الأعمال لا بد له من أخذ وترك فتارة يأتي بالأعمال كآحاد الصادقين وتارة يترك

بعضهم لبعض ألا ترون ما قد بانكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بأدم عليه السلام فيأتون آدم فيقولون له أنت أبو البشر خلقك الله يد وقنع فيك من روحه وأمر للملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم آدم عليه السلام إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد نهانى عن الشجرة فصيتت نفسى انذهبوا إلى غيرى انذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى نفسى انذهبوا إلى غيرى انذهبوا إلى إبراهيم خليل الله فيأتون إبراهيم خليل الله عليه السلام فيقولون أنت نبى الله وخليفه من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول لهم إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنى كنت كذبت ثلاث كذبات ويدكرها نفسى نفسى انذهبوا إلى غيرى انذهبوا إلى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك برسائته وبكلامه على أناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قلت تسالما وأمر بقتلنا نفسى انذهبوا إلى غيرى انذهبوا إلى عيسى عليه السلام فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلته ألقاه إلى مريم وروح منه وكلت الناس فى الهدى اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى عليه السلام إن ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ويدكر ذنبا نفسى انذهبوا إلى غيرى انذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون فى يقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيين وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فأنتطرق فأتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى ثم يفتح الله لى من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتح على أحد قبلى ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطوا واشفع فى راسى فأقول آمى فأمرى يا رب فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال والله نفسى يده إن بين للصراعين من مصارع الجنة كابين مكة ومحير أو كابين مكة وبصرى (١) وفى حديث آخر هذا السياق يعينه ذكر خطايا إبراهيم وهو قوله فى الكواكب هذا ربى وقوله لآلهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله إنى سقيم فهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأحاديثه من العلماء والصالحين شفاعة أيضا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومضر (٢) وقال صلى الله عليه وسلم قال للرجل قم يا فلان فاشفع فى قوم الرجل فيشفع للقبيلة

(١) حديث أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بلحم فرفع إليه الدراع وكان يعجبه فنهش منها نهشة ثم قال أنا سيد الناس الحديث بطوله فى الشفاعة قال وفى حديث آخر هذا السياق مع ذكر خطايا إبراهيم متفق عليه وهذه الرواية الثانية أخرجه مسلم (٢) حديث يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومضر وروناه فى جزء أبى عمر بن السالك من حديث أبى أمامة إلا أنه قال مثل أحد الحيين ربيعة ومضر وفيه فكان للشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان وإنسناده حسن وللترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن أبى الجداء يدخل الجنة بشفاعة الرجل من أمتى أكثر من بنى تميم قالوا سواك قال سواى قال الترمذى حسن صحيح وقال الحاكم صحيح قيل أراد بالرجل أويسا .

واقف على الصراط
بين الافراط والتفريط
لن ردت إليه
الانقسام فى النهاية
فأخذها زاهدا فى
الزهد فهو تحت قهر
الحال من ترك الاختيار
وتارك الاختيار الواقف
مع فعل الله تعالى مقيد
بالحال وكأن الزاهد
مقيد بالترك تارك
الاختيار فكذلك
الزاهد فى الزهد الآخذ
من الدنيا ماسيق إليه

ولأهل البيت والرجل والرجلين على قدر عمله (١) » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « إن رجلاً من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول
 يا فلان هل تعرفني ؟ فيقول لا والله ما أعرفك من أمت ، فيقول أنا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيني
 شربة ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك فيسأل الله تعالى ذكره ويقول إنني
 أشرفت على أهل النار فناداني رجل من أهلها فقال هل تعرفني ؟ قلت لا من أمت ؟ قال أنا الذي
 استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي عند ربك فشعني فيه فيشفعه الله فيه فيؤمر به فيخرج من
 النار (٢) » وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول الناس خروجاً إذا مضوا
 وأنا خطيئهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا يشعوا لواء الحمد يومئذ يدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي
 ولا غير (٣) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أئمة بين يدي ربي عز وجل فأكرمى حلة
 من حلل الجنة ثم أقوم عن بين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري (٤) »
 وقال ابن عباس رضي الله عنهما « جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه
 فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجباً إن الله عز وجل اتخذ من
 خلقه خليلاً اتخذ إبراهيم خليلاً ، وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كله تسكياً ، وقال آخر فيسبي
 كلمة الله وروحه ، وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم فلم يقل قد سمعت
 كلامكم وتبجحكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نبي الله وهو كذلك وعيسى روح الله
 وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا غير وأنا حامل لواء الحمد
 يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلقى
 الجنة فيفتح الله لي فأدخلها ومعى قراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر (٥) »
 (صفة الحوض)

اعلم أن الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الأخبار على وصفه
 ونحن نرجو أن يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه فان من صفاته أن من شرب منه
 لم يظأ أبداً . قال أنس « أغنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة فرفع رأسه متبهاً فقال والاه
 يا رسول الله لم ضحكك ؟ فقال آية أنزلت على آتاه وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم - إنا أعطيناك
 السكوتر - حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما السكوتر ؟ قالوا الله ورحوله أعلم قال إنه نهر وعدنيه

(١) حديث يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم يشفع للقبيلة ولأهل البيت وللرجل والرجلين على
 قدر عمله الترمذي من حديث أبي سعيد إن من أمتي من يشفع للناس ومنهم من يشفع للقبيلة
 الحديث وقال حسن واليزار من حديث أنس إن الرجل ليشفع لرجلين والثلاثة (٢) حديث أنس
 إن رجلاً من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول
 يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله ما أعرفك من أمت فيقول أنا الذي مررت بي في الدنيا وما فاستسقيني
 شربة فسقيتك الحديث في شفاعته فيه وإخراجه من النار أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس
 بسند ضعيف (٣) حديث أنس أنا أول الناس خروجاً إذا مضوا الحديث الترمذي وقال حسن غريب
 (٤) حديث فأكرمى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن بين العرش الحديث الترمذي من حديث
 أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح (٥) حديث ابن عباس جلس ناس من أصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم
 عجباً إن الله اتخذ من خلقه خليلاً اتخذ إبراهيم خليلاً الحديث رواه الترمذي وقال غريب .

لرؤيته فعل الله مقيداً
 بالأخذ وإذا استقرت
 النهاية لا يتقيد بالأخذ
 ولا بالترك بل يترك وقتاً
 واختياره من اختيار الله
 ويأخذ وقتاً واختياره
 من اختيار الله وهكذا
 صومه النافلة وصلاته
 النافلة يأتي بها وقتاً
 ويسمح للنفس وقتاً لأنه
 مختار صحيح في الاختيار
 في الخلقين وهذا هو
 الصحيح ونهاية النهاية
 وكل حال يستقر

رى عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمق يوم القيامة آيته عدد نجوم السماء (١) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بيننا أنا أسير في الجنة إذا نهر حافاه قباب اللؤلؤ المحجوف قلت ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فضرِب لللك فيه فإذا طينه مسك أذفر» (٢) وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة وصنعاء أو مثل ما بين المدينة وعمان» (٣) وروى ابن عمر «أنه لما نزل قوله تعالى - إنا أعطيناك الكوثر - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حافاه من ذهب شرباه أشدّ يابضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك يجري على جناحل اللؤلؤ واللزجان» (٤) وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن حوضي ما بين عدن إلى عمان اللقاء ماؤه أشدّ يابضا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم ينظما أبدا أول الناس ورودا عليه قراء للهاجرين فقال عمر بن الخطاب ومن ثم يارسول الله ؟ قال هم الثمث رموسا الذين ثيابا الذين لا ينسكون للثمنات ولا تفتح لهم أبواب السدد» (٥) وقال عمر بن عبد العزيز والله لقد نسكت للثمنات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي أبواب السدد إلا أن رجحي الله لأجرم لأذهن رأسي حتى شعث ولا أغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسبح وعن أبي ذر قال «قلت يارسول الله ما آية الحوض ؟ قال والذي نفس محمد بيده لا آيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة الظلمة الضحية من شرب منه لم ينظما آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرشه مثل طوله ما بين عمان وأيلة ماؤه أشدّ يابضا من اللبن وأحلى من العسل» (٦) وعن حمزة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لكل نبي حوضا وإنهم يباهون بهم أكثر واردة وإنني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة» (٧) فلهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد أن يكون في جملة الواردين وليحذر أن يكون متمنيا ومغتورا وهو يظن أنه راجح لأن الرأجي للحصاد من البذر ونسب الأرض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالإنبات ودفع الصواعق إلى أوان الحصاد فأما من ترك الحراثة أو الزراعة وتغية الأرض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب والفاكهة

(١) حديث أنس أغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة فرفع رأسه متبسما فقالوا له يارسول الله لم ضحكك فقال آية نزلت على آخا وقرأ باسم الله الرحمن الرحيم - إنا أعطيناك الكوثر - رواه مسلم (٢) حديث أنس بينا أنا أسير في الجنة إذا أنا نهر حافاه قباب اللؤلؤ المحجوف الحديث الترمذي وقال حسن صحيح ورواه البخاري من قوله أنس لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء الحديث وهو مرفوع وإن لم يكن صريح به عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣) حديث أنس ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة وصنعاء أو مثل ما بين المدينة وعمان رواه مسلم (٤) حديث ابن عمر لما نزل قوله تعالى - إنا أعطيناك الكوثر - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حافاه من ذهب الحديث الترمذي مع اختلاف لفظ وقال حسن صحيح ورواه الدارمي في مسنده وهو أقرب إلى لفظ المتن (٥) حديث ثوبان إن حوضي ما بين عدن إلى عمان اللقاء الحديث الترمذي وقال غريب وابن ماجه (٦) حديث أبي ذر قلت يارسول الله ما آية الحوض قال والذي نفس بيده لا آيته أكثر من عدد نجوم السماء الحديث رواه مسلم (٧) حديث حمزة إن لكل نبي حوضا وإنهم يباهون بهم أكثر واردة الحديث الترمذي وقال غريب قال وقدرى الأعمش بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل ولم يذكر فيه عن حمزة وهو أصح

ويستقيم يشاكل حال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهكذا
كان رسول الله
عليه الصلاة والسلام
يقوم من الليل ولا يقوم
الليل كله ويسوم من
الشهر ولا يصوم الشهر
كله غسیر رمضان
ولما قال الرجل إنني
عزمت أن لا أكلي
اللحم قال فإني أكلي
اللحم وأجبه ولوساكت

فهذا مقرر ومتضمن وليس من الراجح في شيء وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور الحقى نموذجاً لله
من التورود والغفلة فان الاعتقاد بالله أعظم من الاعتقاد بالدينا قال الله تعالى - فلا تنفركم الحياة
الدينا ولا يفرنكم بالله التورود -

(القول في صفة جهنم وأهلها وأنكأها)

يأبها الغافل عن نفسه للتورود بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا للشر على الاضواء والذودع
التفكر فيها أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فانك أخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل -
وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم تنجي الذين آمنوا وندد الظالمين فيها جسياً - فانت
من الورود على يقين ومن النجاة في شك فاستشعر في قلبك هول ذلك اللورد فمساك تستعد للنجاة منه
وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا فيها هم في كربها وأهلها وقوا فانتظرون
حقيقة أنبأها وتشفيح شفاها إذ أحاطت بالجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب
وصموا لها زفيراً وجرجرة تفصح عن هذه التليظ والنضب فند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجشت
الأمم على الركب حتى أشفق البراء من سوء التقلب وخرج للسادى من الزانية قائلاً : أين فلان
ابن فلان للسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل للضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من
حديد ويستقبلونه ببطائم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، ويسكسونه في قعر الجحيم
ويقولون له ذق إنك أنت العزيز الكريم - فأسكنوا داراً ضيقة الأرجاء مظلمة للسالك بهممة الهالك
يغده فيها الأسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزانية تغمعهم والمهاوية
تجمعهم أمانيهم فيها الهلاك والملم منها فسكك قد شدت أقدامهم إلى التواهي واسودت وجوههم
من ظلمة اللعاصي ينادون من أكنافها ويصيرون في نواحيها وأطرافها : يمالك قد حق علينا
الوعيد يمالك قد ألقنا الحديد يمالك قد فضجت منا الجلود يمالك أخرجتنا منها فانا لانا لندون فتقول
الزانية هيأت لآت حين أمان ولا خروج لكم من دارها وان فاسخو أفيها ولا تسلكون ولو أخرجتم
منها لكنتم إلى ما تهيم عنه تعودون فند ذلك يقطنون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ولا
ينجهم الندم ولا ينهم الأسف بل يكونون على وجوههم مغلولين النار من قوتهم والنار من نعمهم
والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرق في النار طامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار
ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرايل القطران وضرب القامع وثقل السلاسل فهم يتجلبجون
في مضايها ويتحطمون في دركانها ويضطربون بين غواشيها تقي بهم النار كفى القدور ويهتفون
بالويل والويل ومهما دعوا بالبور صب من فوق رؤوسهم الحميم يصير به ماني بطوهم والجلود
ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتشجر الصديد من أفواههم وتتقطع من العطنى أكبادهم
وتسيل على الحدود أهدانهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعطن الأطراف شعورها بل جلودها
وكلسا فضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها قد عريت من اللحم عظامهم فبقت الأرواح منوطة
بالعروق وعلائق الصب وهى تنفى في لفتح تلك النيران وهم مع ذلك يمتنون الموت فلا عوتون فكيف
بك لو نظرت إليهم وقد سودت وجوههم أشد سواداً من الحميم وأعميت أبصارهم وأبكت ألسنتهم
وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجذعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت أيديهم إلى أعناقهم
وجمع بين نواصيهم وأقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويطشون حسك الحديد بأحداقهم
فلهب النار سار في بواطن أجزائهم وحيات المهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم هذا بعض

(القول في صفة جهنم)

رى أن يلحق كل يوم
لأطمع وذلك بذلك
على أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان
مختاراً في ذلك إن شاء
أكل وإن شاء لم يأكل
وكان يترك الأكل
اختياراً وقد دخلت
الفتنة على قوم كلما
قيل لهم إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فعل كذا يقولون كان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم مشرباً وهذا إذا

حياة أحوالهم وانظر الآن في تفصيل أهوالهم وتشكر أيضا في أودية جهنم وشعابها قد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف ثمان وسبعون ألف عقرب لا يبتغي الكافر وللنافق حتى يواقع ذلك كله »^(١) وقال علي كرم الله وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تؤذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن قبل يارسول الله وما وادى أوجب الحزن قال واد في جهنم تتوعد منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعد الله تعالى للقرار للرايين »^(٢) فلهذه سعة جهنم وانشعب أوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشعابها وعدد أبوابها بعدد الأعضاء السبعة التي بها يعصى البعد بعضها فوق بعض الأعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم الصعير ثم الجحيم ثم الهاوية ، فانظر الآن في عمق الهاوية فانه لا حد لمعقها كما لا حد لمعق شعوات الدنيا فكما لا ينتهي أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا تنتهي هاويهم جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها قال أبو هريرة « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا جلبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل في جهنم من سبعين عاما الآن انتهى إلى قعرها »^(٣) ثم انظر إلى تفاوت الدرجات فان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا فكما أن إكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك مستكثر كالفرق فيها ومن خائف فيها إلى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تتراقد أنواع العذاب على كل من في النار كيفما كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه إلا أن أقامهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بخلافها لا تفتدي بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة يتعمل بتعلمين من نار يلقى دماغه من حرارة نعليه »^(٤) فانظر الآن إلى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما تشككت في شدة عذاب النار تقرب أصعبك من النار وقرى ذلك بتم أعلم أنك أخطأت في القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لحاوها طامعين بها بما هم فيه وعن هذا عبر في بعض الأخبار حيث قيل « إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا »^(٥) بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال « أمر الله تعالى أن يوقد على النار الفحم حتى احمر ثم أوقد عليها الفحم حتى ابيض ثم أوقد عليها الفحم حتى اسودت فهي سوداء مظلمة »^(٦) وقال عليه السلام « اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضا فأذن لها فسبغ في

قوله على معنى أنه لا يلزمهم التأسي به جهنم بعض فان الرخصة الوقوف على حد قوله والمزعة التأسي بفعله وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأرباب الرخص وفعله لأرباب الزلزم ثم إن للنهي بها كحال رسول الله عليه الصلاة والسلام في دعاء الخلق إلى الحق فكل

(١) حديث إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف ثمان وسبعون ألف عقرب لا يبتغي الكافر وللنافق حتى يواقع ذلك كله ما أجدهم كذا جعلته وسيأتي بيانه ما ورد في ذكر الحيات والعقارب (٢) حديث على تؤذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن الحديث رواه ابن عدى بلفظ وادى الحزن وقال باطل وأبو نعيم والأصبهاني بسند ضعيف ورواه الترمذي وقال قريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ جب الحزن وضعفه ابن عدى وتقدم في ذم الجاه والرياء (٣) حديث أبي هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا جلبة وفيه هذا حجر أرسل في جهنم الحديث رواه مسلم (٤) حديث إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة من يتعمل بتعلمين من نار الحديث متفق عليه من حديث الثعالب بن بشر (٥) حديث إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا ذكر ابن عبد البر من حديث ابن عباس وهذه النار قد ضربت بماء البحر سبع مرات ولولا ذلك ما انتفع بها أحد وليناز من حديث أنس وهو ضعيف وما وصلت إليكم حتى أحسبه قال نصحت بالآء فخصي عليكم (٦) حديث أمر الله أن يوقد على النار الفحم حتى احمر الحديث تقدم

نفس في الشتاء وتنفس في الصيف فأشد ما يجدونه في الصيف من حرها وأشد ما يجدونه في الشتاء من زمهريرها (١) « وقال أنس بن مالك يؤتى بأنعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا ويؤتى بأشد الناس ضرا في الدنيا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له هل رأيت ضرا قط فيقول لا . وقال أبو هريرة لو كان في السجدة مائة ألف أوزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماثوا وقد قال بعض العلماء في قوله تلفح وجوههم النار - إنها لهم قطعة واحدة لها أبتت لحما على عظم إلا ألقته عند أعقابهم ثم انظر بعد هذا في نكاح الصديق الذي يسيل من أبدانهم حتى يفرقون فيه وهو التفاسق ، قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ « لو أن دلو من غساق جهنم ألقى في الدنيا لألثن أهل الأرض (٢) » فهذا شرابهم إذا استغاثوا من العطش فيسقي أحدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسغه وبأية اللوث من كل مكان وما هو بميت وإن يستغيثوا يماثوا بماء كالملح يشوي الوجوه بشئ الشراب وساءت مرفقا ، ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى - ثم إنكم أيها الضالون للكذبيون لا تكون من شجر من زقوم فالثون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الحميم - وقال تعالى - إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه ردوس الشياطين فانهم لا يكون منها الثالوث منها البطون ثم إن لهم عليها الشوبان من حميم ثم إن رجوعهم إلى الجحيم - وقال تعالى - تسلي نارا حامية تسقي من عين آنية وقال تعالى - إن لدينا أنكالا وجحاما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما - وقال ابن عباس قال رسول الله ﷺ « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في عمار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف من يكون طعامه ذلك (٣) » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارغبوا فيما رغبتكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله ، من عذابه وعقابه ومن جهنم فانه لو كانت قطرة من الجنة مصكم في دنياكم التي أنتم فيها طيبها لكم ولو كانت قطرة من النار مصكم في دنياكم التي أنتم فيها خبيثها عليكم (٤) » وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيثألون بطعام من ضريح لا يسمعون ولا ينفون من جوع ويستغيثون بالطعام فيثألون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون النقص في الدنيا بشراب فيستغيثون بشراب فيرفع إليهم الحميم بكلايب الحديد فإذا دنت من وجوههم غوت وجوههم فإذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون أولم تكن تأتيناكم برسلكم بالبنات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال قال فيقولون ادعوا ما لكم فيدعون فيقولون يا مالكم ليقض علينا ربك قال فيجيئهم إنكم ما كنون (٥) » قال الأعمش أنبت أن

ما كان يعتمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبني أن يتمسكه فكان قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصياحه الزائد لا يخلو إما أنه كان ليقضى به وإما أنه كان لمزيد كان يجده بذلك فإن كان ليقضى به فالتنهي أيضا مقتضى به يثبني أن يأتي بمثل ذلك والصحيح الحق أن رسول الله صلى الله

(١) حديث اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث أبي سعيد الخدري لو أن دلو من غساق ألقى في الدنيا لألثن أهل الأرض الترمذي وقال إنما نرفه من حديث رشد بن سعد وفيه ضعف (٣) حديث ابن عباس لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا أفسدت على أهل الأرض معاشهم الحديث الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه (٤) حديث أنس ارغبوا فيما رغبتكم الله واحذروا وخافوا مما خوفكم به من عذاب الله وعقابه من جهنم الحديث لم أجده إلا إسنادا (٥) حديث أبي الدرداء يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام الحديث الترمذي من رواية سمرة ابن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال الدارمي والناس لا يعرفون هذا الحديث وإنما روى عن الأعمش عن سمرة بن عطية عن شهر عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قوله.

بين دعايم وبين إجابة مالك إياهم: ألق عام قال فيقولون ادعوا ربك فإلّا أحد خير من ربك فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنّا منها فإن عدنا فانا ظالمون قال فيجيهم أخشوا فيها ولا تسكحون قال فصد ذلك يسبوا من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزقير والحسرة والويل قال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - ويسقى من ماء صديد يتجرع ولا يكاد يسيغه - قال «يقرّب إليه فيشكره فإذا أدنى منه شوى وجهه فوقت فرق رأسه فاذا شوى قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى - وسقوا ماء حقيقا قطع أمعاءهم وقال تعالى - وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه - فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم (١)» فانظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وإلى شدة معومها وعظم أشخاصها وقنطرة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغرقت بهم ففى لاختر عن التهن واللغ ساعة واحدة قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زببتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ به لزامه ينفى أشداه فيقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى - ولا يحسن الدين يخاون بما آتاه الله من فضله الآية - (٢)» وقال الرسول صلى الله عليه وسلم «إن في النار لحيات، ثل أعناق البخت ياسعن اللسعة فيجد حموها أربعين خريفا وإن فيها لعقارب كالبغال لو كفة ياسعن اللسعة فيجد حموها أربعين خريفا وهذه الحيات والعقارب إنما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وفى ذلك وفى هذه الحيات فلم يمثل له (٣)» ثم تسكر بهذا كله في تعظم أجسام أهل النار فإن الله تعالى يزيد في أجسامهم طولاً وعرضاً حتى يزياد عذابهم بسببه فيحسون بلقع النار ولبغ العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالي قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «ضرس الكافر في النار مثل أحد وغلط جلده مسيرة ثلاث (٤)» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هشنة السفلى ساقطة على صدره والعليا قاصمة تدغط وجهه (٥)» وقال عليه السلام «إن الكافر ليحمر لسانه في سبعين يوم القيامة يتواطؤه الناس (٦)» ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجد جلودهم ولحومهم قال الحسن في قوله تعالى - كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها - قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكتمهم قبل لهم عودوا فيعودون كما كانوا . ثم تسكر الآن في بكاء أهل النار وشبهتهم ودعائهم بالويل والثبور فإن ذلك يسلط عليهم في أول إلقائهم في النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بهم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك (٧)» وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يرسل على أهل النار البكاء فيكون حتى تنقطع الدموع ثم يكون الدم حتى يرى في وجوههم كثرة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت وداماد يؤذن لهم في البكاء

(١) حديث أبي أمامة في قوله تعالى - ويسقى من ماء صديد يتجرع ولا يكاد يسيغه - قال يقرب إليه الحديث الترمذى وقال غريب (٢) حديث أبي هريرة قال رسول الله ﷺ «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع الحديث البخارى من حديث أبي هريرة رسل من حديث جابر نحوه (٣) حديث إن في النار لحيات مثل أعناق البخت ياسعن اللسعة الحديث أحمد من رواية ابن أبي ليحة عن دراج عن عبد الله بن الحارث بن جزء (٤) حديث أبي هريرة ضرس الكافر في النار مثل أحد الحديث رواه مسلم (٥) حديث شقة السفلى ساقطة على صدره والعليا قاصمة تدغط وجهه الترمذى من حديث أبي سعيد وقال حسن صحيح غريب (٦) حديث إن الكافر ليحمر لسانه فرسخين يوم القيامة يتواطؤه الناس الترمذى من رواية أبي الحارث عن ابن عمر وقال غريب أبو الحارث لا يعرف (٧) حديث يؤتى بهم يومئذ لها سبعون ألف زمام الحديث مسلم من حديث عبد الله بن مسعود.

عليه وسلم لم يفعل ذلك لجرد الاقتداء بل كان يحمد بذلك زيادة وهو ما ذكرناه من تهذيب الجيلة . قال الله تعالى خطاباً له - وأعيد ربك حتى يأتيك اليقين - لأنه بذلك ازداد استمداً من الحضرة الإلهية وقرع باب الكبر والني عليه الصلاة والسلام مفتقر إلى الزيادة من الله تعالى غير مستغن

والنهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلم فيه مسروح ولكم بمنعون أيضا من ذلك (١) «
 قل محمد بن كعب : لأهل النار خمس دعوات يحيمهم الله عز وجل في أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا
 بعدها أبدا يقولون - ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل - فيقول
 الله تعالى يحيمهم - ذلك بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي
 الكبير - ثم يقولون - ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا لعلنا نحال - فيجيبهم الله تعالى - أولم تنكروا أن أنعمت
 من قبل ما لكم من زوال - فيقولون ربنا أخرجنا لنعمل لعلنا نعمل - فيجيبهم الله تعالى - أولم
 نعمكم ما يذكركم فيه من تذكركم وجاءكم التذير فذوقوا لها للظالمين من نصير - ثم يقولون - ربنا غلبت
 علينا قوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فانا ظالمون - فيجيبهم الله تعالى - اخشوا أن
 ولانكم آمنون - فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب . قال مالك بن أنس الله ضى عنه :
 قال زيد بن أسلم في قوله تعالى - سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص - قال صبروا وما أنفست
 ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا - سواء علينا أجزعنا أم صبرنا - وقال صلى الله عليه وسلم
 « يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود بلا
 موت ويا أهل النار خلود بلاموت (٢) » وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتي
 كنت ذلك الرجل وروى الحسن رضى الله عنه جالسا في زاوية وهو يبكي قبيلا لم يتكلم فقال أخشى
 أن يطرحني في النار ولا ياتي فلهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها وأحزانها وعجها
 وحسرتها لانهاية له فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت
 لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بأنهم بأعواكل ذلك شعبن بحسن دراهم معدودة إذ لم يعو ذلك
 إلا جهنم حبيرة في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدره منفضة فيقولون في أنفسهم
 واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بصيان ربنا وكيف لم نكف أنفسنا الصبر أياما قليلا ولو صبرنا لكانت
 قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين متنعين بالرضا والرضوان فيالحسرة هؤلاء
 وقد فهم ما فاتهم ولبوا بما بلوا به ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولله آياتهم لم يشاهدوا نعيم الجنة
 لم تعظم حسرتهم لكانها تعرض عليهم فقد قال رسول الله ﷺ « يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى
 الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا
 أن اصرفوهم عنها لا تصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثله فيقولون يا ربنا
 لو أدخلتنا النار قبل أن نرى ما أرىتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا فيقول الله
 تعالى ذلك أردت بكم كنتم إذا خلوتهم بارزتموني بالعظام وإذا لقيتهم الناس لقيتموهم بحجبتين تراءون
 الناس بخلاف ما تعطون من قلوبكم هيتم الناس ولم تهابوني وأجلتم الناس ولم تجاوبوني وتركتكم الناس
 ولم تتركوا لي فالיום أذيقهم العذاب الأليم مع ما حرمتمكم من الثواب للقيم (٣) » قال أحمد بن حنبل إن أحدنا
 يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار . وقال عيسى عليه السلام كم من جسد صحيح ووجه
 صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح . وقال داود الهادي لا صبر لي على حر مثلك فكيف صبري

عن ذلك ثم في ذلك
 سر غريب وذلك أن
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم برابطة
 جنسية النفس كان
 يدعو الخلق إلى الحق
 ولولا رابطة الجنسية
 ما وصلوا إليه ولا
 انتفعوا به وبين نفسه
 الطاهرة ونفوس
 الأتباع رابطة التأليف
 كما بين روحه وأرواحهم
 رابطة التأليف ورابطة
 التأليف أن النفوس

(١) حديث أنس يرسل على أهل النار البكاء فيكون حتى تنقطع الدموع الحديث ابن ماجه من
 رواية يزيد الرقاشي عن أنس والرقاشي ضيف (٢) حديث يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش
 أملح فيذبح البخاري من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٣) حديث
 يؤمر يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها الحديث رواه
 في الأربعين لأبي هدية عن أنس وأبو هدية إبراهيم بن هدية هالك .

على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك فانظر يا مسكين في هذه الأحوال واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلا لا يزيدون ولا ينقصون وأن هذا أمر قد قضى وفرغ منه قال الله تعالى - وأندم يوم الحسرة إذ نضى الأمر وهم في غفلة ولم يؤمنون - ولعمري الإشارة به إلى يوم القيامة بل في أزل الأزول ولكن أظهر يوم القيامة سابق به القضاء فالجيب منك حيث تضحك وتلغو وتشغل بمحقرات الدنيا ولست تدري أن القضاء بماذا سبق في حقك ؟ فان قلت فليت شعري ماذا مودى وإلى ماذا مآلي ومرجى وما الذي سبق به القضاء في حقك فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهي أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فانك بعد عن النار وإن كنت لا تقصد خير إلا لا تحيط بك الموائق تخدعه ولا تقصد شرا إلا ويتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضى عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة الطير على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى - إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم - فأعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستترك من العارفين والله أعلم .

(القول في صفة الجنة وأصناف نعيمها)

اعلم أن تلك الدار التي عرفت هومها وغومها تهابها دار أخرى تتأمل نعيمها وسرورها فان من بعد من أحدها استقر لاهلها في الأخرى فاستراح خوف من ذللك بطول الفسكرة في أهوال الجحيم واستراح الرجاء بطول الفسكرة في النعيم للمقيم للوعود لأهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من المذاب الأليم تفسكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختم جالدين على منابر الياقوت الأحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الأبيض فيها بسط من البعري الأخضر متسكنين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالبحر والصلل عذوبة بالفسان والولدان مزينة بالخور العين من الحيرات الحسان كأنهن الياقوت والرجان لم يطعنن إنس قبلهن ولا جان يعيش في درجات الجنان إذا اختلعت إحداهن في مشيها حمل أعطافها سبعون ألفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الأبيض ماتجرج فيه الأبصار مكملات بالتيجان للرصة باللؤلؤ وللرجان شكلات غنجات عطرات آمنت من الهرم والبؤس مقصورات في الخيام في قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم بطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين يضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ للسكران جزاء بما كانوا يعملون في مقام أمين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من رهم يتعاهدون فهم فيها اشتهت أنفسهم خالدون لا يغافون فيها ولا يحزنون وهم من ربّ اللذات آمنون فهم فيها يتمتعون وبما كلون من أطعمتها وشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا في أنهار أو ارضها من فضة وحبابها مرجان وعلى أرض ترابها مسك أذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحب قيا من ماء التبرين على كثبان الكافور ويؤتون بأكواب وأى أكواب بأكواب من فضة رصعة بالدر والياقوت وللرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسيل المذهب كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقه وحرته لم يصنه آدمى فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صناعته في كف خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في إشراقها ولكن من أين للشمس حلاوة مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه

(القول في صفة الجنة)

ألفت آها كما أن
الأرواح ألفت أولا
ولكل روح مع
نفسه تأليف خاص
والسكون والتأليف
والامتزاج واقع بين
الأرواح والنفوس
وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يديم
العمل لتصفية نفسه
وقهوس الأتباع فما
احتاج إليه نفسه من
ذلك ناله وما فضل من
ذلك وصل إلى قهوس

وملاحة أحداقه فيأجيبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لا يموت أهلها ولا تخل القهجات عن نزل بناتها ولا تنظر الأحداث بين التغير إلى أهلها كيف يأمن بدار قد أذن الله في خرابها وبناتها بعيش دونها والله لولم يكن فيها للإسلامة الأبدان مع الأمن من اللوث والجرع والعطش وسائر أصناف الحدائن لكان جديرا بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنعص من ضرورته كيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور ممتعون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل يوم ببناء العرش يحشرون وإلى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان ولا يفتنون وهم على السوام بين أصناف هذه النعم بتردد دون وهم نزولها آمنون قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يأدى مناد يأهل الجنة إن لكم أن تصعدوا فلا تنفصوا أبدا وإن لكم أن تنحبوا فلا تحبوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تشبوا أبدا وإن لكم أن تتعموا فلا تتعسوا أبدا فذلك قوله عز وجل - ونودوا أن تملك الجنة أو رشحوها عما كنتم تعملون -^(١) ومهما أردت أن تعرف صفة الجنة فاقرا القرآن فليس وراءه بيان الله تعالى بيان وأقرأ من قوله تعالى - ولئن خاف مقام ربه جنتان - إلى آخر سورة الرحمن وأقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وإن أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الأخبار فتأمل الآن خصيلها بعد أن اطلمت على جملة ما تأمل أو لا تعد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - ولئن خاف مقام ربه جنتان - قال «جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن^(٢)» ثم انظر إلى أبواب الجنة فإنها كثيرة بحسب أصول الطاعات كأن أبواب النار بحسب أصول المعاصي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أتق زوجين من ماله في سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها وللجنة ثمانية أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد فقال أبو بكر رضي الله عنه والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعى فهل يدعى أحد منها كلها ؟ قال نعم وأرجو أن تكون منهم^(٣)» وعن حاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه أنه ذكر النار فظم أمرها ذكر لا يحفظه ثم قال - وسبق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا - حتى إذا اتقوا إلى باب من أبوابها وجدوا عندهم شجرة يخرج من تحت ساقها عينا تخرجان فعمدوا إلى إحداها كما أمروا به فشربوا منها فأذهبت ماله بطونهم من أذى وأبأس ثم عمدوا إلى الأخرى فطعموها منها فجرت عليهم نضرة النعم فلم تتغير أشعارهم بعدها أبدا ولا تشمت رءوسهم كأنما دهنوا بالدهان ثم اتقوا إلى الجنة فقال لهم خذتها سلام عليكم طمأنينة فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما طيف ولدان أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من غيبة يقولون له أيسر أعدائك من الكرامة كذا قال فينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا فيقول أنت رأيت فيقول أنا رأيت وهو بأثرى فيستخفها الفرح حتى تقوم إلى أسكفة بابها فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنيانه فإذا جند الكاؤل فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر من كل لون ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقفه فإذا

الأمة وهكذا انتهى مع الأصحاب والأتباع على هذا المعنى فلا يتخلف عن الزيادة والتوافل ولا يرسل في المشوات واللذات إلا بدلالة نفس النفس ولا يعطى الاعتدال حقه من ذلك إلا بتأييد الله تعالى ونور الحكمة وكل من يحتاج إلى صحة الجاوة للتفسير لا بد له من خلاصة صحيحة بالحق حتى تكون

- (١) حديث أبي هريرة ينادى مناد إن لكم أن تصحوا فلا تصحوا أبدا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد (٢) حديث جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث أبي هريرة من أتق زوجين من ماله في سبيل الله دعى من أبواب الجنة الحديث متفق عليه .

مثل البرق ولولا أن الله تعالى قدره لألم أن يذهب بصره ثم يطألى رأسه فإذا أزواجهم وأكواب موضوعة ومبارق مصفوفة ووزرائهم مبنوثة - ثم اتكأ فقال - الحمد لله الذي هدانا لهذا لما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله - ثم ينادى مناد يحيون فلا تموتون أبدا وتحيون فلا تظنون أبدا وتسمعون فلا ترضون أبدا - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتى يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول الحاجز من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا تفتح لأحد قبلك (١)» ثم تأمل الآن في غرف الجنة واختلاف درجات الملو فيها فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وكأ أن بين الناس في الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة الممودة تفاوتها وظاهراف كذلك فإنها يجازون به تفاوتها وظاهراف كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمرك الله بالمساجعة والناسفة فيها فقال تعالى - سابقوا إلى مغفرة من ربكم - وقال تعالى - وفي ذلك فليقتافس للتيافسون - والعجب أن هؤلاء هم الذين هم عليك أقرب منك أوجيدانك بزيادة درهم أو بملو بناء قل عليك ذلك وصاق به صدرك وتغنص بسبب الحسد عيشك وأحسن أحوالك أن تستقر في الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بطوائف لا توارىها الدنيا بخلافها فقد قل أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما يتراءون السكوك النائر في الأفق من الشرق إلى الغرب ثم تماثل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا بالرسول (٢)» وقال أيضا «إن أهل الدرجات العلى ليرام من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق من آفاق السماء وإن أبكر وعمر منهم وأتمما (٣)» وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «الأحدرتكم بنرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليه عليك بأبينا أنت وأمتنا قال إن في الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعم والهدايا والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يا رسول الله أولئك هذه الغرف قال لمن أفضى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله من يطبق ذلك قال أتى تطبيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي أخاه فسلم عليه وأورد عليه فقد أفضى السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الهداية في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام (٤)» يعني اليهود والنصارى والمجوس . «وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله - ومساكن طيبة في جنت عدن - قال : قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون دارا من ياقوت أحمر في كل دار سبعون بيتا من زمرد أخضر في كل بيت سربري على كل سربري سبعون فراشا من كل لون في كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لوات من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة يعني من القوة ما يأتي على ذلك أجمع (٥)».

(١) حديث أتى يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول الحاجز من أنت فأقول محمد الخ الحديث مسلم من حديث أنس (٢) حديث أبي سعيد إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تراءون السكوك الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث إن أهل الدرجات العلى ليرام من تحتهم كما يرون النجم الطالع رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد (٤) حديث جابر ألا أحدثكم بنرف الجنة قلت يا رسول الله بأبينا أنت وأمتنا قال إن في الجنة غرفا من أصناف الجوهر الحديث أبو نعيم من رواية الحسن عن جابر (٥) حديث سئل عن قوله تعالى - ومساكن طيبة في جنت عدن - قال قصور من لؤلؤ الحديث أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة والأجر في كتاب النصيحة

جلوته في حياية خلوته ومن يترادى له أن أوقاته كلها خلوة وأنه لا يحجب شيء وأن أوقاته بالله وهو لا يرى قصصا لأن الله ما خلقه لحقيقة المزيد فهو صحيح في حاله غير أنه تحت قصور لأنه ما نيه لسياسة الجبل وما عرف سر تملك الاختيار وما وقف من البيان على البيضاء النقية وقد هلت عن الشايح كلمات

(صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهارها)

تأمل في صورة الجنة وتحسّر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرمها لتفانعه بالديناعوضا عنها فقد قال أبوهريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك» (١) - «وسئل عليه السلام عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص» (٢) وقال أبوهريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سره أن يسقيه الله عز وجل الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا» (٣) «أنهار الجنة تتفجر من تحت تلال أو تحت جبال للمسك» (٤) «ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعها لكان ما يحلبها الله عز وجل به في الآخرة أفضل من حلية الدنيا جميعها» (٥) وقال أبوهريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها أهواء» إن شقم - وظل محمود - (٦) «قال أبو أمامة: «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون إن الله عز وجل ينفضنا بالأعراب ومسائلهم أقبل أعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أدري أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هي قال الصدر فإن لها شوكا فقال قد قال الله تعالى - في صدر مخضود - ينضد الله شوكة فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما منها لون يشبه الآخر» (٧) «وقال جرير بن عبد الله: «زلنا الصفاح فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلقه قتلته للغلام انطلق بهذا النطع فأظله فأنطلق فأظله فلما استيقظ فإذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله فإن من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدري ما الظلمات يوم القيامة قلت لأدري قال ظلم الناس بعضهم بعضا ثم أخذ عويدا لا أكاد أراه من

فيها موضع اشتباه قد يسميها الإنسان ويبنى عليها والأولى أن يغتنر إلى الله تعالى في أي كلمة يسميها حتى يسميها الله من ذلك الصواب . هل عن بعضهم أنه سئل عن كمال المعرفة فقال : إذا اجتمعت التفردات واستوت الأحوال والأماكن وسقطت رؤية التميز ومثمل هذا القول يوم أن

من رواية الحسن بن خليفة عن الحسن قال سألت أباهريرة وعمران بن حصين في هذه الآية ولا يصح والحسن بن خليفة لم يعرفه ابن أبي حاتم والحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة على قول الجمهور (١) حديث أبي هريرة : إن حائط الجنة لبنتان من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك الترمذي بلفظ وبلاطها للمسك وقال ليس إسناده بذلك القوى وليس عندي بمتصل ورواه البزار من حديث أبي سعيد بإسناده في مقال ورواه موقوفا عليه بإسناد صحيح (٢) حديث : سئل عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص مسلم من حديث أبي سعيد أن ابن صبيد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فذكره (٣) حديث أبي هريرة : من سره أن يسقيه الله الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير فليتركه في الدنيا الطبراني في الأوسط بإسناد حسن وللنسائي بإسناد صحيح : من ليس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة (٤) حديث : أنهار الجنة تتفجر من تحت تلال أو تحت جبال للمسك القيلي في الضعفاء من حديث أبي هريرة (٥) حديث : لو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعها لكان ما يحلبها الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعها الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بإسناد حسن (٦) حديث : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث أبي أمامة أقبل أعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية قال ما هي قال الصدر الحديث ابن المبارك في الزهد عن صفوان بن عمرو عن سلم بن عامر عن سلا من غير ذكر لأبي أمامة .

صفه فقال يا جرير لو طلبت مثل هذا في الجنة لم تجده قلت يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر قال أسولها القلؤل والذهب وأعلها النمر .

(صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم)

قال الله تعالى - يحاون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرر - والآيات في ذلك كثيرة وإنما تفصيله في الأخبار فقد روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من يدخل الجنة يتم لا يأس لأتلبى ثيابه ولا ينقى شبابه في الجنة ما لعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » (١) . « وقال رجل يارسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق أم تسج تسج فسكت رسول الله ﷺ وضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم م تضحكون من جاهل سألت عالما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ينشق عنها ثمر الجنة مرتين » (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتوطون آيتهم ومشاطهم من الذهب والفضة وورشهم المسك لكل واحد منهم زوجتان يرى مع سابقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض نأوهم على قلب واحد يسبحون بكرة وعشية (وفي رواية) على كل زوجة سبعون حلة » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - يحاون فيها من أساور من ذهب - قال « إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة فيها ثقي مابن الشرق والغرب » (٤) وقال ﷺ « الحيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للؤم من أهل لا يراهم الآخرون » (٥) « ورواه البخاري في الصحيح قال ابن عباس الحيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصرع من ذهب وقال أبو سعيد الخدري « قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : وفرش مرفوعة قال مابن القراشين كما بين السماء والأرض » (٦)

(صفة طعام أهل الجنة)

بيان طعام أهل الجنة المذكور في القرآن من الفواكه والطيور والسيان واللبن والسوى والعسل واللبان وأصناف كثيرة لا تحصى قال الله تعالى - كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل - وأنوابه متشابها - ، وذكر الله تعالى شراب أهل الجنة في مواضع كثيرة ،

(١) حديث أبي هريرة : من يدخل الجنة يتم ولا يأس لأتلبى ثيابه الحديث رواه مسلم دون قوله : في الجنة ما لعين رأت الخ فاتفق عليه الشيخان من حديث آخر لأبي هريرة : قال الله تعالى أهددت لعداى الصالحين ما لعين رأت الحديث (٢) حديث : قال رجل يارسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق أم تسج تسج الحديث (٣) حديث أبي هريرة : أول زمرة تدخل الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر الحديث متفق عليه (٤) حديث : في قوله تعالى - يحاون فيها من أساور من ذهب - قال إن عليهم التيجان أدنى لؤلؤة فيها ثقي مابن الشرق والغرب الترمذي من حديث أبي سعيد دون ذكر الآية وقال لا نعرفه إلا من حديث رشدين سمع (٥) حديث : الحيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا الحديث عزاه للصف للبخاري وهو متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري (٦) حديث أبي سعيد في قوله تعالى - وفرش مرفوعة - قال مابن القراشين كما بين السماء والأرض الترمذي بلفظ : ارتفاعها لكما بين السماء والأرض خمسمائة سنة وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين سعد .

لا يبق عجز بين الحلوة والجلوة وبين القيام بصور الأعمال وبين تركها ولم يفهم منه أن القائل أراد بذلك معنى خاصا يبنى أن حظ العرفة لا يتغير بحال من الأحوال وهذا صحيح لأن حظ العرفة لا يتغير ولا يفتقر إلى التمييز ونستوى الأحوال فيه ولكن حظ السريد يتغير ويحتاج إلى

وقد قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم «كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبر من أبحار اليهود فذكر أسئلة إلى أن قال فمن أول إجازة يعنى على الصراط ؟ فقال قراء المهاجرين ، قال اليهودى فما عفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال زيادة كبد الخوت ، قال فما غذاؤهم على أرضها ؟ قال ينحلم ثور الجنة الذى كان يأكل فى أطرافها . قال فما شرابهم عليه ؟ قال من عين فيها تسنى سلسيلا . فقال صدقت (١) » وقال زيد بن أرقم «جاء رجل من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أبا القاسم أنت زعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون وقال لأصحابه إن أنكر لى بها خصمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى والذى تسنى بيده إن أحدم يعطى قوة مائة رجل فى اللطم وللشرب والجماع ، فقال اليهودى فان الذى يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل للسك فاذا البطن قد ضم (٢) » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهي فيخر بين يديك مشويا (٣) » وقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن فى الجنة طيرا أمثال البخاني . قال أبو بكر رضى الله عنه إنها لناحية يارسل الله . قال أنتم منها من يأكلها وأنتم من يأكلها ياأبا بكر (٤) » وقال عبدالله بن عمر فى قوله تعالى - يطاق عليهم بصحاف - قال يطاق عليهم سبعين صحيفة من ذهب كل صحيفة فيها لون ليس فى الأخرى مثله . وقال عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه - ونزاجه من تسنيم - قال يمزج لأصحاب المين ويشربه للقريون صرطا . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : فى قوله تعالى - ختامه مسك - قال هو شراب أبيض مثل القصة يغمون به آخر شرابهم لوأن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذوروح إلا وجد رج طيبها .

(صفة الخور العين والولدان)

قد تكرر فى القرآن وصفهم ووردت الأخبار زيادة شرح فيه ، روى أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «غدوة فى سبيل الله أروحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدم أوموضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولوان امرأة من نساء أهل الجنة طابت إلى الأرض لأضواء ولما ثلاث ما بينهما رائحة وتصفىها على رأسها خير من الدنيا بما فيها (٥) » يعنى الحار وقال

(١) حديث ثوبان جاء جبر من أبحار اليهود فذكر سؤاله إلى أن قال فمن أول الناس إجازة يعنى على الصراط فقال قراء المهاجرين قال اليهودى فما عفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد النون الحديث رواه مسلم بزيادة فى أوله وآخره (٢) حديث زيد بن أرقم جاء رجل من اليهود فقال ياأبا القاسم أنت زعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون الحديث وفيه حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل للسك النسائي فى الكبرى بإسناد صحيح (٣) حديث ابن مسعود إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهي فيخر بين يديك مشويا بإسناد فيه ضعف (٤) حديث حذيفة إن فى الجنة طيرا أمثال البخاني الحديث غريب من حديث حذيفة ولأحمد من حديث أنس بإسناد صحيح إن طير الجنة كأمثال البخت ترعى فى شجر الجنة قال أبو بكر يارسل الله إن هذه الطير لناحية قال أكلها أنتم منها قالما ثلاثا وإنى أرجو أن تكون ممن يأكل منها وهو عند الترمذى من وجه آخر ذكر فيه نهر الكوثر وقال فيه طير أعناقها كأعناق الجزر قال عمر : إن هذه لناحية الحديث وليس فيه ذكر لآوى بكر وقال حسن (٥) حديث غدوة فى سبيل الله أروحة خير من الدنيا وما فيها الحديث البخارى من حديث أنس .

التميز وليس فى هذا الكلام وأمثاله ما ينافى ما ذكرناه . قيل لحمد ابن الفضل حاجة العارفين إلى ماذا قال حاجتهم إلى الخصلة التى كملت بها المحاسن كلها ألاوهى الاستقامة وكل من كان آتم معرفة كان آتم استقامة فاستقامة أرباب النهاية على الختام والعبد فى الابتداء مأخوذ فى الأعمال محبوب بها

أبو سعيد الحدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - كأنهم الياقوت والرجان - قال ينظر إلى وجهها في خدرها أصفى من الرأفة وإن أدنى لؤلؤة عليها نضى مابين للشرق والغرب وإنه يكون عليها سبعون ثوبا يغدها بصره حتى يرى مع ساقها من وراء ذلك ^(١) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - لما أسرى في دخلت في الجنة موضعا يسمى اليبغ عليه خيام اللؤلؤ والرجد الأخضر والياقوت الأحمر قلن السلام عليك يا رسول الله قلت يا جبريل ما هذا النداء قال هؤلاء للقصورات في الخيام استأذنن ربهن في السلام عليك فأذن لهن فطفعن بقلن نحن الراضيات فلا نخط أبدا ونحن الخالدات فلا نظعن أبدا ، وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - حور مقصورات في الخيام - ^(٢) وقال مجاهد في قوله تعالى - وأزواج مطهرة قال من الحيز والغائط والبول والبصاق والنخامة والنفى والوف . وقال الأوزاعي - في شغلها كيون - قال شغلهم اقتضاض الأكار . وقال رجل يا رسول الله «أيامنع أهل الجنة ؟ قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منك ^(٣) » وقال عبدالله بن عمر إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى معه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يماثل كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا ^(٤) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء فإذا انتهى الرجل صورة دخل فيها وإن فيها مجتمع الحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلق مثلها يقرن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نخط فطوي لمن كان لنا وكنا له ^(٥) » وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أبي سعيد الحدرى في قوله تعالى - كأنهم الياقوت والرجان - قال تنظر إلى وجهها في خدرها أصفى من الرأفة الحديث أبو يعلى من رواية أبي الهيثم عن أبي سعيد بإسناد حسن ورواه أحمد وفيه ابن لهيعة ورواه ابن المبارك في الزهد والرفاعة من رواية أبي الهيثم عن النبي ^{صلى الله عليه وسلم} مرسلا دون ذكر أبي سعيد وللترمذى من حديث ابن مسعود إن لآرة من نساء أهل الجنة ليرى يبايع مع ساقها من وراء سبعين حلة الحديث ورواه عنه موقوفا قال وهذا أصح وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مع سوقهما من وراء الحرم ^(٢) حديث أنس لما أسرى في دخلت في الجنة موضعا يسمى الصرح عليه خيام اللؤلؤ والرجد الأخضر والياقوت الأحمر الحديث وفيه ابن جبريل قل هؤلاء القصورات في الخيام وفيه تطفعن بقلن نحن الراضيات فلا نخط لم أجده هكذا يتعامه وللترمذى من حديث علي بن في الجنة ليجتمعا للهور العين يرفعن أصواتا لم تسمع الخلق مثلها يقرن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نخط فطوي لمن كان لنا وكنا له وقال غريب ولأبي الشيخ في كتاب العظمة حديث ابن أبي أوفى في بسند ضعيف فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقلن بأصوات الحديث ^(٣) حديث قال رجل يا رسول الله أيامنع أهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منك الترمذى وصححه وابن حبان من حديث أنس يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع قليل أو يطبق ذلك قال يعطى قوة مائة ^(٤) حديث إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يماثل كل واحد منهن مقدار عمره في الدنيا أبو الشيخ في طبقات المحدثين وفي كتاب العظمة من حديث ابن أبي أوفى إلا أنه قال مائة حوراء ولم يذكر فيه عناقته لهن وإسناده ضعيف وتقدم قبله حديث ^(٥) حديث إن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء الحديث الترمذى فرقه في موضعين من حديث علي وقد تقدم بضه قبل هذا بحديثين .

عن الأحوال وفي
التوسط محفوظ
بالأحوال فقد عجيب
عن الأعمال والانتها
لا تحببه الأعمال من
الأحوال ولا الأحوال
عن الأعمال وذلك هو
الفضل العظيم . مثل
الجيد عن النهاية فقال
هو الرجوع إلى البداية
وقد فسر بعضهم قول
الجيد فقال معناه أنه
كان في ابتداء أمره في
جهل ثم وصل إلى

« إن الحور في الجنة يتقين نحن الحور الحسن خبثاً لأزواج كرام ^(١) » وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى - في روضة يجرون - قال السباع في الجنة وقال أبو أمامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجله ثنتان من الحور العين يضيانه بأحسن صوت سمعه الانس والجن » وليس بمزار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه ^(٢) .
(بيان جل مفرقة من أوصاف أهل الجنة وردت بها الأخبار)

روى أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « ألا هل مشمر للجنة إن الجنة لا خطر لها هي ورب السكبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حيرة وضعة في مقام أبدا ونضرة في دار عالية بهيمة سليمة قالوا نعم للمشمرين لها يا رسول الله قال قولوا إن شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحضى عليه ^(٣) » وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال هل في الجنة خيل فأنها تعجبني فقال إن أحببت ذلك أتيت بغرس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت له وقال رجل : إن الأبل تعجبني فهل في الجنة من إبل فقال يا عبد الله إن أدخلت الجنة فك في ما اشتئت تشك ولدت عيناك ^(٤) » وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل من أهل الجنة لولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفضاله وشبابه في ساعة واحدة ^(٥) » وقال رسول الله ﷺ « إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاقوا الإخوان إلى الإخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا فيلتقيان ويتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول يا أخى تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله عز وجل فنفرنا ^(٦) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة جرد مرد يبيض جعاد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعاً على عرض سبعة أذرع ^(٧) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف - م -

المفرقة ثم رد إلى التعبير والجهل وهو كالطفولية يكون جهل ثم علم ثم جهل قال الله تعالى - لكيلا يعلم بعد علم شيئا - وقال بعضهم: أعرف الخلق بالله أهدمهم تحميرا فيه ويجوز أن يكون معنى ذلك ما ذكرناه أنه يبادى الأعمال ثم يبرق إلى الأحوال ثم يجمع له بين الأعمال والأحوال وهذا يكون لمنتهى

(١) حديث أنس إن الحور في الجنة يتقين فيقلن نحن الحور الحسن خبثاً لأزواج كرام الطبراني الأوسط وفيه الحسن بن داود للنسكدي قال البخاري يتكلمون فيه وقال ابن عدى أرجو أنه لا بأس به (٢) حديث أبي أمامة مامن عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجله ثنتان من الحور العين يضيانه بأحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه الطبراني بإسناد حسن (٣) حديث أسامة بن زيد ألا هل من مشمر للجنة إن الجنة لا خطر لها الحديث ابن ماجه وابن حبان (٤) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل في الجنة خيل فأنها تعجبني الحديث الترمذي من حديث يزيد مع اختلاف لفظ وفيه للسعودي مختلف فيه ورواه ابن المبارك في الزهد بلفظ المصنف من رواية عبد الرحمن بن سابط مرسل قال الترمذي وهذا أصح وقد ذكر أبو موسى للدين بن عبد الرحمن بن سابط في ذيله على ابن منده في الصحابة ولا يصح له بحجة (٥) حديث أبي سعيد إن الرجل من أهل الجنة لولد له الولد كما يشتهي ويكون حمله وفضاله ونشأته في ساعة واحدة ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب قال وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم في الجنة جماع ولا يكون ولد انتهى وأحمد من حديث لأبي رزين يلد ويلد مثل لداكم في الدنيا ويتلذذون بكم غير أن لا أولاد (٦) حديث إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاقوا الإخوان إلى الإخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا البزار من رواية الريح بن صبيح عن الحسن بن أنس وقال لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الاسناد تخرد به أنس انتهى والريح بن صبيح ضعيف جدورواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب مرسل دون ذكر أنس (٧) حديث أهل الجنة جرد مرد يبيض جعاد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين الحديث الترمذي من حديث معاذ وحسنه دون قوله يبيض جعاد ودون قوله على خلق آدم إلى آخره

وفئان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كابين الجاية إلى صناعه وإن عليهم التيجان وإن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين الشرق والغرب (١) وقال صلى الله عليه وسلم « نظرت إلى الجنة فإذا الرمان من رمانها تكلف البعير اللقشب وإذا طيرها كالبيخ وأذا فيها جارية قتلت باجارية لمن أتت ؟ فقالت يزيد بن حارثة وإذا في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (٢) » وقال كعب : خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمي فقالت - قد أفلق للؤمنون - فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم قلناها تفصيلا ، وقد ذكر الحسن البصري رحمه الله جلها فقال : إن رمانها مثل اللؤلؤ وإن أنهارها لمن ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من عسل مصفى وبصفه الرجال وأنهار من خمر لينة للشاربين لا تسفه الأحلام ولا تصنع منها الردوس وإن فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر مولاك تاعمون أبناء ثلاث وثلاثين في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء كل جرد مدر قد أنشأ العذاب وأطاعت بهم الدار وإن أنهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد وإن عروقها وتخلها وكرمها اللؤلؤ ونهارها لا يسلم عليها إلا الله تعالى وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة وإن من فيها خيلا وبلا هفافة وحالها وأزمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها وأزواجهم الحور العين كأنهن بيض مكنون وإن المرأة لتأخذ بين أصبعيها سبعين حبة فتلقيها فيرى مغسقاتهم وراء تلك السبعين حبة قد طهر الله الأخلاق من السوء والأجساد من اللوث لا يمتخطون فيها ولا يولون ولا يتفوطون وإنما هو جشاء ورشح مسك لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا أما إنه ليس ليل بكر التدو على الروح والروح على البدن وإن آخر من يدخل الجنة وأدناهم منزلة ليمده له بصره وملكه مسيرة مائة عام في قصور من الذهب والقضه وخيام اللؤلؤ ويفسح له في بصره حتى ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه يرضى عليهم سبعين ألف صفعة من ذهب ويراح عليهم بملثلها في كل صفعة لون ليس في الأخرى مثله ويرطم آخره كما يحطم أوله وإن في الجنة لياقوتة فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت ليس فيها صدع ولا تقب ، وذلك مجاهد : إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه وأرغمهم الذي ينظر إلى ربه بالقدرة والشئ . وقال سعيد بن المسيب : ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أساور من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة . وقال أبو هريرة رضي الله عنه : إن في الجنة حوراء يقال لها العينا إذا مشى عن يمينها ويسارها سبعون ألف وصيفة وهي تقول أين الأمور والمعروف والناهون عن النكر . وقال يحيى بن معاذ : ترك الدنيا شديد وفوت الجنة أشد ترك الدنيا مفر الآخرة ، وقال أيضا في طلب الدنيا بل في النفوس وفي طلب الآخرة عز النفوس فيها بمن يغتار بالدنيا في طلب ما في يده والعز في طلب ما في يده .

(صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى)

قال الله تعالى - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - وهذه الزيادة هي النظر إلى وجهه الله تعالى وهي اللذة

ورواه أيضا من حديث أبي هريرة مختصرا أهل الجنة جرد مرد كل وقال غريب وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة على صورة آدم حنون ذراعا (١) حديث أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد منقطعاً من أوله إلى قوله وإن عليهم التيجان ومن هنا باسناد أيضا وقال لا يعرف إلا من حديث رعد بن سعد (٢) حديث نظرت إلى الجنة فإذا الرمان من رمانها بكلف البعير اللقشب وإذا طيرها كالبيخ الحديث رواه التلطي في تفسيره من رواية أبي هريرة العبدى عن أبي سعيد وأبو هريرة اسمه عمارة بن حرب صيف جداولي الصحيحين من حديث أبي هريرة يقول الله أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

لراد للأخوذ في طريق
الحيويين . تنجذب
روحه إلى الحفرة
الالهية . وتستبج
القلب والقلب يستبج
النفوس والنفوس تستبج
الغالب فيكون بكنيته
قائما بالله ساجدا
بين يدي الله تعالى
كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« سجد لك سواي
وخالي » وقال الله تعالى
- وله يسجد من في

السكبرى الذى ينسب فيها نعيم أهل الجنة وقد ذكرنا حقيقة أنها في كتاب المحبة وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يستقدم أهل البدعة قال جرير بن عبد الله البجلي « كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لاضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فاقبلوا ثم قرأ - وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - (١) وهو مخرج في الصحيحين وروى مسلم في الصحيح عن صيب قال « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى نادى يأهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه قالوا ما هذا الموعد ؟ ألم ينقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويخبرنا من النار قال فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل لما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إليه (٢) » وقد روى حديث الرؤيا جماعة من الصحابة وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ما ضاناه من التمتع عند هذه النعمة ينسب وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لاسبغة لكى من لذات الجنة إلى لذة اللقاء ، وقد أوجزنا في الكلام هنا لما ضاناه في كتاب المحبة والشوق والرضا فلا ينبغي أن تكون حمة البعد من الجنة بشئ سوى لقاء الولي . وأما سائر نعيم الجنة فانه يشارك فيه البهيمة للسرحة في الرعى .

(نغم الكتاب يباب في سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاضل بذلك)

فقد « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب القائل (٣) » وليس لثامن الأعمال ما يرجو به المغفرة فتقضى رسول الله ﷺ في التفاضل ونرجو أن نغتم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى فقد قال الله تعالى - إن الله لا يفر أن يشرك به ويفر مادون ذلك لمن يشاء - وقال تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم - وقال تعالى - ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما - ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زلت به القدم وأطغى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا ونستغفر من أقوالنا التي لا توافقها أعمالنا ونستغفر عما ادعينا وأظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التفسير فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره من كل وعد وعدها به من أنفسنا ثم قصرنا في الوفاء به ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها في معصيته ونستغفره من كل تصريح وعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصرفين به ونستغفره من كل خطرة دعنا إلى تصنع وتكافؤ تربنا للناس في كتاب سطرناه أو كلام نظمناه أو علم أفدناه أو استفدناه ، ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولن طالع كتابنا هذا أو كتبه أو سمع أن نكفر بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وطنا

(١) حديث جرير : كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال إنكم ترون ربكم الحديث هو في الصحيحين كما ذكر للصف (٢) حديث صيب في قوله تعالى - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - رواه مسلم كما ذكره الصف .

(باب في سعة الرحمة)

(٣) حديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التفاضل متفق عليه من حديث أنس في أثناء حديث : ويبين القائل الصالح والكلمة الحسنة ولهما من حديث أبي هريرة : وخبرها القائل قالوا وما القائل ؟ قال الكلمة الصالحة يسعها أحكم .

السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال - والظلال القواب تسجد بسجود الأرواح وعند ذلك تسرى روح المحبة في جميع أجزائهم وأجسامهم فيتلذذون ويتمسكون بذكر الله تعالى وتلاوة كلامه بحبه وودا فيحبهم الله تعالى

فان الكرم عليم والرحمة واسعة والجلود على أصناف الخلاق فائس ونحن خلق من خلق الله عز وجل لا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه فقد قال رسول الله ﷺ «إن الله تعالى ما ترحمنا أنزل من نار رحمة واحدة بين البن والإنس والطير والبهائم والموام فيها تطافون وبها يترحمون وآخر تساو تسعين رحمة يترحم بها عباده يوم القيامة (١)» وروى أنه «إذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه إن رحمى سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثلاً أهل الجنة (٢)» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يتجل الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول أيسروا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا (٣)» وقال النبي ﷺ «يشفع الله تعالى آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف (٤)» وقال ﷺ «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة للؤمنين هل أحببت لثاني فيقولون نعم يا ربنا فيقول ألم أيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد أوجبت لكم مغفرتي (٥)» وقال رسول الله ﷺ «يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام (٦)» وقال رسول الله ﷺ «إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما أولئهم يا أباخرج من كان في النار من أهل القبلة فيخرجون فإذا رأى ذلك الكفار قالوا ألبينا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا ثم قرأ رسول الله ﷺ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (٧)» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيع بولدها (٨)» وقال جابر بن عبد الله

ويحبهم إلى خلقه
نعمة منه عليهم وفضلا
على ما أخبرنا شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
السرودي رحمه الله
قال أنا أبو طالب
الزبي قال أخبرتنا
حكمة السروية
قالت أنا أبو الهيثم
الكشميهني قال أنا
عبد الله الفرير قال
أنا أبو عبد الله البخاري

(١) حديث إن الله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وسلفان (٢) حديث إذا كان يوم القيامة أخرج الله كتابا من تحت العرش فيه إن رحمى سبقت غضبي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة لما قضى الله الحق كتب عنده فوق العرش إن رحمى سبقت غضبي لفظ البخاري وقال المسلم كتب في كتابه على نفسه إن رحمى تطلب غضبي (٣) حديث يتجل الله لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول أيسروا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا مسلم من حديث أبي موسى إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا قد أؤك من النار ولأبي داود أمي أم تمر حومة لا عذاب عليها في الآخرة الحديث وأما أول الحديث فرواه الطبراني من حديث أبي موسى أيضا يتجل الله لنا ضاحكا يوم القيامة حتى ينظروا إلى وجهه فيخرون له سجدا فيقول ارفعوا رءوسكم فليس هذا يوم عبادة وفيه على بن زيد ابن جدهان (٤) حديث يشفع الله آدم يوم القيامة من ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف الطبراني من حديث أنس بإسناد ضعيف (٥) حديث إن الله تعالى يقول يوم القيامة للؤمنين هل أحببت لثاني فيقولون نعم الحديث أحمد والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف (٦) حديث يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام الترمذي من حديث أنس وقال حسن غريب (٧) حديث إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين ؟ قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم إذا أنتم معضاني النار الحديث في إخراج أهل القبلة من النار ثم قرأ رسول الله ﷺ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين - للنسائي في الكبرى من حديث جابر نحوه بإسناد صحيح (٨) حديث له أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيع بولدها متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب وفي أوله قصة للرأفة من السبي إذ وجدت صيا في السبي فأخذته فألقته يطها فأرضته .

من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته فذلك الذي يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وإنما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره ويروى أن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام يا موسى استغث بك قارون فلم تقمته وعزني وجلالي لو استغثت بي لأغثته وغفوت عنه وقال سعد بن بلال : يوم القيامة باخراج رجلين من النار فيقول الله تبارك وتعالى ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظالم للعبد ويأمر بردهما إلى النار فيعدو أحدهما في سلاسله حتى يقتحمهما ويتلصقا الآخر فيقوم بردهما ويسألهما عن فعلهما فيقول الذي عدا إلى النار قد حدثت من وبلية للعبية فلم أكن لأعرض لستخطك ثانية ويقول الذي تلصقا حسن ظني بك كأن يصرني أن لا تردني إليها بعد ما أخرجتني منها فيأمر بهما إلى الجنة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يتأذى مناد من تحت العرش يوم القيامة يا أمه محمد أما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التيمات فتواهبوها وادخلوا الجنة رحمتي (١) » ويروى أن أعرابيا سمع ابن عباس يقرأ - وكنتم على شفا حفرة من النار فأهذكم منها - فقال الأعرابي والله ما أهدكم منها وهو يريد أن يوقمكم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير قبضه وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في مرض الموت فبكيت فقال له ملائم بكى؟ فقال له ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحبط بنفسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار (٢) » وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ﷺ « إن الله يستخلص رجلا من أمي على رموس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مني مثل مد البصر ثم يقول أتسرك من هذا شيئا أظنك كبتى الحفاظون فيقول لا يارب. فيقول أفأنت عذر فيقول لا يارب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول إنك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاعت السجلات وتقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء (٣) » وقال رسول الله ﷺ في آخر حديث طويل يصف فيه القيامة والصراف إن الله يقول لللائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ياربنا لم ندر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا لمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ياربنا لم ندر فيها أحدا ممن أمرتنا به فكان أبو سعيد يقول إن لم تصدقوني بهذا الحديث فأقبوا وإن شئتم - إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما -

(١) حديث بنادى مناد من تحت العرش يوم القيامة يا أمه محمد أما ما كان لي قبلكم فقد غفرت له لكم وبقيت التيمات فتواهبوها بينكم وادخلوا الجنة رحمتي ورواه في سبائيات أبي الأسعد القشيري من حديث أنس وفيه الحسين بن داود البلخي قال الخطيب ليس بثقة (٢) حديث الصنابحي عن عبادة بن الصامت من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرمه الله على النار مسلم من هذا الوجه واتفقا عليه من غير رواية الصنابحي بلفظ آخر (٣) حديث عبد الله بن عمرو إن الله يستخلص رجلا من أمي على رموس الخلائق يوم القيامة فينشره تسعة وتسعون سجلا فذكر حديث البطاقة ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب .

قال حدثني إسحاق قال
حدثنا عبد الصمد
قال حدثنا عبد الرحمن
ابن عبد الله بن دينار
عن أبيه عن أبي
صالح عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن الله

تعالى إذا أحب عبدا
نادى جبريل إن الله
تعالى قد أحب فلانا
فأحبه فيحبه جبريل
ثم ينادى جبريل
في السماء إن الله قد
أحب فلانا فأحبه
فيحبه أهل السماء
ويوضع له القبول في

(١) حديث: إن الله يقول ثلاثا نكمن وجنتي في قلبه متقال دينار من خير: فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا الحديث في إخراج اللوحدين وقوله تعالى لأهل الجنة: فلا أسخط عليكم بعدهم أبدا أخرجه في الصحيحين كما ذكر المصنف من حديث أبي سعيد (٢) حديث ابن عباس عرّضت على الأمر عمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه أحد الحديث إلى قوله سبقتك بها عاشره واه البخاري (٣) حديث عمرو بن حزم الأنصاري ثقب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج إلا الصلاة مكتوبة ثم يرجع وفيه إن ربي وعدني أن يدخل من أمي الجنة سبعين ألفا لأحساب عليهم وفيه (عطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا البقي في البعث والنشور ولأحمد وأبي يعلى من حديث أبي بكر فزادني مع كل واحد سبعين ألفا وفيه رجل لرسم ولأحمد الطبراني في الأوسطين حديث عبد الرحمن بن أبي بكر قال عمر فلا استرّته فقال قد استرّته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فلا استرّته قال قد استرّته فأعطاني. هكذا وفرج عبد الله بن أبي بكر بين يديه قال عبدالله وبسط باعه وحق عليه وفيه مؤنس بن عبيدة الرندي ضعف .

فهرس

- ١١٥ الطرف الخامس في تم الله تعالى في الأسباب
للوصلة للأطعمة إليك
- ١١٦ الطرف السادس في إصلاح الأطعمة
الطرف السابع في إصلاح المصلحين
- ١١٧ الطرف الثامن في بيان لمة الله تعالى في خلق
للالئكة عليهم السلام
- ١٢٠ بيان السبب الماروف للخلق عن الفكر
الركن الثالث من كتاب الصبر
- ١٢٤ بيان وجه اجتماع الصبر والفكر على شيء واحد
- ١٣١ بيان فضل النعمة على البلاء
- ١٣٢ بيان الأفضل من الصبر والفكر
- ١٣٨ (كتاب الخوف والرجاء)
- ويشتمل على شطرين أما الشطر الأول فيشتمل على
- بيان حقيقة الرجاء الخ
- ١٣٩ بيان حقيقة الرجاء
- ١٤١ بيان فضيلة الرجاء والفرغ فيه
- ١٤٧ بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال
الرجاء ويطلب
- ١٥٢ الشطر الثاني من الكتاب في الخوف
- بيان حقيقة الخوف
- ١٥٤ بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف
- ١٥٥ بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه
- ١٥٧ بيان فضيلة الخوف والتقريب فيه
- ١٦١ بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء
أو اعتدالهما
- ١٦٤ بيان الذي به يستجلب حال الخوف
- ١٧٠ بيان معنى سوء الخاتمة
- ١٧٧ بيان أحوال الأبيساء ولللائكة عليهم الصلاة
والسلام في الخوف
- ١٨٠ بيان أحوال الصغابة والتاجين والسلف والمالمين
في خدمة الخوف
- ١٨٥ (كتاب الفقر والزهدي)
- الشطر الأول من الكتاب في الفقر
- ١٨٦ بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأسبابه
- ١٨٩ بيان فضيلة الفقر مطلقاً
- ١٩٥ بيان فضيلة خصوص الفقراء من الزايمين والماتمين
والمادفين
- ٢٩٦ بيان فضيلة الفقر على الغنى
- ٢٠١ بيان آداب الفقير في فقره
- ٢٠٢ بيان آداب الفقير في قبول السطاء الخ
- ٢٠٥ بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير
المضطر فيه
- ٢٠٩ بيان مقدار النفي المحرم لسؤال
- (مكناب التوبة)
- ٢ الركن الأول في نفس التوبة الخ
- بيان حقيقة التوبة وحدها
- ٤ بيان وجوب التوبة وفضلها
- ٧ بيان أن وجوب التوبة على القور
- ٩ بيان أن وجوب التوبة عام في الأشقياس والأحوال
فلا ينفك عنه أحد البتة
- ١٢ بيان أن التوبة إذا استجمعت شروطها فهي مقبولة لأعالة
- ١٥ الركن الثاني فيها عنه التوبة وهي القوتوب
- ٢٢ بيان أقسام القوتوب بالإضافة إلى صفات المبد
- بيان كيفية توزيع الدرجات والدرجات في الآخرة على
الحسنات والسيئات في الدنيا
- ٣٢ بيان ما تعظم به الصفات من القوتوب
- ٣٤ الركن الثالث في تمام التوبة الخ
- ٤٣ بيان أقسام العباد في دوام التوبة
- ٤٦ بيان ما يليق أن يبادر إليه الطالب الخ
- ٤٩ الركن الرابع في دواء التوبة الخ
- ٥٩ (مكناب الصبر والفكر)
- ٦٠ الشطر الأول في الصبر
- بيان فضيلة الصبر
- ٦١ بيان حقيقة الصبر ومناه
- ٦٥ بيان كون الصبر نصف الإيمان
- بيان الأساس التي تتجسد للصبر الخ
- ٦٦ بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف
- ٦٧ بيان مظان الحاجة إلى الصبر الخ
- ٧٢ بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه
- ٧٨ الشطر الثاني من الكتاب في الفكر
- الركن الأول في نفس الفكر
- بيان فضيلة الفكر
- ٧٩ بيان حد الفكر وحدته
- ٨٣ بيان طريق كشف الغطاء عن الفكر في حق الله تعالى
- ٨٧ بيان تميز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه
- ٩٦ الركن الثاني من أركان الفكر الخ
- بيان حقيقة النعمة وأقسامها
- ١٠٦ بيان وجه التعمود في ككرة تم الله تعالى وتسلها
- وخروجها من المحصر
- ١٠٧ الطرف الأول في تم الله تعالى في خلق أسباب
الإحراك
- ١٠٨ الطرف الثاني في أصناف النعم في خلق الإرادات
- ١٠٩ الطرف الثالث في تم الله تعالى في خلق القدرة
وآلات الحركة
- ١١٣ الطرف الرابع في تم الله تعالى في الأصول التي
تحصل فيها الأطعمة الخ

صفحة	صفحة
٢١٠	بيان أحوال السالطين
٢١١	القطر الثاني من الكتاب في الزهد
	بيان حقيقة الزهد
٢١٤	بيان فضيلة الزهد
٢٢٠	بيان درجيات الزهد وأقسامه الخ
٢٢٤	بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضرورات الحياة
٢٣٦	بيان علامات الزهد
٢٣٨	(كتاب التوحيد والتوكل)
	بيان فضيلة التوكل
٢٤٠	بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل وهو
	القطر الأول من الكتاب
٢٥٣	القطر الثاني من الكتاب في أحوال التوكل وأعماله
	وفي بيان حال التوكل الخ
	بيان حال التوكل
٢٥٧	بيان ما كانه الفيض في أحوال التوكل
٢٥٨	بيان أعمال التوكلين
٢٦٥	بيان توكل المليل
٢٦٨	بيان أحوال التوكلين في التعلق بالأسباب خسران
٢٧٤	بيان آداب التوكلين إذا سرق متاعهم
٢٧٩	بيان أن ترك التناوؤ قد يحدق في بعض الأحوال
	ويصل إلى قوة التوكل الخ
٢٨٣	بيان الرد على من قال ترك التناوؤ أفضل بكل حال
٢٨٥	بيان أحوال التوكلين في إظهار المرض وكتفاته
٢٨٦	(كتاب الحبة والشوق والأنس والرضا)
	بيان شواهد الشروع في حب البعد لله تعالى
٢٨٨	بيان حقيقة الحبة وأسبابها وتحقيق معنى حبة البعد
	الله تعالى
٢٩٣	بيان أن التمتع للحبة هو الله وعنده
٢٩٩	بيان أن أجل القذات والأعلاما معربة الله تعالى الخ
٣٠٣	بيان السبب في زيادة الفلز في بقعة الأخيرة جعل لفرقة
	في الدنيا
٣٠٧	بيان الأسباب للقوية لحب الله تعالى
٣١١	بيان السبب في تفاوت الناس في الحب
٣١٢	بيان السبب في تصور أنهم الخلق من معرفة الله
	سبحانه وتعالى
٣١٤	بيان معنى الشوق إلى الله تعالى
٣١٨	بيان حبة الله تعالى للبعد ومستانها
٣٢٠	القول في علامات حبة البعد تعالى
٣٢٩	بيان معنى الأنس بالله تعالى
٣٣١	بيان معنى الانبساط والإدلال الذي يثمره
	غلبة الأنس
٣٣٣	القول في معنى الرضا بقضاء الله الخ
٣٣٤	بيان فضيلة الرضا
٣٣٧	بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يغفل الخلق
٣٤١	بيان أن الله تعالى غير متناقص للرضا
٣٤٤	بيان أن القرار من البلاد التي هي سلطان الناس
	ومقمتها لا يقدح في الرضا
٣٤٥	بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفتهم
٣٤٩	خاصة الكتاب بكلمات مفردة تتعلق بالحبة
	ينضح بها
٣٥٠	(كتاب التوبة والإخلاص والصدق)
٣٥١	الباب الأول في التوبة
	بيان فضيلة التوبة
٣٥٣	بيان حقيقة التوبة
٣٥٥	بيان سر قبول حلى الله عليه يوسف : حبة المؤمن
	خير من عمله
٣٥٧	بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالتوبة
٣٦٢	بيان أن التوبة غير مضافة تحت الاختيار
٣٦٤	الباب الثاني في الإخلاص وفضيلته وحقيقته
	ودرجاته
	فضيلة الإخلاص
٣٦٧	بيان حقيقة الإخلاص
٣٦٩	بيان أوائل الفيوض في الإخلاص
٣٧٠	بيان درجيات التوابع والآلات للكبيرة
	للإخلاص
٣٧٢	بيان حكم العمل القوي واستحقاق الثواب به
٣٧٤	الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته ودرجاته
	فضيلة الصدق
٣٧٥	بيان حقيقة الصدق ومصادره ودرجاته
٣٨١	(كتاب الرابطة والمحاسبة)
	المقام الأول من الرابطة المحاسبة
٣٨٤	الرابطة الثانية للرابطة
٣٨٥	بيان حقيقة الرابطة ودرجاتها
٣٩١	الرابطة الثالثة عاسبة النفس الخ
	فضيلة المحاسبة
٣٩٢	بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل
٣٩٣	الرابطة الرابعة في مطابقة النفس على تصديرها
٣٩٥	الرابطة الخامسة للمجاهدة
٤٠٣	الرابطة السادسة في توبيخ النفس ونميتها
٤٠٩	(كتاب التفكير)
٤١٠	فضيلة التفكير
٤١٢	بيان حقيقة التفكير وثمرته
٤١٣	بيان مجرى التفكير
٤٢٠	بيان كيفية التفكير في خلق الله تعالى
٤٢٣	(كتاب ذكر اللوت وما بعده)
	القطر الأول في مقدمته وتوابعه الخ
٤٣٤	الباب الأول في ذكر اللوت الخ
	بيان فضل ذكر اللوت كيفما كان
٤٣٦	بيان الطريق في تحقيق ذكر اللوت في القلب
٤٣٧	الباب الثاني في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل
	وسبب طوله وكيفية معالجته

صفحة	موضوع
٤٨٦	بيان سؤال متكرر وكثير ومصورهما وضغطة القبر
٤٨٨	وبيقة القول في عذاب القبر
٤٩٠	الباب الثامن في معرفة نسيان أحوال الموتى بالكشفة في المنام
٤٩٠	بيان منامات تكشف عن أحوال الموتى والأعمال الفاضلة والآخرة
٤٩١	بيان منامات الماترحة رحمة الله عليهم أجمعين
٤٩٤	القطر الثاني من كتاب ذكر الموت في أحوال الميت من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستقرار في الجنة أو النار وتفصيل ما بين يديهم من الأموال والأشخاص وفيه بيان قصة الصور الخ . صفة نفخة الصور
٤٩٦	صفة أرض المحضر وأهلها
٤٩٧	صفة الرق
٤٩٨	صفة طول يوم القيامة
٤٩٩	صفة يوم القيامة ودواهبه وأساميه
٥٠١	صفة المساءة
٥٠٣	صفة الميزان
٥٠٤	صفة الحصاص ورد المطالم
٥٠٧	صفة الصراط
٥٠٩	صفة الشفاعة
٥١٢	صفة الحوض
٥١٤	القول في صفة جهنم وأحوالها وأنكلاها
٥١٩	القول في صفة الجنة وأصناف نعيمها
٥٢٢	صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهارها
٥٢٣	صفة لباس أهل الجنة وفسهم وسرورهم وأرائكهم وخيامهم
٥٢٤	صفة طعام أهل الجنة
٥٣٤	صفة الحور العين والولدان
٥٣٦	بيان جبل مفرقة من أوصاف أهل الجنة وردة بها الأخيار
٥٣٧	صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى . تحم الكتاب بباب في سمة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل بفضله
٥٣٨	باب في سمة رحمة الله تعالى
صفحة	موضوع
٤٤١	فضيلة قصر الأمل
٤٤١	بيان السبب في طول الأمل وعلاجه
٤٤٢	بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره
٤٤٣	بيان للبادرة إلى الصل وحذر آفة التأخير
٤٤٥	الباب الثالث في سكراته الموت وحسنه وما يستحب من الأحوال عنده
٥٠٦	بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت
٥٠٦	بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بمحبات يهرب لسان الحال عنها
٤٥٣	الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده
٤٦٠	وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٦٠	وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
٤٦٢	وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
٤٦٣	وفاة عثمان رضي الله تعالى عنه
٤٦٤	وفاة علي كرم الله وجهه
٤٦٤	الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلق والأسماء والصالحين
٤٦٥	بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصعابة والتأبين ومن بعدهم من أهل التصوف رضي الله عنهم أجمعين
٤٦٨	الباب السادس في أقاويل المارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور
٤٦٩	بيان حال القبر وأقاويلهم عند القبور
٤٧٣	بيان أقاويلهم عند موت الولد
٤٧٧	بيان زيارة القبور والدفاء للبيت الخ
٤٧٧	الباب السابع في حقيقة الموت وما يتعلقه الميت في القبر إلى نفخة الصور
٤٨٧	بيان حقيقة الموت
٤٨٧	بيان كلام القبر للبيت وكلام الموتى إما بلسان القفال أو بلسان الحال
٤٨٣	بيان عذاب القبر وسؤال متكرر وكثير

فهرس

بقية موارد المعارف للسهروردي الذي بالمأش

صفحة	صفحة
٢٥٢ الباب السابع والخمسون في معرفة المواضع وتسميتها وتبويبها	٢ الباب التاسع والأربعون في استقبال الآثار والأدب فيه والعمل
٢٨١ الباب الثامن والخمسون في شرح الحال والمقام والفرق بينهما	٣٧ الباب الخمسون في ذكر العمل في جميع الآثار وتوزيع الأوقات
٢٩٨ الباب التاسع والخمسون في الإشارات إلى المقامات على الاختصار والإيجاز	٧٨ الباب الحادي والخمسون في آداب للزهد مع الشيخ
٣٣٥ الباب الستون في ذكر إشارات المشايخ في المقامات على الترتيب	١١٧ الباب الثاني والخمسون في آداب الشيخ وما يعتمد مع الأصحاب والتلامذة
٣٨٣ الباب الحادي والستون في ذكر الأحوال وشرحها	١٣٨ الباب الثالث والخمسون في حقيقة الصفة وما فيها من الخير والشر
٤٤٩ الباب الثاني والستون في شرح كلمات مغيرة إلى بعض الأحوال في اصطلاح الصوفية	١٦٥ الباب الرابع والخمسون في آداب حقوق الصفة والأخوة في الله تعالى
٤٧٥ الباب الثالث والستون في ذكر شيء من البدايات والنهايات وصحتها	١٨٠ الباب الخامس والخمسون في آداب الصفة والأخوة
	١٩٧ الباب السادس والخمسون في معرفة الإنسان قلبه ومكاشفات الصوفية من ذلك

بسم الله تعالى تم طبع كتاب [إحياء علوم الدين] لجنة الإسلام الإمام الفزاري ، ومع كتاب [الثاني من حل الأسفار في الأسفار في تحرير ما في الإحياء من الأخبار] لحافظ الإسلام زين الدين العراقي .

وبهاشمة ثلاثة كتب :

- الأول : تعريف الأحياء بفضل الإحياء للشيخ عبد القادر الميردوس باعلوى .
- الثاني : الإملاء من إشكالات الإحياء تصنيف الإمام الفزاري .
- الثالث : موارد المعارف للإمام السهروردي .



